السرور والابتهاج

في مزارات المعتمرين والحجاج

ويليه

القلائد فيما أجمع عليه من العقائد

كلاهما

للشيخ الدكتور جميل محمد علي حليم

دكتور محاضر في العقائد والفرق

رئيس جمعية المشايخ الصوفية

شركة دار المشاريع

السرور والابتهاج

في مزارات المعتمرين والحجاج

ويليه

القلائد فيما أجمع عليه من العقائد

جمعه وأعده

الشيخ الدكتور جميل محمد علي حليم

دكتور محاضر في العقائد والفرق

رئيس جمعية المشايخ الصوفية

شركة دار المشاريع

الطبعة الأولى
١٤٤٥ هـ ـ ٢٠٢٤ ر



بيروت ـ لبنان

العنوان: المزرعة بربور شارع ابن خلدون بناية الإخلاص
تلفون وفاكس: ٣١١ ٣٠٤ (١ ٩٦١) ٠٠
صندوق بريد: ٥٢٨٣ ـ ١٤ بيروت ـ لبنان



ISBN 978-9953-20-822-0
9 789953 208220

email: dar.nashr@gmail.com
www.dmcpublisher.com

+961 3 006 078
+961 3 673 946
info@sheikhjamilhalim.com
sheikhjamilhalim@gmail.com



يقول الإمام المُزَنيُّ رحمه الله:

«قرأتُ كتابَ الرسالةِ على الشَّافعيِّ ثمانينَ مرة، فمَا مِن مرةٍ إلَّا وكان يقفُ علَى خطإ، فقالَ الشَّافعيُّ: هِيه، أَبَى اللهُ أن يكونَ كِتابٌ صحيحٌ غيرَ كِتابِهِ»

أخي القارئ الكريم

«مَا كَان مِن خطإٍ في كتابِنا فأَرشِدنا إليهِ، فإنَّنا لَا نَدَّعي العِصْمَةَ، ونحنُ لكَ مِن الشَّاكِرِينَ»

قَال شيخُنا الحافِظُ الهَرَرِيُّ رحمه الله:

«الَّذي يَعتَمِدُ وَحدَهُ عَلَى مُطالَعَةِ الكُتُبِ يَطلُعُ ضَالًّا مُضِلًّا»

فلا بُدَّ أخِي القارئُ مِن تَلَقِّي العِلمِ مِن أفواهِ الأثباتِ الثِّقاتِ مِن أهلِ العِلمِ

التَّوطِئَة

الميزان في بيان عَقِيدَة أهلِ الإيمان

الحمدُ لله ربِّ العالمين، وصلَّى الله وسلَّم وشرَّف وكرَّم على سيِّدنا محمَّد، الحبيبِ المحبوبِ، العظيم الجاهِ، العالي القَدرِ طه الأمينِ، وإمامِ المرسلينَ وقائدِ الغُرِّ المحجَّلِينَ، وعلى ذُرِّيَّته وأهلِ بَيتِه المَيامِين المكرَّمين، وعلى زوجاتِه أمَّهات المؤمِنِين البارَّاتِ التَّقِيَّات النَّقِيَّات الطاهراتِ الصَّفِيَّات، وصحابَتِه الطيِّبين الطَّاهِرين، ومَن تَبِعَهُم بإحسانٍ إلى يَوم الدِّين.

أما بعدُ، فهذه عقيدةُ كلّ الأمّة الإسلاميةِ سلَفًا وخلفًا، وهي المرجع الذي تُعْرض عليه عقائدُ الناس، فمن خالفها أو كذبها لا يكونُ من المسلمينَ، وهي ميزان الحقِّ الذي يَكْشِفُ زيْفَ الباطلِ وزيغَهُ، فكان لا بُدَّ من هذا البيان المهمّ لخصوصِ الغَرضِ وعمومِ النَّفْع؛ وعليه:

اعلم أرشدَنا اللهُ وإياكَ أنهُ يجبُ على كلِّ مكلَّفٍ أن يعلمَ أنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ واحدٌ في ملكِهِ، خلقَ العالمَ بأسرِهِ العلويَّ والسفليَّ والعرشَ والكرسيَّ، والسمٰواتِ والأرضَ وما فيهمَا وما بينهُمَا. جميعُ الخلائقِ مقهورونَ بقدرتِهِ، لا تتحرَّكُ ذرةٌ إلا بإذنِهِ، ليس معهُ مُدَبِّرٌ في الخلقِ ولا شريكٌ في الملكِ، حيٌّ قيّومٌ لا تأخذُهُ سِنَةٌ ولا نومٌ، عالمُ الغيبِ والشهادةِ لا يخفى عليه شيء في الأرضِ ولا في السماءِ، يعلمُ ما في البَرِّ والبحرِ، وما تسقطُ من ورقةٍ إلا يعلمُهَا، ولا حبّةٍ في ظلماتِ الأرضِ ولا رطبٍ ولا يابسٍ إلا في كتابٍ مبينٍ.

أحاطَ بكلِّ شيء علمًا وأحصَى كلّ شيءٍ عددًا، فعّالٌ لما يريدُ، قادرٌ على ما يشاءُ، له الملكُ وله الغِنى، وله العِزُّ والبقاءُ، وله الحكمُ والقضاءُ، وله الأسماءُ الحسنى، لا دافعَ لما قضَى، ولا مانعَ لما أعطَى، يَفْعَلُ في ملكِهِ ما يريدُ، ويَحْكُمُ في خَلْقِهِ بما يشاءُ، لا يَرجُو ثوابًا ولا يخافُ عقابًا،

ليس عليهِ حقٌّ يلزَمُهُ ولا عليهِ حُكْمٌ، وكلُّ نِعْمةٍ منهُ فَضلٌ وكل نِقْمةٍ منه عَدْلٌ، لا يُسألُ عمّا يَفْعَلُ وهم يُسألونَ. مَوجودٌ قبلَ الخَلْقِ، ليسَ لهُ قبلٌ ولا بعدٌ، ولا فوقٌ ولا تحتٌ، ولا يمينٌ ولا شمالٌ، ولا أمامٌ ولا خلفٌ، ولا كلٌّ ولا بعضٌ، ولا يقالُ متَى كانَ ولا أينَ كانَ ولا كيفَ كانَ ولا مكانَ، كوَّنَ الأكوانَ، ودبَّرَ الزمانَ، لا يتقَيَّدُ بالزمانِ، ولا يتخصَّصُ بالمكانِ، ولا يشغَلُهُ شأنٌ عن شأنٍ، ولا يلحقُهُ وهمٌ ولا يكتنِفُهُ عقلٌ، ولا يتخصَّصُ بالذّهنِ، ولا يتمثَّلُ في النفسِ، ولا يُتَصورُ في الوهمِ، ولا يتكيفُ في العقلِ، لا تَلْحَقُهُ الأوهامُ والأفكارُ.

تنزَّه ربّي عن الجلوسِ والقعودِ والاستقرارِ والمحاذاةِ، الرّحمٰنُ على العرشِ استوى استواءً منزَّهًا عن المماسةِ والاعوجاجِ، خلقَ العرشَ إظهارًا لقدرتِهِ ولم يتَّخِذه مكانًا لذاتِهِ، ومن اعتقدَ أنَّ اللهَ جالسٌ على العرشِ فهو كافرٌ، الرّحمٰنُ على العرشِ استوى كما أخبرَ لا كما يخطرُ للبشرِ، فهو قاهرٌ للعرشِ مُتَصرِّفٌ فيه كيف يشاءُ، تنزَّهَ وتقدَّسَ ربّي عن الحركةِ والسكونِ، وعن الاتصالِ والانفصالِ والقُربِ والبُعدِ بالحِسّ والمسافةِ، وعن التَّحوُّلِ والزّوالِ والانتقالِ، جلَّ ربّي لا تُحيطُ به الأوهامُ ولا الظُّنونُ ولا الأفهامُ، لا فِكرةَ في الرَّبِّ، خلق الخلق بقُدرته، وأحكمَهم بعِلْمه، وخَصَّهم بمشيئته، ودَبَّرَهم بحِكمَته، لم يكن له في خَلْقِهم مُعِين، ولا في تَدبِيرهم مُشِير ولا ظَهِير.

لا يلزمه (لِمَ)، ولا يُجاوِرُه (أين)، ولا يُلاصِقُه (حَيث)، ولا يَحُلُّه (ما)، ولا يَعُدُّه (كَم)، ولا يَحصُره (متَى)، ولا يُحِيطُ به (كَيف)، ولا يَنالُه (أيٌّ)، ولا يُظِلُّه (فَوق) ولا يُقِلُّه (تَحت)، ولا يُقابِلُه (حَدّ)، ولا يُزاحِمُه (عِند)، ولا يأخُذه (خَلْف)، ولا يَحُدُّه (أمام)، ولم يَتقدَّمه (قَبْل)، ولم يَفُتْه (بَعد)، ولم يَجْمَعْه (كُلّ)، ولم يُوجِدْه (كان)، ولم يَفْقِدْه (لَيس).

لا إلٰه إلا هو، تقدَّسَ عن كلِّ صفاتِ المخلوقينَ وسِمَاتِ المحدَثِينَ، لا يَمَسُّ ولا يُمَسُّ ولا يُحَسُّ ولا يُجَسُّ، لا يُعرَفُ بالحواسِّ ولا يُقاسُ

بالناس، نُوَحِّدُه ولا نُبَعِّضُه، ليس جسمًا ولا يتَّصِفُ بصفاتِ الأجسام، فالمجسِّم كافر بالإجماع وإن قال: «الله جسمٌ لا كالأجسام» وإن صام وصلَّى صورةً، فالله ليس شبحًا، وليس شخصًا، وليس جوهرًا، وليس عَرَضًا، لا تَحُلُّ فيه الأعراضُ، ليس مؤلَّفًا ولا مُرَكَّبًا، ليس بذي أبعاضٍ ولا أجزاءٍ، ليس ضوءًا وليس ظلامًا، ليس ماءً وليس غيمًا وليس هواءً وليس نارًا، وليس روحًا ولا له روحٌ، لا اجتماعَ له ولا افتراقَ.

لا تجري عليه الآفاتُ ولا تأخذُه السِّنَاتُ، منزَّهٌ عن الطُّولِ والعَرْضِ والعُمْقِ والسَّمْكِ والتركيبِ والتأليفِ والألوانِ، لا يَحُلُّ فيه شيء، ولا يَنْحَلُّ منه شيء، ولا يَحُلُّ هو في شيء، لأنه ليس كمثله شيء، فمن زعم أن الله في شيء أو من شيء أو على شيء فقد أشرك، إذ لو كان في شيء لكان محصورًا، ولو كان من شيء لكان مُحدَثًا أي مخلوقًا، ولو كان على شيء لكان محمولًا، وهو معكم بعلمه أينما كنتم لا تخفى عليه خافية، وهو أعلم بكم منكم، وليس كالهواء مخالطًا لكم.

وكلَّم اللهُ موسى تكليمًا، وكلامُه كلامٌ واحدٌ لا يتبعض ولا يتعدد ليس حرفًا ولا صوتًا ولا لغةً، ليس مُبتَدأً ولا مُختَتَمًا، ولا يتخلله انقطاع، أزليٌّ أبديٌّ ليس ككلام المخلوقين، فهو ليس بفم ولا لسان ولا شفاه ولا مخارج حروف ولا انسلال هواء ولا اصطكاك أجرام. كلامُه صفةٌ من صفاتِه، وصفاتُه أزليةٌ أبديةٌ كذاتِه، وصفاته لا تتغيَّر لأنَّ التغيُّرَ أكبرُ علاماتِ الحدوثِ، وحدوثُ الصفةِ يستلزمُ حدوثَ الذاتِ، والله منزَّهٌ عن كل ذلك، مهما تصورت ببالك فالله لا يشبه ذلك، فصونوا عقائدَكم من التَّمَسُّكِ بظاهِرِ ما تشابَه من الكتابِ والسنَّةِ فإنَّ ذلك من أصولِ الكفر، ﴿فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ﴾، ﴿وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ﴾، ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾، ومن زعم أن إلـهنا محدودٌ فقد جَهِلَ الخالقَ المعبودَ، فالله تعالى ليس بقدر العرش ولا أوسع منه ولا أصغر، ولا تصِحُّ العبادة إلا بعد معرفة المعبود، وتعالى ربّنا عن الحدود والغايات والأركان والأعضاء والأدوات، ولا تحويه الجهات الست

كسائر المبتدعات، ومن وصف الله بمعنى من معاني البشر فقد خرج من الإسلام وكفر.

﴿هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ﴾، ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾، ﴿قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾، ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا﴾، ما شاء الله كان وما لم يشأْ لم يكن، وكلّ ما دخل في الوجود من أجسامٍ وأجرامٍ وأعمالٍ وحركاتٍ وسكناتٍ ونوايا وخواطر وحياة وموت وصحة ومَرَض ولذّة وألم وفَرَح وحزن وانزعاج وانبساط وحرارة وبُرودة ولُيونة وخشونة وحلاوة ومرارة وإيمانٍ وكفر وطاعة ومعصية وفوز وخسران وتوفيق وخذلان وتحركات وسكنات الإنس والجن والملائكة والبهائم وقطرات المياه والبحار والأنهار والآبار وأوراق الشجر وحبات الرمال والحصى في السهول والجبال والقفار فهو بخَلْق الله، بتقديره وعلمه الأزلي، فالإنس والجن والملائكة والبهائم لا يخلقون شيئًا من أعمالهم، وهم وأعمالهم خَلْق لله، ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾، ومن كذَّبَ بالقدر فقد كفر.

ونشهد أن سَيّدَنا ونبيَّنا وعظيمنا وقائدَنا وقُرَّة أعينِنا وغوثنا ووسيلتنا ومعلمنا وهادينا ومرشدنا وشفيعنا محمَّدًا عبدُه ورسولُه، وصفيُّه وحبيبُه وخليلُه، مَن أرسَلَه اللهُ رحمةً للعالمين، جاءنا بدين الإسلام ككُلِّ الأنبياء والمرسلين، هاديًا ومُبَشِّرًا ونذيرًا وداعيًا إلى الله بإذنه قمرًا وهَّاجًا وسِراجًا مُنيرًا، فبلَّغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة وجاهد في الله حقّ جهاده حتى أتاه اليقين، فعَلَّمَ وأرشدَ ونصحَ وهدى إلى طريق الحقِّ والجنَّة حتى أتاه اليقين، ﷺ وعلى كلِّ رسولٍ أرسَلَه، ورضي الله عن ساداتنا وأئمتنا وقدوتنا وملاذنا أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وسائر العشرة المبشرين بالجنة الأتقياء البررة وعن أمهات المؤمنين زوجات النبي ﷺ الطاهرات النقيات المبرءات، وعن أهل البيت الأصفياء الأجلاء وعن سائر الأولياء وعباد الله الصالحين.

ولله الفَضلُ والمِنَّةُ أنْ هدانا لهذا الحق الذي عليه الأشاعرة والماتريدية وكل الأمة الإسلامية، والحمد لله رب العالمين.

نُبْذَة تعريفِيَّة بالشّيخ الدُّكتور جَمِيل حَلِيم

بقلم النّاشِر

هو السيّد الشريف رئيس جمعية المشايخ الصوفية الشيخ الدكتور عماد الدين أبو الفضل جميل بن محمد علي حليم، الحسينيُّ الأشعري الشافعي الرفاعي القادريّ.

تلقَّى العلوم والطرق عند علَّامة العصر وقدوة المحققين الحافظ الشيخ عبد الله بن محمد الهرري الشيبي العبدري ولزمه وصحبه واستفاد منه زمانًا طويلًا وكان يعيد دروسه وإملاءاته في كثير من مجالسه العامة والخاصة بطلبٍ منه رضي الله عنه، وقرأ وسمع وحضر في علوم شتّى على كثيرٍ من العلماء والفقهاء والمحدّثين من مشاهير البلاد كمكة والمدينة وجدة ولبنان وسوريا والعراق ومصر وأندنوسيا وتركيا والمغرب واليمن والحبشة وغيرها، وأجازه كثيرٌ من العلماءِ والمحدِّثين والمشايخ في مختلف البلاد إجازةً عامةً مطلقةً وخاصَّة بكل ما تجوز لهم روايته وفي الطرق والإرشاد والتسليك وإقامة الختم والحضرة وتلقِين الأوراد.

وقد حاز الشيخ جميل على شهادتي دكتوراه، الأولى من الجامعة العالمية في لبنان تحت عنوان «**السُّقوط الكبير المُدَوِّي للمُجَسِّم ابن تَيمِيةَ الحرَّاني**» بتقديرٍ ممتاز مع مرتبة الشرف الأولى، والأخرى من جامعة مولاي إسماعيل بالمغرب تحت عنوان «**التأويل في علم الكلام وضوابطه عند أهل السنة والجماعة**» وذلك بتقدير مشَرِّف جدًّا.

وقد أولَى الشيخ جميل اهتمامه العلم والمطالعة، فهو يعكف اليوم على تأليفِ الكتب وتحقيق مصنَّفات العلماء في مكتبته «المكتبة الأشعرية

العبدرية» في بيروت وقد حوَت ءالاف الكتب المطبوعة والمخطوطة النادرة في علوم وفنون شتى. وقد بلغت مؤلفاته ومصنَّفاته وتحقيقاته لبعض الكتب فوق المائتي كتابٍ إلى الآن.

وقد قرأ وسمع على العلماء والمشايخ وحصَّل تلقّيًا أكثر من ثلاثمائة كتاب في كل الفنون والعلوم ولله الفضل والحمد والمِنّة ولا زال إلى اليوم بعونٍ من الله وتوفيقٍ وتسديدٍ قائمًا على الخطابة في المساجد والتدريس وإلقاء محاضرات في المساجد والجامعات والمعاهد وفي مناسبات الناس العامة كالجنائز والتعازي والأعراس جوَّالًا على المحافظات والبلاد بذلك، كما وأنه شارك وحضر في كثيرٍ من المؤتمرات والمهرجانات والاحتفالات في كثيرٍ من الدول والبلاد بطلب ودعوة من أهلها، وله العديد من المقابلات واللقاءات في عدد من وسائل الإعلام كالتلفزيون والإذاعة والمجلّات والصحف، وهو دكتور أستاذ محاضر في الجامعة العالمية في لبنان، كما وأنه يعقد مجالس الإقراء والإسماع في الأحاديث المسلسلة وكتب الحديث الشريف كالكتب السبعة وغيرها من أمَّهات الكتب من العقائد والأحكام والفقه والتَّصوف وهو أوَّل من أقْرَأَ صحيحي البخاري ومسلم في لبنان من تلاميذ الحافظ الهرري، وقد أقْرَأَ إلى الآن العشرات من الكتب والمؤلَّفات الّتي حضر فيها الجمّ الغفير من المشايخ والدُّعاة والأساتذة والدَّكاترة ومعلِّمي ومعلماتِ المعاهد والمدارس وخطباء المساجد وطلَّاب الكليَّات والمعاهد الشرعيَّة، وبعض هذه المجالس تبث مباشرة على مواقع التواصل وصفحات الفايسبوك وبعض هذه المجالس والمحاضرات شاهدَها قريبٌ مِن ثلاثةِ ملايين مشاهِد.

كما وقد راسَله وهاتفه وكاتبه وشافهه عدد كبير من المشايخ والدكاترة والدّعاة والأساتذة والفقهاء والمحدثين لطلب وأخذ الإجازة منه، وإجازاته من كل بقاع الدنيا قاربت الألف إجازة بعضها مذكور ومفصَّلٌ في ثبته الموسوم بـ«جمع اليواقيت الغوالي من أسانيد الشيخ جميل حليم العوالي»،

وقد طبع مرات ومعظم إجازاته وأكثرها التي جاءت بالمئات في ثبته الكبير المسمَّى بـ«**المجد والمعالي من أسانيد الشيخ جميل حليم الغوالي**».

هذا وقد خصَّهُ بعض العلماء وأحفاد رسول الله ﷺ من الأُسَر الشريفة المشهورة وأصحاب الطرق من بلادٍ عدة بثارٍ من آثار رسول الله محمَّد ﷺ، فحفظها في «الخزينة الحليمية». وفي كل عام يتبرك عشرات الآلاف من المسلمين في مختلف البلاد ببعض هذه الآثار الزكيّة المباركة العطرة، وقد حصل بذلك خيرٌ عظيم جسيمٌ كبير من دخول بعض النَّاس في الإسلام وظهرت حالات شفائيَّة سريعة وظاهرة جدًا حتى جُمِع بعضُها في كتابٍ طبع مرات وهو «**أسرار الآثار النبويَّة أدِلّة شرعِيّة وحالات شِفائيّة**» ولله الحمد والفضل والثناء والمنة والشكر الجزيل على ما أسدَى من الفضل العميم وصلى الله وسلَّم على سيدنا محمَّد وعلى كل النبيّين والمرسَلين وءالِ كلٍّ وصَحب كلٍّ وسائر عباد الله الصالحين[1].

بيروت، الخميس ٢٩ المحرَّم ١٤٤٢هـ
الموافِق ١٧ أيلول ٢٠٢٠ر

(١) للتواصل مع المؤلف راجع ما يلي: ‎+٩٦١٣٦٧٣٩٤٦ / ‎+٩٦١٣٠٠٨٠٧٨
: info@sheikhjamilhalim.com
sheikhjamilhalim@gmail.com

نَسَبُ الشّيخ الدُّكتور جَمِيل حَلِيم إِلَى رَسُولِ الله

هو السيد الشريف الحسيب النسيب الشيخ الدكتور عماد الدين أبو محمد جميل بن محمد الأشعري الشافعي الحسيني الرفاعي القادري ابن السيد محمد ابن السيد عبد الحليم ابن السيد قاسم ابن السيد أحمد ابن السيد قاسم ابن السيد عبد الكريم ابن السيد عبد القادر ابن السيد علي ابن السيد محمد ابن السيد ياسين ابن السيد إسماعيل ابن السيد حسين ابن السيد محمد ابن السيد إبراهيم ابن السيد عمر ابن السيد حسن ابن السيد حسين ابن السيد بلال ابن السيد هارون ابن السيد علي ابن السيد علي أبي شجاع ابن السيد عيسى ابن السيد محمد ابن أبي طالب ابن السيد محمد ابن السيد جعفر ابن السيد الحسن أبي محمد ابن السيد عيسى الرومي ابن السيد محمد الأزرق ابن السيد أبي الحسن الأكبر عيسى النقيب ابن السيد محمد ابن السيد علي العريضي ابن الإمام جعفر الصادق بن الإمام محمد الباقر بن الإمام السجاد علي زين العابدين ابن الإمام السبط السعيد الشهيد الحسين ابن السيدة الجليلة الزكية الطاهرة فاطمة البتول زوجة أمير المؤمنين أسد الله الغالب علي ابن أبي طالب عليه السلام وابنة رسول رب العالمين خاتم النبيين والمرسلين محمد صلوات الله وسلامه عليه إلى يوم الدين[(١)]

---

(١) وهذا نسبٌ شريفٌ صحيحٌ بلا مِرْيَةٍ مضبوط في كتاب جامع الدّرر البهيّة بأنساب القرشيّين في البلاد الشّاميّة، جمع الدكتور الشّريف كمال الحوت الحسيني، شركة دار المشاريع الطبعة الثانية (ص٣٣٢-٣٣٣) تاريخ ٢٠٠٦ر - ١٤٢٧هـ، وفي كتاب غاية الاختصار في أنساب السادة الأطهار، ويليه المستدرك الطبعة الثالثة ص١ ١٤٣٤هـ. ٢٠١٠م، وفي كتاب الحقائق الجليّة في نسب السّادة العريضية (ص٤٣٣-٤٣٤) كلاهما للدكتور الوليد العريضي الحسيني البغدادي.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

المقدمة

كُلَّمَا اقتَرَب مَوسِمُ الحَجّ تَرى قُلُوبَ المُؤمِنِينَ قَدِ اختَلَجَت لَهُ، وَتَهيَّأَ مَن تَيَسَّر لَهُم الأمرُ لِرِحلَةِ العُمرِ لأَدَاءِ هَذِه الفَرِيضَةِ المُعَظَّمَة، وَزِيَارةِ تِلكَ الرِّحَابِ المُقَدَّسَة الَّتِي كَانَ فِيهَا سَيِّدُ المُرسَلِينَ وَخَيرُ النَّبِيِّينَ سَيِّدنا مُحَمَّدٍ ﷺ.

وَبَقِيَت قُلُوبٌ يَغمرُها الشَّوقُ والحَنِينُ بُغيَةَ السَّفَرِ لأَدَاءِ هَذِهِ الفَرِيضَةِ العَظِيمَةِ في عَامٍ قَادِمٍ وَهُم لَا يَدرُونَ أَيُقبِلُوهُ أَحيَاءً أَم يَكُونُونَ تَحتَ أَطبَاقِ الثَّرَى.

عِبادَ اللهِ، ثَمَّة رِجَالٌ قَصَدُوا الحَجَّ مَشيًا عَلى الأَقدَام، عَرَفُوا قَدرَ الآخِرَةِ فهَانَ عَلَيهِم التَّعَب وَطَوَّعُوا أَنفُسَهُم، خَافُوا الوَعِيدَ فَقَرُبَ عَلَيهِم البَعِيد. مِنهُم إبرَاهِيمُ بنُ أَدهَم الَّذِي رَءَاهُ رَجُلٌ وَهُوَ رَاكِبٌ نَاقَتَهُ فَقَالَ لَهُ: «إِلَى أَينَ يَا إِبرَاهِيم؟»، قَالَ إِبرَاهِيمُ: «أُرِيدُ الحَجَّ»، فَقَالَ الرَّجُلُ: «وَلَكِنَّ الطَّرِيقَ بَعِيدٌ أَينَ الرَّاحِلَةُ؟»، فَقَالَ إِبرَاهِيمُ: «لِي مَرَاكِبُ كَثِيرَةٌ وَلَكِنَّكَ لَا تَرَاهَا»، فَقَالَ الرَّجُلُ: «أَينَ هِيَ؟»، فَقَالَ إِبرَاهِيمُ: «إِذَا نَزَلَت بِي مُصِيبَةٌ رَكِبتُ مَركَبَ الصَّبرِ، وَإِذَا نَزَلَت بِي نِعمَةٌ رَكِبتُ مَركَبَ الشُّكرِ، وَإِذَا نَزَلَ بِي القَضَاءُ رَكِبتُ مَركَبَ الرِّضَا، وَإِذَا دَعَتنِي نَفسِي إِلَى شَىءٍ عَلِمتُ أَنَّهُ مَا بَقِيَ مِنَ الأَجَلِ إِلَّا القَلِيلُ»، فَقَالَ الرَّجُلُ: «سِر بِإِذنِ اللهِ فَوَاللهِ أَنتَ الرَّاكِبُ وَأَنَا المَاشِي».

هُنَاكَ تَنالُ النُّفوسُ مَطلَبَهَا، وَتَجِدُ الأَرواحُ المُشتَاقَةُ تِريَاقَهَا، هُنَاكَ يَطُوفُ النَّاسُ بِالبَيتِ العَتِيقِ، فَتَطُوفُ بِبَيتِ اللهِ الحَرَامِ ولِسَانُ حَالِكَ يَقُولُ: «يَا رَبُّ مَهمَا دُرتُ وَاستَدَرتُ لَا مَلجَأَ لِي إِلَّا إِلَيكَ».

هُنَاكَ عِندَمَا تَستَلِمُ الحَجَرَ الأَسوَدَ وَتُقَبِّلُهُ تَستَحضِرُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَد مَسَّت شَفَتَاهُ هَذَا الحَجَرِ.

هُنَاكَ إِذَا صَلَّيتَ أَمَامَ الكَعبَةِ وَرَفَعتَ رَأسَكَ مِنَ السُّجُودِ طَالَعَتكَ أَنوَارُ الكَعبَةِ[1]، وَتَنَسَّمتَ عَبقَ شَذَاها، سَتَجِدُ مَرَّةً أُخرَى شَاهِدًا بِأَنَّكَ عَبدٌ لِرَبِّ هَذَا البَيتِ.

هُنَاكَ عِندَمَا تَسعَى بَينَ الصَّفَا وَالمَروَةِ تَستَحضِرُ قِصَّةَ سَيِّدَتِنَا هَاجَر وَوَلَدِهَا إِسمَاعِيل عليه السلام لمَّا تَرَكَهُمَا سَيِّدُنا إِبرَاهِيم عليه السلام وَكَانَ المَكَانُ قَفرًا صَحرَاء، وَقَد سَأَلَتهُ: «يَا إِبرَاهِيمُ أَينَ تَترُكنا في هَذَا المَكَانِ الَّذِي لَيسَ فِيهِ سَمِيرٌ وَلَا أَنِيسٌ» قَالَت لَهُ: «ءَاللهُ أَمَرَكَ بِهَذَا؟»، فَقَالَ: «نَعَم»، فَكَانَ سَيِّدُنَا إِبرَاهِيمُ يُرِيدُ أَن يُطِيعَ اللهَ فِيمَا أَمَرَهُ، فَقَالَت لَهُ بِلِسَانِ اليَقِينِ: «إِذًا لَا يُضَيِّعُنَا»[2] وَأَظهَرَ اللهُ لَهَا المَاءَ السَّلسَبِيلَ العَذبَ مَاءَ زَمزَم.

هُنَاكَ فِي عَرَفَةَ يَدعُو النَّاسُ اللهَ وَيَبتَهِلُونَ إِلَيهِ بِثِيَابِ الإِحرَامِ مُزدَحِمِين.

وَبَعدَ ذَلِكَ كُلِّهِ تَحُطُّ الرِّحَالُ فِي المَدِينَةِ المُنَوَّرَةِ الَّتِي هِيَ أَفضَلُ

---

(١) يجوز للمصلي وهو أمام الكعبة أن يصرف نظره إلى الكعبة بدل أن يصرفه لمحل سجوده، وذلك بنية تعظيم الكعبة زادها الله تعالى شرفًا، وهو قول الإمام مالك.

(٢) صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء صلوات الله عليهم، باب يزفون النسلان في المشي.

بِلَادِ اللهِ بَعدَ مَكَّةَ المُكَرَّمَة، إِنَّهَا المَدِينَةُ الَّتِي كَانَ يَقُولُ فِيهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**بَدَأَ الإِسلَامُ غَرِيبًا ثُمَّ يَعُودُ غَرِيبًا كَمَا بَدَأَ، فَطُوبَى لِلغُرَبَاءِ**». قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ، وَمَنِ الغُرَبَاءُ؟ قَالَ: «**الَّذِينَ يُصْلِحُونَ إِذَا فَسَدَ النَّاسُ، وَالَّذِي نَفسِي بِيَدِهِ لَيَنْحَازَنَّ الإِيمَانُ إِلَى المَدِينَةِ كَمَا يَحُوزُ السَّيلُ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَيَأْرِزَنَّ** - أَي يَنضَمُّ وَيَجتَمِعُ - **الإِسْلَامُ إِلَى مَا بَيْنَ المَسْجِدَيْنِ كَمَا تَأْرِزُ الحَيَّةُ إِلَى جُحْرِهَا**»(١).

إِنَّهَا المَدِينَةُ الَّتِي لَا يَدخُلُهَا الأَعوَرُ الدَّجَّالُ بَل يَكُونُ عَلَى مَدَاخِلِهَا مَلَائِكَةٌ مَعَهُم سُيُوفٌ مُسَلَّطَةٌ يَمنَعُونَهُ مِن دُخُولِهَا فَيَفِرّ(٢).

إِنَّهَا المَدِينَةُ المُبَارَكَةُ الَّتِي وَرَدَ فِيهَا حَدِيثُ البُخَارِيّ: «**اللَّهُمَّ اجْعَلْ بِالمَدِينَةِ ضِعْفَيْ مَا جَعَلْتَ بِمَكَّةَ مِنَ البَرَكَةِ**»(٣).

وَفِي المَدِينَةِ المُنَوَّرَةِ رَوْضَةٌ مِن رِيَاضِ الجَنَّةِ بَينَ قَبرِ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَمِنْبَرِهِ(٤).

---

(١) **جامع الأحاديث**، السيوطي، باب الباء الموحدة، (١٠٤٦٩). ورواه الإمام أحمد في مسنده، مسند المدنيين (ح/ ١٦٦٩٠).

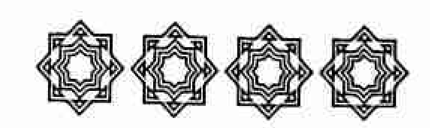
(٢) قَالَ ﷺ: «**لَيسَ مِن بَلَدٍ إِلَّا سَيَطَؤُهُ الدَّجَّالُ إِلَّا مكَّةَ وَالمَدِينَةَ، ولَيسَ نَقْبٌ مِن أَنْقَابِهَا إِلَّا عَلَيْهِ المَلَائِكَةُ صَافِّينَ يَحرُسُونَهَا، فَيَنْزِلُ بِالسَّبخَةِ فَتَرْجُفُ المَدِينَةُ بِأَهْلِهَا ثَلَاثَ رَجَفَاتٍ، يَخْرُجُ إِلَيْهِ مِنْهَا كُلُّ كَافِرٍ وَمُنَافِقٍ**. صحيح مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب قصة الجساسة.

(٣) **صحيح البخاري**، البخاري، أبواب فضائل المدينة، باب المدينة تنفي الخبث، (١٨٨٥). **صحيح مسلم**، مسلم، كتاب الحج، باب فضل المدينة، (١٣٦٩).

(٤) قَالَ ﷺ: «**مَا بَيْنَ بَيْتِي وَمِنْبَرِي رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الجَنَّةِ**». رواه البخاري في صحيحه، في باب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة، باب فضل ما بين القبر والمنبر. ورواه مسلم في كتاب الحج، باب ما بين القبر والمنبر روضة من رياض الجنة.

إِنَّهَا المَدِينَةُ الَّتِي ضَمَّت رَسُولَ اللهِ ﷺ تَهفُو إِلَيهَا قُلُوبُ المُوَحِّدِينَ وَتَرحَلُ إِلَيهَا قَوَافِلُ المُؤمِنِينَ شَوقًا إِلَى حَبِيبِ رَبِّ العَالَمِين.

كَيفَ لَا تَكُونُ هَذِهِ الرِّحلَةُ هِيَ رِحلَةَ العُمرِ وَرَاحَةَ العُشَّاقِ، يَسِيرُ الرَّكبُ يَحدُوهُ الهُيَام، وَتَجرِي دُمُوعُ الحُبِّ بِانسِجَامٍ شَوقًا إِلَى بَيتِ اللهِ الحَرَامِ، إِلَى مُحَمَّدٍ خَيرِ الأَنَامِ وَبَدرِ التَّمَامِ ﷺ.



بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحَمدُ للهِ وَالصَّلاةُ وَالسَّلامُ عَلَى رَسُولِ الله ﷺ
بَيَانُ مِفتَاحِ الظَّفَرِ بِالاجتِمَاعِ بِهِ فِي الجَنَّةِ
الالتِزَام بِعَقِيدَةِ الإِسلَام

* * * *

المَبحَثُ الأَوَّلُ:
فِي تَعرِيفِ عِلمِ العَقِيدَةِ

اعْلَمْ رَحِمَك اللهُ وَهَدَاكَ أنَّ عِلمَ العَقِيدةِ هُوَ أَساسُ قَوَاعِدِ عَقَائِدِ الإِسلام، وَهُوَ أَشرَفُ العُلُومِ، وَغَايَتُهُ الفَوزُ بِالسَّعَادَاتِ الدِّينِيَّةِ وَالدُّنيَوِيَّةِ، وَبَرَاهِينُهُ الحُجَجُ القَطعِيَّةُ مِن سَمعِيَّةٍ وَعَقلِيَّةٍ، وَيُسمَّى هَذَا العِلمُ عِلمَ التَّوحِيدِ وَعِلمَ أُصُولِ الدِّينِ، وَيُسمَّى أَيضًا عِلمَ الكَلامِ. وَأَمَّا تَسمِيَتُهُ بِالاسمَيْن الأَوَّلَيْنِ فَظَاهِرَة السَّبَب، وَأَمَّا تَسمِيَتُهُ بِعِلمِ الكَلامِ فَلأَنَّ أَكثَرَ الخُصُومَاتِ بَينَ أَهلِ الحقِّ وبَينَ المُخَالِفِينَ كَانَ فِي تَقريرِ صِفَةِ الكَلامِ للهِ تَعَالَى، وَسَيَأتِي بَيَانُ ذَلِكَ إِن شَاءَ اللهُ تَعَالَى. وَبِالإِجمَالِ فَإِنَّ عِلمَ العَقِيدَةِ عِلمٌ يُعرَفُ بِهِ مَا يَجِبُ للهِ تَعَالَى كَوُجُوبِ الأَزَلِيَّةِ لَهُ، وَمَا يَستَحِيلُ عَلَيهِ كَالوُجُودِ بَعدَ عَدَمٍ، وَمَا يَجُوزُ فِي حَقِّهِ كَإِيجَادِ شَيءٍ وَإِعدَامِهِ، وَيُعرَفُ بِهِ أَيضًا مَا يَجِبُ للأَنبِيَاءِ وَمَا يَستَحِيلُ عَلَيهِم وَمَا يَجُوزُ فِي حَقِّهِم. وَسَيَأتِي بَيَانُ ذَلِكَ كُلّه إن شاء اللهُ تعالى.

المَبحَثُ الثَّانِي:
فِي بَيَانِ شَرَفِ عِلمِ العَقِيدَةِ

اعلَم أَنَّ العِلمَ بِاللهِ تَعَالَى وَصِفَاتِهِ أَجَلُّ العُلُوم وَأَعلاهَا وَأَوْجَبُهَا وَأَولاهَا، وَقَد خصَّ النَّبِيُّ ﷺ نَفسَهُ بِالتَّرَقِّي فِي هَذَا العِلم فَقَالَ: «**أَنَا أَعلَمُكُمْ بِاللهِ**»[1]. وَعَن جُندُبِ بنِ عَبْدِ اللهِ قَالَ: «كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ وَنَحْنُ فِتْيَانٌ حَزَاوِرَةٌ[2]، فَتَعَلَّمْنَا الإِيمَانَ قَبْلَ أَنْ نَتَعَلَّمَ القُرْءَانَ، ثُمَّ تَعَلَّمْنَا القُرْءَانَ فَازْدَدْنَا بِهِ إِيمَانًا»[3]. وَذَلِكَ لأَنَّ الإِيمَانَ بِاللهِ وَرَسُولِهِ هُوَ طَرِيقُ النَّجَاةِ مِنَ الخُلُودِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ أَعَاذَنَا اللهُ مِنهَا.

وَلمَّا كَانَ شَرَفُ العِلمِ مُتَعَلِّقًا بِشَرَفِ المَعلُوم، وَلمَّا كَانَ عِلمُ العَقِيدَةِ يُعرَفُ بِهِ أَعْرَفُ المَوجُودَاتِ وَهُوَ اللهُ سُبحَانَهُ وَتَعَالَى، كَانَ عِلمُ العَقِيدَةِ هُوَ أَشرَف العُلُومِ، وَفِي ذَلِكَ قَالَ الإِمَامُ أَبُو حَنِيفَةَ فِي الفِقهِ الأَبسَطِ: «**اعْلَم أَنَّ التَّفَقُّهَ فِي الدِّينِ أَفضَل مِنَ التَّفَقُّهِ فِي الأَحكَامِ**» اهـ.

وَقَد أَقبلَ السَّلفُ وَالخَلفُ عَلى تَعلُّم هَذَا العِلم وَتَعلِيمِه، وَأَلَّفُوا فِيهِ المُصَنَّفَات وَالمُؤَلَّفَات، وَمِنهُم الإِمَامُ أَبُو حَنِيفَةَ فَقَدَ سَافَر نَيِّفًا وَعِشرِينَ مَرَّةً مِن الكوفة إِلَى البَصرَةِ لِمُنَاظَرَةِ أَهلِ الأَهوَاءِ كَالمَلَاحِدَةِ، وَأَلَّفَ خَمسَ رَسَائِلَ فِي عِلمِ العَقِيدَةِ. وَمِنهُم الإِمَامُ الشَّافِعِيُّ، فَقَدْ رَوَى

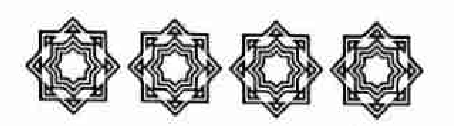
---

(١) صحيح البخاري، البخاري، كتاب الإيمان، باب قول النبي ﷺ «أنا أعلمكم بالله».

(٢) أي قاربوا البلوغ. قال السندي في حاشيته على ابن ماجه: هو الغلام إذا اشتد وقوي وحزم كذا في الصحاح، وفي النهاية: هو الذي قارب البلوغ اهـ.

(٣) سنن ابن ماجه، ابن ماجه، افتتاح الكتاب في الإيمان وفضائل الصحابة والعلم، باب في الإيمان، (١/٢٣).

الحَافِظُ ابنُ عَسَاكِرَ أَنَّ الشَّافِعِيَّ تَكَلَّمَ يومًا بِمَا يَقُولُهُ أهلُ الكَلامِ، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: «يَا أَبَا عَبدِ اللهِ هَذَا مَا يَقُولُهُ أهلُ الكَلَامِ، لَا أهلُ الحَلَالِ والحَرَامِ!»، فَقَالَ الشَّافِعِيُّ: «أَحْكَمْنَا ذَاكَ قَبْلَ هَذَا»[1] اهـ.



(١) تبيين كذب المفتري، ابن عساكر (ص/٦١٣)، مناقب الشافعي، البيهقي (١/ ٤٥٤).

المَبحَثُ الثَّالِثُ:
فِي بَيَانِ مَا يَجِبُ لِلمَوْلَى سُبحَانَهُ وَتَعَالَى وَمَا يَستَحِيلُ عَلَيهِ

اعْلَم أَنَّهُ يَجِبُ للهِ كُلُّ مَا يَلِيقُ بِهِ وَيَستَحِيلُ عَلَيهِ كُلُّ نَقصٍ فِي حَقِّهِ، فَمِمَّا يَجِبُ لَهُ سُبحَانَهُ وَتَعَالَى الوُجُود فَيَستَحِيلُ عَلَيهِ العَدَمُ.

فَإِذَا قَالَ لَكَ قَائِلٌ: مَا دَلِيلُكَ عَلَى وُجُودِ اللهِ؟

فَقُل لَهُ: هَذِهِ السَّمَاءُ بِكَوَاكِبِهَا وَأَفلَاكِهَا، وهَذِهِ الأَرضُ بِفِجَاجِهَا وَمِيَاهِهَا، وَهَذِهِ النَّبَاتَاتُ بِتَنَوُّعِ أَشجَارِهَا وثِمَارِهَا، وَهَذِهِ الحَيَوَانَاتُ بِاختِلَافِ أَشكَالِهَا وَأَفعَالِهَا، كُلُّهَا تَدُلُّ عَلَى وُجُودِ خَالِقِهَا. وَذَلِكَ أَنَّهَا مَوجُودَة بَعدَ عَدَمٍ وَكُلُّ مَوجُودٍ بَعدَ عَدَمٍ لَا بُدَّ لَهُ مِن مُوجِدٍ أَخرَجَهُ مِنَ العَدَمِ إِلَى الوُجُودِ، وَهَذَا المُوجِدُ هُوَ اللهُ سُبحَانَهُ وَتَعَالَى. وَقَد قَالَ تَعَالَى: ﴿أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ﴾[1] أي أَنَّ اللهَ مَوجُودٌ لَا شَكَّ فِي وُجُودِهِ، وَقَالَ ﷺ: «كَانَ اللهُ وَلَم يَكُن شَيءٌ غَيرُهُ»[2].

وَمِمَّا يَجِبُ للهِ تَعَالَى القِدَمُ وَمَعنَاهُ أَنَّ اللهَ لَا أَوَّلَ لِوُجُودِهِ، وَيَستَحِيلُ عَلَيهِ الحُدُوثُ وَهُوَ الوُجُودُ بَعدَ عَدَمٍ. وَالدَّلِيلُ عَلَى ذَلِكَ أَنَّهُ لَو لَم يَكُن قَدِيمًا لَكَانَ حَادِثًا، وَلَو كَانَ حَادِثًا لافتَقَرَ إِلَى مُحْدِثٍ يُوجِدُهُ، وَهَذَا شَأنُ المَخلُوقَاتِ لَا شَأن الخَالِقِ، تَعَالَى اللهُ عَن ذَلِكَ، بَل هُوَ قَدِيمٌ

---

(١) سورة إبراهيم، آية (١٠).

(٢) صحيح البخاري، البخاري، كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في قول الله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ الآية، (٣١٩١).

أَزَلِيٌّ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ﴾(١) أي هُوَ اللهُ الَّذِي لَا بِدَايَةَ لِوُجُودِهِ، أي لم يوجد بعد عدم.

وَيَجِبُ لَهُ تَعَالَى **البَقَاءُ** وَمَعنَاهُ أَنَّ اللهَ لَا نِهَايَةَ لِوُجُودِهِ، لَا يَمُوتُ وَلَا يَهلِكُ، وَيَستَحِيلُ طُرُوء العَدَم عَلَيهِ. وَالدَّلِيلُ عَلَى ذَلِكَ أَنَّهُ لَو لَم يَجب لَهُ البَقَاءُ لأَمكَنَ أَن يَلحقَهُ العَدَم، وَلُحوقُ العَدَمِ عَلَيهِ مُحالٌ لِمَا فِي العَدَمِ مِنَ الدِّلَالَةِ عَلَى العَجزِ وَالنَّقصِ. قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ﴾(٢) أَيْ هُوَ اللهُ الَّذِي لَا بِدَايَةَ وَلَا نِهَايَةَ لِوُجُودِهِ.

وَيَجِبُ لَهُ تَعَالَى **القِيَامُ بِالنَّفسِ** وَمَعنَاهُ أَنَّ اللهَ غَنِيٌّ عَنِ العَالَمِينَ، وَيَستَحِيلُ عَلَيهِ الاحتِيَاجُ. وَالدَّلِيلُ عَلَى ذَلِكَ أَنَّ اللهَ لَو كَانَ مُحتَاجًا لَكَانَ عَاجِزًا، وَالعَجزُ نَقصٌ وَالنَّقصُ عَلَى اللهِ مُحَالٌ. قَالَ تَعَالَى: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾(٣).

وَيَجِبُ لَهُ تَعَالَى **الوَحدَانِيَّةُ** فِي ذَاتِهِ وَصِفَاتِهِ وَأَفعَالِهِ، وَيَستَحِيلُ عَلَيهِ أَن يَكُونَ مُرَكَّبًا أَو أَن يَكُونَ لَهُ مُمَاثِلٌ فِي ذَاتِهِ أَو صِفَاتِهِ، أَو يَكُونَ مَعَهُ مُؤَثِّرٌ خَالِقٌ لِشَيءٍ مِنَ الأَشيَاءِ. وَبُرهَانُ ذَلِكَ أَن يُقَالَ: الصَّانِعُ لَا بُدَّ أَن يَكُونَ حَيًّا وَقَادِرًا وَعَالِمًا وَمُرِيدًا وَمُختَارًا، فَإِذَا ثَبَتَ وَصفُ الصانِعِ بِمَا ذَكَرنَاهُ قُلنَا: لَو كَانَ لِلعَالَمِ صَانِعَانِ وَجَبَ أَن يَكُونَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنهُمَا حَيًّا وَقَادِرًا وَعَالِمًا وَمُرِيدًا وَمُختَارًا، وَالمُختَارَانِ يَجُوزُ اتِّفَاقُهُما فِي الاختِيَارِ وَيَجُوزُ اختِلَافُهُمَا فِيهِ، لأَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنهُمَا لَيسَ مُجبَرًا عَلَى مُوَافَقَةِ

---

(١) سورة الحديد، آية (٣).

(٢) سورة الحديد، آية (٣).

(٣) سورة آل عمران، آية (٩٧).

الآخَرِ فِي اختِيَارِهِ، فَإِذَا صَحَّ هَذَا فَلو أَرَادَ أَحَدُهُما خِلَافَ مُرَادِ الآخَرِ لَم يَخلُ، إمَّا أن يَتِمَّ مُرَادُهُمَا، أَو لَا يَتِمّ مُرَادُهُمَا، أَو يَتِمَّ مُرَادُ أَحدِهِمَا وَلَا يَتِمّ مُرَادُ الآخَرِ، وَمُحَالٌ تَمَام مُرَادِيهِمَا لِتَضَادِّهِمَا، وَإن لَم يَتِمَّ مُرَادُهُمَا فَعَجزُهُمَا ظَاهِرٌ، وَإِن تَمَّ مُرَادُ أَحدِهِمَا دُونَ الآخَرِ فَالَّذِي لَم يَتِمَّ مُرَادُهُ يَكُونُ عَاجِزًا، وَالعَاجِزُ لَا يَكُونُ إِلَهًا وَلَا قَدِيمًا، فَثَبَتَ وُجُودُ إِلَهٍ واحد وَهُوَ اللهُ تَعَالَى.

هَذِهِ الدَّلَالَةُ مَعرُوفَةٌ عِندَ المُوَحِّدِينَ بِدِلَالَةِ التَّمَانُعِ، وَهِيَ مَأخُوذَةٌ مِن قَولِهِ تَعَالَى: ﴿لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ﴾[1].

وَيَجِبُ لَهُ القُدرَةُ وَيَستَحِيلُ عَلَيهِ العَجزُ. وَالدَّلِيلُ عَلَى ذَلِكَ أَنَّهُ لَو لَم يَكُن قَادِرًا لَكَانَ عَاجِزًا، وَلَو كَانَ عَاجِزًا لَما وُجِدَ هَذَا العَالَمُ وَهُوَ بَاطِلٌ. قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌۢ﴾[2][3].

وَيَجِبُ لَهُ الإِرَادَةُ وَيَستَحِيلُ عَلَيهِ الاضطِرَارُ. والدَّلِيلُ عَلَى ذَلِكَ أَنَّهُ لَو لَم يَكُن مُرِيدًا لإِيجَادِ هَذِهِ الأَشيَاءِ أَو إِعدَامِهَا لَكَانَ مُضطَرًّا، وَالاضطِرَارُ نَقصٌ وَعَجزٌ، وَهُوَ عَلَى اللهِ مُحَالٌ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿فَعَّالٞ لِّمَا يُرِيدُ﴾[4].

وَيَجِبُ لَهُ العِلمُ وَهُوَ صِفَةٌ وَاحِدَةٌ تَتَعَلَّقُ بِالمَوجُودَاتِ وَالمَعدُومَاتِ

---

(١) سورة الأنبياء، آية (٢٢).

(٢) سورة المائدة، آية (١٢٠).

(٣) قدرة الله تتعلق بالممكنات ولا تتعلق بالواجب الوجود وهو الله وصفاته، ولا تتعلق بالمستحيل وهو الذي لا يقبل الوجود أصلًا لذاته كوجود الشريك مع الله.

(٤) سورة هود، آية (١٠٧).

عَلَى وَجهِ الإِطلَاقِ دُونَ سَبقِ خَفَاءٍ، وَيَعلَمُ الجُزئِيَّات وَالكُلِّيَّات وَيَستَحِيلُ عَلَيهِ الجَهلُ أَو حُصُول شَيءٍ خِلَافَ مَا يَعلَمُ، لِمَا فِي ذَلِكَ مِن أَمَارَاتِ النَّقصِ وَالحُدُوثِ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾[1].

وَيَجِبُ لَهُ الحَيَاةُ، فَهُوَ سُبحَانَهُ وَتَعَالَى حَيٌّ لَا كَالأَحيَاءِ إِذ حَيَاتُهُ صِفَةٌ أَزَلِيَّةٌ أَبَدِيَّةٌ تَقتَضِي صِحَّةَ الاتِّصَافِ بِالعِلمِ وَالقُدرَةِ وَالإِرَادَةِ، وَحَيَاتُهُ لَيسَت كَحَيَاةِ غَيرِهِ بِلَحمٍ وَدَمٍ، وَلَو لَم يَكُنِ اللهُ حَيًّا لَم يُوجد شَيء مِن هَذا العَالَم لأَنَّ مَن لَيسَ بِحَيٍّ لَا يَتَّصِفُ بِالقُدرَةِ وَالإِرَادَةِ وَالعِلمِ وَلَو كَانَ اللهُ تَعَالَى غَيرَ مُتَّصِفٍ بِهَذِهِ الصِّفَاتِ لَكَانَ مُتَّصِفًا بِالضِّدِّ وَذَلِكَ نَقصٌ يُنَزَّهُ اللهُ عَنهُ. قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾[2].

وَيَجِبُ لَهُ تَعَالَى **السَّمعُ** المُنَزَّهُ عَنِ الأُذُنِ وَالصِّمَاخِ[3]، **وَالبَصَرُ** المُقَدَّسُ عَنِ الحَدَقَةِ وَالأَجفَانِ وَنَحوِ ذَلِكَ، وَيَستَحِيلُ عَلَيهِ الصَّمَمُ وَالعَمَى وَمَا فِي مَعنَاهُمَا. وَالدَّلِيلُ عَلَى ذَلِكَ قَولُهُ تَعَالَى: ﴿قَالَ لَا تَخَافَآ إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾[4]، وَقَولُهُ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[5]، وَلَو لَم يَتَّصِف بِهِمَا لاتَّصَفَ بِضِدِّهِمَا وَهُوَ نَقصٌ، وَالنَّقصُ عَلَيهِ مُحَالٌ.

وَيَجِبُ لَهُ تَعَالَى **الكَلَامُ** وَيَستَحِيلُ عَلَيهِ البُكمُ وَمَا فِي مَعنَاهُ. وَالدَّلِيلُ

---

(١) سورة الحديد، آية (٣).

(٢) سورة البقرة، آية (٢٥٥).

(٣) الصماخ: خرق الأذن.

(٤) سورة طه، آية (٤٦).

(٥) سورة الشورى، آية (١١).

عَلَى ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾[1]، وَلأَنَّهُ لَو لَم يَتَّصِف بِالكَلَام لاتَّصَفَ بِضِدِّهِ وَهُوَ نَقصٌ وَهُوَ عَلَيهِ مُحَالٌ، وَكَلَامُ اللهِ صِفَةٌ أَزَلِيَّةٌ أَبَدِيَّةٌ قَائِمَةٌ بِذَاتِهِ[2] لَيسَ حَرفًا وَلَا صَوتًا وَلَا لُغَةً، لَا يَسبِقُ بَعضُهُ بَعضًا، كَلَامُهُ كَلَامٌ وَاحِدٌ، أَي لَيسَ شَيئًا يَتَجَزَّأُ أَو يَتَعَدَّد، فَاللهُ مُتَكَلِّمٌ بِكَلَامٍ أَزَلِيٍّ أَبَدِيٍّ.

فَإِن قِيلَ: القُرءَانُ كَلَامُ اللهِ وَهُوَ فِي المَصَاحِفِ مَكتُوبٌ، وَبِالأَلسُنِ مَقرُوءٌ، وَبِالآذَانِ مَسمُوعٌ، وَفِي الصُّدُورِ مَحفُوظٌ، وَذَلِكَ مِن سِمَاتِ الحُدُوثِ بِالضَّرُورَة.

فَقُل: إِنَّ القُرءَانَ يُطلَقُ وَيُرَادُ بِهِ الكَلَامُ الذَّاتِيُّ الَّذِي هُوَ مَعنًى أَي صِفَةٌ قَائِمَةٌ بِذَاتِ اللهِ، وَيُطلَقُ عَلَى اللَّفظِ المُنَزَّلِ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ ﷺ بِدَلِيلِ قَولِهِ تَعَالَى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾[3]، فَالكُفَّارُ يُرِيدُونَ تَبدِيلَ اللَّفظِ، فَإِن قُصِدَ بِلَفظِ «القُرءَانِ» الكَلَامُ الذَّاتِيُّ، فَهُوَ لَيسَ بِحَرفٍ وَلَا صَوتٍ وَلَا لُغَةٍ، وَإِن قُصِد بِهِ وَبِسَائِرِ الكُتُبِ السَّمَاوِيَّةِ اللَّفظ المُنَزَّل، فَمِنهُ مَا هُوَ بِالعَرَبِيَّةِ وَمِنهُ مَا هُوَ بِالعِبرِيَّةِ، وَمِنهُ مَا هُوَ بِالسُّريَانِيَّةِ وَهَذِهِ اللُّغَاتُ وَغَيرُهَا لَم تَكُن مَوجُودَةً فِي الأَزَلِ، اللهُ خَلَقَهَا فَصَارَت مَوجُودَةً، وَاللهُ كَانَ قَبلَ كُلِّ شَيءٍ، وَكَانَ مُتَكَلِّمًا قَبلَ هَذِهِ اللُّغَات، وَلَم يَزَل مُتَكَلِّمًا، فَاستَحَالَ أَن يَكُونَ اللَّفظ المُنَزَّل هُوَ عَين كَلَامِ اللهِ الذَّاتِيِّ الأَزَلِيِّ.

---

(١) سورة النساء، آية (١٦٤).

(٢) أي ثابتة له.

(٣) سورة الفتح، آية (١٥).

وَإِنَّمَا هَذِهِ الكُتُبُ هِيَ عِبَارَاتٌ عَن ذَلِكَ الكَلَامِ الذَّاتِيِّ، وَلَا يَلزَمُ مِن كَونِ العِبَارَةِ حَادِثَةً كَونُ المُعَبَّرِ عَنهُ حَادِثًا. أَلَا تَرَى أَنَّنَا إِذَا كَتَبنَا عَلَى لَوحٍ لَفظَ الجَلَالَةِ «الله»، فَقِيلَ مَا هَذَا؟ يُقَالُ الله، فَهَل مَعنَى هَذَا أَنَّ أَشكَالَ الحُرُوفِ المَرسُومَةِ هِيَ ذَاتُ الله؟ لَا يَتَوَهَّمُ هَذَا عَاقِلٌ، إِنَّمَا يُفهَمُ مِن ذَلِكَ أَنَّ هَذِهِ الحُرُوف عِبَارَة تَدُلُّ عَلَى الإِلَهِ الَّذِي هُوَ مَوجُودٌ مَعبُودٌ بِحَقٍّ خَالِقٌ لِكُلِّ شَيءٍ.

قَالَ تَاجُ الدِّينِ السُّبكِيُّ فِي الطَّبَقَاتِ: «فَإِنَّ لَفظَ القُرءَانِ يُطلَقُ فِي الشَّرعِ وَاللِّسَانِ عَلَى الوَصفِ القَدِيمِ، ويُطلَقُ عَلَى القِرَاءَةِ الحَادِثَةِ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ﴾[1]، أَرَادَ بِقُرْءَانِهِ قِرَاءته، إذ لَيسَ للقُرءَانِ قُرءَانٌ آخر، ﴿فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ﴾[2] أَي قِرَاءَته».

فَالقِرَاءَةُ غَير المَقرُوءِ، وَالقِرَاءَةُ حَادِثَةٌ وَالمَقرُوءُ قَدِيمٌ، كَمَا أَنَّا إِذَا ذَكَرنَا اللهَ عَزَّ وَجَلَّ كَانَ الذِّكرُ حَادِثًا، وَالمَذكُور قَدِيمًا، فَهَذِهِ نُبذَةٌ مِن مَذهَبِ الأَشعَرِيِّ رَحِمَهُ اللهُ:

[من الوافر]

إِذَا قَالَتْ حَذَامِ فَصَدِّقُوهَا فَإِنَّ القَوْلَ مَا قَالَتْ حَذَام

انتَهَى مَا نَقَلنَاهُ عَن تَاجِ الدِّينِ السُّبكِيِّ رَحِمَهُ اللهُ[3].

وَيَجِبُ لَهُ تَعَالَى المُخَالَفَةُ للحَوَادِثِ وَيَستَحِيلُ مُمَاثَلَتُهُ لَهَا ذَاتًا وَصِفَةً وَفِعْلًا. وَالدَّلِيلُ عَلَى ذَلِكَ أَنَّهُ لَو مَاثَلَ شَيئًا مِنهَا لَكَانَ حَادِثًا مِثلَهَا،

---

(١) سورة القيامة، آية (١٧).

(٢) سورة القيامة، آية (١٨).

(٣) طبقات الشافعية الكبرى، تاج الدين السبكي، (٨/٢٢٦).

ذَلِكَ أَنَّ المُتَمَاثِلَاتِ يجوز عليها ما يجوز على بعضها، وَالحُدُوثُ مُحَالٌ عَلَيهِ تَعَالَى. وَقَد قَالَ اللهُ تَعَالَى فِي القُرءَانِ الكَرِيمِ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[1]، فَهَذِهِ الآيَةُ أَصرَحُ ءَايَةٍ فِي تَنزِيهِ اللهِ التَّنزِيهَ الكُلِّيَّ عَنِ الشَّبِيهِ وَالمَثِيلِ وَالمَكَانِ، وَالكَافُ فِي «كَمِثْلِهِ» لِتَأكِيدِ النَّفْيِ، فَفِي الآيَةِ نَفيِ مَا لَا يَلِيقُ بِاللهِ عَنِ اللهِ. فَاللهُ تَعَالَى مَوصُوفٌ بِأَنَّهُ لَيسَ كَمِثلِهِ شَىءٌ مِنَ اللَّطَائِفِ كَالنُّورِ وَالرُّوحِ وَالهَوَاءِ، وَمِنَ الكَثَائِفِ كَالشَّجَرِ وَالإِنسَانِ، وَالجِسمُ اللَّطِيفُ هُوَ مَا لَا يُضبَطُ بِاليَدِ، وَالجِسمُ الكَثِيفُ مَا يُضبَطُ بِاليَدِ أي يُجَسُّ بِاليَدِ. فَهُوَ تَعَالَى لَا يُشبِهُ العُلوِيَّات وَهُوَ مَا كانَ في السَّمٰوَات، وَلَا يُشبِهُ السُّفلِيَّات وَهُو مَا كَانَ في الأَرَضِين وَمَا فَوقَهَا وَمَا تَحتَهَا.

وَقَد ضَلَّ عَن هَذَا المُعتَقَدِ فِرَقٌ أَزَاغَ اللهُ قُلُوبَهُم عَن مَعرِفَةِ الحَقِّ، فَوَصَفُوا اللهَ تَعَالَى بِمَا لَا يَلِيقُ بِهِ، إذ جَعَلُوا لَهُ حَدًّا وَمَكَانًا، فَشَبَّهُوهُ بِخلقِهِ، سُبحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَقُولُ الظَّالِمُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا. وَسَنُورِدُ لَكَ دَلَائِلَ وَأَقوَالًا تَمحَقُ مُعتَقَدَهُم وَتُظهِرُ فَسَادَهُ:

فَمِن ذَلِكَ مَا رَوَاهُ مُسلِمٌ وَأَبُو دَاوُدَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «أَنتَ الظَّاهِرُ فَلَيسَ فَوقَكَ شَىءٌ وَأَنتَ البَاطِنُ فَلَيسَ دُونَكَ شَىءٌ»[2].

قَالَ الحَافِظُ البَيهَقِيُّ[3]: «قَالَ أَصحَابُنَا فَلَمَّا لَم يَكُن فَوقَهُ شَىءٌ

---

(١) سورة الشورى، آية (١١).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه رقم (٦١/ ٢٧١٣): كتاب الذكر والدعاء والتوبة باب ما يقول عند النوم وأخذ المضجع، وأخرجه أبو داود في سننه رقم (٥٠٥١): كتاب الأدب: باب ما يقول عند النوم.

(٣) الأسماء والصفات: باب ما جاء في العرش والكرسي (ص/ ٣٧٣)

وَلَا دُونَهُ شَيءٌ لَم يَكُن فِي مَكَانٍ» اهـ.

وَرَوَى أَبُو نُعَيم في الحِليَةِ[1] وَالأَسفَرَايِينِيُّ فِي التَّبصِيرِ[2] أَنَّ سَيِّدَنَا عَلِيًّا رضي الله عنه قَالَ فِي جَوَابِهِ لِوَفدٍ مِنَ اليَهُودِ: «إِنَّ الَّذِي أَيَّنَ الأَينَ لَا يُقَالُ لَهُ أَين» اهـ. أَي أَنَّ الَّذِي خَلَق المَكَانَ لَا مَكَانَ لَهُ، وَهُوَ مَعنَى قَولِ الإِمَامِ أَبِي بَكرٍ الصِّدِّيقِ: [من البسيط]

العَجزُ عَن دَرَكِ الإِدرَاكِ إِدرَاكُ
وَالبَحْثُ عَنْ ذَاتِهِ كُفْرٌ وَإِشْرَاكُ» اهـ.

وَهُوَ أَيضًا مَعنَى قَولِ ابنِ عَبَّاسٍ: «تَفكَّرُوا فِي خَلقِ اللهِ وَلَا تَفكَّرُوا فِي ذَاتِ اللهِ»[3]. وَمَعنَاهُ حَقِيقَةُ اللهِ لَا يَصِلُ إِلَيهِ أَحَدٌ مَهمَا شَغَلَ فِكرَهُ، وَلِذَلِكَ نُهِينَا عَنِ التَّفكُّرِ فِي ذَاتِ اللهِ أَي إِعمَال الفِكر لِتَوَهُّمِهِ وَتَخَيُّلِهِ.

وَقَد قَالَ الإِمَامُ أَبُو جَعفَر الوَرَّاقُ الطَّحَاوِيُّ الحَنَفِيُّ السَّلَفِيُّ فِي عَقِيدَتِهِ الَّتِي هِي ذِكرُ بَيَانِ عَقِيدَةِ أَهلِ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ الَّتِي انتَشَرَت فِي المَشَارِقِ وَالمَغَارِبِ مَا نَصُّه: «تَعَالَى (يَعنِي الله) عَنِ الحُدُودِ وَالغَايَاتِ وَالأَركَانِ وَالأَعضَاءِ وَالأَدواتِ وَلَا تَحوِيهِ الجِهَاتُ السِّتُّ كَسَائِرِ المُبتَدَعَاتِ». وَقَالَ فِيهَا فِي مَوضِعٍ ءَاخَر: «وَمَن وَصَفَ اللهَ بِمَعنًى مِن مَعَانِي البَشَرِ فَقَد كَفَر».

فَمُعتَقَدُ أَهلِ السُّنَّةِ والجَمَاعَةِ قَاطِبَة أَنَّ اللهَ مَوجُودٌ بِلَا مَكَانٍ، وَلَو تَتَبَّعت لَكَ أَقوَالَ العُلَمَاءِ فِي ذَلِكَ، لَملأت لَكَ الأَورَاقَ والكُتُب وفي

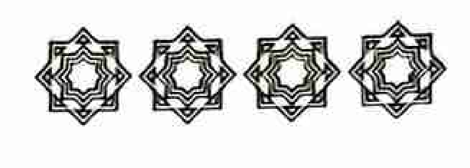
---

(١) حلية الأولياء (١/ ٧١-٧٣) و(٩/ ٣٨٨).

(٢) التبصير في الدين (ص/ ١٦٢).

(٣) جامع الأحاديث، السيوطي، (١١/ ٣٢٥).

القَدرِ المَذكُورِ كِفَايَة إِن شَاءَ اللهُ تَعَالَى. فَلَا يَهُولَنَّكَ مَا يَقُولُهُ هَؤُلَاءِ الزَّائِغُونَ عَنِ الحَقِّ، بَل اسلُك سَبِيلَ الهُدَى وَلَا يَغُرَّنَّكَ كَثرَةُ الهَالِكِين.



المَبحَثُ الرَّابعُ:
فِي بَيَانِ مَا يَجِبُ للأَنبِيَاءِ وَمَا يَستَحِيلُ عَلَيهِم

اعلَم أَنَّ الرَّسُولَ هُو مَن أُوحِيَ إِلَيهِ بِنَسخِ شَرعٍ أَو أُنزِلَ عَلَيهِ كِتَابٌ وَأُمِرَ بِالتَّبلِيغِ، وَالنَّبِيُّ مَن أُوحِيَ إِلَيهِ بِاتِّبَاعِ شَرعِ الرَّسُولِ الَّذِي قَبلَهُ وَأُمِرَ بِتَبلِيغِهِ، وَلَيسَ كَمَا قَالَ بَعضُهُم: إِنَّ النَّبِيَّ هُوَ مَن أُوحِيَ إِلَيهِ بِشَرعٍ وَلَم يُؤمَر بِتَبلِيغِه!

ثُمَّ اعلَم أَنَّهُ يَجِبُ لِكُلِّ نَبِيٍّ مِنَ الأَنبِيَاءِ أَن يَكُونَ مُتَّصِفًا بِهَذِهِ الأَخلَاقِ، وَهِيَ:

الصِّدقُ: فَيَستَحِيلُ عَلَيهِمُ الكَذِبُ لأَنَّ ذَلِكَ نَقصٌ يُنَافِي مَنصِبَ النُّبُوَّةِ، وَأَمَّا قَولُ إِبرَاهِيمَ عليه السلام عَن زَوجَتِه سَارَة: «إِنَّها أُختِي» وَهِيَ لَيسَت أُختَهُ فِي النَّسَبِ إِنَّما هِيَ أُختُهُ في الدِّينِ فَقَالَ ذَلِكَ بِغَرَضِ صِيَانَتِهَا مِن أَذَى الجَبَّارِ فَهُوَ لَيسَ كَذِبًا مِن حَيثُ البَاطِنُ وَالحَقِيقَةُ إِنَّما هُو صِدقٌ. وَكَذَلِكَ وَرَدَ فِي أَمرِ إِبرَاهِيمَ في القُرءَانِ الكَرِيمِ أَنَّهُ قَالَ عَنِ الأَصنَامِ التي حَطَّمَهَا: ﴿بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُوا۟ يَنطِقُونَ﴾[1]، فَلَيسَ هَذَا كَذِبًا حَقِيقِيًّا بَل هَذَا صِدقٌ مِن حَيثُ البَاطِنُ والحَقِيقَةُ لأَنَّ كَبِيرَ الأَصنَامِ هُوَ الَّذِي حَمَلَهُ عَلَى الفَتكِ بِهِم أَي الأَصنَامِ الأُخرَى مِن شِدَّةِ اغتِيَاظِهِ مِنهُ لِمُبَالَغَتِهِم فِي تَعظِيمِهِ بِتَجمِيلِ هَيأَتِهِ وَصُورَتِهِ، فَحَمَلَهُ ذَلِكَ عَلَى أَن يُكَسِّرَ الصِّغَارَ وَيُهِينَ الكَبِيرِ، فَيَكُونُ إِسنَادُ الفِعلِ إِلَى الكَبِيرِ إِسنَادًا مَجَازِيًّا، فَلَا كَذِبَ في ذَلِكَ أَي هُوَ فِي الحَقِيقَةِ لَيس كَذِبًا

(١) سورة الأنبياء، آية (٦٣).

إِنَّمَا صُورَتُهُ صُورَةُ كَذِب، وَأَمَّا حَدِيثُ: «كَذب إِبرَاهِيمُ ثَلَاثَ كَذَبَاتٍ» فَقَد اعتَرَضَ عَلَيهِ بَعضُ العُلَمَاءِ وَأَوَّلَهُ بَعضُهُم عَلى نَحوِ مَا ذَكَرنَا.

وَالأَمَانَةُ: فَيَستَحِيلُ عَلَيهِمُ الخِيَانَةُ فَلَا يَكذِبُونَ عَلى النَّاسِ إِن طَلَبُوا مِنهُم النَّصِيحَةَ وَلَا يَأكُلُونَ أَموَالَ النَّاسِ بِالبَاطِلِ وَمِنَ الأَمَانَةِ التَّبلِيغُ فَلَا يَكتُمُونَ شَيئًا مِمَّا أُمِرُوا بِتَبلِيغِهِ.

وَالفَطَانَةُ: فَكُلُّ الأَنبِيَاءِ أَذكِيَاء يَستَحِيلُ عَلَيهِمُ الغَبَاوَةُ أَي أَن يَكُونُوا ضُعَفَاء الفَهم، لأَنَّ الغَبَاوَةَ تُنَافِي مَنصِبَهُم لأَنَّهُم لَو كَانُوا أَغبِيَاءَ لَنَفَرَ مِنهُم النَّاس لِغَبَاوَتِهِم وَاللهُ حَكِيمٌ لَا يَجعَلُ النُّبُوَّةَ وَالرِّسَالَةَ فِي الأَغبِيَاءِ، فَإِنَّهُم أُرسِلُوا لِيُبَلِّغُوا النَّاسَ مَصَالِح ءَاخِرَتِهِم وَدُنيَاهُم، والغباوة تُنَافِي هَذَا المَطلُوبَ مِنهُم.

وَيَستَحِيلُ عَلَى الأَنبِيَاءِ الرَّذَالَةُ وَالسَّفَاهَةُ وَالبَلَادَةُ: فَلَيسَ في الأَنبِيَاءِ مَن هُوَ رَذِيلٌ يَختَلِسُ النَّظَر إِلى النِّسَاءِ الأَجنَبِيَّاتِ بِشَهوَةٍ مَثَلًا، وَلَيس فِيهِم مَن يَسرِقُ وَلَو حَبَّةَ عِنَبٍ، وَلَيسَ في الأَنبِيَاءِ مَن هُو سَفِيهٌ يَقُولُ أَلفَاظًا شَنِيعَةً تَستَقبِحُهَا النَّفسُ، وَلَيسَ فِي الأَنبِيَاءِ مَن هُوَ بَلِيدُ الذِّهنِ عَاجِزٌ عَن إِقَامَةِ الحُجَّةِ عَلَى مَن يُعَارِضُهُ بِالبَيَانِ، وَلَا ضَعِيفُ الفَهمِ لَا يَفهَمُ الكَلَامَ مِنَ المَرَّةِ الأُولَى إِلَّا بَعدَ أَن يُكَرَّرَ عَلَيهِ عِدَّةَ مَرَّات.

وَيَستَحِيلُ عَلَى الأَنبِيَاءِ سَبقُ اللِّسَانِ فِي الشَّرعِيَّاتِ وَالعَادِيَّاتِ لأَنَّهُ لَو جَازَ عَلَيهِم لَارتَفَعَتِ الثِّقَةُ فِي صِحَّةِ مَا يَقُولُونَهُ، وَلَقَالَ قَائِلٌ لَمَّا يَبلُغُهُ كَلَامٌ عَنِ النَّبِيِّ مَا يُدرِينَا أَن يَكُونَ قَالَهُ عَلَى وَجهِ سَبقِ اللِّسَانِ، لِذَلِكَ لَا يَصدُرُ مِن نَبِيٍّ كَلَامٌ غَير الَّذِي يُرِيدُ قَولَهُ، وَلَا يَصدُرُ مِنهُ كَلَامٌ لَم يُرِد قَولَهُ بِالمَرَّةِ كَمَا يَحصُلُ لِمَن يَتَكَلَّمُ وَهُوَ نَائِمٌ. وَكَذَلِكَ يَستَحِيلُ عَلَيهِم الأَمرَاضُ المُنَفِّرَة كَخُرُوجِ الدُّودِ مِنَ الجِسمِ.

وَكَذَلِكَ يَستَحِيلُ عَلَى الأَنبِيَاءِ **الجُبْن** أَمَّا الخَوفُ الطَّبِيعِيّ فَلا يَستَحِيلُ عَلَيهِم، بَلِ الخَوفُ الطَّبِيعِيّ مَوجُودٌ فِيهِم، وَذَلِكَ مِثل النُّفُورِ مِنَ الحَيَّةِ، فَإِنَّ طَبِيعَةَ الإِنسَانِ تَقتَضِي النُّفُورَ مِنَ الحَيَّةِ وَمَا أَشبَهَ ذَلِكَ، مِثل التَّخَوُّفِ مِن تَكَالُبِ الكُفَّارِ عَلَيهِم حَتَّى يَقتُلُوهم. وَلَا يُقَالُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ هَرَبَ لأَنَّ هَرَبَ يُشعِرُ بِالجُبنِ، أَمَّا فَرَّ مِنَ الأَذَى مَثَلًا فَلَا يُشعِرُ بِالجُبنِ، يُقَالُ هَاجَرَ فِرَارًا مِنَ الكُفَّارِ أَي مِن أَذَى الكُفَّارِ هَذَا جَائِزٌ مَا فِيهِ نَقصٌ، وَعَلَى هَذَا المَعنَى قَولُ مُوسَى: ﴿فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ﴾[1].

وَيَجِبُ الإِيمَانُ بِمَا أَخبَرَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ وَتَصدِيقُهُ جَزمًا. فَمِن ذَلِكَ:

الإِيمَانُ بِعَذَابِ القَبرِ: فَعَذَابُ القَبرِ ثَابِتٌ بِنَصِّ القُرءَانِ العَظِيمِ، وَمِن عَذَابِ القَبرِ عَرضُ الكَافِرِ عَلَى النَّارِ كُلَّ يَوم مَرَّتَين، مَرَّةً أَوَّلَ النَّهَارِ وَمَرَّةً ءَاخِرَ النَّهَارِ يَتَعَذَّبُ بِنَظرِهِ وَرُؤيَتِهِ مَقعَدَه الَّذِي يَقعُدُهُ فِي الآخِرَة، قَالَ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓاْ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٦﴾﴾[2]، هَذِهِ الآيَةُ دَلِيلٌ عَلَى عَذَابِ القَبرِ، وَقَد فَسَّرَهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ بِعَذَابِ القَبرِ، كَمَا رَوَى ابنُ حِبَّانَ وَغَيرُهُ، وَمِن جُملَةِ عَذَابِ القَبرِ تَضيِيقُ القَبرِ عَلَيهِ حَتَّى تَختَلِفَ أَضلَاعُهُ، فَالأَضلَاعُ الَّتِي فِي إِحدَى الجِهَتَينِ تَدخُلُ فِي الأَضلَاعِ الَّتِي فِي الجِهَةِ الأُخرَى، وَبَعضُ النَّاسِ يُسَلَّط عَلَيهِم الثَّعَابِين، وَبَعضُهُم تَأتِيهِم رِيحٌ مِن رِيحِ جَهَنَّم إِلَى قَبرِهِم، وَكَذَلِكَ مِن عَذَابِ القَبرِ الانزِعَاجُ مِن ظُلمَةِ القَبرِ وَوَحشَتِهِ، وَضَربُ مُنكَرٍ وَنَكِيرٍ لِلكَافِرِ بِمِطرَقَةٍ بَينَ أُذُنَيهِ،

---

(١) سورة الشعراء، آية (٢١).

(٢) سورة غافر، آية (٤٦).

وَيَشمَلُ ذَلِكَ مَا يَحصُلُ لِبَعضِ عُصَاةِ المُسلِمِينَ الَّذِينَ مَاتُوا بِلَا تَوبَةٍ لَا لِجَمِيعِهِم مِمَّا هُوَ دُونَ مَا يَحصُلُ للكَافِرِ كَضَغطَةِ القَبرِ حَتَّى تَختَلِفَ أَضلَاعُه، فَهَذِهِ الضَّغطَةُ تَحصُلُ لِبَعضِ عُصَاةِ المُسلِمِين، أَمَّا الأَتقِيَاءُ وَالشُّهَدَاءُ وَالأَطفَالُ فَلَا تَحصُلُ لَهُم.

وَالإِيمَانُ بِنَعِيمِ القَبرِ: فَإِنَّهُ ﷺ أَخبَرَ بِذَلِكَ أيضًا، وَمِنهُ تَوسِيعُ القَبرِ سَبعِينَ ذِرَاعًا فِي سَبعِينَ ذِرَاعًا عَلَى المُؤمِنِ التَّقِيِّ وَمَن شَاءَ اللهُ لَهُ مِن غَيرِ الأَتقِيَاءِ كَبَعضِ شُهَدَاءِ المَعرَكَةِ مِمَّن استُشهِدُوا وَلَم يَكُونُوا أَتقِيَاء، وَبَعضُ النَّاسِ يَتَّسِعُ قَبرُهُم مَدَّ البَصَر، وَمِنهُ تَنوِيرُهُ بِنُورٍ يُشبِهُ نُورَ القَمَرِ لَيلَةَ البَدرِ، وَغَيرُ ذَلِكَ كَشَمِّ رَائِحَةِ الجَنَّة.

والإِيمَانُ بِسُؤَالِ المَلَكَينِ مُنكَرٍ وَنَكِيرٍ: وَهُوَ يَحصُلُ لِلمُؤمِنِ وَالكَافِرِ مِن هَذِهِ الأُمَّة، أي الَّذِينَ أُرسِلَ إِلَيهِم مُحَمَّدٌ ﷺ، فَقَد رَوَى البُخَارِيُّ وَمُسلِم عَن أَنَسٍ عَنِ النَّبِيِّ: «إِنَّ العَبدَ إِذَا وُضِعَ فِي قَبرِهِ وَتَوَلَّى عَنهُ أَصحَابُهُ وَإِنَّهُ لَيَسمَعُ قَرعَ نِعَالِهِم إِذَا انصَرَفُوا أَتَاهُ مَلَكَانِ فَيُقعِدَانِهِ فَيَقُولَانِ: «مَا كُنتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ مُحَمَّدٍ؟»، فَأَمَّا المُؤمِنُ فَيَقُولُ: «أَشهَدُ أَنَّهُ عَبدُ اللهِ وَرَسُولُهُ»، فَيُقَالُ لَهُ: «انظُر إِلَى مَقعَدِكَ مِنَ النَّارِ أَبدَلَكَ اللهُ بِهِ مَقعَدًا مِنَ الجَنَّةِ» فَيَرَاهُمَا جَمِيعًا»، وَأَمَّا الكَافِرُ أَوِ المُنَافِقُ فَيَقُولُ[1]: «لَا أَدرِي كُنتُ أَقُولُ مَا يَقُولُ النَّاسُ فِيهِ» فَيُقَالُ: لَا دَرَيتَ

(١) الملكان لما يسألان الكافر (ما دينك) في القبر يعلمان أنه يجيب عن الذي كان يعتقده قبل هذا والآن لا يعتقده، بهذا يزول الإشكال، لأنه يجيب مخبرًا عما كان يعتقده قبل الموت والآن لا يعتقده حقًا، فسؤالهما (ما دينك) أي على أيِّ دينٍ كنت قبل الموت وهو الآن يعتقده باطلًا، بعد الموت يعتقد الحق ويترك اعتقاد الباطل.

وَلَا تَلَيتَ، ثُمَّ يُضرَبُ بِمِطرَقَةٍ مِن حَدِيدٍ بَينَ أُذُنَيهِ فَيَصِيحُ صَيحَةً يَسمَعُهَا مَن يَلِيهِ إِلَّا الثَّقَلَينِ»[1]. ثُمَّ المُؤمِنُ الكَامِلُ لَا يَلحَقُهُ فَزَعٌ وَلَا انزِعَاجٌ مِن سُؤَالِهِمَا لأَنَّ اللهَ يُثَبِّتُ قَلبَهُ فَلا يَرتَاعُ مِن مَنظَرِهِمَا المُخِيفِ لأَنَّهُمَا كَمَا جَاءَ فِي الحَدِيثِ أَسوَدَانِ أَزرَقَانِ، بَل يَفرَحُ المُؤمِنُ بِرُؤيَتِهِمَا وَسُؤَالِهِمَا، يَسأَلانه «مَن رَبُّكَ، وَمَن نَبِيُّكَ، وَمَا دِينُكَ»، فَيَقُولُ المُؤمِنُ: «اللهُ رَبِّي، وَمُحَمَّدٌ نَبِيِّي، وَالإِسلَامُ دِينِي». وَيُستَثنَى مِن هَذَا السُّؤَالِ الأَنبِيَاءُ، وَالطِّفلُ الَّذِي مَاتَ دُونَ البُلُوغِ، وَشَهِيدُ المَعرَكَةِ.

وَالإِيمَانُ بِالبَعثِ: وَهُوَ خُرُوجُ المَوتَى مِنَ القُبُورِ بَعدَ إِعَادَةِ الجَسَدِ الَّذِي أَكَلَهُ التُّرَاب، إِن كَانَ مِنَ الأَجسَادِ الَّتِي يَأكُلُهَا التُّرَاب، وَهِيَ أَجسَادُ غَيرِ الأَنبِيَاءِ، وَشُهَدَاءِ المَعرَكَةِ، وَكَذَلِكَ بَعضُ الأَولِيَاءِ لَا يَأكُلُ التُّرَابُ أَجسَادَهُم لِمَا تَوَاتَرَ مِن مُشَاهَدَةِ ذَلِكَ، وَمِنهُم عَبدُ اللهِ بنُ عَمرو وَالِدُ جَابِرٍ، وَكَثِيرٌ غَيرُه مِنَ السَّلَفِ، وَمِمَّن بَعدَ السَّلَفِ كَالحَافِظِ أَبِي عَمرو بنِ الصَّلَاحِ، فَإِنَّ عَبدَ المُتَعَالِ الحَفَّارَ الدِّمَشقِيَّ شَاهَدَ جُثَّةَ الحَافِظِ ابنِ الصَّلاحِ صَحِيحَةً لَم يَتَغَيَّر مِنهَا شَيءٌ، وَقَد مَضَى عَلَى وَفَاتِهِ أَكثَرُ مِن ثَمَانمائةِ سَنَةٍ.

والإِيمَانُ بِالحَشرِ: وَهُوَ أَن يُجمَعَ النَّاسُ وَيُسَاقُوا بَعدَ البَعثِ إِلَى المَحشَرِ، وَقَد وَرَدَ أَنَّهُ الشَّام، ثُم يُنقَلُونَ عِندَ دَكِّ الأَرضِ إِلَى ظُلمَةٍ عِندَ الصِّرَاطِ، ثُمَّ يُعَادُونَ إِلَى الأَرضِ المُبَدَّلَةِ حَيثُ يُحَاسَبُون. وَيَكُونُ أَهلُ الحَشرِ عَلَى ثَلاثَةِ أَحوَالٍ: قِسمٌ طَاعِمُونَ كَاسُونَ رَاكِبُونَ عَلَى نُوقٍ رَحَائِلُهَا مِن ذَهَبٍ وَهُمُ الأَتقِيَاء، وَقِسمٌ حُفَاةٌ عُرَاةٌ وَهُمُ المُسلِمُونَ مِن

---

(١) صحيح البخاري، البخاري، كتاب الجنائز، باب ما جاء في عذاب القبر، (١٣٧٤).

أَهلِ الكَبَائِرِ، وَقِسمٌ يُحشَرُونَ وَيُجَرُّونَ عَلَى وُجُوهِهِم وَهُمُ الكُفَّارُ.

وَالإِيمَانُ بِالقِيَامَةِ: وَأَوَّلُهَا مِن خُرُوجِ النَّاسِ مِن قُبُورِهِم إِلَى استِقرَارِ أَهلِ الجَنَّةِ فِي الجَنَّةِ وَأَهلِ النَّارِ فِي النَّارِ، وَقَد تُطلَقُ الآخِرَةُ عَلَى ذَلِكَ وَعَلَى مَا بَعدَهُ إِلَى مَا لَا نِهَايَةَ لَهُ.

وَالإِيمَانُ بِالحِسَابِ: وَهُوَ عَرضُ أَعمَالِ العِبَادِ عَلَيهِم، وَيَكُونُ بِتَكلِيمِ اللهِ للعِبَادِ جَمِيعِهِم، فَيَفهَمُونَ مِن كَلَامِ اللهِ السُّؤَالَ عَمَّا فَعَلُوا بِالنِّعَمِ الَّتِي أَعطَاهُم اللهُ إِيَّاهَا، فَيُسَرُّ المُؤمِنُ التَّقِيُّ وَلَا يُسَرُّ الكَافِرُ بَل يَكَادُ يَغشَاهُ المَوت، لَكِنَّهُ لَا مَوتَ لَهُم بَعدَ مَوتِهِم فِي الدُّنيَا. فَقَد وَرَدَ فِي الحَدِيثِ الصَّحِيحِ: «**مَا مِنكُم مِن أَحَدٍ إِلَّا وَسَيُكَلِّمُهُ رَبُّهُ يَوْمَ القِيَامَةِ لَيسَ بَينَ اللهِ وَبَينَهُ تُرْجُمَانٌ**»[1].

وَالثَّوَابُ وَالعَذَابُ: فَأَمَّا الثَّوَابُ فَهُوَ الجَزَاءُ الَّذِي يَجْزِيهِ اللهُ المُؤمِنَ فِي الآخِرَةِ عَلَى العَمَلِ الصَّالِحِ مِمَّا يَسُرُّهُ، وَأَمَّا العَذَابُ فَهُوَ مَا يَسُوءُ العَبدَ ذَلِكَ اليَوم مِن دُخُولِ النَّارِ وَمَا دُونَ ذَلِكَ مِنَ العُقُوبَاتِ.

وَالإِيمَانُ بِالمِيزَانِ: وَهُوَ كَمِيزَانِ الدُّنيَا لَهُ قَصَبَةٌ وَعَمُودٌ وكَفَّتَان، كَفَّةٌ للحَسَنَاتِ وَكَفَّةٌ للسَّيِّئَاتِ تُوزَنُ به الأَعمَالُ يومَ القِيَامَةِ، وَالَّذِي يَتَوَلَّى وَزنَها جِبرِيل وَمِيكَائِيل، وَمَا يُوزَنُ إِنَّما هُوَ الصَّحَائِفُ الَّتِي كُتِبَ عَلَيهَا الحَسَنَات وَالسَّيِّئَات، فَمَن رَجَحَت حَسَنَاتُهُ عَلَى سَيِّئَاتِهِ فَهُوَ مِن أَهلِ النَّجَاةِ، وَمَن تَسَاوَت حَسَنَاتُهُ وَسَيِّئَاتُهُ فَهُوَ مِن أَهلِ النَّجَاةِ أَيضًا وَلَكِنَّهُ أَقَلُّ رُتبَةً مِنَ الطَّبَقَةِ الأُولَى وَأَرفَع مِنَ الثَّالِثَةِ، وَمَن رَجَحَت سَيِّئَاتُهُ عَلَى

(١) صحيح البخاري، البخاري، كتاب الرقاق، باب من نوقش الحساب عذب، (٦٥٣٩).

حَسَنَاتِهِ فَهُوَ تَحتَ مَشِيئَةِ اللهِ إِن شَاءَ عَذَّبَهُ وَإِن شَاءَ غَفَرَ لَهُ. وَأَمَّا الكَافِرُ فَتَرجَحُ كَفَّةُ سَيِّئَاتِهِ لَا غَير، لأَنَّهُ لَا حَسَنَات لَهُ فِي الآخِرَةِ، لأَنَّهُ أُطعِمَ بِحَسَنَاتِهِ فِي الدُّنيَا. إِنَّمَا تُوزَنُ أَعمَاله إِظهَارًا لِعَدلِ اللهِ.

والإِيمَانُ بِالصِّرَاطِ: وَهُوَ جِسرٌ عَرِيضٌ مَمدُودٌ عَلَى جَهَنَّم تَرِدُ عَلَيهِ الخَلَائِقُ، فَمِنهُم مَن يَرِدُهُ وُرُودَ دُخُولٍ وَهُمُ الكُفَّارُ وَبَعض عُصَاةِ المُسلِمِين أَي يَزِلُّونَ مِنهُ إِلَى جَهَنَّم وَمِنهُم مَن يَرِدُهُ وُرُودَ مُرُورٍ فِي هَوَائِهِ. فَمِن هَؤُلَاءِ مَن يَمُرُّ كَالبَرقِ الخَاطِفِ وَمِنهُم مَن يَمُرُّ كَطَرفَةِ عَينٍ. وَهُوَ مَحمُولٌ عَلَى ظَاهِرِهِ مِن غَيرِ تَأوِيلٍ، وَأَحَدُ طَرفَيهِ فِي الأَرضِ المُبَدَّلَةِ وَالآخَرُ فِيمَا يَلِي الجَنَّة، وَقَد وَرَدَ فِي صِفَتِهِ أَنَّهُ دَحضٌ مَزَلَّة[1]. وَمِمَّا وَرَدَ أَنَّهُ أَحَدُّ مِنَ السَّيفِ وَأَدَقُّ مِنَ الشَّعرَةِ، كَمَا رَوَى مُسلِمٌ عَن أَبِي سَعِيدٍ الخُدرِيّ: «بَلَغَنِي أَنَّ الجِسْرَ أَدَقُّ مِنَ الشَّعرَةِ وَأَحَدُّ مِنَ السَّيفِ»[2]، وَلَيسَ المُرَادُ ظَاهِرَهُ، وَإِنَّما المُرَادُ بِذَلِكَ وَصفُ خَطَرِهِ، وَهُوَ فِي الحَقِيقَةِ لَيسَ دَقِيقًا كَالشَّعرَةِ إِنَّمَا هُوَ عَرِيضٌ، لَكِنَّهُ شَيءٌ مُخَوّف، يُخَافُ الانزِلَاق مِنهُ لأَنَّهُ أَملَسُ، إِنَّ يُسْرَ الجَوَازِ عَلَيهِ وَعُسرَهُ عَلَى قَدرِ الطَّاعَاتِ والمَعَاصِي، فَقَد وَرَدَ فِي الصَّحِيحِ أَنَّهُ تَجرِي بِهِم أَعمَالُهُم.

وَالإِيمَانُ بِالحَوضِ: وَهُوَ مَكَانٌ أَعَدَّ اللهُ فِيهِ شَرَابًا لأَهلِ الجَنَّةِ يَشرَبُونَ مِنهُ بَعدَ عُبُورِ الصِّرَاطِ قَبلَ دُخُولِ الجَنَّةِ فَلَا يُصِيبُهُم بَعدَ ذَلِكَ ظَمَأٌ، وَإِنَّمَا يَشرَبُونَ مِن شَرَابِ الجَنَّةِ تَلَذُّذًا. وَالحَوضُ طُولُهُ مَسِيرَة شَهرٍ

---

(١) صحيح مسلم، مسلم، كتاب الإيمان، باب معرفة طريق الرؤية، (١٨٣). قال النووي في شرحه على صحيح مسلم: و «مزلة»: بفتح الميم، وفي الزاي لغتان مشهورتان الفتح والكسر.

(٢) صحيح مسلم، مسلم، كتاب الإيمان، باب معرفة طريق الرؤية.

وَعَرضُهُ كَذَلِكَ، وَءَانِيَتُهُ كَعَدَدِ نُجُوم السَّمَاءِ، أَي كَثِيرَةٌ جِدًّا، وَشَرَابُهُ أَبيَض مِنَ اللَّبَنِ وَأَحلَى مِنَ العَسَلِ وَأَطيَبُ مِن رِيح المِسكِ. وَقَد أَعَدَّ اللهُ لِكُلِّ نَبِيٍّ حَوضًا، وَأَكبَرُ الأَحوَاضِ حَوضُ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ.

وَالإِيمَانُ بِالشَّفَاعَةِ: وَهِيَ تَكُونُ للمُسلِمِينَ فَقَط، فَالأَنبِيَاءُ يَشفَعُونَ، وَكَذَلِكَ العُلَمَاءُ العَامِلُونَ، وَشُهَدَاءُ المَعرَكَةِ، وَالمَلائِكَةُ، وَالطِّفلُ يَشفَعُ لأَبَوَيهِ المُسلِمَين. وَالشَّفَاعَةُ هِيَ طَلَبُ الخَيرِ مِنَ الغَيرِ لِلغَيرِ، أَي أَنَّ الشُّفَعَاءَ يَطلُبُونَ مِنَ اللهِ إِسقَاطَ العِقَاب عَن بَعضِ العُصَاةِ مِنَ المُسلِمِين، وَقَد فَسَّرَ أَهلُ السُّنَّةِ الشَّفَاعَةَ الأُخرَوِيَّةَ بِإِسقَاطِ العِقَابِ، وَذَلِكَ قَد يَكُونُ قَبلَ دُخُولِ النَّارِ وَقَد يَكُونُ بَعدَهُ. وَسَيِّدُنَا مُحَمَّدٌ ﷺ يَختَصُّ بِالشَّفَاعَةِ العُظمَى، وَهِيَ للفَصلِ بَينَ الخَلقِ أَي لِتَخلِيصِ المُؤمنِينَ مِنَ الاستِمرَارِ فِي حَرِّ الشَّمسِ فِي المَوقِفِ. وَقَد سُمِّيَتِ الشَّفَاعَة العُظمَى لأَنَّها لَا تَختَصُّ بِأُمَّتِهِ فَقَط، بَل يَنتَفِعُ بِهَذِهِ الشَّفَاعَةِ غَير أُمَّتِهِ مِنَ المُؤمِنِين، لأَنَّ العَذَابَ أَنوَاعٌ لَيسَ العَذَابُ بِدُخُولِ النَّارِ فَقَط، بَل تَسلِيطُ الشَّمسِ عَلَيهِم وَهُم فِي المَوقِفِ عَذَابٌ، وَالفَضِيحَةُ هُنَاكَ فِي ذَلِكَ المَشهَدِ عَذَابٌ، بَعضُ المُسلِمِينَ يُفضَحُونَ، يُنَادِي عَلَيهِم المَلَكُ: «هَذَا فُلَانُ ابنُ فَلَان عَمِلَ كَذَا»، لأَنَّ الخَلقَ يَكُونُ عَلَيهِم وُقُوف حَتَّى يُقضَى بَينَهُم بَصَرْفِهِم إِلَى الجَنَّةِ أَو إِلَى النَّارِ، حَتَّى يَقُول الكَافِرُ مِن شِدَّةِ البُؤسِ الَّذِي يُقَاسِيهِ مِن حَرِّ الشَّمسِ: «**يَا رَبِّ أَرِحْنِي وَلَو إِلَى النَّارِ**»[1]، عِندَئِذٍ يَقُولُ النَّاسُ بَعضُهُم لِبَعضٍ: «تَعَالُوا لِنَذهَب إِلَى أَبِينَا ءَادَمَ لِيَشفَعَ لَنَا إِلَى رَبِّنَا»، فَيَأتُونَ إِلَى ءَادَمَ يَقُولُونَ: «يَا ءَادَمُ أَنتَ أَبُو البَشَرِ خَلَقَكَ اللهُ بِيَدِهِ ـ أَي

(١) رواه أبو يعلى في مسنده، وابن حبان في صحيحه، والطبراني في الكبير والأوسط.

أَنَّهُ لَهُ عِنَايَةٌ بِكَ - وَأَسجَدَ لَكَ مَلَائِكَتَهُ - أَي سُجُودَ تَحِيَّةٍ - فَاشفَع لَنَا إِلَى رَبِّنَا»، فَيَقُولُ لَهُم: «لَستُ فُلَانًا[1] اذهَبُوا إِلَى نُوحٍ»، فَيَأتُونَ نُوحًا فَيَطلُبُونَ مِنهُ، ثُمَّ يَقُولُ لَهُم: «ائتُوا إِبرَاهِيم»، فَيَأتُونَ إِبرَاهِيمَ، ثُمَّ إِبرَاهِيمُ يَقُولُ لَهُم: «لَستُ فُلَانًا»، مَعنَاهُ أَنَا لَستُ صَاحِبَ هَذِهِ الشَّفَاعَة، فَيَأتُونَ مُوسَى فَيَقُولُ لَهُم: «لَستُ فُلَانًا»، فَيَقُولُ لَهُم: «ائتُوا عِيسَى»، فَيَقُولُ لَهُم عِيسَى: «لَستُ فُلَانًا وَلَكِن اذهَبُوا إِلَى مُحَمَّدٍ»، فَيَأتُونَ النَّبِيَّ ﷺ، فَيَسجُدُ النَّبِيُّ ﷺ لِرَبِّهِ فَيُقَالُ لَهُ: «**ارْفَع رَأسَكَ، وَاشْفَع تُشَفَّع، وَسَل تُعْطَ**». هَذِهِ تُسَمَّى الشَّفَاعَة العُظمَى، لأَنَّهَا عَامَّة، ثُمَّ هُنَاكَ شَفَاعَاتٌ أُخرَى للنَّبِيِّ ﷺ. وَلَا تَكُونُ شَفَاعَةُ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ ﷺ إِلَّا لِمَن ءَامَنَ بِهِ، وَلِذَلِكَ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لابنَتِهِ فَاطِمَةَ رضي الله عنها أَوَّل مَا نَزَلَ عَلَيهِ القُرءَان: «**يَا فَاطِمَةُ بِنتَ مُحَمَّدٍ سَلِيْنِي مِن مَالِي مَا شِئتِ لَا أُغنِي عَنكِ مِنَ اللهِ شَيئًا**»[2] مَعنَاهُ لَا أَستَطِيعُ أَن أُنقِذَكِ مِنَ النَّارِ إِذَا لَم تُؤمِنِي، فِي الدُّنيَا أَستَطِيعُ أَن أَنفَعَكِ بِمَالِي، أَمَّا فِي الآخِرَةِ لَا أَستَطِيعُ أَن أَنفعَكِ إِن لَم تَدخُلِي فِي دَعوَةِ الإِسلَامِ.

وَليُحذَر مِمَّا وَرَدَ فِي بَعضِ نُسَخِ ابنِ حِبَّانَ السَّقِيمَة أَنَّ كُلًّا مِن هَؤُلَاءِ الأَنبِيَاءِ الخَمسَة يَقُولُ عِندَمَا يُطلَبُ مِنهُ الشَّفَاعَة: إِنِّي أَخَافُ أَن يَطرَحَنِي اللهُ فِي النَّارِ، لأَنَّ نِسبَةَ هَذَا لِنَبِيٍّ مِنَ الأَنبِيَاءِ كُفْرٌ، لأَنَّ النَّبِيَّ لَا يَظُنُّ بِرَبِّهِ أَنَّهُ يَطرَحُهُ فِي النَّارِ.

وَالإِيمَانُ بِالجَنَّةِ: وَهِيَ دَارُ السَّلَامِ أَي دَارُ النَّعِيمِ المُقِيمِ الدَّائِمِ، وَهِيَ

(١) أي لست صاحب هذا المقام.

(٢) صحيح البخاري، البخاري، كتاب الوصايا، باب هل يدخل النساء والولد في الأقارب.

فَوقَ السَّمَاءِ السَّابِعَةِ لَيسَت مُتَّصِلَة بِهَا، وَسَقفُهَا عَرشُ الرَّحمَنِ، وَالنَّعِيمُ فِيهَا قِسمَان: نَعِيمٌ لَا يَنَالُهُ إِلَّا الأَتقِيَاءُ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: «**أَعْدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لَا عَينٌ رَأَت وَلَا أُذُنٌ سَمِعَت وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلبِ بَشَر**»[1]، وَنَعِيمٌ يَنَالُهُ كُلُّ أَهلِ الجَنَّةِ، وَمِن هَذَا النَّعِيم أَنَّ أَهلَ الجَنَّةِ كُلّهُم شَبَابٌ لَا يَهرَمُونَ أَبَدًا وَكُلّهُم أَصِحَّاءُ لَا يَسقَمُونَ وَلَا يَمْرَضُونَ أَبَدًا وَكُلّهُم فِي سُرُورٍ لَا يُصِيبُهُم هَمٌّ وَحُزنٌ وَنَكَدٌ وَكَربٌ، وَكُلُّهُم يَبقَونَ أَحيَاء فِي نَعِيم دَائِم لَا يَمُوتُونَ أَبَدًا. وَأَهلُهَا عَلَى صُورَةِ أَبِيهِم ءَادَم سِتُّونَ ذِرَاعًا طُولًا فِي سَبعَةِ أَذرُع عَرضًا، جَمِيلُو الصُّورَة، جُردٌ مُردٌ في عُمرِ ثَلَاثَةٍ وَثَلَاثِينَ عَامًا، خَالِدُونَ فِيهَا لَا يَخرُجُونَ مِنهَا أَبَدًا. وَقَد جَاءَ في الحَدِيثِ: «**إِنَّ أَهلَ الجَنَّةِ عَلَى صُورَةِ أَبِيهِم ءَادَمَ سِتُّونَ ذِرَاعًا فِي السَّمَاءِ فِي سَبعَةِ أَذرُعٍ عَرضًا**»[2]. وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي وَصفِهَا: «**هِيَ وَرَبِّ الكَعبَةِ نُورٌ يَتَلَأْلأُ، وَرَيحَانَةٌ تَهتَزُّ، وَنَهرٌ مُطَّرِدٌ، وَقَصرٌ مَشِيدٌ، وَفَاكِهَةٌ نَضِيجَةٌ وَزَوجَةٌ حَسنَاءُ جَمِيلَةٌ وَحُلَلٌ كَثِيرَةٌ فِي مُقَامٍ أَبَدِيٍّ فِي حَبرَةٍ وَنَضرَةٍ**»[3].

وَالإِيمَانُ بِالرُّؤيَةِ للهِ تَعَالَى بِالعَينِ فِي الآخِرَةِ: أَي أَنَّهَا حَقٌّ، وَهَذَا خَاصٌّ بِالمُؤمِنِينَ يَرَونَهُ وَهُم فِي الجَنَّةِ بِلَا كَيفٍ وَلَا تَشبِيهٍ وَلَا جِهَةٍ،

---

(١) **صحيح البخاري**، البخاري، كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة، (٣٢٤٤). **صحيح مسلم**، مسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، (٢٨٢٤).

(٢) رواه البخاري في صحيحه بألفاظ متقاربة. **البخاري**، كتاب الأنبياء، باب قول الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾، (٣٣٢٧).

(٣) **صحيح ابن حبّان**، ابن حبّان، كتاب إخباره ﷺ عن مناقب الصحابة، باب وصف الجنة وأهلها، (١٦/ ٣٨٩).

كَمَا نَصَّ عَلَى ذَلِكَ الإِمَامُ أَبُو حَنِيفَةَ رضي الله عنه، أي أَنَّهُ تَعَالَى لَا يَكُونُ فِي جِهَةٍ وَلَا مَكَانٍ إِنَّمَا هُم فِي مَكَانِهِم فِي الجَنَّةِ، يَرونَهُ رُؤيَةً لَا يَكُونُ عَلَيهِم فِيهَا اشتِبَاهٌ لَا يَشُكُّونَ هَلِ الَّذِي رَأَوهُ هُوَ الله أَو غيرهُ، كَمَا لَا يَشُكُّ مُبصِر القَمَرِ لَيلَةَ البَدرِ لَيسَ دُونَهُ سَحَابٌ أَنَّ الَّذِي رَءَاهُ هُوَ القَمَرُ، فَفِي ذَلِكَ قَالَ الرَّسُولُ ﷺ: «**إِنَّكُم سَتَرَونَ رَبَّكُم يَومَ القِيَامَةِ كَمَا تَرَوْنَ القَمَرَ لَيلَةَ البَدرِ لَا تَضَامُّونَ فِي رُؤْيَتِهِ**»[1]. أي لَا تَتَزَاحَمُونَ فِي رُؤيَتِهِ، وَفِي رِوَايَةٍ «**لَا تُضَامُونَ**»، أَي لَا يَلْحَقُكُم ضَرَرٌ. شَبَّهَ رُؤيَتَنَا مِن حَيثُ عَدَم الشَّكِّ بِرُؤيَةِ القَمَرِ لَيلَةَ البَدرِ، وَلَم يُشَبِّهِ الله تَعَالَى بِالقَمَرِ.

وَالإِيمَانُ بِالخُلُودِ فِيهِمَا: فَيَجِبُ الإِيمَانُ بِأَنَّ أَهلَ الجَنَّةِ يَخْلُدُونَ فِي الجَنَّةِ وَأَهلَ النَّارِ يَخْلُدُونَ فِيهَا، وَأَنَّهُ لَا مَوتَ بَعدَ ذَلِكَ.

وَالإِيمَانُ بِمَلَائِكَةِ اللهِ: أَي بِوُجُودِهِم، وَأَنَّهُم عِبَادٌ مُكْرَمُونَ، وَهُم أَجسَامٌ نُورَانِيَّةٌ لَطِيفَةٌ، أَلطَفُ مِنَ الهَوَاءِ، لَيسُوا ذُكُورًا وَلَا إِنَاثًا، لَا يَأكُلُونَ وَلَا يَشرَبُونَ، وَلَا يَنَامُونَ وَلَا يَتَوَالَدُونَ، وَلَا يَعصُونَ اللهَ مَا أَمَرَهُم، وَيَفعَلُونَ مَا يُؤمَرُونَ.

وَالإِيمَانُ بِرُسُلِهِ: أَي أَنبِيَائِهِ مَن كَانَ رَسُولًا وَمَن لَم يَكُن رَسُولًا، فَالنَّبِيُّ غير الرَّسُولِ هُو إِنسَانٌ أُوحِيَ إِلَيهِ لَا بِشَرعٍ جَدِيدٍ بَلْ أُوحِيَ إِلَيهِ بِاتِّبَاعِ شَرعِ الرَّسُولِ الَّذِي قَبلَهُ، وَأَن يُبَلِّغَ ذَلِكَ الشَّرعَ، وَالرَّسُولُ مَن أُوحِيَ إِلَيهِ بِشَرعٍ جَدِيدٍ، وَأُمِرَ بِتَبلِيغِهِ. وَأَوَّلُ مَن أُرسِلَ إِلَى الكُفَّارِ سَيِّدُنَا نُوحٌ عليه السلام، وَقَد صَحَّ أَنَّهُ أَوَّلُ الرُّسُلِ إِلَى أَهلِ الأَرضِ، أَي بَعدَ حُدُوثِ

---

(١) صحيح مسلم، مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب فضل صلاتي الصبح والعصر والمحافظة عليهما، (٦٣٣).

كَمَا نَصَّ عَلَى ذَلِكَ الإِمَامُ أَبُو حَنِيفَةَ رضي الله عنه، أي أَنَّهُ تَعَالَى لَا يَكُونُ فِي جِهَةٍ وَلَا مَكَانٍ إِنَّمَا هُم فِي مَكَانِهِم في الجَنَّةِ، يَرونَهُ رُؤيَةً لَا يَكُونُ عَلَيهِم فِيهَا اشتِبَاهٌ لَا يَشُكُّونَ هَلِ الَّذِي رَأَوهُ هُوَ الله أَو غَيرهُ، كَمَا لَا يَشُكُّ مُبصِر القَمَرِ لَيلَةَ البَدرِ لَيسَ دُونَهُ سَحَابٌ أَنَّ الَّذِي رَءَاهُ هُوَ القَمَرُ، فَفِي ذَلِكَ قَالَ الرَّسُولُ ﷺ: «**إِنَّكُم سَتَرَونَ رَبَّكُم يَومَ القِيَامَةِ كَمَا تَرَوْنَ القَمَرَ لَيلَةَ البَدرِ لَا تَضَامُّونَ فِي رُؤْيَتِهِ**»[1]. أَي لَا تَتَزَاحَمُونَ فِي رُؤيَتِهِ، وَفِي رِوَايَةٍ «**لَا تُضَامُونَ**»، أَي لَا يَلْحَقُكُم ضَرَرٌ. شَبَّهَ رُؤيَتَنَا مِن حَيثُ عَدَم الشَّكِّ بِرُؤيَةِ القَمَرِ لَيلَةَ البَدرِ، وَلَم يُشَبِّهِ اللهَ تَعَالَى بِالقَمَرِ.

وَالإِيمَانُ بِالخُلُودِ فِيهِمَا: فَيَجِبُ الإِيمَانُ بِأَنَّ أَهلَ الجَنَّةِ يَخْلُدُونَ فِي الجَنَّةِ وَأَهلَ النَّارِ يَخْلُدُونَ فِيهَا، وَأَنَّهُ لَا مَوتَ بَعدَ ذَلِكَ.

وَالإِيمَانُ بِمَلَائِكَةِ اللهِ: أَي بِوُجُودِهِم، وَأَنَّهُم عِبَادٌ مُكْرَمُونَ، وَهُم أَجسَامٌ نُورَانِيَّةٌ لَطِيفَةٌ، أَلطَفُ مِنَ الهَوَاءِ، لَيسُوا ذُكُورًا وَلَا إِنَاثًا، لَا يَأكُلُونَ وَلَا يَشرَبُونَ، وَلَا يَنَامُونَ وَلَا يَتَوَالَدُونَ، وَلَا يَعصُونَ اللهَ مَا أَمَرَهُم، وَيَفعَلُونَ مَا يُؤمَرُونَ.

وَالإِيمَانُ بِرُسُلِهِ: أَي أَنبِيَائِهِ مَن كَانَ رَسُولًا وَمَن لَم يَكُن رَسُولًا، فَالنَّبِيُّ غَير الرَّسُولِ هُو إِنسَانٌ أُوحِيَ إِلَيهِ لَا بِشَرعٍ جَدِيدٍ بَلْ أُوحِيَ إِلَيهِ بِاتِّبَاعِ شَرعِ الرَّسُولِ الَّذي قَبلَهُ، وَأَن يُبَلِّغَ ذَلِكَ الشَّرعَ، وَالرَّسُولُ مَن أُوحِيَ إِلَيهِ بِشَرعٍ جَدِيدٍ، وَأُمِرَ بِتَبلِيغِهِ. وَأَوَّلُ مَن أُرسِلَ إِلَى الكُفَّارِ سَيِّدُنَا نُوحٌ عليه السلام، وَقَد صَحَّ أَنَّهُ أَوَّلُ الرُّسُلِ إِلَى أَهلِ الأَرضِ، أَي بَعدَ حُدُوثِ

---

(١) صحيح مسلم، مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب فضل صلاتي الصبح والعصر والمحافظة عليهما، (٦٣٣).

الكُفرِ بَينَ البَشَرِ، وَلَيسَ مَعنَاهُ أَنَّهُ لَم يَكُن قَبلَهُ نَبِيٌّ وَلَا رَسُولٌ، بَل كَانَ ءَادَمُ نَبِيًّا رَسُولًا، كَمَا يَشهَدُ لِنُبُوَّتِهِ حَدِيثُ: «**أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ ءَادَمَ وَلَا فَخرَ وَءَادَمُ تَحتَ لِوَائِي يَومَ القِيَامَةِ وَلَا فَخرَ**»[1]، وَأَجمَعَ المُسلِمُونَ عَلَى ذَلِكَ، وَعُرِفَ هَذَا الأَمرُ بَينَهُم بِالضَّرُورَةِ، فَمَن نَفَى نُبُوَّتَهُ فَهُوَ كَافِرٌ بِالإِجمَاعِ.

وَاعلَم رَحِمَكَ اللهُ وَهَدَاكَ أَنَّ كُلَّ الأَنبِيَاءِ جَاءُوا بِدِينِ الإِسلَامِ، فَقَد قَالَ ﷺ: «**الأَنبِيَاءُ إِخوَةٌ لِعَلَّاتٍ أُمَّهَاتُهُم شَتَّى وَدِينُهُم وَاحِدٌ**»[2]، شَبَّهَ رَسُولُ اللهِ ﷺ الأَنبِيَاءَ بِالإِخوَةِ مِنَ الأَبِ، وَوَجهُ الشَّبَهِ أَنَّ جَمِيعَ الأَنبِيَاءِ دِينُهُم وَاحِدٌ وَهُوَ الإِسلَامُ، أَمَّا شَرَائِعُهُم فَمُختَلِفَة، فَمِن هُنَا يُعلَمُ أَنَّ الإِسلَامَ هُوَ الدِّينُ السَّمَاوِيُّ الوَحِيدُ وَلَا دِينَ سِوَاهُ حَقٌّ، وَهُوَ الدِّينُ الَّذِي رَضِيَهُ اللهُ لِعِبَادِهِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ﴾[3]، وَقَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُۗ﴾[4]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾[5].

وَالإِيمَانُ بِالكُتُبِ السَّمَاوِيَّةِ: وَهِيَ كَثِيرَةٌ لَكِنَّ أَشهَرَهَا هَذِهِ الأَربَعُ: التَّورَاةُ، وَالإِنجِيلُ، وَالزَّبُورُ، وَالفُرقَانُ أَي القُرءَانُ.

وَالإِيمَانُ بِالقَدَرِ خَيرِهِ وَشَرِّهِ: فَالوَاجِبُ هُوَ الرِّضَا بِقَدَرِ اللهِ أَي تَقدِيرِهِ، وَأَمَّا المَقدُورُ فَيَجِبُ الإِيمَانُ بِأَنَّ كُلَّ المَقدُورَاتِ بِتَقدِيرِ اللهِ

---

(١) جامع الأحاديث، السيوطي، (٧/ ٢٢).

(٢) صحيح البخاري، البخاري، أحاديث الأنبياء، باب قولِ الله: ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَرۡيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتۡ مِنۡ أَهۡلِهَا﴾، (٣٤٤٣).

(٣) سورة المائدة، آية (٣).

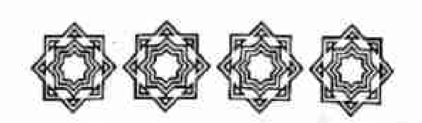
(٤) سورة آل عمران، آية (١٩).

(٥) سورة آل عمران، آية (٨٥).

تَحصُلُ، مَا كَانَ خَيرًا وَمَا كَانَ شَرًّا، فَمَا كَانَ مِنَ المَقدُورِ خَيرًا يَجِبُ الرِّضَا بِهِ، وَمَا كَانَ مِنهُ شَرًّا يَجِبُ كَرَاهِيَتُهُ، كَالكُفرِ وَالمَعَاصِي.

وَمَعنَى ذَلِكَ أَنَّ كُلَّ مَا دَخَلَ فِي الوُجُودِ مِن خَيرٍ وَشَرٍّ هُوَ بِتَقدِيرِ اللهِ الأَزَلِيِّ، فَالخَيرُ مِن أَعمَالِ العِبَادِ بِتَقدِيرِ اللهِ وَمَحَبَّتِهِ وَرِضَاه وَالشَّرُّ مِنْ أَعْمَالِ العِبَادِ بِتَقْدِيرِ اللهِ لا بِمَحَبَّتِهِ وَرِضَاه قَالَ تَعَالَى: ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ﴾[1]. قَالَ ابنُ عَبَّاسٍ: «يَحُولُ بَينَ قلبِ الكَافِرِ وَالإِيمَانِ وَبَينَ قَلبِ المُؤمِنِ وَالكُفرِ»، رَوَى ذَلِكَ البَيهَقِيُّ وَالحَاكِمُ فِي المُستَدرَكِ.

تَنبِيهٌ: وَليُعلَم أَنَّهُ إِذَا قِيلَ: «وَالإِيمَانُ بِالقَدَرِ خَيرِهِ وَشَرِّهِ» فَإِنَّمَا المَقصُودُ بِهِ المَقدُور أي المَخلُوق، لأَنَّ صِفَةَ القَضَاءِ وَالقَدَرِ للهِ تَعَالَى كَسَائِرِ صِفَاتِ اللهِ لَا تُوصَفُ بِالشَّرِّ.



(١) سورة الأنفال، آية (٢٤).

بَيَانٌ فِي كَيفِيَّةِ المُحَافَظَةِ عَلَى دِينِ الإِسلَامِ

يَجِبُ عَلَى كُلِّ مُسلِمٍ حِفظُ إِسلَامِهِ وَصَونُهُ عَمَّا يُفسِدُهُ وَيُبطِلُهُ وَيَقطَعُهُ وَهُوَ الرِّدَّةُ وَالعِيَاذُ بِاللهِ تَعَالَى. وَقَد كَثُرَ فِي هَذَا الزَّمَانِ التَّسَاهُلُ فِي الكَلَامِ، حَتَّى إِنَّهُ يَخرُجُ مِن بَعضِهِم أَلفَاظٌ تُخرِجُهُم عَنِ الإِسلَامِ، وَلَا يَرَونَ ذَلِكَ ذَنبًا فَضلًا عَن كَونِهِ كُفرًا، وَذَلِكَ مِصدَاقُ قَولِهِ ﷺ: «**إِنَّ العَبدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالكَلِمَةِ لَا يَرَى بِهَا بَأسًا يَهوِي بِهَا فِي النَّارِ سَبعِينَ خَرِيفًا**»[1]، أَي يَهوِي فِي نَارِ جَهَنَّمَ مَسَافَةَ سَبعِينَ عَامًا فِي النُّزُولِ، وَذَلِكَ مُنتَهَى جَهَنَّم، وَهُوَ مَكَانٌ خَاصٌّ بِالكُفَّارِ، لَا يَبلُغُهُ عُصَاةُ المُسلِمِين.

فَاعلَم يَا أَخِي المُسلِم أَنَّ هُنَاكَ اعتِقَادَاتٍ وَأَفعَالًا وَأَقوَالًا تَنقُضُ الشَّهَادَتَينِ وَتُوقِعُ فِي الكُفرِ، لأَنَّ الكُفرَ ثَلَاثَةُ أَنوَاع: كُفرٌ اعتِقَادِيٌّ، وَكُفرٌ فِعلِيٌّ، وَكُفرٌ لَفظِيٌّ، وَذَلِكَ بِاتِّفَاقِ المَذَاهِبِ الأَربَعَةِ وَغَيرِهِم، وَقَد ذَكَرَ ذلكَ عُلَمَاء مِنهُم النَّوَوِيُّ وَابنُ المُقرِي مِنَ الشَّافِعِيَّةِ، وَابنُ عَابِدِينَ مِنَ الحَنَفِيَّةِ، وَالبُهُوتِيُّ مِنَ الحَنَابِلَةِ، وَالشَّيخُ مُحَمَّدُ عِلِّيش مِنَ المَالِكِيَّةِ، وَغَيرُهُم فَلْيَنظُرهَا مَن شَاء. كَذَلِكَ غَير عُلَمَاء المَذَاهِبِ الأَربَعَةِ مِنَ المُجتَهِدِينَ المَاضِينَ كَالأَوزَاعِيِّ، فَإِنَّهُ كَانَ مُجتَهِدًا لَهُ مَذهَبٌ يُعمَلُ بِهِ فِي بِلَادِ الشَّامِ نَحوَ مِائَتَي سَنَة، ثُمَّ انقَرَضَ أَتبَاعُهُ وَمَذهَبُه.

فَالكُفرُ الاعتِقَادِيُّ: مَكَانُهُ القَلبُ، كَنَفيِ صِفَةٍ مِن صِفَاتِ اللهِ تَعَالَى

---

(١) **سنن الترمذي**، الترمذي، أبواب الزهد عن رسول الله ﷺ، باب فيمن تكلم بكلمة يضحك بها الناس، (٢٣١٤).

الوَاجِبَةِ لَهُ إجمَاعًا، كَوُجُودِهِ، وَكَونِهِ قَادِرًا، وَكَونِهِ سَمِيعًا بَصِيرًا، أَو اعتِقَاد أَنَّهُ نُورٌ بِمَعنَى الضَّوءِ، أَو أَنَّهُ رُوح.

قَالَ الشَّيخُ عَبدُ الغَنِيِّ النَّابُلسِيُّ: «مَنِ اعتَقَدَ أَنَّ اللهَ مَلأَ السَّمٰوَاتِ وَالأَرضَ، أَو أَنَّهُ جِسمٌ قَاعِدٌ فَوقَ العَرشِ، فَهُوَ كَافِرٌ وَإِن زَعَمَ أَنَّهُ مُسلِمٌ».

وَالكُفرُ الفِعلِيُّ: كَإِلقَاءِ المُصحَفِ فِي القَاذُورَاتِ، قَالَ ابنُ عَابِدِين: «لَو لَم يَقصِدِ الاستِخفَافَ، لأَنَّ فِعلهُ يَدُلُّ عَلَى الاستِخفَافِ» اهـ أَو أَورَاقِ العُلُومِ الشَّرعِيَّة، أَو أَيِّ وَرَقَةٍ عَلَيهَا اسمٌ مِن أَسمَاءِ اللهِ تَعَالَى مَعَ العِلمِ بِوُجُودِ الاسمِ فِيهَا، وَمَن عَلَّقَ شِعَارَ الكُفرِ عَلَى نَفسِهِ مِن غَيرِ ضَرُورَةٍ فَإِن كَانَ بِنِيَّةِ التَّبَرُّكِ أَوِ التَّعظِيمِ، أَوِ الاستِحلَالِ، كَانَ مُرتَدًّا.

وَالكُفرُ القَولِيُّ: وَأَلفَاظُهُ كَثِيرَةٌ لَا تَنحَصِرُ، مِنهَا أَن يَشتُمَ الشَّخصُ اللهَ تَعَالَى بِقَولِهِ ـ وَالعِيَاذُ بِاللهِ مِنَ الكُفرِ ـ: «أُخت رَبّك»، أَو «ابن الله»، فَإِنَّهُ يَقَعُ فِي الكُفرِ هُنَا، وَلَو لَم يَعتَقِد أَنَّ للهِ أُختًا أَو ابنًا. وَقَد أَلَّفَ كَثِيرٌ مِنَ الفُقَهَاءِ أَشيَاءَ مُهِمَّة يَنبَغِي الاطِّلَاعُ عَلَيهَا، مِنهُم الفَقِيهُ الحَنَفِيُّ بَدرُ الرَّشِيد ـ مِن أَهلِ القَرنِ الثَّامِنِ الهِجرِيِّ ـ أَلَّفَ رِسَالَةً سَمَّاهَا «رِسَالَةٌ فِي أَلفَاظِ الكُفرِ» وَالقَاضِي عِيَاضٌ المَالِكِيُّ ـ المُتَوَفَّى فِي القَرنِ السَّادِسِ ـ، وَغَيرُهُم مِنَ الفُقَهَاءِ مِن شَافِعِيَّةٍ ومَالِكِيَّةٍ وَغَيرِهِم، فَقَد ذَكَرُوا فِي مُؤَلَّفَاتِهِم كَثِيرًا مِمَّا هُوَ رِدَّة، وَأَكثَرُهُم تَعدَادًا الحَنَفِيَّةُ، وَقَالَ الحَافِظُ الفَقِيهُ اللُّغَوِيُّ الحَنَفِيُّ مُحَمَّدُ مُرتَضَى الزَّبِيدِيُّ فِي شَرحِ الإِحيَاءِ مَا نَصُّهُ: «وَقَد أَلَّفَ فِيهَا غَيرُ وَاحِدٍ مِنَ الأَئِمَّةِ مِنَ المَذَاهِبِ الأَربَعَةِ رَسَائِلَ وَأَكثَرُوا فِي أَحكَامِهَا» اهـ. فَكُلٌّ مِنَ المَذَاهِبِ الأَربَعَةِ أَلَّفَ بَعضُ فُقَهَائِهِ رَسَائِل فِي بَيَانِ الكُفرِيَّاتِ لأَنَّهُ كَانَ قَد ظَهَرَ فِي عُصُورِهِم كَلِمَاتٌ بَينَ

النَّاسِ هِيَ كُفرٌ، فَأَرَادُوا إِنقَاذَ النَّاسِ مِن خَطَرِهَا فَأَلَّفُوا تِلكَ الرَّسَائِل، وَهَذَا مِن أَفضَلِ الأَعمَالِ، لأَنَّ في ذَلِكَ إِنقَاذًا لِمَن حَصَلَت مِنهُ تِلكَ الكَلِمَات مِنَ الكُفرِ إِلَى الإِيمَانِ وَتَحذِيرًا لِمَن لَم يَقَع فِيهَا حَتَّى لَا يَقَعَ فِيهَا. وَقَد أَكثَرَ الشَّيخُ يُوسُف الأَرْدَبِيلِيُّ الشَّافِعِيُّ فِي كِتَابِهِ «الأَنوَار لِأَعمَالِ الأَبرَار» مِن تَعْدَادِ الأَلفَاظِ المُكَفِّرةِ بَعضُهَا بِالعَرَبِيَّةِ وَبَعضُهَا بِالفَارِسِيَّة، لأَنَّ كَثِيرًا مِنَ الشَّافِعِيَّةِ فِي بِلَادِهِ فَارِسِيُّون.

وَالحَاصِلُ أَنَّ القَاعِدَةَ المُقَرَّرَة عِنْدَ العُلَمَاءِ: أَنَّ كُلَّ اعتِقَادٍ أَو فِعلٍ أَو قَولٍ يَدُلُّ عَلَى استِخفَافٍ بِاللهِ، أَو كُتُبِهِ، أَو رُسُلِهِ، أَو مَلَائِكَتِهِ، أَو شَعَائِرِهِ، أَو مَعَالِمِ دِينِهِ، أَو أَحكَامِهِ، أَو وَعدِهِ، أَو وَعِيدِهِ كُفرٌ، فَلْيَحْذَرِ الإِنسَانُ مِن ذَلِكَ جَهْدَهُ عَلَى أَيِّ حَالٍ.

فَائِدَةٌ مُهِمَّةٌ: حُكمُ مَن يَأتِي بِإِحدَى أَنوَاعِ هَذِهِ الكُفرِيَّاتِ هُوَ أَن تَحبَطَ أَعمَالُهُ الصَّالِحَة وَحَسَنَاتُهُ جَمِيعُهَا، فَلَا تُحسَبُ لَهُ ذَرَّةٌ مِن حَسَنَةٍ كَانَ سَبَقَ لَهُ أَن عَمِلَهَا، مِن صَدَقَةٍ أَو حَجٍّ أَو صِيَامٍ أَو صَلَاةٍ وَنَحوِهَا. إِنَّمَا تُحسَبُ لَهُ الحَسَنَاتُ الجَدِيدَةُ الَّتِي يَعمَلُهَا بَعدَ تَجدِيدِ إِيمَانِهِ. قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ﴾[1].

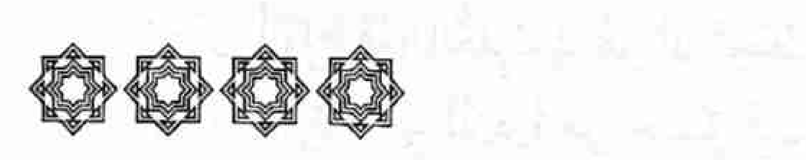
وَإِذَا قَالَ: أَستَغْفِرُ الله قَبلَ دُخُولِهِ فِي الإِسلَامِ بِالنُّطقِ بِالشَّهَادَتَينِ، وَهُوَ عَلَى حَالَتِهِ هَذِهِ فَلَا يَزِيدُهُ قَولُه أَستَغفِرُ الله إِلَّا إِثمًا وَكُفرًا، لأَنَّهُ يُكَذِّبُ قَولَ اللهِ تَعَالَى: ﴿لَّمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ﴾[2].

فَقَد رَوَى ابنُ حِبَّانَ عَن عِمرَانَ بنِ الحُصَين: أَتَى رَسُولَ اللهِ رَجُلٌ

(١) سورة المائدة، آية (٥).

(٢) سورة النساء، آية (١٣٧).

فَقَالَ يَا مُحَمَّدُ، عَبدُ المُطَّلِبِ خَيرٌ لِقَومِهِ مِنكَ، كَانَ يُطعِمُهُم الكَبِدَ والسَّنَامَ وَأَنتَ تَنحَرُهُم، فَقَالَ لَهُ مَا شَاءَ اللهُ - أي قَالَ مَا شَاءَ اللهُ لَهُ أَن يَقُولَ مِنَ الرَّدِّ عَلَيهِ وَتَعلِيمِهِ -، فَلَمَّا أَرَادَ أَن يَنصَرِفَ قَالَ: مَا أَقُولُ؟ قَالَ: «**قُل اللَّهُمَّ قِنِي شَرَّ نَفْسِي وَاعزِم لِي عَلَى أَرشَدِ أَمْرِي**»[1]، فَانطَلَقَ الرَّجُلُ وَلَم يَكُن أَسلَمَ، ثُمَّ قَالَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ: إِنِّي أَتَيتُكَ، فَقُلتُ: عَلِّمنِي، فَقُلتَ: «قُل اللَّهُمَّ قِنِي شَرَّ نَفسِي وَاعزِم لِي عَلَى أَرشَدِ أَمرِي»، فَمَا أَقُولُ الآنَ حِينَ أَسلَمتُ، قَالَ: «**قُل اللَّهُمَّ قِنِي شَرَّ نَفسِي وَاعزِم لِي عَلَى أَرشَدِ أَمرِي، اللَّهُمَّ اغْفِر لِي مَا أَسرَرتُ، وَمَا أَعلَنتُ، وَمَا أَخْطَأتُ، وَمَا عَمَدتُ، وَمَا جَهِلتُ**»[2]. فَانظُر كَيفَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَم يُعَلِّمهُ الاستِغفَارَ حَتَّى دَخَلَ فِي الإِسلَامِ.

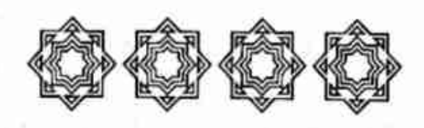


(١) الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان، ابن حبان، كتاب الرقائق، باب الأدعية، (٨٩٩).
مسند الإمام أحمد، أحمد بن حنبل، أول مسند البصريين، حديث عمران بن حصين، (١٩٩٩٢).

(٢) معناه الجهل الذي فيه ترك تعلم الضروريات.

خِتَامًا
الوِقَايَةُ مِنَ النَّارِ

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ۝٦﴾[1] وَجَاءَ فِي تَفسِيرِ الآيَةِ أَنَّ اللهَ يَأمُرُ المُؤمِنِينَ أَن يَقُوا أَنفُسَهُم وَأَهلَهُم النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالحِجَارَة بِتَعَلُّم الأُمُورِ الدِّينِيَّةِ الضَّرُورِيَّةِ، وَتَعلِيمِ أَهلِيهِم ذَلِكَ، أَي مَعرِفَة مَا فَرَضَ اللهُ فِعلَهُ أَو اجتِنَابَهُ، أَي الوَاجِبَات وَالمُحَرَّمَات وَذَلِكَ كَي لَا يَقَعَ فِي التَّشبِيهِ وَالتَّمثِيلِ وَالكُفرِ وَالضَّلَالِ. ذَلِكَ لأَنَّهُ مَن يُشَبِّه اللهَ تَعَالَى بِشَيءٍ مَا، لَم تَصِحَّ عِبَادَتهُ، لأَنَّهُ يَعبُدُ شَيئًا تَخَيَّلهُ وَتَوَهَّمَهُ فِي مُخَيِّلَتِهِ وَوَهمِهِ. قَالَ الإِمَامُ الغَزَالِيُّ: «**لَا تَصِحُّ العِبَادَةُ إِلَّا بَعدَ مَعرِفَةِ المَعبُودِ**» فَتَفَطَّنْ لِذَلِكَ رَحِمَنِي اللهُ وَإِيَّاكَ، وَخَتَمَ لَنَا بِالوَفَاةِ عَلَى كَامِلِ الإِيمَانِ.



(١) سورة التحريم، آية (٦).

أَحْكَامُ الحَجِّ

الحَجُّ فَرِيضَةٌ عَظِيمَةٌ، وَفِيه مِنَ المَزَايَا مَا لَيسَ فِي غَيرِه. يَقُولُ العَالِمُ الجَلِيلُ السَّيِّدُ الحَبِيبُ عَبدُ اللهِ الحَدَّادُ الحَضرَمِيُّ المُلَقَّب بِالفَقِيهِ المُقَدَّمِ الثَّانِي: «إِنَّ مَن تَكَلَّفَ الحَجَّ شَوقًا إِلَى بَيتِ اللهِ وَحِرصًا عَلَى إِقَامَةِ الفَرِيضَةِ إِيمَانُهُ أَكمَلُ وَثَوَابُهُ أَعظَمُ وَأَجزَلُ لَكِن بِشَرطِ أَن لَا يُضَيِّعَ بِسَبَبِهِ شَيئًا مِنَ الفَرَائِضِ، وَإِلَّا كَانَ ءَاثِمًا وَاقِعًا فِي الحَرَجِ كَمَن بَنَى قَصرًا وَهَدَمَ مِصرًا»[1].

ثُمَّ للحَجِّ شُرُوطٌ وَأَركَانٌ وَوَاجِبَاتٌ وَسُنَنٌ وَمُحَرَّمَاتٌ يَنبَغِي تَعَلُّمها لِمَن أَرَادَ النُّسُكَ لِيُؤَدِّيَ العِبَادَة صَحِيحَة. فَأَوَّلُ أَركَانِ الحَجِّ النِّيَّةُ وَهيَ الإِحرَامُ قَبلَ مُجَاوَزَةِ المِيقَاتِ وَهُوَ بِالنِّسبَةِ لِمَن سَافَر مِن هَذِهِ البِلَادِ بِلَاد الشَّام بِطَرِيقِ البَرِّ ءَابَار عَلِي، بَعدَ المَدِينَةِ بِنَحوِ خَمسَةَ عَشرَ كِيلُو مِترًا عَلَى طَرِيقِ مَكَّةَ، أَمَّا بِالنِّسبَةِ لِلَّذِي يُسَافِرُ مِن بَلَدِهِ بِالطَّائِرَةِ فَيُحرِمُ فِي بَلَدِهِ أَو فِي الطَّائِرَةِ قَبلَ مُجَاوَزَةِ المِيقَاتِ المُحَدَّدِ لِبَلَدِهِ.

لَكِن يُستَحَبُّ قَبلَ الإِحرَامِ أَن يَغتَسِلَ وَيَتَطَيَّبَ وَيَتَجَرَّدَ عَنِ المَلبُوسِ الَّذِي يَحرُمُ لُبسُهُ عَلَى المُحْرِمِ الذَّكَرِ كالقَمِيصِ وَالسِّروَالِ، وَيَلبَس إِزَارًا وَرِدَاءً ثُمَّ يُصَلِّي رَكعَتَين يَنوِي بِهِمَا سُنَّةَ الإِحرَامِ.

ثُمَّ بَعدَ الصَّلاةِ يُحرِمُ بِأَن يَنوِيَ بِقَلبِهِ فِعلَ الحَجّ أَو العُمرَةِ أَو كِلَيهِمَا، وَالأَفضَلُ فِي مَذهَبِ الإِمَامِ الشَّافِعِيّ الإِفرَادُ أَي أَن يَأتِيَ بِالحَجِّ أَوَّلًا ثُمّ

---

(١) النصائح الدينية والوصايا الإيمانية، عبد الله الحداد، (ص/١٨٨-١٨٩).

يَأتِي بِالعُمرَةِ، فَمَن أَرَادَ الحَجَّ يَقُولُ نَوَيتُ الحَجَّ وَأَحرَمتُ بِهِ للهِ تَعَالَى وَجَعَلتُ حِلِّي إِن حَبَسَنِي حَابِسٌ حَيثُ حَبَسَنِي، ثُمَّ يُستَحَبُّ بَعدَ ذَلِكَ أَن يُلَبِّيَ فَيَقُول سِرًّا فِي المَرَّةِ الأُولَى: لَبَّيكَ اللَّهُمَّ لَبَّيك... وَالرِّجَالُ يَجهَرُونَ بِالتَّلبِيَةِ بَعدَ المَرَّةِ الأُولَى، أَمَّا النِّسَاءُ فَلا يَجهَرنَ بِهَا.

فَإِذَا وَصَلَ الحَاجُّ إِلَى بَيتِ اللهِ الحَرَامِ تَوَجَّهَ إِلَى الكَعبَةِ المُشَرَّفَةِ بِخُشُوعٍ وَتَدَبُّرٍ لِجَلالَةِ البُقعَةِ الَّتِي هُوَ فِيهَا فَهُوَ فِي خَيرِ بِقَاعِ الأَرضِ، وَيَتَلَطَّف بِمَن يُزَاحِمُهُ وَيَتحَرَّز مِن إِيذَاءِ النَّاسِ، فَإِذَا وَقَعَ بَصرُهُ عَلى الكَعبَةِ رَفَعَ يَدَيهِ بِالدُّعَاءِ، فَإِنَّ الدُّعَاءَ عِندَ رُؤيَةِ الكَعبَةِ مُستَجَابٌ، وَيَدعُو بِمَا أَحَبَّ مِن حَاجَاتِ الآخِرَةِ وَالدُّنيَا.

وَيَطُوفُ حَولَ البَيتِ طَوَافَ القُدُومِ الَّذِي هُوَ سُنَّةٌ وَلَيسَ وَاجِبًا. يَكُونُ مُتَوَضِّئًا، وَيَبدَأُ الطَّوَافَ مِنَ الحَجَرِ الأَسوَدِ وَقَد جَعَلَ كَتِفَهُ الأَيسَر إِلَى الكَعبَةِ.

وَإِن استَطَاعَ أَن يَستَلِمَ الحَجَرَ الأَسوَدَ وَيُقَبِّلَهُ مِن غَيرِ صَوتٍ فَعَلَ ذَلِكَ اقتِدَاءً بِالرَّسُولِ ﷺ فَهُوَ يَاقُوتَةٌ مِن يَوَاقِيتِ الجَنَّةِ نَزَلَ بِهِ سَيِّدُنَا جِبرِيلُ عَلَيهِ السَّلامُ لَكِنَّهُ اسوَدَّ مِن تَمَسُّحِ المُشرِكِينَ بِهِ بَعدَ وَفَاةِ النَّبِيِّ إِسمَاعِيلَ عَلَيهِ السَّلامُ. وَيَحرِصُ فِي طَوَافِهِ أَن يَكُونَ خَارِجَ الكَعبَةِ فِي كُلِّ أَجزَائِهِ، وَخَارِجَ الشَّاذَرْوَان وَهُوَ جُزءٌ مِن أَسَاسِ الكَعبَةِ مُرتَفِعٌ عَنِ الأَرضِ قَدرَ ذِرَاعٍ، وَخَارِجَ حِجرِ إِسمَاعِيلَ، وَهُوَ جِدَارٌ فِي شَمَالِيِّ الكَعبَةِ وَهُوَ مِنَ الكَعبَةِ، فَإِذَا انتَهَى مِنَ الطَّوَافِ يُسَنُّ أَن يُصَلِّيَ رَكعَتَي الطَّوَاف.

ثُمَّ إِنَّ الحُجَّاجَ يَتَوَجَّهُونَ بَعدَ ذَلِكَ إِلَى عَرَفَةَ لِيُؤَدُّوا **الرُّكنَ الثَّانِي وَهُوَ الوُقُوف بِعَرَفة**، وَهُوَ مَكَانٌ مَعرُوفٌ خَارِجَ الحَرَم وَلَا بُدَّ أَن يَكُونَ فِيهِ وَلَو للحظَة بَينَ زَوَالِ شَمسِ يَوم التَّاسِع مِن ذِي الحِجَّة وَفَجرِ لَيلَةِ العِيدِ

وَلَيسَ شَرطًا أَن يَكُونَ وَاقِفًا بَل لَو دَخَلَ رَاكِبًا أَو نَائِمًا صَحَّ ذَلِكَ، وَليَكُن مُتَطَهِّرًا مُتَبَاعِدًا عَنِ الحَرَامِ وَالشُّبَهِ فِي طَعَامِهِ وَشَرَابِهِ وَلِبَاسِهِ وَمَركُوبِهِ، وَليُكثِر مِنَ الاستِغفَارِ، وَليُكثِر مِنَ البُكَاءِ مَعَ الذِّكرِ وَالدُّعَاءِ، فَهُنَاكَ تُسْكَبُ الدُّمُوعُ وَتُغفَرُ الذُّنُوبُ، وَتُستَقَالُ العَثَرَاتُ، وَتُرجَى إِجَابَةُ الطَّلَبَاتِ بِإِذنِ اللهِ تَعَالَى، وَإِنَّهُ لَمَجْمَعٌ عَظِيمٌ وَمَوقِفٌ كَرِيمٌ.

وَالأَحسَنُ أَن يَبقَى فِي المَوقِفِ حَتَّى تَغرُبَ الشَّمسُ فَيَجْمَعَ فِي وُقُوفِهِ بَينَ اللَّيلِ وَالنَّهَارِ.

وَبَعدَ الوُقُوفِ فِي عَرَفَةَ يَنفِرُ الحُجَّاجُ مِن عَرَفَةَ إِلَى مُزدَلِفَةَ حَيثُ يَبِيتُونَ وَيَجمَعُونَ الحَصَى الَّتِي سَيَرمُونَ بِهَا جَمرَةَ العَقَبَةِ الَّتِي فِي مِنى يَومَ العِيدِ.

وَرَميُ الجِمَارِ الثَّلَاثِ أَيَّامَ التَّشرِيقِ هُوَ مِنَ الوَاجِبَاتِ وَلَيسَ مِنَ الأَركَانِ، فَلَو تَركَهَا صَحَّ حَجُّه مَعَ الإِثمِ وَعَلَيهِ ذَبحٌ. وَيَخرُجُ الحُجَّاجُ مِن مُزدَلِفَةَ فَجرَ يَومِ العِيدِ إِلَى مِنى لِرَمْيِ جَمرَةِ العَقَبَةِ - وَهِيَ الجَمرَةُ الكُبرَى - بِسَبعِ حَصَيَاتٍ، وَيُشتَرَطُ أَن يَرمِيهَا حَصَاةً حَصَاةً بِيَدِهِ فِي الحَوضِ المُخَصَّصِ لَهَا، وَيُسَنُّ أَن يُكَبِّرَ عِندَ الرَّجمِ وَلَا يَرمِي الحَصَيَاتِ دَفعَةً وَاحِدَةً، وَيَحرِصُ أَن يَرجِمَ بَعدَ مُنتَصَفِ لَيلَةِ العِيدِ وَقَد رُوِيَ عَن سَيِّدِنَا عَبدِ اللهِ بنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه أَنَّهُ قَالَ عَنِ الحَصَى الَّتِي تُرمَى بِهَا الجِمَارِ: «مَا تُقُبِّلَ مِنهَا رُفِعَ، وَمَا لَم يُتَقَبَّل تُرِكَ، وَلَوْلَا ذَلِكَ لَسُدَّ مَا بَينَ الجَبَلَيْنِ»[1]. وَبَعدَ رَمِي جَمرَةِ العَقَبَةِ يَحلِقُ رَأسَهُ أَو يُقَصِّر وَلَو ثَلَاثَ شَعَرَاتٍ، فَيَتَحَلَّلُ التَّحَلُّلَ الأَوَّلَ، فَيَحِلُّ لَهُ مَا حَرُمَ بِالإِحرَامِ مِن طِيبٍ

(١) السنن الكبرى، البيهقي (٥/١٢٨)، **تلخيص الحبير**، العسقلاني (٢/٥٥٧-٥٥٨).

وَدُهنٍ وَقلمِ ظُفرٍ وَإِزَالَةِ شَعرٍ وَلُبسِ مُحِيطٍ بِخِيَاطَةٍ وَغَيرِهَا إِلَّا عَقد النِكَاح وَالجِمَاع وَمُقَدِّمَاتِه فَإِنَّها لا تَحِلُّ إِلَّا بَعدَ التَّحَلُّلِ الثَّاني.

بعدَ ذَلِكَ يَذهَبُ الحُجَّاجُ لإكمَالِ مَا بَقِيَ مِنَ الأركَانِ بِأدَاءِ **طَوافِ الإِفَاضَةِ وَالسَّعيِ بَينَ الصَّفَا وَالمَروَةِ** إن لَم يَكُن سَعَى بَعدَ طَوَافِ القُدُومِ قَبلَ الوُقُوفِ بِعَرَفَةَ فَإِذَا أَتَمَّهُمَا تَحلَّلَ التَّحلُّلَ الثَّانِي فَيَحِلُّ بِهِ عَقد النِّكَاحِ وَالجِمَاع.

والأُمُور الثَّلَاثَة الَّتِي يَتِمُّ بِهَا التَّحَلُّل هِيَ: رَميُ جَمرَةِ العَقَبَةِ وَطَوافُ الإِفَاضَةِ وَالحَلقُ أَوِ التَّقصِيرُ، وَوَقتُهَا يَبدَأُ بَعدَ مُنتَصَف لَيلَة العِيدِ وَلَيسَ قَبلَهُ. والسَّعيُ بَينَ الصَّفَا وَالمَروَةِ يَكُونُ بَعدَ طَوَافٍ، فَإِمَّا أَن يَكُونَ بَعدَ طَوَافِ القُدُوم أَو بَعدَ طَوَافِ الإِفَاضَةِ، وَهُوَ - أَي السَّعي - مِنَ الأَركَانِ الَّتِي لَا يَصِحُّ الحَجُّ بِدُونِهَا، فَيَسعَى سَبعَ مَرَّاتٍ فِي المَوضِعِ الَّذِي حَدَّدَهُ الرَّسُولُ ﷺ مُبتَدِئًا بِالصَّفَا إِلَى المَروَةِ فَهَذا شَوطٌ ثُمَّ مِنَ المَروَةِ إِلَى الصَّفَا هَذَا شَوطٌ ءَاخَر وَهَكَذا إِلَى سَبع، وَلَا يُشتَرَطُ فِيهِ الطَّهَارَةُ إِنَّمَا تُستَحَبُّ، وَيَذكُر اللهَ ويَدعُوهُ بِمَا شَاءَ بِأَيِّ لَفظٍ شَاء.

فَيَتَلَخَّصُ أَنَّ أَركَانَ الحَجِّ سِتَّة:

- الإِحرَامُ.
- الوُقُوفُ بِعَرَفَة.
- الطَّوَافُ.
- السَّعيُ.
- الحَلقُ أَوِ التَّقصِير.
- التَّرتِيبُ فِي مُعظَمِ الأَركَانِ.

مَكَّةُ المُكَرَّمَة

مَكَّةُ المُكَرَّمَة هِيَ مَدِينَةٌ مُبَارَكَةٌ مُقَدَّسَةٌ لَدَى المُسلِمِينَ أي مُعَظَّمَة، بِهَا المَسجِدُ الحَرَامُ وَالكَعبَةُ الَّتِي هِيَ قِبلَةُ المُسلِمِينَ فِي صَلَاتِهِم.

وَتَقَعُ مَكَّة المُكَرَّمَة فِي الجِهَةِ الغَربِيَّةِ مِن شِبْه الجزيرَة العَربِيَّة بِأَرضِ الحِجَازِ فِي بَطنِ وَادٍ، تُشْرِفُ عَلَيهَا الجِبَالُ مِن جَمِيعِ النَّوَاحِي دَائِرَة حَولَ الكَعبَةِ المُشَرَّفَة، وَكَانَتِ المَنَاطِقُ المُنخَفِضَةُ مِن سَاحَةِ مَكَّةَ تُسَمَّى البَطحَاء، وَمَا كَانَ شَرق المَسجِدِ الحَرَام يُسَمَّى المَعْلَاة، وَمَا كَانَ إِلَى الغَربِ وَالجَنُوبِ يُسَمَّى المَسفَلَة، وَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِن أَهلِ المَعْلَاةِ وُلِدَ بِهَا فِي سُوقِ اللَّيلِ وَسَكَنَ بِهَا حَتَّى هَاجَر إِلَى المَدِينَةِ، ثُمَّ دَخَلَ مِنهَا أَثنَاءَ فَتحِ مَكَّة.

كَانَت مَكَّةُ فِي بِدَايَتِهَا بَعدَ الطُّوفَانِ عِبَارَةً عَن بَلدَةٍ صَغِيرَةٍ فِي وَادٍ جَافٍّ تُحِيطُ بِهَا الجِبَالُ مِن كُلِّ جَانِب، ثُمَّ بَدَأَ النَّاسُ فِي التَّوَافُدِ عَلَيهَا وَالاستِقرَارِ بِهَا فِي عَصرِ النَّبِيِّ إِبرَاهِيم وَوَلَدِهِ إِسمَاعِيل عليهما السلام، وَذَلِكَ بَعدَمَا تَرَكَ النَّبِيُّ إِبرَاهِيمُ زَوجَتَهُ هَاجَر وَابنَهُ إِسمَاعِيل فِي هَذَا الوَادِي الصَّحرَاوِيِّ الجَافّ، وَذَلِكَ امتِثَالًا لأَمرِ الله، فَبَقِيَا فِي الوَادِي حَتَّى تَفَجَّر بِئر زَمزَم، وَقَد بَدَأَت خِلَالَ تِلك الفَترَةِ رَفعُ قَوَاعِد الكَعْبَةِ عَلَى يَدِ النَّبِيِّ إِبرَاهِيم وَوَلَدِهِ إِسمَاعِيل، وَكَانَت جُرهُم وَهُم طَائِفَةٌ مِنَ العَرَبِ أَوَّل مَن نَزَلَ عِندَ هَاجَر بِمَكَّة[1].

(١) الكامل في التاريخ، ابن الأثير، (١/ ٨٠).

وَيَرجِعُ تَارِيخ تَأسِيسِ مَكَّةَ إِلَى مَا قَبل مِيلادِ النَّبِيّ إِسمَاعِيلَ ﷺ وَقِيَامِه مَعَ أَبِيهِ النَّبِيّ إِبرَاهِيمَ ﷺ بِرَفعِ أَسَاسَاتِ الكَعبَة، وَكَانَت مَكَّة فِي بِدَايَتِهَا عِبَارَةً عَن بَلدَةٍ صَغِيرَةٍ سَكَنَهَا بَنُو ءَادَم إِلَى أَن دُمِّرَت، ثُمَّ بَعد الطُّوفَانِ الَّذِي ضَرَبَ الأَرضَ فِي زَمَنِ نَبِيّ اللهِ نُوحٍ[١] ﷺ أَصبَحَت مَكَّة عِبَارَةً عَن وَادٍ جَاف تُحِيطُ بِهَا الجِبَالُ مِن كُلِّ جَانِبٍ، وَعِندَمَا تَفجَّر بِئر زَمْزَم بَعدَمَا تَرَكَ النَّبِيُّ إِبرَاهِيمُ زَوجَتَهُ هَاجَر وَوَلَدَهُ إِسمَاعِيلَ فِي هَذَا الوَادِي الجَافّ جَاءَ رَكبٌ مِن قَبِيلَةِ جُرْهُم فَسَكَنُوا مَكَّةَ، وَهُم أَوَّل مَن عُرِف بِسَكنِهَا، وَقَامَت قَبِيلَةُ جُرهُم خِلَالَ فَترَة حُكمِهِم لِمَكَّةَ بِدَفنِ بِئرِ زَمزَم، وَأَكَلُوا مَالَ الكَعبَةِ الَّذِي يُهدَى إِلَيهَا، وَاستَمَرَّت قَبِيلَةُ جُرهُم فِي مَكَّةَ حَتَّى نِهَايَة القَرنِ الثَّالِث مِن تَارِيخ الرُّوم، وَكَانَ بَغيُ قَبِيلَةِ جُرهُم فِي مَكَّةَ سَبَبًا فِي قِيَام بَنِي غُبشَان مِن قَبِيلَةِ خُزَاعَةَ وَبَنِي بَكر مِن قَبِيلَةِ كِنَانَة بِمُحَارَبَةِ جُرهُم فَلَمَّا انتَصَرُوا عَلَى قَبِيلَةِ جُرهُم نَفَوهَا مِن مكّة فَقَامَ زَعِيمُ جُرهُم عَمرُو بنُ الحَارِثِ بنِ مُضَاضٍ الجُرهُمِيّ بِدَفنِ غَزَالَي الكَعبَة[٢] وَحَجَر الرُّكنِ فِي زَمزَم قَبلَ خُرُوجِه بِقَومِه إِلَى اليَمَن[٣]، تَوَلَّت بَعدَ ذلِكَ قَبِيلَة خُزَاعَة حُكمَ مَكَّةَ وَاستَمَرَّت كَذَلِك مَا يُقَارِبُ ثَلاثمائَةِ سَنَة، وَقَامَ زَعِيمُهُم عَمرُو بنُ لُحَيّ الخُزَاعِيُّ المُضَرِيُّ بِعِبَادَةِ الأَوثَان، فَكَانَ أَوَّل مَن غَيَّر دِينَ النَّبِيّ إِبرَاهِيمَ الَّذِي هُوَ الإِسلَام وَعَبَدَ الأَوثَانَ فِي شِبهِ الجَزِيرَةِ العَرَبِيَّة[٤].

(١) **التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم**، الكردي، (٢/ ٥).

(٢) وهما غزالان من ذهب كانا في جوف الكعبة، وقد وجدهما بعد ذلك عبد المطلب حينما حفر زمزم. **البداية والنهاية**، ابن كثير، **وتاريخ الطبري**.

(٣) **السيرة النبوية**، ابن هشام، (١/ ١١٤).

(٤) **تاريخ مكة المشرفة والمسجد الحرام**، أبو البقاء ابن الضياء، (ص/ ٥٢-٥٣).

وَانتَقَلَ أمرُ مَكَّةَ بَعدَ ذَلِكَ مِن يَدِ قَبِيلَةِ خُزَاعَة إِلَى قَبِيلَةِ كِنَانَةَ ثُمَّ إِلَى قُرَيش وَهِيَ فَرعٌ مِن قَبِيلَةِ كِنَانَة تَنتَسِبُ إِلى النَّضرِ بنِ كِنَانَة، تَحتَ إِمرَةِ «قُصَيّ بنِ كِلَابٍ» جَدِّ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ عَلَيهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ الرَّابع[1]، وَقَامَ بِبِنَاءِ دَارِ النَّدوَةِ لِيَجتَمِعَ فِيهَا مَع رِجَالِ قُرَيش، وَقَامَ قُصَيُّ بنُ كِلَاب قَبلَ وَفَاتِهِ بِتَقسِيم أُمُورِ الحَرَمِ علَى أولَادِهِ الأَربَع، فَكَانَت سِقَايَةُ البَيتِ وَالرِّفَادَةُ[2] وَالقِيَادَةُ[3] مِن نَصِيبِ وَلَدِهِ «عَبدِ مَنَاف بنِ قُصَيّ» الجَدّ الثَّالِث للنَّبِيِّ مُحَمَّدٍ ﷺ، بَعدَ وَفَاةِ «عَبدِ مَنَاف بنِ قُصَيّ» تولَّى قِيَادَةَ قُرَيش ابنهُ «هَاشِم بن عَبدِ مَنَاف» وَبَعدَ وَفَاتِهِ توَلَّى القِيَادَةَ وسِقَايَةَ الحَرَمِ «عَبد المُطَّلِبِ بن هَاشِم» الَّذِي قَامَ بِحَفرِ بِئرِ زَمزَمَ مَرَّةً أُخرَى، فِي ذَلِكَ الوَقتِ كَانَ «أَبرَهَة الحَبَشِي» فِي اليَمَنِ قَد بَنَى كَنِيسَةَ القُلَّيس بِصَنعَاء لِيَزُورَها النَّاس، فَلَمَّا عَلِمَ أَحَدُ رِجَالِ قَبِيلَةِ كِنَانَةَ بِأَمرِ هَذِه الكَنِيسَةِ خَرَجَ إِلَيهَا وَأَحدَثَ فِيهَا، فَلَمَّا عَلِمَ أَبرَهَة أَنَّ أَحَدَ أَهلِ الحَرَمِ قَد أَحدَثَ فِي كَنِيسَتِهِ غَضبَ وخَرَجَ بِجَيشِه المَصحُوبِ بِالفِيلَةِ يُرِيدُ تَدمِيرَ الكَعبَة فِي مَكَّةَ وَإِجبَارَ العَرَبِ عَلَى زِيَارَةِ كَنِيسَتِهِ، وَعِندَمَا وَصَلَ إِلَى مَكَّةَ أَبَت الفِيلَةُ التَّقَدُّمَ نَحوَ الكَعبَة، وَعِندَهَا أَرسَلَ اللهُ طُيُورًا أَبَابِيلَ تَحمِلُ حِجَارَةً مِن سِجِّيل فَدَمَّرَت أَبرَهَةَ وَجَيشَهُ، وَقَد سُمِّيَ هَذَا العَامُ بِعَامِ الفِيلِ وَهُوَ العَامُ الَّذِي وُلِدَ فِيهِ النَّبِيُّ مُحَمَّد ﷺ.

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ

---

(١) تاريخ مكة المشرفة والمسجد الحرام، أبو البقاء ابن الضياء، (ص/٥٩).

(٢) وكانت خرجًا تخرجه قريش في كلّ موسمٍ من أموالها إلى قصيّ بن كلاب فيصنع به طعامًا للحاج يأكله من لم تكن له سعة ولا زاد ممن يحضر الموسم. **تاريخ الطبري**، الطبري.

(٣) وهي إمارة الجيش إذا خرجت إلى حرب.

﴿سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٨﴾﴾[(١)] خَلَقَ اللهُ تَعَالَى فِيمَا خَلَقَ كُلًّا مِنَ المَكَانِ وَالزَّمَانِ، وَجَعَلَهُمَا أمرينِ مُتَوَاصِلَين فَلَا يُوجَدُ مَكَانٌ بِلَا زَمَانٍ، وَلَا زَمَانٌ بِلَا مَكَانٍ، وَكَمَا فَضَّلَ اللهُ تَعَالَى بَعضَ الأفرَادِ عَلَى بَعض فَضَّلَ بَعضَ الأَمكِنَةِ عَلَى بَعض، وَفَضَّلَ بَعضَ الأَزمِنَةِ عَلَى بَعضٍ.

فَمِنَ البَشَرِ فضَّلَ اللهُ تَعَالَى الأَنبِيَاءَ والمُرسَلِينَ عَلَى بَقِيَّةِ خَلقِهِ، وَمِن بَينِ الأَنبِيَاءِ وَالمُرسَلِين، فَضَّلَ بَعضَهُم عَلَى بَعضٍ، فَقَالَ عَزَّ مِن قَائِلٍ: ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾[(٢)].

ومِن تَفضِيلِ اللهِ تَعَالَى لِبَعضِ الأَمَاكِن عَلَى بَعض أَنَّهُ فَضَّلَ مَكَّةَ المُكَرَّمَةَ وَحَرَمَهَا الشَّرِيف عَلَى جَمِيع بِقَاعِ الأَرضِ، ثُمَّ فَضَّلَ المَدِينَةَ المُنَوَّرَةَ مِن بَعدِ مَكَّةَ المُكَرَّمَة، وَفَضَّلَ بَيتَ المَقدِس مِن بَعدِ المَدِينَةِ المُنَوَّرَةِ، كَمَا جَاءَ فِي أَحَادِيث رَسُولِ اللهِ ﷺ.

وَفِي تَفضِيلِ بَعضِ الأَزمِنَةِ عَلَى بَعضٍ مَا جَاءَ مِن فَضلِ يَوم الجُمُعَةِ عَلَى بَقِيَّةِ أَيَّام الأُسبُوعِ الَّذِي وَصَفَهُ النَّبِيُّ ﷺ بِأَنَّهُ: «**خَيرُ يَومٍ طَلَعَت عَلَيهِ الشَّمسُ**»[(٣)]، وَفَضل شَهرِ رَمَضَانَ المُبَارَك عَلَى بَقِيَّةِ أَشهُرِ السَّنَةِ، وَمِن بَعدِ رَمَضَانَ يَأتِي فَضلُ أَشهُرِ الحَجّ وَمِن بَعدِهَا بَقِيَّةُ الأَشهُرِ الحُرُم، كَذَلِكَ فَضَّلَ اللهُ تَعَالَى اللَّيَالِيَ العَشر الأَوَاخِر مِن رَمَضَانَ عَلَى بَقِيَّةِ لَيَالِي السَّنَة وَجَعَلَ لَيلَةَ القَدْرِ أَفضَلَهَا عَلَى الإِطلَاقِ وَجَعَلَهَا خَيرًا مِن أَلفِ

---

(١) سورة القصص، آية (٦٨).

(٢) سورة البقرة، آية (٢٥٣).

(٣) صحيح مسلم، مسلم، كتاب الجمعة، باب فضل يوم الجمعة، (٨٥٤).

شَهرٍ، وَفَضَّلَ اللهُ تَعَالَى الأَيَّامَ العَشرَ الأَوَائِلَ مِن ذِي الحِجَّةِ عَلَى بَقِيَّةِ أَيَّام السَّنَةِ، وَجَعَلَ أَفضَلَهَا عَلَى الإِطلَاقِ يَوم عَرَفَة، فَإِذَا اجتَمَعَ فَضلُ المَكَانِ وَفَضلُ الزَّمَانِ تَضَاعَفَت البَرَكَات بِإِذنِ اللهِ، وَكَذَلِكَ إِذَا اجتَمَع فَضلُ زَمانَيْنِ كَأَن يُصَادِف يَوم الجُمُعَةِ مَثلًا، تَضَاعَف الأَجرُ إِن شَاءَ اللهُ، وَمِن هُنَا كَانَت فَرِيضَةُ الحَجّ عَلَى كُلّ مُسلِم عَاقِلٍ بَالِغٍ مُستَطِيعٍ مَرَّةً وَاحِدَةً فِي العُمرِ وَبِذَلِكَ تَحصُلُ لَهُ بَرَكَةُ المَكَانِ مَكَّةَ المُكَرَّمَة وَالزَّمَانِ العشر الأوائِل من ذي الحجة في الأَشهُر الحُرُم وَالعَمَل الحَجّ، وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾[1].

مِن فَضَائِلِ مَكَّةَ المُكَرَّمَة: اختَارَهَا اللهُ عَزَّ وَجَلَّ لِبِنَاءِ بَيتِهِ[2] وَمَولِدِ نَبِيّه الخَاتم وَمَبعَثِهِ ﷺ، وَجَعَلَهَا مَنسكًا لِعِبَادِهِ وَأَوجَب عَلَيهِم الإِتيَانَ إِلَيهَا مِن القُربِ وَالبُعدِ مَعَ الاستِطَاعَةِ مَرَّةً فِي العُمرِ فَلا يَدخُلُونَهَا إِلَّا مُتَوَاضِعِينَ مُتَخَشِّعِينَ مُتَذَلِّلِينَ كَاشِفِي رُؤُوسِهِم مُتَجَرِّدِينَ عَن لِبَاسِ أَهلِ الدُّنيا إِن أَرَادُوا النُّسُكَ، وَجَعَلَهَا حَرَمًا ءَامِنًا لَا يُسفَكُ فِيهَا دَمٌ، وَلَا تُلْتَقَطُ لُقَطَتُهَا للتَّمليكِ بَل للتَّعريفِ، وَجَعَل قَصدَهَا بِالحَجّ مَثلًا مُكَفِّرًا لِمَا سَلَفَ مِنَ الذُّنُوبِ، وَلَيسَ عَلَى وَجهِ الأَرضِ بُقعَةٌ يَجِبُ عَلَى كُلِّ قَادِرٍ السَّعي إِلَيهَا غيرَ مَكَّة وَذَلِكَ لأَدَاءِ فَرِيضَة الحَجّ، وَشَرَعَ الطَّوَافَ بِالبَيتِ الَّذِي فِيهَا دُونَ غَيرِهَا، وَفِيهَا مَوضِعَان يُشرَعُ تَقبِيلُهُما واستِلَامهُمَا الحَجرُ الأَسوَدُ وَالرُّكنُ اليَمَانِي، وَأَقسَمَ بِهَا فِي كِتَابِهِ العَزِيزِ فِي مَوضِعَينِ

---

(١) سورة آل عمران، آية (٩٧).

(٢) أي البيت الذي هو مشرفٌ عنده، أي إضافة تشريف لا على معنى أن الله يسكنه، الله منزهٌ عن المكان والجهة.

مِنهُ، وَيُضَاعَفُ أَجرُ الصَّلَاةِ فِي المَسجِدِ الحَرَام، وَبِهَا قِبلَةُ أَهلِ الأَرضِ كُلِّهِم، وَيَحْرُم استِقبَالُهَا وَاستِدبَارُهَا عِندَ قَضَاءِ الحَاجةِ فِي الصَّحَارِي دُونَ البُنيَانِ. وَبِهَا مَوَاضِع تُستَجَابُ فِيهَا الدَّعوَات، وَتُقَالُ فِيهَا العَثَرَات، وَتُمحَى فِيهَا السَّيِّئَات، وَتُكشَفُ فِيهَا الكُربَات، وَمِن خَصَائِصِهَا تَحرِيمُ دُخُولِ الكُفَّارِ إِلَيهَا عَلَى القَولِ الصَّحِيحِ، وَحِرَاستُهَا بِالمَلَائِكَةِ فَلَا يَدخُلُهَا الدَّجَّالُ.

مِن فَضَائِلِ مَكَّةَ المُكَرَّمَة: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**صَلَاةٌ فِي مَسجِدِي هَذَا أَفضَلُ مِن أَلفِ صَلَاةٍ فِيمَا سِوَاهُ إِلَّا المَسجِدَ الحَرَام، وَصَلَاةٌ فِي المَسجِدِ الحَرَامِ أَفضَلُ مِن مِائَةِ أَلفِ صَلَاةٍ**»(١).

وَفِيمَا يَلِي بَعض الرِّوَايَاتِ الدَّالَّةِ عَلَى أَهَمّ فَضَائِلِ مَكَّةَ المُكَرَّمَة:

١- قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَهُوَ وَاقِفٌ عَلَى الحَزْوَرَةِ(٢): «**وَاللهِ إِنَّكِ لَخَيرُ أَرْضِ اللهِ وَأَحَبُّ أَرضِ اللهِ إِلَى اللهِ، وَلَوْلَا أَنِّي أُخْرِجْتُ مِنْكِ مَا خَرَجْتُ**»(٣).

٢- وَقَالَ ﷺ: «**مَا أَطْيَبَكِ مِنْ بَلَدٍ وَأَحَبَّكِ إِلَيَّ، وَلَوْلَا أَنَّ قَومِي أَخرَجُونِي مِنْكِ مَا سَكَنْتُ غَيْرَكِ**»(٤).

---

(١) سنن ابن ماجه، ابن ماجه، كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، باب فضل الصلاة في المسجد الحرام ومسجد النبي، (١٤٠٦).

(٢) الحَزْوَرَة بالفتح ثم السكون وفتح الواو هي الرابية الصغيرة، وكانت سوق مكة، وكانت بفناء دار أم هانئ عند الخياطين، ودخلت في توسعة المسجد الحرام قديمًا، وعرف باب هناك بباب الحزورة قديمًا. وموضعه على يمين الصاعد من صحن الطواف على السلم المؤدي لباب الملك عبد العزيز. السيرة، ابن هشام، (١/ ٣٤٦). أخبار مكة، الفاكهي، (٤/ ٢٠٦).

(٣) جامع الترمذي، الترمذي، أبواب المناقب، باب فضل مكة، (٣٩٢٥).

(٤) جامع الترمذي، الترمذي، أبواب المناقب، باب فضل مكة، (٣٩٢٦).

٣- وَقَالَ ﷺ: «أَمَا وَاللهِ لأَخرُجُ مِنكِ وَإِنِّي لأَعلَمُ أَنَّكِ أَحَبُّ بِلَادِ اللهِ إِلَيَّ وَأَكرَمُهَا عَلَى اللهِ، وَلَوْلَا أَنَّ أَهْلَكِ أَخرَجُونِي مَا خَرَجتُ»[1].

٤- وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يوم فتح مَكَّةَ: «إِنَّ هَذَا البَلَدَ حَرَّمَهُ اللهُ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فَهُوَ حَرَامٌ بِحُرمَةِ اللهِ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ لَا يُعْضَدُ شَوْكُهُ وَلَا يُنَفَّرُ صَيْدُهُ وَلَا يَلْتَقِطُ لُقَطَتَهُ إِلَّا مَنْ عَرَّفَهَا وَلَا يُخْتَلَى خَلَاهَا»[2].

٥- وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَيسَ مِن بَلَدٍ إِلَّا سَيَطَؤُهُ الدَّجَّالُ إِلَّا مَكَّةَ وَالمَدِينَةَ، لَيسَ لَهُ مِن نِقَابِهَا نَقْبٌ إِلَّا عَلَيهِ المَلَائِكَةُ صَافِّينَ يَحرُسُونَهَا»[3].

٦- وَقَالَ ﷺ: «أَنَا أَوَّلُ مَن تَنْشَقُّ عَنهُ الأَرضُ ثُمَّ أَبُو بَكرٍ[4] ثُمَّ عُمَرُ ثُمَّ ءَاتِي أَهلَ البَقِيعِ فَيُحشَرُونَ مَعِي ثُمَّ أَنْتَظِرُ أَهْلَ مَكَّةَ حَتَّى أُحْشَرَ بَيْنَ الحَرَمَيْنِ»[5].

---

(١) مجمع الزوائد، ابن حجر الهيثمي، كتاب الحج، باب ما جاء في مكة وفضلها (٣/ ٢٨٣).

(٢) صحيح مسلم، مسلم، كتاب الحج، باب تحريم مكة وصيدها..، (١٣٥٣).

(٣) صحيح البخاري، البخاري، أبواب فضائل المدينة، باب لا يدخل الدجال المدينة، (١٨٨١).

(٤) أي بعد الأنبياء.

(٥) جامع الترمذي، الترمذي، أبواب المناقب، باب في مناقب عمر بن الخطاب، (٣٦٩٢).

مِنْ أَسْمَاءِ مَكَّةَ فِي القُرءَانِ الكَرِيمِ

إِنَّ كَثرَةَ الأَسَامِي عِندَ العَرَبِ تَدُلُّ عَلَى شَرَفِ المُسَمَّى، فَمِن أَسمَائِهَا:

١- مَكَّة: وَاسمُ مَكَّةَ مَذكُورٌ فِي القُرءَانِ مَرَّةً وَاحِدَةً، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ﴾[1] وَتَسمِيَةُ مَكَّةَ للحَرَم كُلّه حَاصِلة لأَنَّها تَنقُض الذُّنُوبَ وَتَنفِيها، أَو تُهْلِكُ مَن ظَلَمَ فِيهَا أَو لأَنَّهَا تَدُكُّ الجَبَابِرَةَ أَي تهلكهُم وَتُذهِبُ نَخوَتُهُم، أَو لأَنَّها تَجذب النَّاسَ إِلَيهَا.

٢- بَكَّة: قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا﴾[2]

قِيلَ لازْدِحَام النَّاسِ بِهَا يَبُكُّ بَعضُهم بَعضًا أَي يَدفعُ في زَحمَةِ الطَّوَافِ وَغَيرِهِ أَو لأَنَّهَا تَبُكُّ أَعنَاقَ الجَبَابِرَة أَي تَدُقُّهَا فَلَم يَقصِدْها جَبَّارٌ إِلَّا قَصَمَهُ اللهُ أَو لأَنَّهَا تَضعُ مِن نَخوَةِ المُتَكَبِّرِين، وَهُنَاكَ أَربَعَةُ أَقوَالٍ في المُرَادِ مِن بَكَّة.

- اسمٌ للبُقعَةِ الَّتِي فِيهَا مَكَّة.
- اسمٌ لِمَا حولَ البَيتِ، وَمَكَّة مَا وَرَاءَ ذَلِكَ. وَقَالَ عِكرِمَةُ: «البَيتُ وَمَا حَولَهُ بَكَّة، وَقِيلَ بَكَّة مَوضِعُ البَيتِ وَمَا سِوَى ذَلِكَ مَكَّة»[3].

---

(١) سورة الفتح، آية (٢٤).

(٢) سورة آل عمران، آية (٩٦).

(٣) القِرَى لقاصدِ أم القُرى، محب الدين الطبري، (ص/ ٦٥٠).

- المَسجِدُ وَالبَيتُ.

- مَكَّةُ اسمٌ للحَرَمِ كُلّه، وَقِيلَ إِنَّ بَكَّةَ هِيَ مَكَّة، وَعَنِ ابنِ عَبَّاسٍ قَالَ: مَكَّة مِنَ الفَجِّ إلى التَّنعِيمِ وَبَكَّة مِنَ البَيتِ إِلَى البَطحَاءِ.

٣- أُمُّ القُرَى: قَالَ تَعَالَى: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾[1].

أُمُّ القُرَى مَكَّة، وَفِي تَسمِيَتِهَا بِذلكَ أَربَعَةُ أَقوَالٍ:

- لأَنَّ الأَرضَ دُحِيَتْ مِن تَحتِهَا فَهِيَ سُرَّةُ الأَرضِ وَوَسَط الدُّنيا، أَي أَنَّ اليَابِسَةَ عَلَى سَطحِ الأَرضِ مُوَزَّعَة حَولَ مكَّةَ المُكَرَّمَة توزِيعًا مُنتَظِمًا.

- لأَنَّهَا أَقدَمهَا.

- لأَنَّهَا قِبلَةُ جَمِيعِ النَّاسِ يَؤُمُّونهَا أَي يَتَّجِهُونَ إِلَيهَا فِي الصَّلَاةِ.

- لأَنَّهَا أَعظَمُ القُرَى شَأْنًا.

٤- البَلَدُ: قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿قَالَ إِبْرَٰهِۦمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا﴾[2] وَالمَقصُودُ مِنَ البَلَدِ مَكَّةُ.

٥- البَلَدُ الأَمِين: قَالَ تَعَالَى: ﴿وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ ۝٣﴾[3]، قَالَ ابنُ الجَوزِيّ: يَعنِي مَكَّة يَأمَنُ فِيهَا الخَائِفُ في الجَاهِلِيَّةِ وَالإِسلَامِ، وَالعَرَبُ تَقُولُ لِلآمِنِ: أَمِين[4].

---

(١) سورة الأنعام، آية (٩٢).

(٢) سورة البقرة، آية (١٢٦).

(٣) سورة التين، آية (٣).

(٤) زاد المسير، ابن الجوزي، (٤/ ٤٦٤).

٦- **البَلدَةُ**: قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ ٱلْبَلْدَةِ ٱلَّذِى حَرَّمَهَا﴾[١]، قَالَ ابنُ الجَوزِيّ: وَهِيَ مَكَّةُ[٢].

٧- **حَرَمٌ ءَامِنٌ**: قَالَ تعالَى: ﴿أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا﴾[٣].

٨- **وَادٍ غير ذِي زَرعٍ**: قَالَ تعَالَى: ﴿رَّبَّنَآ إِنِّىٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ﴾[٤]، قَالَ ابنُ الجَوزِيّ: يَعنِي مَكَّة، لَم يَكُن فِيهَا حَرثٌ وَلَا مَاءٌ[٥].

٩- **مَعَاد**: قَالَ تعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾[٦]، قَالَ ابنُ عَبَّاسٍ: أَي لَرَادُّكَ إِلَى مَكَّةَ[٧].

١٠- **قَريَة**: قَالَ تَعَالَى: ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ هِىَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرْيَتِكَ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَتْكَ﴾[٨]، قَالَ ابنُ الجَوزِيّ: وَالمُرَادُ بِقَريَتِهِ ﷺ مَكَّة[٩].

١١- **المَسجِدُ الحَرَام**: وَلَهُ أَربَعَةُ استِعمَالَات:

- **الكَعبَةُ**: قَالَ تَعَالَى: ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾[١٠].

---

(١) سورة النمل، آية (٩١).

(٢) زاد المسير، ابن الجوزي، (٦/ ٨٤).

(٣) سورة القصص، آية (٥٧).

(٤) سورة إبراهيم، آية (٣٧).

(٥) زاد المسير، ابن الجوزي، (٢/ ٥١٥).

(٦) سورة القصص، آية (٨٥).

(٧) زاد المسير، ابن الجوزي، (٣/ ٣٩٦).

(٨) سورة محمد، آية (١٣).

(٩) زاد المسير، ابن الجوزي، (٤/ ١١٧).

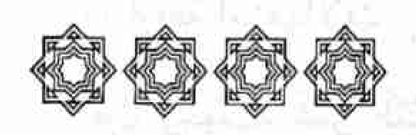
(١٠) سورة البقرة، آية (١٤٩).

- الكَعبَةُ وَمَا حَولَها مِنَ المَسجِدِ الحَرَام، وَهُوَ الغَالِبُ قال تعالى: ﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا مِّنَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ﴾[1].

- جَمِيعُ مَكَّة: قَالَ تَعَالَى: ﴿لَتَدۡخُلُنَّ ٱلۡمَسۡجِدَ ٱلۡحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ﴾[2]، وَقَالَ قَتَادَةُ: المَسجِدُ الحَرَامُ مَكَّة[3].

- جَمِيعُ الحَرَمِ: قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُشۡرِكُونَ نَجَسٞ فَلَا يَقۡرَبُواْ ٱلۡمَسۡجِدَ ٱلۡحَرَامَ﴾[4]، قَالَ ابنُ عَبَّاسٍ وَعَطَاءٌ: إِنَّهُ جَمِيعُ الحَرَمِ[5].

إِضَافَةً إِلَى أَسمَاءٍ أُخرَى: القَادِسِيَّةُ، الحَرَمُ، بَرَّة، الرَبَاحُ، البَيتُ العَتِيقُ، قَريَةُ الحُمْس، النَّابِيَة، العَذرَاءُ، أُمُّ رَاحِم، الحُرمَةُ، نَادِرَةٌ، أُمُّ زحْم، البَنِيَّة، الوَسَل، المَكَّتَان، سبُوحَة، الحِرمَة، أُمُّ صُبح، أُمُّ روح، العَرِيشُ، الحَاطِمَةُ، مخرَجُ صِدْقٍ، القَادِسُ، الرّتَاح، وَأَسمَاءٌ أُخرَى.



---

(١) سورة الإسراء، آية (١).

(٢) سورة الفتح، آية (٢٧).

(٣) أخبار مكة، الفاكهي، (٢/ ١٠٠).

(٤) سورة التوبة، آية (٢٨).

(٥) أخبار مكة، الفاكهي (٣/ ١٥). الجامع اللطيف، ابن ظهيرة، (ص/ ١٦٢).

المَسجِدُ الحَرَام

هُوَ أعظَمُ مَسجِدٍ في الإسلَام وَيَقَعُ فِي قَلبِ مَدِينَةِ مَكَّة، تَتَوَسَّطهُ الكَعبَةُ المُشَرَّفَةُ الَّتِي هِيَ أَوَّلُ بَيتٍ وُضِعَ للنَّاسِ عَلَى وَجهِ الأرضِ لِيَعبُدُوا اللهَ فِيهِ، وَهَذِهِ هِيَ أعظَمُ وَأقدَسُ بُقعَةٍ عَلَى وَجهِ الأرضِ باستِثنَاءِ البُقعَةِ الَّتِي فِيهَا جَسَدُ رَسُولِ اللهِ [1]، وَالمَسجِدُ الحَرَام هُوَ قِبلَةُ المُسلِمِينَ فِي صَلَاتِهِم وَإِلَيهِ يَحُجُّون.

الكَعبَةُ وَمَا حَولَها مِنَ المَطَافِ وَالبِنَاءِ وَالسَّاحَاتِ المُجَهَّزَةِ للصَّلَاةِ وَيَشمَلُ جَمِيعَ التَّوسِعَةِ العُمَرِيَّةِ وَالعُثمَانِيَّةِ وَالَّتِي تَمَّت عَلى مَرِّ التَّارِيخِ بَدءًا مِن عَهدِ أَمِيرِ المُؤمِنِينَ عُمَرَ بنِ الخَطَّابِ رضي الله عنه إِلَى يَومِنَا هَذَا.

عَن أَبِي ذَرٍّ رضي الله عنه قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ ﷺ أَيُّ مَسجِدٍ وُضِعَ فِي الأَرْضِ أَوَّلًا؟ قَالَ: «**المَسجِدُ الحَرَام**» قُلتُ: ثُمَّ أَيّ؟ قَالَ: «**المَسجِدُ الأَقْصَى**» قُلتُ: كَم بَينَهُمَا؟ قَالَ: «**أَربَعُونَ سَنَةً**»[2].

وَعَن جَابِرٍ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**صَلَاةٌ فِي مَسجِدِي هَذَا أَفضَلُ مِن أَلفِ صَلَاةٍ فِيمَا سِوَاهُ إِلَّا المَسجِدَ الحَرَام، وَصَلَاةٌ فِي**

(١) قال القاضي عياض: أجمعوا على أن موضع قبره ﷺ أفضل بقاع الأرض وأن مكة والمدينة أفضل بقاع الأرض، واختلفوا في أفضلهما ما عدا موقع قبره، فقال عمر وبعض الصحابة ومالك وأكثر المدنيين: المدينة أفضل. وَقَالَ أَهْلُ مكةَ والكوفةِ والشافعيُّ وابنُ وهبٍ وابنُ حَبِيبٍ المَالِكِيَّانِ: مَكَّةُ أَفْضَلُ. **المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج**، النووي.

(٢) **صحيح مسلم**، مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، (٥٢٠).

المَسجِدِ الحَرَامِ أَفضَلُ مِن مِائَةِ أَلفِ صَلَاةٍ فِيمَا سِوَاه»[1].

فَصَلَاةٌ فِي المَسجِدِ الحَرَامِ تُسَاوِي فِي الفَضلِ صَلَوَات خَمسٍ وَخَمسِينَ سَنَةً وَسِتَّةَ أَشهُرٍ وَعِشرِينَ لَيلَةً فِي عَامَّةِ المَسَاجِدِ، عِلمًا بِأَنَّ هَذَا التَّضَاعُفَ لَا يُسقِطُ شَيئًا مِنَ الفَوَائِتِ.

حَرَمُ مَكَّةَ المُكَرَّمَة

مَا أَحَاطَ بِهَا مِن جَوَانِبِهَا، جَعَلَ اللهُ تَعَالَى حُكمَهُ حُكمَ مَكَّةَ فِي الحُرمَةِ تَشرِيفًا لَها، وَهُوَ حَرَامٌ بِحُرمَةِ اللهِ مُنذُ أَن خَلَقَ اللهُ الأَرضَ إِلَى يَوم القِيَامَةِ، وَقَد وَرَدَ أَنَّ جِبرِيلَ عليه السلام أَقَامَ إِبرَاهِيمَ عليه السلام عَلَى حُدُودِ الحَرَمِ وَأَمَرَهُ أَن يَنصِبَ عَلَيهِ الحِجَارَةَ، فَفَعَلَ ذَلِكَ، وَكَانَ أَوَّلَ مَن أَقَامَ أَنصَابَ الحَرَمِ، وَهِيَ الحَدُّ الفَاصِلُ بَينَ الحِلِّ وَالحَرَمِ.

وَبَعدَ فَتحِ مَكَّةَ بَعثَ رَسُولُ اللهِ ﷺ تَمِيمَ بنَ أَسَدٍ الخُزَاعِيّ فَجَدَّدَهَا. وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ عَنْهُ يَوْمَ فَتحِ مَكَّةَ: «**إِنَّ هَذَا البَلَدَ حَرَّمَهُ اللهُ يَومَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرضَ، فَهُوَ حَرَامٌ بِحُرمَةِ اللهِ إِلَى يَومِ القِيَامَةِ**»[2].

وَفِيمَا يَلِي مَسَافَة تَقرِيبِيَّة بَينَ المَسجِدِ الحَرَامِ وَبَعض حُدُودِ الحَرَمِ:

التَّنعِيم= ٧،٥كم / نَخْلَة= ١٣كم / أَضَاةُ لِبْنٍ= ١٦كم / الجِعْرَانَةُ= ٢٢كم / الحُدَيْبِيَةُ= ٢٢كم / جَبَلُ عَرَفَات= ٢٢كم.

---

(١) سنن ابن ماجه، ابن ماجه، كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، باب ما جاء في فضل الصلاة في المسجد الحرام ومسجد النبي ﷺ، (١٤٠٦).

(٢) صحيح مسلم، مسلم، كتاب الحج، باب تحريم مكة وصيدها وخلاها وشجرها ولقطتها إلا لمنشد على الدوام، (١٣٥٣).

مَسجِدُ التَّنعِيم: مَسجِدُ أُمِّ المُؤمِنِينَ عَائِشَةَ رضي الله عنها يَقَعُ عَلَى بُعدِ ٧,٥ كم مِنَ المَسجِدِ الحَرَام شَمَالًا عَلَى طَرِيقِ مَكَّةَ المُكَرَّمَة ـ المَدِينَةِ المُنَوَّرَة، بُنِيَ في المَكَانِ الَّذِي أَحرَمَت مِنهُ أُمُّ المُؤمِنِينَ عَائِشَة رضي الله عنها بِالعُمرَةِ فِي حَجَّةِ الوَدَاعِ سَنَةَ ١٠هـ كما رُوِيَ عَن جَابِرٍ رضي الله عنه: وَحَاضَتْ عَائِشَةُ رضي الله عنها فَنَسَكَتِ المَنَاسِكَ كُلَّهَا غَيْرَ أَنَّهَا لَم تَطُف بِالبَيتِ، فَلَمَّا طَهُرَت طَافَت بِالبَيْتِ، قَالَت: يَا رَسُولَ اللهِ تَنْطَلِقُونَ بِحَجَّةٍ وَعُمرَةٍ وَأَنْطَلِقُ بِحَجّ؟ فَأَمَرَ عَبْدَ الرَّحْمٰنِ بنَ أَبِي بَكْرٍ أَنْ يَخْرُجَ مَعَهَا إِلَى التَّنْعِيمِ، فَاعتَمَرَتْ بَعْدَ الحَجِّ[(١)].

وَعَلَى نَحوِ ٢٠٠ مِترٍ جِهَةَ الحِلِّ بِقُربِ الجَبَلِ الشَّمَالِيِّ لِمَسجِد التَّنعِيم قُتِلَ الصَّحَابِيُّ الجَلِيلُ خُبَيبُ بنُ عَدِيٍّ رضي الله عنه أَحَدُ أَسرَى بَعث الرَّجِيعِ[(٢)] سَنَةَ ٤هـ، وَقَد سَأَلَهُ أَهلُ مَكَّةَ قَبلَ أَن يَقتُلُوهُ: أَتُحِبُّ أَنَّ مُحَمَّدًا مَكَانَكَ وَنَضرِبُ عُنُقَهُ؟ قَالَ: وَاللهِ مَا أُحِبُّ أَنَّ مُحَمَّدًا الآنَ فِي مَكَانِهِ الَّذِي هُوَ فِيهِ تُصِيبُهُ شَوكَة تُؤذِيهِ، وَأَنَا جَالِسٌ فِي أَهلِي، فَقَالَ أَبُو سُفْيَان: مَا رَأَيتُ مِنَ النَّاسِ أَحَدًا يُحِبُّ أَحَدًا كَحُبِّ أَصحَابِ مُحَمَّدٍ مُحَمَّدًا، وَقَالَ خُبَيبٌ بَعدَ أَن صَلَّى رَكْعَتَين: أَمَا وَاللهِ لَولَا تَظُنُّوا أَنِّي إِنَّمَا طَوَّلتُ جَزَعًا مِنَ القَتلِ لاستَكْثَرتُ مِنَ الصَّلَاةِ، ثُمَّ قَالَ: اللَّهُمَّ

---

(١) **صحيح البخاري**، البخاري، كتاب الحج، باب تقضي الحائض المناسك كلها إلا الطواف بالبيت وإذا سعى على غير وضوء بين الصفا والمروة، (١٦٥١).

(٢) أرسل النبي ﷺ نحو سبعة نفر من أصحابه مع نفر من بني لحيان ليعلموهم أمور الدين فلما بلغوا الرجيع قتلوهم وأسروا خبيب بن عدي وزيد بن الدثنة وباعوهما لأهل مكة فقتلوهما. والرجيع ماء كان لهزيل شمال مكة على بعد نحو ٦٥كم، ويعرف اليوم بالوطية.

أَحْصِهِم عَدَدًا[١] وَاقتُلْهُم بَدَدًا[٢] وَلَا تُبْقِ مِنهُم أَحَدًا، فَكَانَ خُبَيبٌ أَوَّلَ مَن سَنَّ هَاتَينِ الرَّكعَتَينِ عِندَ القَتْلِ، ثُمَّ قَالَ أَبيَاتًا مِنهَا:

فَلَسْتُ أُبَالِي حِينَ أُقْتَلُ مُسلِمًا
عَلَى أَيِّ جَنْبٍ كَانَ فِي اللهِ مَصْرَعِي

ثُمَّ نَادَى: يَا مُحَمَّد، قَبْلَ أن يُقْتَلَ رضي الله عنه.

وَادِي النَّخلَة: مَوضِعٌ بَينَ مَكَّةَ وَالطَّائِف وَهُوَ حَدُّ الحَرَمِ في الجِهَةِ الشَّرقِيَّةِ الشَّمَالِيَّة، وَيَنقَسِمُ إِلَى نَخلَةِ اليَمَانِيَّة[٣]، وَهِيَ عَلَى يَسَارِ طَرِيقِ الطَّائِفِ - السَّيل، وَنَخلَةِ الشَّامِيَّة[٤] وَتُسَمَّى المَضِيق وَتَبعُدُ ٤٢كم عَن مَكَّةَ وَيَفصِل بَينَهُما جَبَلٌ طَوِيلٌ يُقَالُ لَهُ دَاءَة[٥].

مَسجِدُ الجِعْرَانَةِ: أَحَدُ مَسَاجِدِ مَكَّةَ المُكَرَّمَة، يَعتَمِرُ مِنهُ أَهلُ مَكَّة، ويقال الجعْرانة قَريَةٌ قَرِيبَةٌ مِنَ الحَرَمِ وَهِيَ حَدُّ الحَرَمِ المَكِّيِّ مِنَ الجِهَةِ الشَّمَالِيَّةِ الشَّرقِيَّةِ، وَالمَسجِدُ فِي صَدرِ وَادِي سَرِف[٦] عَلَى بُعدِ نَحوِ ١٥كم مِنَ المَسجِدِ الحَرَامِ[٧].

اعتَمَرَ الرَّسُولُ ﷺ مِن تِلكَ النَّاحِيَةِ وَقَد اغتَسَلَ مِن بِئرٍ هُنَاكَ.

---

(١) أي اقتُلهم بحيث لا تبقي من عددهم أحدًا.

(٢) أي اقتُلهم متباعدين عن أهليهم وأوطانهم. قَالَ ابْنُ الأثير: يُرْوَى بِكَسْرِ الْبَاءِ، جَمْعُ بِدَّة وَهِيَ الْحِصَّةُ وَالنَّصِيبُ، أي اقْتُلْهُمْ حِصَصًا مُقَسَّمَةً لِكُلِّ وَاحِدٍ حِصَّتُهُ وَنَصِيبُهُ، وَيُرْوَى بِالْفَتْحِ، أَي مُتَفَرِّقِينَ فِي الْقَتْلِ وَاحِدًا بَعْدَ وَاحِدٍ مِنَ التَّبْدِيدِ.

(٣) وادٍ عسكرت به هوازن يوم حُنين، وهي المعروفة اليوم باليمانية.

(٤) المعروفة اليوم بوادي المضيق أو وادي الليمون.

(٥) لا يُعرف اليوم اسم داءة وكل ما بين النخلتين يسمونه جبلة السعايد.

(٦) يسميه اليوم أهل مكة وادي النوارية، وهو وادٍ على بعدِ (١٥كم) شمال مكة، وفيه قبر أم المؤمنين.

(٧) Location 2134'04N 3957'04E

سُمِّيَت الجِعرَانَة بِاسمِ امرَأَةٍ كَانَت هُنَاكَ كَمَا رَوَى الفَاكِهِيُّ بِسَنَدِهِ إِلَى ابنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه فِي قَولِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَٰثًا﴾[1] نَزَلَت فِي امْرَأَةٍ مِن قُرَيشٍ مِن بَنِي تَيْم يُقَالُ لَهَا رَيْطَة وَلَقَبُهَا جِعْرَانَة وَكَانَت حَمْقَاء[2].

تَرَكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي الجِعرَانَةِ السَّبيَ وَالغَنَائِمَ الَّتي أَخَذَها مِن هَوَازِن فِي غَزوَةِ حُنَينٍ عَامَ الفَتحِ ٨ هـ، وَأَقَامَ بِهَا بِضعَ عَشرَةَ لَيلَةً لَم يقسِم الغَنَائِمَ وَهو يَنتَظِرُ قُدُومَ هَوَازِنَ تَائِبِينَ، وَلَمَّا وَزَّعَهَا جَاءَ وَفدُ هَوزان تَائِبينَ وَهُوَ بالجِعرَانَةِ، وَسَأَلُوهُ أَن يَرُدَّ إِلَيهِم سَبيَهُم وَأَموَالَهُم، فَقَالَ لَهُم: اختَارُوا: إِمَّا السَّبي وَإِمَّا المَالَ. فَاختَارُوا السَّبيَ، فَطَلَبَ مِنَ المُسلِمِينَ رَدَّ السَّبيَ بِطِيبِ النَّفسِ فَفَعَلُوا. ثُمَّ أَحرَمَ مِنهَا لَيلًا وَرَجَعَ بَعدَ أَدَاءِ العُمرَةِ فِي اللَّيلَةِ نَفسِهَا وَأَمَرَ جَيشَهُ بِالرَّحِيلِ إِلَى المَدِينَةِ المُنَوَّرَة.

وَتجدرُ الإِشارَةُ إِلَى أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَعطَى العَطَايَا للمُؤَلَّفَةِ قُلُوبهم وَغَيرِهِم، وَلَم يُعطِ شَيئًا للأَنصَارِ، فَتَكَلَّمَ بَعضُهُم، فَقَالَ ﷺ: «**يَا مَعشَرَ الأَنصَارِ أَلَا تَرْضَوْنَ أَنْ يَذهَبَ النَّاسُ بِالدُّنيَا وَتَذْهَبُونَ بِرَسُولِ اللهِ تَحُوزُونَهُ إِلَى بُيُوتِكُم**» فَبَكَى القَومُ حَتَّى أَخْضَلُوا لِحَاهُم[3] وَقَالُوا: «رَضِينَا بِرَسُولَ اللهِ قسمًا وَحَظًّا»[4]، وَفِي الجِعرَانَةِ نَزَلَ قَولُ اللهِ تَعَالَى:

---

(١) سورة النحل، آية (٩٢).

(٢) قال المفسّرون: كانت حمقاء تغزل هي وجواريها من الغداة إلى الظهر ثم تأمرهن فينقضن ما غزلن.

(٣) أي سكبوا عليها دموعهم.

(٤) **صحيح البخاري**، البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة الطائف، (٤٣٣٧)، وأخرجه أحمد في مسنده (١٨/ ٢٥٣).

﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾[1][2].

الحُدَيبية[3]: مَوضِعٌ خَارِجَ حُدُودِ الحَرَمِ، عُرِفَ بِاسمِ بِئرٍ هُنَاكَ عَلَى طَرِيقِ مَكَّةَ جُدَّةَ القَدِيم، وَيُعرَفُ الآنَ بِالشُّمَيسِي نِسبَةً إِلَى بِئرِ شُمَيس كَمَا ذَكَرَهُ الفَاسِيُّ المُتَوَفَّى سَنَةَ ٨٣٢ هـ وَبِهِ مَسجِدٌ حَدِيثٌ يَبعُدُ ٢٤كم عَنِ المَسجِدِ الحَرَامِ و٢كم عَن حَدِّ الحَرَمِ، وَقَد بُنِيَ المَسجِدُ فِي المَوضِعِ الَّذِي اعتَمَرَ مِنهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ.

وَقَد تَمَّت بِالحُدَيبِيَةِ بَيعَةُ الرِّضوَانِ سَنَةَ ٦هـ وَسَبَبُها أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ جَاءَ مَعَ أَصحَابِه إِلَى مَكَّةَ للعُمرَةِ فَمَنَعتهُم قُرَيش وَهُوَ بِالحُدَيبِيَةِ، فَأَرسَلَ عُثمَانَ بنَ عَفَّان رضي الله عنهم لِيَتَفَاوَضَ مَعَهُم، فَلَمَّا تَأَخَّرَ وَأُشِيعَ أَنَّهُ قُتِلَ، بَايَعَهُم النَّبِيُّ ﷺ عَلَى المَوتِ لِقِتَالِ قُرَيشٍ وَأَن لَا يَفِرُّوا وَنَزَلَ فِي ذَلِـكَ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ﴾[4]، ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾[5] فَعُرِفَت هَذِهِ البَيعَةُ بِبَيعَةِ الرِّضوَان.

صُلحُ الحُدَيبِيَةِ: لَمَّا رَجَعَ عُثمَانُ بنُ عَفَّان رضي الله عنه سَالِمًا وَعَرَضَت قُرَيش أَمرَ الصُّلحِ، وَتَمَّ ذَلِكَ بَعدَ مُفَاوَضَات، وَعُرِفَ بِصُلحِ الحُدَيبِيَةِ نِسبَةً إِلَى هَذَا المَكَانِ، وَنَزَلَ فِي ذَلِكَ أَثنَاءَ عَودَتِهِ ﷺ إِلَى المَدِينَةِ المُنَوَّرَةِ بَعدَ صُلحِ الحُدَيبِيَةِ: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا ۝١﴾[6]، إِلَى

(١) سورة البقرة، آية (١٩٦).

(٢) الروض الأنف، السهيلي، (٧/٢٤٦).

(٣) والياء الثانية تثقل وتخفف.

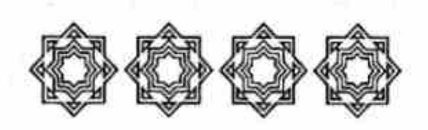
(٤) سورة الفتح، آية (١٠).

(٥) سورة الفتح، آية (١٨).

(٦) سورة الفتح، آية (١).

قوله تعالى: ﴿وَكَانَ ذَٰلِكَ عِندَ ٱللَّهِ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾[1].

وَفِي هَذَا المَكَانِ حَصَلَت مُعجِزَةُ نَبعِ المَاءِ مِن بَينِ أَصَابعِ النَّبِيِّ ﷺ فَقَدْ رَوَى البُخَارِيُّ[2] مِن حَدِيثِ جَابِرٍ رضي الله عنه قَالَ: عَطِشَ النَّاسُ يَومَ الحُدَيبِيَةِ وَالنَّبِيُّ ﷺ بَيْنَ يَدَيهِ رِكوَةٌ[3] فَتَوَضَّأَ، فَجَهِشَ النَّاسُ نَحْوَهُ،[4] فَقَالَ: «مَا لَكُم؟» قَالُوا: لَيسَ عِندَنَا مَاءٌ نَتَوَضَّأُ وَلَا نَشرَبُ إِلَّا مَا بَينَ يَدَيْكَ، فَوَضَعَ يَدَهُ فِي الرِّكْوَةِ فَجَعَلَ المَاءُ يَفُورُ بَينَ أَصَابِعِهِ كَأَمثَالِ العُيُونِ، قَالَ: فَشَرِبْنَا وَتَوَضَّأْنَا، قُلتُ: كَمْ كُنْتُم؟ قَالَ: لَوْ كُنَّا مِائَةَ أَلفٍ لَكَفَانَا، كُنَّا خَمْسَ عَشرَةَ مِائَةً.



---

(١) **سورة الفتح**، آية (٥).

(٢) **صحيح البخاري**، البخاري، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، (٣٥٧٦).

(٣) الركوة إناءٌ صغير من جلد يشرب فيه.

(٤) أي استقبلوه متهيئين للبكاء مستعدين له، وقال ابن الجوزي: أي فزعوا إليه وأسرعوا نحوه واستغاثوا به. **كشف المشكل**، ابن الجوزي، (٥/٣٣).

بَيعَةُ الرِّضوَانِ وَصُلْحُ الحُدَيبيَةِ(١)

فِي شَهرِ ذِي القَعدَةِ مِن العَامِ السَّادِسِ للهِجرَةِ، أَعلَنَ النَّبيُّ ﷺ أَنَّهُ يُرِيدُ المَسِيرَ إِلَى مَكَّةَ لأَدَاءِ العُمرَة، وَأَذَّنَ فِي أَصحَابِهِ بِالرَّحِيلِ إِلَيهَا لأَدَائِهَا، وَسَارَ النَّبيُّ ﷺ بِألفٍ وَأَربَعمِائَةٍ مِنَ المُهَاجِرِينَ وَالأَنصَار، وَكَانَ مَعَهُم سِلَاحُ السَّفَر، وَلَبِسُوا لِبَاسَ الإِحرَامِ لِيُؤَكِّدُوا لِقُرَيشٍ أَنَّهُم يُرِيدُونَ العُمرَةَ وَلَا يَقصِدُون الحَربَ، وَمَا حَملُوا مِن سُيُوفٍ إِنَّمَا كَانَ للحِمَايَةِ مِمَّا قَد يَعتَرِضُهُم فِي الطَّرِيقِ. وَعِندَمَا وَصَلُوا إِلَى ذِي الحُلَيفَةِ أَحرَمُوا بِالعُمرَةِ، فَلَمَّا اقتَرَبُوا مِن مَكَّةَ بَلَغَهُم أَنَّ قُرَيشًا جَمَعَت الجُمُوعَ لِمُقَاتَلَتِهِم وَصَدِّهِم عَنِ البَيتِ الحَرَامِ.

فَلَمَّا نَزَلَ النَّبيُّ ﷺ بِالحُدَيبِيَةِ أَرسَلَ عُثمَانَ بنَ عَفَّان رضي الله عنه إِلَى قُرَيشٍ وَقَالَ لَهُ: «أَخبِرهُم أَنَّا لَم نَأتِ لِقِتَالٍ، وَإِنَّمَا جِئنَا عُمَّارًا، وَادعُهُم إِلَى الإِسلَامِ، وَأَمَرَهُ أَن يَأتِيَ رِجَالًا بِمَكَّةَ مُؤمِنِينَ وَنِسَاءً مُؤمِنَات فَيُبَشِّرَهُم بِالفَتْحِ، فَأَتى قُرَيشًا، فَقَالُوا: إِلَى أَينَ؟ فَقَالَ: بَعَثَنِي رَسُولُ اللهِ أَدعُوكُم إِلَى اللهِ وَإِلَى الإِسلَامِ، وَيُخبِرُكُم: أَنَّهُ لَم يَأتِ لِقِتَالٍ، وَإِنَّمَا جِئنَا عُمَّارًا. قَالُوا: قَد سَمِعنَا مَا تَقُولُ، فَانفُذ إِلَى حَاجَتِكَ».

وَلَكِنَّ عُثمَانَ احتَبَسَتهُ قُرَيش فَتَأَخَّرَ في الرُّجُوعِ إِلَى المُسلِمِين، فَخَافَ النَّبيُّ ﷺ عَلَيهِ، وَخَاصَّةً بَعدَ أَن شَاعَ أَنَّهُ قَد قُتِلَ، فَدَعَا إِلَى البَيعَةِ فَتَبَادَرُوا إِلَيهِ، وَهُوَ تَحتَ الشَّجَرَةِ، فَبَايَعُوهُ عَلَى أَن لَا يَفِرُّوا، وَهَذِهِ هِيَ بَيعَةُ الرِّضوَان وَنَزَلَت ءَايَاتٌ مِنَ القُرءَانِ: ﴿۞لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ

(١) Location 2126'30N 3937'31E

ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾﴾[1].

وَقَامَت قُرَيشٌ بِإِرسَالِ عُروَةَ بنِ مَسعُودٍ الثَّقَفِيِّ إِلَى المُسلِمِينَ فَرَجَعَ إِلَى أَصحَابِهِ، فَقَالَ: «أيْ قَوْمِ، وَاللهِ لَقَدْ وَفَدْتُ عَلَى المُلُوكِ ووفدتُ على كِسرَى وَقَيصَرَ وَالنَّجَاشِيِّ، وَاللهِ إِنْ رَأَيتُ مَلِكًا يُعَظِّمُهُ أَصحَابُهُ كَمَا يُعَظِّمُ أَصحَاب مُحَمَّدٍ مُحَمَّدًا. وَالله إِنْ تَنَخَّمَ نُخَامَةً إِلَّا وَقَعَت فِي كَفِّ رَجُلٍ مِنهُم، فَدَلَكَ بِهَا وَجهَهُ وَجِلدَهُ، وَإِذَا أَمَرَهُمُ ابْتَدَرُوا أَمرَهُ، وَإِذَا تَوَضَّأَ كَادُوا يَقتَتِلُونَ[2] عَلَى وَضُوئِهِ، وَإِذَا تَكَلَّمَ خَفَضُوا أَصوَاتَهُم، وَمَا يُحِدُّونَ إِلَيهِ النَّظَرَ تَعظِيمًا لَهُ. ثُمَّ قَالَ: وَإِنَّهُ قَد عَرَضَ عَلَيكُم خُطَّةَ رُشدٍ فَاقبَلُوهَا»[3].

ثُمَّ أَسرَعَت قُرَيش فِي إِرسَالِ سُهَيلِ بنِ عَمرٍو لِعَقدِ الصُّلحِ، فَلَمَّا رَءَاهُ النَّبِيُّ ﷺ قَالَ: «قَد سَهُلَ لَكُم أَمرُكُم، أَرَادَ القَومُ الصُّلحَ حِينَ بَعَثُوا هَذَا الرَّجُلَ، فَتَكَلَّمَ سَهلًا طَوِيلًا ثُمَّ اتَّفَقَا عَلَى قَوَاعِدِ الصُّلحِ».

فَلَمَّا اتَّفَقَ الطَّرَفَانِ عَلَى الصُّلحِ دَعَا رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلِيَّ بنَ أَبِي طَالِبٍ فَقَالَ لَهُ: «اكتُب يَا عَلِيّ: بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ».

فَقَالَ لَهُ سُهَيلٌ: وَاللهِ مَا نَدرِي مَا الرَّحْمَٰنُ وَلَكِن اكتُب: بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ، كَمَا كُنتَ تَكتُب[4].

---

(١) سورة الفتح، آية (١٨).

(٢) يسرعون ويتزاحمون حرصًا لِلْحصول على شيءٍ في ماءِ وضوئهِ لِلتَبرُّكِ بَعْدَ أنْ لامَسَ جسده ﷺ.

(٣) صحيح البخاري، البخاري، كتاب الشروط، باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب.

(٤) أي كما كان الكاتب يكتب بأمر النبي ﷺ.

فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «امحُهَا يَا عَلِيّ وَاكتُب بِاسمِكَ اللَّهُمَّ».

ثُمَّ أَكمَلَ قَائِلًا: «**هَذَا مَا صَالَحَ عَلَيهِ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ سُهَيلَ بنَ عَمرٍو**».

فَقَالَ سُهَيل: وَاللهِ لَو نَعلَمُ أَنَّكَ رَسُولُ اللهِ مَا صَدَدْنَاكَ عَنِ البَيتِ، وَلَكِن اكتُب مُحَمَّدُ بنُ عَبْدِ اللهِ.

فَقَالَ ﷺ: «**إِنِّي رَسُولُ اللهِ وَإِن كَذَّبتُمُونِي، اكتُب مُحَمَّدُ بنُ عَبْدِ الله**».

فَقَالَ: امحهَا يَا عَلِيّ، فَرَفَضَ سَيِّدُنَا عَلِيٌّ أَن يَمحُوَهَا[1] وَقَالَ: وَاللهِ لَا أَمحُوكَ يَا رَسُولَ اللهِ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «أَينَ هِيَ»، فَأَشَارَ إِلَيهَا فَمَحَاهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ وَكَتَب سَيِّدُنَا عَلِيٌّ: مُحَمَّدُ بنُ عَبدِ الله.

ثُمَّ تَمَّت كِتَابَةُ الصَّحِيفَةِ عَلَى الشُّرُوطِ التَّالِيَةِ:

أَنَّ مَن أَرَادَ أَن يَدخُلَ فِي عَهدِ قُرَيشٍ دَخَلَ فِيهِ، وَمَن أَرَادَ أَن يَدخُلَ في عَهدِ مُحَمَّدٍ مِن غَيرِ قُرَيشٍ دَخَلَ فِيهِ.

وَيَمنَعُونَ الحَربَ لِمُدَّةِ عَشرِ سِنِين.

أَن يَعُوْد المُسلِمُونَ ذَلِكَ العَام عَلَى أَن يَدخُلُوا مَكَّةَ مُعتَمِرِينَ فِي العَام المُقبِلِ.

عَدَمُ الاعتِدَاءِ عَلَى أَيِّ قَبِيلَةٍ أَو عَلَى بَعضٍ مَهمَا كَانَتِ الأَسبَاب.

أَن يَرُدَّ المُسلِمُون مَن يَأتِيهِم مِن قُرَيشٍ مُسلِمًا بِدُونِ إِذنِ وَلِيِّهِ، وَأَلَّا

---

(١) سيدنا علي لم يفهم تحتم الأمر بالمحو، وليس مراده مخالفة أمر رسول الله ﷺ.

تَرُدَّ قُرِيش مَن يَعُودُ إِلَيهَا مِنَ المُسلِمِين.

فَلَمَّا فَرَغَ مِن قَضِيَّةِ الكِتَابِ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ لأَصحَابِهِ: «**يَا أَيُّها النَّاسُ انحَرُوا وَاحلِقُوا**»، فَمَا قَامَ أَحَدٌ، حَتَّى قَالهَا ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، فَلَمَّا لَم يَقُم أَحَدٌ، دَخَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَى زَوجِهِ أُمّ سَلَمَةَ فَقَالَ: «**يَا أُمَّ سَلَمَة مَا شَأْنُ النَّاسِ؟** قَالَت: يَا رَسُولَ اللهِ قَد دَخَلَهُم مَا رَأَيت، فَلَا تُكَلِّمَن مِنهُم إِنسَانًا، وَاعمد إِلَى هَدْيِكَ حَيثُ كَانَ فَانحَر، وَاحلِق فَلَو قَد فَعَلتَ ذَلِكَ، فَعَلَ النَّاسُ ذَلِكَ، فَخَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لَا يُكَلِّمُ أَحَدًا حَتَّى أَتَى هَديَهُ فَنَحَرَهُ ثُمَّ جَلَسَ فَحَلَق، فَقَامَ النَّاسُ يَنحَرُونَ وَيَحلِقُونَ».

أَضَاةُ لِبْنٍ، والأَضَاةُ: المُستَنقِعُ مِن سَيلٍ وَغَيرِهِ وَجَمعُهُ أَضوَات وَأَضَيَات وَإِنَّما سُمِّيَت أَضَاةَ لِبنٍ لأَنَّ الجَبلَ المُطِلّ عَلَيها يُقَالُ لَهُ لِبنٌ لأَنَّ لَونَهُ يَمِيلُ إِلَى البَيَاضِ، وَعِندَهَا حَدُّ الحَرَمِ الجَنُوبِيّ. تَبعُدُ ١٦كم مِن المَسجِدِ الحَرَام وَيُقَالُ لَها اليَوم العَقِيشِيَّة نِسبَةً إِلَى رَجُلٍ يُقَالُ لَهُ ابنُ عَقِيشٍ كَانَ يَملِكُ أَضَاة لِبنٍ فِي القَرنِ التَّاسِعِ الهِجْرِيّ.

عَرَفَات: هُوَ جَبَلٌ يَقَعُ عَلَى بُعدِ ٢٢ كم شَرقي مَكَّة.

أَهلُ الحَرَم: هُمُ الَّذِين يَسكُنُونَ فِي مَكَّةَ المُكَرَّمَة وَالنَّازِلُونَ فِيهَا دَاخِلَ حُدُودِ الحَرَمِ فَإِحرَامُهُم للحَجّ مِن مَكَانِهِم فِي الحَرَمِ، وَإِحرَامُهُم للعُمرَةِ مِن أَيّ حَدٍّ مِن حُدُودِ الحَرَمِ الحِلّ.

أَهلُ الحِلِّ: هُمُ الَّذِينَ مَنَازِلُهُم فِي المِيقَاتِ أَو دَاخِلَ المِيقَاتِ إِلَى الحَرَمِ، وَهُم يُحرِمُونَ للحَجِّ وَالعُمرَةِ مِن مَنَازِلِهِم.

الآفَاقِيُّون: هُمُ الَّذِينَ يَسكُنُونَ خَارِجَ حُدُودِ المَوَاقِيتِ فَإِحرَامُهُم للحَجّ وَالعُمرَةِ حَسَبَ مُرُورِهِم مِن أَحَدِ المَوَاقِيتِ الآتِيَةِ:

مَوَاقِيتُ الإِحرَامِ

وَقَّتَ النَّبِيُّ ﷺ لأهلِ المَدِينَةِ ذَا الحُلَيفَة، وَلأهلِ الشَّامِ الجُحفَة، وَلأهلِ نَجدٍ قَرنَ المَنَازِل، وَلأهلِ اليَمَنِ يَلَمْلَم، هُنّ لَهُنَّ وَلِمَن أتى عَلَيهِنَّ مِن غَيرِهِنَّ مِمَّن أرَادَ الحَجَّ وَالعُمرَةَ.

وَمَن كَانَ دُونَ ذَلِكَ فَمِن حَيثُ أَنشَأَ حَتَّى أَهْلُ مَكَّةَ مِن مَكَّةَ[1]، وَفِي رِوَايَةِ مُسلِمٍ: وَمُهَلُّ أهلِ العِرَاقِ مِن ذَاتِ عِرْقٍ[2].

فِيمَا يَلِي مَسَافَة تَقرِيبِيَّة بَينَ مَكَّةَ وَالمَوَاقِيت

ذُو الحُلَيفَة= ٤٥٠كم / الجُحْفَةُ= ١٨٧كم / يَلَمْلَم= ١٣٠كم / ذَاتُ عِرْق= ٩٠كم / قَرنُ المَنَازِل= ٨٠كم.

ذُو الحُلَيفَة: وَيُقَالُ لَهُ: أَبيَارُ عَلِي[3]، وَهُوَ مِيقَاتُ أهلِ المَدِينَةِ وَمَن مَرَّ بِهِ، يَبعُدُ ٤٤٠ كم عَن مَكَّةَ المُكَرَّمَة فِي جِهَتِهَا الشَّمَالِيَّة وَ ١٠ كم عَنِ المَسجِدِ النَّبَوِيِّ الشَّرِيف.

---

(١) صحيح البخاري، البخاري، كتاب الحج، باب مهل أهل اليمن، (١٥٣٠).

(٢) صحيح مسلم، مسلم، كتاب الحج، باب مواقيت الحج والعمرة، (١١٨٣). وسُمّي بذلك لأن به عِرقًا أي جبلًا صغيرا.

(٣) أو يقال آبار علي، وليس هو علي بن أبي طالب، بل هو علي بن دينار حاكم دارفور منذ نحو مائه سنة، وقد جاء حاجًا سنة ١٣١٩هـ، فجدد مسجد ذي الحليفة وحفر للحجاج آبارًا. وقيل بل الاسم موجود قبل أن يأتي إليه علي بن دينار، وهو الصواب، كما ذكر **العيني** في عمدة القاري، وجمال الدين الشيباني في تاريخ المستبصر، **والشعراني** في العهود المحمدية، وابن نُجيم في البحر الرائق، والحصكفي في الدر المختار، **والعجلوني** في كشف الخفاء، وكلهم كانوا قبل حاكم دارفور.

وَبِهِ مَسجِدٌ يُعرَفُ بِمَسجِدِ ذِي الحُلَيفَةِ وَمَسجِدِ المِيقَاتِ وَمَسجِدِ الشَّجَرَةِ[1] أَوِ المُعَرّس، وَقَد وَرَدَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ إِذَا خَرَجَ إِلَى مَكَّةَ يُصَلِّي فِي مَسجِدِ الشَّجَرَةِ وَهُوَ مَوضِعُ الشَّجَرَةِ الَّتِي كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُصَلِّي تَحتَهَا عِندَ خُرُوجِهِ لِمَكَّةَ فِي حَجِّهِ وَعُمرَتِهِ، وَهُوَ مِيقَاتُ أَهلِ المَدِينَةِ المُنَوَّرَةِ وَالشَّامِ للحَجِّ، فَعَن سَيِّدِنَا عَبْدِ اللهِ بن عُمَرَ رضي الله عنه أَنَّهُ قَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ إِذَا استَوَت بِهِ رَاحِلَتُهُ قَائِمَةً عِندَ مَسجِدِ ذِي الحُلَيفَةِ أَهَلَّ فَقَالَ: «**لَبَّيكَ اللَّهُمَّ لَبَّيك، لَبَّيكَ لَا شَرِيكَ لَكَ لَبَّيك، إِنَّ الحَمدَ وَالنِّعمَةَ لَكَ وَالمُلك لَا شَرِيكَ لَك**».

يَقَعُ المَسجِدُ فِي منطَقَةِ ذِي الحُلَيفَةِ عَلَى يَسَارِ طَرِيقِ مَكَّةَ القَدِيمِ المَعْرُوف بِطَرِيقِ عُمَرَ بنِ الخَطَّابِ، وَالآبَارُ عَلَى بُعدِ ٥٠٠ مِترٍ بِمُوَاجَهَةِ البَوَّابَةِ الرَّئِيسِيَّةِ للمَسجِدِ مِن نَاحِيَةِ المَدِينَةِ، وَمَكَانُ مَسجِدِ المُعرّس[2] يَفصِلُه طَرِيقٌ إِسفَلتِي صَغِير عَن أَقصَى يَسَار مَوقِفِ السَّيَّارَاتِ الخَلفِيّ لِمَسجِدِ المِيقَاتِ[3].

قَرنُ المَنَازِلِ: وَهُوَ مِيقَاتُ أَهلِ نَجدٍ وَمَا جَاوَرَهَا مِن أَهلِ الخَلِيجِ وَغَيرِهِم القَادِمِينَ عَن طَرِيقِ الرِّيَاضِ - الطَّائِف.

---

(١) على ستة أميال من المدينة المنورة.

(٢) معنى المُعرّس: موضع نزول المسافر آخر الليل، وهو من التعريس، وكان رسول الله ﷺ ينزل فيه إذا عاد آخر الليل إلى المدينة.

(٣) Location 2424’47N 3932’40E

وَنَظَرًا لِوُجُودِ طَرِيقَينِ رَئِيسَين إِلَى مَكَّةَ المُكَرَّمَة تَمَّ تَحدِيدُ نُقطَة المِيقَاتِ وَالإِحرَام بِبِنَاءِ مَسجِدَينِ عَلَيهِمَا أَحَدُهُمَا يُعْرَفُ بِمَسْجِدِ مِيقَاتِ السَّيْلِ الكَبِيرِ، وَالثَّانِي بِمَسْجِدِ وَادِي مَحْرَم.

أ - **مَسجِدُ مِيقَاتِ السَّيلِ الكَبِيرِ**: يَقَعُ عَلَى بُعدِ ١٨٠ كم عَنِ المَسجِدِ الحَرَامِ.

ب - **مَسجِدُ وَادِي مَحْرَم**: وهو أحد مسجدَي قَرنِ المَنَازِلِ وَهُوَ مِن الجِهَةِ الجَنُوبِيَّةِ من مَسجِدِ السَّيلِ الكَبِيرِ وَبَينَهُمَا حَوَالِي ٣٣ كم، يَبعُدُ ٧٦ كم عَنِ المَسجِدِ الحرام.

وَمِنَ الأُمُورِ الَّتِي حَصَلَت فِي قَرنِ المَنَازِلِ عِندَمَا عَادَ النَّبِيُّ ﷺ مِنَ الطَّائِفِ سَنَةَ عَشرٍ مِنَ النُّبُوَّةِ حَزِينًا عَلَى مَوقِفِ أَهلِ مَكَّةَ وَالطَّائِف، رَوَى البُخَارِيُّ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لمَّا بَلَغَ قَرنَ المَنَازِلِ جَاءَهُ جِبرِيلُ وَقَالَ: إِنَّ اللهَ سَمِعَ قَولَ قَومِكَ لَكَ وَمَا رَدُّوا عَلَيكَ، وَقَد بَعَثَ اللهُ إِلَيكَ مَلَكَ الجِبَالِ لِتَأمُرَهُ بِمَا شِئتَ فِيهِم، فَنَادَانِي مَلَكُ الجِبَالِ فَسَلَّمَ عَلَيَّ ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ ذَلِكَ فِيمَا شِئْتَ، إِنْ شِئْتَ أَنْ أُطْبِقَ عَلَيهِمُ الأَخْشَبَيْنِ لَفَعَلْتُ - وَالأَخْشَبَانِ هُمَا جَبَلَا مَكَّة، أَبُو قُبَيسٍ وَمَا يُقَابِلُهُ وهُوَ قُعَيْقِعَان - فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**بَل أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللهُ مِنْ أَصْلَابِهِم مَن يَعْبُدُ اللهَ وَحْدَهُ، لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا**»[1].

ذَاتُ عِرْقٍ: مَنسُوبٌ إِلَى جَبَلٍ يَعلُوهُ عِرقٌ أَسوَدُ، وَيُعرَفُ الآنَ بِالغَرِيبَة، وَيَبعُدُ عَن مَكَّةَ مَسَافَة ١١٠ كم شَمَالًا.

---

(١) **صحيح البخاري**، البخاري، كتاب بدء الخلق، باب إذا قال أحدكم آمين والملائكة في السماء ءامين فوافقت إحداهما الأخرى غفر له ما تقدم من ذنبه، (**٣٢٣١**).

وَهُوَ مِيقَاتُ أَهْلِ العِرَاقِ وَمَن مَرَّ بِهِ، كَمَا قَالَ ابنُ عُمَرَ رضي الله عنه لمَّا فُتِحَ هَذَانِ المِصرَانِ ـ الكُوفة وَالبَصرة ـ أَتَوا عُمَرَ فَقَالُوا: يَا أَمِيرَ المُؤمِنِينَ إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ حَدَّ لأَهلِ نَجدٍ قَرنًا، وَهُوَ جَوْرٌ عَن طَرِيقِنَا[١]، وَإِنَّا إِن أَرَدنَا قَرنًا شَقَّ عَلَيْنَا، قَالَ: فَانْظُرُوا حَذْوَهَا[٢] مِن طَرِيقِكُم، فَحَدَّ لَهُم ذَاتَ عِرْقٍ[٣].

وَفِي رِوَايَةٍ عَن عَائِشَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ وَقَّتَ لأَهْلِ العِرَاقِ ذَاتَ عِرْقٍ[٤].

وَيَقَعُ فِي الشَّمَالِ الشَّرقِيِّ مِنَ المَسجِدِ الحَرَامِ عَلَى بُعدِ نَحوِ ٩٠ كم، وَإِلَى الشَّمَالِ مِن مَسجِدِ السَّيلِ الكَبِيرِ عَلَى بُعدِ ٣٥ كم.

يَلَمْلَم[٥]: وَيُعرَفُ الآنَ بِالسَّعدِيَّة وَهُوَ مِيقَاتُ أَهلِ اليَمَنِ وَجَنُوب البِلَادِ المَارِّينَ بِهِ، يَقَعُ عَلَى بُعدِ ٨٥ كم جَنُوب مَكَّةَ المُكَرَّمَة.

الجُحفَةُ[٦]: مِيقَاتُ أَهلِ مِصرَ وَالشَّامِ وَمَا يَلِيهِم مِنَ القَادِمِينَ عَلَيهِ، يَقَعُ عَلَى بُعدِ ١٨٧كم عَنِ المَسجِدِ الحَرَامِ فِي الجِهَةِ الشَّمَالِيَّةِ الغَربِيَّةِ مِنهُ، وَيَبعُدُ ١٧ كم عَن مَدِينَةِ رَابغ فِي الجِهَةِ الجَنُوبِيَّةِ الشَّرقِيَّةِ مِنهُ، وَعَنِ البَحرِ الأَحمَرِ ١٥ كم شَرقًا.

---

(١) أي مُنحرف ومنعَدِل عنه.

(٢) أي مقابِلَها. أي اعتبروا ما يُقابلُ الميقاتَ من الأرض التي تسْلُكونَها من غير مَيْلٍ فاجعَلوُه ميقاتًا.

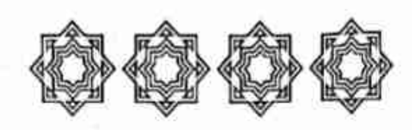
(٣) **صحيح البخاري**، البخاري، كتاب الحج، باب ذات عرق لأهل العراق، (١٥٣١).

(٤) **سنن أبي داود**، أبو داود، كتاب المناسك، باب في المواقيت، (١٧٣٩).

(٥) ويقال: أَلَملم، وهو يُصرف ولا يُضف، وهو جبلٌ من جبال تِهامة.

(٦) وسُمِّيت بذلك لأنها كانت قريةً جامعةً، فاجتحفها السيل أي استأصلها، وقيل كان اسمها مَهْيَعَة.

وَتَجدُر الإِشَارَةُ إِلَى أَنَّ العَبَّاسَ بن عَبدِ المُطَّلِبِ لَقِيَ النَّبِيَّ ﷺ بِالجُحفَةِ أَثنَاءَ مَجِيئِهِ ﷺ لِغَزوَةِ الفَتحِ سَنَةَ ٨ هـ، وَقَد خَرَجَ العَبَّاسُ مِن مَكَّةَ المُكَرَّمَةِ مُهَاجِرًا بِعِيَالِهِ[(١)].



(١) السيرة، ابن هشام، (٣/ ٤٠٠).

الكَعبَةُ المُشَرَّفَة

الكَعبَةُ المُشَرَّفَةُ هِيَ قِبلَةُ المُسلِمِينَ فِي صَلَوَاتِهِم الَّتِي رَضِيَهَا اللهُ تَبارَكَ وَتَعَالَى لِرَسُولِهِ ﷺ بِقَولِهِ: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾(١) وَحَولَهَا يَطُوفُ المُسْلِمون في حَجِّهِم وَيَتَوَجَّهُونَ إِلَيهَا عِندَ دُعَائِهِم وَتَهوَاهَا أَفئِدَتُهُم وَتَتَطَلَّعُ للوُصولِ إِلَيهَا مِن كُلِّ أَرجَاءِ العَالَم. وَقَد أَمَرَ اللهُ إِبرَاهِيمَ عليه السلام أَن يُؤَذِّنَ فِي النَّاسِ بِأَن يَزُورُوهَا وَيَحجُّوا إِلَيهَا.

وَيُروَى عَن ابنِ عُمَرَ رضي الله عنه أَنَّهُ كَانَ يَطُوفُ بِالكَعبَةِ المُشَرَّفَةِ وَيَقُولُ: «مَا أَعْظَمَك وَأَعْظَمَ حُرْمَتَك، وَلَكِنَّ المُؤمِنَ أَعظَمُ حُرمَةً عِندَ اللهِ مِنْك»(٢).

وَتُفِيدُ الرِّوَايَاتُ التَّارِيخِيَّة أَنَّ الكَعبَةَ بُنِيَت إِحدَى عَشرَة مَرَّةً وقيلَ غير ذلك، فَأَوَّلُ مَن بَنَاهَا مِنَ البَشَرِ سَيِّدُنَا ءَادَمُ ثُمَّ شِيثٌ ابنُ ءَادَم ثم إِبرَاهِيمُ وَإِسمَاعِيلُ ثُمَّ العَمَالِقَةُ(٣) ثُمَّ جُرْهُم(٤) ثُمَّ قُصَيُّ بنُ كِلَابٍ ثُمَّ قُرَيشٌ ثُمَّ

---

(١) سورة البقرة، آية (١٤٤).

(٢) ومن العرش. سنن الترمذي، الترمذي، أبواب البر والصلة عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في تعظيم المؤمن. سنن ابن ماجه، ابن ماجه، كتاب الفتن، باب حرمة دم المؤمن وماله.

(٣) قبيلة من العرب العاربة نسبة إلى عملاق بن لاوذ بن إرم بن سام بن نوح وهم قبيلة أهلها عظيمو الطول والجثمان، نزل بعضهم الحرم، ونزل بعضهم الشام، ونزل بعضهم فارس. نهاية الأرب، القلقشندي (١/ ١٤٩- ١٥٠).

(٤) قبيلة من العرب العاربة من القحطانية نسبة إلى قحطان. ولي جُرهم الحجاز، وولي أخوه يَعرُب اليمن وهما ولدا قحطان. نهاية الأرب، القلقشندي، (١/ ٢١١).

عَبْدُ اللهِ بنُ الزُّبَيرِ عَامَ خَمسٍ وَسِتِّينَ للهِجرَةِ، ثُمَّ الحَجَّاجُ بنُ يُوسُفَ عَامَ أَربَعَةٍ وَسَبعِينَ للهِجرَةِ، وقَد كَانَتِ الكَعبَةُ حَتَّى القَرن التَّاسِع عَشَر مُحَاطَة بِعِدَّةِ مَبَانٍ صَغِيرَة.

وَأَمَّا صِفَتُهَا اليَوم فَإِنَّهَا بِنَاءٌ مُكَعَّب الشَّكلِ، يَبلُغُ ارتِفَاعُهَا خَمسَةَ عَشرَ مِترًا، وَيَبلُغُ طُولُ ضِلعِهَا الَّذِي بِه بَابُهَا اثنَي عَشرَ مِترًا وَكَذَا الضِّلعُ الَّذِي يُقَابِلُه، وَالبَابُ هُوَ المَنفَذُ الوَحِيدُ للكَعبَةِ، يُفتَحُ ثَلَاث مَرَّاتٍ سَنَوِيًّا لِغَسلِ دَاخِلِهَا بِمَاءِ زَمزَمَ وَكَانَ مَصنُوعًا مِنَ الفِضَّةِ وَيَعُودُ ذَلِكَ إِلَى زَمَنِ العُثمَانِيِّين، وَقَد تَمَّ استِبدَالُه بَعدَ عَمَلِيَّاتِ التَّرمِيم، وَعَلَى البَابِ زُهُورٌ وَكِتَابَاتٌ عَرَبِيَّةٌ وَءَايَاتٌ قُرءَانِيَّةٌ وَبِجَانِبَي البَابِ تَمَّ تَعلِيقُ جُزءٍ مِنَ الكِسوَةِ الَّتِي تُحِيطُ بِالكَعبَةِ، وَالَّتِي يَتِمُّ تَجدِيدُهَا سَنَوِيًّا. يَرتَفِعُ البَابُ عَن أَرضِ المَطَافِ ٢,٥م وَعَرضُهُ ١,٧١م وَأَمَّا البَابُ المَوجُود فَقَد تَمَّ صُنعُه مِنَ الذَّهَبِ حَيثُ بَلَغَ مِقدَار الذَّهَبِ المُستَخدَم فِيهِ حَوَالي مِائَتَينِ وَثَمَانِينَ كِيلُو غِرَامًا. وَأَمَّا مِفتَاحُ الكَعبَةِ فَيُودَعُ عِندَ بَنِي شَيْبَةَ الَّذِينَ لَهُم سِدَانَةُ الكَعبَةِ كَمَا هِيَ وَصِيَّةُ النَّبِيِّ [(١)]. وَأَمَّا الضِّلعُ الَّذِي بِهِ المِيزَابُ وَّالذِي يُقَابِلُه فَطُولُهمَا عَشرَة أَمتَارٍ، وَلَم تَكُن كَذَلِكَ فِي عَهدِ إِسمَاعِيلَ عليه السلام بَل كَانَ ارتِفَاعُهَا تِسعَةَ أَذرُع، وَكَانَت دُونَ سَقفٍ، وَلَها بَابٌ مُلتَصِقٌ بِالأَرضِ حَتَّى جَاءَ تُبَّع [(٢)] فَصَنعَ لَهَا سَقفًا، ثُمَّ جَاءَ بَعدَهُ عَبدُ المُطَّلِب وَصَنَعَ لَهَا بَابًا مِن حَدِيدٍ وَحَلَّاهُ بِالذَّهَبِ، وَقَد كَانَ بِذَلِكَ أَوَّل مَن حَلَّى

---

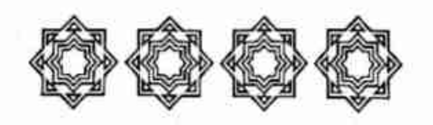
(١) كما قرره المصطفى ﷺ بقوله: «**خُذُوهَا يَا بَنِي طَلحَةَ خَالِدَةً تَالِدَةً لَا يَنزِعُهَا مِنكُم إِلَّا ظَالِمٌ**». ودفع المفتاح إلى عثمان بن أبي طلحة. انظر الطبقات لابن سعد، والمعجم الكبير والأوسط للطبراني.

(٢) وهو تُبَّع الحِميَرِي، وَاسمُهُ أَسعَد اليَمَانِيّ. عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: «نَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ سَبِّ أَسْعَدَ الْحِمْيَرِيِّ»، وَقَالَ: «هُوَ أَوَّلُ مَنْ كَسَا الْبَيْتَ» الروض الأنف، السهيلي، (١/ ٨٥).

الكَعبَةَ بِالذَّهَبِ. وَسَقفُ الكَعبَةِ مُدعَمٌ بِثَلَاثَةِ أعمِدَةٍ خَشَبِيَّةٍ مِن أجوَدِ الأنوَاعِ. وَفِي زَاوِيَةٍ مِنْ زَوَايَا الكَعبَةِ نَجِدُ أدرَاجًا ضَيِّقَةً لِلصُّعُودِ يُصعَدُ عَلَيهَا مَرَّةً فِي السَّنَةِ لِتَبدِيلِ كِسوَةِ الكَعبَةِ. ويَقَعُ الحَجَرُ الأَسوَدُ فِي الزَّاوِيَةِ الجَنُوبِيَّةِ الشَّرقِيَّةِ يَتَبَرَّكُ بِهِ المُؤمِنُون، فَهُوَ حَجَرٌ أُنزِلَ مِنَ الجَنَّةِ إِلَّا أَنَّهُ اسْوَدَّ مِن استِلَامِ المُشرِكِينَ لَهُ وَتَمَسُّحِهِم بِهِ. ويَقَعُ فِي الحَائِطِ الشَّمَالِي لِلكَعبَةِ المُشَرَّفَةِ المِيزَابُ وَذَلِكَ لِإخرَاجِ مِيَاهِ الأَمطَارِ مِن سَطحِ الكَعبَةِ. وَأَمَّا الشَّاذَروَان فَهُوَ حَجَرُ أَسَاسِ الكَعبَةِ.

وَقَد ذُكِرَت لَفظَةُ الكَعبَةِ فِي القُرءَانِ في مَوضِعَينِ، قَالَ اللهُ تَعالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡتُلُواْ ٱلصَّيۡدَ وَأَنتُمۡ حُرُمٞۚ وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدٗا فَجَزَآءٞ مِّثۡلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ يَحۡكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدۡلٖ مِّنكُمۡ هَدۡيَۢا بَٰلِغَ ٱلۡكَعۡبَةِ أَوۡ كَفَّٰرَةٞ طَعَامُ مَسَٰكِينَ أَوۡ عَدۡلُ ذَٰلِكَ صِيَامٗا لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمۡرِهِۦۗ عَفَا ٱللَّهُ عَمَّا سَلَفَۚ وَمَنۡ عَادَ فَيَنتَقِمُ ٱللَّهُ مِنۡهُۚ وَٱللَّهُ عَزِيزٞ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٩٥﴾﴾[1].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿۞جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلۡكَعۡبَةَ ٱلۡبَيۡتَ ٱلۡحَرَامَ قِيَٰمٗا لِّلنَّاسِ وَٱلشَّهۡرَ ٱلۡحَرَامَ وَٱلۡهَدۡيَ وَٱلۡقَلَٰٓئِدَۚ ذَٰلِكَ لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَأَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ ﴿٩٧﴾﴾[2].



(١) سورة المائدة، آية (٩٥).

(٢) سورة المائدة، آية (٩٧).

أَرْكَانُ الكَعْبَةِ

أَركَانُ الكَعبَةِ هِيَ زَوَايَا الكَعبَةِ الأَربَعَة، وَجَاءَت تَسمِيَتُهَا بِاعتِبَارِ اتِّجَاهَاتِهَا الأَربَع تَارَةً، وَبِاعتِبَارِ خُصُوصِيَّةٍ أُخرَى فِيهَا تَارَةً أُخرَى.

الرُّكنُ الشَّرقِيُّ: وَهُوَ الرُّكنُ الَّذِي يَكُونُ بِجِوَارِ بَابِ الكَعبَةِ وَيُقَابِلُ بِئرَ زَمزَم تَقرِيبًا، يُسَمَّى بِالرُّكنِ الشَّرقِيِّ لِكَونِهِ بِاتِّجَاهِ المَشرِقِ تَقرِيبًا، وَيُسَمَّى أَيضًا بِالرُّكنِ الأَسوَدِ لأَنَّ الحَجَرَ الأَسوَدَ مُثَبَّت فِيهِ وَمِنهُ يَبدَأُ الطَّوَافُ حَولَ الكَعبَةِ.

الرُّكنُ العِرَاقِيُّ: وَهُوَ الرُّكنُ الَّذِي يَلِي الرُّكنَ الشَّرقِيَّ حَسَبَ جِهَةِ الحَرَكَةِ فِي الطَّوَافِ، وَيُسَمَّى بِالرُّكنِ الشَّمَالِيِّ لِمُوَاجَهَتِهِ الشَّمَالَ تَقرِيبًا، وَهُوَ الرُّكنُ الَّذِي يَكُونُ عَلَى الجَانِبِ الشَّرقِيِّ مِن حِجرِ إِسمَاعِيلَ، وَيُسَمَّى أَيضًا بِالرُّكنِ العِرَاقِيِّ لِكَونِهِ بِاتِّجَاهِ العِرَاقِ.

الرُّكنُ الشَّامِيُّ: وَهُوَ الرُّكنُ الَّذِي يَلِي الرُّكنَ الشَّمَالِيَّ حَسَبَ جِهَةِ الحَرَكَةِ فِي الطَّوَافِ، وَيُسَمَّى بِالرُّكنِ الغَربِيِّ لِمُوَاجَهَتِهِ المَغرِبَ تَقرِيبًا، وَيُسَمَّى بِالرُّكنِ الشَّامِيِّ لِكَونِهِ بِاتِّجَاهِ الشَّامِ، وَهُوَ الرُّكنُ الَّذِي يَكُونُ عَلَى الجَانِبِ الغَربِيِّ مِن حِجرِ إِسمَاعِيلَ.

الرُّكنُ اليَمَانِي: وَهُوَ الرُّكنُ الَّذِي يَلِي الرُّكنَ الغَربِيَّ حَسَبَ جِهَةِ الحَرَكَةِ فِي الطَّوَافِ، وَيُسَمَّى بِالرُّكنِ الجَنُوبِيِّ لِمُوَاجَهَتِهِ الجَنُوبَ تَقرِيبًا، وَيُسَمَّى أَيضًا الرُّكنَ اليَمَانِي لِكَونِهِ بِاتِّجَاهِ اليَمَنِ.

مِن أَسمَاءِ الكَعبَةِ فِي القُرءَانِ

كَثرَةُ الأَسمَاءِ عِندَ العَرَبِ تَدُلُّ عَلَى شَرَفِ وَمَكَانَةِ الشَّيءِ المُسَمَّى[1].

فَمِن أَسمَاءِ الكَعبَةِ:

الكَعبَةُ: ﴿جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ قِيَٰمًا لِّلنَّاسِ﴾[2] وَسُمِّيَ البَيتُ بِالكَعبَةِ لِتَكَعُّبِهِ أي تَرَبُّعِهِ، وَالعَرَبُ تُسَمِّي كُلَّ بَيتٍ مُرَبَّعٍ كَعبَة، أو سُمِّيَ بِذَلِكَ لِعُلُوِّهِ وَارتِفَاعِهِ مِنَ الأَرضِ، أو لانفِرَادِهِ مِنَ البِنَاءِ.

البَيتُ وهو أول بيت: قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ ۖ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا ۗ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٧﴾﴾[3].

البَيتُ العَتِيقُ: قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَلْيُوفُوا۟ نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا۟ بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ﴾[4].

البَيتُ الحَرَام: قَالَ سُبحَانَهُ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُحِلُّوا۟ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ وَلَا ٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَلَا ٱلْهَدْىَ وَلَا ٱلْقَلَٰٓئِدَ وَلَآ ءَآمِّينَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَٰنًا ۚ وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَٱصْطَادُوا۟ ۚ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ

(١) كما ذكره النووي في تحرير ألفاظ التنبيه، والقسطلاني في شرحه على البخاري وغيرهما.

(٢) سورة المائدة، آية (٩٧).

(٣) سورة آل عمران، آية (٩٦، ٩٧).

(٤) سورة الحج، آية (٢٩).

ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا۟﴾[1].

البَيتُ المُحَرَّم: قَالَ اللهُ تَعالَى: ﴿رَّبَّنَآ إِنِّىٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴿٣٧﴾﴾[2].

البَيت الطاهر: كَمَا ذُكِرَ فِي سُورَةِ البقرة: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ۖ وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿١٢٥﴾﴾[3].

بَيتُ اللهِ: وَقَد نَسَبَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَى نَفسِهِ فِي القُرءَانِ الكَرِيمِ قَائِلًا: ﴿وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ﴾[4]، قَالَ القُرطُبِيُّ: أَضَافَ البَيتَ إِلَى نَفسِهِ إِضَافَةَ تَشرِيفٍ وَتَكرِيمٍ، وَهِيَ إِضَافَةُ مَخلُوقٍ إِلَى خَالِقٍ وَمَملُوكٍ إِلَى مَالِكٍ[5].

قِبْلَة: ﴿فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا﴾[6].

---

(١) سورة المائدة، آية (٢).

(٢) سورة إبراهيم، آية (٣٧).

(٣) سورة البقرة، آية (١٢٥).

(٤) سورة البقرة، آية (١٢٥).

(٥) الجامع لأحكام القرءان، القرطبي، (٢/ ١١٤) وكذا الخازن والفخر الرازي في تفسيرهما.

(٦) سورة البقرة، آية (١٤٤).

فضائل الكعبة

حُرمَةُ البَيتِ: لمَّا نَظَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَى الكَعبَةِ قَالَ: «**مَرحَبًا بِك مِن بَيْتٍ، مَا أَعْظَمَك وَأَعْظَمَ حُرْمَتَك، وَلَلْمُؤْمِنُ أَعْظَمُ عِنْدَ اللهِ مِنْكَ**»[1].

فَضلُ النَّظَرِ إِلَى الكَعبَةِ: وَيُستَحَبُّ الإِكثَارُ مِنَ النَّظَرِ إِلَيهَا لأَنَّهُ عِبَادَة، وَرَوى الحَسَنُ البصرِيُّ فِي رِسَالَتِهِ أَنَّهُ ﷺ قَالَ: «**مَن نَظَرَ إِلَى البيتِ إِيمَانًا وَاحتِسَابًا وَتَصدِيقًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ، وَحُشِرَ يَومَ القِيَامَةِ مِنَ الآمِنِين**»[2].

وَقَالَ ﷺ: «**يُنْزِلُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى هَذَا الْبَيْتِ كُلَّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ عِشْرِينَ وَمِائَةَ رَحْمَةٍ، سِتُّونَ مِنْهَا لِلطَّائِفِينَ، وَأَرْبَعُونَ لِلْمُصَلِّينَ، وَعِشْرُونَ لِلنَّاظِرِينَ**»[3][4].

---

(١) **شعب الإيمان**، البيهقي، (٥/ ٤٦٥).

(٢) **فضائل مكة والسكن فيها**، الحسن البصري، (ص/ ٢٣).

(٣) المعجم الكبير (١١٣٢٠)، والأوسط، الطبراني.

(٤) قال البوصيري في إتحاف الخيرة: رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ، وَحَسَّنَ الحَافِظُ الْمُنْذِرِيُّ إِسْنَادَهُ.اهـ، ولكن قال في **أسنى المطالب في أحاديث مختلفة المراتب**: حسنه المنذري، ثم العراقي وهو سهو، فقد قال الذهبي عن ابن عساكر: إن ابن السفر أحد رواته متروك، وقال ابن الجوزي: حديث لا يصح.اهـ، وقال العراقي في **تخريج أحاديث الإحياء**: وقال البلقيني في فتاويه المكية لم أقف له على إسناد صحيح، وقال الفاسي لا تقوم به حجة، ونُقل عن الحافظ ابن حجر أنه توقف فيه، لكن حسنه المنذري والعراقي والسخاوي، وإذا اجتمعت طرق هذا الحديث ارتقى إلى مرتبة الحسن إن شاء الله تعالى.إهـ، وقال الهيثمي في **مجمع الزوائد**: وَفِيهِ يُوسُفُ بْنُ السَّفَرِ، وَهُوَ مَتْرُوكٌ.اهـ، وقال السخاوي في **الأجوبة المرضية**: لكن يوسف ضعيف جدًا، قال فيه البيهقي: هو في عداد من يضع الحديث، وقد ذكر هذا الحديث من هذا الوجه ابن أبي حاتم في «**العلل**»، وقال: سألت أبي عنه فقال: هذا حديث منكر، ويوسف ضعيف الحديث شبه المتروك.اهـ، وقال ابن القيسراني في **تذكرة الحفاظ**: «**إن لله عز وجل في كل يوم وليلة عشرين ومائة رحمة ينزل على البيت**».=

بِنَاءُ قُرَيشٍ للكَعبَةِ قَبلَ البِعثَةِ

قَامَت قُرَيش بِبنَاءِ الكَعبَةِ فِي السَّنَةِ الثَّامِنَةِ عَشرة قَبلَ الهِجرَةِ، وَاتَّفَقُوا أَن لَا يُدخِلُوا فِي بِنَائِهَا إِلَّا طَيِّبًا[1] فَقَصُرَت بِهِم النَّفَقَة فَأَخرَجُوا مِن جِهَةِ الحِجرِ ثَلَاثَةَ أَمتَارٍ. وَمِن مُمَيِّزَاتِ بِنَائِهِم أَنَّهُم رَفَعُوا البَابَ مِن مُستَوَى المَطَافِ. وَسَدُّوا البَابَ الخَلفِيَّ المُقَابِلَ لِهَذَا البَابِ وَسَقفُوا الكَعبَةَ وَجَعَلُوا لَهَا مِيزَابًا يَسكُب فِي الحَطِيمِ[2]، وَرَفَعُوا بِنَاءَ الكَعبَة ثَمَانِيَةَ أَمتَارٍ وَنِصف بَعدَ أَن كَانَ أَربَعَةَ أَمتَار، وَقَد شَارَكَ النَّبِيُّ ﷺ فِي البِنَاءِ بِنَقلِ الحِجَارَةِ وَوَضعِ الحَجَرِ الأَسوَدِ بَعدَ مَا اختَلَفَتِ القَبَائِلُ حَولَ مَن سَيَكُون لَهُ شَرَف إِعَادَةِ الحَجَرِ الأَسوَدِ لِمَكَانِهِ فَاتَّفَقُوا عَلَى أَنَّ أَوَّلَ مَن سَيَدخُلُ عَلَيهِم يُحكِّمُونَهُ فِيمَا بَينَهُم فَكَانَ أَوَّل مَن دَخَلَ هُوَ النَّبِيُّ ﷺ وَوَضَعَ الحَجَرَ الأَسوَدَ بِيَدَيهِ فِي مَكَانِهِ فَحَلَّ بِذَلِكَ خِلَافَاتهم الَّتِي كَادَت تُسَبِّبُ حُرُوبًا بَينَ قَبَائِلِ العَرَب.

= رواه سعيد بن سالم القداح، عن ابن جريج، عن عطاء، عن ابن عباس. وسعيد هذا ضعيف. ورواه يوسف بن الفيض عن الأوزاعي عن عطاء عن ابن عباس، ويوسف يروي عن الأوزاعي المناكير الكثير كأنه متعمد لها.اهـ، وقال ابن الجوزي في **العلل المتناهية**: هَذَا حديث لا يَصِحُّ، أَمَّا الطَّرِيقُ الأَوَّلُ ففيه يوسف بن السفر، قال الدارقطني: تفرد به، وقال أَبُو زرعة والنسائي: متروك الحديث، وقال دحيم: ليس بشيء، وقال الدارقطني: يكذب، وقال ابن حبان: لا يحل الاحتجاج به، وأما الطريق الثاني ففيه سَعِيد بن سالم، قَالَ يَحْيَى: لَيْسَ بِشَيْءٍ، وَفِيهِ سليم بْن مُسْلِم، قال: يَحْيَى ليس بثقة، وقال أَحْمَد: لا يُسَاوِي حَدِيثُهُ شَيْئًا، وَقَالَ النِّسَائِيُّ: مَتروك الحديث.

(١) أي من الكسْب الطيب. وروى الطبري في تاريخه وابن كثير في البداية والنهاية أن أبا وَهْب بن عمرو المخزومي قال: يا معشر قريش لا تدخلوا في بنيانها من كسبكم إلا طيبًا ولا تُدخلوا فيها مهر بغيّ ولا بيع ربا ولا مظلمة أحد من الناس.

(٢) وهو جانب الكعبة من جهة الشمال وهو عبارة عن بناءٍ قبالة الميزاب من خارج الكعبة.

الحَجَرُ الأَسوَدُ[1]

هُوَ الحَجَرُ الـمُثبَّت فِي الرُّكنِ الجَنُوبِيّ للكَعبَةِ عَلَى ارتِفَاعِ ١,١٠م مِن أَرضِ المَطَافِ. طُولُه ٢٥ سم وَعرضُهُ نَحوُ ١٧ سم، وَهُوَ مَغرُوسٌ فِي جِدَارِ الكَعبَةِ. قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَيَبعَثَنَّ اللهُ الحَجَرَ يَومَ القِيَامَةِ لَهُ عَينَانِ يُبصِرُ بِهِمَا وَلِسَانٌ يَنطِقُ بِهِ يَشهَدُ عَلَى مَن استَلَمَهُ بِحَقٍّ**»[2].

وَعَن عَبدِ اللهِ بنِ عَمرِو بنِ العَاصِ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**يَأْتِي الرُّكنُ يَومَ القِيَامَةِ أَعظَمَ مِن أَبِي قُبَيسٍ لَهُ لِسَانٌ وَشَفَتَانِ يَتَكَلَّمُ عَمَّن استَلَمَهُ بِالنِّيَّةِ وَهُوَ يَمِينُ اللهِ الَّتِي يُصَافِحُ**[3] **بِهَا خَلقَهُ**»[4].

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَا مِن أَحَدٍ يَدعُو اللهَ عِندَ الرُّكنِ الأَسوَدِ إِلَّا استَجَابَ اللهُ لَهُ**» أَخرَجَهُ القَاضِي عِيَاضٌ فِي كِتَابِ الشِّفَا[5].

لون الحجر: قال رسول الله ﷺ: «**نَزَلَ الحَجَرُ الأَسوَدُ مِنَ الجَنَّةِ وَهُوَ**

---

(١) الحجر الأسود من أحجار الجنة كان مودعًا بجبل أبي قبيس، ووضع في مكة بالركن الشرقي من الكعبة المشرفة بأمر الله عز وجل لخليله إبراهيم في نهاية بنائه الكعبة ليكون للناس علمًا.

(٢) السنن الكبرى، البيهقي، كتاب الحج، باب ما ورد في الحجر الأسود، (٥/ ١٢٢).

(٣) قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري (٣/ ٤٦٣): «أي أن من صافحه في الأرض كان له عند الله عهد». وقال ابن بطال في شرح البخاري (٤/ ٢٧٩): «معاذ الله أن يكون لله جارحة مجسمة بائنة عن ذاته، مع أن معناه التذلل لله والخضوع».

(٤) المسند، الإمام أحمد، (٦٩٧٨). مجمع الزوائد، الهيثمي (٣/ ٢٤٢)

(٥) الشفا بتعريف حقوق المصطفى، القاضي عياض، (ص/ ٥٩٩)، (ح/ ١٥١٦).

أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ فَسَوَّدَتْهُ خَطَايَا بَنِي ءَادَم»[١] وَهُنَاكَ رِوَايَات تَدُلُّ عَلَى أَنَّ الجُزءَ المَغرُوسَ فِي الكَعبَةِ أَبيَض، مِنهَا مَا رُوِيَ عَن مُجَاهِدٍ قَالَ: نَظَرتُ إِلَى الرُّكنِ حِينَ نَقَضَ ابنُ الزُّبَيرِ رضي الله عنه البَيتَ وَبَنَاهُ، فَإِذَا كُلُّ شَيءٍ مِنهُ دَاخِلَ البَيتِ أَبيَض فَعَلِمَ أَنَّ الَّذِي اسْوَدَّ مِنهُ بِسَبَبِ الخَطَايَا هُوَ الجُزءُ الظَّاهِرُ مِنهُ فَقَط.

عَن عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَت: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«أَكثِرُوا استِلَامَ هَذَا الحَجَرَ فَإِنَّكُم تُوشِكُونَ أَن تَفقِدُوهُ، بَينَمَا النَّاسُ يَطُوفُونَ بِهِ ذَاتَ لَيلَةٍ إِذْ أَصبَحُوا وَقَد فَقَدُوهُ، إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ لَا يُنزِلُ شَيئا مِنَ الجَنَّةِ فِي الأَرضِ إِلَّا أَعَادَهُ فِيهَا قَبلَ يَومِ القِيَامَةِ»**[٢].

وَعَن عَبدِ اللهِ بنِ عَمرِو بنِ العَاصِ رضي الله عنه أَنَّهُ قَالَ: إِنَّ اللهَ تَعَالَى يَرفَعُ القُرءَانَ مِن صُدُورِ الرِّجَالِ وَالحَجَرَ الأَسوَدَ قَبلَ يَومِ القِيَامَةِ[٣].

وَرُوِيَ عَنِ ابنِ عُمَرَ رضي الله عنه أَنَّهُ قَالَ: استَقبَلَ النَّبِيُّ ﷺ الحَجَرَ، ثُمَّ وَضَعَ شَفَتَيهِ عَلَيهِ يَبكِي طَوِيلًا، ثُمَّ التَفَتَ فَإِذَا هُوَ بِعُمَرَ بنِ الخَطَّابِ يَبكِي، فَقَالَ: **«يَا عُمَرُ هَا هُنَا[٤] تُسكَبُ العَبَرَاتُ»**[٥].

---

(١) **سنن الترمذي**، الترمذي، أبواب الحج عن رسول الله ﷺ، **باب فضل الحجر الأسود** والركن والمقام، (٨٧٧).

(٢) **الدر المنثور**، السيوطي، (١/ ٣٢٤). الفردوس بمأثور الخطاب، الديلمي (١/ ٧٣).

(٣) **الدر المنثور**، السيوطي (١/ ٣٢٥)، وقال: أخرجه الأزرقي.

(٤) أي عند الحجر. قال المناوي في التيسير: فإنه محلّ تنزّلات الرحمة.

(٥) **صحيح ابن خزيمه**، ابن خزيمه، كتاب المناسك، باب البكاء عند تقبيل **الحجر الأسود**، (٤/ ٢١٢). **سنن ابن ماجه**، ابن ماجه، كتاب المناسك، باب استلام الحجر، (٢٩٤٥).

وَعَن ابنِ عُمَرَ أَيضًا أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ مَسحَ الحَجَرِ الأَسوَدِ وَالرُّكنِ اليَمَانِي يَحُطُّ الخَطَايَا حَطًّا»[1].

وَعَنهُ أَيْضاً: «عَلَى الرُّكنِ اليَمَانِي مَلَكَانِ يُؤَمِّنَانِ عَلَى دُعَاءِ مَن مَرَّ بِهِمَا، وَإِنَّ عَلَى الحَجَرِ الأَسوَدِ مَا لَا يُحصَى»[2]. وَرُوِيَ نَحوهُ عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ كَمَا أَخرَجَ أَبُو الشَّيخِ ابنُ حَيَّان.

وَرَوَى الشَّيخَانِ عَن عُمَرَ بنِ الخَطَّابِ رضي الله عنه أَنَّهُ قَبَّلَ الحَجَرَ الأَسوَدَ ثُمَّ قَالَ: «وَاللهِ لَقَد عَلِمتُ أَنَّكَ لَا تَضُرُّ وَلَا تَنفَعُ، وَلَولَا أَنِّي رَأَيتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يُقَبِّلُكَ مَا قَبَّلتُكَ»، وَقَرَأَ: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ﴾[3].

وَإِنَّما قَالَ ذَلِكَ لأَنَّ النَّاسَ كَانُوا حَدِيثِي عَهدٍ بِعِبَادَةِ الأَصنَام فَخَشِيَ أَن يَظُنَّ الجُهَّالُ أَنَّ استِلَامَ الحَجَر مِن بَابِ عِبَادَةِ الأَحجَارِ وَتَعظِيمِهَا كَمَا كَانَتِ العَرَبُ تَفعَلُه فِي الجَاهِلِيَّةِ، فَبَيَّنَ عُمَرُ أَنَّ استِلَامَهُ اتِّبَاعٌ لِفِعلِ النَّبِيّ، لَا أَنَّ الحَجَرَ يَضُرُّ وَيَنفَعُ بِذَاتِهِ كَمَا اعتَقَدَتهُ أَهلُ الجَاهِلِيَّةِ فِي الأَوثَانِ، وَفِي قَولِ عُمَرَ إِشَارَةٌ إِلَى التَّسلِيمِ للشَّارِعِ فِي أُمُورِ الدِّينِ وَحُسنِ الاتِّبَاعِ وَلَو لَم يَعلَم الحِكمَةَ فِيهِ[4].

وَرُوِيَ أَنَّهُ لَمَّا قَالَ ذَلِكَ، قَالَ لَهُ أُبَيُّ بنُ كَعبٍ: إِنَّهُ يَضُرُّ وَيَنفَعُ، إِنَّهُ يَأتِي يَومَ القِيَامَةِ وَلَهُ لِسَانٌ ذَلقٌ يَشهَدُ لِمَن قَبَّلَهُ وَاستَلَمَهُ[5].

---

(١) مسند الإمام أحمد، أحمد بن حنبل، (٢/ ٨٩).

(٢) أخبار مكة، الأزرقي، (١/ ٢٧٣). وقال ملا علي القاري في شرح مسند أبي حنيفة: ومثل ذلك لا يقال إلا عن توقيف فيكون في الحكم مرفوعًا. (ص/ ٢٦).

(٣) سورة الأحزاب، آية (٢١).

(٤) فتح الباري، ابن حجر، (٣/ ٥٥١-٥٥٢).

(٥) فتح الباري، ابن حجر، كتاب الحج، باب ما ذكر في الحجر الأسود، (٣/ ٥٥١-٥٥٢).

وَفِي رِوَايَةٍ أَيضًا: أَنَّ عَلِيًّا كَرَّمَ اللهُ وَجهَهُ قَالَ لِعُمَرَ: بَلَى يَا أَمِيرَ المُؤمِنِين إِنَّهُ يَضُرُّ وَيَنفَعُ وَإِنَّ اللهَ لَمَّا أَخَذَ المَوَاثِيقَ عَلَى وَلَدِ ءادَم كَتَبَ ذَلِكَ فِي رِقٍّ وَأَلْقَمَهُ الحَجَرَ، وَقَد سَمِعتُ رَسُولَ اللهِ يَقُولُ: «**يَأتِي الحَجَرُ الأَسوَدُ وَلَهُ لِسَانٌ يَشهَدُ لِمَن قَبَّلَهُ بِالتَّوحِيدِ**»[1]. فَقَالَ عُمَرُ لَا خَيرَ فِي عَيش قَومٍ لَستَ فِيهِم يَا أَبَا الحَسَنِ، لَا أَحيَانِي اللهُ لِمُعضِلَةٍ لَا يَكُونُ فِيهَا ابنُ أَبِي طَالِبٍ حَيًّا. وَفِي رِوَايَةٍ أُخرَى: أَعُوذُ بِاللهِ أَن أَعِيشَ فِي قَومٍ لَستَ فِيهِم يَا أَبَا الحَسَنِ.

صِفَةُ استِلَامِ الحَجَرِ: أَن يَستَقبِلَ الحَجَرَ وَيَرفَعَ يَدَيهِ حَذوَ أُذُنَيهِ وَمَنكِبَيهِ مُوجِّهًا بَاطِنَهُمَا نَحوَ الحَجَرِ، وَيَقُولُ: بِسمِ اللهِ وَاللهُ أَكبَرُ، وَيُهَلِّلُ وَيَحمدُ اللهَ تَعَالَى، وَيُصَلِّي عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، وَيَضَعَ يَدَيهِ عَلَى الحَجَرِ وَيُفَرّج بَينَهُمَا، وَيَضَعَ فَمَهُ بَينَهُمَا بِلَا صَوتٍ وَلَا لَحسٍ بِاللِّسَانِ وَتكرَارُه ثَلَاثًا مُستَحَبٌّ، وَإِن لَم يَقدِر عَلَى الاستِلَام يَقُومُ بِحِذَائِه، وَيَرفَع يَدَيهِ حَذْوَ مَنكِبَيهِ مُستَقبِلًا بِبَاطِنِهِمَا إِيَّاهُ مُشِيرًا إِلَيهِ كَأَنَّهُ وَاضِعٌ يَدَيهِ عَلَيهِ، وَيُكَبِّرُ كَمَا مَرَّ وَيُقَبِّلُ يَدَيهِ وَلَا يُشِيرُ بِالفَمِ وَلَا بِالرَّأسِ إِلَى القُبلَةِ.

مِن ءادَابِ الاستِلَامِ: عَدَمُ الإِيذَاءِ وَالمُدَافَعَةُ لأَنَّ التَّقبِيلَ سُنَّة وَترك الأَذَى عَنِ النَّاسِ فَرِيضَة.

الإِطَارُ الفِضِّيّ: إِنَّ عَبدَ اللهِ بنَ الزُّبَيرِ أَوَّلُ مَن رَبَطَ الحَجَرَ الأَسوَدَ بِالفِضَّةِ ثُمَّ تَتَابَعَ الخُلَفَاءُ فِي عَمَلِ الأَطوَاقِ مِن فِضَّةٍ عَلَى مَا اقتَضَت الحَاجَّة.

(١) المستدرك، الحاكم، كتاب المناسك (١٧٠٣). فتح الباري، ابن حجر، (٣/ ٥٥١-٥٥٢).

المُلتزَمُ
مَكَانُ استِجَابَةِ الدَّعَوَاتِ

جَعَلَ اللهُ فِي بَيتِهِ الحَرَام مَوَاضِعَ اختَصَّهَا بِخَصَائِصَ مُعَيَّنَة، فَالكَعبَةُ المُشَرَّفَةُ هِيَ مَهوَى الأَفئِدَة وَقِبلَة المُسلِمِين فِي الأَرضِ، فِيهَا مَواضِع لَهَا فَضلٌ عَظِيمٌ. وَمِن هَذِهِ المَواضِع «المُلتَزَم» وَهُوَ مِن لُزُوم الشَّيء، يُقَالُ أَلزَمتُهُ أَي أَثبَتهُ وَأَدمتُهُ، وَالتَزَمتُهُ اعتَنَقتُهُ فَهُوَ مُلتَزَم، وَمِنهُ يُقَالُ لِمَا بَينَ بَابِ الكَعبَةِ وَالحَجَرِ الأَسوَدِ المُلتَزَم لأَنَّ النَّاسَ يَعتَنِقُونَهُ أَي يَضُمُّونَهُ إِلَى صُدُورِهِم.

وَهُوَ مَا بَينَ رُكنِ الحَجَرِ الأَسوَدِ وَبَابِ الكَعبَةِ المُشَرَّفَةِ وَمِقدَارُهُ نَحوُ مِترَين، وَيُسَمَّى مَوضِعَ إِجَابَةِ وَقَضَاءِ الحَوَائِجِ وَهُوَ يختَصُّ بِأَنَّ مَن وَقَفَ فِيهِ وَلَجأَ إِلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ بِقَلبٍ صَادِقٍ أَجَابَ اللهُ دعَاءَهُ، قَالَ ابنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنه: هَذَا المُلتَزَمُ بَينَ الرُّكنِ وَالبَابِ[1]، وَقَالَ مُجَاهِدٌ: مَا بَينَ الرُّكنِ وَالبَابِ مُلتَزَم[2]، سُمِّيَ بِذَلِكَ لأَنَّ النَّاسَ يَلتَزِمُونَهُ فِي حَوَائِجِهِم لِتُقضَى وَسُمِّيَ المُتَعوذ وَالحَطِيم عِندَ الشَّافِعِيَّةِ.

وَهُوَ مَوضِعُ إِجَابَةِ الدُّعَاءِ، وَيُسَنُّ بِهِ الدُّعَاء مَعَ إِلصَاقِ الخَدَّينِ وَالصَّدر وَالذِّرَاعَينِ وَالكَفَّينِ، كَمَا وَرَدَ أَنَّ عَبدَ اللهِ بنَ عَمرو بنِ العَاصِ طَافَ وَصَلَّى ثُمَّ استَلَمَ الرُّكنَ، ثُمَّ قَامَ بَينَ الحَجَرِ وَالبَابِ فَأَلصَقَ صَدرَهُ

---

(١) **مصنف عبد الرزاق**، عبد الرزاق، كتاب المناسك، باب التعوذ بالبيت، (٩٠٤٧).
(٢) **أخبار مكة**، للفاكهي، (١/ ١٦١).

وَيَدَيهِ وَخَدَّهُ إِلَيهِ، ثُمَّ قَالَ: هَكَذَا رَأَيتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَفعَلُ[1].

وَقَالَ أَبُو الزُّبَيرِ: رَأَيتُ عَبدَ اللهِ بنَ عُمَرَ وَابنَ عَبَّاسٍ وَعَبدَ اللهِ بنَ الزُّبَيرِ يَلتَزِمُونَهُ[2]، وَقَالَ ابنُ عَبَّاسٍ: إِنَّ مَا بَينَ الحَجَرِ وَالبَابِ لَا يَقُومُ فِيهِ إِنسَانٌ فَيَدعُو اللهَ - تَعَالَى - بِشَيءٍ إِلَّا رَأَى فِي حَاجَتِهِ بعَضَ الَّذِي يُحِبُّ[3].

وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«مَا دَعَا أَحَدٌ بِشَيءٍ فِي هَذَا المُلتَزَمِ إِلَّا استُجِيبَ لَهُ»**[4].

وَقَالَ ابنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنه: وَأَنَا فَمَا دَعَوتُ اللهَ بِشَيءٍ فِي هَذَا المُلتَزَمِ مُنذُ سَمِعتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ إِلَّا استُجِيبَ لِي[5].

وَقَالَ الشَّافِعِيُّ: وَأُحِبُّ لَهُ إِذَا وَدَّعَ البَيتَ أَن يَقِفَ فِي المُلتَزَمِ وَهُوَ بَينَ الرُّكنِ والبَابِ فَيَقُول: «اللَّهُمَّ إِنَّ البَيتَ بَيتُكَ وَالعَبدَ عَبدُكَ»[6].

---

(١) **سنن ابن ماجه**، ابن ماجه، المناسك، باب الملتزم (٢٩٦٢). **سنن أبي داود، أبو داود**، المناسك، باب الملتزم (١٨٩٩). **سنن البيهقي**، البيهقي، **كتاب الحج**، (١٥١/٥).

(٢) **أخبار مكة**، الفاكهي، (١٦٦/١).

(٣) **أخبار مكة**، الفاكهي، (١٦٥/١).

(٤) **الفردوس**، الديلمي، (٩٤/٤)، (ح ٦٢٩٢).

(٥) **الشفا**، القاضي عياض، (ص/ ٦٠٠). ومثال هذا القول روي عن عمر وابن دينار وسفيان والحميدي والشافعي ومحمد بن الحسن ومحمد بن أحمد الهروي وأبو العباس العذري وغيرهم. وهو الحديث المعروف بالحديث المسلسل بإجابة الدعاء في الملتزم.

(٦) **الأم**، الشافعي، كتاب الحج، مختصر الحج الصغير، (٢٤٣/٢).

المُستَجَارُ

وَهُوَ مَا بَينَ الرُّكنِ اليَمَانِي وَالبَابِ المَسدُودِ فِي دُبرِ الكَعبَة[1]، يُحَاذِي المُلتَزَمَ المَذكُور سَابِقًا، وَيُسَمَّى المُتَعَوَّذ أَيضًا، وَهُوَ مِن أَمَاكِنِ الإِجَابَةِ.

قَالَ الشَّعبِيُّ: إِنَّ عَبدَاللهِ بنَ الزُّبَيرِ وَأَخَاهُ مُصعَبًا وَعَبدَ المَلِكِ بنَ مَروَان وَعَبدَ اللهِ بنَ عُمَرَ رضي الله عنه دَعَوا فِي هَذَا المَوضِعِ، فَلَم يَذهَب الشَّعبِيّ مِنَ الدُّنيَا حَتَّى رَأَى كُلًّا مِنهُم قَد أُعطِيَ مَا سَأَل[2].

وَكَانَ بَعضُ السَّلَفِ وَالخَلَفِ يَلتَزِمُونَهُ؛ مِنهُم: عُمَرُ بنُ عَبدِ العَزِيزِ وَأَيُّوبُ السَّختِيَانِيّ وَالقَاسِمُ بنُ مُحَمَّد حَفِيدُ سَيِّدِنَا أَبِي بَكرٍ الصِّدِّيقِ رضي الله عنه[3].

الحَطِيمُ (حِجرُ إِسمَاعِيل)

حِجرُ إِسمَاعِيل بِنَاءٌ مُستَدِيرٌ عَلَى شَكلِ نِصفِ دَائِرَة، أَحَدُ طَرَفَيهِ مُحَاذٍ لِلرُّكنِ الشَّمَالِيّ، وَالآخَرُ مُحَاذٍ لِلرُّكنِ الغَربِيّ، وَيَقَعُ شَمَالَ الكَعبَةِ المُعَظَّمَة، وَيَبلُغُ ارتِفَاعُهُ عَنِ الأَرضِ ١,٣٠ مِتر.

وَسُمِّيَ هَذَا المَوضِعُ حَطِيمًا لأَنَّهُ حُطِمَ مِنَ البَيتِ أَي كُسِرَ وَأُخرِجَ مِنهُ، أَو لأَنَّ النَّاسَ يُحَطِمُونَ هُنَالِكَ بِالإِيمَانِ.

---

(١) ومساحته أربعة أذرع، ويسمى ذلك الموضع المستجار من الذنوب. **شفاء الغرام**، أبو الطيب المكي، (١/ ٢٦٣).

(٢) **موسوعة رسائل ابن أبي الدنيا (مجابي الدعوة)**، ابن أبي الدنيا (٤/ ٦٥).

(٣) **القِرى لقاصد أم القُرى**، الطبري (ص/ ٣١٨).

وَيُقَالُ لَهُ حِجرُ إِسمَاعِيل لأَنَّ إِبرَاهِيمَ عليه السلام جَعَلَ بِجَانِبِ الكَعبَةِ عَرِيشًا مِن أَرَاكٍ لإِسمَاعِيلَ وَأُمِّهِ ، وَهُوَ مِمَّا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الحِجرَ لَم يَكُن مِنَ الكَعبَةِ، وَأَمَّا الجزءُ الَّذِي نَقَضَتهُ قُرَيش مِنَ الكَعبَةِ وَأَدخَلُوهُ فِي الحِجرِ بِلَا شَكٍّ.

وَقَد ذَكَرَت بَعضُ الأَخبَارِ[1] أَنَّ إِسمَاعِيلَ عليه السلام وَأُمَّهُ مَدفُونَانِ فِي هَذَا المَكَانِ، أَي فِي بَاطِنِ الأَرضِ فِي عُمقٍ بَعِيدٍ.

وَفِي رِسَالَةِ الحَسَنِ البصرِيّ أَنَّ إِسمَاعِيلَ عليه السلام شَكَى إِلَى رَبِّهِ حَرَّ مَكَّةَ، فَأَوحَى اللهُ إِلَيهِ، إِنِّي أَفتَحُ لَكَ بَابًا مِنَ الجَنَّةِ فِي الحِجرِ، يُخرِجُ عَلَيكَ الرَّوح[2] مِنهُ إِلَى يَومِ القِيَامَةِ[3].

وَمِقدَارُهُ سِتَّةُ أَذرُعٍ وَشِبر أَي نَحو ٣م. كَمَا رُوِيَ أَنَّ عَائِشَةَ رضي الله عنها سَأَلَت النَّبِيَّ ﷺ عَنِ الجَدْرِ أَيِّ الحَطِيمِ أَمِنَ البَيتِ هُوَ؟ قَالَ: **نَعَم**، قُلتُ فَمَا لَهُم لَم يُدخِلُوهُ فِي البَيتِ؟ قَالَ: «**إِنَّ قَومَكِ قَصُرَت بِهِم النَّفَقَةُ**»[4].

وَمِن فَضلِهِ مَا رُوِيَ عَن عَلِيٍّ رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ لأَبِي هُرَيرَةَ: «**إِنَّ عَلَى بَابِ الحِجْرِ مَلَكًا يَقُولُ لِمَن دَخَلَهُ وَصَلَّى فِيهِ رَكعَتَينِ: مَغفُورًا لَكَ، امْضِ فَاستَأنِف العَمَلَ، وَعَلَى بَابِهِ الآخَرِ مَلَكٌ مُنذُ خَلَقَ اللهُ الدُّنيَا إِلَى يَومِ يَرفَع اللهُ البَيتَ، يَقُولُ لِمَن صَلَّى فِيهِ وَخَرَجَ: مَرحُومًا إِنْ كُنتَ مِن أُمَّةِ مُحَمَّدٍ تَقِيًّا**»[5].

---

(١) كابن إسحاق وابن هشام وابن جرير الطبري وابن كثير وغيرهم من المؤرخين.

(٢) الرَّوح بفتح الراء هو نسيم الريح.

(٣) **هداية السالك**، ابن جماعة (١/ ٢١٣).

(٤) **صحيح البخاري**، البخاري، كتاب الحج، باب فضل مكة وبنيانها، (١٥٨٤).

(٥) **الجامع اللطيف**، ابن ظهيرة، (ص/ ١٣٠).

الـمِيزَابُ

وَهُوَ الجُزءُ المُثَبَّت عَلَى سَطحِ الكَعبَةِ المُشَرَّفَةِ فَوقَ الحَطِيمِ فِي الجِهَةِ الشَّمَالِيَّةِ.

وَيَبلُغُ طُول المِيزَابِ ٢,٥٨م، مِنهَا ٥٨ سم فِي دَاخِلَ الجِدَارِ، وَعَرضهُ ٢٥ سم، وَارتِفَاعهُ ٢٣ سم.

عَن ابنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه أَنَّهُ قَالَ: «**صَلُّوا فِي مُصَلَّى الأَخيَارِ، وَاشرَبُوا مِن شَرَابِ الأَبرَارِ**»، فَقِيلَ وَمَا مُصَلَّى الأَخيَار؟ قَالَ: «**تَحتَ المِيزَابِ**» فَقِيلَ: «وَمَا شَرَاب الأَبرَار؟» قَالَ: «**مَاء زَمزَم**»[(١)].

والحَاصِلُ أَنَّهُ مِن أَمَاكِنِ الإِجَابَةِ الفَاضِلَة، وَمِمَّا يُرتَجَى فِيهِ حُصُول الرَّحمَةِ النَّازِلَة، أي تُعتَبَرُ بِمَا تَقَدَّمَ مِنَ الأَمَاكِنِ فِي حُكم الإِجَابَةِ.

وَعَن عُثمَانَ بن عَفَّانٍ رضي الله عنه أَنَّهُ أَقبَلَ ذَاتَ يَوم فَقَالَ لأَصحَابِهِ: أَلَا تَسأَلُونِي مِن أَينَ جِئتُ، فَسَأَلُوهُ، فَقَالَ: «كُنتُ قَائِمًا عَلَى بَابِ الجَنَّةِ» وَكَانَ قَائِمًا تَحتَ المِيزَابِ يَدعُو اللهَ عِندَهُ[(٢)].

بَابُ ذِكرِ المِيزَابِ: رُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ إِذَا حَاذَى مِيزَابَ الكَعبَةِ وَهُوَ فِي الطَّوَافِ يَقُولُ: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَسأَلُكَ الرَّاحَةَ عِندَ المَوتِ، وَالعَفوَ**

---

(١) **أخبار مكة**، الأزرقي، (١/ ٢٥٢-٢٥٣).

(٢) **هداية السالك**، ابن جماعة، (١/ ٧٨). **الجامع اللطيف**، ابن ظهيرة، (ص/ ١٣٠)

عِندَ الحِسَابِ»[١][٢].

وَقَالَ عَطَاءُ بنُ أَبِي رَبَاحٍ، مَن قَامَ تَحتَ مَثعَبِ الكَعبَةِ[٣] فَدَعَا استُجِيبَ لَهُ، وَخَرَجَ مِن ذُنُوبِهِ كَيَومِ وَلَدَتهُ أُمُّه[٤].

الرُّكنُ اليَمَانِيُّ

هُوَ رُكنُ الكَعبَةِ بَاتِّجَاهِ اليَمَنِ الجَنُوبِيّ الغَربِيّ، وَالمُوَازِي للحَجَرِ الأَسوَدِ، ذَكَرَ يَاقُوت الحَمَوِيّ أَنَّ ابنَ قُتَيبَةَ ذَكَرَ أَنَّ رَجُلًا مِنَ اليَمَنِ بَنَاهُ يُقَالُ لَهُ: أُبِيُّ بنُ سَالِم[٥]، وَهَذَا الرُّكنُ عَلَى قَوَاعِدِ البَيتِ الَّتِي رَفَعَهَا إِبرَاهِيمُ عليه السلام، لِذَا فَقَد رُوِيَ عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَم يَكُن يَستَلِمُ إِلَّا الحَجَرَ الأَسوَدَ والرُّكنَ اليَمَانِي[٦].

وَعَنِ ابنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَبَّلَ الرُّكنَ اليَمَانِي وَوَضَعَ خَدَّهُ عَلَيهِ[٧].

---

(١) أخبار مكة، الأزرقي، (١/ ٢٥٣).

(٢) الأنبياء يوم القيامة يسألون لإظهار شرفهم، وما ورد في البخاري أنهم يقولون نفسي نفسي إلا سيدنا محمدًا فهم يقولونه إظهارًا لهول ذلك اليوم بين الناس، وأما هم فلا يخافون العذاب على أنفسهم بالمرة لأن الله تعالى قال:??، وقال تعالى:??، فإذا كان هذا الأمن والأمان والحفظ والسلامة من العذاب والكرب لأولياء الله فكيف بأنبياء الله عليهم الصلاة والسلام.

(٣) أي مجي مائها. تهذيب اللغة، الهروي، (١/ ١٧٥).

(٤) أخبار مكة، الأزرقي، (١/ ٣١٨).

(٥) معجم البلدان، ياقوت الحموي، (٣/ ٦٤).

(٦) سنن الترمذي، الترمذي، أبواب الحج عن رسول الله ﷺ ، باب استلام الحجر والركن اليماني (٨٥٨).

(٧) المستدرك، الحاكم، كتاب المناسك، (١٦٩٦).

وَبِنَاءً عَلَى استِلَامِهِ ﷺ للرُّكنِ اليَمَانِي بِيَدِهِ الشَّرِيفَةِ[1] صَارَ استِلَامُهُ سُنَّةً مَشرُوعَةً للقَادِرِ عَلَى ذَلِكَ.

وَعَن عَبدِ اللهِ بنِ عُمَرَ رضي الله عنه قَالَ: «مَا تَرَكتُ استِلَامَ هَذَينِ الرُّكنَينِ اليَمَانِي وَالحَجَرَ مُذ رَأَيتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَستَلِمُهُمَا فِي شِدَّةٍ وَلَا رَخَاءٍ»[2].

وَرَوَى الفَاكِهِيُّ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ أَنَّ سَعِيدَ بنَ جُبَيرٍ كَانَ إِذَا مَرَّ بِالرُّكنِ اليَمَانِي تَنَاوَلَهُ بِيَدِهِ ثُمَّ وَضَعَ يَدَهُ عَلَى فِيْهِ[3].

وَقَالَ ابنُ عُمَرَ رضي الله عنه: إِنِّي سَمِعتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**إِنَّ مَسحَهُمَا** - الحَجَرِ الأَسوَدِ وَالرُّكنِ اليَمَانِي - **كَفَّارَةٌ للخَطَايَا**»[4].

وَهُوَ مِن مَوَاضِعِ إِجَابَةِ الدُّعَاءِ، فَقَد قَالَ مُجَاهِدٌ: كَانَ يُقَالُ: لَقَلَّ مَا يَضَعُ أَحَدٌ يَدَهُ عَلَى الرُّكنِ اليَمَانِي فَيَدعُو إِلَّا كَادَ أَن يُستَجَابَ لَهُ[5].

وَعَن أَبِي هُرَيرَةَ رضي الله عنه مَرفُوعًا: «**وُكِّلَ بِالرُّكنِ اليَمَانِي سَبعُونَ مَلَكًا، مَن قَالَ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسأَلُكَ العَفوَ وَالعَافِيَةَ فِي الدُّنيَا وَالآخِرَةِ، رَبَّنَا ءَاتِنَا فِي الدُّنيَا حَسَنَةً، وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً، وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ. قَالُوا: ءَامِين**»[6].

---

(١) شفاء الغرام، أبو الطيب، (٢/ ١٧٢).

(٢) صحيح البخاري، البخاري (١٦٠٦). صحيح مسلم، مسلم (١٢٦٨).

(٣) أخبار مكة، الفاكهي، (١/ ١١٨)، (ح ٩٧).

(٤) سنن الترمذي، الترمذي، الحج، (٩٥٩).

(٥) أخبار مكة، الفاكهي، (١/ ١٣٩)، (ح ١٥٣).

(٦) سنن ابن ماجه، ابن ماجه، كتاب المناسك، باب فضل الطواف، (٢٩٥٧).

وَرَوَى الحَاكِمُ أَنَّهُ ﷺ قَالَ: «مَا انتَهَيتُ إِلَى الرُّكنِ اليَمَانِي قَطُّ إِلَّا وَجَدتُ جِبرِيلَ عِندَهُ. فَقَالَ: قُل يَا مُحَمَّد، قُلتُ: وَمَا أَقُولُ؟ قَالَ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الكُفرِ، وَالفَاقةِ[1]، وَمَوَاقِفِ الخِزيِ فِي الدُّنيَا وَالآخِرَةِ. ثُمَّ قَالَ جِبرِيلُ: إِنَّ بَينَهُمَا سَبْعُونَ أَلفَ مَلَكٍ، فَإِذَا قَالَ العَبدُ هَذَا، قَالُوا: ءَامِين»[2].

الشَّاذَرْوَان

وَهُوَ مَأْخُوذٌ مِن كَلِمَةِ شَوْذَر الفَارِسِيَّة (چَادِر) وَمَعنَاهَا الإِزَارُ، فَهُو الوزرَةُ المُحِيطَةُ بِأَسفَلِ جِدَارِ الكَعبَةِ المُشَرَّفَةِ مِن مُستَوَى الطَّوَافِ، وَهُوَ مُسَنَّمُ الشَّكلِ وَمَبنِيٌّ مِنَ الرُّخَام فِي الجِهَاتِ الثَّلَاثِ، مَا عَدَا جِهَةِ الحِجرِ، وَمُثَبَّت فِيهِ ٤١ حَلقَة يُربَطُ فِيهَا حِبَالُ ثَوبِ الكَعبَةِ المُشَرَّفَةِ وَلَا يُوجَدُ أَسفَلَ جِدَارِ بَابِ الكَعبَةِ المُشَرَّفَةِ شَاذَروَان.

وَهُوَ البِنَاءُ القَدِيمُ بِأَسفَلِ جِدَارِ الكَعبَةِ مِمَّا يَلِي أَرضَ المَطَافِ مَا عَدَا جِهَةِ الحَطِيمِ حِجرِ إِسمَاعِيل فَإِنَّ العَتَبَةَ الَّتِي فِيهِ مِن أَصلِ الكَعبَةِ وَلَيس بِشَاذَروَان.

وَأَصلُ الشَّاذَروَان أَنَّهُ مِن أَصلِ جِدَارِ الكَعبَةِ المُعَظَّمَةِ حِينَما كَانَت عَلَى قَوَاعِدِ إِبرَاهِيمَ عليه السلام وَأَنقَصَهُ قُرَيشٌ مِن عَرضِ أَساسِ جِدَارِ الكَعبَةِ حِينَ ظَهَرَ عَلَى وَجهِ الأَرضِ، وَقِيلَ إِنَّ عَبدَ اللهِ بنَ الزُّبَيرِ بَنَى الشَّاذَروَانَ لِحِمَايَةِ جِدَارِ الكَعبَةِ المُشَرَّفَةِ مِن تَسَرُّبِ المِيَاهِ إِلَيهَا وَرَبطِ حِبَالِ سِتَارة الكَعبَةِ المُشَرَّفَةِ فِي الحَلقَاتِ المُثبَتَة.

---

(١) الفقر.

(٢) **المرقاة**، ملا علي القاري، كتاب المناسك، باب دخول مكة والطواف.

وَالشَّاذَرْوَانُ هُوَ بِنَاءٌ لَطِيفٌ جِدًّا مُلصَقٌ بِحَائِطِ الكَعبَةِ، وَارتِفَاعُهُ عَنِ الأَرضِ فِي بَعضِ المَوَاضِعِ نَحو شِبرَينِ وَنِصف وَفي بَعضِهَا شِبر وَنِصف.

بَابُ الكَعبَةِ

لمَّا بَنَى إِبرَاهِيمُ ﷺ الكَعبَةَ جَعَلَ لَهَا بَابَينِ مُلتَصِقَينِ بِالأَرضِ، فَكَانَ النَّاسُ يَدخُلُونَ مِن البَابِ الشَّرقِيّ وَيَخرُجُونَ مِنَ البَابِ الغَربِيّ وَكَانَا مُجَرَّد فتحَة، ثُمَّ جَعَلَ المَلِكُ أَسعَد تُبَّع الثَّالِث أَحَدُ مُلُوكِ اليَمَنِ بَابًا بِمِصْرَاعٍ[1] يُغلَق وَيُفتَح، وَلَمَّا بَنَت قُرَيشٌ الكَعبَةَ سَدُّوا البَابَ الغَربِيَّ وَجَعَلُوا البَابَ الشَّرقِيَّ بِمِصرَاعَينِ مُرتَفِعًا عَنِ الأَرضِ. كَمَا وَرَدَ أَنَّ عَائِشَةَ رضي الله عنها سَأَلت النَّبِيَّ ﷺ فَمَا شَأنُ بَابِهَا مُرتَفِعًا؟ قَالَ: «**فَعَلَ ذَلِكَ قَومُكِ لِيُدْخِلُوا مَن شَاءُوا وَيَمنَعُوا مَن شَاءُوا، وَلَولَا أَنَّ قَومَكِ حَدِيثٌ عَهدُهُم بِالجَاهِلِيَّةِ فَأَخَافُ أَن تُنكِرَ قُلُوبُهُم أَن أُدخِلَ الجَدْرَ فِي البَيتِ وَأَن أُلصِقَ بَابَهُ بِالأَرضِ**»[2].

وَفِي رِوَايَةٍ أُخرَى: «**وَأَلزَقتُهُ بِالأَرضِ وَجَعَلتُ لَهُ بَابَينِ، بَابًا شَرقِيًّا وَبَابًا غَربِيًّا فَبَلَغتُ بِهِ أَسَاسَ إِبرَاهِيمَ**»[3].

وَبَابُ الكَعبَةِ يقَعُ في الجِهَةِ الشَّرقِيَّةِ مِنهَا[4]، وَيَرتَفِعُ عَنِ الأَرضِ مِنَ الشَّاذَروَانِ ٢٢٢سم، وَطُولُ البَابِ ٣١٨سم، وَعَرضُهُ ١٧١سم، وَبِعُمقِ مَا يُقَارِبُ نِصف مِترٍ.

---

(١) أي بمصراع واحد، أي شطر واحد بمصراعين.

(٢) **صحيح البخاري**، البخاري، كتاب الحج، باب فضل مكة وبنيانها، (١٥٨٤).

(٣) **صحيح البخاري**، البخاري، كتاب الحج، باب فضل مكة وبنيانها، (١٥٨٦).

(٤) أي الكعبة.

الآيَاتُ المَكتُوبَة عَلَى بَابِ الكَعبَةِ

إِنَّ الكَلِمَات وَالآيَات المَكتُوبَة عَلَى بَابِ الكَعبَةِ تُذَكِّرُ الوَاقِفِين بِعَتَبَتِهِ بِجَلَالَةِ المَوقِفِ وَعَظَمَة المَقَامِ، وَأَنَّهُم عَلَى بَابِ بَيتِ الغَفُورِ الرَّؤُوفِ الرَّحِيمِ الَّذِي تُرفَعُ إِلَيهِ الدَّعَوَات وَتُطلَبُ مِنهُ الرَّحَمَات وَتُسكَبُ لَهُ العَبَرَات، فَمِنَ العَبدِ طَلَبٌ وَرَجَاءٌ وَمِنَ اللهِ عَطَاءٌ وَعَطَاءٌ.

وَقَد كُتِبَ فِي الزَّاوِيَتَينِ العُلوِيَّتَينِ للبَابِ: اللهُ جَلَّ جَلَالُهُ، مُحَمَّدٌ ﷺ.

وَكُتِبَ مِنَ الآيَاتِ القُرءَانِيَّةِ: ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝١﴾، ﴿ٱدۡخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ ۝٤٦﴾[1]، ﴿جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلۡكَعۡبَةَ ٱلۡبَيۡتَ ٱلۡحَرَامَ قِيَٰمٗا لِّلنَّاسِ وَٱلشَّهۡرَ ٱلۡحَرَامَ﴾[2]، ﴿وَقُل رَّبِّ أَدۡخِلۡنِي مُدۡخَلَ صِدۡقٖ وَأَخۡرِجۡنِي مُخۡرَجَ صِدۡقٖ وَٱجۡعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلۡطَٰنٗا نَّصِيرٗا ۝٨٠﴾[3]، ﴿كَتَبَ رَبُّكُمۡ عَلَىٰ نَفۡسِهِ ٱلرَّحۡمَةَ﴾[4]، ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡ﴾[5]، وَيَلِيهَا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ: قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ[6].

وَكُتِبَ عَلَى مِقبَضَي البَابِ: اللهُ أَكبَرُ، وَكُتِبَ تَحتَ القُفلِ، سُورَةُ الفَاتِحَة: ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝١ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ

---

(١) سورة الحجر، آية (٤٦).

(٢) سورة المائدة، آية (٩٧).

(٣) سورة الإسراء، آية (٨٠).

(٤) سورة الأنعام، آية (٥٤).

(٥) سورة غافر، آية (٦٠).

(٦) سورة الزمر، آية (٥٣).

ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧﴾﴾[١].

وَأَمَّا فِي الجَوَانِب مَكتُوبٌ فِيهَا خَمسَةَ عَشرَ اسمًا مِن أَسمَاءِ اللهِ الحُسنَى كَمَا يَأتِي:

الجَانِبُ العُلوِيّ: يَا وَاسِعُ[٢]، يَا مَانِعُ[٣]، يَا نَافِعُ[٤].

الجَانِبُ الأَيمَن: يَا عَالِمُ، يَا عَلِيمُ[٥]، يَا حَلِيمُ[٦]، يَا عَظِيمُ[٧]، يَا حَكِيمُ[٨]، يَا رَحِيمُ.

الجَانِبُ الأَيسَر: يَا غَنِيُّ[٩]، يَا مُغنِي[١٠]، يَا حَمِيدُ[١١]، يَا مَجِيدُ[١٢]، يَا سُبحَانَ الله[١٣]، يَا مُستَعَانُ.

---

(١) سورة الفاتحة، آية (١ ـ ٧).

(٢) هو الذي وَسِعَ رِزقه جميع خلقه.

(٣) هو الذي يمنع من يشاء ما يشاء.

(٤) هو القادر أن ينفع من يشاء.

(٥) هو العالم بالسرائر والخفيّات التي لا يدركها علم المخلوقات، ولا يجوز تسمية الله عارفًا.

(٦) أي العفوّ مع القدرة.

(٧) هو عظيم الشأن منزه عن صفات الأجسام، فهو أعظم قدرًا من كل عظيم.

(٨) هو المُحكم لخلق الأشياء كما شاء لأنه سبحانه وتعالى عالم بعواقب الأمور.

(٩) هو الذي استغنى عن خلقه، والخلائق تفتقر إليه.

(١٠) هو الذي جبرَ مفاقِر الخلق وساق إليهم أرزاقهم.

(١١) هو المستحقّ للمدح والحمد والثناء.

(١٢) هو الواسع الكرم العالي القدر.

(١٣) لو قيل: يا سبحان الله، يا ما شاء الله، يجوز. وقد وردَ في مسند أبي يعلى حديث مرفوع. وأحاديث موقوفة في مسند الطيالسي والمعجم الكبير للطبراني فيها لفظ «يا سبحان».

مِفتَاحُ الكَعبَةِ

السِّدَانَةُ[١] وَالحِجَابَةُ هِيَ خِدمَةُ الكَعبَةِ المُعَظَّمَةِ وَفَتحِهَا وَإِغلَاقِهَا، وَكَانَت بِيَدِ إِسمَاعِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، ثُمَّ لِوَلَدِهِ ثَابِت وَأَولَادِهِ، ثُمَّ بِيَدِ أَخوَالِهِ جُرْهُم، ثُمَّ خُزَاعَةَ إِلَى أَنْ ءَالَ الأَمْرُ بَيَدِ قُصَيّ بنِ كِلَابٍ، وَهُوَ الجَدُّ الرَّابِعُ لِلنَّبِيِّ ﷺ، وَبعدَ فَتحِ مَكَّةَ سَنَةَ ٨هـ طَلَبَ النَّبِيُّ ﷺ مِفتَاحَ الكَعبَةِ مِن عُثمَانَ بنِ طَلحَةَ، وَفَتَحَ الكَعبَةَ وَدَخلَهَا ثُمَّ خَرَجَ[٢]، وَقَالَ: «**أَلَا كُلّ دَم أَو مَالٍ أَو مَأثُرَةٍ**[٣] **كَانَت فِي الجَاهِلِيَّةِ فَهِيَ تَحتَ قَدَمَيَّ هَاتَين إِلَّا سِقَايَةِ**[٤] **الحَاجِّ وَسِدَانَةِ الكَعبَةِ فَإِنِّي قَد أَمضَيتُهُمَا لأَهلِهِمَا عَلَى مَا كَانَتَا فِي الجَاهِلِيَّةِ**، وَتَلَا قَولَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا﴾[٥][٦]، وَعَادَ عُثمَانُ بنُ طَلحَةَ وَدَفَعَ إِلَيهِ المِفتَاحَ وَقَالَ: «**خُذُوهَا يَا بَنِي طَلحَةَ خَالِدَةً تَالِدَةً لَا يَنزِعُهَا مِنكُم إِلَّا ظَالِمٌ**»، يَعنِي حِجَابَةَ الكَعبَةِ.

وَأَفَادَ ابنُ كَثِيرٍ أَنَّ كَثِيرًا مِنَ المُفَسِّرِينَ ذَكَرُوا أَنَّ ءَايَةَ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا﴾[٧]، نَزَلَت فِي شَأنِ عُثمَانَ بنِ طَلحَةَ، وَبِنَاءً

---

(١) والسّادن خادم الكعبة، والجمع سَدَنة.

(٢) **تفسير ابن كثير**، ابن كثير، (٢/٢٩٩).

(٣) المأثرة بضم الثاء المثلثة، وهي كلُّ مل يؤثَرُ ويُذكرُ من مكارم الجاهلية ومفاخرتهم التي تؤثر عنهم أي تُذكر وتُروى. **نخب الأفكار**، العيني، (١٥/٢٩٦).

(٤) أي سقي الناس من زمزم.

(٥) **سورة النساء**، آية (٥٨).

(٦) **مجمع الزوائد**، ابن حجر الهيتمي، (٣/ ٢٨٥).

(٧) **سورة النساء**، آية (٥٨).

عَلَيهِ دَفَعَ إِلَيهِ المِفتَاحَ[1]، وَلمَّا مَاتَ عُثمَانُ وَلِيَهَا ابنُ عَمِّهِ شَيبَة ثُمَّ أَولَادُ شَيبَة، يَتَوَارَثُونَهَا كَابِرًا عَن كَابِرٍ[2]، وَيُعرَفُونَ بالشَّيْبِيِّين، وَفِي حَدِيثِ: «**خُذُوهَا خَالِدَةً**...» إِشَارَةٌ إِلَى بَقَاءِ نَسلِ بَنِي طَلحَةَ إِلَى يَوم القِيَامَةِ وَبِبَقَاءِ السِّدَانَة فِيهِم، وَذَلِكَ مِنَ المُعجِزَاتِ البَاقِيَةِ للنَّبِيِّ ﷺ، لأَنَّ سِدَانَةَ الكَعبَةَ المُعَظَّمَة مِن أَجَلِّ وَأَعظَمِ الوَظَائِفِ الَّتِي يَتَنَافَسُ المُتَنَافِسُونَ عَلَيهَا، وَأَشَدُّهُم أَهل السُّلطَةِ وَالنُّفُوذِ، فَتَركهُم هَذِهِ لآلِ الشَّيبِيِّ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الذِي بِيَدِهِ مَلَكُوت السَّمَاوَاتِ وَالأَرض يَمنَعُهُم مِن ذَلِكَ.

وَمَا زَالَ المِفتَاحُ عِندَ مُمَثِّل العُهدَةِ فِي بَنِي شَيبَةَ، وَطُولُهَا ٤٠ سم، وَتُحفَظُ فِي الحَقِيبَةِ الحَرِيرِيَّةِ المُطَرَّزَةِ بِالذَّهَبِ الخَالِصِ وَالَّتِي يُجَهِّزُهَا مَصنَعُ الكِسوَةِ سَنَوِيًّا مَكتُوبٌ عَلَيهَا: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا﴾[3].

وَصفُ الكِسوَةِ

تُنسَجُ مِنَ الحَرِيرِ الطَّبِيعِيّ الخَالِصِ المَصبُوغ بِاللَّونِ الأَسوَدِ وَيُنسَجُ عَلَى كَامِلِ الكِسوَةِ بِشَكلِ رَقَم ٧ مُتَكَرِّرَة وَمُتَّصِلَة مَا يَلِي: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ، يَا اللهُ، يَا حَنَّانُ[4]، يَا مَنَّانُ[5].

وَتَتَكَوَّنُ مِن خَمسِ قِطَعٍ، الأَربَعُ مِنهَا تُغَطِّي الجِهَاتِ الأَربَعِ للكَعبَةِ

---

(١) تاريخ الكعبة المعظمة، باسلامه، (ص/ ٣٨٢- ٣٨٣).

(٢) أي كبيرًا عن كبير.

(٣) سورة النساء، آية (٥٨).

(٤) الكثير الرحمة.

(٥) الكثير الرحمة والعطاء والمِنّة.

المُشَرَّفَةِ حَسَب مَقَاسِ كُلِّ جَانِبٍ، وَالخَامِسَةُ هِيَ السِّتَارَةُ الَّتِي تُوضَعُ عَلَى البَابِ، وَتُعَلَّقُ هَذِهِ القِطَعُ عَلَى الكَعبَةِ المُشَرَّفَةِ رَأْسِيًّا بَعدَ خَلعِ الكِسوَةِ القَدِيمَةِ ثُم تُبطَنُ بِالقِمَاشِ الأَبيَضِ، وَتُثَبَّت الأَركَانُ مِن أَعلَى الثَّوبِ إِلَى أَسفَلِهِ، وَتُستَخدَمُ فِي تَجهِيزِهَا ٤٧ طَاقَة قِمَاشٍ طُولُ كُلٍّ مِنهَا ١٤م وَعَرضُهَا ٩٥ سم.

وَفِي الثُّلُثِ الأَعلَى مِنَ الكِسوَةِ حِزَامٌ تُكتَبُ فِيهِ الآيَات القُرءَانِية، وَتَحتَ الحِزَام مسَاحَاتٌ أُخرَى للكِتَابَةِ بِالتَّطرِيزِ البَارِزِ، وَتُكسَى الكَعبَةُ المُعَظَّمَةُ كِسوَةً جَدِيدَةً فِي ٩ ذِي الحِجَّةِ مِن كُلِّ عَام، فَتَظهَرُ الكَعبَةُ فِي أَوَّلِ يَوم العِيدِ فِي ثَوبِهَا الجَدِيدِ. وَفِيمَا يَلِي هَذَا مَعلُومَات أُخرَى عَنِ الكِسوَةِ[1].

حِزَامُ كِسوَةِ الكَعبَةِ

وَهُوَ الثُّلُثُ الأَعلَى مِنَ الكِسوَةِ تُحِيطُهَا مِن كُلِّ الجَوَانِبِ طُولُ ٤٥ م وعَرضُ ٩٥ سم وَهُوَ قِطعَةٌ فَنِيَّةٌ تُلقِي عَلَى كِسوَةِ الكَعبَةِ بَهَاءً وَجَمَالًا وَجَلَالًا، كُتِبَ فِيهِ ءَايَاتٌ قُرءَانِيَّةٌ بِخَطِّ الثُّلُثِ المُرَكَّب، مُحَاطَةٌ بِإِطَارٍ مِنَ الزَّخَارِفِ الإِسلَامِيَّة، مُطَرَّزَةٌ بِتَطرِيزٍ بَارِزٍ بِسِلْكٍ فِضِّيٍّ مَطْلِيٍّ بِالذَّهَبِ، وَيَتَأَلَّفُ مِن ١٦ قِطعَة، فِي كُلِّ جَانِبٍ مِنَ الكَعبَةِ أَربَعُ قِطَع، وَهَاكَ بَيَانُ طُول القِطَعِ وَمَا كُتِبَ عَلَيهَا:

(١) مصنع الكسوة الكعبة المشرفة، (ص ١٨، ٤٨، ٥٠). **تاريخ الكعبة المعظمة**، باسلامه، (ص ٢٩٦، ٣٥٩). قصة التوسعة الكبرى، (ص ١٢٥).

أَوَّلًا: جِهَةُ بَابِ المُلتَزَم:

أ- ٢٨٩ سم: بسم الله الرحمٰن الرحيم، ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾[1].

ب- ٣٠٣ سم: ﴿وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَـٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾[2].

ج- ٣١٤ سم: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَـٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾﴾[3].

د- ٣٣٨ سم: ﴿رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾﴾[4].

ثَانِيًا: جِهَةُ الحَطِيم:

أ- ٣٢٣ سم: بسم الله الرحمٰن الرحيم، ﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَـٰتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ ۗ﴾[5].

ب- ٢٣٨ سم: ﴿وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ وَٱتَّقُونِ يَـٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ﴾[6].

ج- ٢٥٢ سم: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ ۚ

---

(١) سورة البقرة، آية (١٢٥).

(٢) سورة البقرة، آية (١٢٥).

(٣) سورة البقرة، آية (١٢٧).

(٤) سورة البقرة، آية (١٢٨).

(٥) سورة البقرة، آية (١٩٧).

(٦) سورة البقرة، آية (١٩٧).

﴿فَإِذَآ أَفَضۡتُم مِّنۡ عَرَفَٰتٖ فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ عِندَ ٱلۡمَشۡعَرِ ٱلۡحَرَامِۖ﴾[1].

د- ١٩٩ سم: ﴿وَٱذۡكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمۡ وَإِن كُنتُم مِّن قَبۡلِهِۦ لَمِنَ ٱلضَّآلِّينَ﴾ ﴿ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنۡ حَيۡثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ وَٱسۡتَغۡفِرُواْ ٱللَّهَۚ﴾[2].

ثالثًا: الجِهَةُ الَّتي لِبابِ الكَعبَةِ: ظَهرُ الكَعبَة:

أ- ٣٢٨ سم: بسم الله الرحمٰن الرحيم، ﴿وَإِذۡ بَوَّأۡنَا لِإِبۡرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلۡبَيۡتِ أَن لَّا تُشۡرِكۡ بِي شَيۡـٔٗا وَطَهِّرۡ بَيۡتِيَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلۡقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿٢٦﴾﴾[3].

ب- ٢٤٣ سم: ﴿وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَجِّ يَأۡتُوكَ رِجَالٗا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٖ يَأۡتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٖ ﴿٢٧﴾﴾[4].

ج- ٣٣٧ سم: ﴿لِّيَشۡهَدُواْ مَنَٰفِعَ لَهُمۡ وَيَذۡكُرُواْ ٱسۡمَ ٱللَّهِ فِيٓ أَيَّامٖ مَّعۡلُومَٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلۡأَنۡعَٰمِۖ فَكُلُواْ مِنۡهَا﴾[5].

د- ٣٠٤ سم ﴿لِّيَشۡهَدُواْ مَنَٰفِعَ لَهُمۡ وَيَذۡكُرُواْ ٱسۡمَ ٱللَّهِ فِيٓ أَيَّامٖ مَّعۡلُومَٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلۡأَنۡعَٰمِۖ فَكُلُواْ مِنۡهَا وَأَطۡعِمُواْ ٱلۡبَآئِسَ ٱلۡفَقِيرَ ﴿٢٨﴾ ثُمَّ لۡيَقۡضُواْ تَفَثَهُمۡ وَلۡيُوفُواْ نُذُورَهُمۡ وَلۡيَطَّوَّفُواْ بِٱلۡبَيۡتِ ٱلۡعَتِيقِ ﴿٢٩﴾﴾[6].

---

(١) سورة البقرة، آية (١٩٨).

(٢) سورة البقرة، آية (١٩٩).

(٣) سورة الحج، آية (٢٦).

(٤) سورة الحج، آية (٢٧).

(٥) سورة الحج، آية (٢٨).

(٦) سورة الحج، آية (٢٩).

رَابِعًا: بَينَ الحَجَرِ الأَسوَدِ وَالرُّكنِ اليَمَانِي:

أ- ٢٥٤ سم: بسم الله الرحمٰن الرحيم، ﴿قُلْ صَدَقَ ٱللَّهُ فَٱتَّبِعُوا۟ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٩٥﴾﴾[1].

ب- ٢٦٧ سم: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٦﴾﴾[2].

ج- ٢٠٣ سم: ﴿فِيهِ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ ۖ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا ۗ﴾[3].

د- ٣٠٣ سم: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[4].

مَا تَحتَ الحِزَامِ

تُوجَدُ فِي كُلِّ جَانِبٍ مِن جَوَانِبِ الكِسوَةِ قِطعَتَانِ وَثَلَاثَة قَنَادِيل مَا عَدَا جِهَة بَابِ المُلتَزَم، فَفِيهَا قِطعَةٌ كَبِيرَةٌ وَاحِدَةٌ تُسَمَّى الإِهدَاء، لِيُصبِحَ عَدَدَ القِطَعِ ٧ و ١٢ قِندِيلًا، وَفِي كُلِّ رُكنٍ مِن أَركَانِ الكِسوَةِ قِطعَةٌ مُرَبَّعَة تُسَمَّى الصَّمَدِيَّة[5] وَكُتِبَ فِيهَا سُورَةُ الإِخلَاصِ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا

---

(١) سورة آل عمران، آية (٩٥).

(٢) سورة آل عمران، آية (٩٦).

(٣) سورة آل عمران، آية (٩٧).

(٤) سورة آل عمران، آية (٩٧).

(٥) جرى على ألسنة كثير من الناس تسمية سورة الإخلاص بالصَّمدية، والصحيح أن لها اسمين: الإخلاص والتوحيد.

أَحَـدُۢ ﴿٤﴾﴾[1]، وَمِسَاحَةُ كُلٍّ مِنهَا ٨٥ * ٧٢ سم، أَمَّا القَنَادِيلُ الثَّلَاثَة الَّتِي تَتكَرَّرُ فِي الجِهَاتِ الأَربَعِ فَهِيَ كَالتَّالِي:

٥٨ * ٧٢ سم: الحَمدُ للهِ رَبِّ العَالَمِين.

٦٥ * ٤٥ سم: يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ.

٩٥ * ٤٦ سم: يَا رَحْمَنُ يَا رَحِيمُ.

أَمَّا القِطَعُ السَّبع فَفِي جِهَةِ بَابِ المُلتَزَم قِطعَةُ الإِهدَاءِ ٤٩٠ سم: صُنِعَت هَذِهِ الكِسوَة فِي مَكَّةَ المُكَرَّمَة وَأَهدَاهَا للكَعبَةِ المُشَرَّفَةِ خَادِمُ الحَرَمَينِ الشَّرِيفَينِ.

جِهَةُ الحَطِيمِ: الجِهَةُ الشَّمَالِيَّة:

٢٤٠ سم: بسم الله الرحمٰن الرحيم، ﴿۞نَبِّئۡ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾﴾[2].

٢٤٣ سم: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ﴾[3].

الجِهَةُ المُقَابِلَةُ للبَابِ: ظَهرُ الكَعبَةِ:

٢٤٤ سم بسم الله الرحمٰن الرحيم، ﴿وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضۡلٗا كَبِيرٗا ﴿٤٧﴾﴾[4].

---

(١) سورة الإخلاص، آية (١ . ٤).

(٢) سورة الحجر، آية (٤٩).

(٣) سورة البقرة، آية (١٨٦).

(٤) سورة الأحزاب، آية (٤٧).

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾﴾[1].

بَينَ الحَجَرِ الأَسوَدِ وَالرُّكنِ اليَمَانِي:

٢٤٢ سم: بسم الله الرحمٰن الرحيم، ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾﴾[2].

٢٣٧ سم: ﴿وَإِنِّى لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ﴿٨٢﴾﴾[3].

مُلَاحَظَة: إِنَّ التَّصمِيمَات الفَنِّيَّة والخُطُوط المَكتُوبَة عَلى الكِسوَةِ لَيسَت ثَابِتَة بَل يَنَالُهَا شَيءٌ مِنَ التَّغيير مِن وَقتٍ لآخَر، بُغيَةَ الحُصُولِ عَلَى مَا هُوَ أَفضَل، وَذَلِكَ بَعدَ أَن تَتِمَّ المُوافَقَة عَلَيهَا مِنَ الجِهَةِ المَسؤُولَة.

سِتَارَةُ الكَعبَةِ

تُسَمَّى البُرْقُع وَهِيَ تَابِعَةٌ لِلكِسوَةِ إِلَّا أَنَّ تَطرِيزَهَا يُمَيِّزُهَا عَن بَاقِي الكِسوَةِ وَارتِفَاعُهَا **٦,٣٢**م وَعَرضُهَا **٣,٣٠** م، وَقَد كُتِبَ فِي حَاشِيَتِهَا ضِمنَ **٨** دَوَائِر «اللهُ رَبِّي» وَفِي وَسَطِهَا ضِمنَ **٣** دَوَائِر «حَسْبِيَ اللهُ»[4] وَفِي أَطرَافِهَا سُورَةُ الفَاتِحَة: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿١﴾ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾ إِيَّاكَ

---

(١) سورة النساء، آية (١١٠).

(٢) سورة الحج، آية (٣٢).

(٣) سورة طه، آية (٨٢).

(٤) معناه الله كافيَّ، الله كافٍ عبده.

نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ۝٥ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧﴾[1]، ضِمنَ ١٠ دَوائِر، وَفِي أعلَى السِّتَارَةِ ﴿قَدۡ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجۡهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبۡلَةٗ تَرۡضَىٰهَاۚ﴾[2]، ضِمنَ دَائِرَتَينِ مُستَطِيلَتَينِ، وَكُتِبَ تَحتَهُ: بسم الله الرحمٰن الرحيم، ﴿۞وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ۝١٣٣﴾[3]، وَيَلِيهَا ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾، ضِمنَ ٤ قَنَادِيل، وَتَلِيهَا ءَايةُ الكُرسِي ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ۝٢٥٥﴾[4]، وَتَحتَهَا بسم الله الرحمٰن الرحيم، ﴿لَّقَدۡ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءۡيَا بِٱلۡحَقِّۖ لَتَدۡخُلُنَّ ٱلۡمَسۡجِدَ ٱلۡحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ﴾[5]، وَسُورَةُ الإخلَاص ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمۡ يَلِدۡ وَلَمۡ يُولَدۡ ۝٣ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ ۝٤﴾[6]، فِي دَائِرَتَينِ فِي وَسَطِهِمَا البَسمَلَةُ بسم الله الرحمٰن الرحيم، وَبَينَهُمَا ﴿۞قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن

(١) سورة الفاتحة، آية (١ . ٧).

(٢) سورة البقرة، آية (١٤٤).

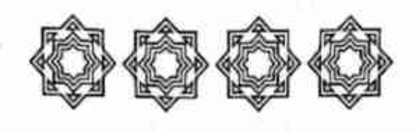
(٣) سورة النور، آية (٣٥).

(٤) سورة البقرة، آية (٢٥٥).

(٥) سورة الفتح، آية (٢٧).

(٦) سورة الإخلاص، آية (١ . ٤).

﴿رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾﴾[1]، وَيَلِيهَا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ المَلِكُ الحَقُّ المُبِينُ[2]، مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ الصَّادِقُ الوَعدِ الأَمِين، وَسُورَةُ قُرَيش ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيۡشٍ ﴿١﴾ إِۦلَٰفِهِمۡ رِحۡلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيۡفِ ﴿٢﴾ فَلۡيَعۡبُدُواْ رَبَّ هَٰذَا ٱلۡبَيۡتِ ﴿٣﴾ ٱلَّذِيٓ أَطۡعَمَهُم مِّن جُوعٖ وَءَامَنَهُم مِّنۡ خَوۡفِۭ ﴿٤﴾﴾[3]، وَفِي الأَخِيرِ: صُنِعَت هَذِهِ السِّتَارَةُ فِي مَكَّةَ المُكَرَّمَة وَأَهدَاهَا إِلَى الكَعبَةِ المُشَرَّفَة خَادِمُ الحَرَمَينِ الشَّرِيفَين.



---

(١) سورة الزمر، آية (٥٣).

(٢) بمعنى الظاهر فوق كل شيء بالقهر والغلبة، والقوة لا بالمكان والصورة والكيفية.

(٣) سورة قريش، آية (١ ـ ٤).

أَكْرَمُ ظِلٍّ عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ

جَلَسَ النَّبِيُّ ﷺ فِي ظِلِّ الكَعبَةِ وَهُوَ أَكرَمُ ظِلٍّ عَلَى وَجهِ الأَرضِ. كَمَا رَوَى البُخَارِيُّ عَن خَبَّابٍ قَالَ: شَكَونَا إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ وَهُوَ مُتَوَسِّدٌ بُردَةً لَهُ فِي ظِلِّ الكَعبَةِ...[1].

وَقَالَ مُحَمَّدُ بنُ سُوقَة: كُنَّا مَعَ سَعِيدِ بنِ جُبَيرٍ فِي ظِلِّ الكَعبَةِ فَقَالَ: أَنتُم الآنَ فِي أَكرمِ ظِلٍّ عَلَى وَجهِ الأَرضِ[2].

البَيتُ المَعمُور

الكَعبَةُ المُشَرَّفَةُ فِي الأَرضِ تُوَازِي البَيتَ المَعمُورَ فِي السَّماءِ كَمَا قَالَ عَلِيٌّ وَابنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنه فِي تَفسِيرِ قَولِهِ تَعَالَى: ﴿وَٱلْبَيْتِ ٱلْمَعْمُورِ ۝٤﴾[3]، هُوَ بَيتٌ فِي السَّمَاءِ بِحِيَالِ الكَعبَةِ مِن فَوقِهَا[4]، وَحُرمَتُهُ فِي السَّماءِ كَحُرمَةِ الكَعبَةِ فِي الأَرضِ، يُصَلِّي فِيهِ كُلَّ يَومٍ سَبعُونَ أَلفًا مِنَ المَلَائِكَةِ لَا يَعُودُونَ إِلَيهِ أَبدًا[5].

---

(١) صحيح البخاري، البخاري، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، (٣٦١٢).

(٢) القِرى لقاصد أم القُرى، الطبري (ص/ ٣٣٥).

(٣) سورة الطور، آية (٤). تفسير الطبري، الطبري، تفسير سورة الطور. **تفسير القرطبي**، القرطبي.

(٤) أي بمحاذاته. وقال بعض العلماء: ورد أن في كل سماءٍ بيت كالبيت المعمور محاذٍ للكعبة.

(٥) صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة (٣٢٠٧).

المَطَافُ

هُوَ الفَضَاءُ الَّذِي حَولَ الكَعبَةِ المُشَرَّفَةِ الخَالِي مِن أَيِّ بِنَاءٍ سِوَى مَقَام إِبرَاهِيم، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾[1].

مِن ءَادَابِ الطَّوَافِ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**الطَّوَافُ حَولَ البَيتِ مِثلُ الصَّلَاةِ إِلَّا أَنَّكُم تَتَكَلَّمُونَ فِيهِ، فَمَن تَكَلَّمَ فِيهِ فَلَا يَتَكَلَّمُ إِلَّا بِخَيرٍ**»[2].

وَيَنبَغِي للطَّائِفِ أَن يَتَوَجَّهَ بِقَلبِهِ وَلِسَانِهِ إِلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَيَسأَلُهُ مِن خَيْرَي الدُّنيَا وَالآخِرَة.

مِن فَضلِ الطَّوَافِ:

وَمِن فَضلِهِ مَا حَوَاهُ مِن دَفنِ الأَنبِيَاءِ فِيهِ، وَرَوَى الحَسنُ فِي رِسَالَتِهِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «**مَا بَينَ الرُّكنِ اليَمَانِي إِلَى الرُّكنِ الأَسوَدِ**[3] **سَبعُونَ نَبِيًّا**»[4][5].

وَفِي مَنسَكِ ابنِ جَمَاعَة: «مَا بَينَ الرُّكنِ وَالمَقَامِ وَزَمزَم نَحو مِن أَلفِ نَبِيّ»[6].

---

(١) سورة البقرة، آية (١٢٥).

(٢) سنن الترمذي، الترمذي، أبواب الحج عن رسول الله ﷺ، (٩٦٠).

(٣) لكن هذا لم يثبت في كتب الصحيح المطبوعة اليوم.

(٤) قال بعض العلماء: ورد بإسنادٍ قريبٍ من الصحيح أنه دُفِنَ في الخيف سبعون نبيًا.

(٥) فضائل مكة والسكن فيها، الحسن البصري، (ص/ ٢٠).

(٦) هداية السالك، ابن جماعة، (١/ ١٩٥).

مَا وَرَدَ فِي فَضلِ الطَّوَافِ:

وَمِن فَضلِهِ وُقُوع الطَّوَافِ الَّذِي هُوَ كَالصَّلَاةِ وَهُوَ مِن أعظَمِ القُرُبَاتِ فِيهِ، فَيُستَحَبُّ الإِكثَارَ مِنهُ وَالدُّعَاءَ فِيهِ.

وَقَد وَرَدَ بِفَضلِهِ الكِتَاب وَالسُّنَّة وَالأَثَر.

أَمَّا الكِتَابُ فَمَا تَقَدَّمَ مِن قَولِهِ تَعَالَى: ﴿وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾[1].

وَأَمَّا السُّنَّةُ فَأَكثَرَ مِن أَن تُحصَر، فَمِنهَا مَا رَوَى ابنُ جَمَاعَة عَن ابنِ عُمَرَ أَنَّهُ ﷺ قَالَ: «**مَن طَافَ بِالبَيتِ سَبعًا وَصَلَّى رَكعَتَينِ كَانَ كَعِتقِ رَقَبَةٍ**»[2].

وَعَنهُ أَيضًا قَالَ: سَمِعتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُول: «**لَا يَضَعُ قَدَمًا وَلَا يَرفَعُ قَدَمًا أُخرَى إِلَّا حَطَّ اللهُ عَنهُ خَطِيئَةً وَكَتَبَ لَهُ بِهَا حَسَنَةً**» رَوَاهُ التِّرمِذِيُّ مُحَسِّنًا[3]، وَفِي رِوَايَةِ أَحمَد: «**إِلَّا كُتِبَت لَهُ عَشرُ حَسَنَاتٍ وَحُطَّ عَنهُ عَشرُ سَيِّئَاتٍ، وَرُفِعَ لَهُ عَشرُ دَرَجَاتٍ**»[4].

وَعَن ابن عَبَّاسٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قال: «**الكَعبَةُ مَحفُوفَةٌ بِسَبعِينَ أَلفَ مَلَكٍ يَستَغفِرُونَ اللهَ لِمَن طَافَ بِهَا وَيُصَلُّونَ عَلَيهِ**»[5].

---

(١) **سورة الحج**، آية (٢٩).

(٢) **هداية السالك**، ابن جماعة، (١/١٧٧). **صحيح ابن خزيمة**، ابن خزيمة، (٢٧٥٣).

(٣) **سنن الترمذي**، الترمذي، (٩٥٦). **المستدرك**، الحاكم، (١/٤٨٩). **صحيح ابن خزيمة**، ابن خزيمة، (٢٧٥٣).

(٤) **مسند الإمام أحمد**، أحمد، (٤٤٦٢).

(٥) **أخبار مكة**، الفاكهي، (١/١٩٦).

مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ

المَقَامُ لُغَةً مَوضِعُ قَدَمِ القَائِمِ، وَمَقَامُ إبرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ هُوَ الحَجَرُ الَّذِي أَتَى بِهِ إِسمَاعِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ عِندَ بِنَاءِ الكَعبَةِ لِيَقِفَ عَلَيهِ إبرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، كَانَ إِسمَاعِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ يُنَاوِلُهُ الحِجَارَةَ وَإِبرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَضَعُهَا بِيَدِهِ الشَّرِيفَة، كُلَّمَا ارتَفَعَ البِنَاءُ ارتَفَعَ الحَجَرُ[1]. وَالـمَقام أَصلُهُ مِنَ الجَنَّةِ، رَوَى الفَاكِهِيُّ عَن ابنِ عَبَّاسٍ بِإِسنَادٍ حَسَنٍ أَنَّهُ قَالَ: «الـمَقَامُ مِن جَوْهَرِ الجَنَّةِ»[2][3].

مِن فَضَائِلِ مَقَامِ إبرَاهِيم: اتِّخَاذُهُ مُصَلًّى: إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ أَمَرَنَا بِاتِّخَاذِ مَقَامِ إبرَاهِيمَ مُصَلّى، وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى فَضلِ المَقَامِ وَشَرَفِهِ. قَالَ عُمَرُ: وَافَقَنِي رَبِّي فِي ثَلاث، قُلتُ: يَا رَسُولَ اللهِ لَوِ اتَّخَذتَ مِن مَقَامِ إِبرَاهِيمَ مُصَلًّى، قَالَ عَلَيهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**لَم أُؤمَر بِذَلِكَ**» فَلَم تَغِب الشَّمسُ حَتَّى نَزَلَت الآيَة: ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾[4]. وَعَن جَابِرٍ رضي الله عنه فِي صِفَةِ حَجَّةِ النَّبِيِّ قَالَ: «حَتَّى إِذَا أَتَينَا البَيتَ مَعَهُ - استَلَمَ الرُّكنَ فَرَمَلَ ثَلَاثًا وَمَشَى أَربَعًا، ثُمَّ نَفَذَ إِلَى مَقَامِ إبرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَرَأَ: ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾.

يَاقُوتُهُ مِنَ الجَنَّةِ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ «**إِنَّ الرُّكنَ وَالمَقَامَ يَاقُوتَتَانِ مِن يَوَاقِيتِ الجَنَّةِ طَمسَ اللهُ نُورَهُمَا، وَلَو لَم يَطمِس نُورَهُمَا لَأَضَاءَتَا مَا بَينَ**

(١) **الجامع اللطيف**، ابن ظهيرة، (ص/ ٣٥). **شفاء الغرام**، أبو الطيب، (١/ ٢٠٢).

(٢) قال بعض العلماء: ثبت أن الحجر الأسود ومقام إبراهيم نزلا من الجنة.

(٣) **أخبار مكة**، الفاكهي، (١/ ٤٤٩).

(٤) سورة البقرة، آية (١٢٥). **صحيح البخاري**، البخاري، كتاب التفسير، (٤٤٨٣).

المَشرِقِ وَالمَغرِب»[(١)]، وَفِي رِوَايَةِ البَيهَقِيّ: «**وَلَولَا مَا مَسَّهُمَا مِن خَطَايَا بَنِي ءَادَمَ لأَضَاءَا مَا بَينَ المَشرِقِ وَالمَغرِبِ**»[(٢)].

مَوْطِنُ إجَابَةِ الدعاء: يَنبَغِي إكثَارُ الصَّلَاةِ عِندَ المَقَام إذَا لَم يُؤذِ أحدًا مِنَ الأَنَام، لأَنَّهُ أعظَمُ الأمَاكِن الَّتِي صَلَّى فِيهَا ﷺ خُصُوصًا رَكعَتَي الطَّوَافِ فَإِنَّهُ يُسْتَحَبُّ مُؤَكَّدًا أدَاؤُهُمَا خَلْفَهُ.

وَيَحتَوِي الحَجَرُ عَلَى ءَايَاتٍ[(٣)] إلٰهِيَّةٍ ومعُجزاتٍ بَاقِيَةٍ لإبرَاهِيمَ عليه السلام، قَالَ تَعَالَى: ﴿**إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ**﴾[(٤)].

فَغُوصُ قَدَمَيْ إبرَاهِيمَ عليه السلام فِي هَذَا الحَجَرِ فِيهِ تَذلِيلُ اللهِ سُبحَانَهُ وَتَعَالَى للمُؤمِنِ الأَشيَاءَ إذَا أخلَصَ إيمَانَهُ.

وَتَجدرُ الإشَارَةُ إِلَى أَنَّ قَدَمَي النَّبِيّ ﷺ تُشبِهُ قَدَمَي جَدّهِ إبرَاهِيمَ عليه السلام كَمَا قَالَ جَهمُ بنُ حُذَيفَةَ القُرَشِيُّ الصَّحَابِيُّ الَّذِي حَضَرَ بِنَاءَ قُرَيشٍ وَبِنَاءَ ابنِ الزُّبَيرِ للكَعبَةِ: مَا رَأيتُ شَبهًا كَشَبَهِ قَدَمِ النَّبِيّ بِقَدَمِ إبرَاهِيمَ الَّتِي كُنَّا نَجِدُهَا فِي المَقَامِ. وَرَوَى البُخَارِيُّ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**وَأَنَا أَشبَه وَلَدِ إبرَاهِيمَ بِهِ**»[(٥)].

---

(١) سنن الترمذي، الترمذي، كتاب الحج، باب فضل الحجر الأسود والركن والمقام، (٨٧٨).

(٢) صحيح ابن حبان، ابن حبّان، (٢٧١٠). السنن الكبرى، البيهقي، (١٢٢/٥).

(٣) أي علامات.

(٤) سورة آل عمران، آية (٩٦، ٩٧).

(٥) صحيح البخاري، البخاري، كتاب الأنبياء، باب قول الله تعالى: ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴿١٥﴾﴾، (٣٣٩٤).

بِئرُ زَمزَم

زَمزَمُ: هِيَ بِئرٌ تَقَعُ فِي الحَرَمِ المَكِّيِّ عَلَى بُعدِ ٢٠ مِترًا عَنِ الكَعبَةِ، وَيُعتَبَرُ مَاؤُهَا المُقَدَّسَة عِندَ المُسلِمِينَ لِمَا يَحمِلُهُ مِن مَعَانٍ دِينِيَّة، فَهُوَ نَافِعٌ للأَمرَاضِ المَعنَوِيَّةِ وَالظَّاهِرَةِ كَطَلَبِ المَغفِرَةِ.

فَتحَةُ البِئرِ تَقَعُ تَحتَ سَطحِ المَطَافِ عَلَى عُمقِ ١,٥٦مِترًا، خَلفَ مَقَامِ إبرَاهِيمَ إِلَى اليَسَارِ مُقَابِلَ الكَعبَة. وَالبِئرُ يَنقَسِمُ إِلَى قِسمَين: الأَوَّلُ مَبنِيٌّ عَلَى عُمقِ ١٢,٨٠ مِترًا عَن فتحَةِ البِئرِ. وَالثَّانِي جُزءٌ مَنقُورٌ فِي صَخرِ الجَبَلِ بِطُولِ١٧,٢٠ مِترًا، أَي أَنَّ عُمقَ البِئرِ ٣٠ مِترًا مِن فتحَةِ البِئرِ إِلَى قَعرِهِ.

وَأَمَّا العُيونُ الَّتِي تُغَذِّي بِئرَ زَمزَمَ فَهِيَ ثَلَاثَة عُيُون: عَينٌ حِذَاءَ[1] الرُّكنِ الأَسوَدِ، وَعَينٌ حِذَاءَ جَبَلِ أَبِي قُبَيسٍ وَالصَّفَا، وَعَينٌ حِذَاءَ المَروَةِ.

ثُمَّ لِزَمزَمَ أَسمَاء، وَمَعلُومٌ عِندَ العَرَبِ أَنَّ كَثرَةَ الأَسمَاءِ تَدُلُّ عَلَى شَرَفِ المُسَمَّى وَهِيَ: زَمزَمُ، وَهَزْمَةُ جِبرِيل[2]، وَسُقيَا الله إِسمَاعِيل، وَبَرَكَةُ وَسَيِّدَة، وَنَافِعَة، وَعَونَة، وَبُشرَى، وَصَافِيَة، وَبَرَّة، وَعِصمَة، وَسَالِمَة، وَمَيمُونَة، وَمُبَارَكَة، وَكَافِيَة، وَعَافِيَة، وَمُغذِيَة، وَطَاهِرَة، وَمُروِيَة، وَطَعَامُ طُعْم، وَشِفَاءُ سُقْم، شَبَّاعَةُ العِيَالِ، شَرَابُ الأَبرَارِ، إِلَى

(١) أي تحاذيه.

(٢) أي غمزته بعقب رِجلِه.

غَيرِ ذَلِكَ مِنَ الأَسمَاءِ بِالعَشَرَاتِ[1].

وَفِي ذِكرِ قِصَّتِهَا مُختَصَرًا: أَنْ جَاءَ إبرَاهِيمُ عليه السلام بِإسمَاعِيلَ عليه السلام وَأُمِّهِ إِلَى مَكَّةَ وَتَرَكَ لَهُمَا تَمرًا وَمَاءً وَرَجع، فَنَفَدَ الزَّادُ وَعَطِشَا، فَانطَلَقَت هَاجَرُ إِلَى الصَّفَا وَقَامَت عَلَيهِ لَعَلَّهَا تَرَى أَحَدًا، ثُمَّ سَعَت إِلَى المَروَةِ وَقَامَت عَلَيهَا فَلَم تَرَ أَحدًا، وَهَكَذَا سَعَت بَينَ الصَّفَا وَالمَروَةِ وَفِي المَرَّةِ السَّابِعَةِ سَمِعَت صَوتًا فَإِذَا مَلَكٌ ضَرَبَ بِجَنَاحِهِ وَظَهَرَ المَاءُ فَشَرِبَت وَأَرضَعَتهُ وَلَدَهَا، وَنَزَلَت مَكّة قَبِيلَةٌ مِنَ اليَمَنِ يُقَالَ لَهَا: جُرْهُم، وَمَكَثَت بِهَا مَا شَاءَ اللهُ أَن تَمكُث، وَلَمَّا تَهَاوَنَت بِحُرْمَة البَيتِ نَضب مَاءُ زَمزَم، وَاندَثَرَ مَوضِعُ البِئرِ لَا يَعرِفُهُ أَحَدٌ عَلَى مَرِّ القُرُونِ.

وَذَاتَ لَيلَةٍ رَأَى عَبدَ المُطَّلِب - جَدُّ النَّبِيِّ ﷺ - فِي المَنَامِ أَنَّ هَاتِفًا يَأمُرُهُ بِحَفْرِ مَاءِ زَمزَم فِي هَذَا المَوضِعِ، فَحُفِرَ البِئرُ وَظَهَرَ المَاءُ، فَأَبَاحَهُ لِكُلِّ شَارِبٍ وَصَارَتِ السِّقَايَةُ لَهُ ثُمَّ للعَبَّاسِ بنِ عَبدِ المُطَّلِبِ، وَأَقَرَّهُ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى ذَلِكَ يَومَ الفَتح[2] وَكَانَت تُسَمَّى فِي الجَاهِلِيَّةِ شَبَّاعَة العِيَالِ وَسُمِّيَت حَفيرَة عَبدِ المُطَّلِب، وَقَالَت أُمُّ أَيمَن حَاضِنَةُ رَسُولِ اللهِ ﷺ: مَا شَكَى مُحَمَّد جُوعًا قَطُّ وَلَا عَطَشًا، كَانَ يَغدُو إِذَا أَصبَحَ فَيَشرَب مِن مَاءِ زَمزَم، فَرُبَّمَا عَرَضْنَا عَلَيهِ الغَدَاءَ، فَيَقُولُ: **«أَنَا شَبْعَانُ»**[3].

وَعَن ابنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«مَاءُ زَمزَمَ**

---

(١) كالرَّواء ومكتومة ومصنونة وحَفيرة عبد المطّلب وتُكتم وحرمِيَّة وركضة جبريل وهمزة جبريل ووطأة جبريل وغياث ومجلية البصر وغيرها.

(٢) **أخبار مكة**، الأزرقي، (١/ ٨٤). **شفاء الغرام**، أبو الطيب، (١/ ٢٤٧).

(٣) **دلائل النبوة**، أبو نعيم، (١/ ١٦٧).

لِمَا شُرِبَ لَهُ، فَإِذَا شَرِبتَهُ تَستَشفِي بِهِ شَفَاكَ اللهُ، وَإِذَا شَرِبتَهُ مُستَعِيذًا بِهِ أَعَاذَكَ اللهُ، وَإِن شَرِبتَهُ لِتَقطَعَ ظَمَأَكَ قَطَعَهُ اللهُ»[1].

وَعَن أَبِي ذَرٍّ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «فُرِجَ عَنْ سَقْفِ بَيتِي وَأَنَا بِمَكَّةَ فَنَزَلَ جِبرِيلُ، فَفَرَجَ صَدرِي، ثُمَّ غَسَلَهُ بِمَاءِ زَمْزَم، ثُمَّ جَاءَ بِطَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ مُمْتَلِئٍ حِكْمَةً وَإِيمَانًا، فَأَفْرَغَهُ فِي صَدْرِي ثُمَّ أَطْبَقَهُ»[2].

وَعَن ابنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «خَيرُ مَاءٍ عَلَى وَجْهِ الأَرضِ مَاءُ زَمْزَم، فِيهِ طَعَامُ الطُّعمِ، وَشِفَاءُ السُّقْمِ»[3]، وَطَعَامُ طُعمٍ أَي يشْبَعُ الإِنسَانُ مِن مَائِهَا إِذَا شَرِبَهُ، كَمَا يشبَعُ مِنَ الطَّعَامِ إِذَا أَكلَهُ، وَشِفَاءُ سُقمٍ أَي يُزِيلُ المَرَضَ وَيُبْرِئُ العِلَّةَ.

وَعَن عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَت: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ «يَحمِلُ مَاءَ زَمزَمَ فِي الأَدَاوَى[4] وَالقِرَبِ، وَكَانَ يَصُبُّ عَلَى المَرضَى وَيسْقِيهِم»[5].

فَضَائِلُ مَاءِ زَمزَم: بِئرٌ شَرِيفَةٌ وَعَظِيمَة، وَهِيَ أَشرَفُ ءَابَارِ الدُّنيَا،

---

(١) **المستدرك**، الحاكم، كتاب المناسك، (٢/ ٥٤٤)، (ح ١٧٦٠).

(٢) **صحيح البخاري**، البخاري، كتاب الصلاة، باب كيف فرضت الصلاة في الإسراء، (٣٤٩).

(٣) قال المناوي: قال الهيثمي: رواه الطبراني في المعجم الكبير، رجاله ثقات؛ وصححه ابن حبان؛ وقال ابن حجر: رواته موثقون؛ وفي بعضهم مقال؛ لكنه قوي في المتابعات. **مجمع الزوائد** (٣/ ٢٨٦)، **فيض القدير**، المناوي، (٣/ ٥٥٩).

(٤) بفتح الواو، ومفردها الإداوة بالكسر وهي المِطْهرة، كما في المصباح المنير، أي إناءٌ صغيرٌ من جلد.

(٥) **التاريخ الكبير**، البخاري (٣/ ١٨٩). **سنن الترمذي**، الترمذي، أبواب الحج عن رسول الله ﷺ (٩٦٣).

أُوْلَى الثَّمَرَاتِ الَّتِي أعطَاهَا بِدُعَاءِ إبرَاهِيمَ ﵇، وَهُوَ سَبَبٌ لِعُمرَانِ وَحَيَاةِ مَكَّةَ المُكَرَّمَة، وَهُوَ مِن أعظَمِ النِّعَمِ المَشهُورَةِ عِندَ البَيتِ الحَرَام، وَهُوَ خَيرُ مَاءٍ عَلَى وَجهِ الأَرضِ، نَبَعَ فِي أقدَسِ بُقعَةٍ عَلَى وَجهِ الأَرضِ، وَغُسِلَ بِهِ قَلبُ المُصطَفَى ﷺ أكثَرَ مِن مَرَّةٍ، وَبَارَكَ فِيهِ الرَّسُولُ ﷺ بِرِيقِهِ الشَّرِيف، وَهُوَ طَعَامُ طُعْم وَشِفَاءٌ مِن كُلِّ دَاءٍ وَإنَّهُ يُذْهِبُ الصُّدَاع، وَالنَّظَرُ فِيهِ يَجلُو البَصَرَ، وَهُوَ شَرَابُ الأَبرَارِ، كَمَا أَنَّهُ يُكسِبُ الجِسمَ قُوَّةً.

وَعَن ابنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**الحُمَّى مِن فَيْحِ جَهَنَّمَ فَأَبْرِدُوهَا بِمَاءِ زَمْزَمَ**» رَوَاهُ أَحمَدُ وَابنُ أَبِي شَيبَةَ وَابنُ حِبَّانَ، وَفِي البُخَارِيِّ بِالشَّكِّ بِالمَاءِ أو بِمَاءِ زَمْزَم.

ءَادَابُ وَدُعَاءُ شُربِ زَمزَم: يُسْتَحَبُّ شُرب مَاءِ زَمزَم، وَالإِكثَارَ مِنهُ، وَيَنبَغِي لِمَن أَرَادَ شُربَهُ أن يَنزِعَ الدَّلوَ بِنَفسِهِ إن تَيَسَّر، وَأَن يَكُونَ الدَّلو مِمَّا يَلِي الحَجَرَ الأَسوَدَ، وَيَأخُذَ بِيَمِينِهِ، وَيَستَقبِلَ القِبلَةَ وَيَقُولُ: اللَّهُمَّ إنَّهُ بَلَغَنِي عَن نَبِيِّكَ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «**مَاءُ زَمزَم لِمَا شُرِبَ لَهُ**»[1] اللَّهُمَّ إنِّي أَشرَبُهُ لِكَذَا[2]، وَيُعَيِّن مُرَادَهُ وَيَقُولُ: بِسمِ اللهِ وَالحَمدُ للهِ، والصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللهِ.

---

(١) مسند الإمام أحمد، أحمد، مسند جابر بن عبد الله (١٤٨٤٩). سنن ابن ماجه، ابن ماجه، كتاب المناسك، باب الشرب من زمزم (٣٠٦٢). السنن الكبرى، البيهقي، (٥/ ٢٤١)، (ح ٩٦٦٠).

(٢) وكان عمر بن الخطاب يقول عند شربه: اللهم إني أشربه لظمأ يوم القيامة. وأبو حنيفة شربه على أن يكون أعلم العلماء فكان كذلك. وكان الشافعي يشربه على نية الرمي والعلم ودخول الجنة.

زَمزَمُ مَاءٌ بَارَكَ فِيهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِرِيقِهِ الشَّرِيفِ. عَن ابنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه قَالَ: جَاءَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى زَمزَم، فَنزَعنا لَهُ دَلوًا، فَشَرِبَ، ثُمَّ مَجَّ فِيهَا، ثُمَّ أَفرَغنَاهَا فِي زَمْزَم، ثُمَّ قَالَ: «لَوْلَا أَنْ تُغْلَبُوا عَلَيْهَا لَنَزَعْتُ بِيَدَيَّ»[1] وَبِهَذَا تعلَمُ أَنَّ بَرَكَةَ رِيقِهِ الشَّرِيفِ ﷺ قَد حَلَّت عَلَى بَرَكَةِ زَمزَم، فَازدَادَ مَاءُ زَمزَم بَرَكَةً عَلَى بَرَكَة، وَلَذَّةً عَلَى لَذَّةٍ، وَشِفَاءً عَلَى شِفَاءٍ، وَنُورًا عَلَى نُورٍ، وَطُهُورًا عَلَى طُهُورٍ بِمَجِّهِ فِي دَلوٍ قد أُهْرِيقَ فِي زَمزَم.

فَلنَقْبَلِ البُشْرَى بِمَاءِ زَمْزَمَ الَّذِي بَارَكَ فِيهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِرِيقِهِ الشَّرِيف، وَلْنُقْبِل عَلَيهِ مُتَبَرِّكِينِ بِشُربِهِ وَالوُضُوءِ وَالاغتِسَالِ بِهِ.

فَمَا أَرْحَمَهُ عَلَى أُمَّتِهِ، وَأَرأَفَهُ بِهَا، حَيثُ لَم يَرْضَ بِحِرْمَانِ مَن يَأتِي بَعدَهُ ﷺ مِن أُمَّتِهِ إِلَى يَومِ القِيَامَةِ مِن فَضلِ سُؤْرِهِ، وَبَرَكَةِ طُهُورِهِ، فَدَيْنَاهُ بِآبَائِنَا وَأُمَّهَاتِنَا.

قِصَّةُ مَاءِ زَمْزَم

الحَمدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى أَفضَلِ المُرسَلِينَ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى ءَالِهِ وَأَصحَابِهِ الطَّيِّبِينَ الطَّاهِرِينَ، وَبَعدُ.

مَكَثَ إِبرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، مَعَ زَوْجَتِهِ سَارَة فِي فِلَسطِينَ وَاستَقَرَّ بِهَا. وَكَانَت سَارَةُ عَقِيمًا لَا تَلِدُ، وَكَانَ يُحزِنُهَا أَن تَرَى زَوجَهَا لَيسَ لَهُ وَلَد، وَقِيلَ كَانَ قَد بَلَغَ مِنَ العُمُرِ سِتًّا وَثَمَانِينَ سَنَة وَهِيَ جَاوَزَت السَّبعِين، فَوَهَبَت

---

(١) مسند الإمام أحمد، أحمد، (٣٥٢٧). معجم الطبراني، الطبراني، (٩٧/١١).

سَارَة هَاجَرَ وَأَعطَتهَا لِزَوجِهَا إِبرَاهِيمَ عَلَيهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، فقَبِلَ إِبرَاهِيمُ ذَلِكَ. إذ لمَّا اعْطَت سَارَةُ هَاجَرَ لإِبرَاهِيمَ عليه السلام صَارَت مِلْكَهُ وَحَلَالًا لَهُ فِي شَرِيعَةِ اللهِ لأَنَّهَا كَانَت أَمَةً مَملُوكَةً. فَلَمَّا دَخَلَ إِبرَاهِيمُ بِهَاجَر وَحَمَلتْ وَلَدَت لَهُ غُلَامًا زَكِيًّا هُوَ سَيِّدُنَا إِسمَاعِيلُ عليه السلام الَّذِي جَاءَ مِن نَسلِهِ سَيِّدُنَا مُحَمَّدٌ ﷺ، فَفَرِحَ إِبرَاهِيمُ عليه السلام بِهَذَا المَولُودِ الجَدِيدِ إِسمَاعِيل، ثُمَّ أَمَرَهُ اللهُ تَعَالَى أَن يَأخُذَهُ وَأُمَّهُ إِلَى مَكَّةَ لِيَعِيشَا فِيهَا هُنَاكَ، فَلَمَّا بَلَغَ إِبرَاهِيمُ مَعَ ابنِهِ إِسمَاعِيلَ وَأُمِّهِ هَاجَرَ مَكَّةَ وَكَانَت هَاجَرُ تُرضِعُ ابنَهَا إِسمَاعِيل وَضَعَهَا إِبرَاهِيمُ مَعَ ابنِهِ عِندَ دَوْحَةٍ، وَهِيَ الشَّجَرَةُ الكَبِيرَةُ، فَوقَ زَمزَمَ فِي أَعلَى المَسجِدِ، وَكَانَ مَكَانًا قَفْرًا[1]، وَلَيس بِمَكَّةَ يَومَئِذٍ أَحَدٌ وَلَا بُنيَانٌ وَلَا عُمْرانٌ وَلَا مَاءٌ وَلَا كَلأٌ[2]، تَرَكَهُما هُنَاكَ وَتَرَكَ لَهُمَا كِيْسًا فِيهِ تَمْرٌ وَسِقَاءٌ فِيهِ مَاءٌ، ثُمَّ لمَّا أَرَادَ العَودَةَ إِلَى بِلَادِ فِلِسطِين وَقَفَّى[3] رَاجِعًا لَحِقَتْهُ هَاجَرُ أُمُّ إِسمَاعِيلَ وَهِيَ تَقُولُ لَهُ: «يَا إِبرَاهِيمُ أَينَ تَترُكُنَا فِي هَذَا المَكَانِ الَّذِي لَيسَ فِيهِ سَمِيرٌ وَلَا أَنِيسٌ» وَجَعَلَت تَقُولُ لَهُ مِرَارًا ثُمَّ قَالَت لَهُ: «ءاللهُ أَمَرَكَ بِهَذَا» قَالَ: «**نَعَم**»، فَقَالَت لَهُ: بِلِسَانِ اليَقِينِ وَبِالمَنطِقِ القَوِيمِ: «إِذًا لَا يُضَيِّعُنَا» ثُمَّ رَجَعَت.

وَلمَّا ابتَعَدَ إِبرَاهِيمُ عَن وَلَدِهِ وَأُمِّ إِسمَاعِيلَ هَاجَر قَلِيلًا وَعِندَ الثَّنِيَّةِ التَفَتَ جِهَةَ البَيتِ وَوَقَفَ يَدعُو اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ ٣٧﴾[4].

---

(١) أي لا أنيسَ فيه، ولم يكن مكانًا معروفًا بهذا من قبل.

(٢) عشبٌ.

(٣) أي ولّى.

(٤) **سورة إبراهيم، آية (٣٧).**

مَكَثَتْ هَاجَرُ أُمُّ إسمَاعِيلَ مَعَ وَلَدِهَا إسمَاعِيلَ حَيثُ وَضَعَهُمَا إبرَاهِيمُ عليه السلام وَصَارَت تُرْضِعُ وَلَدَهُمَا إسمَاعِيلَ وتَشْرَبُ مِن ذَلِكَ المَاءِ الَّذِي تَرَكَهُ لَهُمَا إبرَاهِيمُ، حَتَّى إذَا نَفِدَ مَا فِي ذَلِكَ السِّقَاءِ عَطِشَت وَعَطِشَ ابنُهَا وَجَعَلَ يَبكِي مِن شِدَّةِ العَطَشِ وَجَعَلَت تَنظُرُ إلَيهِ وَهُوَ يَتَلَوَّى، فَأَخَذَت تُفَتِّشُ عَن مَاءٍ، فَوَجَدَت الصَّفَا أَقرَب جَبَلٍ يَلِيهَا فَصَعدَت عَلَيهِ، ثُمَّ استَقبَلَت الوَادِي تَنظُرُ هَل تَرَى أَحَدًا، فَلَم تَرَ أَحَدًا، فَهَبَطَت مِنَ الصَّفَا حَتَّى بَلَغَت الوَادِي وَصَارَت تَسعَى سَعيَ الإنسَانِ المَجهُود حَتَّى وَصَلَت إلَى جَبَلِ المَروَةِ، فَصَعَدَت عَلَيهِ وَنَظَرَت فَلَم تَجِد أَحَدًا فَأَخَذَت تَذهَبُ وَتَجِيءُ بَينَ الصَّفَا وَالمَروَةِ سَبعَ مَرَّاتٍ، فَلَمَّا أَشرَفَت عَلَى المَروَةِ سَمِعَت صَوتًا فَقَالَت «أَغِثنَا إن كَانَ عِندَكَ غَوَاث[1]؟» فَرَأَت مَلَكًا وَهُوَ جِبرِيلُ عليه السلام يَضرِبُ بِقَدَمِهِ الأَرضَ حَتَّى ظَهَرَ المَاءُ السَّلسَبِيلُ العَذبُ وَهُوَ مَاءُ زَمزَم. فَجَعَلَت أُمُّ إسمَاعِيلَ تُحَوِّطُ المَاءَ وَتَغرِفُ مِنهُ بِسِقَائِهَا وَهُوَ يَفُورُ، وَجَعَلَ جِبرِيل يَقُولُ لَهَا: «لَا تَخَافِي الضِّيَاعَ فَإِنَّ للهِ هَهُنَا بَيْتًا» وَأَشَارَ إلَى أَكَمَةٍ مُرتَفِعَةٍ مِنَ الأَرضِ يَبنِيهِ هَذَا الغُلَامُ وَأَبُوهُ.

وَرَوَى البُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **«يَرْحَمُ اللهُ أُمَّ إسْمَاعِيلَ لَوْ تَرَكَتْ زَمْزَمَ»**، أَوْ قَالَ: **«لَوْ لَم تَغْرِفْ مِنَ المَاءِ لَكَانَتْ زَمْزَم عَيْنًا مَعِينًا[2]»**.

شَرِبَتْ هَاجَرُ مِن مَاءِ زَمزَم، وَارتَوَتْ وَأَرْضَعَتْ وَلَدَهَا إسمَاعِيلَ شَاكِرَة اللهَ الكَرِيمَ اللَّطِيفَ عَلَى عَظِيمِ فَضلِهِ وَرَحمَتِهِ وَعِنَايَتِهِ، ثُمَّ بَدَأَت

---

(١) ويجوز في الغين التثليث، ومعناه فرجًا.

(٢) صحيح البخاري، البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء صلوات الله عليهم (٣٣٦٤)، معينًا: أي ظاهرًا جاريًا على وجه الأرض، كما فسّره الحافظ في الفتح.

الطُّيُور تَرِدُ المَاءَ وَتَحُومُ حَولَهُ، وَمَرَّت قَبِيلَةُ جُرهُم العَرَبِيَّة فَرَأَوا الطُّيُور حَائِمَةً حَولَ المَاءِ، فَاستَدَلُّوا بِذَلِكَ عَلَى وُجُودِ المَاءِ، فَوَصَلُوا إِلَى مَاءِ زَمزَمَ وَاستَأذَنُوا مِن أُمِّ إِسمَاعِيلَ أَن يَضرِبُوا خِيَامَهُم حَولَ ذَلِكَ المَكَانِ قَرِيبًا مِنهُ، فَأَذِنَت لَهُم وَاستَأنَسَت بِوُجُودِهِم حَولَهَا، ثُمَّ أَخَذَ العُمْرَانُ يَتَكَاثَرُ بِبَرَكَةِ هَذَا المَاءِ المُبَارَكِ الَّذِي خَلَقَهُ اللهُ فِي ذَلِكَ المَكَانِ مِن هَذِهِ البُقعَةِ المُبَارَكَةِ الطَّيِّبَةِ وَأَصبَحَت مَكَّة مَأهُولَةً بِالسُّكَّانِ مُنذُ ذَلِكَ الحِينِ بَعدَ أَن كَانَت جَردَاءَ وَقفرًا مُوْحِشًا.

شَبَّ إِسمَاعِيلُ عليه السلام وَلَدِ إِبرَاهِيمَ عليه السلام بَينَ قَبِيلَةِ جُرْهُم العَرَبِيَّة وَتَعَلَّمَ مِنهُمُ العَرَبِيَّةَ وَتَرَعْرَعَ بَينَهُم، وَلَمَّا أَعجَبَهُم سِيرَتُهُ وَخُلُقَهُ زَوَّجُوه، وَكَانَ سَيِّدُنَا إِبرَاهِيمُ عليه السلام بَعدَ أَن رَجَعَ إِلَى فِلسطِينَ يَذهَبُ كُلَّ مُدَّةٍ إِلَى مَكَّةَ يَتَرَدَّدُ إِلَيهِم وَيَتَفَقَّدُهُم صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيهِ.

زَمزَمُ بَرِيدُ الأُمنِيَات

زَمزَمُ بَرِيدُ الأُمنِيَاتِ وَطَعَامُ العَاكِفِين، فِي مَنبَعِهِ الأَسَاسِيِّ سِرٌّ يَعتَبِرُه عُلَمَاءُ الجُيُولُوجِيَا كَنزًا كَبِيرًا رُبَّما لَا تُكشَفُ رُمُوزُه إِلَى أَن تَقُومَ السَّاعَة.

مَا مِن مَاءٍ يَصِلُ إِلَى هَذَا النَّبعِ حَتَّى يَكتَسِبَ خَوَاصَ مَاءَ زَمزَم نَقَاءَهُ وَطَهَارَتَهُ. هَذِهِ النَّتِيجَةُ لَيسَت نَظَرِيَّةً أَو مَنقُولَةً مِن بُطُونِ الكُتُبِ القَدِيمَةِ لَكِنَّهَا خُلَاصَةُ أَبحَاثٍ عِلمِيَّةٍ شَمِلَت البِئرَ وَمَاءَهُ وَدَرَجَةَ نَقَائِهِ، وَشَمِلَت مِيَاهَ ءَابَارٍ أُخرَى قَرِيبَةً جِدًّا مِنهُ وُجِدَ أَنَّهَا لَا تَتَمَتَّعُ بِنَفسِ الخَوَاص.

يَفِيضُ المَاءُ مِنهُ مُنذُ ءَالَافِ السِّنِين دُونَ أَن يَجِفَّ أَو يَنقُصَ حَجم المِيَاهِ فِيهِ، وَكَانَتِ المُفَاجَأَةُ المُدهِشَةُ لِلعُلَمَاءِ أَثنَاءَ تَوسِعَةِ المَسجِدِ

الحَرَام وَتَشغِيلِ مَضَخَّاتٍ ضَخمَةٍ لِشَفطِ المِيَاهِ مِن بِئرِ زَمزَمَ حَتَّى يُمكِنَ وَضعُ الأَسَاسَاتِ، أَنَّ غَزَارَةَ المِيَاهِ المَسحُوبَةِ قَابَلَهَا فَيضَانٌ مُستَمِرٌّ فِي المَاءِ، يَفُورُ وَيَمُورُ كَأَنَّهُ أَموَاجُ البَحرِ.

فَإِذَا كَانَ العُلَماءُ يَقُولُونَ هَذَا وَيَتَعَجَّبُونَ مِنهُ، فَإِنَّ بَعضَ المُنقَطِعِينَ للعِبَادَةِ فِي الحَرَمِ المَكِّيِّ وَالعَاكِفِينَ يَرَوُونَ أَسرَارًا لَا يَجِدُونَ لَهَا تَفسِيرًا، فَيَكتَفُونَ بِاعتِبَارِهَا مِنَ الغَرَائِبِ وَالعَجَائِبِ، فَمَاءُ زَمزَمَ الَّذِي يَشرَبُونَهُ فِي أَنقَاعِهِم للعِبَادَةِ تَتَغَيَّرُ خَوَاصُّهُ فَيُصبِحَ كَأَنَّهُ لَبَنٌ أَو عَسَلٌ مُصَفًّى.

إِنَّ هَذَا البِئرَ هُوَ أَعظَمُ ءَابَارِ المِيَاهِ عِندَ المُسلِمِين، وَلَيسَ هُنَاكَ شَرَابٌ عَلَى وَجهِ الأَرضِ يَفُوقُ مَكَانَةَ مَاءِ زَمزَمَ عِندَهُم. وَيَحمِلُونَ هَذَا المَاءَ ذِي الطَّعمِ الفَرِيدِ مَعَانِي خَاصَّة، وَيُؤمِنُونَ بِأَنَّهُ مَكنُوزٌ بِأَسرَارِهِ، وَهُوَ فِي لُغَةِ العَارِفِينَ بَرِيدُ الأُمنِيَاتِ المُحَققَة، وَلَا يُخَالِطُ قُلُوبَهُم ذَرَّةُ شَكٍّ فِي أَنَّ زَمزَمَ لِمَا شُرِبَ لَهُ، شَرطَ أَن يَكُونَ مُؤمِنًا صَادِقَ النِّيَّة، غَيرَ مُكَذِّبٍ لِخَاصِيتِهِ وَلَا يَفعَلُ ذَلِكَ كَنَوعٍ مِنَ التَّجرُبَةِ.

وَعِندَ هَؤُلاءِ العَارِفِين أَيضًا أَنَّ اللهَ مَعَ المُتَوَكِّلِين، فَشُربُ زَمزَمَ عِندَهُم للخَائِفِ أَمَانٌ، وَللمَرِيضِ شِفَاءٌ، وَللجَائِعِ طَعَامٌ، وَلَا يُخَالِطُ شَارِبُهُ لإِيمَانِهِ القَاطِعِ بِأَسرَارِهِ، أَيَّ عَجَبٍ أَو استِنكَارٍ فِيمَا لَو تَغَيَّرَ حَالُهُ مِن مَحضِ مَاء، إِلَى شَرَابٍ مِن سَوِيقٍ أَو لَبَنٍ أَو عَسَلٍ مُصَفًّى، للمُنقَطِعِينَ وَالعَاكِفِينَ فِي البَيتِ العَتِيقِ.

وَالمَروِيَّاتُ حَولَ هَذِهِ الغَرَائِب كَثِيرَة، نَاءَت بِحَملِهَا بُطُون الكُتُبِ الدِّينِيَّة وَأَسفَارُ التَّارِيخِ وَالسِّيَرِ.

وَمَا يَزِيدُ هَذَا البِئرَ شَرَفًا عِندَ المُسلِمِينَ أَنَّهُ حُفِرَ بِجَنَاحِ جِبرِيلَ عليه

السلام غِيَاثًا للسَّيِّدَةِ هَاجَرَ وَابنِهَا الرَّضِيع إسمَاعِيل، وَسُقيَا لِضُيُوفِ الرَّحمَنِ، وَلِيَكُونَ ءَايَةً للنَّاسِ عَلَى مَرِّ العُصُورِ وَالأَزمَانِ.

وَلِمَاءِ زَمزَمَ أَسمَاء تَزِيدُ عَن سِتِّين اسمًا أَشهَرُهَا زَمزَم، وَشَرَابُ الأَبرَارِ، وَطَيبَةٌ، وَبَرَّةٌ، وَبَرَكَةٌ، وَعَافِيَةٌ.

وَتَمَّت عِدَّةُ دِرَاسَاتٍ عِلمِيَّةٍ بِهَدَفِ مَعرِفَةِ مَصَادِرِهَا مِنَ المِيَاهِ، وَخَلُصَت هَذِهِ الدِّرَاسَاتُ أَنَّ بِئرَ زَمزَمَ تَستَقبِلُ مِيَاهَهَا مِن صُخُورٍ قَاعِيَةٍ وَذَلِكَ عَبرَ ثَلَاثِ تَصَاعُدَاتٍ صَخرِيَّةٍ تَمتَدُّ مِنَ الكَعبَةِ المُشَرَّفَةِ وَالصَّفَا وَالمَروَةِ وَتَلتَقِي فِي البِئرِ.

وَأَنَّ شَركَة فَرنسِيَّة عَمِلَت جِهَازًا دَقِيقًا للغَايَةِ فِي تَحلِيلِ تَركِيبِ المِيَاهِ، وَجَاءَت إِلَى السُّعُودِيَّةِ لِتَسوِيقِهِ. وَقَامَ مُمَثِّلُ الشَّركَةِ بِعَرضِ إِمكَانِيَّاتِ الجِهَازِ الحَدِيثِ أَمَامَ مَندُوبِي وُكَلاءِ المِيَاهِ المُحَلَّاةِ وَالمَعدَنِيَّةِ المُستَورِدَةِ إِلَى السُّوقِ المَحَلِّي تَبَيَّنَ أَنَّ مَاءَ زَمزَمَ كَانَ أَنقَى المِيَاهِ الَّتِي تَمَّ اختِبَارُهَا فِي هَذَا الجِهَاز.

إِذَن فَالمَصدَرُ الرَّئِيسِيّ فَتحَةٌ تَحتَ الحَجَرِ الأَسوَدِ مُبَاشَرَةً وَطُولُهَا خَمسَةٌ وَأَربَعُونَ سَنتِمترًا وَارتِفَاعُهَا ثَلَاثُونَ سَنتِمترًا، وَيَتَدَفَّقُ مِنهَا القَدرُ الأَكبَرُ مِنَ المِيَاه.

وَالمَصدَرُ الثَّانِي فَتحَةٌ كَبِيرَةٌ بِاتِّجَاهِ المَبنَى المُخَصَّص لِرَفعِ الأَذَانِ وَالإِقَامَةِ المُطِلّ عَلَى الطَّوَافِ، وَبِطُولِ سَبعِينَ سَنتِمترًا، وَمَقسُومَة مِنَ الدَّاخِلِ إِلَى فَتحَتَينِ، وَارتِفَاعُهَا ثَلَاثِين سَنتِمترًا. وَهُنَاكَ فَتحَاتٌ صَغِيرَة بَينَ أَحجَارِ البِنَاءِ فِي البِئرِ تَخرُجُ مِنهَا المِيَاه، خَمسٌ مِنهَا فِي المَسَافَةِ الَّتِي بَينَ الفَتحَتَينِ الأَسَاسِيَّتَينِ وَقَدرُهَا مِترٌ وَاحِدٌ. كَمَا تُوجَد وَاحِدٌ

وَعِشرون فتحَةً أُخرَى تَبدَأُ مِن جِوَارِ الفَتحَةِ الأَسَاسِيَّةِ الأُولَى، وَبِاتِّجَاهِ جَبَلِ أَبِي قُبَيسٍ مِنَ الصَّفَا وَالأُخرَى بِاتِّجَاهِ المَروَةِ.

وَيَبلُغُ عُمقُ البِئرِ ثَلَاثِينَ مِترًا عَلَى جُزئَينِ، الجُزءُ الأَوَّلُ مَبنِيٌّ عُمقُهُ اثنَا عَشَر مِترًا وَثَمَانُونَ سَنتِمِترًا عَن فَتحَةِ البِئرِ، وَالثَّانِي جُزءٌ مَنقُورٌ فِي صَخرِ الجَبَلِ وَطُولُهُ سَبعَةَ عَشرَ مِترًا وَعِشرُونَ سَنتِمِترًا. وَيَبلُغُ عُمقُ مُستَوَى المَاءِ مِن فَتحَةِ البِئرِ زُهَاءَ أَربَعَة أَمتَارٍ، وَعُمقُ العُيُونِ الَّتِي تُغَذِّي البِئرَ عَن فَتحَةِ البِئرِ ثَلَاثَةَ عَشرَ مِترًا وَمِنَ العُيُونِ إِلَى قَعرِ البِئرِ أَربَعَةَ عَشرَ مِترًا.

وَمِن لَطَائِفِ مَا يُشَاعُ بَينَ المُسلِمِينَ فِي حَيَاتِهِم الاجتِمَاعِيَّةِ أَن يَدعُوَ السَّاقِي لِشَارِبِ المَاءِ بِأَنْ يَمُدَّ اللهُ فِي عُمُرِهِ لِيَشرَبَ مِن مَاءِ زَمزَم. تَمَامًا كَمَا يَتَمَنَّونَ لِبَعضِهِم البَعضَ بَعدَ فَرَاغِهِم مِنَ الصَّلَوَاتِ بِقَولِهِم: حَرَمًا، فَيُجِيبُ الآخَرُ: جَمعًا إِن شَاءَ اللهُ.

وَمُنذُ زَمَانٍ كَانَ المَكِّيُّونَ يَستَقبِلُونَ ضُيُوفَهُم بِمَاءِ زَمزَمَ إِظهَارًا لِتَكرِيمِهِم وَالاحتِفَاءِ بِهِم، لَكِنَّهُم لَا يُقَدِّمُونَ فِي شَهرِ رَمَضَانَ عَلَى مَوَائِدِ الإِفطَارِ غَيرَ مَاءِ زَمزَم إِلَى جَانِبِ حَبَّاتٍ مِن رُطَبِ التَّمرِ. وَيَحرِصُونَ عَلَى تَحنِيكِ مَوَالِيدِهِم حَالَ وِلَادَتِهِم بِمَاءِ زَمزَم وَبِشِقِّ تَمرَةٍ اقتِدَاءً بِالنَّبِيِّ ﷺ مَعَ السِّبطَينِ الحَسَنِ وَالحُسَينِ.

كَمَا يَحرِصُ المَكِّيُّونَ عَلَى جَعلِ مَاءَ زَمزَمَ ءَاخِرَ مَا يُغسَلُ بِهِ مَوتَاهُم قَبلَ دَفنِهِم رَجَاءَ بَرَكَتِهِ وَحُسنَ عَائِدَتِهِ.

وَمِنَ الظَّرِيفِ أَنَّ الأُمَّهَاتَ فِي مَكَّةَ يَحرِصُونَ عَلَى شُربِ أَبنَائِهِم الطُّلَابِ مَاءَ زَمزَمَ قُبَيلَ تَوَجُّهِهِم إِلَى الاختِبَارَاتِ الدِّرَاسِيَّةِ رَجَاءَ أَن لَا

يَنسَوا مَا حَفِظُوه مِن دُرُوسٍ للإجَابَةِ عَلَيهَا فِي وَرَقَةِ الاختِبَارِ.

وَيَألَفُ كُلُّ مَن قَدِمَ إِلَى المَسجِدِ الحَرَامِ رُؤيَةَ مُعظَمِ الحُجَّاجِ وَالمُعتَمِرِينَ القَادِمِينَ مِنَ الخَارِجِ عَلَى غَسلِ قِطَعٍ طَوِيلَةٍ مِنَ القِمَاشِ قُطن أَبيَضَ اللَّونِ وَغَمرِهَا بِمَاء زَمزَم، ثُمَّ تَجفِيفِهَا فِي أَروِقَةِ الحَرَمِ لِيَحفَظُوهَا بَعدَ ذَلِكَ لاستِخدَامِهَا تَبَرُّكًا كَأَكفَانٍ لَهُم وَلِمَوتَاهُم فِي بِلَادِهِم. كَمَا أَنَّهُ يَندُر أَن يَقفُل الحَاجُّ أَو مُعتَمِرٌ فِي رِحلَةِ العَودَةِ إِلَى بَلَدِهِ دُونَ أَن يَتَزَوَّدَ بِكَمِّياتٍ مِنهُ يُتحِفُ بِهَا أَهلَهُ وَمُقَرَّبِيه عَلَى سَبِيلِ الإِهدَاءِ وَالتَّبَرُّكِ بِهَا.

وَيَحرِصُ شُيُوخُ الرُّقَى الشَّرعِيَّةِ عَلَى التَّزَوُّدِ بِكَمِّيَاتٍ كَبِيرَةٍ مِن مَاءِ زَمزَمَ لِيَتلُوا القُرءَانَ عَلَيهِ وَتَقدِيمه لِقَاصِدِيهِم مِنَ المَرضَى وَمَن مَسَّهُم الجِنّ مِقدَارًا يُحَدِّدُونَهُ لإتمَامِ العِلَاجِ بِالرُّقيَةِ.

وَيَجُوزُ استِشفَاءُ غَيرَ المُسلِمِينَ بِمَاءِ زَمزَم فَإِذَا كَانَ المُسلِمُ يُعَالِجُ غَيرَهُ، فَيُمكِنُهُ أَن يُعَالِجَهُ بِمَاءِ زَمزَمَ حَتَّى يُظهِرَ كَرَامَةَ هَذَا المَاءِ لِغَيرِ المُسلِمِ، وَحَتَّى يَكُونَ مِن بَابِ الدَّعوَةِ لَهُ فِي دُخُولِ الإِسلَامِ.

كَمَا تَصَدَّى بَعضُ الصَّحَابَةِ لِعَلَاجِ رَجُلٍ كَافِرٍ كَانَ لَدِيغًا، فَعَالَجُوهُ بِقِرَاءَةِ الفَاتِحَةِ عَلَيهِ. وَأَقَرَّهُم رَسُولُ اللهِ عَلَيهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى ذَلِكَ كَمَا وَرَد فِي الحَدِيثِ الشَّرِيفِ[١].

وَتَروِي كُتُب التَّارِيخِ الإِسلَامِيِّ أَنَّ مَاءَ زَمزَمَ نَبعٌ بَاقٍ لَا يَنقَطِعُ إِلَى يَومِ القِيَامَةِ، وَأَنَّ كُلَّ المِيَاهِ تَغُورُ قَبلَ يَومِ القِيَامَةِ إِلَّا زَمزَم.

وَرُوِيَ عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه أَنَّهُ قَالَ: «**صَلُّوا فِي مُصَلَّى**

---

(١) **صحيح البخاري**، البخاري، كتاب الإجارة، باب ما يعطى في الرقية (٢٢٧٦).

الأَخيَارِ، وَاشرَبُوا مِن شَرَابِ الأَبرَارِ»، فَقِيلَ وَمَا مُصَلَّى الأَخيَار؟ قَالَ: «تَحتَ المِيزَابِ» فَقِيلَ: «وَمَا شَرَاب الأَبرَار؟» قَالَ: «مَاء زَمزَم».

وَبِمَاءِ زَمزَمَ غُسِلَ قَلبُ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ ﷺ مِرارًا[1]، وَدَائِمًا فِي طَستٍ مِنَ الذَّهَبِ وَبِيَدِ جِبرِيلَ عليه السلام، تَوطِئَةً لِبِعثَةِ النَّبِيِّ ﷺ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، وَتَهيِئَتِهِ لِمعرَاجِهِ فِي طَرِيقِهِ للسَّمَاءِ مَرَّةً وَاحِدَةً. وَقِيلَ غُسِلَ بِمَاءِ الجَنَّةِ وَبِمَاءِ الرَّحِيقِ.

كَمَا أَنَّ مَاءَ زَمزَمَ خَالٍ مِنَ الجَرَاثِيم بِالمَرَّةِ تمامًا، فَهُوَ نَقِيٌّ وَطَعَامُ طُعمٍ وَشِفَاءُ سُقمٍ بِإِذنِ اللهِ تَعَالَى، وَاللهُ تَعَالَى أَعلَمُ وَأَحكَمُ.

المَوَاضِعُ الَّتِي صَلَّى فِيهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ بِمَكَّةَ

ثَبَتَ فِي الصَّحِيحِ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ صَلَّى رَكعَتَي الطَّوَافِ خلفَ المَقَامِ.

وَعَن عَبدِ اللهِ بنِ أَبِي أَوفَى رضي الله عنه: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ اعتَمَرَ وَطَافَ بِالبَيتِ وَصَلَّى خَلفَ المَقَام[2]. وَيُروَى: أَنَّ الدُّعَاءَ يُستَجَابُ خَلفَ المَقَامِ.

وَعَن عُروَةَ بنِ الزُّبَيرِ قَالَ: سَأَلتُ عَبدَ اللهِ بنَ عَمرٍو: أَخبِرنِي بِأَشَدِّ مَا صَنَعَهُ المُشرِكُونَ بِالنَّبِيِّ ﷺ قَالَ: بَينَا النَّبِيُّ ﷺ يُصَلِّي فِي حِجرِ

---

(١) مرة وهو ابن أربع سنين مع مرضعته حليمة السعدية، ومرة وهو ابن عشر سنوات، ومرة عند مجيء جبريل بالوحي إليه حين نبيء، ومرة رابعة في رحلة الإسراء.

(٢) قال ابن كثير في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾ ابن ابي حاتم: حدثنا الحسن بن محمد، فذكر بإسناده إلى جابر في حديثه عن حجة النبي ﷺ: لما طاف النبي ﷺ قال له عمر: هذا مقام أبينا إبراهيم؟ قال: «نعم»، قال أفلا نتخذه مصلى؟ فأنزل الله عز وجل: ﴿وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾.

الكَعبَةِ[1] إِذْ أَقبَلَ عُقبَةُ بنُ أَبِي مُعَيْطٍ فَوَضَعَ ثَوبَهُ فِي عُنُقِهِ فَخَنَقَهُ خنقًا شَدِيدًا، فَأَقبَلَ أَبُو بَكرٍ حَتَّى أَخَذَ بِمَنكِبِهِ وَدَفَعَهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ وَقَالَ: أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللهُ[2].

وَعَنِ ابنِ عَبَّاسٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: **«أَنَّ جِبرِيلَ - عليه السلام - أَتَانِي حِينَ فُرِضَت الصَّلَاةُ عِندَ بَابِ الكَعبَةِ مَرَّتَينِ»**[3].

وَرَوَى الأَزرَقِيُّ: أَنَّ ءَادَمَ عليه السلام طَافَ بِالبَيتِ سَبعًا حِينَ نَزَلَ إِلَى الأَرضِ ثُمَّ صَلَّى وِجَاهَ[4] بَابِ الكَعبَةِ رَكعَتَينِ[5].

وَفِي الصَّحِيحِ عَن أُسَامَةَ بنِ زَيدٍ: أَنَّهُ ﷺ لَمَّا خَرَجَ مِنَ الكَعبَةِ رَكَعَ قِبَلَ البَيتِ، وَقَالَ: **«هَذِهِ القِبلَةُ»**[6]. وَقِيلَ البَيتُ هُوَ: وَجهُهُ، وَيُطلَقُ

---

(1) حجر الكعبة هو: البناء الناقص منها، والذي هو على يسار باب الكعبة ويسمى حجر إسماعيل أو الحطيم، ومما ورد فيه عند أبي داود بإسناده إلى عائشة قالت: كنت أحب أن أدخل البيت فأصلي فيه، فأخذ رسول الله ﷺ بيدي فأدخلني في الحجر فقال: **«صَلِّي فِي الحِجرِ إِذَا أَرَدتِ دُخُولَ البَيتِ، فَإِنَّمَا هُوَ قِطْعَةٌ مِنَ البَيْتِ، فَإِنَّ قَومَكَ اقتَصَرُوا حِينَ بَنَوُا الكَعبَةَ فَأَخرَجُوهُ مِنَ البَيتِ»**.

(2) **صحيح البخاري**، البخاري، كتاب مناقب الأنصار، باب ما لقي النبي ﷺ وأصحابه من المشركين بمكة (٣٨٥٦).

(3) رواه الإمام الشافعي بإسنادٍ حسن في كتاب الأم، كتاب الصلاة، جامع مواقيت الصلاة.

(4) بضم الواو وكسرها بمعنى ما يقابله ويواجهه. **الشافي في شرح مسند الشافعي**، ابن الأثير، (٢/٢٣٩).

(5) **أخبار مكة**، الأزرقي، (١/٢٠). وأخرجه الطبراني في الأوسط بإسناد حسن.

(6) **صحيح البخاري**، البخاري، كتاب الصلاة (٣٩٨). **صحيح مسلم**، مسلم، الحج، (٣٩٥). **مسند أحمد**، أحمد، (٢١٨٠٩). السنن، الدارقطني، (٢/٥٢). **صحيح ابن خزيمة**، ابن خزيمة، (٣٠٠٤).

عَلَى جَمِيعِ جَوَانِبِهِ الَّذِي فِيهِ البَابُ، وَعَنِ عَبْدِ اللهِ بنِ عَمرٍو رضي الله عنهم: البَيتُ كُلُّهُ قِبلَة، وَقِبلَتُهُ وَجهُهُ، قَالَ: فَإِن فَاتَكَ ذَلِكَ فَعَلَيكَ بِقِبلَةِ النَّبِيِّ ﷺ، وَقِبْلَةُ النَّبِيِّ مَا بَيْنَ المِيزَابِ إِلَى الرُّكنِ الشَّامِيِّ الَّذِي يَلِي المَقَامَ(١).

وَعَنِ المُطَّلِبِ بنِ أَبِي وَدَاعَةَ قَالَ: رَأَيتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ حِينَ فَرَغَ مِن سَبعِهِ، جَاءَ حَتَّى يُحَاذِي بِالرُّكنِ، فَصَلَّى رَكعَتَينِ فِي حَاشِيَةِ المَطَافِ، وَلَيسَ بَينَهُ وَبَينَ الطَّائِفِينَ أَحَدٌ. رَوَاهُ أَحمَدُ وابنُ مَاجه.

وَرُوِيَ عَنهُ أَيضًا قَالَ: رَأَيتُ النَّبِيَّ ﷺ صَلَّى حَذوَ الرُّكنِ الأَسوَدِ، وَالرِّجَالُ وَالنِّسَاءُ يَمُرُّونَ بَينَ يَدَيهِ، وَمَا كَانَت بَينَهُم سُترَةٌ. رَوَاهُ ابنُ حِبَّان.

وَرُوِيَ عَنهُ أَيضًا: أَنَّهُ ﷺ صَلَّى حَذْوَ مِمَّا يَلِي بَابَ بَنِي سَهْمٍ وَالبَابُ خَلفَ ظَهرِهِ عَلَى حَاشِيَةِ المَطَافِ وَالنَّاسُ يَمُرُّونَ بَينَ يَدَيهِ، لَيسَ بَينَهُ وَبَينَ الكَعبَةِ سُترَةٌ. وَبَابُ بَنِي سَهمٍ هُوَ الَّذِي يُقَالُ لَهُ اليَوم: بَابُ العُمرَةِ.

وَقَالَ ابنُ إِسحَاق: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يُصَلِّي بَينَ الرُّكنَينِ اليَمَانِيَّينِ(٢).

---

(١) أخبار مكة، الأزرقي، (١/ ٢٨١).

(٢) أخرج البيهقي في السنن الكبرى (٥/ ١٥١) من طريقه إلى عمرو بن شعيب عن أبيه قال: طفت مع عبد الله فلما جئنا دبر الكعبة، قلت له: ألا تتعوذ؟ قال: أعوذ بالله من النار، ثم مضى حتى استلم الحجر ثم قام بين الركنين والباب. وفي نسخة: بين الركن والباب. فوضع صدره ووجهه وذراعيه وكفيه وبسطهما بسطا ثم قال: هكذا رأيت رسول الله ﷺ يفعله.

وَفِي أَخبَارِ مَكَّةَ للأَزرَقِيِّ: أَنَّ ءَادَمَ عليه السلام رَكَعَ إِلَى جَانِبِ الرُّكنِ اليَمَانِي. وَقَالَ الشَّيخُ عِزُّ الدِّينِ بنُ عَبدِ السَّلَامِ: إِنَّ الحُفرَةَ المُلَاصِقَةَ للكَعبَةِ فِي نَاحِيَةِ البَابِ هِيَ المَكَانُ الَّذِي صَلَّى فِيهِ جِبرِيلُ عليه السلام بِالنَّبِيِّ ﷺ الصَّلَوَاتِ الخَمس فِي اليَومَينِ حِينَ فَرَضَهَا اللهُ تَعَالَى عَلَى أُمَّتِهِ، يُعَلِّمُهُ الأَوقَات[1].

وَقِيلَ جَمِيعُ المَوَاضِع الَّتِي صَلَّى فِيهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ بِمَكَّةَ عَشرَة:

الأَوَّلُ: خَلفَ المَقَامِ.

الثَّانِي: تِلْقَاءَ الحَجَرِ الأَسوَدِ عَلَى حَاشِيَةِ المَطَافِ.

الثَّالِثُ: قَرِيبًا مِنَ الرُّكنِ مِمَّا يَلِي الحِجر.

الرَّابِعُ: عِندَ بَابِ الكَعبَةِ مَرَّتَينِ.

الخَامِسُ: تِلقَاءَ الرُّكنِ الَّذِي يَلِي الحِجرَ مِن جِهَةِ الغَرب[2].

السَّادِسُ: فِي وَجهِ الكَعبَةِ.

السَّابِعُ: بَينَ الرُّكنَينِ اليَمَانِيَّينِ. وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَا بَينَ الرُّكنِ الأَسوَدِ وَالرُّكنِ اليَمَانِي رَوضَةٌ مِن رِيَاضِ الجَنَّةِ**»[3].

الثَّامِنُ: فِي الحِجرِ.

التَّاسِعُ: فِي البَيتِ: فَقَد صَحَّ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ صَلَّى فِي البَيتِ وَجَعَلَ عَمُودَينِ عَن يَسَارِهِ وَعَمُودًا عَن يَمِينِهِ وَثَلَاثَةَ أَعمِدَة وَرَاءَهُ، وَكَانَ البَيتُ

---

(١) وكان في هذا الموضع حفرة وقد تم ردمها سنة ١٣٧٧هـ، ويسمى هذا الموضع بالمِعجَن.

(٢) القِرى لقاصد أم القُرى، الطبري، (١٣٤٨).

(٣) السيرة الحلبية، الحلبي (١/ ١٨٣)، الجامع اللطيف، ابن ظهيرة (ص/ ٤٥).

يَومَئِذٍ عَلَى سِتَّةِ أَعمِدَةٍ، ثُمَّ صَلَّى.

العَاشِرُ: فِي مُصَلَّى ءَادَم[١]، وَهُوَ وجَاهَ بَابِ الكَعبَةِ.

وَقَد وَرَدَ أَنَّهُ ﷺ صَلَّى إِلَى جَانِبِ الرُّكنِ اليَمَانِي، فَتُستَحَبُّ الصَّلَاةُ فِي هَذِهِ المَوَاضِعَ الشَّرِيفَة اتِّبَاعًا لأَثَرِهِ ﷺ.

الصَّفَا وَالمَروَة (المَسعَى)

الصَّفَا وَالمَروَةُ هُمَا جَبَلَانِ صَغِيرَانِ يَقَعَانِ فِي الحَرَمِ قُرْبَ المَسجِدِ الحَرَامِ فِي مَكَّةَ المُكَرَّمَة، وَالسَّعيُ بَينَ الصَّفَا وَالمَروَة رُكنٌ أَسَاسِيٌّ مِن أَركَانِ الحَجِّ وَالعُمرَةِ[٢]، حَيثُ يَتِمُّ البَدءُ مِنَ الصَّفَا وَيَنتَهِي بِالمَروَةِ سَبعَ مَرَّاتٍ.

الصَّفَا: جَبَلٌ صَغِيرٌ، وَالصَّفَا فِي الأَصلِ جَمعُ صَفَاة، وَهِيَ الحَجَرُ العَرِيضُ الأَملَس، وَالمُرَادُ بِهِ هُنَا مَكَانٌ عَالٍ فِي أَصلِ جَبَلِ أَبِي قُبَيسٍ

(١) وأخرج الأزرقي أيضا بإسناده - في الموضع السابق - إلى عبد الله بن أبي سليمان مولى بني مخزوم أنه قال: طاف ءادم سبعا بالبيت حين نزل، ثم صلى وجاه الكعبة ركعتين، ثم أتى الملتزم فقال: اللهم إنك تعلم سريرتي وعلانيتي، فاقبل معذرتي، وتعلم ما في نفسي وما عندي فاغفر لي ذنوبي، وتعلم حاجتي فاعطني سؤلي، اللهم إني أسالك إيمانا يباشر قلبي، ويقينا صادقا حتى أعلم أنه لن يصيبني إلا ما كتبت لي والرضا بما قضيت علي، قال: فأوحى الله تعالى إليه: يا ءادم قد دعوتني بدعوات فاستجبت لك ولن يدعوني بها أحد من ولدك إلا كشفت غمومه وهمومه وكففت عليه ضيعته ونزعت الفقر من قلبه وجعلت الغنى بين عينيه، وتجرت له من وراء تجارة كل تاجر وأتته الدنيا وهي راغمة، وإن كان لا يريدها، قال: فمذ طاف ءادم كانت سنة الطواف. (١/ ٢١).

(٢) قال النووي: وقال بعض السلف هو تطوعٌ. قلت: وهو أحد الروايات عن أحمد بن حنبل. **شرح النووي على مسلم**، النووي، (٩/ ٢٠).

جَنُوبَ المَسجِدِ الحَرَام، يَبدَأُ مَنهُ السَّعي وَهُوَ مِنَ الجِهَةِ الجَنُوبِيَّةِ مَائِلًا إِلَى الشَّرقِ عَلَى بُعدِ نَحوِ ١٣٠م مِنَ الكَعبَةِ المُشَرَّفَة، وَقَد وَرَدَ ذِكرُهُ فِي القُرءَانِ الكَرِيم: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ﴾[1].

الدَّعوَةُ إِلَى الصَّفَا: قَامَ النَّبِيُّ ﷺ وَقَالَ: «يَا صَبَاحَاه»[2] فَاجتَمَعَت إِلَيهِ بُطون قُرَيش فَدَعاهُم إِلَى الإِيمَانِ بِالتَّوحِيدِ وَرِسَالَتِهِ وَاليَومِ الآخِرِ وأَنذَرَهُم مِنَ النَّارِ، رَوَى البُخَارِيُّ عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه قَالَ: لَمَّا نَزَلَت: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾﴾[3] صَعِدَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى الصَّفَا، فَجَعَلَ يُنَادِي: يا بَنِي فِهْرٍ، يا بَنِي عَدِيٍّ - لِبُطُونِ قُرَيْشٍ - حَتَّى اجْتَمَعُوا، فَجَعَلَ الرَّجُلُ إذَا لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَخْرُجَ أَرْسَلَ رَسُولًا لِيَنْظُرَ ما هُوَ، فَجَاءَ أَبُو لَهَبٍ وقُرَيْشٌ، فَقالَ: أرَأَيْتَكُمْ لَوْ أخْبَرْتُكُمْ أنَّ خَيْلًا بالوَادِي تُرِيدُ أنْ تُغِيرَ علَيْكُم؛ أكُنْتُمْ مُصَدِّقِيَّ؟ قَالُوا: نَعَمْ، ما جَرَّبْنَا عَلَيْكَ إلَّا صِدْقًا، قَالَ: فإنِّي نَذِيرٌ لَكُمْ بيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ، فَقالَ أبو لَهَبٍ: تَبًّا لكَ سَائِرَ اليَومِ، ألِهذا جَمَعْتَنَا؟! فَنَزَلَتْ: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ﴿١﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ﴿٢﴾ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ﴿٣﴾ وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ﴿٤﴾ فِى جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍۭ ﴿٥﴾﴾[4].

إِسَاءَةُ أَبِي جَهلٍ لِسَيِّدِنَا الرَّسُولِ ﷺ: مَرَّ أَبُو جَهلٍ يَومًا بِرَسُولِ اللهِ ﷺ عِندَ الصَّفَا، فَآذَاهُ وَنَالَ مِنهُ ثُمَّ ضَرَبَهُ بِحَجَرٍ فِي رَأسِهِ فَشَجَّهُ وَنَزفَ

---

(١) سورة البقرة، آية (١٥٨).

(٢) ليس معناه كما تقول العوام «صباح الخير» إنما معناه: قد أغير عليكم في الصباح أو قد صُوبِحتم فخذوا حِذركم كما ذكره ابن بطال. **شرح صحيح البخاري**، ابن بطال، (١٩٨/٥).

(٣) سورة الشعراء، آية (٢١٤).

(٤) سورة المسد، آية (١ - ٥).

الدَّمُ مِن رَأسِهِ الشَّرِيف، فَلَمَّا عَلِمَ بِذَلِكَ حَمزَةُ بنُ عَبدِ المُطَّلِبِ جَاءَ إِلَى أَبِي جَهلٍ وَهُوَ فِي نَادِي قُرَيشٍ عِندَ الكَعبَةِ فَقَالَ لَهُ: تَشتِمُ ابنَ أَخِي وَأَنَا عَلَى دِينِهِ؟ ثُمَّ ضَرَبَهُ بِالقَوسِ فَشَجَّهُ شَجَّةً مُنكَرَةً[1].

مَوعِدُكُم عِندَ الصَّفَا: وَبَعدَ نَجَاحِ الدَّعوَةِ الإِسلَامِيَّةِ جَاءَ النَّبِيُّ ﷺ لِفَتحِ مَكَّةَ وَأَمَرَ خَالِدَ بنَ الوَلِيدِ وَمَن مَعَهُ أَن يَدخُلُوا مِن أَسفَلِ مَكَّةَ وَيَتَجَمَّعُوا عِندَ الصَّفَا، فَقَالَ: «**مَوعِدُكُم الصَّفَا**»[2].

دُعَاءٌ وَشُكرٌ: وَبَعدَ فَتحِ مَكَّةَ أَقبَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَى الحَجَرِ ثُمَّ طَافَ بِالبَيتِ فَلَمَّا فَرَغَ مِن طَوَافِهِ أَتَى الصَّفَا فَعَلَا عَلَيهِ حَتَّى نَظَرَ إِلَى البَيتِ وَرَفَعَ يَدَيهِ فَجَعَلَ يَحمِدُ اللهَ وَيَدعُو بِمَا شَاءَ أَن يَدعُو[3].

العَفْو وَالأَمَان: قَامَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى الصَّفَا وَجَاءَتِ الأَنصَارُ فَأَطَافُوا بِالصَّفَا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَن دَخَلَ دَارَ أَبِي سُفيَانَ فَهُوَ ءَامِنٌ، وَمَن أَلقَى السِّلَاحَ فَهُوَ ءَامِنٌ، وَمَن أَغلَقَ بَابَهُ فَهُوَ ءَامِنٌ**» فَقَالَتِ الأَنصَارُ: أَمَّا الرَّجُلُ فَقَد أَخَذَتهُ رَأفَةٌ بِعَشِيرَتِهِ وَرَغبَةٌ فِي قَريَتِهِ، فَلَمَّا فَرَغَ النَّبِيُّ ﷺ قَالَ: «**مَاذَا قُلتُم؟**» **فَلَم يَزَل بِهِم حَتَّى أَخبَرُوهُ فَقَالَ:** «**مَعَاذَ اللهِ؟ المَحيَا مَحيَاكُم وَالمَمَاتُ مَمَاتُكُم**»[4].

الدُّخُولُ فِي الإِسلَامِ: وَقَد شَهِدَ الصَّفَا أَنَّ الَّذِينَ أَخرَجُوا النَّبِيَّ ﷺ مِن مَكَّةَ وَءَاذوه وَحَارَبُوهُ، اجتَمَعُوا حَولَهُ يُبَايِعُونَهُ عَلَى الإِسلَامِ شَاهِدِينَ

---

(١) السيرة، ابن هشام، (١/ ٢٩١).

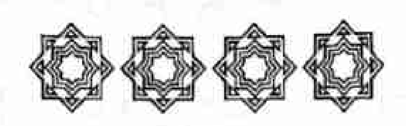
(٢) صحيح مسلم، مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب فتح مكة، (١٧٨٠).

(٣) صحيح مسلم، مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب فتح مكة، (١٧٨٠).

(٤) صحيح مسلم، مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب فتح مكة، (١٧٨٠).

بِتَوحِيدِ اللهِ مُعتَرِفِينَ بِرِسَالَتِهِ ﷺ، فَالحَمدُ للهِ أَوَّلًا وَءَاخِرًا.

وَلمَّا جَاءَت هِند - امرَأَةُ أَبِي سُفيَان - فِي نِسوَةٍ مِن قُرَيشٍ يُبَايعنَ عَلَى الإِسلَام وَالنَّبِيُّ ﷺ عَلَى الصَّفَا وَعُمَرُ رضي الله عنه يُعَلِّمُهنَّ عَنهُ، فَلَمَّا أَخَذَ عَلَيهِنَّ أَن لَا يُشرِكنَ بِاللهِ شَيئًا، قَالَت هِند: قَد عَلِمتُ أَنَّهُ لَو كَانَ مَعَ اللهِ غَيرَهُ لأَغنَى عَنَّا، فَلَمَّا قَالَ: «**وَلَا يَسرِقنَ**» قَالَت: وَهَل تَسرِقُ الحُرَّة؟ فَلَمَّا قَالَ: «**وَلَا يَزنِينَ**» قَالَت: وَهَل تَزنِي الحُرَّةُ يَا رَسُولَ اللهِ؟ فَلَمَّا قَالَ: «**وَلَا يَعصِينَكَ فِي مَعرُوفٍ**» قَالَت: بِأَبِي أَنتَ وَأُمِّي مَا أَكرَمَكَ وَأَحسَنَ مَا دَعَوتَ إِلَيهِ[1].



(١) الروض الأنف، عبد الرحمن السهيلي، (١٣٩/٧).

الـمَروَةُ

جُبَيلٌ أي جَبَلٌ صَغِيرٌ مِن حَجَرِ المَروِ - وَهُوَ الأبيَضُ الصَّلبُ[1] - وَهُوَ فِي الجِهَةِ الشَّرقِيَّةِ الشَّمَالِيَّةِ عَلَى بُعدِ نَحوِ ٣٠٠م مِنَ الرُّكنِ الشَّامِي للكَعبَةِ المُشَرَّفَةِ، وَهُوَ مُنتَهَى المَسعَى الشّمَالِيّ وَأَحَدُ مَشَاعِرِ الحَجِّ، قَالَ اللهُ تَعالَى: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ﴾[2].

المَسْعَى

هِيَ المِسَاحَةُ المُمتَدَّةُ بَينَ الصَّفَا وَالمَروَة، وَالسَّعيُ بَينَهُمَا مِن مَناسِكِ الحَجِّ وَالعُمرَةِ وَهُوَ سُنَّةُ أَبِينَا إِبرَاهِيم عليه السلام، وَسُنَّةُ هَاجَر أُمِّ إِسمَاعِيلَ، وَقَد أَمَرَنَا اللهُ بِذَلِكَ، وَفَعَلَهُ نَبِيُّنَا المُصطَفَى ﷺ.

يَقَعُ المَسعَى فِي الجُزءِ الشَّرقِيِّ مِنَ المَسجِدِ الحَرَامِ، وَيَبلُغُ طُولُه ٣٧٥ مِترًا وَعَلَى قَولٍ ٣٩٤,٥ مِتر وَيَبلُغُ عَرضُهُ ١٧مِتر أَي ٣٥,٥ ذِرَاع. وَيَبلُغُ طُول المَسَافَة الَّتِي يَقطَعُهَا المُعتَمِرُ أَو الحَاجُّ فِي السَّعي ٢٧٦١,٥م وَذَلِكَ نَاتِج ضَرب طُول المَسعَى ٣٩٤,٥م فِي سَبعَةِ أَشوَاطٍ.

وَمِمَّن نَصَّ عَلَى تَحدِيدِ المَسعَى بِالذِّرَاعِ الفَاسِيُ فِي شِفَاءِ الغَرَام وَصَاحِب كِتَابِ المَنَاسِك وَمِرآة الحَجّ وَالفَاكِهِيّ فِي أَخبَارِ مَكَّة.

فَعَن ابنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه قَالَ: «إِنَّ إِبرَاهِيمَ عليه السلام لَمَّا أُمِرَ

---

(١) مختار الصحاح، الرازي، م ر أ.

(٢) سورة البقرة، آية (١٥٨).

بِالمَنَاسِكِ اعتَرَضَ عَلَيهِ الشَّيطَان عِندَ المَسعَى فَسَابَقَهُ فَسَبَقَهُ إبرَاهِيم»[1].

وَعَن ابنِ عُمَرَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَسعَى بِبَطنِ المَسِيل[2] إِذَا طَافَ بَينَ الصَّفَا وَالمَروَة[3]. وَقَد أُشِيرَ إِلَى ذَلِكَ بِالعَلَمَينِ الأَخضَرَينِ فِي المَسعَى.

وَفِي رِوَايَةِ جَابِر عَن حَجَّة النَّبِيِّ ﷺ: ثُمَّ خرَجَ مِنَ البَابِ إِلَى الصَّفَا فَلَمَّا دَنَا مِنَ الصَّفَا قَرَأَ: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ﴾[4]، أَبدَأُ بِمَا بدَأَ اللهُ بِهِ، فَبَدَأَ بِالصَّفَا فرَقِيَ عَلَيهِ حَتَّى رَأَى البَيتَ، فَاستَقبَلَ القِبلَةَ فَوَحَّدَ اللهَ وَكَبَّرَهُ وَقَالَ: **لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ المُلكُ وَلَهُ الحَمدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيءٍ قَدِيرٌ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ، أَنجَزَ وَعْدَهُ وَنَصَرَ عَبْدَهُ، وَهَزَمَ الأَحزَابَ وَحْدَهُ**، ثُمَّ دَعَا بَينَ ذَلِكَ، قَالَ مِثلَ هَذَا ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، ثُمَّ نَزَلَ إِلَى المَروَةِ حَتَّى إِذَا انصَبَّت قَدَمَاه فِي بَطنِ الوَادِي سَعَى، حَتَّى إِذَا صَعِدَتَا مَشَى حَتَّى أَتَى المَروَةَ فَفَعَلَ عَلَى المَروَةِ كَمَا فَعَلَ عَلَى الصَّفَا.

استِطرَادٌ مُهِمٌّ جِدًّا:

قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾[5]، وَقَالَ عَزَّ مِن قَائِلٍ: ﴿قُلْ إِن

(١) مسند أحمد، الإمام أحمد (٢٧٠٧)، مجمع الزوائد، الهيثمي، (٣/ ٢٥٩).

(٢) بطن المسيل: مجرى سيل وادي إبراهيم، وحُدِّدَ جانباه بالعلمين الأخضرين علامة للهرولة أثناء السعي.

(٣) صحيح البخاري، البخاري، الحج، (١٦١٧). صحيح مسلم، مسلم، الحج، (١٢٦١).

(٤) سورة البقرة، آية (١٥٨).

(٥) سورة الحشر، آية (٧).

كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾[1]، وَقَالَ الرَّسُولُ الكَرِيمُ صَلَوَاتُ رَبِّي وَسَلَامُهُ عَلَيهِ: «**خُذُوا عَنِّي مَنَاسِكَكُم**»[2]، وَقَالَ: «**صَلُّوا كَمَا رَأَيتُمُونِي أُصَلِّي**»[3]، وَقَد دَرَجَ المُسلِمُونَ عَلَى ذَلِكَ قُرُونًا طَوِيلَةً يَلتَزِمُونَ بِكَلَامِ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَيَتَمَسَّكُونَ بِه فِي صَلَوَاتِهِم وَمَنَاسِكِهِم وَغَيرِ ذَلِكَ، وَمِنَ ذَلِكَ السَّعيُ فِي الحَجِّ بَينَ الصَّفَا وَالمَروَةِ، تَكَلَّمَ فِيهِ العُلَمَاءُ مِن المَذَاهِبِ الأَربَعَةِ وَبَيَّنُوا كَيفِيَّتِهِ وَوَقتِهِ وَمَكَانِهِ وَطُولِ المَسعَى وَعَرضِهِ وَمَاذَا يَدخُلُ فِيهِ وَمَاذَا يَخرُجُ عَنهُ وَتَوَارَثَ ذَلِكَ المُسلِمُونَ جِيلًا عَن جَيلٍ. وَقَد حَدَثَ فِي هَذَا الزَّمَنِ حَادِثٌ يُهَدِّدُ بِإِدخَالِ الفَسَادِ عَلَى حَجِّ النَّاسِ وَهَذَا خَطبٌ جَلِيلٌ وَهُوَ أَنَّ بَعضَ المَوسُومِينَ بِالعِلمِ ادَّعَى أَنَّهُ يَجُوزُ زِيَادَةَ عَرضِ المَسعَى لأَجلِ المَصلَحَةِ وَضِيقِ المَكَانِ بِالنَّاسِ بِحَيثُ يَسعَى السَّاعِي خَارِجَ حُدُودِهِ، وَادَّعَى أَنَّ الصُّورَةَ الجُيُولُوجِيَّة للأَرضِ هُنَاكَ أَظهَرَت اتِّسَاعَ قَاعِدَةِ جَبَلِ الصَّفَا وَجَبَلِ المَروَة عَمَّا يَظهَرُ مِنهُمَا.

وَمِنَ المَعلُوم عِندَ كُلِّ مَن لَهُ إِلمَامٌ بِالسُّنَّةِ الشَّرِيفَةِ وَالسِّيرَةِ المُطَهَّرَةِ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَد سَمَّى مَا ظَهَرَ مِنَ الجَبَلَينِ الصَّفَا وَالمَروَةَ وَجَعَلَ السَّعيَ بَينَ مَا ظَهَرَ مِنهُمَا وَكَلَامُهُ عَلَيهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ جَارٍ عَلَى سَنَنِ اللُّغَةِ العَرَبِيَّةِ. وَالعَرَبُ لَم يَكُونُوا يطلقونَ الجَبَلَ عَلَى مَا تَحتَ الأَرضِ كَمَا هُوَ مَعلُومٌ مَشهُورٌ. وَأَمَّا الزَّحمَة فَلَا تُبِيحُ تَغيِير المَنسَك وَلا تَبدِيلَهُ وَقَد يَزدَحِمُ النَّاسُ فِي الصَّلَاةِ بِحَيثُ لَا يَستَطِيعُونَ السُّجُودَ مَعَ الإِمَامِ فَهَل يُبِيحُ ذَلِكَ لَهُم تَعَمُّدَ الانحِرَافِ عَنِ القِبلَةِ لِيَسجُدُوا إِلَى غَيرِ القِبلَةِ!.

---

(١) سورة آل عمران، آية (٣١).

(٢) صحيح مسلم، مسلم (١٢٩٧) سنن النسائي، النسائي (٣٠٦٢).

(٣) صحيح البخاري، البخاري، كتب الأذان (٦٣١).

وَهَل قَالَ ذَلِكَ أَحَدٌ مِنَ الأَئِمَّةِ أَو أَنَّهُم تَكَلَّمُوا فِي المَسْأَلَةِ مُرَاعِينَ حُكمَ الشَّرعِ وَالمَصلَحَة فِي ءَانٍ. وَهَكَذَا أَمرُ المَسعَى عَلَيهِ الآن وَمَا المَانِعُ مِن أَن يَسعَى النَّاسُ دَفعَةً بَعدَ دَفعَةٍ لَا سِيَّما مَعَ اتِّسَاعِ وَقتِ المَسعَى؟ وَمَا المَانِعُ مِن بِنَاءِ طَابِقٍ فَوقَ طَابِقٍ لِذَلِكَ كَمَا فَعَلُوا للطَّوَافِ حَولَ الكَعبَةِ فَيُتِمَّ الحَاجُّ نُسُكَهُ عَلَى وَجهِهِ مِن غَيرِ إِدخَالِ فَسَادٍ عَلَيهِ؟ أَمَّا ابتِدَاعُ مَكَانٍ جَدِيدٍ للسَّعيِ تَحتَ ذَرِيعَةِ الزَّحمَةِ أَو مَا شَابَهَ فَهُوَ خُروجٌ عَن سُنَّةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَتَبدِيلٌ لِمَا جَاءَ بِهِ وَقَد قَالَ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿فَمَنۢ بَدَّلَهُۥ بَعۡدَمَا سَمِعَهُۥ فَإِنَّمَآ إِثۡمُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ١٨١﴾[1].

قَالَ النَّوَوِيُّ فِي المَجمُوعِ، كِتَابُ الحَجِّ، بَابُ صِفَةِ الحَجِّ والعُمرَةِ، السَّعيُ رُكنٌ مِن أَركَانِ الحَجِّ، فَرعٌ السَّعيُ فِي غَيرِ مَوضِعِ السَّعيِ[2]:

فَرْعٌ: قَالَ الشَّافِعِيُّ وَالأَصحَابُ: لَا يَجُوزُ السَّعْيُ فِي غَيرِ مَوضِعِ السَّعيِ، فَلَو مَرَّ وَرَاءَ مَوضِعِ السَّعيِ فِي زُقَاقِ العَطَّارِينَ أَوْ غَيْرِهِ لَمْ يَصِحَّ سَعْيُهُ، لِأَنَّ السَّعيَ مُختَصٌّ بِمَكَانٍ فَلَا يَجُوزُ فِعْلُهُ فِي غَيْرِهِ كَالطَّوَافِ. قَالَ أَبُو عَلِيٍّ الْبَنْدَنِيجِيُّ فِي كِتَابِهِ الجَامِعِ: مَوْضِعُ السَّعْيِ بَطْنُ الوَادِي. قَالَ الشَّافِعِيُّ فِي القَدِيمِ: فَإِن الْتَوَى شَيْئًا يَسِيرًا أَجْزَأَهُ، وَإِنْ عَدَلَ حَتَّى يُفَارِقَ الوَادِيَ المُؤَدِّيَ إِلَى زُقَاقِ الْعَطَّارِينَ لَمْ يَجْزِ، وَكَذَا قَالَ الدَّارِمِيُّ إِنْ الْتَوَى فِي السَّعْيِ يَسِيرًا جَازَ وَإِنْ دَخَلَ المَسْجِدَ أَوْ زُقَاقَ العَطَّارِينَ فَلَا، وَاللهُ أَعْلَمُ اهـ.

وَقَد تَقَرَّرَ فِي القُرءَانِ الكَرِيمِ أَنَّ الصَّفَا وَالمَروَةَ مِن شَعَائِرِ اللهِ وَمِن

---

(١) سورة البقرة، آية ١٨١.

(٢) المجموع شرح المهذب، النووي، (٨/ ٨٠).

أَعلَام دِينِهِ وَهُمَا مَعرُوفَانِ بَينَ المُسلِمِينَ وَلَيسَ لَهُم عَبرَ التَّارِيخ مَكَانٌ يَسعَونَ فِيهِ سِوَاه، يَقُولُ أَبُو المَعَالِي الجُوَينِيُّ فِي نِهَايَةِ المَطلَب[1]: وَمَكَانُ السَّعيِ مَعرُوفٌ لَا يُتَعَدَّى.

قَالَ المُلَّا عَلِي القَارِي[2]: وَالمَسعَى هُوَ المَكَانُ المَعرُوفُ اليَومَ لِإجمَاعِ السَّلَفِ وَالخَلَفِ عَلَيهِ كَابِرًا عَن كَابِرٍ. اهـ

وَنَقَلَ القُطبُ الحَنَفِيُّ فِي الإِعلَامِ[3] هَذَا الإِجمَاعَ وَأَيَّدَهُ بِأَنَّهُ لُو غُيِّرَ عَلَى مَرِّ العُصُورِ لَأَنكَرَهُ الأَئِمَّةُ وَلَمَا سَكَتُوا. اهـ

لِذَا فَإِنَّهُ لَا يَجُوزُ السَّعيُ خَارِجَ المَسعَى القَدِيمِ إِجمَاعًا.

لَم يَكتَفِ نُفَاةُ التَّوَسُّلِ بِالسَّعيِ لِإفسَادِ عَقَائِدِ النَاسِ[4]، بَل عَمِلُوا لِيُفسِدُوا عَلَى النَّاسِ الَّذِينَ لَم تَفسَد عَقِيدَتهُم حَجَّهُم أَيضًا.

فَمُنذُ عَهدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَالمُسلِمُونَ يَسعَونَ فِي المَكَانِ الَّذِي سَعَى فِيهِ نَبِيُّنَا عَلَيهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، فَقَد قَالَ عَلَيهِ الصَّلاةُ وَالسَّلَامُ مُعَلِّمًا

---

(١) نهاية المطلب في دراية المذهب، أبو المعالي الجويني، (٤/ ٣٠٤).

(٢) مرقاة المفاتيح، علي القاري (٥/ ٥٠١).

(٣) الإعلام بأعلام بيت الله الحرام، النهرواني، (ص/ ١٣٨).

(٤) فالمشبهة المجسمة أتباع ابن تيمية ومحمد بن عبد الوهاب نشروا الكفر في الناس فعلموا أتباعهم أن الله جسمٌ بذاته في السماء وأنه جسمٌ قاعدٌ على العرش وأنه يحدث ويتحرك ويسكن وتحلُّ فيه الحوادث، واحتقروا الأنبياء وكفّروا المسلمين المتوسلين والمتبركين والمستغيثين والمؤوّلين، فكُفرهم من ناحيةِ التجسيم والتشبيه ومن ناحية أخرى انتقاص الأنبياء ومن ناحية أخرى تكفيرهم للأمة الإسلامية حيث يعتبرون أن من خالفهم كافرٌ حلال الدم، فكفرهم مؤلفٌ من عدة كفريات، والمجسمة كفارٌ بإجماع الأئمة الأربعة وغيرهم.

وَمُرشِدًا أُمَّتَهُ: «خُذُوا عَنِّي مَنَاسِكَكُم»[1]، وَلَم يَقُل: خُذُوا عَن نُفَاةِ التَّوَسُّلِ مَنَاسِكَكُم.

بِتَارِيخِ ٢٤ شُبَاط ٢٠٠٨ بَدَأَت نُفَاةُ التَّوَسُّلِ بِتَنفِيذِ مَشرُوعِ تَغيِير عَرضِ المَسعَى، حَيثُ تَمَّ التَّخطِيطُ لَهُ سَابِقًا.

عَرضُ المَسعَى هُوَ ٣٥ ذِرَاعًا تَقرِيبًا أي ١٧,٥ مِتر تَقرِيبًا.

أَمَّا نُفَاةُ التَّوَسُّلِ فَقَد جَعَلُوهُ ٥٥ مِترًا، أَي بِزِيَادَةِ ٣٨ مِترًا، اتِّبَاعًا لِهَوى زُعَمَائِهِم.

رَوَى الحَافِظُ النَّوَوِيُّ فِي كِتَابِهِ المَجمُوع[2]: «قَالَ الإِمَامُ الشَّافِعِيُّ: فَلَو سَعَى فِي سُوقِ العَطَّارِين لَم يَجُز». وَسُوقُ العَطَّارِينَ أَيَّامَ الشَّافِعِيِّ هُوَ المَكَانُ المُلَاصِق للمَسعَى القَدِيم.

قَالَ القُطبُ النَّهرَوَانِيُّ الحَنَفِيُّ فِي كِتَابِهِ الإعلَام[3]: «السَّعيُ بَينَ الصَّفَا وَالمَروَة مِنَ الأُمُورِ التَّعَبُّدِيَّةِ الَّتِي أَوجَبَهَا اللهُ تَعَالَى عَلَينَا، وَلَا يَجُوزُ العُدُولُ عَنهُ، وَلَا تُؤَدَّى هَذِهِ العِبَادَةُ إِلَّا فِي ذَلِكَ المَكَانِ المَخصُوصِ الَّذِي سَعَى فِيهِ».

هَذا نَقلٌ للإِجمَاعِ عَلَى أَنَّ المَسعَى المُتَّفَق عَلَيهِ هُوَ المَكَانُ الَّذِي سَعَى فِيهِ النَّبِيُّ عَلَيهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وَهَذِهِ المَسأَلَةُ إِجمَاعِيَّة.

---

(١) مسند أحمد، أحمد، (١٤٤١٩). صحيح مسلم، مسلم، (١٢٩٧). **السنن الكبرى**، البيهقي.

(٢) المجموع شرح المهذب، النووي (٨/ ٨٠).

(٣) الإعلام بأعلام بيت الله الحرام، النهرواني، (ص/١٣٨).

وَبَعدَ هَذِهِ التَّوسِعَة، نَسعَى فِي المَكَانِ الَّذِي سَعَى فِيهِ النَّبِيُّ ﷺ فِي المَمَرِّ الأَقرَبِ إِلَى الكَعبَةِ، وَيَبدَأُ الحَاجُّ أَو المُعتَمِرُ مِنَ الصَّفَا ذَهَابًا إِلَى المَروَةِ حَيثُ جَعَلَهُ نُفَاةُ التَّوَسُّلِ خَطَّ الرُّجُوعِ مِنَ المَروَةِ، وَنَرجِعُ إِيَابًا فِي المَمَرِّ نَفسَهُ مِن غَيرِ انتِقَالٍ إِلَى المَمَرِّ الأَبعَدِ عَنِ الكَعبَةِ.

فَإِن قِيلَ هَذِهِ التَّوسِعَةُ لأَجلِ الزَّحمَةِ عَلَى الحُجَّاجِ.

فَالجَوَابُ: هُنَاكَ حَلٌّ مُوَافِقٌ للشَّرعِ لِتَخفِيفِ الزَّحمَةِ عَلَى الحُجَّاجِ وَالمُعتَمِرِين، وَهِيَ أَن تَكُونَ التَّوسِعَةُ صُعُودًا وَنُزُولًا، بِأَن يَتِمَّ بِنَاء طَوَابِقَ عُلْوِيَّة وَإِن بَلَغَت الـ ١٠ طَوَابِق فَوقَ الأَرضِ، وَبِنَاء طَوَابِقَ سُفلِيَّة وَإِن بَلَغَت الـ ١٠ طَوَابِق تَحتَ الأَرضِ، وَلَكِن مَعَ المُحَافَظَةِ عَلَى عَرضِ المَسعَى القَدِيم أَي مِن غَيرِ زِيَادَةٍ فِي عَرضِ المَسعَى الَّذِي سَعَى فِيهِ نَبِيُّنَا عَلَيهِ أَفضَلُ الصَّلاةِ وَالتَّسلِيم.

نُفَاةُ التَّوَسُّلِ يَتَهَرَّبُونَ مِنَ المَوضُوعِ فَيَقُولُونَ: المَسأَلَةُ خِلَافِيَّة... وَكَذَبُوا

هُم أَنفُسُهُم كَانُوا يُحَرِّمُونَ سَابِقًا السَّعيَ فِي المَكَانِ الجَدِيدِ كَمَا سَنَرَى الآنَ فِي بَيَانِهِم وَاليَوم يُوجَدُ خِلَافٌ بَينَهُم بَينَ مَن يُرِيدُ التَّوسِعَةَ وَمَن يُرِيدُ أَن يَبقَى عَلَى المَسعَى القَدِيم، فَتَبَيَّنَ لَكَ مُرَادُهم مِن قَولِهِم بِأَنَّ المَسأَلَةَ خِلَافِيَّة، يُرِيدُونَ بِذَلِكَ: خِلَافِيَّة بَينَ نُفَاةِ التَّوَسُّلِ... وَفِي الحَقِيقَةِ هِيَ إِجمَاعِيَّة عِندَ أَهلِ الحَقِّ.

وَتَارَةً يَحتَجُّونَ بِامتِدَادِ الجَبَلَينِ تَحتَ الأَرضِ، فَعَلَى مَعنَى كَلَامِهِم هَذَا أَنَّهُ يَصِحُّ السَّعيُ فِي السَّاحَةِ الخَارِجِيَّةِ وَفِي الطَّرِيقِ بَينَ السَّيارَاتِ بِسَبَبِ امتِدَادِ الجَبَلَينِ، وَالعِيَاذُ بِاللهِ تَعَالَى.

لَم يَكُن عِندَهُم شَيءٌ مِن هَذَا الكَلامِ قَبلَ طَرحِ مَوضُوعِ التَّوسِعَةِ بَل كَانُوا يُنكِرُونَ عَلَى مَن يَخرُجُ عَنِ المَسعَى القَدِيمِ.

وَصَارَت فَتَاوِى نُفَاة التَّوسُّلِ تَتَضَارَبُ لأَجلِ إِرضَاءِ مَن يَأتِيهِم بِالمَدَدِ المَالِيّ.

انظُر إِلَى كِبَارِ نُفَاةِ التَّوسُّلِ كَيفَ سَبَقَ لَهُم أَن اعتَرَضُوا عَلَى التَّوسِعَةِ الحَالِيَة، انظُر إِلَى كَلَامِهِم جَيِّدًا حَيثُ يَعتَرِضُونَ بِالنَّصِّ الحَرفِيّ: أَنَّ العِمَارَةَ الحَالِيَّة للمَسعَى شَامِلَةٌ لِجَمِيعِ أَرضِهِ، وَمِن ثَمَّ فَإِنَّهُ لَا يَجُوزُ تَوسِعَتها، وَيُمكِنُ عِندَ الحَاجَةِ حَلُّ المُشكِلَة رَأسِيًّا بِإِضَافَةِ بِنَاء فَوقَ المَسعَى.

وَلَكِنَّ أَسيَادَهُم أَرَادُوا إِضَافَةَ بِنَاءٍ خَارِجَ المَسعَى وَلَيسَ فَوقَ المَسعَى، فَرَضَخ نُفَاةُ التَّوسُّلِ... وَكَانَت هُنَاكَ: فَتوَى لابنِ تَيمِيَةَ بِقَتلِ نُفَاةِ التَّوسُّل.

قَالَ ابنُ تَيمِيَةَ فِي شَرحِ العُمدَةِ[1]: «لَو سَعَى فِي مُسَامَتَةِ المَسعَى وَتَرَكَ السَّعيَ بَينَ الصَّفَا وَالمَروَة لَم يُجزِهُ» اهـ.

وَيَقُولُ ابنُ تَيمِيَةَ فِي كِتَابِهِ المُسَمَّى مَجمُوع الفَتَاوَى[2]: وَلَو سُئِلَ العَالِمُ عَمَّن يَعدُو بَينَ جَبَلَينِ هَل يُبَاحُ ذَلِكَ؟ قَالَ: نَعم، فَإِذَا قِيلَ إِنَّهُ عَلَى وَجهِ العِبَادَةِ كَمَا يَسعَى بَينَ الصَّفَا وَالمَروَة، قَالَ: «إِن فَعَلَهُ عَلَى هَذَا الوَجهِ، حَرَامٌ مُنكَرٌ يُستَتَابُ فَاعِلُهُ فَإِن تَابَ وَإِلَّا قُتِل» اهـ.

---

(١) شرح العمدة، ابن تيمية (٥/ ٣٣٠).

(٢) مجموع الفتاوى، ابن تيمية، (١١/ ٣٤٣).

وَمَا نُشَاهِدُهُ اليَوم مِمَّا يُسَمَّى المَسعَى الجَدِيد هُوَ خَارِجٌ عَن مَكَانِ سَعيِ النَّبِيِّ ﷺ.

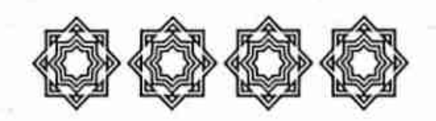
لِمَاذَا لَا يُسَمُّونَ هَذَا الخُرُوجَ عَن المَسعَى: بِدعَة لَم تَكُن فِي أَيَّامِ النَّبِيِّ ﷺ؟؟

مَاذَا سَيَفعَلُ نُفَاةُ التَّوَسُّلِ بِرِقَابِهِم؟؟

هَل سَيَقتُلُونَ أَنفُسَهُم التِزَامًا مِنهُم بِفَتوَى ابنِ تَيمِيَةَ بِزَعمِهِم؟؟

أَم سَيُكَفِّرُونَ مَن يُسَمُّونَهُ كَذِبًا وَنِفَاقًا شَيخَ الإِسلَامِ؟؟؟؟

صَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ الَّذِي قَالَ: «**خُذُوا عَنِّي مَنَاسِكَكُم**»(١).



(١) رواه أحمد ومسلم والنسائي والبيهقي في السنن الكبرى.

تَوسِعَاتُ المَسجِدِ الحَرَامِ عَلَى مَرِّ العُصُورِ

١- عَصرُ الرَّسُولِ: بَعدَ أَن فَتحَ الرَّسُولُ ﷺ مَكَّةَ أَزَالَ مَا كَانَ عَلَى الكَعبَةِ مِن أَصنَامٍ، وَكَانَ يَكسُوهَا وَيُطَيِّبُهَا، وَلَكِنَّهُ لَم يَقُم بِعَمَلِ تَعدِيلٍ عَلَى عِمَارَةِ الكَعبَةِ وَمَا حَولهَا، كَمَا لَم يُرْجِع الكَعبَةَ عَلَى سَابِقِ عَهدِهَا فِي أَيَّامِ سَيِّدِنَا إِبرَاهِيمَ عليه السلام خَشيَةً مِنَ الفِتنَةِ، لأَنَّ قَومَهُ كَانُوا حَدِيثِي عَهدٍ بِالإِسلَامِ، لَكِن كَانَت أَهَمّ الأَحدَاثِ فِي عَهدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ هُوَ تَوجِيهُ القِبلَةِ بِأَمرٍ مِنَ اللهِ إِلَى المَسجِدِ الحَرَامِ، يَقُولُ تَعَالَى: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ﴾[1].

٢- بَقِيَ المَسجِدُ الحَرَامِ عَلَى حَالِهِ طُوَالَ خِلَافَةِ أَبِي بَكرٍ الصِّدِّيقِ رضي الله عنه دُونَ تَغيِيرٍ.

٣- فِي عَهدِ الخَلِيفَةِ عُمَرَ بنِ الخَطَّابِ رضي الله عنه وَفِي العَامِ السَّابع عشر للهجرة استَشعَرَ مَدَى الحَاجَةِ لِهَذِهِ التَّوسِعَة حِينَ رَأَى الزِّيَادَات المُطَّرِدَةِ فِي عَددِ الحُجَّاجِ الَّذِينَ يَغدُونَ للطَّوَافِ حَولَ الكَعبَةِ المُشَرَّفَةِ سَنَوِيًّا، وَعَجزِ المَطَافِ عَن استِيعَابِ تِلكَ الزِّيَادَات، فَقَامَ بِشِرَاءِ البُيُوتِ المُجَاوِرَةِ للمَسجِدِ، وَوَسَّعَ بِهَا سَاحَةَ المَطَافِ وَجَعَلَ لهَا أَبوَابًا يَدخُلُ الحُجَّاجُ وَالمُعتَمِرُونَ مِنهَا للطَّوَافِ حَولَ الكَعبَةِ المُشَرَّفَةِ.

٤- فِي زَمَنِ الخَلِيفَةِ عُثمَانَ بنِ عَفَّان رضي الله عنه كَثُر النَّاسُ فَوَسَّعَ

---

(١) سورة البقرة، آية (١٤٤).

المَسجِدَ، وَكَانَت هَذِهِ الزِّيَادَةُ سَنَةَ سِتٍ وَعِشرِينَ لِلهِجرَةِ، كَمَا بَنَى رضي الله عنه لِلمَسجِدِ أَرْوِقَةً، فَكَانَ ذُو النُّورَينِ أَوَّلُ مَن بَنَى أَروِقَةً لِلمَسجِدِ الحَرَامِ.

٥- فِي عَهدِ عَبدِ الله بنِ الزُّبَيرِ عَامَ ٦٤ هـ أُجرِيَت زِيَادَة كَبِيرَة عَلَى المَسجِدِ طَالَت جِهَاتُهُ الشَّرقِيَّة وَالجَنُوبِيَّة وَالشَّمَالِيَّة، كَمَا قَامَ بِسَقفِ المَسجِدِ وَدَعمِهِ بِأَعمِدَةٍ مِنَ الرُّخَامِ، وَبَذَلَ أَموَالًا طَائِلَةً فِي شِرَاءِ بَعضِ البُيُوتِ المُحِيطَةِ بِهِ، الَّتِي ضَمَّ أَرضَهَا لِسَاحَةِ المَسجِدِ، وَقَد بَلَغَت التَّوسِعَةُ الَّتِي أَجرَاهَا نَحو ٤٠٥٠ مِترًا مُسطحًا.

٦- فِي عَهدِ عَبدِ المَلِكِ بنِ مَروَانَ وَتَحدِيدًا فِي سَنَةِ ٧٥ هـ أَجرَى الخَلِيفَةُ الأَموِيُّ عَبدُ المَلِكِ بنُ مَروَانَ عِمَارَةً فِي المَسجِدِ الحَرَامِ دُونَ أَن يُحدِثَ أَيَّ زِيَادَةً فِي مساحَتِه، لَكِنَّهُ قَامَ بِرَفعِ جُدرَانِ الحَرَمِ، وَسَقفِهِ بِالسَّاجِ، وَوَضَعَ عَلَى رَأسِ كُلِّ أُسطُوَانَةٍ خَمسِينَ مِثقَالًا مِنَ الذَّهَبِ.

٧- فِي عَهدِ ابنِهِ الوَلِيد بن عَبدِ المَلِكِ تَمَّ لأَوَّلِ مَرَّةٍ نَقلُ أَسَاطِينِ الرُّخَامِ (أَعمِدَة الرُّخَام) مِن مِصرَ وَالشَّام إِلَى مَكَّةَ عَلَى عَجل، وَزَادَ فِي مِسَاحَةِ المَسجِدِ الحَرَامِ مِنَ الجِهَةِ الشَّرقِيَّةِ رَوَاقًا دَائِرًا عَلَى حَافَتِهِ، وَقَد بَلَغَت هَذِهِ التَّوسِعَةُ نَحو ٢٣٠٠ مِتر مُرَبَّع، وَكَانَ الوَلِيدُ بنُ عَبدِ المَلِكِ هُوَ أَوَّلُ مَن ءَازَرَ المَسجِدَ بِالرُّخَامِ مِن دَاخِلِهِ، كَمَا أَهدَى إِلَى الكَعبَةِ المُشَرَّفَةِ هِلَالَينِ وَسَرِيرًا مِن ذَهَبٍ.

٨- فِي عَهدِ الخَلِيفَةِ المَنصُورِ زَادَ الخَلِيفَةُ المَنصُور فِي مساحَةِ المَسجِدِ الحَرَامِ، وَأَصلَحَ فِي عِمَارَتِهِ، وَقَد تَمَثَّلَت هَذِهِ الزِّيَادَةُ فِي إِقَامَةِ رَوَاقٍ وَاحِدٍ يُنْفِذ عَلَى صَحنِ المَسجِدِ الحَرَامِ، كَمَا بَنَى الخَلِيفَةُ المَنصُور مِئذَنَةً فِي رُكنِ المَسجِدِ الشَّمَالِيّ الغَربِيّ عُرِفَت بِاسمِ «مِئذَنَة بَنِي سَهم».

وَبِهَذِهِ الزِّيَادَةِ الَّتِي بَلَغَت ٤٧٠٠ مِتر مُرَبَّع، الَّتِي انتَهَت عَام ١٤٠ هـ.

٩- أَعقَبَ الخَلِيفَةُ مُحَمَّدٌ المَهدِيُّ العَبَّاسِيُّ العِمَارَةَ السَّابِقَةَ بِعِمَارَتَينِ كَبِيرَتَينِ: الأُولَى جَرَت عَامَ ١٦٠ هـ، وَأَكمَلَ بِهَا عِمَارَةَ أَبِيهِ الخَلِيفَةِ أَبِي جَعفَرٍ المَنصُورِ، حَيثُ وَسَّعَ المَسجِدَ الحَرَامَ مِنَ المَوضِعِ الَّذِي انتَهَى إِلَيهِ وَالِدُهُ فِي الجَانِبِ الغَربِيِّ، كَمَا وَسَّعَهُ مِن أَعلَاهُ وَمِنَ الجَانِبِ اليَمَانِيِّ، وَقَد بَلَغَت هَذِهِ الزِّيَادَةُ ٧٩٥٠ مِترًا مُسطحًا.

وَأَمَّا العِمَارَةُ الثَّانِيَةُ: فَقَد جَرَت بَعدَ أَن قَدِمَ المَهدِيُّ العَبَّاسِيُّ لِلحَجِّ عَامَ ١٦٤ هـ وَسَاءَهُ أَن يَرَى العِمَارَةَ الأُولَى الَّتِي أَمَرَ بِإِجرَائِهَا لَم تَجعَلِ المَسجِدَ مُرَبَّعًا وَتَتَوَسَّطهُ الكَعبَةُ المُشَرَّفَة، فَأَمَرَ المُهَندِسِينَ بِتَدَارُكِ الأَمرِ وَإِجرَاءِ التَّعدِيلَاتِ وَالتَّوسِعَاتِ اللَّازِمَةِ، وَاشتَرَى الدُّورَ المُجَاوِرَة، وَأَنفَقَ أَموَالًا طَائِلَةً حَتَّى تَحَقَّقَ لَهُ مَا أَرَادَ، وَانتَهت هَذِهِ العِمَارَةُ فِي عَهدِ ابنِهِ مُوسَى الهَادِي بَعدَ أَن تَوَفَّاهُ الله. وَقَد بَلَغَت هَذِهِ الزِّيَادَةُ نَحو ٢٣٦٠ مِترًا مُربَّعًا، وَكَانَ عَدَدُ الأَعمِدَةِ وَقتَهَا أَربَعُمِائَةٍ وَأَربَعةٍ وَثَلاثِينَ عَمُودًا، وَكَانَ عَدَدُ الأَبوَابِ فِي المَسجِدِ أَربَعَة وَعِشرِينَ بَابًا، وَأَصبَحَ لِلمَسجِدِ ءَانَذَاكَ أَربَعَ مَآذِن فِي أَركَانِهِ الأَربَعَة.

١٠- فِي عَهدِ المُعتَضِدِ بِاللهِ تَمَّ إِضَافَةُ دَارِ النَّدوَةِ إِلَى المَسجِدِ الحَرَامِ وَدُعِمَ هَذَا الجُزء بِأَسَاطِينَ[1] وَطَاقَاتٍ وَأَروِقَةٍ مُسقفَة بِالسَّاجِ المُزخرَفِ، وَأُوصِلَت بِالمَسجِد الحَرَامِ عَن طَرِيقِ اثنَي عَشَر بَابًا فُتِحَت فِي حَائِطِ المَسجِدِ، وَبَلَغَت هَذِهِ الزِّيَادَةُ ١٢٥٠ مِترًا مُرَبَّعًا.

١١- فِي عَامِ ٣٠٦ هـ أَجرَى المُقتَدِرُ بِاللهِ العَبَّاسِيّ زِيَادَةً أُخرَى بَلَغَت

---

(١) جمع أسطوانة، فالأساطين الأعمدة.

٨٥٠ مِترًا مُربَّعًا، حَيثُ كَانَت هُنَاكَ سَاحَةٌ تَقعُ بَينَ بَابَينِ مِن أبوَابِ المَسجِدِ الحَرَام أَحَدُهُمَا يُسمَّى بَابُ «الخَيَّاطِين» أو بَابُ «الحَزوَرَة»، وَالثَّانِي يُسمَّى بَابُ «بَنِي جُمَح» وَكَانَت أَمَامَ هَذِهِ السَّاحَة دَارَانِ لزُبَيْدَة أُمِّ الخَلِيفَةِ الأمِين، وَقَد ضمّت تِلكَ المَسَاحَات جَمِيعَهَا للمَسجِدِ الحَرَام.

١٢- فِي سَنَةِ ٨٠٣ هـ شَبَّ حَرِيقٌ كَبِيرٌ فِي المَسجِدِ الحَرَامِ دَمَّرَ الجَانِبَ الغَربِيَّ مِنهُ، وَأَصَابَ أَيضًا الجَانِبَ الشَّمَالِيَّ الَّذِي استَمَرَّ الحَرِيقُ فِيهِ إِلَى أَن أَتَى عَلَى سُقُوفِ المَسجِدِ وَأَعمِدَتِهِ الرُّخَامِيَّة، وَوَصَلَ إِلَى أُسطُوَانَتَينِ هَدَمَهُمَا السَّيلُ العَظِيم الَّذِي دَاهَمَهُمَا، وَأَسقَط مَا عَلَيهِمَا مِنَ الأَعمِدَةِ وَالسُّقُوفِ، وَحِينَ عَلِمَ السُّلطَانُ أَبُو السَّعَادَاتِ زَينُ الدِّينِ فَرَج بُرْقُوق بِذَلكَ قَامَ بِإِصلَاحِ مَا أَتلَفَهُ الحَرِيقُ، وَأَعَادَ بِنَاءَ المَسجِدِ إِلَى مَا كَانَ عَلَيهِ، دُونَ إِضَافَةِ أَيِّ زِيَادَاتٍ عَلَى مِسَاحَتِهِ.

١٣- فِي سَنَةِ ٨١٥ هـ قَامَ قَاضِي مَكَّةَ جَمَالُ الدِينِ مُحَمَّدُ بنُ عَبدِ اللهِ ابنِ ظَهِيرَةَ بِتَعمِيرِ أَجزَاءٍ مِنَ المَسجِدِ وَإِصلَاحِ سَقفِهِ.

١٤- فِي سَنَةِ ٨٢٥ هـ أَجرَى الأَمِيرُ زَينُ الدِّينِ بَرْسبَاي عِمَارَةً كَبِيرَةً للمَسجِدِ الحَرَام بَعدَ أَن أَصَابَ التَّلَفَ وَالتَّشَقُّق جُدرَانَهُ وَأَعمِدَتَهُ وَأَبوَابَهُ وَسَقفَهُ، وَقَامَ بِتَشيِيدِ عَشرَاتِ العُقُودِ وَتَجدِيدِ الأَبوَابِ وَالسُّقُوفِ فِي مَبنَى المَسجِدِ.

١٥- فِي سَنَةِ ٨٨٢هـ بَنَى السُّلطَانُ قَايتبَاي سُلطَان مِصرَ[1] أَوَّلَ مَدرَسَةٍ تُدَرَّسُ فِيهَا المَذَاهِب الأَربَعَة، وَاشتَرَى بَعدَ ذَلِكَ بَعضَ الدُّورِ

(١) أحد سلاطين المماليك الجراكسة (البرجيّة)، المتوفى سنة ٩٠١هـ.

المُحِيطَةِ بِهِ، وَأَقَامَ فِيهَا مُجمَّعًا كَبِيرًا يُشرِفُ عَلَى المَسجِدِ الحَرَامِ وَالمَسعَى وَاشتَرَى مَكتبًا وَمَنارَةً.

١٦- فِي الفَترَةِ الوَاقِعَةِ مَا بَينَ ٩٨١ هـ - ٩٨٤ هـ أجرَى السُّلطَانُ سَلِيم عِمَارَةً شَامِلَةً للمَسجِدِ بَعدَ أن أصَابَ الخَرَابَ بَعضَ أروِقَتِهِ وَبَرَزَت رُؤُوس أخشَابِ سُقُوفِهِ، فَاستُبدِلَت بِالسُّقُوفِ الخَشَبِيَّةِ القِبَابُ الَّتِي أُقِيمَت عَلَى دَعَامَاتٍ قَوِيَّةٍ مِنَ الحَجَرِ وَأَسَاطِينِ الرُّخَامِ، وَقَد تُوفِّيَ السُّلطَانُ سَلِيم قَبلَ إتمَامِ تِلكَ العِمَارَة، فَتَوَلَّى ابنُهُ السُّلطَانُ مُرَاد خَان الرَّابع إتمَامَهُ. وَكَانَت هَذِهِ العِمَارَةُ بِمَثَابَةِ تَجدِيدٍ كَامِلٍ للمَسجِدِ مُنذُ عِمَارَةِ الخَلِيفَةِ المَهدِيِّ العَبَّاسِيِّ الَّتِي انتَهَت عَامَ ١٦٤ هـ.

١٧- تَزَايَدَ أعدَادُ المُسلِمِينَ حَيثُ اتَّسَعَت خِلَالَ تِلكَ الفَترَةِ رُقعَةُ العَالَمِ الإسلَامِيِّ لِتَشمَلَ بِلَادًا وَشُعُوبًا جَدِيدَةً فِي أفرِيقِيَا وَآسِيَا، فَضلًا عَنِ التَّطَوُّرِ الهَائِلِ الَّذِي شَهِدَ العَصرَ الحَدِيثَ فِي وَسَائِلِ المُوَاصَلَاتِ الَّتِي اختَصَرَت المَسَافَات وَقَارَبَت مَا بَينَ البُلدَانِ، كُلُّ ذَلِكَ أدَّى إلَى مُضَاعَفَةِ أعدَادِ حُجَّاجِ بَيتِ اللهِ الحَرَام، وَهُوَ مَا أظهَرَ مَدَى الحَاجَّةِ إلَى تَوسِعَةِ المَسجِدِ الحَرَامِ لاستِيعَابِ المُصَلِّين.

١٨- فِي عَهدِ المَلِكِ سُعُود تَمَّت تَوسِعَةٌ شَامِلَةٌ لِبَيتِ اللهِ الحَرَامِ وَعِمَارَتِهِ فِي ثَلَاثِ مَرَاحِلَ شَمِلَت إزَالَةَ المُنشَآتِ السَّكَنِيَّةِ وَالتِّجَارِيَّةِ الَّتِي كَانَت مُجَاوِرَةً للمَسعَى، وَإنشَاءِ طَابِقٍ عُلوِيٍّ للمَسعَى، كَمَا أُنشِئَ للحَرَمِ ١٦ بَابًا فِي الجِهَةِ الشَّرقِيَّةِ نَاحِيَةَ المَسعَى وَأصبَحَت مِسَاحَةُ مُسطَحَاتِ المَسجِدِ الحَرَامِ بَعدَ هَذِهِ التَّوسِعَةِ ١٩٣٠٠٠ مِترَ مُرَبَّع بَعدَ أن كَانَت ٢٩١٢٧ مِترًا مُرَبَّعًا، أي بِزِيَادَةٍ قَدرُهَا ١٦٣٨٧٣ مِترًا مُرَبَّعًا.

١٩- فِي عَهدِ المَلِكِ فَيصَل تَمَّ الإبقَاءُ عَلَى البِنَاءِ العُثمَانِيِّ القَدِيم،

وَتَمَّ عَملُ تَصَامِيمَ العِمَارَةِ الجَدِيدَةِ بِأفضَلِ أسَالِيبِ الدَّمجِ الَّتِي تحقق الانسِجَامَ بَينَ القَدِيمِ وَالجَدِيدِ، وَمَا زَالَ البِنَاءُ الحَالِي يَجمَعُ بَينَ التُّرَاثِ وَالمُعَاصَرَة. وَأَصبَحَت مِسَاحَةُ المَسجِدِ الحَرَامِ ١٦٠ ألفَ مِتر مُرَبَّع.

٢٠- فِي عَهدِ المَلِكِ فَهد تَمَّ وَضعُ حَجَرِ الأَسَاسِ لِتَوسِعَةِ المَسجِدِ الحَرَامِ بِمَكَّةَ المُكَرَّمَة وَبَلَغَت مِسَاحَةُ المَسجِدِ الحَرَامِ ٣٥٦ ألف مِتر مُرَبَّع.

٢١- وَفِي عَهدِ المَلِكِ عَبدِ اللهِ بَدَأَت التَّوسِعَاتِ الجَدِيدَةِ وَإِعَادَةِ بِنَاءِ المَسجِدِ الشَّرِيفِ بِنَاءً حَدِيثًا بَعدَ إِزَالَةِ جَمِيعِ التَّوسِعَاتِ الَّتِي حَصَلَت عَلَى مَرِّ العُصُورِ لِيُصبِحَ مَجمُوع المِسَاحَاتِ لِلمَسجِدِ الحَرَامِ ٧٥٠٠٠٠ مِترًا مُرَبَّعا.

المَشَاعِرُ

مِنى

سُمِّيَ مِنى لِمَا يُمنَى فِيهِ مِنَ الدِّمَاءِ، وَقِيلَ لاجتِمَاعِ النَّاسِ بِهَا، وَالعَرَبُ تَقُولُ لِكُلِّ مَكَانٍ يَجتَمِعُ فِيهِ النَّاسُ مِنًى. وَيَقَعُ مَشعَرُ منًى بَينَ مَكَّةَ وَالمُزدَلِفَة عَلَى بُعدِ ٧كم شَمَالَ شَرقِ المَسجِدِ الحَرَام. وَبِهِ يَبِيتُ الحُجَّاجُ لَيَالِي: ٩، ١١، ١٢ مِن ذِي الحِجَّةِ لِمَن يَتَعَجَّل، وَلَيلَة ١٣ لِمَن يَتَأَخَّر. وَقَد وَرَدَ ذَلِكَ فِي قَولِهِ تَعَالَى: ﴿وَاذْكُرُواْ اللَّهَ فِيٓ أَيَّامٍ مَّعْدُودَٰتٍۚ فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِۚ لِمَنِ ٱتَّقَىٰۗ﴾[1]، وَهُوَ مَشعَرٌ دَاخِلَ حُدُودِ الحَرَمِ، وَبِهِ رَمَى إبرَاهِيمُ عليه السلام الجِمَار، وَذَبَح

(١) سورة البقرة، آية (٢٠٣).

كَبشًا بَدَلَ إسمَاعِيل عليه السلام، ثُمَّ رَمَى النَّبِيُّ ﷺ وَذَبَحَ أثناءَ حَجَّةِ الوَدَاعِ. وَبِهِ مَسجِدُ الخَيْفِ وَالجَمَرَاتُ الثَّلَاث، وَبِهِ تَمَّت بَيعَةُ الأنصَارِ المَعرُوفَةِ بِبَيعَةِ العَقَبَةِ الأُولَى وَالثَّانِيَةِ، وَبِهِ نَزَلَت سُورَةُ النَّصرِ أثنَاءَ حَجَّةِ الوَدَاع[1]، وَبِهِ بَاتَ النَّبِيُّ ﷺ وَصَلَّى فِيهِ أيَّامَ التَّشرِيقِ وَلَيَالِيهَا وَبِهِ نَحَرَ، وَقَالَ: «**نَحرتُ هَهُنَا وَمِنًى كُلُّهَا مَنحَرٌ فَانحَرُوا فِي رِحَالِكُم**»[2]، وَبِهِ نَزَلَت سُورَةُ المُرسَلَاتُ[3].

تَبعُدُ عَن شَرقِ مَكَّةَ المُكَرَّمَةَ حَوَالِي ٥ كِيلُومِترَاتٍ فِي الطَّرِيقِ بَينَ مَكَّةَ وَجَبَلِ عَرَفَاتٍ.

مَسجِدُ الخَيْفِ

مَسجِدُ الخَيفِ: الخَيفُ بِفَتحِ الخَاءِ وَسُكُونِ اليَاءِ، مَا انحَدَرَ عَن غِلَظِ الجَبَلِ وَارتَفَعَ عَن مَسِيلِ المَاءِ، وَمِنهُ سُمِّيَ مَسجِدَ الخَيفِ، وَيَقَعُ فِي سَفحِ جَبَلِ مِنى الجَنُوبِيّ قَرِيبًا مِن الجَمرَةِ الصُّغرَى[4]، وَقَد صَلَّى فِيهِ النَّبِيُّ ﷺ وَالأنبِيَاءُ عليهم السلام مِن قَبلِهِ، فَعَن يَزِيدَ بنِ الأسوَدِ قَالَ: «شَهِدتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ حَجَّتَهُ فَصَلَّيْتُ مَعَهُ صَلَاةَ الصُّبحِ فِي مَسجِدِ الخَيْفِ»[5]، وَعَن عَبدِ الرَّحْمَنِ بنِ مُعَاذٍ قَالَ: «خَطَبَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ

---

(١) السيرة، ابن هشام، (١/ ٤٣١ . ٤٤٠). أخبار مكة، الفاكهي، (٤/ ٢٤٩). فتح الباري، ابن حجر، (٨/ ٧٣٤).

(٢) صحيح مسلم، مسلم، كتاب الحج، باب ما جاء أن عرفة كلها موقف، (١٢١٨).

(٣) صحيح البخاري، البخاري، باب جزاء الصيد، (١٨٣٠).

(٤) Location 21 .39 N48'415.16'878

(٥) جامع الترمذي، الترمذي، أبواب الصلاة عن رسول الله ﷺ ، (٢١٩).

وَنحنُ بِمِنًى. . . ثُمَّ أَمَرَ المُهَاجِرِينَ فَنَزَلُوا فِي مُقَدَّمِ المَسجِدِ وَأَمَرَ الأَنصَارَ فَنَزَلُوا مِن وَرَاءِ المَسجِدِ، ثُمَّ نَزَلَ النَّاسُ بَعدَ ذَلِكَ»[1].

وَفِي مُسنَدِ البَزَّارِ مِن حَدِيثِ عَبدِ اللهِ بنِ عُمَرَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «فِي مَسجِدِ الخَيفِ قَبرُ سَبعِينَ نَبِيًّا»[2][3].

وَعَنِ ابنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «صَلَّى فِي مَسجِدِ الخَيفِ سَبعُونَ نَبِيًّا مِنهُم مُوسَى كَأَنِّي أَنظُرُ إِلَيهِ وَعَلَيهِ عَبَاءَتَانِ قَطْوَانِيَّتَانِ وَهُوَ مُحْرِمٌ عَلَى بَعِيرٍ مِن إِبِلِ شَنُوءَةَ مَخطُومٍ بِخِطَامٍ[4] لِيفٍ لَهُ ضَفِيرَتَانِ»[5].

وَرَوَى البَيهَقِيُّ فِي سُنَنِهِ الكُبرَى عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ قَالَ: «لَقَدْ سَلَكَ فَجَّ الرَّوْحَاءِ سَبْعُونَ نَبِيًّا حُجَّاجًا عَلَيْهِمْ ثِيَابُ الصُّوفِ، وَلَقَدْ صَلَّى فِي مَسْجِدِ الْخَيْفِ سَبْعُونَ نَبِيًّا»[6].

الجَمَرَاتُ

الجَمَرَاتُ جَمعُ جَمرَةٍ وَهِيَ الحَصَاةُ الصَّغِيرَةُ، وَجَمَرَاتُ المَنَاسِكِ

---

(١) سنن أبي داود، أبو داود، كتاب المناسك، باب ما ذكر الإمام في خطبته بمنى (١٩٥٧).

(٢) وقد سبق التعليق عليه.

(٣) مجمع الزوائد، الهيثمي، وقال: رواه البزار ورجاله ثقات (٣/٢٩٧).

(٤) الخِطام الحَبل الذي يُقاد به، يُجعل على خطمِه أي مقدّم أنفه وفمه. شرح المشكاة، الطيبي.

(٥) الطبراني، الأوسط، باب الميم من اسمه محمد (٥٥٦٥).

(٦) السنن الكبرى، البيهقي: ،، باب دخول مكة بغير إرادة حج ولا عمرة.

الثَّلَاثِ بِمِنًى هِيَ الجَمرَةُ الصُّغرَى وَالوُسطَى وَالعَقَبَة[1]، وَفِيهِ امتِثَالٌ لأمرِ اللهِ وَاقتِدَاءٌ بِأَبِينَا إبرَاهِيمَ عليه السلام وَقَد قَالَ تَعَالَى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾[2] وَاقتِدَاءٌ بِنَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ القَائِلِ: «**خُذُوا عَنِّي مَنَاسِكَكُم**»[3] وَإظهَارٌ لِعَدَاوَةِ الشَّيطَانِ، وَقَد قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾[4] فَعِندَمَا نَرمِي الحِجَارَةَ كَانَ فِيهِ إغَاظَةٌ للشَّيطَان وَإذلَالٌ وَتَحقِيرٌ لَهُ.

فَفِي رِوَايَةِ ابنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه أَنَّ إِبرَاهِيمَ عليه السلام لَمَّا أُمِرَ بِالمَنَاسِكِ ذَهَبَ بِهِ جِبرِيلُ عليه السلام إِلَى جَمرَةِ العَقَبَةِ فَعَرَضَ لَهُ الشَّيطَانُ فَرَمَاهُ بِسَبعِ حَصَيَاتٍ حَتَّى ذَهَبَ، ثُمَّ عَرَضَ لَهُ عِندَ الجَمرَةِ الوُسطَى فَرَمَاهُ بِسَبعِ حَصَيَاتٍ...[5].

وَقَد رَمَى النَّبِيُّ ﷺ يومَ النَّحرِ ضُحىً، وَأَمَّا بَعدَ ذَلِكَ فَبَعدَ زَوَالِ الشَّمسِ[6].

وَفِي حَدِيثِ ابنِ عُمَرَ رضي الله عنه الَّذِي رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ وَالبَزَّارُ وَابنُ حِبَّانَ فِي صَحِيحِهِ: «**وَأَمَّا رَميُكَ الجِمَارَ فَلَكَ بِكُلِّ رَميَةٍ حَصَاةٍ رَمَيتَهَا تَكفِيرُ كَبِيرَةٍ مِنَ المُوبِقَاتِ**»[7].

---

(١) القاموس المحيط، الشيرازي، مادة ج م ر.

(٢) سورة الممتحنة، آية ٤.

(٣) مسند أحمد، أحمد، مسند جابر بن عبد الله، (١٤٤١٩).

(٤) سورة فاطر، آية (٦).

(٥) مجمع الزوائد، الهيثمي، قال الهيثمي: رواه أحمد والطبراني في الكبير ورجاله ثقات. (٣/ ٢٥٩).

(٦) جامع الترمذي، الترمذي، أبواب الحج عن رسول الله ﷺ، (٨٩٤).

(٧) مجمع الزوائد، الهيثمي، وقال: رواه الطبراني والبزار (٣/ ٢٧٤).

مُزدَلِفَة

مُزدَلِفَةُ ثَالِث المَشَاعِرِ المُقَدَّسَةِ الَّتِي يَمُرُّ بِهَا الحَجِيجُ فِي رِحلَةٍ إِيمَانِيَّةٍ يُؤَدُّونَ فِيهَا مَنَاسِكَ الحَجّ حَيثُ تَقَعُ بَينَ مَشْعَري مِنًى وَعَرَفَات، وَأَصْلُهَا: مُزْتَلِفَة - بِالتَّاءِ - أَيْ: مُقْتَرِبَةٌ، مِنَ الازْدِلَافِ، وَهُوَ: القُرْبُ وَالدُنُوُّ، يُقَالُ: ازْدَلَفَ الشَّيءُ، يَزْدَلِفُ، ازْدِلَافًا، أيْ: قَرُبَ. وَالزُّلْفَى: القُرْبَةُ وَالدَّرَجَةُ. وَيَأْتِي الازْدِلَافُ بِمَعنَى الجَمْعِ، وَالتَّقَدُّمِ وَالانْدِفَاعِ نحوَ الشَّيءِ، وَمِنهُ سُمِّيَتْ مُزْدَلِفَةُ بِذَلِكَ؛ لاقتِرَابِ النَّاسِ إِلَى مِنىً بَعدَ الانصِرَافِ مِن عَرَفَاتٍ، وَقِيلَ: لأَنَّها قُرْبَةٌ مِنَ اللهِ تَعَالَى، وَقِيلَ: لاجْتِمَاعِ النَّاسِ بِهَا.

وَحَدُّهَا طُولًا مِنَ الشَّرْقِ المَأْزِمَانِ، وَهُمَا جَبَلَانِ بَيْنَهُما طَرِيقٌ إِلَى عَرَفَاتٍ، ويَحُدُّهَا مِنَ الغَرْبِ وَادِي مُحَسِّرٍ، وَهُوَ وَادٍ صَغِيرٌ يَمُرُّ بَينَ مِنى ومُزْدَلِفَةَ وَلَيسَ مِنهَا، وَأَمَّا عَرْضًا فَيَحُدُّهَا جبَلَانِ كَبِيرانِ يُطِلَّانِ عَلَيهَا مِنَ الجِهَةِ الشَّمَالِيَّةِ، وَيُقَالُ لَهُ: جَبَلُ المُزْدَلِفَةِ، ويُسَمَّى أَيضًا: الأَحْدَبُ وثَبِيرُ، وَالآخَرُ مِنَ الجِهَةِ الجَنُوبِيَّةِ، ويَشمَلُ جَبَلَ ذَاتِ السَّلِيمِ، وجَبَلَ "ذُو مُرَاخٍ"، أو المُرَيْخِيات. وَقَد وَرَدَ ذِكرُهَا فِي قَولِهِ تَعَالَى: ﴿فإذا افضتم من عرفت فاذكروا الله عند المشعر الحرام﴾[1]، وَوَرَدَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ جَمَعَ فِي حَجَّةِ الوَدَاعِ المَغرِبَ وَالعِشَاءَ بِالمُزدَلِفَةِ[2] وَهُوَ نَازِلٌ عِندَ قِبلَةِ المَسجِدِ وَقَالَ «وَوَقَفْتُ هَهُنَا وَجَمْعٌ كُلُّهَا مَوْقِفٌ»[3][4].

---

(١) سورة البقرة، آية (١٩٨).

(٢) صحيح البخاري، البخاري، كتاب الحج، باب من جمع بينهما ولم يتطوع (١٦٧٤).

(٣) وفي رواية أبي داود ومالك في الموطأ والنسائي وغيرهم: «والمزدلفة كلها موقف».

(٤) صحيح مسلم، مسلم، كتاب الحج، باب ما جاء أن عرفة كلها موقف (١٢١٨).

المَشعَرُ الحَرَام

المَشْعَرُ الحَرَامِ هُوَ قُزَح، وَالمَشعَرُ الحَرَام يُعرَفُ الآنَ بِمَسجِدِ مُزدَلِفَة، وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَنزِلُ عِندَ قِبلَتِهِ، وَقَد رُوِيَ أَنَّهُ ﷺ اجتَهَدَ فِي الدُّعَاءِ لأُمَّتِهِ فَاستُجِيبَ لَهُ مَا بَقِيَ مِمَّا لَم يُستَجَب لَهُ فِي عَرَفَةَ مِنَ الدِّمَاءِ وَالمَظَالِم[1].

يَقَعُ المَسجِدُ فِي مُنتَصَفِ المَسَافَةِ الوَاقِعَةِ بَينَ مَسجِدِ نَمِرَةَ[2] فِي عَرَفَاتٍ وَمَسجِدِ الخَيفِ فِي مِنًى لِكَونِ مُزدَلِفَةَ وَاقِعَة بَينَ عَرَفَات فِي شَرقِهَا وَمِنًى فِي غَربِهَا.

عَرَفَات

عَرَفَات سُمِّيَت بِذَلِكَ لتَعَارُفِ ءَادَمَ وَحَوَّاء فِيهَا[3]، أَو لأَنَّ جِبرِيلَ عليه السلام عَرَّفَ فِيهَا إِبرَاهِيمَ عليه السلام المَنَاسِكَ، ثُمَّ سَأَلَهُ هَل عَرَفتَ؟ قَالَ: نَعَم، قَالَ ابنُ عَبَّاسٍ: فَمِن ثَمَّ سُمِّيَت عَرَفَة، أَو لأَنَّ النَّاسَ يَعتَرِفُونَ فِيهَا بِذُنُوبِهِم، وَغَيرِ ذَلِكَ. وَهِيَ مَشعَرٌ خَارِجَ حُدُودِ الحَرَمِ، وَتَقَعُ إِلَى الجُنُوبِ الشَّرقِيِّ مِنَ المَسجِدِ الحَرَامِ عَلَى بُعدِ ٢٢كم.

إِجَابَةُ الدُّعَاءِ بِعَرَفَات: وَهُوَ مِن أَجَلِّ أَمَاكِنِ الإِجَابَةِ وَأَعظَمِهَا، وَكَانَ ﷺ يَجتَهِدُ فِي الدُّعَاءِ فِيهِ.

---

(١) سنن ابن ماجه، ابن ماجه، كتاب المناسك، باب الدعاء بعرفة (٣٠١٣).

(٢) قال بعض العلماء: مسجد نمرة الذي في عرفات قِسم منه حلٌّ وقِسم منه من الحرم.

(٣) قال بعض العلماء: هذا القول غير ثابت، ليس صحيحًا.

فَضلُ يَومِ عَرَفَة: رَوَى الإِمَامُ أحمَد بِإسنَادٍ صَحِيحٍ عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ: كَانَ فُلَانٌ رَدِيْفَ رَسُولِ اللهِ ﷺ يومَ عَرَفَةَ، قَالَ: فَجَعَلَ الفَتَى يُلَاحِظُ النِّسَاءَ وَيَنظُرُ إِلَيهِنَّ، قَالَ: قَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّ هَذَا اليَومَ مَن مَلَكَ[1] فِيهِ سَمْعَهُ وَبَصَرَهُ وَلِسَانَهُ غُفِرَ لَهُ»[2].

وَمِنهَا مَا رَوَاهُ مُسلِمٌ فِي صَحِيحِهِ مَرفُوعًا: «إِنَّ الإِسلَامَ يَهْدِمُ مَا كَانَ قَبلَهُ، وَإِنَّ الهِجرَةَ تَهْدِمُ مَا كَانَ قَبلَهَا، وَإِنَّ الحَجَّ يَهْدِمُ مَا كَانَ قَبلَهُ»[3].

وَمِنهَا مَا رَوَاهُ مَالِكٌ فِي المُوَطَّأ مَرفُوعًا: «مَا رُؤِيَ الشَّيطَانُ يَومًا هُوَ فِيهِ أَصغَرُ وَلَا أَدحَرُ وَلَا أَحقَرُ وَلَا أَغيَظُ مِنهُ فِي يَومِ عَرَفَةَ، وَمَا ذَاكَ إِلَّا لِمَا رَأَى مِن تَنَزُّلِ الرَّحمَةِ وَتَجَاوُزِ اللهِ عَنِ الذُّنُوبِ العِظَامِ»[4].

مَا يُسَنُّ فِي المَوقِفِ: أن يُكثِرَ الدُّعَاءَ، وَالتَّكبِيرَ، وَالتَّهلِيلَ، وَالتَّلبِيَةَ، وَالاستِغفَارَ، وَقِرَاءَةَ القُرءَانِ، وَالصَّلَاةَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، وَليُحذَر مِنَ التَّقصِيرِ فِي شَيءٍ مِن هَذَا، فَإِنَّ هَذَا اليَومَ لَا يُمكِنُ تَدَارُكه، وَيُكثِرَ مِنَ التَّلَفُّظِ بِالتَّوبَةِ مِن جَمِيعِ المُخَالَفَاتِ مَعَ النَّدَمِ بِالقَلبِ، وَيُكثِرَ البُكَاءَ مَعَ الذِّكرِ، فَهُنَاكَ تُسكَبُ العَبَرَاتُ، وَتُستَقَالُ العَثَرَاتُ، وَتُرجَى الطَّلَبَاتُ، وَهُوَ مَوقِفٌ جَسِيمٌ يَجتَمِعُ فِيهِ خِيَارُ عِبَادِ اللهِ الصَّالِحِين وَأَولِيَائِهِ المُخلِصِين.

---

(١) أي حفظها من الذنوب.

(٢) صحيح ابن خزيمة، ابن خزيمة، كتاب المناسك، باب فضل حفظ البصر والسمع واللسان يوم عرفة. مسند أحمد، الإمام أحمد (٣٠٤١).

(٣) صحيح مسلم، مسلم، كتاب الإيمان، باب كون الإسلام يهدم ما قبله (١٢١).

(٤) الموطأ، مالك، كتاب الحج، باب جامع الحج (٩٤٤).

أَدعِيَةٌ مَأثُورَةٌ للمَوقِفِ: رَوَى الطَّبَرَانِيُّ فِي الأَوسَطِ أَنَّهُ ﷺ لمَّا وَقَفَ بِعَرَفَات قَالَ: «لَبَّيكَ اللَّهُمَّ لَبَّيك»، ثُمَّ قَالَ: «إِنَّمَا الخَيرُ خَيرُ الآخِرَةِ»[1]. وَفِي رِوَايَةٍ: «اللَّهُمَّ لَا عَيْش إِلَّا عَيْشُ الآخِرَةِ»[2].

وَرَوَى مَالِكٌ وَغَيرُهُ: «أَفضَلُ الدُّعَاءِ دُعَاءُ يَوم عَرَفَةَ، وَأَفضَلُ مَا قُلتُ أَنَا وَالنَّبِيُّونَ مِن قَبلِي: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ المُلكُ وَلَهُ الحَمدُ، يُحيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ حَيٌّ لَا يَمُوتُ، بِيَدِهِ الخَيرُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيءٍ قَدِير»[3].

وَأَخرَجَ التِّرمِذِيُّ، وَابنُ خُزَيمَةَ، وَالبَيهَقِيُّ عَن عَلِيٍّ رضي الله عنه قَالَ: كَانَ أَكثَرُ دُعَاءِ رَسُولِ اللهِ ﷺ عَشِيَّةَ عَرَفَةَ: «اللَّهُمَّ لَكَ الحَمدُ كَالَّذِي نَقُولُ، وَخَيرًا مِمَّا نَقُولُ، اللَّهُمَّ لَكَ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحيَايَ وَمَمَاتِي، وَإِلَيكَ مَآبِي وَلَكَ رَبِّي تُرَاثِي، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِن عَذَابِ القَبرِ وَوَسوَسَةِ الصَّدْرِ، وَشَتَاتِ الأَمرِ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسأَلُكَ مِن خَيرِ مَا تَجِيءُ بِهِ الرِّيَاحُ، وَأَعُوذُ بِكَ مِن شَرِّ مَا تَجِيءُ بِهِ الرِّيَاحُ»[4].

---

(١) الأوسط، الطبراني، (٣/ ٢٢٣). المنتقى، ابن الجارود (ص/ ١٢٦).

(٢) أورده ابن حجر في التلخيص: «أنه ﷺ إذا رأى شيئًا يعجبه قال: لبيك إن العيش عيش الأخرة».

(٣) الموطأ، مالك، كتاب الحج، باب جامع الحج. وروى البيهقي وقال: هذا مرسل وقد روي عن مالك بإسناد ءاخر موصولًا ووصله ضعيف، (٥/ ١١٧).

(٤) سنن الترمذي، الترمذي، أبواب الدعوات عن رسول الله ﷺ.

مَسجِدُ نَمِرَة

مَسجِدُ نَمِرَة: وَنَمِرَةُ جُبَيلٌ غربَ المَسجِدِ وَبِهِ يُسَمَّى مَسجِدُ نَمِرَة، وَنَزَلَ النَّبِيُّ ﷺ يومَ عَرَفَةَ فِي خَيمَةٍ بِنَمِرَةَ، وَبَعدَ زَوَالِ الشَّمسِ انتقَلَ إِلَى بَطنِ وَادِي عُرَنَةَ[1] وَخَطَبَ وَصَلَّى، ثُمَّ انتقَلَ إِلَى مَوقِفِهِ بِالصَّخرَات، وَبَعدَ غُرُوبِ الشَّمسِ تَحَرَّكَ مِنهَا إِلَى مُزدَلِفَةَ. كَمَا فِي رِوَايَةِ جابِرٍ عَن حَجَّةِ النَّبِيِّ ﷺ: فَأَجَازَ رَسُولُ اللهِ ﷺ حَتَّى أَتَى عَرَفَةَ فَوَجَدَ القُبَّةَ[2] قَد ضُرِبَت لَهُ بِنَمِرَةَ فَنَزَلَ بِهَا[3]، حَتَّى إِذَا زَاغَتِ الشَّمسُ أَمَرَ بِالقَصوَاءِ فَرُحِلَت لَهُ فَأَتَى بَطنَ الوَادِي فَخَطَبَ بِالنَّاسِ: . . . ثُمَّ أَذَّن ثُمَّ أَقَامَ فَصَلَّى الظُّهرَ ثُمَّ أَقَامَ فَصَلَّى العَصرَ . . . ، وَاستَقبَلَ القِبلَةَ فَلَم يَزَل وَاقِفًا حَتَّى غَرَبَتِ الشَّمسُ»[4].

يَقَعُ مَسجِدُ نَمِرَةَ إِلَى الغَربِ مِن مَشعَرِ عَرَفَات، وَيَقَعُ جُزءٌ مِنهُ فِي غَربِ المَسجِدِ فِي وَادِي عُرَنَةَ وَهُوَ وَادِي مِن أَودِيَةِ مَكَّةَ المُكَرَّمَة، نَهَى النَّبِيُّ ﷺ عَنِ الوُقُوفِ فِيهِ، حَيثُ قَالَ ﷺ: «**اعلَمُوا أَنَّ عَرَفَةَ كُلَّهَا مَوقِفٌ إِلَّا بَطنَ عُرَنَةَ**»[5]، وَبَطنُ وَادِي عُرَنَةَ لَيسَ مِن عَرَفَةَ لَكِنَّهُ قَرِيبٌ مِنهُ.

---

(١) وبطن عُرنة ليست من أرض عرفات عند الشافعي، وهي منه عند مالك. شرح النووي على مسلم، النووي.

(٢) أي الخيمة المعهودة.

(٣) لأن نمرة ليست من عرفات.

(٤) صحيح مسلم، مسلم، كتاب الحج، باب حجة النبي ﷺ (١٢١٨).

(٥) الموطأ، مالك، كتاب الحج، باب الوقوف بعرفة والمزدلفة (١١٥٢).

مَسجِدُ الصَّخَرَات

مَسجِدُ الصَّخَرات: وَهُوَ بِعَرَفَات أسفَلَ جَبَلِ الرَّحمَةِ عَلَى يَمِينِ الصَّاعِدِ إِلَيهِ، وَهُوَ مُرتَفِعٌ قَلِيلًا عَنِ الأَرضِ يُحِيطُ بِهِ جِدَارٌ قَصِيرٌ، وَفِيهِ صَخَرَاتٌ كِبَارٌ وَقَفَ عِندَهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ عَشِيَّةَ عَرَفَةَ وَهُوَ عَلَى نَاقَتِهِ القَصوَاء[1]، كَمَا فِي حَدِيثِ جَابِر أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ صَلَّى الظُّهرَ وَالعَصرَ فِي مَوضِعِ مَسجِدِ نَمِرَةَ ثُمَّ رَكِبَ حَتَّى أَتَى المَوقِفَ، فَلَم يَزَل وَاقِفًا إِلَى الصَّخَرَاتِ، وَجَعَلَ حَبلَ المُشَاةِ[2] بَينَ يَدَيهِ وَاستَقبَلَ القِبلَةَ، فَلَم يَزَل وَاقِفًا حَتَّى غَرَبَتِ الشَّمسُ وَذَهَبَتِ الصُّفرَةُ قَلِيلًا حَتَّى غَابَ القُرصُ[3]. وَفِي هَذَا المَوقِفِ نَزَلَ عَلَيهِ ﷺ: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًاۚ﴾[4] وَأُحِيطَ هَذَا المَوقِفُ بِجِدَارٍ طُولُهُ مِن جِهَةِ القِبلَةِ ١٣,٣م وَالجِدَارُ الَّذِي عَلَى يَمِينِهِ وَيَسَارِهِ ٨م، أَمَّا الجِدَارُ المُقَابِلُ للقِبلَةِ فَدَائِرِيٌّ غَيرُ مُستَقِيم[5].

---

(١) وفي روايات أخرى: «الجَدعاء».

(٢) قال ابن الأثير: حبل المشاة: أي طريقهم الذي يسلكونه في الرمل. **النهاية في غريب الحديث**، ابن الأثير، (١/ ٣٣٣).

(٣) صحيح مسلم، مسلم، كتاب الحج، باب حجة النبي ﷺ (١٢١٨).

(٤) سورة المائدة، آية (٣).

(٥) Location 21 39.21'15N 50'04E

بَعضُ الأَمَاكِنِ الأَثَرِيَّةِ فِي مَكَّةَ المُكَرَّمَةِ

المَولِدُ النَّبَوِيُّ الشَّرِيفُ: هِيَ الدَّارُ الَّتِي وُلِدَ فِيهَا النَّبِيُّ ﷺ وَهِيَ مَعرُوفَةٌ فِي قِسمِ شِعْبِ أَبِي طَالِبٍ، وَهُوَ الشِّعْبُ الَّذِي كَانَ يَسكُنُهُ بَنُو هَاشِمٍ، وَاليَومَ بُنِيَت مَكتَبَةً عَامَّةً، بَنَاهَا الشَّيخُ عَبَّاس يُوسُف قَطَّان سَنَةَ ١٣٧٠هـ ـ ١٩٥٠ر مِن مَالِهِ الخَاصِ[١]، وَكَانَ أَمِينًا للعَاصِمَةِ المُقَدَّسَةِ فِي عَهْدِ المَلِكِ عَبْدِ العَزِيز.

وَهِيَ فِي الجِهَةِ الشَّرقِيَّةِ مِنَ السَّاحَةِ الشَّرقِيَّةِ للمَسجِدِ الحَرَام وَتَعلُوهَا لَوحَة «مَكتَبَةُ مَكَّةَ المُكَرَّمَةِ»[٢].

غَارُ حِرَاءٍ: يَقَعُ شَمَالَ شَرقي المَسجِدِ الحَرَامِ فِي قِمَّةِ جَبَلِ النُّورِ[٣]. ارتِفَاعُهُ نَحوُ ٦٢١م مِن سَطحِ البَحرِ وَنَحوُ ٢٨١ م مِن سَفحِ الجَبَلِ. وَيَبعُدُ عَنِ المَسجِدِ الحَرَامِ مَسَافَةَ ٤كم أو أكثر، وَهُوَ صَعبُ المُرتَقَى وَالصُّعُودُ إِلَيهِ يَستَغرِقُ نَحو سَاعَة، وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَتَعَبَّدُ فِيهِ قَبلَ البِعثَةِ، وَهُوَ المَكَانُ الَّذِي نَزَلَ الوَحيُ فِيهِ لأَوَّلِ مَرَّةٍ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، وَهُوَ عِبَارَةٌ

---

(١) تروي كتب الآثار والتاريخ أن الموضع الذي ولد فيه سيد الأولين والآخرين وصفوة الأنبياء والمرسلين ﷺ يقع في الدار المعروفة بدار ابن يوسف وهو محمد بن يوسف الثقفي أخو الحجاج، وكانت الدار سابقا عند عقيل بن أبي طالب ٠ وكان قد أخذها لما هاجر الرسول ﷺ إلى المدينة المنورة ولم تزل الدار بيد عقيل حتى باعها ورثته من محمد ابن يوسف الثقفي الذي ضمها إلى داره. وبقيت كذلك إلى أن حجت الخيزران أم الخليفة العباسي هارون الرشيد سنة ١٧١هـ فجعلت دار الرسول ﷺ مسجدا يصلى فيه، وفصلته عن دار ابن يوسف وأشرعته في الزقاق الموجود أصلا في الدار، ويسمى بزقاق المولد.

(٢) (Location 21. 39 N25'29.) E47'49

(٣) (Location 21. 39 N27'22.) E41'51

عَن فَجوَةٍ بَابُهَا نَحوَ الشَّمَال، يَتَوَصَّلُ إِلَيهِ بَعدَ المُرُورِ مِن مَدخَلٍ بَينَ الحَجَرَينِ يَتَّسِعُ نَحوُ ٦٠سم وَطُولُ الغَارِ نَحو٣م، وَهُوَ الغَارُ الَّذِي جَاءَ جِبرِيلُ عليه السلام بِأَوَّلِ وَحيٍ: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١﴾[1].

جَبَلُ غَارِ حِرَاءِ المَشهُورُ بِاسمِ النُّورِ، وَحُقَّ لَهُ أَن يُسَمَّى كَذَلِكَ، وَكَيفَ لَا؟ وَعَلَيهِ مَهبِطُ الوَحيِ الأَوَّلِ إِلَى خَيرِ خَلقِ اللهِ مُحَمَّدٍ ﷺ، فَجَاءَت أُولَى ءَايَاتِ الفُرقَانِ وَفِيهَا كُلُّ مَا فِيهَا مِن كَلِمَاتٍ مِن نُورِ الحَقِّ إِلَى النَّاسِ، قَلِيلَةٌ فِي عَدَدِهَا، كَثِيرَةٌ فِي مَعَانِيهَا وَنُورِهَا، عَلَى هَذَا الجَبَلِ كَانَت لَحظَةٌ مِن أَجَلِّ وَأَعظَمِ لَحَظَاتِ التَّارِيخِ، لَحظَةُ نُزُولِ الوَحيِ لأَوَّلِ مَرَّةٍ بِـ «إِقْرَأْ» عَلَى خَيرِ خَلقِ اللهِ كُلِّهِم.

قَالَت عَائِشَةُ رضي الله عنها: كَانَ أَوَّلُ مَا بُدِئَ بِهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنَ الوَحيِ الرُّؤيَا الصَّادِقَةُ فِي النَّومِ فَكَانَ لَا يَرَى رُؤيَا إِلَّا جَاءَت مِثلَ فَلَقِ الصُّبحِ[2] ثُمَّ حُبِّبَ إِلَيهِ الخَلَاءُ[3] فَكَانَ يَخلُو بِغَارِ حِرَاءٍ فَيَتَحَنَّثُ فِيهِ ـ وَالتَّحَنُّثُ التَّعَبُّد ـ اللَّيَالِيَ ذَوَاتِ العَدَدِ[4] قَبلَ أَن يَرجِعَ إِلَى أَهلِهِ وَيَتَزَوَّدَ لِذَلِكَ، ثُمَّ يَرجِعُ إِلَى خَدِيجَةَ فَيَتَزَوَّدُ لِمِثلِهَا[5][6].

وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «جَاوَرتُ بِحِرَاءٍ فَلَمَّا قَضَيتُ جِوَارِي هَبَطتُ فَنُودِيتُ فَنَظَرتُ عَن يَمِينِي فَلَم أَرَ شَيئًا، وَنَظَرتُ عَن شِمَالِي فَلَم أَرَ

---

(١) سورة العلق، آية (١).

(٢) أي واضحةً بينةً كوضوحِ الصبح في ضيائِه.

(٣) أي الاختلاء والانفراد عن الناس.

(٤) أي الكثيرة.

(٥) أي بمثل الزّاد الأول للإقامة مثل الإقامة السابقة في الغار مدّةً طويلة.

(٦) صحيح البخاري، البخاري، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ ، (٣).

شَيْئًا، وَنَظَرتُ أَمَامِي فَلَم أَرَ شَيئًا، وَنَظرتُ خَلفِي، فَلَم أَرَ شَيئًا، فَرَفَعتُ رَأْسِي فَرَأَيْتُ شَيْئًا، فَأَتَيتُ خَدِيجَةَ فَقُلْتُ: «دَثِّرُونِي[1] وَصُبُّوا عَلَيَّ مَاءً بَارِدًا، قَالَ: «فَدَثَّرُونِي وَصَبُّوا عَلَيَّ مَاءً بَارِدًا، قَالَ فَنَزَلَت: ﴿يَاأَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ①﴾[2][3]. وَفِي رِوَايَةٍ: «فَإِذَا هُوَ - جِبرِيلُ - جَالِسٌ عَلَى عَرْشٍ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ»[4].

وَعَن أَبِي هُرَيرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ عَلَى جَبَلِ حِرَاءٍ فَتَحَرَّكَ، فَقَالَ رَسُولُ ﷺ: «اسْكُنْ حِرَاءُ فَمَا عَلَيْكَ إِلَّا نَبِيٌّ أَوْ صِدِّيقٌ أَو شَهِيدٌ»، وَعَلَيهِ النَّبِيُّ ﷺ وَأَبُو بَكرٍ وَعُمَرُ وَعُثمَانُ وَعَلِيٌّ وَطَلحَةُ وَالزُّبَيرُ وَسَعدُ بنُ أَبِي وَقَّاصٍ[5].

جَبَلُ ثَوْر غَارُ ثَوْر: وَهُوَ فِي الجِهَةِ الجَنُوبِيَّةِ مِنَ المَسجِدِ الحَرَامِ عَلَى بُعدِ نَحوِ ٤ كم أو أكثر، وَارتِفَاعُهُ نَحوُ ٧٤٨م مِن سَطحِ البَحرِ، وَنَحوُ ٤٥٨م مِن سَفحِ الجَبَلِ، وَهَذَا الغَارُ صَخرَةٌ مُجَوَّفَةٌ أَشبَهُ بِسَفِينَةٍ صَغِيرَةٍ ظَهرُهَا إِلَى أَعلَى، وَأَقصَى ارتِفَاعُهُ ١,٢٥م، وَعَرضُهُ ٣,٥م * ٣,٥م، وَلَهُ فَتحَتَانِ فِي نَاحِيَةِ الغَربِ، وَهِيَ الَّتِي دَخَلَ مِنهَا النَّبِيُّ ﷺ، وَكَانَ يَدخُلُ مِنهَا الشَّخصُ زَاحِفًا عَلَى بَطنِهِ، وَوُسِّعَت فِي بِدَايَةِ التَّاسِعِ الهِجرِيِّ، وَنِهَايَةِ القَرنِ الثَّالِثِ عَشَر الهِجرِيّ. وَأَقصَى ارتِفَاعهَا مِترٌ وَاحِد مَعَ الدَّرَجِ المَنْحُوتِ بِأَسْفَلِها، وَفَتحَةٌ إِلَى الشَّرقِ، وَهِيَ أَوسَعُ مِنَ الأُولَى، وَيُقَالُ: إِنَّهَا مُحْدَثَة لِيَسهُلَ عَلَى النَّاسِ الدُّخُولُ إِلَى الغَارِ وَالخُرُوجُ مِنهُ،

(١) أي غطوني بالثياب ولُفّوني بها.

(٢) سورة المدثر، آية (١).

(٣) صحيح البخاري، البخاري، كتاب التفسير، باب سورة المدثر (٤٩٢٢).

(٤) صحيح البخاري، البخاري، كتاب الإيمان، باب بدء الوحي (١٦١).

(٥) صحيح مسلم، امسلم، فضائل الصحابة، من فضائل طلحة والزبير (٢٤١٧).

وَبَينَ الفَتحَتَينِ ٣,٥٠م، وَهَذَا الغَارُ دُونَ القِمَّةِ وصَعْبُ المُرْتَقى وَيَستَغرِقُ الصُّعُودُ إِلَيهِ نَحوُ سَاعَة وَنِصف[١][٢].

وَلَمَّا وَصَلَ النَّبِيُّ ﷺ وَأَبُو بَكرٍ إِلَى هَذَا الغَارِ حِينَ قَصَدَا الهِجرَةَ إِلَى المَدِينَةِ دَخَلَ أَبُو بَكرٍ قَبلَهُ فَلَمَسَ الغَارَ لِيَنظُرَ أَفِيهِ سَبُعٌ أو حَيَّةٌ يَقِي رَسُولَ اللهِ ﷺ بِنَفسِهِ، ثُمَّ دَخَلَ النَّبِيُّ ﷺ، وَكَانَ ابنُ أَبِي بَكرٍ يَبِيتُ عِندَهُمَا، وَيَرجعُ بِسَحَرٍ فَيُصبح مَعَ قُرَيشٍ بِمَكَّةَ، وَيَأتِيهِمَا بِخَبَرِهِم حِينَ يَختَلِطُ الظَّلَامُ، وَكَانَ عَامِرُ بنُ فُهَيْرَةَ مَولَى أَبِي بَكر يَتَّبِعُ بِغَنَمِهِ أَثَرَ عَبدِ اللهِ بَعدَ ذَهَابِهِ لِيُعَفِّي عَلَيهِ[٣]. وَقَد وَرَدَ ذِكْرُ هَذَا الغَارِ فِي قَولِهِ تَعَالَى: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا﴾[٤]، وَعَن أَبِي بَكرٍ قَالَ: «كُنتُ مَعَ النَّبِيِّ فِي الغَارِ، فَرَأَيتُ ءَاثَارَ المُشرِكِينَ، قُلتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، لَو أَنَّ أَحَدَهُم رَفَعَ قَدَمَهُ رَءَانا، قَالَ: «مَا ظَنُّكَ بِاثْنَيْنِ اللهُ ثَالِثُهُمَا»[٥][٦]. أَي اللهُ حَافِظُهُمَا.

وَبَعدَ ثَلَاثِ لَيَالٍ لَمَّا خَمَدَت عَنهُمَا نَارُ الطَّلَبِ جَاءَهُمَا الدَّلِيلُ عَبدُ اللهِ ابنُ أُرَيْقِط[٧] بِالرَّاحِلَتَينِ، فَارتَحَلَا، وَأَردَفَ أَبُو بَكرٍ مَولَاهُ عَامِر بن

---

(١) التاريخ القويم، محمد طاهر الكردي. مرآة الحرمين الشريفين، (١/ ٦٢).

(٢) 50'59E.22'37N 39.Location 21

(٣) صحيح البخاري، البخاري، مناقب الأنصار، (٣٩٠٥). السيرة، ابن هشام (٢/ ٤٨٦).

(٤) سورة التوبة، آية (٤٠).

(٥) قال القسطلاني: «ثالثهما بالنصر والمعونة». شرح البخاري، القسطلاني، (٧/ ١٤٩).

(٦) صحيح البخاري، البخاري، كتاب التفسير، باب سورة براءة، (٤٦٦٣).

(٧) قال الحافظ ابن حجر: دليل النبي ﷺ وأبي بكر لما هاجرا إلى المدينة، ثبت ذكره في=

فُهَيرَةَ، وَوَاصَلُوا سَيرَهُم إِلَى المَدِينَةِ المُنَوَّرَة.

جبل أبي قُبَيْس: بِضَمّ القَافِ هُوَ الجَبَلُ المُشرِف عَلَى الصَّفَا وَالمَسجِدِ الحَرَام وَارتِفَاعُهُ نَحوُ ٤٢٠م مِن سَطحِ البَحرِ وَنَحوُ ١٢٠م مِن سَفحِ الجَبَلِ. وَسُمِّيَ بِذَلِكَ لأَنَّ أَوَّلَ مَن بَنَى عَلَيهِ كَانَ يُقَالُ لَهُ: أَبُو قُبَيس. وَقِيلَ غَيرَ ذَلِكَ. وَكَانَ يُسَمَّى فِي الجَاهِلِيَّةِ الأَمِين أَيضًا لأَنَّ الحَجَرَ الأَسوَدَ كَانَ مُستَودَعًا فِيهِ، كَمَا رُوِيَ عَن عَبدِ اللهِ بنِ عَمرِو رضي الله عنه قَالَ: نَزَلَ الرُّكنُ الأَسوَد مِنَ السَّمَاءِ فَوُضِعَ عَلَى أَبِي قُبَيسٍ كَأَنَّهُ مَهَاةٌ بَيضَاء فَمَكَثَ أَربَعِينَ سَنَةً ثُمَّ وُضِعَ عَلَى قَوَاعِدِ إِبرَاهِيم[1]، وَهُوَ أَحَدُ أَخْشَبَي مَكَّةَ الشَّرقِيّ، وَالأَخشَبُ هُوَ الجَبَلُ الغَلِيظُ، وَالأَخشَبُ الآخَرُ هُوَ جَبَلُ قُعَيْقِعَان، وَهُمَا الأَخشَبَانِ اللَّذَانِ قَالَ عَنهُمَا مَلَكُ الجِبَالِ: «يَا مُحَمَّدُ ﷺ إِن شِئتَ أَن أُطبِق عَلَيهِمُ[2] الأَخشَبَين، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ أَصْلَابِهِم مَنْ يَعْبُدُ اللهَ وَحْدَهُ...**»[3].

كَمَا أَنَّهُ يُقَالُ إِنَّ مُعجِزَةَ انشِقَاقِ القَمَرِ الَّتِي حَصَلَت فِي السَّنَةِ التَّاسِعَةِ مِنَ البِعثَةِ حَصَلَت فَوقَ الجَبَلِ حَيثُ كَانَ قِسْمٌ مِنَ القَمَرِ فَوقَ جَبَلِ أَبِي

= الصحيح، وأنه كان على دين قومه. وسيأتي له ذكر في ترجمة عبد الله بن أبي بكر الصديق قريبا يتعلق بالهجرة أيضا، ولم أر من ذكره في الصحابة إلا الذهبي في التجريد، وقد جزم عبد الغني المقدسي في السيرة له بأنه لم يعرف له إسلاما، وتبعه النووي في تهذيب الأسماء. الإصابة في تمييز الصحابة (٤/ ٥).

(١) مجمع الزوائد، الهيثمي، قال: رواه الطبراني في الكبير ورجاله ثقات (٣/ ٢٤٣).

(٢) أي كفار مكة.

(٣) صحيح البخاري، البخاري، كتاب بدء الخلق، (٣٢٣١).

قُبيسٍ وَالنِّصف الآخر فوقَ جَبَلِ قُعَيقِعَان.

وَكَانَ يُوجَدُ عَلَى قِمَّةِ جَبَلِ أَبِي قُبَيسٍ مَسجِدٌ يُقَالُ لَهُ مَسجِدُ بِلَالِ بنِ رَبَاحٍ حَيثُ كَانَ يُقِيمُ سَيِّدُنَا بِلَال عَلَى قِمَّةِ الجَبَلِ، وَكَذَلِكَ يُطلَقُ عَلَيهِ مَسجِدُ انشِقَاقِ القَمَرِ.

وَكَذَلِكَ يُرَدِّدُ أهلُ مَكَّةَ أَنَّ عَلَى قِمَّةِ الجَبَلِ كَانَ يُوجَدُ مَسجِدٌ يُقَالُ لَهُ مَسجِدُ إِبرَاهِيمَ الخَلِيل، حَيثُ وَقَفَ سَيِّدُنَا إِبرَاهِيمُ عليه السلام وَأَذَّنَ فِي النَّاسِ بِالحَجِّ كَمَا أَمَرَهُ اللهُ.

وَأَخرَجَ أَبو نُعَيم فِي الدَّلائِلِ[1] عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ فِي الآيَةِ: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ۝١﴾[2] أنه قال: اجْتَمَعَ الْمُشْرِكُونَ عَلى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنهُمُ الوَلِيدُ بنُ المُغِيرَةِ، وأبُو جَهْلِ بنُ هِشام والعاصُ ابنُ وائِلٍ، والعاصُ بنُ هِشامٍ، والأسْوَدُ بْنُ عَبْدِ يَغُوثَ، والأسْوَدُ بْنُ المُطَّلِبِ، وزَمْعَةُ بْنُ الأسْوَدِ، والنَّضْرُ بْنُ الحَارِثِ، فَقالُوا لِلنَّبِيِّ ﷺ: إنْ كُنْتَ صادِقًا فَشُقَّ لَنا القَمَرَ فِرْقَتَيْنِ؛ نِصْفًا على أبِي قُبَيْسٍ، ونِصْفًا عَلى قُعَيْقِعانَ، فَقالَ لَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ: «إنْ فَعَلْتُ تُؤْمِنُوا»؟ قالُوا: نَعَمْ، قالَ: وكانَتْ لَيْلَةَ بَدْرٍ، فَسَألَ رَسُولُ اللهِ ﷺ رَبَّهُ أنْ يُعْطِيَهُ ما سَألُوا، فَأمْسى القَمَرُ قَدْ مُثِّلَ نِصْفًا عَلى أبِي قُبَيْسٍ، ونِصْفًا على قُعَيْقِعانَ، ورَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُنادِي: «يا أبا سَلَمَةَ بنَ عَبْدِ الأسَدِ، والأرْقَمَ بنَ أبِي الأرْقَمِ، اشْهَدُوا».

(١) دلائل النبوة، أبو نعيم، (١/ ٢٨٠).

(٢) سورة القمر، آية (١).

وَعَنِ ابنِ مَسعُودٍ[1] قَالَ: رَأيتُ القَمَرَ مُنشَقًّا شِقَّينِ بِمَكَّةَ قَبلَ مَخرَجِ النَّبِيِّ ﷺ شِقَّةٌ عَلَى أَبِي قُبَيسٍ وَشِقَّةٌ عَلَى السُّوَيدَاء[2]، فَقَالُوا سُحِرَ القَمَرُ فَأَنزَلَ اللهُ تَعَالَى: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ۝١﴾[3].

وَأُقِيمَ اليَوم عَلَى جَبَلِ أَبِي قُبَيس مَجمَع القُصُورِ المَلَكِية[4].

جَبَلُ قُعَيْقِعَان: بِضَمِّ القَافِ وَفَتحِ العَينِ وَهُوَ الجَبَلُ الضَّخمُ المُشرِفُ عَلَى المَسجِدِ الحَرَامِ مِنَ الشَّمَالِ وَالشَّمَالِ الغَربِيِّ وَالمُمتَدِّ مِن حَارَةِ البَابِ إِلَى الشَّامِيَّةِ، وَهُوَ الجَبَلُ الثَّانِي مِن أَخْشَبَي مَكَّةَ، الوَارِدُ ذِكْرُهُ فِي قَولِ المَلَكِ: يَا مُحَمَّدُ إِن شِئتَ أُطبِق عَلَيهِمُ الأَخشَبَينِ لَفَعَلتُ...، وَيُسَمَّى اليَوم أَسمَاءَ عِدَّة حَسَبَ إِطلَالِهِ عَلَى مُختَلَفِ الأَحيَاءِ وَالجِهَاتِ. فَطَرفُه الشَّمَالِيّ الغَربِيّ يُسَمَّى جَبَلُ العبَّادِي وَالشَّرقِيّ المُشرِف عَلَى الحَجُونِ وَمَقبَرةِ المَعلَاةِ يُسَمَّى جَبَلُ السُّلَيمَانِيَّة، وَمَا أَشْرَف عَلَى دَحلَةَ يُسمَّى جَبَل السُّودَان، وَبَينَ القَرارَةَ وَالفَلَق يُسَمَّى جَبَل القَرارَة، وَأَمَّا الجُزءُ الجَنُوبِيّ فَيُسَمَّى جَبَل هِندِي لِسُكْنَى الهُنُودِ بِجِوَارِهِ، وَارتِفَاعُهُ نَحو ٤١٠م عَن سَطحِ البَحرِ وَنَحو ١١٠م مِن سَفحِ الجَبَلِ.

دَارُ الأَرقَم: مَنسُوبٌ إِلَى الأَرقَمِ بنِ أَبِي الأَرقَم رضي الله عنه صَاحِب رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَكَانَت مَركزًا للدَّعوَةِ الإِسلَامِيَّةِ سِرًّا فِي صَدرِ

---

(١) دلائل النبوة، البيهقي، (٢/ ٢٦٥).

(٢) قال الحافظ ابن حجر: «ناحية خارج مكة عندها جبل» اهـ. فتح الباري، ابن حجر، (٧/ ١٨٤).

(٣) سورة القمر، آية (١).

(٤) يقال في النسبة إلى مَلِكٍ «مَلَكِيّ» بفتح اللام. قال بعض العلماء: يُقال طعامٌ ملكي وعرشٌ ملَكيّ، عند النسبة تُفتحُ اللام.

بِعْثَتِهِ[1]، وَكَانَ المُسلِمُونَ يَجتَمِعُونَ بِهَا وَيُصَلُّونَ سِرًّا حَتَّى تَكَامَلُوا أَربَعِينَ شَخصًا بِإِسلَامِ عُمَرَ بنِ الخَطَّابِ فَجَهَرُوا بِالإِسلَامِ وَالصَّلَاةِ.

وَمِن مَشَاهِيرِ الصَّحَابَةِ الَّذِينَ كَانُوا يَجْتَمِعُونَ هُنَاك:

أَبُو بَكرٍ الصِّدِّيقُ، عُثمَانُ بنُ عَفَّان، عَلِيُّ بنُ أَبِي طَالِبٍ، أَبُو عُبَيدَةَ عَامِرُ بنُ الجَرَّاح، بِلَالُ بنُ رَبَاح، زَيدُ بنُ حَارِثَةَ، أَبُو حُذَيفَةَ بنُ عُتبَةَ، سَعدُ بنُ أَبِي وَقَّاص، مُصعَبُ بنُ عُمَير، جَعفَرُ بنُ أَبِي طَالِب، سَعِيدُ بنُ زَيدٍ، الزُّبَيرُ بنُ العَوَام، أَبُو ذَرٍّ الغِفَارِيُّ، عَبدُ الرَّحمَنِ بنُ عَوفٍ، صُهَيبٌ الرُّومِيُّ، طَلحَةُ بنُ عُبَيدِ الله، عَبدُ اللهِ بنُ مَسعُودٍ، عَمَّارُ بنُ يَاسِر، خَبَّابُ بنُ الأَرَتِّ[2].

وَفِي سَنَةِ ١٧١هـ/ ٧٨٧م بَنَت الخَيزَرَانُ جَارِيَةَ المَهدِيِّ العَبَّاسِيِّ مَسجِدًا فِي مَوضِعِ هَذِهِ الدَّارِ الَّتِي كَانَت عَلَى بُعْدِ ٣٦م مِنَ الصَّفَا شَرقًا خَارِجَ المَسعَى، وَكَانَت مَوضِعَ اهتِمَام وَعِنَايَةِ خُلَفَاءِ المُسلِمِينَ تَعمِيرًا وَتَرمِيمًا، وَفِي سَنَةِ ١٣٧٥هـ/ ١٩٥٥م هُدِمَت لِصَالِحِ التَّوسِعَةِ فِي هَذِهِ الجِهَةِ وَلِتَبقَى ذِكرَى، فَإِنَّ أَوَّلَ بَابٍ فِي المَسعَى بِجِوَارِ الصَّفَا سُمِّيَ

---

(١) معنى قول «الرسول دعا أول الأمر سرًّا» أي فرادى، ما كان يذهب إلى مواسم اجتماع الناس، كان بدأ بخديجة وأبي بكر، ثم صار أبو بكر يُكلّم الناس فيُسلمون بسببه، وإنذار النبيّ ﷺ لعشيرتِهِ الأقربين يدخل في السرّ هذا، لأنه لو بدأ بالدعوة بين الناس المجتمعين كان الكفار يؤذونه ولا يحصل المراد، هكذا قال بعض العلماء.

(٢) مكتوبٌ في كتاب يُسَمّى «رجال حول الرسول» (ص/٢٧٦): إن بعض الصحابة وهو خُبيب ابنُ عَدِيّ كان عندما يُعَذَّب يجدُ «يد الله» عليه ويكادُ يجد بَرْدَ أنامله في صدره، والعياذ بالله من هذا الافتراء على هذا الصحابي. ثم القاعدة أن الكلام الذي يُنقل عن الصحابي لإثبات صفة لله، لا يُحتجّ به، إنما الحجة القرءان والحديث الصحيح وإجماع الأمة.

بِبَابِ دَارِ الأَرقَم لِقُربِهِ مِن مَوضِعِ هَذَا الدَّار. وَلَعَلَّ مَوضِعُهَا الآنَ مِمَّا يَلِي السَّلَالِمَ المُتَحَرِّكَة فِي هَذِهِ الجِهَة(١)(٢).

دَارُ النَّدوَةِ: بَنَاهَا قُصَي بنُ كِلَابِ حَوَالِي ٢٠٠ ق هـ، وَسُمِّيَت بِذَلِكَ لِتَشَاوُرِهِم فِيهَا وَعَقدِ الألوِيَة لِحُرُوبِهِم وَغَيرِ ذَلِكَ مِن مُهِمَّاتِ الأُمُورِ، قَالَ الرَّازِيُّ: النَّدِيُّ مَجلِسُ القَوم وَمُتَحَدِّثُهُم، وَكَذَا النَّدوَةُ والنَّادِي وَالمُنتَدَى، وَمِنهُ سُمِّيَت دَارُ النَّدوَةِ الَّتِي بَنَاهَا قُصَيّ بِمَكَّةَ لأَنَّهُم كَانُوا يَندُونَ فِيهَا أَي يَجتَمِعُونَ للمُشَاوَرَةِ، وَقَولُهُ تَعَالَى: ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ ﴿١٧﴾﴾(٣) أَي عَشِيرَتَهُ وَإِنَّمَا هُم أَهلُ النَّادِي، وَالنَّادِي مَكَانُهُ وَمَجلِسُهُ فَسَمَّاهُ بِهِ(٤).

وَهَذِهِ هِيَ الدَّارُ الَّتِي اجتَمَعَت فِيهَا نُوَّابُ قُرَيشٍ لِيَتَدَارَسُوا خُطَّةً حَاسِمَةً للقَضَاءِ عَلَى الدَّعوَةِ الإِسلَامِيَّةِ، وَذَلِكَ لَمَّا خَرَجَ بَعض الصَّحَابَةِ إِلَى المَدِينَةِ وخَافَت قُرَيشٌ خُرُوجَ رَسُولِ اللهِ ﷺ مِن مَكَّةَ أَيضًا فَاتَّفَقُوا عَلَى قَتلِهِ. وَشَاءَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ أَن يَخرُجَ مِن بَينِهِم مُهَاجِرًا وَأَن يُظهِرَ دِينَهُ وَلَو كَرِهَ الكَافِرُون.

وَقَد نَزَلَ بِهَا عُمَرُ بنُ الخَطَّابِ رضي الله عنه ذَاتَ مَرَّةٍ أَثنَاءَ خِلَافَتِهِ، وَكَانَ يَنزِلُ بِهَا الأُمَرَاءُ وَالخُلَفَاءُ فِي صَدرِ الإِسلَامِ وَأَدخَلَهَا المُعتَضِد العَبَّاسِيّ فِي المَسجِدِ أَثنَاءَ تَوسِعَتِهِ سَنَةَ ٢٨٤هـ/ ٨٩٧م، بِمِسَاحَةِ ٣٧ * ٣٦م= ١٣٣٢متر مُرَبَّع.

---

(١) صحيح البخاري، البخاري، التفسير، (٤٩٥٣). أخبار مكة، الفاكهي، (٤/ ١٢ . ١٣). التاريخ القويم، محمد طاهر الكردي، (٢/ ٨٢).

(٢) Location 21 .39 25'19N .49'39E

(٣) سورة العلق، آية (١٧).

(٤) مختار الصحاح، الرازي، مادة ن د ا.

وَمَوقِعُهَا الآن ضِمنَ الأروقَةِ وَالمَطَافِ فِي الجِهَةِ الشَّمَالِيَّةِ الغَربِيَّةِ وَمَا زَالَ هُنَاكَ بَابٌ فِي هَذِهِ الجِهَةِ يَحمِلُ اسمَ بَابِ النَّدوَةِ[١]، عَلَى يَمِينِ الدَّاخِلِ مِن بَابِ الفَتْحِ.

دَارُ العَبَّاسِ بنِ عَبدِ المُطَّلِبِ: وَهِيَ بِالمَسعَى عِندَ بَابِ المَسعَى المُسَمَّى بَاب العَبَّاسِ وَفِي جِدَارِهَا أَحَدُ المِيلَينِ الأخضَرَينِ[٢].

دَارُ السَّيِّدَةِ خَدِيجَةَ رضي الله عنها زَوجِ النَّبِيِّ: كَانَت خَلفَ دَارِ أَبِي سُفيَانَ[٣]، وَفِي هَذِهِ الدَّار بَنَى النَّبِيُّ بِأُمِّ المُؤمِنِينَ خَدِيجَةَ رضي الله عنها، وَفِيهَا وَلَدَت خَدِيجَةُ بَنَاتَهُ ﷺ وَفِيهَا تُوفِّيَت خَدِيجَة رضي الله عنها، وَنَزَلَ فِيهَا الوَحيُ مِرَارًا، وَلَم يَزَل النَّبِيُّ ﷺ سَاكِنًا بِهَا إِلَى أَن حَاصَرَتهَا قُرَيشُ بَعدَ أَن اتَّفَقُوا عَلَى قَتلِهِ ﷺ فَجَاءَهُ الوَحيُ بِذَلِكَ وَظَهَرَت مُعجِزَةُ خُرُوجِهِ مِن بَينِهِم بَعدَ أَن ذَرَّ التُّرَابَ عَلَى رُؤُوسِهِم فَلَا يَرَونَهُ وَهُوَ يَتلُو: ﴿وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ⁽٩⁾﴾[٤]، وَنَامَ عَلِيٌّ رضي الله عنهم عَلَى فِرَاشِهِ ﷺ لَمَّا خَرَجَ مُهَاجِرًا إِلَى المَدِينَةِ بِصُحبَةِ أَبِي بَكرٍ رضي الله عنه، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ⁽٣٠⁾﴾[٥].

---

(١) السيرة، ابن هشام، (١/ ٤٨٠). أخبار مكة، الفاكهي، (٣/ ٣١١). أخبار مكة، الأزرقي، (٢/ ١٠٩)، وموضعه بين باب الفتح وباب الزيادة.

(٢) Location 21 .39 N21'25. E38'49

(٣) Location 21 .39 N29'25. E39'49

(٤) سورة يس، آية (٩).

(٥) سورة الأنفال، آية (٣٠).

ثُمَّ لمَّا اشتَرَاها مُعَاوِيَةُ اتَّخذَهَا مَسجِدًا وَبنَاهَا بِنَاءً جَدِيدًا وَفَتَحَ فِيهِ بَابًا مِن دَارِ أَبِي سُفيَان. وَقَد طَرَأَت عَلَيهَا تَعدِيلَاتٌ عَلَى مَرِّ التَّارِيخِ ءَاخِرُهَا بِنَاءُ مَدرَسَةٍ للبَنَاتِ عَلَى نَفَقَةِ السَّيِّدِ عَبَّاس قَطَّان سَنَةَ ١٣٦٩هـ ثُمَّ أُزِيلَت لِصَالِحِ التَّوسِعَةِ فِي ١٣٨٥هـ[(١)].

يَقَعُ المَنزِلُ حَالِيًّا قُربَ بَابِ المَروَةِ فِي مَوقِعٍ مُثَلَّث أُقِيم فِيهِ مُصَلًّى للنِّسَاءِ وَلَكِن أُزِيلَ مُنذُ سَنَواتٍ. وَسَابِقًا كَانَ يُعرَفُ مَوقِعُ بَيتِهَا رضي الله عنها بِزُقَاقِ الحَجَرِ ثُمَّ أُطلِقَ عَلَيهِ زُقَاقُ العَطَّارِين عَلَى مَا ذَكَرَهُ الأَزرَقِيُّ.

مِن بَيتِ السَّيِّدَةِ خَدِيجَةَ رضي الله عنها بَدَأَت رِحلَةُ هِجرَةِ النَّبِيِّ ﷺ إِلَى المَدِينَةِ المُنَوَّرَةِ، مُتَّجِهًا إِلَى جَبَلِ أَبِي قُبَيس مَنطَقَة القُصُورِ المَلَكِيَّةِ اليَوم وَصَعد مِنهُ بِاتِّجَاهِ بَيتِ أَبِي بَكرٍ الصِّدِّيقِ الَّذِي كَانَ يَقَعُ ضِمنَ مَكَانِ مَبنَى بُرجِ شَركَة مَكَّةَ للإِنشَاءِ وَالتَّعمِير الآن مُقَابِلَ بَابِ المَلِكِ فَهد بنِ عَبدِ العَزِيزِ[(٢)] وَمِنهُ انْعَطَفَ النَّبِيُّ ﷺ وَصَاحِبُهُ جَنُوبًا بِاتِّجَاهِ جَبَلِ ثَورٍ وَمِنهُ إِلَى مَسَارِ الهِجرَةِ النَّبَوِيَّةِ.

يُعتَبَرُ مَوقِعُ بَيتِ السَّيِّدَةِ خَدِيجَةَ رضي الله عنها هُوَ نِهَايَةُ مَسَارِ النَّبِيِّ ﷺ فِي فَتحِ مَكَّةَ قُبَيلَ دُخُولِهِ إِلَى المَسجِدِ الحَرَام.

بَيتُ أَبِي سُفيَان: الَّذِي قَالَ عَنهُ النَّبِيُّ ﷺ: «مَن دَخَلَ دَارَ أَبِي سُفيَانَ فَهُوَ ءَامِنٌ»[(٣)].

---

(١) أخبار مكة، الأزرقي، (٢/١٩٢). أخبار مكة، الفاكهي، (٤/٧-٨). السيرة، ابن هشام، (١/٤٨٢).

(٢) وموضعه الآن كما يقال على يسار الداخل لفندق أبراج مكة ويوجد على الموقع قبة خضراء.

(٣) سنن أبي داود، أبي داود، كتاب الخراج والإمارة والفيء، باب ما جاء في خبر مكة (٣٠٢١).

يَقَعُ المَنزِلُ قُربَ مَنزِلِ السَّيِّدَةِ خَدِيجَةَ رضي الله عنها .

زُقَاقُ الحَجَر: حَيثُ الحَجَرُ الَّذِي كَانَ يُسَلِّمُ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ كَمَا جَاءَ فِي الصَّحِيحَينِ.

خَلْفَ مُصَلَّى النِّسَاء بَيتُ السَّيِّدَةِ خَدِيجَةَ رضي الله عنها حَيثُ كَانَ يُوجَدُ طَرِيقٌ فَاصِلٌ بَينَهُ وَبَينَ مَبنَى الخَدَمَات العَامَّةِ المَيضَآت كَمَا عُرِفَت، يُسَمَّى الآنَ شارع القُشَاشِيَّة، وَهُوَ مَكَانُ زُقَاقِ الحَجَرِ الَّذِي كَانَ يُسَلِّمُ عَلَى النَّبِيِّ [1].

مَسجِدُ البَيْعَةِ: وَيُطلَقُ عَلَيهِ مَسجِدُ العَقَبَة، وَهُوَ مَسجِدٌ بَنَاهُ أَبُو جَعفَر المَنصُور سَنَةَ ١٤٤ هـ، يَقَعُ المَسجِدُ أَسفَلَ جَبَلِ ثَبِير التَّارِيخِيِّ المُطِلِّ عَلَى سَاحَاتِ الجَمَرَاتِ وَيَبعُدُ عَنِ الجَمرَةِ الكُبرَى قَرِيبَ ١كم تَقرِيبًا، فَفِي هَذَا المَكَانِ عُقِدَت أَوَّلُ بَيْعَة فِي الإِسلَامِ وَهِيَ بَيعَةُ العَقَبَةِ الأُولَى الَّتِي كَانَت فِي هَذَا المَوضِعِ مِن مِنًى سَنَةَ ١٢ مِنَ النُّبُوَّةِ، حَيثُ بَايَعَ النَّبِيَّ ﷺ مِنهَا ١٢ شَخصًا مِنَ أَعيَانِ قَبِيلَتَي الأَوْسِ وَالخَزرَجِ مِنَ المَدِينَةِ، كَمَا أَنَّ بَيعَةَ العَقَبَةِ الثَّانِيَةِ كَانَت أَيضًا فِي هَذَا المَوضِعِ، وَذَلِكَ أَثنَاءَ مَوسِمِ الحَجِّ سَنَةَ ١٣ مِنَ النُّبُوَّةِ، وَحَضَرَ هَذِهِ البَيعَةَ ٧٣ رَجُلًا وَامرَأَتَانِ مِن أَهلِ المَدِينَةِ، وَدَعَوا النَّبِيَّ أَن يَأتِيَ المَدِينَةَ المُنَوَّرَةَ وَقَالُوا: إِلَى مَتَى نَدَع رَسُولَ اللهِ ﷺ يُطْرَدُ مِن جِبَالِ مَكَّة وَيَخَاف، وَعُرِفَت هَذِهِ البَيعَةُ أَيضًا بِبَيعَةِ العَقَبَةِ الكُبرَى. وَبَنَى أَبُو جَعفَرَ المَنصُورِ سَنَةَ ١٤٤ هـ المَسجِدَ فِي مَوضِعِ البَيعَةِ. كَمَا هُوَ مُصَرَّحٌ فِي اللَّوحَةِ الَّتِي لَا تَزَالُ مُثبَّتَةً

---

(١) صحيح البخاري، البخاري، كتاب الفضائل، باب فضل نسب النبي ﷺ، وتسليم الحجر عليه قبل النبوة.

فِي جِدَارِ المَسجِدِ للقِبلَةِ مِنَ الخَارِجِ، وَهُوَ مُؤَلَّفٌ مِن فنَاءٍ مَكشُوفٍ يَتَقَدَّمهُ مِظَلّة، وَقَد ذَكَرَهُ الأَزرَقِيُّ المُتَوَفَّى ٢٤٤هـ وَالفَاكِهِيُّ المُتَوَفَّى ٢٧٣هـ كَمَا أَنَّهُ كَانَ مَوضِعَ اهتِمَام وَعِنَايَةٍ لَدَى خُلَفَاءِ المُسلِمِينَ عَلَى مَرّ التَّارِيخِ، وَلَعَلَّ كَمَا أَنَّهُ بِنَاءَهُ الحَالِي عُثمَانِي مِنَ الحَجَرِ وَالجَصّ، وَهُوَ عَلَى بُعدِ نَحوِ ٣٠٠ م عَن جَمرَةِ العَقَبَةِ عَلَى يَمِينِ الجِسرِ النَّازِلِ مِن مِنًى إِلَى مَكَّةَ المُكَرَّمَة[١].

مَسجِدُ الجِنّ: يَقَعُ عَلَى يَسَارِ الصَّاعِدِ إِلَى الـمَعلَاةِ بِجَانِبِ جِسرِ المُشَاةِ، وَسُمِّيَ بِذَلِكَ لأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ خَطَّ لابنِ مَسعُود بِرِجلِهِ لِيَجلِسَ فِي هَذَا المَوضِع عِندَمَا جَاءَ الجِنُّ يُبَايِعُونَ النَّبِيَّ ﷺ وَقَد سَبَقَ أَن التَقَوا بِهِ ﷺ فِي مَوضِعِ نَخلَة أَثنَاءَ عَودَتِهِ ﷺ مِنَ الطَّائِفِ سَنَةَ عَشرٍ مِنَ النُّبُوَّةِ[٢]. وَقَد يُطلَقُ عَلَيهِ مَسجِدُ الحَرَسِ أَيضًا، وَقَد جُدِّدَ هَذَا المَسجِدُ سَنَةَ ١٤٢١ هـ[٣].

وَعَن ابنِ مَسعُودٍ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ لأَصحَابِهِ وَهُوَ بِمَكَّةَ: «مَن أَحَبَّ مِنكُم أَن يَحْضُرَ أَمرَ الجِنّ فَليَفعَل»، فَلَمْ يَحْضُرْ مِنْهُمْ أَحَدٌ غَيْرِي، قَالَ: فَانْطَلَقْنَا حَتَّى إِذَا كُنَّا بِأَعْلَى مَكَّةَ خَطَّ لِي بِرِجْلِهِ خَطًّا، ثُمَّ أَمَرَنِي أَنْ أَجلِسَ فِيهِ، ثُمَّ انْطَلَقَ حَتَّى قَامَ، فَافْتَتَحَ الْقُرْءَانَ فَغَشِيَتْهُ أَسْوِدَةٌ كَثِيرَةٌ حَالَتْ بَيْنِي وَبَيْنَهُ، حَتَّى مَا أَسْمَعُ صَوْتَهُ، ثُمَّ طَفِقُوا يَتَقَطَّعُونَ مِثْلَ قِطَعِ السَّحَابِ ذَاهِبِينَ، حَتَّى بَقِيَ مِنْهُم رَهْطٌ، فَفَرَغَ

---

(١) السيرة، ابن هشام، (١/ ٤٣١ . ٤٤١). أخبار مكة، الأزرقي، (٢/١٩٨-١٩٩). أخبار مكة، الفاكهي، (٤/ ٢٣١). Location 21 .39 N25'31 .E52'06

(٢) تفسير ابن كثير، ابن كثير، (٧/ ٢٧٥). أخبار مكة، الأزرقي، (٢/ ٢٠٠).

(٣) Location 21 .39 N26'00 .E49'44

رَسُولُ اللهِ ﷺ مَعَ الْفَجْرِ، فَانْطَلَقَ فَتَبَرَّزَ، ثُمَّ أَتَانِي فَقَالَ: «**مَا فَعَلَ الرَّهْطُ؟**» فَقُلْتُ: هُمْ أُولَئِكَ يَا رَسُولَ الله، فَأَعْطَاهُمْ عَظْمًا وَرَوْثًا زَادًا، ثُمَّ نَهَى أَنْ يَسْتَطِيبَ أَحَدٌ بِرَوْثٍ أَوْ عَظْمٍ.

وَعَنْهُ رضي الله عنه قَالَ: «انطَلَقتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ لَيْلَةَ الْجِنِّ، حَتَّى أَتَى الْحَجُونَ، فَخَطَّ لِي خَطًّا، ثُمَّ تَقَدَّمَ إِلَيْهِمْ فَازْدَحَمُوا عَلَيْهِ، فَقَالَ سَيِّدٌ لَهُمْ يُقَالُ لَهُ: وَرْدَانُ: أَنَا أُرَحِّلُهُمْ عَنْكَ. فَقَالَ: إِنِّي لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ»[1].

وَفِي رِوَايَةٍ: فَأَتْبَعَهُ ابنُ مَسعُودٍ فَدخلَ النَّبِيُّ ﷺ شِعْبًا يُقَالُ لَهُ: شِعبُ الحَجُونِ وَخطَّ عَلَيهِ وَخطَّ عَلَى ابنِ مَسعُودٍ لِيُثبِتَهُ بِذَلِكَ[2]. قَالَ ابنُ مَسعُودٍ: فَجَعَلُوا أَي الجِنُّ يَنتَهُونَ إِلَى الخَطِ فَلَا يَجُوزُونَهُ، ثُمَّ يَصدِرُونَ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ[3].

مَسجِدُ الشَّجَرَة: قَالَ الأَزرَقِيُّ: يَقَعُ بِحِذَاءِ مَسجِدِ الجِنِّ يُقَالُ: إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ دَعَا شَجَرَةً كَانَت فِي مَوضِعِهِ، وَهُوَ مَسجِدُ الجِنِّ فَسَأَلَها عَمَّا يُرِيدُ ثُمَّ أَمَرَهَا فَرَجَعَت حَتَّى انتَهَت إِلَى مَوضِعِهَا[4]. وَقَالَ الفَاكِهِيُّ: مَسجِدُ الشَّجَرَةِ بِحِذَاءِ مَسجِدِ الحَرَسِ أَي مِسجد الجِنّ كَانَت فِيهِ شَجَرَة وَإِنَّ النَّبِيَّ ﷺ دَعَاهَا مِن مَوضِعِهَا فَجَاءَتهُ[5].

وَذَكَرَ ابنُ مَسعُودٍ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ بِالحَجُونِ وَهُوَ

---

(١) تفسير ابن كثير، ابن كثير، (٧/٢٧٧).

(٢) تفسير ابن كثير، ابن كثير، (٧/٢٧٧).

(٣) أخبار مكة، الفاكهي، (٤/٢٣).

(٤) أخبار مكة، الأزرقي، (٢/١٩٣-١٩٤).

(٥) أخبار مكة، الفاكهي، (٤/٢٣).

مُكتئِبٌ حَزِينٌ فقَالَ: «اللَّهُمَّ أرِني ءايَةً لا أُبالِي مَنْ كَذَّبَنِي بَعدَهَا مِنْ قَوْمي»، فَإذَا شَجَرة مِن قِبَلِ عَقَبَةِ المَدِينَةِ، فَنَادَاهَا فَجَاءَت تَشُقُّ الأرضَ حَتَّى انْتَهَت إلَيهِ فَسَلَّمَت عَلَيهِ ثُمَّ أمَرَهَا فَرَجَعَت[1].

وَعَن عُمَرَ رضي الله عنه أنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ عَلَى الْحَجُونِ كَئِيبًا لَـمَّا أذَاهُ الْمُشْرِكُونَ، فَقَالَ: «اللهُمَّ أرِنِي الْيَوْمَ ءايَةً لا أُبالِي مَنْ كَذَّبَنِي بَعْدَهَا»، فَقِيلَ: ادعُ شَجَرَةً، فَأَقْبَلَتْ تَخُدُّ أوْ تَخُطُّ الأَرْضَ حَتَّى انْتَهَتْ إلَيْهِ فَسَلَّمَت، قَالَ: ثُمَّ أمَرَهَا فَرَجَعَتْ إلَى مَوْضِعِهَا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَا أُبَالِي مَن كَذَّبَنِي بَعدَهَا مِن قَومِي»[2].

وَقَالَ ابنُ الجَوزِيّ: مَسجِدٌ بِأَعلَى مَكَّةَ يُقَالُ لَهُ: مَسجِدُ الشَّجَرَة يُقَابِلُ مَسجِدَ الجِنِّ، يُقَالُ: إنَّ النبي ﷺ دَعَا شَجَرَةً فِي مَوضِعِ المَسجِدِ فَأَقبَلَت تَخُطُّ الأَرضَ حَتَّى وَقَفَت بَينَ يَدَيهِ ثُمَّ أمَرَهَا فَرَجَعَت، وَذَكَرَهُ ابنُ ظَهِيرَةَ أيضًا[3].

وَيُستَفَادُ مِن هَذِهِ النُّقُولِ أنَّ المُعجِزَةَ ظَهَرَت بِالحَجُونِ وَلَعَلَّ الشَّجَرَةَ كَانَت بِمَوضِعِ المَسجِدِ الَّذِي عُرِفَ بِمَسجِدِ الشَّجَرَةِ وَالمَبنَى بِحِذَاءِ مَسجِدِ الجِنِّ وَمُقَابِلِهِ، وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ فِي مَوضِعِ مَسجِدِ الجِنِّ، وَيُسْتَأْنَسُ بِرِوَايَةِ الفَاكِهِيّ أنَّ الجِنَّ طَلَبُوا دَلِيلًا عَلَى نُبُوَّتِهِ ﷺ فَظَهَرَت هَذِهِ المُعجِزَةُ فَبَايَعُوهُ عَلَى الإسلَامِ[4].

---

(١) الطبقات الكبرى، ابن سعد، (١/ ١٤٣).

(٢) ?قال الهيثمي: إسناده حسن. مجمع الزوائد، الهيثمي، (٩/ ١٠).

(٣) مثير العزم الساكن، ابن الجوزي، (ص٢/ ١٩١)، الجامع اللطيف، ابن ظهيرة، (ص/ ٢٩٦).

(٤) أخبار مكة، الفاكهي، (٤/ ٢٣).

وَقَد جُدِّدَ مَسجِدُ الشَّجَرَةِ سَنَةَ ١٤٢١هـ عَلَى غِرَارِ مَسجِدِ الجِنِّ، وَمَوقِعُهُ قَبلَ جِسرِ المُشَاةِ جِهَةَ المَسجِدِ الحَرَامِ، وَعَلَى يَسَارِ الصَّاعِدِ إِلَى المَعْلَاةِ قَرِيبًا مِن مَسجِدِ الجِنِّ[١].

مَسجِدُ الرَّايَةِ: رَوَى البُخَارِيُّ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَمَرَ أن تُرْكَزَ رَايَتُهُ بِالحَجُونِ[٢]، وَذَلِكَ يَومَ الفَتحِ، وَقَالَ ابنُ هِشَام إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ دَخَلَ يَومَ الفَتحِ حَتَّى نَزَلَ بِأَعلَى مَكَّةَ، وَضُرِبَت لَهُ هُنَاكَ قُبَّة[٣]. ثُمَّ بَنَى عَبدُ اللهِ بنُ عُبَيْدِ اللهِ بنِ عَبَّاس بنِ مُحَمَّدِ بنِ عَلِيِّ بنِ عَبْدِ اللهِ بنِ عَبَّاسٍ مَسجِدًا فِي هَذَا المَوضِعِ فَعُرِفَ بِمَسجِدِ الرَّايَةِ. قَالَ الفَاكِهِيُّ: وَمِنهَا مَسجِدٌ بِأَعلَى مَكَّةَ عِندَ الرَّدْمِ الأَعلَى عِندَ بِئرِ جُبَيْرِ بنِ مُطْعِم رضي الله عنه، وَيُقَالُ لَها: البِئرُ العُلْيَا، وَلَعَلَّ ذَلِكَ لِوُقُوعِهَا فِي أَصْلِ الرَّدْمِ الأَعلَى، وَهُوَ السَّدُّ الَّذِي بَنَاهُ عُمَرُ بنُ الخَطَّابِ فِي أَعلَى الوَادِي. وَرَوَى ابنُ مَاجه بِإِسنَادٍ حَسَنٍ عَن كَيسَانَ قَالَ: رَأَيتُ النَّبِيَّ ﷺ يُصَلِّي بِالبِئرِ العُليَا فِي ثَوبٍ[٤]، وَرَوَاهُ أَحمَدُ أَيضًا بِإِسنَادٍ مُحتَمل للتَّحسِين[٥]. وَيُستَفَادُ مِن كَلَامِ الفَاسِي أَنَّهُ يَبعُدُ عَنِ المَروَةِ بِنَحوِ ٥٠٠ م، وَلَعَلَّ ذَلِكَ مِن خِلَالِ الطُّرُقِ المُؤَدِّيَةِ إِلَيهِ فِي عَصرِهِ، وَلَيسَ

---

(١) مكة المكرمة في وجداني، زهير محمد جميل، (ص١٠١).

(٢) صحيح البخاري، البخاري، كتاب المغازي، باب أين ركز النبي ﷺ الراية يوم الفتح، (٤٢٨٠)، الموقع التقريبي Location 2125'55N 3949'42E

(٣) السيرة، ابن هشام، (٣/٤٠٧).

(٤) سنن ابن ماجه، ابن ماجه، كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، باب الصلاة في الثوب الواحد.

(٥) مسند أحمد، أحمد (١٥٤٤٦). أخبار مكة، الأزرقي، (٢/١٩٣). أخبار مكة، الفاكهي، (٤/١٩).

بِخَطٍّ مُستَقِيم، وَقَد ذَكَرَهُ ابنُ الجَوزِيِّ أَيضًا[1]. وَهُوَ عَلَى بُعدِ نَحوِ ٥٥٠م بِخَطٍّ مُستَقِيم مِنَ الكَعبَةِ المُشَرَّفَةِ حَسَب الخَرِيطَةِ الصَّادِرَةِ مِن مَعهَدِ خَادِمِ الحَرَمَينِ الشَّرِيفَينِ لأَبحَاثِ الحَجِّ[2]. وَمِمَّا يُؤَكِّدُ أَنَّ هَذَا المَسجِدَ هُوَ المَسجِدُ الَّذِي يُعرَفُ الآنَ بِمَسجِدِ الجودَرِيَّة أَيضًا لِوُقُوعِهِ بِالجُودَرِيَّةِ عَلَى شَارِعِ الغَزَّة، وَقَد جُدِّدَ بِنَاؤُهُ فِي عَهدِ المَلِكِ عَبدِ العَزِيزِ سَنَةَ ١٣٦١هـ/ ١٩٤٢م، ثُمَّ أُعِيدَ بِنَاؤُهُ فِي عَهدِ المَلِكِ فَهد بنِ عَبدِ العَزِيزِ سَنَةَ ١٤٠٤هـ. وَتَمَّ هَدمُ المَسجِدِ وَإِزَالَتُه عَامَ ١٤٣٢ هـ لِصَالِحِ مَشرُوعِ تَوسِعَةِ سَاحَاتِ الحَرَمِ الشَّمَالِيَّة، وَلَا زَالَ مَوقِعُهُ سَاحَةَ أَعمَالٍ للشَّرِكَةِ المُنَفِّذَةِ للمَشرُوعِ حَتَّى اليَوم[3].

مَسجِدُ خَالِدُ بنُ الوَلِيدِ رضي الله عنه: أَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ خَالِدَ بنَ الوَلِيدِ رضي الله عنه يَومَ الفَتحِ أَن يَدخُلَ مِن أَسفَلِ مَكَّةَ وَأَن يَغرُزَ رَايَتَهُ عِندَ أَدنَى البُيُوتِ. وَفِي رِوَايَةٍ: أَمَرَهُ أَن يَدخُلَ مِنَ اللِّيطِ فِي أَسفَلِ مَكَّةَ مِن جِهَةِ جَروَلَ[4]. فَفَعَلَ، وَبُنِيَ هَذَا المَسجِدُ فِي المَوضِعِ الَّذِي غَرَزَ فِيهِ رَايَتَهُ وَهُوَ مَعلُومٌ الآنَ فِي حَارَةِ البَابِ بِرِيعِ الرَّسَّام[5]- كُدَيّ قَدِيمًا - وَعَلى الشَّارِعِ المَنسُوبِ إِلَيهِ بِـ «شَارِعِ خَالِدِ بنِ الوَلِيدِ رضي الله عنه»،

---

(١) مثير الغرام، ابن الجوزي، (ص/ ١٩١).

(٢) الخريطة، دليل المسجد الحرام والمنطقة المركزية، (١٤١٦هـ).

(٣) Location 21. 39 25'46N. 49'44E

(٤) فتح الباري، ابن حجر، (٨/ ١٠).

(٥) كان باب جدة في هذا الموضع قديما، وفيه كان يؤخذ الرسم على البضائع الداخلة عن طريق جدة، فعرف الموضع بريع الرسام، وسمي الحي الذي قام عند هذا الباب «حارة الباب». معالم مكة، الحربي، (ص/ ٩٨)

وأُعِيدَ بناؤه بمنارة سنة ١٣٧٧هـ/ ١٩٥٧م[١]. وَتَمَّ هَدْمُهُ وَإِزَالَتُهُ سَنَةَ ١٤٣٢هـ ضِمنَ مَشرُوعِ التَّوسِعَةِ، وَمَوقِعُهُ الآنَ دَاخِلَ مُحِيطِ المَسجِدِ الحَرَام.

المُحَصَّبُ: المُحَصَّبُ بِالضَّمِّ ثُمَّ الفَتحِ وَصَادٌ مُهمَلَةٌ مُشَدَّدَةٌ، مَوضِعٌ بِأَعلَى مَكَّةَ مَا بَينَ مِنًى إِلَى المُنحَنَى، وَسُمِّيَ بِالمُحَصَّبِ لأَنَّهُ مَسِيل. وَالسَّيلُ يَجمَعُ فِيهِ الحَصْبَاء، وَكَانَ يُطلَقُ عَلَيهِ أَيضًا خَيف بَنِي كِنَانَة وَالأَبطَح وُهَوَ مَا انبَطَحَ مِنَ الوَادِي وَاتَّسَعَ، وَقَد كَانَ تَحَالُف قُرَيشٍ بَنِي هَاشِم فِي هَذَا المَوضِعِ[٢]. وَقَد نَزَلَ النَّبِيُّ ﷺ وَبَعضُ الصَّحَابَةِ أَثنَاءَ فَتحِ مَكَّةَ وَحَجَّةِ الوَدَاعِ فِي هَذَا المَوضِعِ وَذَلِكَ لإِظهَارِ شَعَائِرِ الإِسلَامِ فِي المَكَانِ الَّذِي أَظهَرَ الكُفَّارُ فِيهِ شَعَائِرَهُم وَعَداوَتَهُم للهِ وَرَسُولِهِ[٣]، وَلِيَتَذَكَّر مَا كَانَ فِيهِ فَيَشكُرَ اللهَ تَعَالَى عَلَى مَا أَنعَمَ بِهِ عَلَيهِ مِنَ الفَتحِ العَظِيمِ وَتَمَكُّنه مِن دُخُولِ مَكَّةَ ظَاهِرًا عَلَى رَغمِ أَنفِ مَن سَعَى فِي إِخرَاجِهِ، وَمُبَالَغَةً فِي الصَّفحِ عَنِ الَّذِينَ أَسلَمُوا، وَمُقَابَلَتِهِم بِالمَنِّ وَالإِحسَانِ[٤]. فَعَن أَبِي هُرَيرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«مَنْزِلُنَا إِنْ شَاءَ اللهُ، إِذَا فَتَحَ اللهُ، الخَيْفُ، حَيْثُ تَقَاسَمُوا[٥] عَلَى الكُفْرِ»**[٦]. يُرِيدُ المُحَصَّبَ.

---

(١) التاريخ القويم، محمد طاهر الكردي، (٨١/٥).

(٢) التاريخ القويم، محمد طاهر الكردي، (٨١/٥).

(٣) زاد المعاد، ابن الجوزي، (٤٦/٢). شفاء الغرام، أبو الطيب، (٣١٣/١).

(٤) فتح الباري، ابن حجر، (١٥/٨).

(٥) أي تحالفوا وتعاهدوا عليه، وذلك حين تحالفوا على إخراج النبي ﷺ وبني هاشم وبني المطلب مِن مكة إلى الشّعب وكتبوا بينهم الصحيفة المشهورة، وكتبوا فيها أنواعًا من الباطل وقطيعة الرّحم والكفر إلى ءاخر القصة.

(٦) صحيح البخاري، البخاري، كتاب المغازي، (٥٢٨٤).

وَعَنهُ قَالَ ﷺ حِينَ أَرَادَ حُنَيْنًا: «مَنْزِلُنَا غَدًا إِنْ شَاءُ اللهُ بِخَيْفِ بَنِي كِنَانَةَ حَيْثُ تَقَاسَمُوا عَلَى الكُفْرِ»(١). وَعَنهُ قَالَ ﷺ مِنَ الغَدِ يَوْمَ النَّحْرِ - وَهُوَ بِمِنًى: «نَحْنُ نَازِلُونَ غَدًا بِخَيْفِ بَنِي كِنَانَةَ حَيْثُ تَقَاسَمُوا عَلَى الكُفْرِ». يَعنِي بِذَلِكَ المُحَصَّبَ، وَذَلِكَ أَنَّ قُرَيشًا وَكِنَانَةَ تَحَالَفَت عَلَى بَنِي هَاشِمٍ وَبَنِي المُطَّلِبِ أَن لَا يُنَاكِحُوهُم وَلَا يُبَايِعُوهُم حَتَّى يُسَلِّمُوا إِلَيهِم النَّبِيَّ (٢). وَعَن أَنَسٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ صَلَّى الظُّهرَ وَالعَصرَ وَالمَغرِبَ وَالعِشَاءَ ثُمَّ رَقَدَ رَقدَةً بِالمُحَصَّبِ ثُمَّ رَكِبَ إِلَى البَيتِ فَطَافَ بِهِ(٣).

وَعَن ابنِ عُمَرَ رضي الله عنه أَنَّهُ قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَعُثمَانُ يَنزِلُونَ الأَبطَحَ. قَالَ التِّرمِذِيُّ: صَحِيحٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ. وَالتَّحَصُّبُ نُزُولُ الأَبطَحِ(٤). وَبُنِيَ فِي مَوضِعِ نُزُولِهِ ﷺ وَخُلَفَائِهِ وَأَصْحَابِهِ مَسجِدٌ، وَيُعرَفُ بِمَسجِدِ المُحَصَّبِ. فَالمُحَصَّبُ اليَوم هِيَ المَنطَقَةُ الَّتِي تُسَمَّى الآنَ الجُمَّيزَة وَالمَلَاوِي وَالبِيَاضِيَّة إِلَى رِيعِ ذَاخِر.

مَسجِدُ الفَتحِ بِالجَمُومِ: الجَمُومُ قَاعِدَةُ وَادِي مَرِّ الظَّهرَانِ، مَاءٌ لِبَنِي سُلَيم، تَقَعُ عَلَى بُعدِ نَحوِ ٢٥ كم شَمَالَ مَكَّةَ عَلَى طَرِيقِ المَدِينَةِ المُنَوَّرَةِ طَرِيقِ الهِجْرَةِ، و ١٨كم مِن مَسجِدِ التَّنعِيم. بَعَثَ إِلَيهِم النَّبِيُّ ﷺ سَرِيَّةً بِقِيَادَةِ زَيدِ بنِ حَارِثَةَ رضي الله عنه فِي رَبِيعِ الآخَرِ سَنَةَ ٦ هـ فَأَصَابُوا

---

(١) صحيح البخاري، البخاري، كتاب المغازي، (٤٢٨٥).

(٢) صحيح البخاري، البخاري، كتاب الحج، (١٥٩٠).

(٣) صحيح البخاري، البخاري، كتاب الحج، باب طواف الوداع، (١٧٥٦).

(٤) سنن الترمذي، الترمذي، أبواب الحج عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في نزول الأبطح، (٩٢١).

امرَأَةٌ دَلَّتهُم عَلَى مَحلَّةٍ مِن بَنِي سُلَيْم أَصَابُوا فِيهَا نَعَمًا وَشَاءً وَأَسْرَى[(١)].
وَفِي سَنَةِ ٨ هـ نَزَلَ بِهَا النَّبِيُّ ﷺ وَبَاتَ بِهَا قَبلَ فَتحِ مَكَّةَ بِلَيلَة، وَبِهَا أَسلَمَ أَبُو سُفيَانَ بنُ حَربٍ[(٢)]. كَمَا رَوَى البُخَارِيُّ عَن هِشَامٍ عَن أَبِيهِ قَالَ: لـمَّا سَارَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَامَ الفَتحِ فَبَلَغَ ذَلِكَ قُرَيْشًا خَرَجَ أَبُو سُفيَانَ بنُ حَربٍ وَحَكِيمُ بنُ حِزَام وَبُدَيلُ بنُ وَرقَاءَ يَلتَمِسُونَ الخَبَرَ عَن رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَأَقبَلُوا يَسِيرُونَ حَتَّى أَتَوْا مَرَّ الظَّهْرَانِ، فَرَءَاهُم نَاسٌ مِن حَرَسِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَأَدْرَكُوهُم فَأَخَذُوهُم، فَأَتَوا بِهِم رَسُولَ اللهِ ﷺ فَأَسلَمَ أَبُو سُفيَان...[(٣)].

وَفِي مَوضِعِ نُزُولِهِ ﷺ وَصَلَاتِهِ بُنِيَ مَسجِدٌ عُرِفَ بِمَسجِدِ الفَتحِ، وَقَد كَانَ مَوضِعَ اهتِمَامِ وَعِنَايَةِ المُسلِمِينَ عَلَى مَرِّ التَّارِيخ[(٤)]، وَأُعِيدَ بِنَاؤُهُ فِي سَنَة ١٣٩٧هـ عَلَى نَفَقَةِ الشَّيخِ حَسَن بَكر مُحَمَّد قُطب كَمَا هُوَ مُسَجَّلٌ عَلَى اللَّوحَةِ المُثبَتَةِ فَوقَ المَدخَلِ، وَفِي جَانِبِهِ الأَيسَرِ مَنَارَةٌ عَالِيَةٌ وَغُرفَةُ الخَدَمَاتِ، وَيَلِيهِ خَزَّانٌ عَالٍ أَصفَر لِتَوزِيعِ المَاءِ فِي الجَمُوم، وَيُمكِنُ رُؤيَةِ المَنَارَةِ البَيضَاءِ للمَسجِدِ وَبِجَانِبِهَا الخَزَّانُ الأَصفَر وَذَلِكَ لِمَن يَمُرُّ بِطَرِيقِ الهِجْرَةِ[(٥)].

ذِي طُوًى: وَادٍ مِن أَودِيَةِ مَكَّةَ وَكُلُّهُ مَعمُورٌ اليَومَ بِأَحيَاءَ سَكَنِيَّة، وَانحَصَرَ اسمُهُ الآنَ فِي بِئرٍ بِجَروَلَ تُسَمَّى طُوًى[(٦)]، بَاتَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ

---

(١) السيرة، ابن هشام، (٣/ ٦١٢). بلادنا آثار وتراث، (ص ١٠٥).

(٢) السيرة، ابن هشام، (٣/ ٤٠٢).

(٣) صحيح البخاري، البخاري، كتاب المغازي، (٤٢٨٠).

(٤) الجامع اللطيف، ابن ظهيرة، (٢٠٩).

(٥) Location 21. 39 N37'37 .E42'00

(٦) الجامع اللطيف، ابن ظهيرة، (ص/ ٢٠٩). شفاء الغرام، أبو الطيب، (١/ ٢٦٨). فضائل

حَتَّى أصبحَ وَاغتَسَلَ مِن مَاءِ بِئرِهِ وَصَلَّى، ثُمَّ دَخلَ مَكَّةَ كَمَا رَوَى البُخَارِيُّ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ بَاتَ بِذِي طُوًى حَتَّى أصبحَ ثُمَّ دَخلَ مَكَّةَ[(١)].
وَكَانَ ابنُ عُمَرَ رضي الله عنه لَا يَقْدَمُ مَكَّةَ إِلَّا بَاتَ بِذِي طُوًى حَتَّى يُصبحَ وَيَغتَسِلَ، ثُمَّ يَدخُلُ مَكَّةَ نَهَارًا، وَيَذكُرُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ فَعَلَهُ[(٢)].
وَقَد وَرَدَ فِي رِوَايَةِ مُسلِم ذِكرُ المَسجِدِ الَّذِي بُنِيَ قَرِيبًا مِن مُصَلَّى رَسُولِ اللهِ ﷺ[(٣)]، وَذَكَرَهُ الفَاكِهِيُّ بِمَسجِدِ النَّبِيِّ ﷺ، وَكَانَ قَرِيبًا مِنَ البِئرِ عَلَى يَمِينِ المُتَّجِهِ إِلَيهَا، وَبَقِيَ المَسجِدُ إِلَى أَن أُزِيلَ لِتَوسِعَةِ الشَّارِعِ[(٤)]، أَمَّا البِئرُ فَمَا زَالَت مَوجُودَةً بِجَروَل مُقَابِلَ مُستَشفَى الوِلَادَةِ وَخَلفَ عِمَارَةِ الجِفْرِي المَبنِية حَدِيثًا، وَتُعرَفُ بِبِئرِ ذِي طُوًى[(٥)].

عَيْنُ زُبَيدَةَ[(٦)]: أَجرَتهَا زَوجُ هَارُون الرَّشِيدِ العَبَّاسِي فِي ١٧٤هـ/ ٧٩١م، وَهِي تَنبعُ مِن وَادِي نَعْمَان بِحُنَين الشَّرَائِع عَلَى نَحوِ بُعد ٣٦ كم مِنَ المَسجِدِ الحَرَامِ، وَتَمُرُّ بِعَرَفَات وَتَقطَع وَادِي عَرنَةَ ثُمَّ تَنحَدِرُ إِلَى مِنًى فَمَكَّةَ، وَكَانَت سُقيَا أَهلَ مَكَّةَ عَلَى مَدَى أَلف وَمِائَتَي سَنَة، وَظَلَّ الحُكَّامُ يُوَلُّونَهَا عِنَايَةً بِالإِصلَاحِ، وَقَدِ انقَطَعَت فِي الفَترَةِ الأَخِيرَةِ[(٧)].

غَارُ المُرْسَلَات: عُرِفَ بِذَلِكَ لِنُزُولِ سُورَة المُرسَلَاتِ فِيهِ، كَمَا رَوَى

مكة المكرمة، (ص/ ٢٣٣).

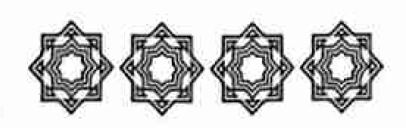
(١) صحيح البخاري، البخاري، كتاب الحج، باب دخول مكة نهارا أو ليلا، (١٥٧٤).
(٢) صحيح مسلم، مسلم، كتاب الحج، باب استحباب المبيت بذي طوى، (١٢٥٩).
(٣) صحيح مسلم، مسلم، كتاب الحج، (١٢٥٩)، (١٢٦٠).
(٤) أخبار مكة، الفاكهي، (٤/ ٢٧). أخبار مكة، الأزرقي، (٢/ ١٩٥-١٩٦).
(٥) خلف محطة النقل الجماعي سابتكو. Location 21 .25'53N 39 .49'00E
(٦) Location 21 .21'59N 39 .55'41E
(٧) معالم مكة، البلادي، (ص/ ١٩٧).

البُخَارِيُّ عَن عَبْدِ اللهِ رضي الله عنه قَالَ: بَينَمَا نَحنُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي غَارٍ بِمِنًى إِذْ نَزَلَ عَلَيهِ وَالمُرسَلاتِ وَإِنَّهُ لَيَتلُوهَا وَإِنِّي لأَتَلَقَّاهَا مِن فِيهِ، وَإِنَّ فَاهُ لَرَطْبٌ بِهَا..(1).

وَرَوَى ابنُ جُبَير أَنَّهُ ﷺ جَلَسَ بِهَذَا الغَار مُستَظِلًّا فِيهِ، فَمَسَّ رَأسهُ الكَرِيم الحَجَرَ فَلَانَ حَتَّى أَثَّرَ فِيهِ تَأثِيرًا بِقَدرِ دَوْرَةِ الرَّأسِ، فَصَارَ النَّاسُ يُبَادِرُونَ بِوَضعِ رُؤُوسِهِم فِي هَذَا المَوضِعِ تَبَرُّكًا وَاستِجَارَةً لِرُؤُوسِهِم بِمَوضِعِ مَسِّ رَأسِهِ المُكَرَّم، أَن لَا تَمَسَّه النَّارُ بِرَحمَةِ اللهِ تَعَالَى(2).

قَالَ الفَاسِيُّ: وَهَذَا الغَارُ مَشهُورٌ بِمِنًى خَلفَ مَسجِدِ الخَيفِ نَحوَ الجَبَلِ مِمَّا يَلِي اليَمِين، كَذَلِكَ يَأثُرُهُ الخَلَفُ عَنِ السَّلَفِ(3). يَقَعُ الغَارُ بَينَ مَسجِدِ الخَيفِ وَجَبَلِ الصَّابِح الَّذِي يُشرِفُ عَلَى المَسجِدِ مِنَ الجَنُوبِ الغَربِيّ.

مَسجِدُ الكَبش: مَحَلُّ فِدَاءِ إِسمَاعِيلَ ﷺ وَهُوَ فِي جَبَلِ ثَبِير بَينَ الجَمرَتَينِ بِمِنًى، وَهُوَ عَلَى يَسَارِ الذَّاهِبِ إِلَى عَرَفَات، وَفِي شَمَالِ جَمرَةِ العَقَبَة.



---

(1) صحيح البخاري، البخاري، باب جزاء الصيد ونحوه، (١٨٣٠).

(2) رحلة ابن جبير، ابن جبير، (ص/ ١٣٧-١٣٨).

(3) شفاء الغرام، أبو الطيب، (١/ ٢٨٣). الأرج المسكي، عبد القادر المكي، (ص/ ٧٥).
وهذا الغار معروف معلوم بمنى بين مسجد الخيف وجبل الصابح الذي يشرف على المسجد من الجنوب الغربي والغار في سفح الجبل بارتفاع جنوبًا من مسجد الخيف.

مَقبَرَةُ المَعْلَاة

مِنَ المَقَابِرِ الأَثَرِيَّةِ وَتَقَعُ فِي الجِهَةِ الشَّرقِيَّةِ مِنَ المَسجِدِ الحَرَام، مَدفُونٌ فِيهَا كَثِيرٌ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالأَولِيَاءِ وَالأَخيَارِ، عُرِفَ مِنهُم السَّيِّدَةُ خَدِيجَة الكُبرَى بِنتُ خُوَيلِد زَوجَةُ النَّبِيِّ ﷺ، وَأَبُو مُوسَى الأَشعَرِيُّ، وَالقَاسِمُ ابنُ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَالطَّيِّبُ عَبدُ اللهِ ابنُ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَسُمَيَّةُ أُمُّ عَمَّارَ بن يَاسِر، وَعَبدُ اللهِ بنُ يَاسِر أَخُو عَمَّار بنِ يَاسِر، وَحُذَامَةُ بِنتُ خُوَيلِد أُختُ خَدِيجَةَ الكُبرَى، وَزَينَبُ بِنتُ مَظعُون زَوجَةُ عُمَرَ بنِ الخَطَّابِ، وَعَبدُ اللهِ بنُ الزُّبَيرِ، وَعَبدُ الرَّحمَنِ بنُ أَبِي بَكرٍ، وَأَسمَاءُ بِنتُ أَبِي بَكرٍ، وَالفُضَيْلُ بنُ عِيَاضٍ، وَسُفيَانُ بنُ عُيَينَةَ، وَتَقِيُّ الدِّينِ السُّبْكِيُّ، وَابنُ هَوَازِن القُشَيرِيُّ، وَابنُ حَجَرٍ الهَيتَمِيُّ وَغَيرُهُم كَثِيرٌ.

وَأَمَّا المَقَابِرُ فَأَعظَمُهَا وَأَشرَفُهَا المَعلَاةُ لِمَا حَوَتَ مِن سَادَاتِ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ وَكِبَارِ العُلَمَاءِ وَالصَّالِحِينَ، وَوَرَدَ فِي فَضلِهَا أَحَادِيثُ كَثِيرَة، فَمِن ذَلِكَ مَا فِي المَدَارِكِ: عَنهُ ﷺ: «**الحَجُونُ وَالبَقِيعُ يُؤخَذُ مِن أَطرَافِهِمَا وَيُنْثَرَانِ فِي الجَنَّةِ**»[1].

عَنِ ابنِ مَسعُودٍ رضي الله عنه قَالَ: «وَقَفَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَى الثَّنِيَّةِ ثَنِيَّةِ المَقبَرَةِ وَلَيسَ بِهَا يومَئِذٍ مَقْبَرَة، فَقَالَ: «**يَبْعَثُ اللهُ مِن هَذِهِ البُقعَةِ وَمِنْ هَذَا الحَرَمِ سَبعِينَ أَلْفًا، يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ، يَشْفَعُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُم فِي سَبْعِينَ أَلْفًا، وُجُوهُهُم كَالقَمَرِ فِي لَيْلَةِ البَدْرِ**»، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: مَن هُم يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «**مِنَ الغُرَبَاءِ**»[2].

---

(١) المقاصد الحسنة، السخاوي، (ص/١٩١).

(٢) أخبار مكة، الفاكهي، (٤/٥١).

السَّيِّدَةُ خَدِيجَةَ رضي الله عنها زَوجِ النَّبِيِّ ﷺ

خَدِيجَةُ بِنتُ خُوَيلِد بِنتِ أَسَد بنِ عَبدِ العُزَّى بنِ قُصَيّ رضي الله عنها، خَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لَهَا فِي تِجَارَةٍ فَرَأَت عِندَ قُدُومِهِ غَمَامَةً تُظِلُّهُ فَتَزَوَّجَتهُ. وَقَد كَانَت عرفت قَبلَهُ زوجَين، وَكَانَت يَومَ تَزَوَّجَهَا بِنتَ أَربَعِينَ سَنَةً. وَجَاءَت النُّبُوَّة فَأَسلَمَت فَهِيَ أَوَّلُ امرَأَةٍ ءَامَنَت بِهِ وَلَم يَنْكِح امرَأَةً غَيرَهَا حَتَّى مَاتَت. وَجَمِيعُ أَولَادِهِ مِنهَا سِوَى إِبرَاهِيم.

وَعَن عَلِيّ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «خَيْرُ نِسَائِهَا مَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ، وَخَيْرُ نِسَائِهَا خَدِيجَةُ»[1].

وَرَوَى أَبُو هُرَيرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «خَيْرُ نِسَاءِ العَالَمِينَ أَرْبَعٌ: مَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ، وَابْنَةُ مُزَاحِمٍ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ، وَخَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ، وَفَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ»[2].

وَعَن أَبِي هُرَيرَةَ قَالَ: أَتَى جِبْرِيلُ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، هَذِهِ خَدِيجَةُ قَدْ أَتَتْكَ بِإِنَاءٍ فِيهِ إِدَامٌ أَو طَعَامٌ أَو شَرَابٌ، فَإِذَا هِيَ أَتَتْكَ فَاقْرَأْ عَلَيهَا السَّلَامَ مِن رَبِّهَا وَمِنِّي، وَبَشِّرْهَا بِبَيْتٍ فِي الجَنَّةِ مِنْ قَصَبٍ[3]

(١) صحيح البخاري، البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء صلوات الله عليهم، باب وإذ قالت الملائكة يا مريم إن الله اصطفاك، (٣٤٣٢). صحيح مسلم، مسلم، فضائل الصحابة، فضائل خديجة أم المؤمنين، (٢٤٣٠).

(٢) الجامع لأحكام القرءان، القرطبي، سورة ءال عمران، ءاية ٤٢، (٤/ ٨٣).

(٣) قال الحافظ ابن حجر: «قال ابن التّين: المراد به لؤلؤة مجوّفة واسعة كالقصر المنيف». فتح الباري، ابن حجر، (٧/ ١٨٣).

لَا صَخَبَ[1] فِيهِ وَلَا نَصَبَ[2][3].

وَعَن عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَت: مَا غِرْتُ عَلَى أَحَدٍ مِن نِسَاءِ النَّبِيِّ ﷺ مَا غِرْتُ عَلَى خَدِيجَةَ، وَمَا رَأَيتُهَا، وَلَكِن كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُكْثِرُ مِن ذِكرِهَا وَرُبَّمَا ذَبَحَ الشَّاةَ ثُمَّ يُقَطِّعُهَا أَعضَاءً ثُمَّ يَبعَثُهَا فِي صَدَائِقِ خَدِيجَةَ، فَرُبَّمَا قُلتُ لَهُ: كَأَنَّهُ لَم يَكُن فِي الدُّنيَا امرَأَةٌ إِلَّا خَدِيجَةَ» فَيَقُولُ: «إِنَّهَا كَانَت وَكَانَت وَكَانَ لِي مِنْهَا وَلَدٌ»[4].

وَعَنهَا رضي الله عنها قَالَت: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لَا يَكَادُ يَخرُجُ مِنَ البَيتِ حَتَّى يَذكُرَ خَدِيجَةَ فَيُحسِنُ عَلَيهَا الثَّنَاءَ، فَذَكَرَهَا يَومًا مِنَ الأَيَّامِ فَأَدْرَكَتنِي الغَيْرَة فَقُلتُ: هَلْ كَانَت إِلَّا عَجُوزًا قَد أَخلَفَ اللهُ لَكَ خَيرًا مِنْهَا؟ قَالَت: فَغَضِبَ حَتَّى اهتَزَّ مُقَدَّم شَعَرِه مِنَ الغَضَبِ. ثُمَّ قَالَ: «لَا وَاللهِ مَا أَخْلَفَ اللهُ لِي خَيْرًا مِنْهَا، لَقَد ءَامَنَت بِي إِذْ كَفَرَ بِي النَّاسُ، وَصَدَّقَتْنِي إِذْ كَذَّبَنِي النَّاسُ، وَوَاسَتْنِي بِمَالِهَا إِذْ حَرَمَنِي النَّاسُ، وَرَزَقَنِي اللهُ عَزَّ وَجَلَّ أَوْلَادَهَا إِذْ حَرَمَنِي أَوْلَادَ النِّسَاءِ». قَالَت: فَقُلْتُ، بَينِي وَبَينَ نَفسِي: لَا أَذكُرُهَا بِسُوءٍ أَبَدًا[5].

---

(١) الصخب: الصياح والمنازعة برفع الصوت.

(٢) ولا تعب.

(٣) رواه البخاري بلفظ: «أتت معها إناء فيه ادام». صحيح البخاري، البخاري، في باب تزويج النبي ﷺ خديجة وفضلها ١، (٣٨٢٠). كما أخرجه مسلم بلفظ: «قد أتتك معها إناء ادام...». صحيح مسلم، مسلم، باب فضائل خديجة أم المؤمنين ١، (٢٤٣٢).

(٤) صحيح البخاري، البخاري، كتاب مناقب الأنصار، في باب تزويج النبي ﷺ خديجة، (٣٨١٨).

(٥) رواه مسلم في فضائل خديجة بلفظ مقارب، (٢٤٣٧). ورواه أحمد في مسنده (٢٤٨٦٤).

تُوفِّيَت السَّيِّدَةُ خَدِيجَةُ رضي الله عنها بَعدَ أَن مَضَى مِنَ النُّبُوَّةِ عَشرُ سِنِينَ، وَهِيَ بِنتُ خَمسٍ وَسِتِّينَ سَنَة. قَالَ حَكِيمُ بنُ حِزَامٍ: دَفَنَّاهَا بِالحَجُونِ وَنَزَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي حُفرَتِهَا وَلَم يَكُن يَومَئِذٍ سُنَّةُ الجِنَازَةِ الصَّلَاةُ عَلَيهَا[1].

أَبُو مُوسَى الأَشْعَرِيُّ
عَبْدُ اللهِ بنُ قَيسِ بنِ سُلَيْم

أَسلَمَ بِمَكَّةَ وَهَاجَرَ إِلَى أَرضِ الحَبَشَة. ثُمَّ قَدِمَ مَعَ أَهلِ السَّفِينَتَينِ نِسبَةً إِلَى السَّفِينَتَينِ اللَّتَينِ أَقَلَّتَا المُسلِمِينَ مِنَ الحَبَشَةِ وَرَسُولُ اللهِ ﷺ بِخَيبَر، وَبَعضُهُم يُنكِرُ هِجرَتَهُ إِلَى الحَبَشَةِ.

عَن أَبِي مُوسَى الأَشعَرِيِّ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ بَعَثَ مُعَاذًا وَأَبَا مُوسَى الأَشعَرِيّ إِلَى اليَمَنِ وَأَمَرَهُمَا أَن يُعَلِّمَا النَّاسَ القُرءَانَ[2].

وَقَد صَحَّ مِن حَدِيثِ أَبِي مُوسَى الأَشعَرِيِّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَوْ رَأَيْتَنِي وَأَنَا أَسْتَمِعُ لِقِرَاءَتِكَ البَارِحَةَ. لَقَدْ أُوتِيتَ مِزْمَارًا[3] مِنْ مَزَامِيرِ ءَالِ دَاوُدَ[4]**» فَقُلتُ: يَا رَسُولَ اللهِ لَوْ عَلِمتُ أَنَّكَ

---

(١) أي لم تكن شُرعت الصلاة على الميّت أي صلاة الجنازة بعدُ، وهي فرض كفاية بالإجماع بعد أن شُرعت في السنة الأولى من الهجرة على ما ذكره القليوبي في حاشيته على شرح المحلّي على المنهاج. Location 2126'12N 3949'42E

(٢) صحيح مسلم، مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب في الأمر بالتيسير وترك التنفير، (١٧٣٣). المسند، أحمد، (١٩٦٩٩).

(٣) أي صوتًا طيبًا.

(٤) وذكر الآلة صلة، والمعنى من مزامير داود نفسه، وقال الطيبي: «أي أُعطيتَ حسن صوتٍ يُشبه بعض الحسنِ الذي كان لصوت داود عليه الصلاة والسلام». شرح المشكاة، الطيبي.

تَستَمِعُ قِرَاءَتِي لَحَبَّرْتُهُ لَكَ تَحْبِيرًا[1][2].

وَفِي الصَّحِيحَينِ مِن حَدِيثِ أَبِي مُوسَى الأَشْعَرِيِّ رضي الله عنه قَالَ: خَرَجنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي غَزَاةٍ وَنَحنُ سِتَّةُ نَفَرٍ بَينَنَا بَعِيرٌ نَعْتَقِبُهُ. قَالَ: فَنَقِبَت أَقدَامُنَا وَنَقِبَت قَدَمَاي وَسَقَطَت أَظفَارِي، فَكُنَّا نَلُفُّ عَلَى أَرجُلِنَا الخِرَقَ؛ فَسُمِّيَت غَزوَةَ ذَاتِ الرِّقَاعِ لِمَا كُنَّا نَعصِبُ عَلَى أَرجُلِنَا مِنَ الخِرَقِ، قَالَ أَبُو بُردَةَ: فَحَدَّثَ أَبُو مُوسَى بِهَذَا الحَدِيثِ ثُمَّ كَرِهَ ذَلِكَ وَقَالَ: مَا كُنتُ أَصْنَعُ بِأَنْ أَذكُرَهُ. قَالَ: كَأَنَّهُ كَرِهَ أَنْ يَكُونَ شَيئًا مِن عملِهِ أَفْشَاهُ.

وَعَن أَبِي سَلَمَةَ قَالَ: كَانَ عُمَرُ بنُ الخَطَّابِ رضي الله عنه يَقُولُ لأَبِي مُوسَى: ذَكِّرْنَا رَبَّنَا تَعَالَى، فَيَقْرَأ[3].

وَعَن أَبِي عُثمَانَ النَّهدِيِّ قَالَ: «صَلَّى بِنَا أَبُو مُوسَى الأَشعَرِيُّ صَلَاةَ الصُّبحِ فَمَا سَمِعتُ صَوتَ صَنْجٍ وَلَا بَرْبَطٍ وَلَا نَايٍ» البَرْبَطُ: هُوَ المِزهَرُ الَّذِي يُضرَبُ عَلَيهِ «أَحسَنَ مِنْ صَوْتِهِ»[4].

وَعَن أَبِي كَبشَةَ السَّدُوسِيِّ قَالَ: خَطَبْنَا أَبُو مُوسَى الأَشعَرِيّ فَقَالَ: «إِنَّ الْجَلِيسَ الصَّالِحَ خَيْرٌ مِنَ الْوَحْدَةِ، وَالْوَحْدَةُ خَيْرٌ مِنْ جَلِيسِ السُّوءِ، مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ كَمَثَلِ صَاحِبِ العِطْرِ إِنْ لَا يُحذِكَ يَعْبَقْ بِكَ مِنْ رِيحِهِ، وَإِنَّ مَثَلَ جَلِيسِ السُّوءِ كَمَثَلِ صَاحِبِ الْكِيرِ إِنْ لَا يُحْرِقْ يَعْبَقْ بِكَ

---

(١) يريد تحسين الصوت وتزيينه.

(٢) المستدرك، الحاكم، كتاب معرفة الصحابة، ذكر مناقب أبي موسى الأشعري، (٥٩٦٦).

(٣) حلية الأولياء، أبو نعيم، (١/ ٢٢٤).

(٤) فتح الباري، ابن حجر، (٨/ ٧١٠).

مِنْ رِيحِهِ، أَلا وَإِنَّمَا سُمِّيَ الْقَلْبُ مِنْ تَقَلُّبِهِ، وَإِنَّ مَثَلَ الْقَلْبِ كَمَثَلِ رِيشَةٍ بِأَرْضٍ فَضَاءٍ تَطِيرُ بِهَا الرِّيحُ ظَهْرًا لِبَطْنٍ، أَلا وَإِنَّ مِنْ وَرَائِكُمْ فِتَنٌ كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ يُصْبِحُ الرَّجُلُ فِيهَا مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كَافِرًا، وَالْقَاعِدُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْقَائِمِ، وَالْقَائِمُ خَيْرٌ مِنَ الْمَاشِي، وَالْمَاشِي خَيْرٌ مِنَ الرَّاكِبِ»[1].

قَالُوا: فَمَا تَأْمُرُنَا؟ قَالَ: كُونُوا أَحْلَاسَ[2] الْبُيُوتِ[3].

وَعَنْ أَبِي كِنَانَةَ عَنْ أَبِي مُوسَى الأَشْعَرِيِّ أَنَّهُ جَمَعَ الَّذِينَ قَرَءُوا الْقُرْءَانَ فَإِذَا هُمْ قَرِيبٌ مِنْ ثَلَاثِمِائَةٍ، فَعَظَّمَ الْقُرْءَانَ وَقَالَ: إِنَّ هَذَا الْقُرْءَانَ كَائِنٌ لَكُمْ أَجْرًا، وَكَائِنٌ عَلَيْكُمْ وِزْرًا، فَاتَّبِعُوا الْقُرْءَانَ وَلَا يَتَّبِعَنَّكُمُ الْقُرْآنُ، فَإِنَّهُ مَنِ اتَّبَعَ الْقُرْءَانَ هَبَطَ بِهِ عَلَى رِيَاضِ الْجَنَّةِ، وَمَنْ تَبِعَهُ الْقُرْءَانُ زَخَّ فِي قَفَاهُ فَقَذَفَهُ فِي النَّارِ[4].

وَعَنْ أَنَسٍ أَنَّ أَبَا مُوسَى الأَشْعَرِيِّ كَانَ لَهُ تُبَّانٌ[5] يَنَامُ فِيهِ مَخَافَةَ أَنْ يَنْكَشِفَ.

وَعَنْ أَبِي مجلز قَالَ: قَالَ أَبُو مُوسَى: إِنِّي لَأَغْتَسِلُ فِي الْبَيْتِ الْمُظْلِمِ فَمَا أُقِيمُ صُلْبِي حَتَّى ءَاخُذَ ثَوْبِي حَيَاءً مِن رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ.

وَعَن قَسَامَةَ بنِ زُهَيرٍ قَالَ: خَطَبَنَا أَبُو مُوسَى فَقَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ ابْكُوا فَإِن لَم تَبكُوا فَتَبَاكَوا، فَإِنَّ أَهلَ النَّارِ يَبكُونَ الدُّمُوعَ حَتَّى تَنقَطِعَ، ثُمَّ

(١) كتاب الزهد، هناد ابن السري، (١/ ٢١٢).

(٢) جمع حلس وهي الأكسية التي توضع على ظهور الإبل وغيرها.

(٣) أي الزموا البيوت.

(٤) حلية الأولياء، أبو نعيم، (١/ ٢٢٤).

(٥) التبان بالضم والتشديد سراويل صغيرة مقدار شبر يستر العورة المغلظة وقد يكون للملاحين. مختار الصحاح، الرازي، (ص ٧٥).

يكونَ الدِّمَاءَ حَتَّى لو أُرسلت فِيهَا السُّفُن لجرت[1].

وَعَن أبِي بُرْدَةَ عَن أبِي مُوسَى قَالَ: خَرَجْنَا غَازِينَ فِي البَحْرِ، فَبَيْنَمَا نَحْنُ وَالرِّيحُ لَنَا طَيِّبَةٌ وَالشِّرَاعُ لَنَا مَرْفُوعٌ، فَسَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي: يَا أَهْلَ السَّفِينَةِ، قِفُوا أُخْبِرْكُمْ، حَتَّى وَالَى بَيْنَ سَبْعَةِ أَصْوَاتٍ، قَالَ أَبُو مُوسَى: فَقُمْتُ عَلَى صَدْرِ السَّفِينَةِ فَقُلْتُ: مَنْ أَنْتَ؟ وَمِنْ أَيْنَ أَنْتَ؟ أَوَمَا تَرَى أَيْنَ نَحْنُ؟ وَهَلْ نَسْتَطِيعُ وُقُوفًا؟ قَالَ: فَأَجَابَنِي الصَّوْتُ: أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِقَضَاءٍ قَضَاهُ اللهُ[2] عَزَّ وَجَلَّ عَلَى نَفْسِهِ؟ قَالَ: قُلْتُ: بَلَى أَخْبِرْنَا، قَالَ: فَإِنَّ اللهَ تَعَالَى قَضَى عَلَى نَفْسِهِ أَنَّهُ مَنْ عَطَّشَ نَفْسَهُ للهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي يَوْمٍ حَارٍّ كَانَ حَقًّا عَلَى اللهِ أَنْ يَرْوِيَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ. قَالَ: فَكَانَ أَبُو مُوسَى يَتَوَخَّى ذَلِكَ الْيَوْمَ الْحَارَّ الشَّدِيدَ الْحَرِّ الَّذِي يَكَادُ يَنْسَلِخُ فِيهِ الإِنْسَانُ فَيَصُومُهُ"[3].

وَعَن أَبِي إِدْرِيسَ قَالَ: صَامَ أَبُو مُوسَى الأَشْعَرِيّ حَتَّى عَادَ كَأَنَّهُ خِلَالٌ، فَقِيلَ لَهُ: لَوْ أَجْمَمْتَ نَفْسَكَ، فَقَالَ: أَيْهَاتَ إِنَّمَا يَسْبِقُ مِنَ الْخَيْلِ الْمُضَمَّرَةُ، قَالَ: وَرُبَّمَا خَرَجَ مِنْ مَنْزِلِهِ فَيَقُولُ لِامْرَأَتِهِ: شُدِّي رَحْلَكِ، فَلَيْسَ عَلَى جِسْرِ جَهَنَّمَ مَعْبَرٌ"[4].

عَنِ الضَّحَّاكِ بنِ عَبدِ الرَّحمَنِ بنِ عَرزَب قَالَ: دَعَا أَبُو مُوسَى فِتيَانَهُ حِينَ حَضَرَتهُ الوَفَاةُ فَقَالَ: اذهَبُوا فَاحفِرُوا وَأَوسِعُوا وَأَعمِقُوا. فَجَاؤُوا

(١) روى هذه الأحاديث الثلاثة الإمام أحمد رحمه الله في كتابه الزهد.

(٢) أي صام لله.

(٣) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه، والبيهقي في شعب الإيمان، وأبو نعيم في حلية الأولياء واللفظ له.

(٤) قصر الأمل، ابن أبي الدنيا، باب المبادرة بالعمل.

فَقَالُوا: قَد حَفرنَا وَأَوسَعنَا وَأَعمَقنَا، فَقَالَ: وَاللهِ إِنَّهَا لإِحدَى المَنزِلَتَينِ: إِمَّا لَيُوَسِعَنَّ عَلَى قَبرِي حَتَّى يَكُونَ كُلَّ زَاوِيَةٍ مِنهُ أَربَعِينَ ذِرَاعًا، ثُمَّ لَيُفْتَحَنَّ لِي بَابٌ إِلَى الجَنَّةِ فَلأَنظُرَنَّ إِلَى أَزوَاجِي وَمَنَازِلِي وَمَا أَعَدَّ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ لِي مِنَ الكَرَامَةِ، ثُمَّ لَيُصِيبُنِي مِن رِيحِهَا وَرَوْحِهَا حَتَّى أُبعَثَ، وَلَئِن كَانَتِ الأُخرَى - وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنهَا - لَيُضَيِّقَنَّ عَلَى قَبرِي حَتَّى أَكُونَ فِي أَضيَقَ مِنَ القَنَاةِ فِي الزُّجِّ(١)، ثُمَّ لَيُفتَحَنَّ لِي بَابٌ مِن أَبوَابِ جَهَنَّم فَلأَنظُرَنَّ إِلَى سَلَاسِلِي وَأَغلَالِي وَقُرَنَائِي، ثُمَّ لَيُصِيبُنِي مِن سَمُومِهَا وَحَمِيمِهَا حَتَّى أُبعَثَ(٢).

قَالَ أَصحَابُ السِّيَرِ: تُوفِّيَ أَبُو مُوسَى سَنَةَ اثنَتَينِ وَخَمسِينَ، وَقِيلَ: اثنَتَينِ وَأَربَعِينَ. وَقِيلَ: أَربَعٍ وَأَربَعِينَ، وَدُفِنَ بِمَكَّةَ.

عَبدُ اللهِ بنُ الزُّبَيْرِ بنِ العَوَّامِ
رضي الله عنه

يُكنَى أَبَا بَكر. أُمُّهُ أَسمَاءُ بنتُ أَبِي بَكرٍ الصِّدِّيقِ، وَأَبُوه أَحَدُ العَشَرَةِ، وَحَوَارِيّ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَجَدَّتهُ لأَبِيهِ صَفِيَّةُ بنتُ عَبْدِ المُطَّلِب عَمَّةُ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَعَمَّةُ أَبِيهِ خَدِيجَةُ الكُبْرَى أُمّ المُؤمِنِين، وَخَالَتُهُ عَائِشَةُ أُمّ المُؤمِنِين، وَهُوَ أَوَّلُ مَولُودٍ وُلِدَ للمُهَاجِرِينَ بِالمَدِينَةِ بَعدَ الهِجرَةِ. وَأَذَّنَ أَبُو بَكرٍ فِي أُذُنِهِ، وَحَنَّكَهُ رَسُولُ اللهِ بِتَمرَةٍ.

فَعَن هِشَامَ عَن أَبِيهِ عَن أَسمَاءَ أَنَّهَا حَمَلَت بِعَبدِ اللهِ بنِ الزُّبَيرِ بِمَكَّةَ.

---

(١) الزج هي الحديدة التي تكون أسفل الرمح.

(٢) تاريخ دمشق، ابن عساكر، (٣٢/٩٨). صفوة الصفوة، ابن الجوزي، (١/١٩٧).

قَالَت: فَخَرَجتُ بِهِ وَأَنَا مُتِمٌّ فَأَتَيتُ المَدِينَةَ فَنَزَلنَا بِقُبَاء فَوَلَدتُه بِقُبَاءَ ثُمَّ أَتَيتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ فِي حِجْرِهِ، ثُمَّ دَعَا بِتَمرَةٍ فَمَضغَهَا ثُمَّ تَفَلَ فِي فِيهِ فَكَانَ أَوَّل مَا دَخَلَ فِي جَوفِهِ رِيقُ رَسُولِ اللهِ ﷺ، قَالَت: ثُمَّ حَنَّكَهُ بِتَمرَةٍ ثُمَّ دَعَا لَهُ وَبَرَّكَ عَلَيهِ وَكَانَ أَوَّل مَولُودٍ وُلِدَ فِي الإِسلَامِ. أي أَوَّل مَولُودٍ بِالمَدِينَةِ بَعدَ الهِجْرَةِ.

قُتِلَ رَحِمَهُ اللهُ يَومَ الثُّلَاثَاءِ لِسَبع عَشرَةَ خَلَت مِن جُمَادَى الأُولَى سَنَةَ ثَلَاثٍ وَسَبعِينَ، وَهُوَ ابنُ اثنَتَينِ وَسَبعِينَ سَنَةً وَدُفِنَ فِي مَقبَرَةِ المَعلَاةِ[١].

عَبدُ الرَّحْمَنِ بنِ أَبِي بَكرٍ الصِّدِّيق
رضي الله عنه

اسمُهُ فِي الجَاهِلِيَّةِ عَبدُ الكَعبَةِ فَسَمَّاهُ النَّبِيُّ عَبدَ الرَّحمَنِ وَكَانَ مِن أَشجَعَ رِجَالِ قُرَيش، وَأَرمَاهُم بِسَهم، وَكَانَ شَاعِرًا مَجِيدًا، كَمَا كَانَ مِن أَفضَلِ فُرسَانِ الجَزِيرَةِ العَرَبِيَّةِ فِي زَمَانِهِ، وَقَفَ ضِدَّ المُسلِمِينَ فِي بَدرٍ، وَكَانَ أَحَدُ الرُّمَاةِ الَّذِينَ جَنَّدَتْهُم قُرَيش يَومَ أُحُدٍ.

تَأَخَّرَ إِسلَامُهُ حَتَّى هُدْنَة الحُدَيبِيَة، تُوفِّيَ سَنَةَ ٥٣هـ وَدُفِنَ فِي مَقبَرَةِ المَعلَاةِ[٢].

يُقَالُ: إِنَّهُ لَم يُدرِك النَّبِيَّ ﷺ أَربعةٌ وِلَاءً أَبٌ وَبَنُوهُ إِلَّا أَبَا قُحَافَةَ وابنُهُ أَبُو بَكرٍ وَابنُهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بنُ أَبِي بَكرٍ، وَابنُهُ مُحَمَّدُ بنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ.

---

(١) Location 21) 39.26'03N.) 49'40E

(٢) Location 21 39.26'09N.49'42E

سُمَيَّةُ بِنتُ الخَيَّاطِ

هِيَ أُمُّ عَمَّارَ بنِ يَاسِر، أَوَّلُ شَهِيدَةٍ استُشهِدَت فِي الإِسلَامِ، وَهِيَ مِمَّن بَذَلُوا أَروَاحَهُم لِإِعلَاءِ كَلِمَةِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، كَانَت سُمَيَّةُ مِنَ الأَوَّلِينَ الَّذِينَ دَخَلُوا فِي الدِّينِ الإِسلَامِيِّ، وَسَابِع سَبعَةٍ مِمَّن اعتَنَقُوا الإِسلَامَ بِمَكَّةَ.

نَالَت سُمَيَّةُ الشَّهَادَةَ بَعدَ أَن طَعَنَهَا أَبُو جَهلٍ بِحَرْبَة بِيَدِهِ فِي قَلبِهَا فَمَاتَت عَلَى أَثرِهَا، وَكَانَت سُمَيَّةُ حِينَ استُشهِدَت امرَأَةً عَجُوزًا، فَقِيرَةً، مُتَمَسِّكَةً بِالدِّينِ الإِسلَامِيِّ، ثَابِتَةً عَلَيهِ لَا يُزَحزِحُهَا عَنهُ أَحَد، وَكَانَ إِيمَانُهَا الرَّاسِخُ فِي قَلبِهَا هُوَ مَصدَرُ ثَبَاتِهَا وَصَبرِهَا عَلَى احتِمَالِ الأَذَى الَّذِي لَاقَتهُ عَلَى أَيدِي المُشرِكِينَ.

أَسمَاءُ بِنتُ أَبِي بَكرٍ الصِّدِّيق

أَسمَاءُ بِنتُ عَبدِ اللهِ بنِ عُثمَانَ أَبِي بَكرٍ الصِّدِّيق، وَقَد وُلِدَت قَبلَ بِعثَةِ النَّبِيِّ ﷺ بِأَربَعَة عَشرَ عَامًا، أَبُوهَا الصِّدِّيقُ أَبُو بَكرٍ ثَانِيَ اثنَينِ إِذ هُمَا فِي الغَار، وَزَوجُهَا الزُّبَيرُ بنُ العَوَّامِ مِنَ العَشرَةِ المُبَشَّرِينَ بِالجَنَّةِ، وَابنُهَا عَبدُ اللهِ بنُ الزُّبَيرِ أَمِيرُ المُؤمِنِينَ وَأَوَّلُ مَولُودٍ لِلمُهَاجِرِينَ بِالمَدِينَةِ، وَأُختُهَا لِأَبِيهَا أُمُّ المُؤمِنِينَ عَائِشَةُ رضي الله عنها، وَأَخُوهَا الصَّحَابِيُّ الجَلِيلُ عَبدُ اللهِ بنُ أَبِي بَكرٍ أَحَدُ العَبَادِلَةِ الأَربَعَةِ(١) الأَجِلَّاء، وَأَخُوهَا

(١) وهم عبد الله بن عمر، وعبد الله بن عباس، وعبد الله بن الزبير، وعبد الله بن عمرو بن العاص، وليس منهم عبد الله بن مسعود كما روي ذلك عن الإمام أحمد والبيهقي وغيرهم.

لأَبِيهَا الصَّحَابِيُّ الجَلِيلُ عَبدُ الرَّحمَنِ بنُ أَبِي بَكرٍ، كَانَت تُلَقَّب بِذَاتِ النِّطَاقَينِ سَمَّاهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ لأَنَّهَا هَيَّأَت لَهُ لَمَّا أَرَادَ الهِجرَةَ سُفرَةً فَاحتَاجَت إِلَى مَا تَشُدُّهَا بِهِ فَشَقَّت خِمَارَهَا نِصفَينِ فَشَدَّت بِنِصفِهِ السُّفرَةَ[1].

الفُضَيْلُ بنُ عِيَاضٍ
قُدوَةُ السَّالِكِين

هُوَ الإِمَامُ الصَّالِحُ الفُضَيْلُ بنُ مَسعُود بنِ بِشْر، القُدوَةُ الثَّبتُ شَيخُ الإِسلَامِ أَبُو عَلِيّ التَّيمِيُّ اليَرْبُوعِيُّ الخُرَاسَانِيُّ المُجَاوِرُ لِبَيتِ اللهِ المُعَظَّم.

وُلِدَ بِسَمَرقَندَ وَنَشَأَ بِأَبِيوَرْدَ يَقطَعُ الطَّرِيقَ بَينَ أَبِيوَردَ وَسَرْخَس، وَكَانَ سَبَبُ تَوْبَتِهِ أَنَّهُ عَشِقَ جَارِيَةً، فَبَيْنَا هُوَ يَرْتَقِي الجُدْرَانَ إِلَيْهَا، إِذْ سَمِعَ تَالِياً يَتْلُو: ﴿۞ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَـٰسِقُونَ ﴿١٦﴾﴾[2]، فَلَمَّا سَمِعَهَا قَالَ «بَلَى يَا رَبِّ قَد ءَانَ، اللَّهُمَّ إِنِّي تُبتُ إِلَيكَ»، وَارتَحَلَ فِي طَلَبِ العِلمِ عَاكِفًا عَلَى الاعتِرَافِ مِن بُحُورِهِ، يُزَيِّنُهُ الإِخلَاصُ وَتَقوَى اللهِ، حَتَّى كَانَ لَهُ شَأنٌ عَظِيمٌ، فَسُبحَانَ الهَادِي الَّذِي يَهدِي مَن يَشَاءُ.

ارتَحَلَ رضي الله عنه فِي طَلَبِ العِلمِ، فَكَتَبَ بِالكُوفَةِ عَنِ الأَعمَشِ

---

(١) Location 21 36.26'04N 49'40E.

(٢) سورة الحديد، آية (١٦).

وَلَيثٍ وَجعفرٍ الصَّادِقِ وَخَلْقٍ سِوَاهُم، وَحَدَّثَ عَنهُ الشَّافِعِيُّ وَابنُ المُبَارَكِ وَبِشرٌ الحَافِي وَالسَّرِيُّ السَقَطِيُّ وَأَسَدُ بنُ مُوسَى الأَمَوِيُّ المُلَقَّبُ بِأَسَدِ السُّنَّةِ وَنَاسٌ ءَاخَرُونَ. تَفَقَّهَ وَحَفِظَ وَبَرَعَ، وَعَكَفَ عَلَى العِبَادَةِ وَالاجتِهَادِ فِي الطَّاعَةِ حَتَّى سَبَقَ سَبقًا عَظِيمًا، وَجَاءَت شَهَادَاتُ العُلَمَاءِ دلَالَةٌ عَلَى عَظِيم شَأنِهِ وَرِفعَةِ قَدرِهِ، فَعَن إِبرَاهِيمَ بنِ مُحَمَّدٍ الشَّافِعِيِّ قَالَ: سَمِعتُ سُفيَانَ بنَ عُيَيْنَةَ يَقُولُ: «فُضَيلٌ ثِقَةٌ». وَعَنِ ابنِ مَهْدِيّ قَالَ: «فُضَيلٌ رَجُلٌ صَالِحٌ». وَقَالَ النَّسَائِيُّ: «ثِقَةٌ مَأْمُونٌ، رَجُلٌ صَالِحٌ». وَعَن مُحَمَّدِ بنِ سَعدٍ قَالَ: «وُلِدَ بِخُرَاسَانَ، بِكُورَةِ أَبِيوَرد، وَقَدِمَ الكُوفَةَ وَهُوَ كَبِيرٌ، فَسَمِعَ مِن مَنصُورَ بنِ المُعتَمِرِ وَغَيرِهِ ثُمَّ تَعَبَّدَ وَانتَقَلَ إِلَى مَكَّةَ وَنَزَلَها إِلَى أن مَاتَ بِهَا فِي أَوَّلِ سَنَةِ سَبعٍ وَثَمَانِينَ وَمِائَةٍ فِي خِلَافَةِ هَارُونَ الرَّشِيدِ، وَكَانَ ثِقَةً ثَبتًا فَاضِلًا عَابِدًا وَرِعًا كَثِيرَ الحَدِيثِ».

وَمِن أَخبَارِهِ رَحِمَهُ اللهُ، أَنَّهُ كَانَ شَدِيدَ الخَوفِ عَلَى نَفسِهِ، وَكَانَ يَقرَأُ القُرءَانَ، فَيَظهَرُ مِن خِلَالِ قِرَاءَتِهِ الحُزن وَالوَجْدِ وَشِدَّةِ الخَوفِ مِنَ اللهِ عَزَّ وَجلَّ، فَإِذَا مَرَّ بِآيَةٍ فِيهَا ذِكرُ الجَنَّةِ سَأَلَ اللهَ الجَنَّةَ، وَإِذَا مَرَّ بِآيَةٍ فِيهَا ذِكرُ عَذَابٍ استَعَاذَ بِاللهِ مِنَ النَّارِ، ثُمَّ هُوَ مَعَ ذَلِكَ كَثِيرَ الصَّلَاةِ، كَانَ يُلقَى لَهُ الحَصِيرُ فِي مَسجِدِهِ فَيُصَلِّي مِن أَوَّلِ اللَّيلِ مُدَّةً ثُمَّ تَغلِبُهُ عَينَاهُ فَيُلقِي عَلَى نَفسِهِ الحَصِيرَ فَيَنَامُ قَلِيلًا ثُمَّ يَقُومُ، فَإِذَا غَلَبَهُ النَّومُ نَامَ ثُمَّ يَقُومُ، وَهَكَذَا حَتَّى يُصبِحَ فَيَنصَرِفَ مِن عِبَادَةِ اللَّيلِ إِلَى عِبَادَةِ النَّهَارِ.

وَكَانَ رَحِمَهُ اللهُ صَحِيحَ الحَدِيثِ، صَدُوْقَ اللِّسَانِ، شَدِيْدَ الهَيْبَةِ لِلحَدِيْثِ إِذَا حَدَّثَ، وَرُبَّمَا حَدَّثَ فَتَتَغَيَّر حَالُهُ وَيَثقُلُ عَلَيهِ الكَلَامُ إِجلَالًا وَهَيبَةً لِكَلَامِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَكَانَ رضي الله عنه سَرِيعَ التَّأَثُّرِ بِمَا يَسمَعُ مِن قُرءَانٍ أَو مَوعِظَةٍ، غَزِيرَ الدَّمعِ، وَلَرُبَّمَا بَكَى أَحيَانًا حَتَّى يَرحَمُهُ مَن

يَحْضُرُهُ، وَكَانَ شَدِيدَ الفِكْرَةِ، يُرِيدُ بِعِلمِهِ وَجْهَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَكَانَ إِذَا خَرَجَ فِي جِنَازَةٍ لَا يَزَالُ يَعِظُ وَيَذْكُرُ وَيَبكِي كَأَنَّهُ مُوَدِّعٌ أَصحَابَهُ حَتَّى يَبلُغَ المَقَابِرَ فَيَجلِسَ بَينَ القُبُورِ مُتَّعِظًا بِالمَوتِ وَالأَموَاتِ فَيَشتَدُّ بِهِ البُكَاءُ حَتَّى يَقُومَ فَيَرجِعَ إِلَى دَارِهِ.

سُبحَانَ اللهِ، إِنَّ رَجُلًا بِهَذِهِ الصِّفَاتِ جَدِيرٌ بِهِ حَقًّا أَن يَكُونَ مِن أَعيَانِ السَّادَاتِ وَأَكَابِرِهِم مِمَّا جَعَلَ أَلسِنَةُ الأَعيَانِ تَلهَجُ بِفَضلِهِ وَذِكرِهِ، فَعَن أحمد بن أبي الحوارِيِّ عَنِ الهَيثَمِ بنِ جَمِيلٍ قَالَ: سَمِعتُ شَرِيكًا يَقُولُ: «لَمْ يَزَلْ لِكُلِّ قَوْمٍ حُجَّةٌ فِي أَهْلِ زَمَانِهِم، وَإِنَّ فُضَيْلَ بنَ عِيَاضٍ حُجَّةٌ لأَهْلِ زَمَانِه». وَفِي السِّيَرِ عَن مَردَوَيهِ قَالَ: «قَالَ لِي عَبدُ اللهِ بنُ المُبَارَكِ: إِنَّ الفُضَيلَ صَدَقَ اللهَ فَأَجرَى اللهُ الحُجَّةَ عَلَى لِسَانِهِ»، وَقَد جَاءَ عَن ابنِ المُبَارَكِ أَيضًا أَنَّهُ قَالَ فِي الفُضَيلِ: «إِنَّهُ مِنَ الأَبدَالِ» وَحَرِيٌّ بِمَن هُوَ مِنَ الأَبدَالِ أَن يَكُونَ كَمَا مَرَّ ذِكْرُهُ ذَا عِلمٍ وَوَرَعٍ وَعِبَادَةٍ وَصَلَاحٍ وَسَدَادٍ، فَعَن أَبِي بَكرٍ عَبدِ الرَّحمَنِ بنِ عَفَّانَ قَالَ: سَمِعتُ ابنَ المُبَارَكِ يَقُولُ: «مَا بَقِيَ فِي الحِجَازِ أَحَدٌ مِنَ الأَبدَالِ إِلَّا فُضَيْلُ بنُ عِيَاضٍ، وَابْنُهُ عَلِيٌّ»، وَنَاهِيكَ بِهَذَا فَضلًا وَشَرَفًا أَن يَكُونَ مِنَ الأَبدَالِ الَّذِين جَاءَ فِيهِم قَولِ الرَّسُولِ ﷺ: **«لَنْ تَخْلُوَ الأَرْضُ مِن أَرْبَعِينَ رَجُلًا مِثْلَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلِ الرَّحْمَنِ، فَبِهِمْ تُسْقَوْنَ وبِهِمْ تُنْصَرُونَ، مَا مَاتَ مِنهم أَحَدٌ إِلَّا أَبْدَلَ اللهُ مَكَانَهُ ءَاخَرَ»**[1]. وَالحَدِيثُ رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ فِي الأَوسَطِ مِن طَرِيقِ أَنَسِ بنِ مَالِكٍ.

---

(١) المعجم الأوسط، الطبراني، باب العين، من اسمه علي، (٤/ ٢٤٧).

بَينَ الفُضَيلِ وَهَارُونَ الرَّشِيدِ

كَانَ هَارُونَ الرَّشِيدِ رَحِمَهُ اللهُ يُكْرِمُ أَهلَ العِلمِ وَالفَضلِ، وَيَصِلُهُم وَيَقْتَبِسُ مِن أنوَارِهِم وَأَسرَارِهِم وَبَرَكَاتِهِم، فَاتَّصَل بِكَثِيرٍ مِن أَئِمَّةِ زَمَانِهِ كَالإِمَامِ مَالِكٍ وَالفُضَيلِ وَأَثنَى عَلَيهِمَا فِيمَا رَوَى الذَّهَبِيُّ فِي السِّيَرِ عَنِ النَّضرِ بنِ شُمَيل قَالَ: سَمِعتُ الرَّشِيدَ يَقُولُ: «مَا رَأَيتُ فِي العُلَمَاءِ أَهيَبَ مِن مَالِكٍ وَلَا أَورَعَ مِنَ الفُضَيلِ».

وَفِي خَبَرٍ ءَاخر أَنَّ الفُضَيلَ وَعَظَ الرَّشِيدَ مَرَّةً فَأَبلَغَ فِي القَولِ فَجَعَلَ الرَّشِيدُ يَبكِي حَتَّى جَاءَ الخَادِمُ وَالرَّشِيدُ يَبكِي وَيَشهَقُ، قَالَ الفُضَيلُ: فَحَمَلُونِي وَقَالُوا: اذْهَبْ بِسَلَامٍ. وَفِي حَادِثَةٍ طَوِيلَةٍ فِيهَا أَنَّ الرَّشِيدَ جَاءَ إِلَى بَيتِهِ مَعَ الفَضلِ بنِ الرَّبِيعِ، قَالَ الفَضلُ: فَأَتَيْنَاهُ، فَإِذَا هُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي، يَتْلُو آيَةً يُرَدِّدُهَا، فَقَالَ: اقْرَعِ البَابَ. فَقَرَعتُ، فَقَالَ: مَنْ هَذَا؟ قُلْتُ: أَجِبْ أَمِيرَ المُؤْمِنِيْنَ. قَالَ: مَا لِي وَلأَمِيرِ المُؤْمِنِيْنَ؟ قُلْتُ: سُبْحَانَ اللهِ! أَمَا عَلَيْكَ طَاعَةٌ؟ فَنَزَلَ، فَفَتَحَ البَابَ، ثُمَّ ارْتَقَى إِلَى الغُرفَةِ، فَأَطْفَأَ السِّرَاجَ، ثُمَّ الْتَجَأَ إِلَى زَاوِيَةٍ، فَدَخَلْنَا، فَجَعَلْنَا نَجُولُ عَلَيْهِ بِأَيْدِيْنَا، فَسَبَقَتْ كَفُّ هَارُوْنَ قَبْلِي إِلَيْهِ، فَقَالَ: يَا لَهَا مِنْ كَفٍّ مَا أَلْيَنَهَا إِنْ نَجَتْ غَداً مِنْ عَذَابِ اللهِ! فَقُلْتُ فِي نَفْسِي: لَيُكَلِّمَنَّهُ اللَّيْلَةَ بِكَلَامٍ نَقِيٍّ مِنْ قَلْبٍ تَقِيٍّ. فَقَالَ لَهُ: خُذْ لِمَا جِئنَاكَ لَهُ رَحِمَكَ اللهُ، فَبَسَطَ الفُضَيلُ بِكَلَامٍ مُؤَثِّرٍ يَعِظُ فِيهِ الرَّشِيدَ، قَالَ فِيهِ: إِنْ أَرَدْتَ النَّجَاةَ فَصُم الدُّنْيَا، وَلْيَكُنْ إِفْطَارُكَ مِنْهَا المَوْتَ. وَقَالَ: إِنْ أَرَدْتَ النَّجَاةَ مِنْ عَذَابِ اللهِ، فَأَحِبَّ لِلْمُسْلِمِيْنَ مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ، وَاكْرَه لَهُم مَا تَكرَهُ لِنَفْسِكَ، ثُمَّ مُتْ إِذَا شِئْتَ، وَإِنِّي أَقُوْلُ لَكَ هَذَا، وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكَ أَشَدَّ الخَوْفِ يَوْماً

تَزِلُّ فِيْهِ الأَقْدَامُ، فَهَلْ مَعَكَ رحمك الله من يُشِيْرُ عَلَيْكَ بِمِثْلِ هَذَا؟ قَالَ الفَضْلُ: فَبَكَى الرَّشِيدُ بُكَاءً شَدِيْدًا، حَتَّى غُشِيَ عَلَيْهِ. ثُمَّ أَفَاقَ فَقَالَ لَهُ: زِدْنِي رَحِمَكَ اللهُ، فَقَالَ: يَا حَسَنَ الوَجْهِ، أَنْتَ الَّذِي يَسْأَلُكَ اللهُ عَنْ هَذَا الخَلْقِ يَوْمَ القِيَامَةِ، فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَقِيَ هَذَا الوَجْهَ مِنَ النَّارِ، فَافْعَلْ، وَإِيَّاكَ أَنْ تُصْبِحَ وَتُمسِيَ وَفِي قَلْبِكَ غِشٌّ لأَحَدٍ مِنْ رَعِيَّتِك، قَالَ: فَبَكَى الرَّشِيدُ، ثُمَّ أَعطَاهُ أَلفَ دِينَارٍ، وَقَالَ: خُذهَا، فَأَنفِقهَا عَلَى عِيَالِكَ وَتَقَوَّى بِهَا عَلَى عِبَادَةِ رَبِّكَ. فَقَالَ: سُبْحَانَ اللهِ! أَنَا أَدُلُّكَ عَلَى طَرِيْقِ النَّجَاةِ، وَأَنْتَ تُكَافِئُنِي بِمِثْلِ هَذَا، سَلَّمَكَ اللهُ، وَوَفَّقَكَ. وَرَدَّ لَهُ المَالَ فَلَم يَأخُذهُ، ثُمَّ صَمَتَ، قَالَ الفَضْلُ: فَخَرَجْنَا، فَقَالَ الرَّشِيدُ: أَبَا عَبَّاسٍ! إِذَا دَلَلْتَنِي، فَدُلَّنِي عَلَى مِثْلِ هَذَا، هَذَا سَيِّدُ المُسْلِمِيْنَ اليَوْمَ. فَدَخَلَتْ عَلَيْهِ امْرَأَةٌ مِنْ نِسَائِهِ، فَقَالَتْ: قَدْ تَرَى مَا نَحْنُ فِيْهِ مِنَ الضِّيقِ، فَلَو قَبِلْتَ هَذَا المَالَ، فَلَمَّا سَمِعَ الرَّشِيدُ هَذَا الكَلَامَ قَالَ: نَدخُلُ فَعَسَى أَن يَقبَلَ المَالَ، فَلَمَّا عَلِمَ الفُضَيلُ صَعِدَ السَّطحَ فَجَلَسَ عَلَى بَابِ الغُرفَةِ، فَجَاءَ هَارُوْنُ فَجَلَسَ إِلَى جَنْبِهِ، فَجَعَلَ يُكَلِّمُهُ، فَلَا يُجِيْبُهُ، فَبَيْنَا نَحْنُ كَذَلِكَ، إِذْ خَرَجَتْ جَارِيَةٌ سَوْدَاءُ، فَقَالَتْ: يَا هَذَا! قَدْ آذَيْتَ الشَّيْخَ مُنْذُ اللَّيْلَةِ، فَانْصَرِفْ، فَانْصَرَفْنَا

جُملَةٌ مِن جَوَاهِرِ حِكَمِهِ

لَقَد غَلَبَ عَلَى الإِمَامِ الفُضَيلِ رَحِمَهُ اللهُ أَنْ كَانَ كَلَامُهُ تَعبِيرًا عَن وَرِعِهِ وَإِخلَاصِهِ وَشِدَّةِ شَفَقَتِهِ عَلَى المُسلِمِين وَنُصحِهِ لَهُم بِعِبَارَاتٍ عَظِيمَةٍ بَلِيغَةٍ سَدِيدَةٍ مَنظُومَةٍ كَحَبَّاتِ الدُّرِّ وَاللُّؤلُؤِ، فَمِمَّا يُؤثَرُ عَنهُ، عَنِ الحُسَينِ بنِ زِيَادٍ قَالَ: سَمِعتُ الفُضَيلَ كَثِيرًا يَقُولُ: «احفَظْ لِسَانَكَ، وَأَقبِلْ عَلَى شَأنِكَ، وَاعرِفْ زَمَانَكَ، وَأَخفِ مَكَانَكَ» أَي اترُك حُبَّ الظُّهُورِ وَالشُّهرَةِ فِي الدُّنيَا.

وَعَن هَارُونَ الرَّشِيدِ قَالَ: دَخلتُ عَلَيهِ فَقَالَ لِي: فَرِّغْ قَلْبَكَ لِلْحُزنِ وَلِلْخَوْفِ حَتَّى يَسْكُنَاهُ، فَيَقْطَعَاكَ عَنِ المَعَاصِي، وَيُبَاعِدَاكَ مِنَ النَّارِ.

وَعَن إبرَاهِيمَ بنِ الأشعَثِ عَنهُ قَالَ: «خَصلَتَانِ تُقَسِّيَانِ القَلبَ، كَثرَةُ الكَلَامِ وَكَثْرَةُ الأكلِ»، وَقَالَ: «مِن أخلَاقِ الأنبِيَاءِ: الحِلْمُ[1] وَالأنَاةُ[2] وَقِيَامُ اللَّيْلِ».

وَقالَ إبرَاهِيمُ بنُ الأشعَثِ: رَأَيتُ سُفيَانَ بنِ عُيينَةَ يُقَبِّلُ يَدَ الفُضَيلِ مَرَّتَينِ.

قَالَ الذَّهَبِيُّ فِي السِّيَرِ: «وَلِلفُضَيلِ رَحِمَهُ اللهُ مَوَاعِظ وَقَدَم رَاسِخ فِي التَّقْوَى، وَكَانَ يَعِيشُ مِن صِلَةِ ابنِ المُبَارَكِ وَنَحوِهِ مِن أهلِ الخَيرِ[3] وَيَمتَنِعُ مِن جَوَائِزِ المُلُوكِ.

وَفَاتُهُ

قَالَ بَعضُهُم كُنَّا جُلُوسًا عِندَ الفُضَيلِ، فَقُلنَا كَم سِنُّكَ؟ فَقَالَ:

بَلَغْتُ الثَّمَانِينَ أَوْ جُزْتُهَا فَمَاذَا أُؤَمِّلُ أَوْ أَنْتَظِرْ
عَلَتْنِي السِّنُون فَأَبلَينَنِي فَدُقَّ العِظَامُ وَكَلَّ البَصَرْ

وَبَعدَ حَيَاةٍ حَافِلَةٍ بِالجِدِّ وَالتَّقْوَى وَالزِّيَادَةِ فِي الخَيرِ وَالبَرَكَاتِ أَتَاهُ اليَقِينُ[4] وَقَد جَاوَزَ الثَّمَانِينَ مِن عُمرِهِ فَتُوفِّيَ فِي المُحَرَّمِ أَوَّلَ سَنَةِ سَبعٍ وَثَمَانِينَ وَمِائَةٍ مِنَ الهِجْرَةِ المُشَرَّفَةِ، وَكَانَت وَفَاتُهُ بِمَكَّةَ المُكَرَّمَة، وَهُوَ يَومَهَا شَيخُ الحِجَازِيِّين رَحِمَهُ اللهُ.

---

(١) العقل.
(٢) التثبت وترك العجلة المذمومة.
(٣) أي هداياهم.
(٤) أي الموت.

سُفيَانُ بنُ عُيَيْنَةَ بنِ أَبِي عِمْرَانَ

يُكْنَى أَبَا مُحَمَّدٍ، وَهُوَ مَوْلَى لِبَنِي عَبدِ اللهِ بنِ رُوَيْبَة. وُلِدَ بِالكُوفَةِ وَسَكَنَ مَكَّةَ.

عَن مُحَمَّدِ بنِ عُمَرَ قَالَ: أَنبأَ سُفيَانُ أَنَّهُ وُلِدَ سَنَةِ سَبعٍ وَمِائَةٍ وَكَانَ أَصلُهُ مِنَ الكُوفَةِ وكَانَ أَبُوهُ مِن عُمَّالِ خَالِدِ بنِ عَبدِ اللهِ القَسرِيِّ فَلَمَّا عُزِلَ خَالِدٌ عَنِ العِرَاقِ وَوُلِّيَ يُوسُف بن عُمَر الثَّقَفِيّ طَلَبَ عُمَّالَ خَالِدٍ فَهَرَبُوا مِنهُ فَلَحِقَ عُيَينَة بِمَكَّةَ فَنَزَلَهَا.

قَالَ الإِمَامُ الشَّافِعِيُّ: لَوْلَا مَالِكٌ وَسُفْيَانُ بنُ عُيَيْنَةَ، لَذَهَبَ عِلْمُ الحِجَازِ.

وَعَنْهُ قَالَ: وَجَدْتُ أَحَادِيْثَ الأَحكَامِ كُلَّهَا عِنْدَ ابْنِ عُيَيْنَةَ، سِوَى سِتَّةِ أَحَادِيْثَ، وَوَجَدتُهَا كُلَّهَا عِنْدَ مَالِكٍ سِوَى ثَلاثِيْنَ حَدِيْثاً.

تُوفِّي يَومَ السَّبتِ أَوَّلَ يَومٍ مِن رَجَب سَنَةَ ثَمَانٍ وَتِسعِينَ وَمِائَة وَدُفِنَ بِالحَجُونِ وَهُو ابنُ إِحدَى وَتِسعِينَ سَنَةً.

الإِمَامُ أَبُو القَاسِمِ القُشَيْرِيُّ
العَالِمُ المُصَنِّفُ الصُّوفِيُّ الأَشعَرِيُّ

هُوَ أَبُو القَاسِمِ عَبدُ الكَرِيم بن هَوَازِن بنِ عَبدِ المَلِكِ بنِ طَلحَةَ بنِ مُحَمَّدٍ القُشَيرِيّ، ذَكَرَ ابنُ خِلِّكَان أَنَّ أَصلَهُ مِن بَلدَةِ «أُستُوَا» مِنَ العَرَبِ الَّذِينَ قَدِمُوا خُرَاسَان، وُلِدَ سَنَةَ ثَلاثمائَةٍ وَسِتٍ وَسَبعِينَ للهِجرَةِ وَتُوفِّيَ وَالِدُهُ وَهُوَ صَغِيرٌ، وَكَانَت لَهُ أَرضٌ بِنَوَاحِي «أُستوا» فَرَأَى أَن يَحضُرَ إِلَى

نَيسَابُورَ لِيَتَعَلَّمَ طَرَفًا مِنَ الحِسَابِ لِيُعِينَهُ ذَلِكَ عَلَى استِيفَاءِ الخَرَاجِ، فَاتَّفَقَ حُضُورهُ مَجلِسَ الشَّيخِ أَبِي عَلِيٍّ الدَّقَّاقِ رَأسُ الصُّوفِيَّةِ فِي وَقتِهِ، فَسَمِعَ دُرُوسَهُ وَتَعَلَّمَ مِنهُ وَسَلَكَ طَرِيقَ الصُّوفِيَّةِ، وَأَشَارَ عَلَيهِ الدَّقَّاقُ بِالاشتِغَالِ بِالعِلمِ فَخَرَجَ إِلَى دَرسِ أَبِي بَكرٍ الطُّوسِيِّ فَتَفَقَّهَ عَلَى المَذهَبِ الشَّافِعِيِّ، ثُمَّ اختَلَفَ إِلَى الأُستَاذِ ابنِ فُورَك فَأَخَذَ مِنهُ عِلمَ الأُصُولِ حَتَّى أَتقَنَهُ عَلَى مَذهَبِ الإِمَامِ الأَشعَرِيِّ، وَتَرَدَّدَ أَيضًا إِلَى مَجلِسِ الأُستَاذِ أَبِي إِسحَاقَ الإِسفَرَايِينِيِّ فَأَخَذَ عَنهُ، وَأَخَذَ عَن عِدَّةِ مَشَايِخ كَأَبِي الحُسَينِ الخَفَّافِ الَّذِي أَخَذَ عَنهُ الحَدِيث وَأَبِي بَكرِ بنِ عَبدُوس وَأَبِي نُعَيم أَحمَدَ بنِ مُحَمَّدٍ المِهْرَجَانِيِّ[1]، وَعَلِيِّ بنِ أَحمَدَ الأَهوَازِيِّ وَابنِ بَاكُوَيْه الشِّيرَازِيِّ وَغَيرِهِم، حَتَّى صَارَ يُشَارُ إِلَيهِ بِالبَنَانِ وَكَثُرَ طُلَّابُهُ فِي الأَصقَاعِ.

ثَنَاءُ العُلَمَاءِ عَلَيهِ

ذَكَرَهُ التَّاجُ السُّبكِيُّ فِي طَبَقَاتِهِ فَقَالَ فِي مُقَدِّمَةِ تَرجَمَتِهِ: «الأُستَاذُ أَبُو القَاسِمِ القُشَيرِيُّ النَّيسَابُورِيُّ المُلَقَّبُ زَينُ الإِسلَامِ، الإِمَامُ مُطلَقًا وَصَاحِبُ الرِّسَالَةِ الَّتِي سَارَت مَغرِبًا وَمَشرِقًا، وَالبَسَالَةِ الَّتِي أَصبَحَ بِهَا نَجمُ سَعَادَتِهِ مُشرِقًا، وَالأَصَالَةِ الَّتِي تَجَاوَزَ بِهَا فَوقَ الفَرقَدِ وِرقًا، أَحَدُ أَئِمَّةِ المُسلِمِينَ عِلمًا وعَمَلًا وَأَركَانُ المِلَّةِ فِعلًا وَمَقُولًا، إِمَامُ الأَئِمَّةِ وَمُجلِي ظُلُمَاتِ الضَّلَالِ المُدْلَهِمَّة، أَحَدُ مَن يُقتَدَى بِهِ فِي السُّنَّةِ وَيَتَوَضَّح بِكَلَامِهِ طُرُقَ النَّارِ وَطُرُقَ الجَنَّةِ، شَيخُ المَشَايِخ وَأُستَاذُ الجَمَاعَةِ

(١) نسبةً إلى مدينة إسفرايين، ويقال لها المِهرجان لقبها بذلك كسرى قباذن فيروز لِحُسنها وخُضرتها وصحة هوائها. اللباب في تهذيب الأنساب، الجزري، (٣/ ٢٧٣).

وَمُقَدمُ الطَّائِفَةِ الجَامِعُ بَينَ أَشتَاتِ العُلُومِ».

مُؤَلَّفَاتُهُ

لَقَد كَانَ الإِمَامُ العَالِمُ الصُّوفِيُّ الشَّيخُ أَبُو القَاسِمِ القُشَيرِيُّ أَحَدُ الصُّوفِيَّةِ الصَّادِقِينَ المُتَحَقِّقِينَ، فَأَلَّفَ كِتَابَهُ الَّذِي سَمَّاهُ «الرِّسَالَةُ القُشَيرِيَّة»، وَهِيَ رِسَالَةٌ أَرَادَ فِيهَا المُؤَلِّفُ تِبيَانَ حَقِيقَةِ الصُّوفِيَّةِ، وَأَنَّ عَقِيدَتَهُم هِيَ عَقِيدَةُ تَوحِيدِ اللهِ وَتَنزِيهِهِ عَن مُشَابَهَةِ الخَلقِ وَكُلِّ مَا فِيهِ تَنقِيصٌ فِي حَقِّهِ تَعَالَى.

وَلَم يَكُن الإِمَامُ القُشَيرِيُّ أَوَّلَ مَن أَلَّفَ فِي التَّصَوُّفِ وَبَيَانِ حَالِ المُتَصَوِّفِين، فَقَد صَنَّفَ الحَافِظُ أَبُو نُعَيم كِتَابَهُ «حِليَةُ الأَولِيَاءِ وَطَبَقَاتُ الأَصفِيَاء»، مُرِيدًا بِذَلِكَ أَن يُمَيِّزَ الصُّوفِيَّةَ المُتَحَقِّقِينَ الصَّادِقِينَ مِن غَيرِهِم، وَذَلِكَ لأَنَّهُ حَصَلَ فِي زَمَانِهِ طَعنٌ فِي هَؤُلَاءِ الصُّوفِيَّةِ، وَادَّعَى أُنَاسٌ التَّصَوُّفَ وَهُم خِلَافَ مَا عَلَيهِ الصُّوفِيَّة فِي المُعتَقَدِ وَالقَولِ وَالعَمَلِ، فَبَدَأَ بِذِكرِ الخُلَفَاءِ الرَّاشِدِين لِيُثبِتَ أَنَّهُم مِن حَيثُ الحَقِيقَة زُهَّادٌ صُوفِيُّونَ مِنَ السَّلَفِ الصَّالِحِ.

فَتوَى القُشَيرِيّ فِي الإِمَامِ الأَشعَرِيّ:

حَدَثَ فِي زَمَنِ الإِمَامِ القُشَيرِيّ فِتنَةٌ عَظِيمَةٌ حِيكَت ضِدَّ الأَشَاعِرَةِ فَكَثُرَ سبهم وَسَب الإِمَامِ أَبِي الحَسنِ الأَشعَرِيّ، فَاسْتُفْتِيَ الإِمَامُ عَن عَقِيدَةِ الأَشعَرِيِّ فَكَتَبَ كِتَابًا جَاءَ فِيهِ: «اتَّفَقَ أَصحَابُ الحَدِيثِ أَنَّ أَبَا الحَسَنِ عَلِي بنَ إِسمَاعِيلَ الأَشعَرِيّ كَانَ إِمَامًا مِن أَئِمَّةِ أَصحَابِ الحَدِيثِ وَمَذهَبُهُ مَذهَبُ أَصحَابِ الحَدِيثِ، تَكَلَّمَ فِي أُصُولِ الدِّيَانَاتِ عَلَى طَرِيقَةِ أَهلِ السُّنَّةِ وَرَدَّ عَلَى المُخَالِفِينَ مِن أَهلِ الزَّيغِ وَالبِدَعِ، وَكَانَ عَلَى المُعتَزِلَةِ وَالمُبتَدِعِينَ مِن أَهلِ القِبلَةِ وَالخَارِجِينَ مِنَ المِلَّةِ سَيفًا مَسلُولًا. وَمَنْ

طَعَنَ فِيهِ أَو قَدَحَ أَو لَعَنَهُ أَو سَبَّهُ فَقَد بَسَطَ لِسَانَ السّوءِ فِي جَمِيعِ أَهلِ السُّنَّةِ. بَذَلْنَا خُطُوطنا طَائِعِينَ بِذَلِكَ فِي هَذَا الدَّرجِ فِي ذِي القِعدَةِ سَنَةَ سِتٍ وَثَلَاثِينَ وَأَربَعِمِائَةٍ. وَالأَمرُ عَلَى هَذِهِ الجُملَةِ المَذكُورَةِ فِي هَذَا الذِّكرِ». وَكَتَبَهُ عَبدُ الكَرِيمِ بنُ هَوَازِن القُشَيرِيّ.

تُوفِّيَ رَحِمَهُ اللهُ وَأَسكَنَهُ فَسِيحَ جَنَّاتِهِ وَنَفَعَنَا بِبَرَكَاتِهِ سَنَةَ أَربَعِمِائَةٍ وَخَمسٍ وَسِتِّينَ لِلهِجْرَةِ وَدُفِنَ فِي مَقبَرَةِ المَعْلَاةِ فِي مَكَّةَ المُكَرَّمَة.

ابنُ حَجَرٍ الهَيتَمِيُّ

هُوَ شِهَابُ الدِّينِ أَبُو العَبَّاسِ أَحمَدُ بنُ مُحَمَّدِ بنِ مُحَمَّدِ بنِ عَلِيِّ بنِ حَجَرٍ الهَيتَمِيُّ، فَقِيهٌ شَافِعِيٌّ، وُلِدَ فِي رَجَب سَنَةَ ٩٠٩هـ وَتُوفِّيَ فِي مَكَّةَ المُكَرَّمَة فِي رَجَب سَنَةَ ٩٧٣هـ وَدُفِنَ فِي مَقبَرَةِ المَعْلَاةِ فِي تُربَةِ الطَّبَرِيِّين.

وَكَذَلِكَ مِنَ الَّذِينَ دُفِنُوا فِي مَقْبَرَةِ المَعْلَاة: سَيِّدُنَا القَاسِمُ ابنُ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَهُوَ أَوَّلُ أَولَادِهِ ﷺ، وَعَبْدُ اللهِ وَهُوَ الطَّاهِرُ وَالطَّيِّبُ ابنُ رَسُولِ اللهِ ﷺ، سُمِّيَ بِذَلِكَ لأَنَّهُ وُلِدَ بَعْدَ النُّبُوَّةِ. الصَّحَابِيُّ الحَارِثُ بنُ عَوْفِ بنِ أَسَد. وَحَمْنَن بنُ عَوْف أَخُو عَبْد الرَّحْمَن بنِ عَوف. والصَّحَابِيُّ الجَلِيلُ خُبَيْبُ بنُ عَدِيّ. وَسَعْدُ بنُ خَوْلِيّ بن عَامِرِ العَامِرِيّ. وَسَمُرَة بنُ مُعَيْر الجُمَحِيّ، أَبُو مَحْذُورَةَ المُؤَذِّن، وَكَانَ مِن مُؤَذِّنِي رَسُولِ اللهِ ﷺ. وَشَيْبَةُ بنُ عُثْمَانَ بنِ طَلحَةَ القُرَشِيّ العَبْدَرِيّ، دَفَعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِفتَاحَ الكَعبَةَ إِلَيهِ وَإِلَى بن عَمِّهِ عُثْمَانَ بنِ طَلْحَةَ بِأَمْرِ اللهِ وَوَحْيِهِ. وَصَفْوَانُ بنُ أُمَيَّةَ بنِ خَلَف. وَأَبُو الطُّفَيْلِ عَامِرُ بنُ وَاثِلَةَ اللَّيْثِيّ، وَهُوَ ءَاخِرُ مَن مَاتَ مِمَّن رَأَى رَسُولَ اللهِ ﷺ. وَعُثْمَانُ بنُ عَامِرٍ أَبُو

قُحَافَةَ، وَالِدُ أَبِي بَكرٍ الصِّدِيق. وَيَاسِرُ بنُ عَامِرِ بنِ مَالِك، أَبُو عَمَّارَ ابنِ يَاسِر. وَالسَّيِّدَةُ زَيْنَبُ بِنتُ مَظْعُون، أُختُ عُثْمَانَ بنتُ مَظْعُون، زَوْجُ عُمَرَ بنِ الخَطَّابِ، أُمُّ عَبْدِ اللهِ بنِ عُمَرَ.

أُمُّ المُؤْمِنِينَ السَّيِّدَةُ مَيْمونَةُ بِنتُ الحَارِث

هِيَ السَّيِّدَةُ الجَلِيلَةُ مَيْمُونَةُ أُمُّ المُؤْمِنِينَ بِنتُ الحَارِثِ بنِ حَزَن بنِ بُجَيْرِ ابنِ الهُزْمِ بنِ رُوَيْبَةَ بنِ عَبْدِ اللهِ بنِ هِلَال بنِ عَامِرِ بنِ صَعْصَعَةَ الهِلَالِيَّةُ. زَوْجُ النَّبِيِّ ﷺ وَأُختُ أُمِّ الفَضْلِ زَوْجَةِ العَبَّاسِ وَخَالَةُ خَالِدِ بنِ الوَلِيدِ وَخَالَةُ ابنِ عَبَّاسٍ.

تَزَوَّجَهَا أَوَّلًا: مَسْعُوْدُ بنُ عَمْرٍو الثَّقَفِيُّ قُبَيْلَ البِعثَةِ فَفَارَقَهَا وَتزَوَّجَهَا أَبُو رُهْم ابنُ عَبْدِ العُزَّى فَمَاتَ. فَتَزَوَّجَ بِهَا النَّبِيُّ فِي وَقْتِ فَرَاغِهِ مِنْ عُمْرَةِ القَضَاءِ سَنَةَ سَبعٍ فِي ذِي القَعْدَةِ. وَبَنَى بِهَا بِسَرِفٍ. وَهِيَ رضي الله عنها ءاخِرُ زَوجَاتِ النَّبِيِّ ﷺ. وَهِيَ الَّتِي وَهَبَت نَفْسَهَا للنَّبِيِّ ﷺ، وَنَزَلَت فِيهَا ءَايَةٌ مِن ءَايَاتِ القُرءَانِ الكَرِيم: ﴿وَٱمۡرَأَةٗ مُّؤۡمِنَةً إِن وَهَبَتۡ نَفۡسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنۡ أَرَادَ ٱلنَّبِيُّ أَن يَسۡتَنكِحَهَا خَالِصَةٗ لَّكَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۗ﴾[1]، وَكَانَ اسْمُهَا بَرَّةَ فَسَمَّاهَا رَسُوْلُ اللهِ مَيْمُوْنَةَ، وَكَانَتْ رضي الله عنها مِنْ سَادَاتِ النِّسَاءِ.

تُوفِّيَت وَدُفِنَت فِي مَوضِعِ سَرِف الَّذِي تَزَوَّجَهَا فِيهِ ﷺ، وَيَقَعُ قَبلَ مَسجِدِ التَّنعِيمِ فِي مَكَّةَ بِـ ١٠ كم[2].

---

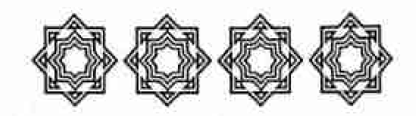
(١) سورة الأحزاب، آية (٥٠).

(٢) Location 2134’00N 3946’19E

عن يَزِيْدَ بنِ الأَصَمِّ قَالَ: دَفَنَّا مَيْمُوْنَةَ بِسَرِفٍ فِي الظُّلَّةِ الَّتِي بَنَى بِهَا فِيْهَا رَسُوْلُ اللهِ ﷺ وَقَدْ كَانَتْ حَلَقَتْ فِي الحَجِّ. نَزَلْتُ فِي قَبْرِهَا أَنَا وَابْنُ عَبَّاسٍ[1].

وَعَنْ عَطَاءٍ: تُوُفِّيَتْ مَيْمُوْنَةُ بِسَرِفٍ فَخَرَجْتُ مَعَ ابْنِ عَبَّاسٍ إِلَيْهَا فَقَالَ: إِذَا رَفَعْتُمْ نَعْشَهَا فَلَا تُزَلْزِلُوْهَا وَلَا تُزَعْزِعُوْهَا[2].

وَقِيْلَ: تُوُفِّيَتْ بِمَكَّةَ فَحُمِلَتْ عَلَى الأَعْنَاقِ بِأَمْرِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما إِلَى سَرِفٍ، وَقَالَ: ارْفقُوا بِهَا فَإِنَّهَا أُمُّكُمْ.



---

(١) سنن الترمذي، الترمذي، أبواب الحج عن رسول الله ﷺ ، (٨٤٥).

(٢) صحيح البخاري، البخاري، كتاب النكاح، باب كثرة النساء، (٥٠٦٧).

قِصَّةُ سَيِّدِنَا إِسمَاعِيلَ الذَّبِيح

قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى حِكَايَةً عَن سَيِّدِنَا إِبرَاهِيمَ عليه السلام: ﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٩٩﴾ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٠٠﴾ فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴿١٠٢﴾ فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَادَيْنَاهُ أَن يَا إِبْرَاهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ ﴿١٠٦﴾ وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿١٠٨﴾ سَلَامٌ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴿١٠٩﴾ كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١١٠﴾ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١١﴾﴾[1].

يَذْكُرُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَن خَلِيلِهِ إِبرَاهِيمَ عَلَيهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أَنَّهُ لَمَّا هَاجَرَ مِن بِلَادِ قَومِهِ الَّذِينَ كَانُوا يَعبُدُونَ الكَوَاكِبَ السَّبعَةَ، وَكَانَت لَهُم أَصنَامٌ بِشَكلِ الشَّمسِ وَالقَمَرِ وَأَصنَامٌ بِشَكلِ الكَوَاكِبِ، إِلَى حَيثُ يَتَمَكَّن مِن طَاعَةِ اللهِ وَعِبَادَتِهِ وَالجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللهِ، سَأَلَ رَبَّهُ أَن يَهبَهُ وَلَدًا صَالِحًا فَبَشَّرَهُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بِغُلَامٍ حَلِيمٍ وَهُوَ إِسمَاعِيلُ عليه السلام. لأَنَّهُ أَوَّلُ مَن وُلِدَ لَهُ عَلَى رَأسِ سِتٍّ وَثَمَانِينَ سَنَةً مِن عُمرِ إِبرَاهِيمَ عَلَيهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

وَمَعنَى قَولِهِ تَعَالَى: ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ﴾[2] الآيَة، أَي شَبَّ وَصَارَ يَسعَى فِي مَصَالِحِهِ الدُّنيَوِيَّةِ وَالأُخرَوِيَّةِ كَأَبِيهِ إِبرَاهِيمَ عَلَيهِمَا الصَّلَاةُ

(١) سورة الصافات، الآيات (٩٩ . ١١١).

(٢) سورة الصافات، آية (١٠٢).

وَالسَّلَامُ، لَكِن مَا كَانَ نَبِيًّا بَعدُ.

ثُمَّ رَأَى إِبرَاهِيمُ عليه السلام فِي مَنَامِهِ رُؤيا أَنَّ اللهَ تَعَالَى يَأمُرُهُ بِذَبحِ وَلَدِهِ إِسمَاعِيلَ، وَرُؤيَا الأَنبِيَاءِ وَحْيٌ، فَمَا كَانَ مِن نَبِيِّ اللهِ إِبرَاهِيمَ عَلَيهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بَعدَ أَن استَيقَظَ مِنَ النَّوم إِلَّا أَن سَارَعَ لِتَنفِيذِ أَمرِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى دُونَ تَرَدُّدٍ. فَأَخَذَ سِكِّينًا وَحَبلًا ثُمَّ انْطَلَق مَعَ ابنِهِ إِسمَاعِيلَ حَتَّى إِذَا ذَهَبَا بَينَ الجِبَالِ قَالَ لَهُ إِسمَاعِيلُ: «يَا أَبَتِ أَيْنَ قُرْبَانُكَ»؟ فَقَالَ لَهُ إِبرَاهِيمُ: ﴿قَالَ يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلۡمَنَامِ أَنِّيٓ أَذۡبَحُكَ فَٱنظُرۡ مَاذَا تَرَىٰۚ﴾[1]، يُقَالُ عَرَضَ إِبرَاهِيمُ ذَلِكَ عَلَى إِسمَاعِيلَ لِيَكُونَ أَطيَبَ لِقَلبِهِ وَأَهوَنَ عَلَيهِ مِن أَن يَأخُذَهُ قَسرًا وَيَذبَحَهُ قَهرًا، فَبَادَرَ إِسمَاعِيلُ الحَلِيمُ أَبَاهُ بِقَولِهِ: ﴿قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾[2]، فَكَانَ جَوَابُ إِسمَاعِيلَ لأَبِيهِ فِي غَايَةِ السَّدَادِ وَالطَّاعَةِ لأَبِيهِ إِبرَاهِيمَ. وَأَرَادَ إِسمَاعِيلُ أَن يُخَفِّفَ عَن أَبِيهِ لَوعَةَ الثُّكلِ وَيُرشِدَهُ إِلَى أَقرَبِ السُّبُلِ لِيَصِلَ إِلَى قَصدِهِ، فَقَالَ لأَبِيهِ إِبرَاهِيم «يَا أَبَتِ اجْعَل لِي وِثَاقًا وَأَحْكِم رِبَاطِي حَتَّى لَا أَضطَرِبَ، وَاكفُف عَنِّي ثِيَابَكَ حَتَّى لَا تَنتَضِحَ عَلَيكَ مِن دَمِي فَتَرَاهُ أُمِّي فَتَحزَن، وَأَسرِع مَرَّ السِّكِّينَ عَلَى حَلقِي لِيَكُونَ أَهوَنَ لِلمَوتِ عَلَيَّ، فَإِذَا أَتَيتَ أُمِّي فَاقرَأ عَلَيهَا السَّلَامَ مِنِّي» فَأَقبَلَ عَلَيهِ إِبرَاهِيمُ بِرَأفَةٍ وَحَنَانِ الآبَاءِ يُقَبِّلُهُ وَيَبكِي وَيَقُولُ لَهُ «نِعمَ العَوْنُ أَنتَ لِي يَا بُنَيَّ عَلَى أَمرِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ» وَلَم يَكُن إِسمَاعِيلُ نَبِيًّا لَمَّا أَرَادَ إِبرَاهِيمُ ذَبحَهُ، إِنَّما هُوَ صَارَ نَبِيًّا لِلعَرَبِ بَعدَ وَفَاةِ إِبرَاهِيمَ، قَالَ اللهُ تَعَالَى:

(١) سورة الصافات، آية (١٠٢).

(٢) سورة الصافات، آية (١٠٢).

﴿فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ۝١٠٣﴾[1]، أي فَلَمَّا اسْتَسْلَمَا لأمرِ اللهِ وَأَلقَاهُ لِيَذبَحَهُ أَمَرَّ إبراهِيمُ السِّكِّينَ عَلَى رَقَبَةِ وَلَدِهِ إسمَاعِيلَ فَلَم تَقطَع شَيئًا لأَنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَم يَشَأ لَهَا أن تَقطَعَ، لأَنَّ السِّكِّينَ لَا تَقطَعُ بِطَبعِهَا وَبِذَاتِهَا وَإِنَّمَا خَالِقُ القَطعِ هُوَ اللهُ تَعَالَى وَحدَهُ، وَالسِّكِّينُ سَبَبٌ للقَطعِ فَلَا تَقطَعُ إِلَّا بِمَشِيئَةِ اللهِ، فَاللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى خَالِقٌ للسِّكِّينِ أي خَالِقٌ للسَّبَبِ وَالمُسَبَّبِ، فَالأَسبَابُ لَا تَخلُقُ شَيئًا وَإِنَّما الخَالِقُ هُوَ اللهُ تَعالَى وَحدَهُ، كَمَا أَنَّ اللهَ هُوَ خَالِقُ الإحرَاقِ وَخَالِقُ النَّارِ الَّتِي هِيَ سَبَبٌ للإحرَاقِ، فَالنَّارُ لَم تَحرُق نَبِيَّ اللهِ إبرَاهِيمَ عِندَمَا أُلقِيَ فِيهَا لأَنَّ اللهَ تَعَالَى خَالِقُ الإحرَاقِ وَلَم يَشَأ لَهَا أَن تُحرِقَ نَبِيَّهُ إبرَاهِيمَ عليه السلام، يَقُولُ اللهُ جَلَّتْ قُدرَتُهُ: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾[2] وَعِندَمَا أَمَرَّ إبراهِيمُ عَلَيهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ السِّكِّينَ عَلَى رَقَبَةِ إسمَاعِيلَ لَم تَحُكَّ شَيئًا وَلَم تَقطَع.

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَنَٰدَيْنَٰهُ أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ۝١٠٤ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ۝١٠٥ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَٰٓؤُا۟ ٱلْمُبِينُ ۝١٠٦ وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ۝١٠٧﴾[3].

أَي أَنَّ اللهَ تَعَالَى خَلَّصَ إسمَاعِيلَ مِنَ الذَّبحِ بِأَن جَعَلَ فِدَاءً لَهُ كَبشًا[4] أَقرَنَ أَبيَضَ عَظِيمَ الحَجمِ وَالبَرَكَةِ، قِيلَ: كَانَ قَد رَعَى فِي الجَنَّةِ أَربَعِينَ سَنَةً فَذَبَحَهُ إبرَاهِيمُ بِمِنًى فِدَاءَ ابنِهِ إسمَاعِيل.

فَائِدَةٌ: لَمَّا أَرَادَ إبرَاهِيمُ ذَبحَ إسمَاعِيلَ تَنفِيذًا لأَمرِ اللهِ ظَهَرَ لَهُ إبلِيسُ

---

(١) سورة الصافات، آية (١٠٣).

(٢) سورة الزمر، آية (٦٢).

(٣) سورة الصافات، الآيات (١٠٤ . ١٠٧).

(٤) وقد ورد في الحديث: «خير الأضحية الكبش الأقرن»، فلحمه أحسن اللحوم.

ثَلاثَ مَرَّاتٍ عِندَ مَوضِعِ الجَمَرَاتِ الثَّلاثِ اليَومَ، وَذَلِكَ لِيُوَسوِسَ لَهُ بِالمَعصِيَةِ فَرَمَاهُ إِبرَاهِيمُ عَلَيهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ عِندَ هَذِهِ المَوَاضِعِ بِالحَصَى إِهَانَةً لَهُ، فَأُمَّةُ مُحَمَّدٍ ﷺ أُمِرُوا بِهَذَا الرَّمي إِحيَاءً لِسُنَّةِ نَبِيِّ اللهِ إِبرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَفِي ذَلِكَ رَمزٌ لِمَشرُوعِيَّةِ مُخَالَفَةِ الشَّيطَانِ وَإِهَانَتِهِ وَلَيسَ مَعنَى الجَمَرَاتِ أَنَّ الشَّيطَانَ يَسكُنُ هُنَاكَ.

فَتحُ مَكَّةَ

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴿١﴾ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٢﴾ وَيَنصُرَكَ ٱللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا ﴿٣﴾﴾[1].

بَعدَ صُلحِ الحُدَيبِيَةِ وَنَقضِ المُشرِكُونَ العَهدَ تَجَهَّزَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَأَمَرَ النَّاسَ بِالتَّجهِيزِ، وَخَرَجَ فِي النِّصفِ الأَوَّلِ مِن رَمَضَانَ، وَلَقِيَهُم أَبُو سُفيَانَ فَأَسلَمَ، ثُمَّ ذَهَبَ بِأَمرِ الرَّسُولِ فَنَادَى: يَا مَعشَرَ قُرَيشٍ هَذَا مُحَمَّدٌ قَد جَاءَكُم بِمَا لَا قِبَلَ لَكُم بِهِ، فَمَن دَخَلَ دَارِي فَهُوَ ءَامِنٌ، وَمَن دَخَلَ المَسجِدَ فَهُوَ ءَامِنٌ، وَمَن أَغلَقَ بَابَهُ فَهُوَ ءَامِنٌ، ثُمَّ قَالَ: يَا مَعشَرَ قُرَيشٍ أَسلِمُوا تَسلَمُوا.

ثُمَّ دَخَلَ المُسلِمُونَ مَكَّةَ فَقَاتَلَهُم بَعضُ المُشرِكِينَ، فَقَتَلَ خَالِدُ بنُ الوَلِيدِ ثَلاثَةَ عَشَرَ رَجُلًا وَانهَزَمَ البَاقُون، وَلَمَّا وَصَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَى طُوًى وَقَفَ عَلَى رَاحِلَتِهِ وَقَد وَضَعَ رَأسَهُ تَوَاضُعًا للهِ عَلَى مَا أَكرَمَهُ بِهِ مِنَ الفَتحِ وَقَرَأَ سُورَةَ الفَتحِ ثُمَّ دَخَلَ مَكَّةَ، وَوَقَفَ عَلَى بَابِ الكَعبَةِ

---

(١) سورة الفتح، الآيات (١ . ٣).

وَقَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ، صَدَقَ وَعْدَهُ، وَنَصرَ عَبْدَهُ وَهَزَمَ الأَحْزَابَ وَحْدَهُ، ثُمَّ قَالَ: «يَا مَعشَرَ قُرَيشٍ مَا تَرَوْنَ أَنِّي فَاعِلٌ بِكُم»؟ قَالُوا: خَيرًا، أَخٌ كَرِيمٌ وَابنُ أَخٍ كَرِيمٍ، قَالَ: «اذْهَبُوا فَأَنْتُمُ الطُّلَقَاءُ»[1].

وَطَافَ بِالكَعبَةِ وَدَخَلَهَا وَصَلَّى فِيهَا وَكَانَ هُنَاكَ ثَلَاثُمِائَةٍ وَسِتُّونَ صَنَمًا، فَكَانَ يُشِيرُ إِلَيهَا بِقَضِيبٍ بِيَدِهِ وَهُوَ يَقرَأُ: ﴿وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾﴾[2].

فَلَم يَبقَ صَنَمٌ إِلَّا سَقَطَ لِوَجهِهِ، ثُمَّ بَايَعَ النَّاسَ وَأَمَرَ بِلَالًا أَن يُؤَذِّنَ عَلَى ظَهرِ الكَعبَةِ وَخَطَبَ خُطبَتَهُ المَشهُورَةَ.

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ﴿١﴾ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ﴿٢﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا ﴿٣﴾﴾[3].

إِنَّ المُتَتَبِّعَ للانتِصَارَاتِ البَاهِرَةِ الَّتِي أَحرَزَهَا المُسلِمُونَ فِي المَاضِي يَجِدُ أَنَّ كَثِيرًا مِنهَا كَانَت فِي شَهرِ رَمَضَانَ المُبَارَكِ.

فَالمَعرَكَةُ الأُولَى بَينَ أَهلِ التَّوحِيدِ وَأَهلِ الشِّركِ مَعرَكَةُ بَدرٍ الكُبرَى فِي شَهرِ رَمَضَانَ المُبَارَكِ، وَنَصرُ اللهِ وَالفَتحُ المُبِينُ فَتحُ مَكَّةَ كَانَ فِي شَهرِ رَمَضَانَ، وَفَتحُ الأَندَلُسِ عَلَى يَدِ طَارِقَ بنِ زِيَادٍ، وَمَعرَكَةُ جَالُوت الَّتِي قَضَى فِيهَا المُسلِمُونَ عَلَى الزَّحفِ التَّتَارِيِّ البَغِيضِ وَانكِسَارِ الرُّومِ فِي تَبُوكَ كُلُّ ذَلِكَ وَغَيرُهُ كَانَ فِي شَهرِ رَمَضَانَ العَظِيمِ.

---

(١) الروض الأنف، السهيلي، (٧/ ٣٤).

(٢) سورة الإسراء، آية (٨١).

(٣) سورة االنصر، آية (١ . ٣).

النَّصرُ وَالفَتحُ المُبِينُ إِنَّهُ ذَلِكَ الفَتحُ العَظِيمُ فَتحُ مَكَّةَ الَّذِي جَعَلَ الحَرَمَ الأَمِينَ فِي ظِلِّ الإسلَامِ والمُسلِمِينَ وَالَّذِي ارتَفَعَت فِيهِ رَايَةُ الإِسلَامِ عَالِيَةً خَفَّاقَةً عَلَى أَفضَلِ البِلَادِ وَأَقدَسِهَا وَأَعَزِّهَا مَكَانَةً عِندَ اللهِ سُبحَانَهُ وَتَعَالَى.

فِي شَهرِ رَمَضَانَ مِنَ السَّنَةِ الثَّامِنَةِ للهِجرَةِ خَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي عَشرَةِ ءَالَافٍ مِن أَصحَابِهِ قَاصِدًا مَكَّةَ المُكَرَّمَةَ فَلَمَّا فَتَحَهَا اللهُ لَهُم ثُمَّ طَافُوا بِالبَيتِ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُؤُوسَهُم وَمُقَصِّرِينَ، وَكَانَ فَتحًا مُبِينًا دَخَلَ النَّاسُ بَعدَهُ فِي دِينِ اللهِ أَفوَاجًا، وَكَانَ ذَلِكَ بَعدَ أَن أَخرَجَهُ قَومُهُ مِن مَكَّةَ وَءَاذَوهُ وَصَحبَهُ فَهَاجَرَ إِلَى المَدِينَةِ المُنَوَّرَةِ فِي رِعَايَةِ اللهِ وَحِفظِهِ حَيثُ أَمَرَهُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَأَسَّسَ فِيهَا أَعظَمَ الدَّعَائِمِ لِقِيَامِ دَولَةِ الحَقِّ، وَرَبَّى فِيهَا النُّفُوسَ العَظِيمَةَ الَّتِي كَانَت الرَّعِيلَ الأَوَّلَ لِخَيرِ أُمَّةٍ أُخرِجَت للنَّاسِ.

خُرُوجُ الرَّسُولِ نحوَ مَكَّةَ: لَمَّا عَقَدَ رَسُولُ اللهِ ﷺ النِّيَّةَ عَلَى الجِهَادِ لِفَتحِ مَكَّةَ، تَجَهَّزَ وَأَمَرَ النَّاسَ للتَّجهِيزِ إِلَى مَكَّةَ وَقَالَ: «**اللَّهُمَّ خُذِ العُيُونَ وَالأَخبَارَ عَن قُرَيشٍ حَتَّى نَبْغَتَهَا**[1] **فِي بِلَادِهَا**»[2] وَمَضَى رَسُولُ اللهِ ﷺ لِسَفَرِهِ وَاستَخلَفَ عَلَى المَدِينَةِ كُلثُومَ بنِ حُصَينٍ وَخَرَجَ لِعَشرٍ مِن رَمَضَانَ، فَصَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَصَامَ النَّاسُ مَعَهُ.

وَكَانَ جَيْشُ المُسلِمِينَ يَشتَمِلُ عَلَى الأَنصَارِ وَالمُهَاجِرِينَ وَكَثِير مِنَ القَبَائِلِ، وَعِندَمَا وَصَلَ إِلَى مَوضِعِ الظَّهرَانِ أَمَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِأَن يُوقِدَ المُسلِمُونَ عَلَى رُؤُوسِ المُرتَفعَاتِ المُطِلَّةِ عَلَى مَكَّةَ، وَرَأَت قُرَيش

(١) أي بغتة فجأة.

(٢) السيرة النبوية، ابن هشام، (٤/٣٩٧).

النِّيرَانَ فَأَسرَعَ أَبُو سُفيَان وَبَعض القَوم بِالخُرُوجِ بِاتِّجَاهِ مَصَادِرِ النِّيرَانِ، وَكَانَ العَبَّاسُ بنُ عَبدِ المُطَّلِبِ قَد خَرَجَ لَيلًا مِن مُعَسكَرِ المُسلِمِينَ فِي مُهِمَّةٍ، فَالتَقَى بِأَبِي سُفيَانَ وَقَالَ لَهُ: هَذَا رَسُولُ اللهِ ﷺ قَدِمَ إِلَيكُم بِمَا لَا قِبَلَ لَكُم بِهِ بِعَشَرَةِ ءَالَافٍ مِنَ المُسلِمِينَ، فَقَالَ لَهُ أَبُو سُفيَان فَمَا تَأمُرُنِي؟ فَطَلَبَ العَبَّاسُ مِن أَبِي سُفيَانَ أَن يَذهَبَ مَعَهُ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَلَمَّا كَانَ الصَّبَاحُ جِيءَ بِأَبِي سُفيَانَ فَلَمَّا رَءَاهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ قَالَ لَهُ: «**وَيْحَكَ يَا أَبَا سُفيَان أَلَم يَئِن لَكَ أَن تَعلَمَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الله؟ وَيْحَكَ يَا أَبَا سُفيَانَ أَلَم يَئِن لَكَ أَن تَعلَمَ أَنِّي رَسُولُ الله؟**»[1] فَتَشَهَّدَ أَبُو سُفيَان وَدَخَلَ فِي دِينِ الإِسلَام، وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَن دَخَلَ دَارِ أَبِي سُفيَان فَهُوَ ءَامِن، وَمَن أَغلَقَ بَابَهُ فَهُوَ ءَامِن، وَمَن دَخَلَ المَسجِدَ فَهُوَ ءَامِن**»[2]، ثُمَّ عَادَ أَبُو سُفيَان إِلَى مَكَّةَ وَكَانَ كِبَارَ القَومِ فِي مَكَّةَ مُجتَمِعِينَ يَتَشَاوَرُونَ فِي الأَمرِ وَبَينَمَا هُم عَلَى هَذِهِ الحَال إِذَا بِصَوتِ أَبِي سُفيَانَ قَائِلًا: يَا مَعشَرَ قُرَيشٍ هَذَا مُحَمَّدُ جَاءَكُم فِيمَا لَا قِبَلَ لَكُم بِهِ، فَمَن دَخَلَ دَارَ أَبِي سُفيَانَ فَهُوَ ءَامِن، وَمَن أَغلَقَ عَلَيهِ بَابَهُ فَهُوَ ءَامِن، فَتَفَرَّقَ النَّاسُ إِلَى دِيَارِهِم وَإِلَى المَسجِدِ.

دُخُولُ مَكَّةَ: وَقَسَّمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ الجُيُوشَ إِلَى عِدَّةِ أَقسَامٍ لِدُخُولِ مَكَّةَ، المَيسَرَةُ بِقِيَادَةِ الزُّبَيرِ بنِ العَوَّام، وَالمَيمَنَةُ بِقِيَادَةِ خَالِدِ بنِ الوَلِيدِ، وَقُوَّاتُ الأَنصَارِ بِقِيَادَةِ سَعدِ بنِ عُبَادَةَ، وَقُوَّاتُ المُهَاجِرِينَ بِقِيَادَةِ أَبِي عُبَيدَةَ بنِ الجَرَّاحِ، دَخَلَ المُسلِمُونَ مَكَّةَ مِن جِهَاتِهِم الأَربَع فَلَم يَلقَوا

---

(١) **المعجم الكبير**، الطبراني، (٨/ ١٢). **الدلائل النبوة**، البيهقي، (٥/ ٣٤). **تاريخ دمشق**، ابن عساكر، (٢٤/ ٤٤٩).

(٢) صحيح مسلم، مسلم، كتاب الجهاد، باب فتح مكة، (١٧٨٠).

مُقَاوَمَةٌ بِاستِثنَاءِ القِسمِ الَّذِي كَانَ يَقُودُهُ خَالِدُ بنُ الوَلِيدِ، فَقَد تَجَمَّعَ بَعضُ القُرَشِيِّينَ مَعَ حُلَفَائِهِم مِن بَنِي بَكرٍ فِي مَحَلَّةِ الخَندَمَةِ، فَلَمَّا وَصَلَتهَا قُوَّاتُ سَيِّدِنَا خَالِد قَذَفُوهَا بِوَابِل مِن سِهَامِهِم وَلَكِنَّ المُسلِمِينَ حَمَلُوا عَلَيهِم وَشَتَّتُوهُم وَأَرغَمُوهُم عَلَى الفِرَارِ وَهَكَذَا تَمَّ فَتحُ مَكَّةَ فِي شَهرِ رَمَضَانَ المُبَارَك.

قُل جَاءَ الحَقُّ وَزَهَقَ البَاطِلُ: وَلَمَّا دَخَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مَكَّةَ كَانَت عَلَيهِ عِمَامَةٌ سَوداء فَوَقَفَ عَلَى بَابِ الكَعبَةِ وَقَالَ: «**لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحدَهُ صَدَقَ وَعدَهُ وَنَصرَ عَبدَهُ وَهَزَمَ الأَحزَابَ وَحدَهُ**»[1]، ثُمَّ قَالَ: «**يَا مَعشَرَ قُرَيشٍ مَا تَرَونَ أَنِّي فَاعِلٌ بِكُم؟**»، **قَالُوا: خَيرًا، أَخٌ كَرِيمٌ وَابنُ أَخٍ كَرِيمٍ، قَالَ: «اذهَبُوا فَأَنتُمُ الطُّلَقَاءُ»**[2].

وَطَافَ بِالكَعبَةِ سَبعًا وَدَخَلَهَا وَصَلَّى فِيهَا، وَكَانَ عَلَى الكَعبَةِ ثَلَاثُمِائَةٍ وَسِتُّونَ صَنَمًا وَكَانَ بِيَدِهِ قَضِيبٌ فَكَانَ يُشِيرُ إِلَى الأَصنَامِ وَهُوَ يَقرَأُ: ﴿وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾﴾[3]، ثُمَّ بَايَعَ النَّاسُ رَسُولَ اللهِ ﷺ، وَلَمَّا جَاءَ وَقتُ الظُّهرِ أَمَرَ بِلَالًا الحَبَشِيَّ رضي الله عنه أن يُؤَذِّنَ عَلَى ظَهرِ الكَعبَةِ، وَهَكَذَا ارتَفَعَت رَايَةُ الإِسلَامِ وَعَلَا نِدَاءُ الحَقِّ وَالإِيمَانِ وَجَاءَ نَصرُ اللهِ وَالفَتحُ وَدَخَلَ النَّاسُ فِي الدِّينِ الحَقِّ أَفوَاجًا، كَيفَ لَا وَالإِسلَامُ هُوَ الدِّينُ الَّذِي ارتَضَاهُ اللهُ لَنَا وَأَمَرَنَا بِاتِّبَاعِهِ، فَهُوَ الدِّينُ الَّذِي يُخرِجُ النَّاسَ مِن ظُلُمَاتِ الكُفرِ وَالضَّلَالِ إِلَى أَنوَارِ الإِيمَانِ وَالهِدَايَةِ.

---

(١) سنن أبي داود، أبو داود، أول كتاب الديات، (٤٥٤٧).

(٢) الروض الأنف، السهيلي، (٧/٣٤).

(٣) الإسراء، آية (٨١).

الـمَدِينَةُ الـمُنَوَّرَةُ زَادَهَا اللهُ شَرَفًا

دُخُولُ الـمَدِينَةِ

إِذَا تَوَجَّهَ المُسَافِرُ قَاصِدًا زِيَارَةَ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَمَسجِدِهِ الشَّرِيف فَليُكثِر مِنَ الصَّلَاةِ وَالتَّسلِيم عَلَيهِ ﷺ فِي طَرِيقِهِ، وَلْيَستَحضِر فِي قَلبِهِ شَرَفَ المَدِينَةِ، وَأَنَّهَا أَفضَلُ الأَرضِ بَعدَ مَكَّةَ عِندَ بَعضِ العُلَمَاءِ، وَعِندَ بَعضِهِم أَفضَلُهَا مُطلَقًا.

وَلْيَستَشعِر عِندَ قُربِ الدُّخُولِ عَظَمَةَ المَكَانِ وَليَتَذَكَّر ثَنِيَّةَ زِينَةَ البُلْدَانِ وَالحرَّةَ مَعَ سَقِيفَةِ بَنِي سَعدٍ شَاهِدَتَانِ وَبَلَدِ الحَبِيبِ مَعَ الأَنصَارِ دومًا فِي ازْدِيَانٍ.

إِنَّهَا دَارُ الهِجرَةِ وَالإِيمَانِ وَتُسَمَّى كَذَلِكَ بِطَيبَةَ وَالـمَجبُورَةَ وَالمَحبُوبَة والمُنَوَّرَة وَالمَعصُومَةَ مِنَ المَسِيحِ الدَّجَّالِ الَّذِي لَا يَدخُلُهَا.

اعْلَم أَيُّهَا الحَاجُّ الكَرِيمُ بِأَنَّ تِلكَ الحَضرَةَ العَلِيَّةَ كَمَا هُوَ مَطلُوبٌ فِي كُلِّ حَالٍ تَتَطَلَّبُ أَدَبَينِ؛ وَاحِدٌ مَعَ اللهِ وَءَاخَر مَعَ صَفِيِّهِ المُصطَفَى ﷺ.

الأَوَّلُ يَتَطَلَّبُ تَعظِيمَ الشَّعَائِرِ وَحِفظَ الحُدُودِ الشَّرعِيَّةِ الظَّاهِرَة وَالبَاطِنَة.

أَمَّا ءَادَابُ الزِّيَارَةِ فَأَن تَعلَمَ يَقِينًا بِأَنَّكَ وَاقِفٌ بَينَ يَدَيهِ وَأَنَّهُ ﷺ يَسمَعُكَ وَيَرُدُّ عَلَيكَ السَّلَامَ وَأَنَّ كُلَّ أَعمَالَ أُمَّتِهِ تَرِدُ عَلَيهِ[1].

---

(١) أي الأعمال التي تُعرَض عليه هي أعمال الذين لم يرتدُّوا، أما هؤلاء الذين يقال له عنهم «لا تدري ما أحدثوا بعدك» فهؤلاء مرتدون فلا تُعرض عليه أعمالهم، فلا تعارض بين=

بَلِّغْهُ عَلَيهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ مَا كَانَ عِندِي مِن وَصَايَا الأحبَابِ.

وَمِن ءَادَابِ الزِّيَارَةِ أَلَّا تَرفَعَ صَوتَكَ وَتَجتَنِبَ الالتِفَاتَ فِي تِلكَ اللَّحَظَاتِ لأَنَّهُ وَسِيلَتُكَ وَوَسِيلَةُ أَبِيكَ ءَادَمَ عليه السلام إِلَى اللهِ تَعَالَى.

اعْلَم أَيُّهَا الأَخُ الكَرِيمُ الـمُحِبُّ لِرَسُولِهِ العَظِيمِ بِأَنَّكَ وَاقِفٌ بَينَ يَدَيهِ وَارِدٌ عَلَيهِ يَسمَعُكَ وَيَرُدُّ عَلَيكَ وَأَنَّهُ وَسِيلَتُكَ وَوَسِيلَةُ أَبِيكَ ءَادَمَ عَلَيهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قَبلَكَ، كَمَا جَاءَ عَنِ الإِمَامِ مَالِكٍ عِندَمَا سَأَلَهُ الأَمِيرُ أَبُو جَعفَرٍ المَنصُورِ هَل يَستَقبِلَ القِبلَةَ أَمْ قَبرَ النَّبِيِّ ﷺ...؟

قَالَ لَهُ الإِمَامُ مَالِك: وَلَم تَصرِفُ وَجهَكَ عَنهُ وَهُوَ وَسِيلَتُكَ وَوَسِيلَةُ أَبِيكَ ءَادَمَ عليه السلام إِلَى اللهِ تَعَالَى بَل اسْتَقْبِلْهُ وَاسْتَشْفِعْ بِهِ فَيُشَفِّعْكَ الله.

بَعدَ ذَلِكَ مَشَيتُ قَدرَ خَطوَةٍ وَاستَحضَرتُ وُقُوفِي بَينَ يَدَي خَلِيفَةِ الإِسلَامِ سَيِّدِنَا أَبِي بَكرٍ الصِّدِّيقِ الأَعظَمِ رضي الله عنه لأَنَّهُ قُربَ مَنكِبِ حَبِيبِهِ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَسَيِّدِنَا عُمَر رضي الله عنه قُربَ مَنْكِبِ أَبِي بَكرٍ.

وَمِمَّا قَالَهُ أَهلُ الصَّلَاحِ إِنَّهُ يَفِيدُ لإِجَابَةِ الدُّعَاءِ تِلَاوَةِ الآيَةِ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ۝٥٦﴾[1]، ثُمَّ تُصَلِّي سَبعِينَ مَرَّةً عَلَى النَّبِيِّ بِصِيغَةِ «اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ وَعَلَى ءَالِهِ وَصَحبِهِ وَسَلِّم» أَو بِأَيِّ صِيغَةٍ أُخرَى ثُمَّ تَدعُو المَولَى عَزَّ وَجَلَّ عِندَ نَبِيِّهِ المَحبُوب.

صَلَّيتُ عَلَى الحَبِيبِ وَسَلَّمتُ، ثُمَّ بَعدَ ذَلِكَ خَرَجتُ مِن بَابِ البَقِيعِ لأَزُورَ أَهْلَ الشَّأْنِ الرَّفِيعِ المَدفُونِينَ قُربَ خِيرَةِ خَلقِ اللهِ.

= حديث «تُعرض عليَّ أعمالكم» وهذا الحديث، هكذا قال بعض العلماء.

(١) سورة الأحزاب، آية (٥٦).

سَلَّمْتُ عَلَى السَّيِّدَةِ عَائِشَةَ رضي الله عنها وَالزَّوْجَاتِ، كُلُّهُنَّ لَنَا أُمَّهَات، وَنَظَرتُ إِلَى تُربَةٍ احتَضَنَت البَنَات، وَتَذَكَّرتُ أَوَّلَ مَدفُونٍ بِهَا عُثمَانُ بنُ مَظعُون، ثُمَّ وَلَدُ الحَبِيبِ إِبرَاهِيم، وَفَاطِمَةُ بِنتُ أَسَدٍ أُمّ أَسَدِ الله وَبَابِ مَدِينَةِ العُلُومِ مَولَانَا عَلِيّ، وَكَذَا سَيِّدُنَا عُثمَانَ مَع جَمعٍ غَفِيرٍ مِنَ الصَّحَابَةِ الكِرَامِ.

ثُمَّ زُرتُ السَّيِّدَةَ فَاطِمَةَ الزَّهرَاء فَقُلتُ لَهَا: السَّلَامُ عَلَى الأُمِّ الغَرَّاءِ بِضعَةٍ مِن إِمَامِ الأَنبِيَاءِ.

وَبَكَتِ العَينُ عِندَ رُؤيَةِ العُظَمَاءِ المَوجُودِينَ بِالبِقَاعِ، وَعُدتُ إِلَى المَسجِدِ فَصَلَّيتُ وَانتَظَرتُ العِشَاءَ وَشَكَرتُ اللهَ عَلَى عَظِيمِ النَّعمَاءِ، ثُمَّ قُمتُ بِزِيَارَةِ مَسجِدِ قُبَاء الَّذِي قَالَ فِيهِ سَيِّدُ الأَنبِيَاءِ ﷺ: «مَنْ تَطَهَّرَ فِي بَيْتِهِ ثُمَّ أَتَى مَسْجِدَ قُبَاءَ فَصَلَّى فِيهِ صَلَاةً، كَانَ لَهُ كَأَجْرِ عُمْرَةٍ»[1].

عَلَيكَ أَيُّهَا المُحِبُّ الكَرِيمُ الزَّائِرُ أَن تَغتَنِمَ فُرصَةَ وُجُودِكَ فِي هَذِهِ الأَرضِ الطَّيِّبَةِ بِكَثرَةِ تِلَاوَةِ القُرءَانِ.

عَلَيكَ أَيُّهَا الوَافِدُ الكَرِيمُ بِالاجتِهَادِ وَالحِرصِ عَلَى أَن تُصَلِّيَ كُلَّ أَوقَاتِكَ بِالمَسجِدِ النَّبَوِيِّ الشَّرِيفِ وَالإِكثَارِ مِنَ النَّوَافِلِ، وَاعْلَمْ بِأَنَّ كُلَّ صَلَاةٍ فِيهِ تَعدِلُ أَلفًا كَمَا جَاءَ فِي الحَدِيثِ: «صَلَاةٌ فِي مَسْجِدِي هَذَا خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ صَلَاةٍ فِيمَا سِوَاهُ، إِلَّا المَسْجِدَ الحَرَامِ»[2].

---

(١) سنن ابن ماجه، ابن ماجه، كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، باب ما جاء في الصلاة في مسجد قباء، (١٤١٢).

(٢) صحيح البخاري، البخاري، كتاب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة، (١١٩٠).
صحيح مسلم، مسلم، كتاب الحج، باب فضل الصلاة بمسجدي مكة والمدينة، (١٣٩٤).

وَإِيَّاكَ وَفُضُولَ الحَدِيثِ وَالجَدَلِ وَكَثْرَةِ الكَلَامِ بِمَا لَا خَيرَ فِيهِ، وَعَلَيكَ بِالاستِغفَارِ وَالصَّلَاةِ عَلَى النَّبِيِّ المُختَارِ ﷺ وَلَا يعتَرِيكَ المَلَل.

وَفِيمَا نَأْتِي نَتَنَاوَلُ الكَلَامَ عَلَى المَسجِدِ النَّبوِيِّ الشَّرِيفِ وَالآثَارِ المَوجُودَةِ فِيهِ البَاقِيَةِ إِلَى يَومِنَا هَذَا، ثُمَّ نَتَطَرَّقُ بِعَونِ اللهِ إِلَى الثَّمَرَاتِ الَّتِي يَجنِيهَا الزَّائِرُ لِسَيِّدِنَا رَسُولِ اللهِ عَلَيهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَالأَمَاكِنِ الطَّيِّبَةِ.

زِيَارَةُ قَبْرِهِ
وَأَنَّهَا سُنَّةٌ مِن سُنَنِ المُسلِمِينَ مُجمَعٌ عَلَى سُنِّيَّتِهَا

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾[1].

وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ زَارَ قَبْرِي وَجَبَتْ لَهُ شَفَاعَتِي» رَوَاهُ الدَّارقُطنِيُّ[2] وَالبَيهَقِيُّ[3] وَصَحَّحَهُ الحَافِظُ تَقِيُّ الدِّينِ السُّبكِيُّ[4] بِشَوَاهِدِهِ فَإِنَّ أَحَدَ رُوَاتِهِ مُتَكَلَّمٌ فِيهِ لَكِنَّ شَوَاهِدَهُ تَعضُدُه. وَهَذَا الحَدِيثُ فِيهِ دَلِيلٌ وَاضِحٌ وَبُرهَانٌ سَاطِعٌ عَلَى مَشرُوعِيَّةِ زِيَارَةِ قَبرِ النَّبِيِّ ﷺ وَأَنَّ زَائِرَهُ يَنَالُ خَيرًا عَظِيمًا بِثُبُوتِ شَفَاعَةَ النَّبِيِّ ﷺ لَهُ كَمَا وَرَدَ فِي الحَدِيثِ. وَسُنِّيَّةُ زِيَارَةِ قَبرِ الرَّسُولِ ﷺ هِيَ مِنَ الأُمُورِ الَّتِي أَجمَعَ أَئِمَّةُ الاجتِهَادِ الأَربَعَةِ وَغَيرُهُم عَلَيهِ مِنَ السَّلَفِ وَالخَلَفِ، وَمِمَّن صَرَّحَ بِاستِحبَابِهَا

---

(١) سورة النساء، ءاية (٦٤).

(٢) سنن الدارقطني، الدارقطني، (م١/ج٢/ ص٢١٧).

(٣) شعب الإيمان، البيهقي، (٣/ ٤٩٠).

(٤) شفاء السقام في زيارة خير الأنام، تقي الدين السبكي، (ص١٢ . ١٤).

وَكَونِهَا سُنَّةً مِنَ الشَّافِعِيَّةِ الإِمَامُ الرَّافِعِيُّ وَالإِمَامُ الغَزَالِيُّ فِي إِحيَاءِ عُلُومِ الدِّينِ وَالإِمَامُ البَغَوِيُّ فِي التَّهذِيبِ وَالشَّيخُ عِزُّ الدِّينِ ابنُ عَبدِ السَّلَامِ فِي مَنسَكِهِ وَأَبُو عَمرِو بنُ الصَّلَاحِ وَأَبُو زَكَرِيَّا النَّوَوِيّ.

وَمِنَ الحَنَابِلَةِ الشَّيخُ مُوَفَّقُ الدِّينِ وَالإِمَامُ أَبُو الفَرَجِ البَغدَادِيُّ، وَمِنَ الحَنَفِيَّةِ صَاحِبُ المُختَارِ فِي شَرحِهِ وَعَدَّهَا مِن أَفضَلِ المَندُوبَاتِ وَالمُستَحَبَّاتِ، وَمِنَ المَالِكِيَّةِ القَاضِي عِيَاضٌ، فَقَد حَكَى الإِجمَاعَ فِي هَذِهِ المَسأَلَةَ، وَقَالَ الشَّيخُ عَبدُ البَاسِطِ الفَاخُورِيُّ مُفتِي وِلَايَةِ بَيرُوتَ فِي زَمَنِهِ فِي كِتَابِهِ الكِفَايَة لِذَوِي العِنَايَة[1]: «وَزِيَارَتُهُ فِي المَدِينَةِ كَزِيَارَتِهِ حَيًّا وَهُوَ فِي حُجرَتِهِ حَيٌّ يَرُدُّ عَلَى مَن سَلَّمَ عَلَيهِ وَهِيَ مِن أَنجَحِ المَسَاعِي وَأَهَمّ القُربَاتِ وَأَفضَلِ الأَعمَالِ وَأَزكَى العِبَادَاتِ، وَقَالَ هِيَ مُتَأَكِّدَةٌ مَطلُوبَةٌ مُستَحَبَّةٌ. وَالزِّيَارَةُ تَكُونُ بَعدَ صَلَاةِ رَكعَتَي تَحِيَّةِ المَسجِدِ وَتَحصُلُ بِالسَّلَامِ عَلَيهِ عِندَ قَبرِهِ الشَّرِيفِ، وَالأَدَبُ فِي ذَلِكَ أَن يُقَابِلَ الزَّائِرُ الجِدَارَ مُتَنَحِّيًا نَحوَ أَربَعَةِ أَذرُعٍ غَاضًّا طَرفَهُ مُمتَلِئَ القَلبِ بِالإِجلَالِ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ فَيَقُولُ بِصَوتٍ مُتَوَسِّطٍ: «السَّلَامُ عَلَيكَ يَا رَسُولَ اللهِ، السَّلَامُ عَلَيكَ يَا نَبِيَّ اللهِ، السَّلَامُ عَلَيكَ يَا خِيرَةَ اللهِ، السَّلَامُ عَلَيكَ يَا حَبِيبَ اللهِ، السَّلَامُ عَلَيكَ يَا صَفوَةَ اللهِ، السَّلَامُ عَلَيكَ يَا سَيِّدَ المُرسَلِينَ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ، السَّلَامُ عَلَيكَ يَا خَيرَ الخَلقِ أَجمَعِين، السَّلَامُ عَلَيكَ يَا قَائِدَ الغُرِّ المُحَجَّلِينَ، السَّلَامُ عَلَيكَ وَعَلَى ءَالِكَ وَأَهلِ بَيتِكَ وَأَزوَاجِكَ وَأَصحَابِكَ الطَّيِّبِينَ الطَّاهِرِينَ، السَّلَامُ عَلَيكَ وَعَلَى سَائِرِ الأَنبِيَاءِ وَالمُرسَلِينَ» اهـ. وَلَا يَنبَغِي أَن يَخلِيَ مَوقِفَهُ ذَلِكَ مِنَ الصَّلَاةِ عَلَى النَّبِيِّ

---

(١) الكفاية لذوي العناية، عبد الباسط الفاخوري، (ص/١٢٣).

ﷺ، وَمَن اقتَصَرَ أَو اختَصَرَ عَلَى قَولِهِ السَّلَامُ عَلَيكَ يَا رَسُولَ اللهِ، ثُمَّ تَنَحَّى إِلَى اليَمِينِ مِقدَارَ ذِرَاعٍ فَسَلَّمَ عَلَى الصِّدِّيقِ رضي الله عنه، ثُمَّ تَنَحَّى قَدرَ ذَلِكَ وَسَلَّمَ عَلَى الفَارُوقِ رضي الله عنه، ثُمَّ عَادَ إِلَى مَوقِفِهِ الأَوَّلِ فَقَدَ أَدَّى السَّلَامَ كَمَا يَنبَغِي، ثُمَّ يَتَوَسَّلُ بِالمُصطَفَى ﷺ فِي نَفسِهِ وَيَتَشَفَّعُ بِهِ إِلَى رَبِّهِ، ثُمَّ يَستَقبِلُ القِبلَةَ وَلَا بَأسَ إِن استَقْبَلَ النَّبِيَّ ﷺ وَدَعَا كَمَا قَالَ مَالِكٌ لِلخَلِيفَةِ المَنصُورِ: بَل أَستَقبِلُهُ وَأَدعُو. رَوَاهُ القَاضِي عِيَاضٌ وَالسُّبكِيُّ، وَيَدعُو لِنَفسِهِ وَلِمَن شَاءَ وَإِن أَوصَاهُ أَحَدٌ بِالسَّلَامِ فَليَقُل السَّلامُ عَلَيكَ يَا رَسُولَ اللهِ مِن فُلَان، أَو يَقُولَ فُلَانٌ يُسَلِّمُ عَلَيكَ يَا رَسُولَ اللهِ.

فَقَد رَوَى الحَاكِمُ فِي المُستَدْرَكِ مِن حَدِيثِ أَبِي هُرَيرَةَ رضي الله عنهم أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**لَيَهْبِطَنَّ عِيسَى ابنُ مَرْيَمَ حَكَمًا عَدْلًا وَإِمَامًا مُقْسِطًا وَلَيَسْلُكَنَّ فَجًّا حَاجًّا أَوْ مُعْتَمِرًا أَوْ بِنِيَّتِهِمَا وَلَيَأْتِيَنَّ قَبْرِي حَتَّى يُسَلِّمَ عَلَيَّ وَلَأَرُدَّنَّ عَلَيْهِ**» صَحَّحَهُ الحَاكِمُ[1] وَوَافَقَهُ الذَّهَبِيُّ، وَرَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ الطَّيَالِسِيُّ بِلَفْظِ: «**وَلَيَسْلُكَنَّ فَجَّ الرَّوْحَاءِ**».

وَلَيسَ لِلمَانِعِينَ مِنَ السَّفَرِ لِزِيَارَةِ قَبرِهِ ﷺ مُتَمَسَّكٌ فِي حَدِيثِ: «**لَا تُشَدُّ الرِّحَالُ إِلَّا إِلَى ثَلَاثَةِ مَسَاجِدَ المَسجِدِ الحَرَامِ وَالمَسجِدِ الأَقْصَى وَمَسْجِدِي هَذَا**» رَوَاهُ البُخَارِيُّ[2] لِأَنَّ هَذَا الحَدِيثَ مَخصُوصٌ بِالمَسَاجِدِ أَي لَا مَزِيَّةَ فِي السَّفَرِ إِلَى مَسجِدٍ لِلصَّلَاةِ فِيهِ إِلَّا فِي السَّفَرِ إِلَى أَحَدِ هَذِهِ المَسَاجِدِ الثَّلَاثَةِ لِأَنَّ تِلكَ المُضَاعَفَةَ إِلَى مِائَةِ أَلف، وَأَلْف، وَخَمسُمِائَة

---

(١) المستدرك، الحاكم، (٢/ ٥٩٥).

(٢) صحيح البخاري، البخاري، كتاب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة، (١١٩٧).

خَاصَّة بِهَا، فَمَن سَافَرَ لِلصَّلَاةِ إِلَى أَحَدِهَا حَصَلَ عَلَى المُضَاعَفَةِ الَّتِي لَا تَحصُلُ فِي مَسجِدِ بَلَدِهِ فَلَا مَزِيَّةَ فِي السَّفَرِ إِلَى ذَلِكَ المَسجِدِ كَمَا يُؤخَذُ ذَلِكَ مِن رِوَايَةِ الإِمَامِ أَحمَدَ[1] فِي مُسنَدِهِ مِن طَرِيقِ شَهرِ بنِ حَوْشَبٍ قَالَ: ذَكَرتُ عِندَ أَبِي سَعِيدٍ الخُدرِيِّ الصَّلَاةَ فِي الطُّورِ فَقَالَ أَبُو سَعِيدٍ: إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**لَا يَنْبَغِي لِلمَطِيِّ أَنْ تُشَدَّ رِحَالُهُ إِلَى مَسْجِدٍ يُبْتَغَى فِيهِ الصَّلَاةُ غَيْرَ المَسْجِدِ الحَرَامِ وَالمَسْجِدِ الأَقْصَى وَمَسْجِدِي هَذَا**»، فَبِهَذَا الحَدِيثِ يُفَسّر حَدِيثُ: «**لَا تُشَدُّ الرِّحَالُ إِلَّا إِلَى ثَلَاثَةِ مَسَاجِدَ**» لَا بِقَولِ ابنِ تَيمِيَةَ، فَإِنَّهُ احتَجَّ بِهَذَا الحَدِيثِ عَلَى تَحْرِيمِ السَّفَرِ لِزِيَارَةِ قَبرِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ الحَافِظُ ابنُ حَجَرٍ فِي الفَتْحِ: وَهَذَا مِن أَبشَعِ المَسَائِلِ المَنسُوبَةِ لَهُ، أَي ابن تَيمِيَةَ، وَخَيرُ مَا يُفَسَّر بِهِ الحَدِيث الحَدِيث، قَالَ الحَافِظُ العِرَاقِيُّ فِي أَلفِيَّتِهِ (رجز): وَخَيرُ مَا فَسَّرتَهُ بِالوَارِدِ. وَأَمَّا قَولُ مَالِك: «أَكرَهُ أَن يَقُولَ زُرتُ قَبرَ النَّبِيِّ» فَقَد حَملَهُ أَصحَابُهُ أَي أَهل مَذهَبِهِ عَلَى أَنَّهُ كَرِهَ هَذَا اللَّفظَ أَدَبًا فَلَا حُجَّةَ فِيهِ لابنِ تَيمِيَةَ، لأَنَّ مَالِكًا رَأَى أَنَّ قَولَ الزَّائِرِ زُرتُ النَّبِيَّ أَوْلَى بِالأَدَبِ مِن أَن يَقُولَ زُرتُ قَبرَ النَّبِيِّ ﷺ، وَهَذَا تَوجِيهٌ وَجِيهٌ.

وَقَالَ الإِمَامُ اللُّغَوِيُّ الفَيرُوزءَابَادِي فِي كِتَابِهِ «الصِّلَاتُ وَالبِشر فِي الصَّلَاةِ عَلَى خَيرِ البَشَر»[2]: وَأَمَّا زِيَارَةُ قَبرِهِ فَالإِجمَاعُ عَلَى استِحبَابِهَا لِلرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ. وَمِنْهَا أَنَّ الإِجمَاعَ عَلَى جَوَازِ شَدِّ الرِّحَالِ لِلتِّجَارَةِ وَتَحصِيلِ المَنَافِعِ الدُّنيَوِيَّةِ فَهَذَا أَولَى لأَنَّهُ مِن أَعظَمِ المَصَالِحِ الأُخرَوِيَّةِ،

(١) مسند الإمام أحمد، أحمد بن حنبل، مسند أبي سعيد الخدري، (١١٦٠٩).
(٢) الصِّلات والبِشر في الصلاة على خير البشر، (ص/١٤١).

وَمِنهَا إِجمَاعُ النَّاسِ العَمَلِيّ عَلَى زِيَارَتِهِ ﷺ وَشَدِّ الرِّحَالِ إِلَيهِ بَعدَ الحَجِّ مِن بَعدِ وَفَاتِهِ إِلَى زَمَنِنَا هَذَا، وَمِنهَا الإِجمَاعُ القَولِيّ، قَالَ الإِمَامُ أَبُو الحَسَن عَلِيُّ بنُ خَلَف المَعْرُوف بِابْنِ بَطَّال فِي شَرْحِ البُخَارِي[1]: «وَالأُمَّةُ مُجمِعَةٌ عَلَى زِيَارَةِ قَبْرِ الرَّسُولِ ﷺ، وَأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ رضي الله عنهما، وَلَا يَجُوزُ عَلَى الإِجْمَاعِ الخَطَأ» اهـ

قَالَ ابنُ هُبَيرَةَ[2]: «اتَّفَقَ مَالِك وَالشَّافِعِيُّ وَأَبُو حَنِيفَةَ وَأَحمَدُ بنُ حَنبلٍ - رَحِمَهُم اللهُ تَعَالَى - عَلَى أَنَّ زِيَارَةَ النَّبِيِّ ﷺ مُستَحَبَّةٌ» اهـ

وَقَالَ أَبُو الفَضلِ القَاضِي: «زِيَارَةُ قَبرِهِ ﷺ سُنَّةٌ مِن سُنَنِ المُسلِمِين مُجْمَعٌ عَلَيهَا». ثُمَّ إِنَّ بِلَالًا رَأَى فِي مَنَامِهِ النَّبِيَّ ﷺ وَهُوَ يَقُولُ لَهُ: مَا هَذِهِ الجَفوَةَ يَا بِلَالُ! أَمَا ءَانَ لَكَ أَن تَزُورَنِي يَا بِلَال! فَانتَبَهَ حَزِينًا وَجِلًا خَائِفًا فَرَكِبَ رَاحِلَتَهُ وَقَصَدَ المَدِينَةَ فَأَتَى قَبرَ النَّبِيِّ ﷺ فَجَعَلَ يبكِي عَينَيهِ وَيُمَرِّغُ وَجهَهُ عَلَيهِ، فَأَقبَلَ الحَسَنُ وَالحُسَينُ فَجَعَلَ يَضُمُّهُمَا وَيُقَبِّلُهُمَا، فَقَالَا لَهُ: يَا بِلَالُ نَشْتَهِي نَسْمَعُ أَذَانَكَ الَّذِي كُنْتَ تُؤَذِّنُهُ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ فِي المَسْجِدِ، فَفَعَلَ فَعَلَا سَطْحَ المَسْجِدِ فَوَقَفَ مَوْقِفَهُ الَّذِي كَانَ يَقِفُ فِيهِ، فَلَمَّا أَنْ قَالَ: اللهُ أَكبَرُ اللهُ أَكبَرُ، ارْتَجَّتِ المَدِينَةُ، فَلَمَّا أَنْ قَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَـٰهَ إِلَّا اللهُ زَادَ رَجَّتهَا، فَلَمَّا أَنْ قَالَ: أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، خَرَجَ العَوَاتِقُ مِنْ خُدُورِهِنَّ، فَقَالُوا أَبُعِثَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَمَا رُؤِيَ يَوْمٌ أَكْثَرَ بَاكِيًا، وَلا بَاكِيَةً بَعْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ مِنْ ذَلِكَ الْيَوْمِ. ذَكَرَهُ ابنُ عَسَاكِرَ فِي تَرجَمَةِ بِلَال[3]، وَمَدَارُ هَذَا الإِسنَادِ عَلَيهِ وَلَيس

(١) شرح صحيح البخاري، ابن بطال، (٣/ ٢٧١).

(٢) المدخل، ابن الحاج، (١/ ٢٥٦).

(٣) تاريخ دمشق، ابن عساكر، (٧/ ١٣٦-١٣٧).

عَلَى الاستِدلَالِ بِهَذَا الحَدِيثِ عَلَى رُؤيَا المَنَام فَقَط، بَل عَلَى مَا فَعَلَ بِلَال وَهُوَ صَحَابِيّ وَلَا سِيَّمَا فِي خِلَافَةِ عُمَر رضي الله عنه، فَسَفرُ بِلَال فِي زَمَنِ صَدرِ الصَّحَابَةِ لَم يَكُن إِلَّا للزِّيَارَةِ وَالسَّلَام عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَقَد رَوَى هَذَا الأَثَر عَن بِلَالٍ مِنَ الحُفَّاظِ عَدَدٌ كَبِيرٌ مِنهُم: الإِمَامُ السُّبكِيُّ وَالقَاضِي عِيَاضٌ وَالسَّمهُودِيُّ[1].

هَذَا وَغَيرُهُ مِمَّا نُقِلَ عَنِ الحُفَّاظِ وَالمُحَدِّثِينَ مِنَ التَّوَسُّلِ بِالنَّبِيِّ ﷺ بَعدَ وَفَاتِهِ وَالسَّفَرِ لِزِيَارَتِهِ يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُم كَانُوا لَا يَعبَأُونَ بِإِنكَارِ ابنِ تَيمِيَةَ التَّوَسُّلَ بِالنَّبِيِّ ﷺ وَالسَّفَرِ لِزِيَارَتِهِ وَأَنَّ ابنَ تَيمِيَةَ شَذَّ عَن عُلَمَاءِ الأُمَّةِ المُحَدِّثِينَ وَالفُقَهَاء، فَأَمَّا مَن عَاصَرَهُ فَمِنهُم المُحَدِّثُ الحَافِظُ تَقِيُّ الدِّينِ السُّبكِيُّ وَغَيرُهُ، وَأَمَّا مِن قَبلِ ابنِ تَيمِيَةَ فَالحَافِظُ عَبدُ الغَفَّارِ الفَارِسِيُّ وَالحَافِظُ الخَطِيبُ البَغدَادِيُّ الَّذِي ذَكَرَ المُحَدِّثُونَ فِي كُتُبِ المُصطَلَحِ التَّنوِيهَ بِهِ وَعُدَّ أَحَدُ المَشَاهِيرِ البَارِزِينَ فِي الحَدِيثِ، وَلَم يَسبِق ابنَ تَيمِيَةَ بِذَلِكَ مِنَ المُحَدِّثِينَ أَحَدٌ حَتَّى مِنَ المُجَسِّمَةِ أَمثَالِهِ فَلَا سَنَدَ لَهُ فِي مَا ارتَكَبَهُ، وَكَذَلِكَ مَن جَاؤُوا بَعدَهُ مِنَ الحُفَّاظِ كَالحَافِظِ مُحَمَّد مُرتَضَى الزَّبِيدِيّ، فَعَلَى قَولِهِ وَقَولِ أَتبَاعِهِ أَتبَاع مُحَمَّدِ بنِ عَبدِ الوَهَّابِ يَلزَمُ أَن يَكُونَ جُمهُور الأُمَّةِ الَّذِينَ هُم مِئَاتُ المَلَايِينَ عَلَى ضَلَالٍ وَيَكُونَ هُوَ وَالشِّرذِمَةُ الَّتِي اتَّبَعَتهُ عَلَى هُدًى! وَقَد ثَبَتَ أَنَّ جُمهُورَ الأُمَّةِ لَا يَضِلُّونَ دَلَّ عَلَى ذَلِكَ حَدِيثُ أَبِي دَاوُدَ[2] فِي افتِرَاقِ الأُمَّةِ إِلَى ثَلَاثٍ وَسَبعِينَ فِرقَةً حَيثُ قَالَ ﷺ: **«اثنَتَانِ وَسَبعُونَ فِي النَّارِ وَوَاحِدَةٌ فِي الجَنَّةِ وَهِيَ**

---

(١) شفاء السقام في زيارة خير الأنام، السبكي، (ص/٤٧-٤٨). **وفاء الوفا، السمهودي،** (٣/١٣٥٦).

(٢) سنن أبي داود، أبي داود، أول كتاب السنة، باب شرح السنة، **(٤٥٩٧).**

الجَمَاعَةُ» أي الجُمهُور، فَمِمَّا لَا شَكَّ فِيهِ أَنَّ بَعضَ الأُمَّةِ ضَلُّوا وَهَؤُلَاءِ البَعض لَو تَعَدَّدَت أَسَامِي فِرَقِهِم إِلَى هَذَا العَدَدِ الاثنَتَينِ وَالسَّبعِين فَهُم شِرذِمَةٌ بِالنِّسبَةِ لِلَّذِينَ هُم مَحفُوظُونَ مِنَ الضَّلَالِ فِي العَقِيدَةِ، وَهَذَا الَّذِي عَنَاهُ الرَّسُولُ ﷺ وَلَم يَعنِ كَثرَةَ التَّقصِيرِ فِي الأَعمَالِ وَالانغِمَارِ فِي الغَفلَةِ وَقَد صَحَّ مَوقُوفًا عَلَى أَبِي مَسعُودٍ الصَّحَابِيِّ الجَلِيلِ: «إِنَّ اللهَ لَا يَجمَعُ هَذِهِ الأُمَّةَ عَلَى ضَلَالَةٍ»[1] صَحَّحَهُ الحَافِظُ ابنُ حَجَر فِي الأَمَالِي.

وَفِي عَصرِنَا هَذَا مِئَاتُ المَلَايِين مِنَ المُسلِمِين أَشَاعِرَة وَإِن كَانَ يُوجَد فِيهِم اليَومَ جُزءٌ قَلِيلٌ مِنَ المَاتُرِيدِيَّة، وَالأَشَاعِرَةُ وَالمَاتُرِيدِيَّةُ فِرقَةٌ وَاحِدَةٌ بِاعتِبَارِ أُصُولِ العَقِيدَةِ وَلَا خِلَافَ بَينَهُم يُؤَدِّي إِلَى التَّضلِيلِ وَالتَّبدِيع، فَعُلَمَاءُ الأُمَّةِ فِي كُلِّ النَّوَاحِي فِي المَشرِقِ وَالمَغرِب أَشَاعِرَةٌ وَمَاتُرِيدِيَّةٌ، هَذَا الحَاصِلُ فِي مِصرَ وَالشَّام وَالعِرَاق وَاليَمَن وَالمَغرِب والجَزَائِر وَتُونُس وَتُركِيا وَأَندُونِيسيَا وَالبَاكِستَان وَالهِند وَأَهلِ أَفرِيقِيا السَّودَاء وَدُوَل جَنُوبِ أَفرِيقِيا وَالخَلِيجِ العَرَبِيّ، وَأَمَّا المُشَبِّهَةُ الوَهَّابِيَّةُ الَّذِينَ جَمَعُوا بَينَ التَّشبِيهِ وَالبِدعَةِ الَّتِي نَشَرَهَا ابنُ تَيمِيَةَ بِدعَة تَكفِيرِ زُوَّارِ القُبُورِ لِلتَّبَرُّكِ وَالتَّكفِيرِ الَّذِي يَصدُرُ مِن بَعضِهِم لِلمُتَوَسِّلِينَ وَالمُستَغِيثِينَ بِالرَّسُولِ ﷺ وَغَيرِهِ مِن أَصفِيَاءِ اللهِ فَلَيسَ عَدَدُهُم بِالنِّسبَةِ لِمُخَالِفِيهِم إِلَّا كَنِسبَةِ الوَشلَةِ إِلَى البَحرِ، فَيَا سَخَافَةَ عُقُولِ الَّذِينَ يَعتَقِدُونَ أَنَّ جُمهُورَ الأُمَةِ وَأَتبَاعَهُم مُنذُ أَربَعَة عَشرَ قَرنًا كَانُوا عَلَى ضَلَالٍ، وَقَد صَرَّحَ بَعضُ هَؤُلَاءِ بِهَذِهِ المَقَالَةِ الشَّنِيعَةِ: إِنَّ النَّاسَ فَارَقُوا التَّوحِيدَ مُنذُ سِتمائَةِ سَنَةٍ، كَمَا نَقَلَ ذَلِكَ عَنهُم الشَّيخُ أَحمَد زَينِي دَحلَان مُفتِي مَكَّةَ فِي أَوَاخِرِ الدَّولَةِ العُثمَانِيَّةِ.

---

(١) مجمع الزوائد، الهيثمي، (٥/٢١٨)، وقال: رواه كله الطبراني ورجال هذه الطريقة الثانية ثقات.

وَفِي كِتَابِ المِعيَارِ[١] لأَبِي العَبَّاسِ أَحمَدَ بنِ يَحيَى الوَانشَرِيسِيِّ المَالِكِيِّ مَا نَصُّهُ: وَسَئِل بَعضُ القَروِيِّين عَن مَن نَذَرَ زِيَارَةَ قَبرِ رَجُلٍ صَالِحٍ أَو حَي. فَأَجَابَ: يَلزَمُهُ مَا نَذَرَ وَإِن عَمِلَ فِيهِ المطِيُّ. ابنُ عَبدِ البَرِّ: كُلُّ عِبَادَةٍ أَو زِيَارَةٍ أَو رِبَاطٍ أَو غَيرِ ذَلِكَ مِنَ الطَّاعَةِ غَيرَ الصَّلَاةِ فَيَلزَمُه الإِتيَانُ بِهَا، وَحَدِيثُ «لَا تُعمَلُ المَطِيّ» مَخصُوصٌ بِالصَّلَاةِ، وَأَمَّا زِيَارَةُ الأَحيَاءِ مِنَ الإِخوَانِ وَالمَشيَخَةِ وَنَذرُ ذَلِكَ وَالرِّبَاطِ وَنَحوِه فَلَا خِلَافَ فِي ذَلِكَ، وَالسُّنَّةُ تَهدِي إِلَيهِ مِن زِيَارَةِ الأَخِ فِي اللهِ وَالرِّبَاطِ فِي الأَمَاكِنِ الَّتِي يُرَابَطُ بِهَا. وَتَوَقَّفَ بَعضُ النَّاسِ فِي زِيَارَةِ القُبُورِ وَءَاثَارِ الصَّالِحِين وَلَا يُتَوَقَّف فِي ذَلِكَ لأَنَّهُ مِنَ العِبَادَاتِ غَيرَ الصَّلَاةِ، وَلأَنَّهُ مِن بَابِ الزِّيَارَةِ وَالتَّذكِيرِ، لِقَولِهِ ﷺ: **«زُورُوا القُبُورَ فَإِنَّهَا تُذَكِّرُكُم المَوْتَ»** الحَدِيث، وَكَانَ ﷺ يَأتِي حِرَاءَ وَهُوَ بِمَكَّةَ وَيَأتِي قُبَاءَ وَهُوَ فِي المَدِينَةِ. وَالخَيرُ فِي اتِّبَاعِهِ ﷺ وَاقتِفَاءِ ءَاثَارِهِ قَولًا وَفِعلًا لَا سِيَّمَا فِي مَن ظَهَرَت الطَّاعَةُ فِيهِ اهـ. وَفِي ضِمنِ كَلَامِ الوَانشَرِيسِيِّ أَنَّ عَمَلَ المُسلِمِينَ جَرَى عَلَى التَّبَرُّكِ بِزِيَارَةِ القُبُورِ المُبَارَكَةِ عَكس عَقِيدَةِ التَّيمِيّينَ، فَتَبَيَّنَ بِذَلِكَ أَنَّهُم شَاذُّونَ عَنِ الأُمَّةِ فِي نِحلَتِهِم المَعرُوفَةِ وَهِيَ مُحَارَبَةُ التَّوَسُّلِ بِالرَّسُولِ ﷺ وَغَيرِهِ مِنَ الأَنبِيَاءِ وَالأَولِيَاءِ وَمُحَارَبَة زِيَارَةِ القُبُورِ بِقَصدِ التَّبَرُّكِ، وَقَد أَسفَرَ الصُّبحُ لِذِي عَينَيْنِ. وَقَالَ الشَّيخُ شِهَابُ الدِّينِ أَحمَدُ ابنُ حَجرٍ فِي كِتَابِهِ الجَوهَرِ المُنَظَّم فِي زِيَارَةِ القَبرِ المُكَرَّم[٢] بَعدَ أَنْ تَكَلَّمَ فِي شَأنِ ابنِ تَيمِيَةَ بِكَلَامٍ كَثِيرٍ: وَلَقَد تَصَدَّى شَيخُ الإِسلَامِ وَعَالِمُ الأَنَامِ المُجمَعُ عَلَى جَلَالَتِهِ وَاجتِهَادِهِ وَصَلَاحِهِ وَأَمَانَتِهِ التَّقِيُّ السُّبكِيُّ

---

(١) النوازل الجديدة الكبرى، المسمى بـ المعيار، الوانشريسي، (٢/ ٥٤٠).

(٢) الجوهر المنظم في زيارة قبر النبي المكرم، ابن حجر الهيتمي، (ص/٥٧-٥٨-٥٩).

قَدَّسَ اللهُ رُوحَهُ، للرَّدِّ عَلَيهِ فِي تَصنِيفٍ مُستَقَلٍّ أَفَادَ فِيهِ وَأَجَادَ وَأَصَاب، وَأَوضَحَ بِبَاهِرِ حُجَجِهِ طَرِيقَ الصَّوَاب، فَشَكَرَ اللهُ مَسعَاهُ وَأَدَامَ عَلَيهِ شَآبِيبُ رَحمَتِهِ وَرِضَاهُ اهـ.

وَقَالَ صَلَاحُ الدِّينِ الصَّفَدِيُّ[1] أَثنَاءَ ذِكرِهِ لِمُؤَلَّفَاتِ الحَافِظِ المُجتَهِدِ تَقِيِّ الدِّينِ عَلِيِّ السُّبكِيِّ مَا نَصُّهُ: وَكِتَابُ شِفَاءُ السَّقَامِ فِي زِيَارَةِ خَيرِ الأَنَام رَدًّا عَلَيهِ أَيضًا (أَي عَلَى ابنِ تَيمِيَةَ) فِي إِنكَارِهِ سَفَرَ الزِّيَارَةِ، وَقَرَأتُهُ عَلَيهِ بِالقَاهِرَةِ سَنَةَ سَبعٍ وَثَلَاثِينَ وَسَبعِمِائَةٍ مِنْ أَوَّلِهِ لآخِرِهِ، وَكَتَبتُ عَلَيهِ طَبقَةً مِمَّا جَاءَ فِيهَا نَظمًا:

«لِقَولِ ابنِ تَيمِيَةٍ زُخرُفٌ أَتَى فِي زِيَارَةِ خَيرِ الأَنَامِ
فَجَاءَت نُفُوسُ الوَرَى تَشتَكِي إِلَى خَيرِ حَبْرٍ وَأَزكَى إِمَامِ
فَصَنَّفَ هَذَا وَدَاوَاهُم فَكَانَ يَقِينًا شِفَاءَ السَّقَامِ» اهـ

قَالَ الحَافِظُ المُجتَهِدُ تَقِيُّ الدِّينِ السُّبكِيُّ فِي كِتَابِهِ «شِفَاء السَّقَام»[2] مَا نَصُّهُ: البَابُ الثَّالِثُ: فِي مَا وَرَدَ فِي السَّفَرِ إِلَى زِيَارَتِهِ ﷺ صَرِيحًا، وَبَيَانِ أَنَّ ذَلِكَ لَم يَزَل قَدِيمًا وَحَدِيثًا، وَمِمَّن رُوِيَ ذَلِكَ عَنهُ مِنَ الصَّحَابَةِ بِلَال ابنِ أَبِي رَبَاحٍ مُؤَذِّنِ رَسُولِ اللهِ ﷺ سَافَرَ مِنَ الشَّامِ إِلَى المَدِينَةِ لِزِيَارَةِ قَبرِهِ ﷺ، رَوَينَا ذَلِكَ بِإِسنَادٍ جَيِّدٍ إِلَيهِ، وَهُوَ نَصٌّ فِي البَابِ انتهى.

ثُمَّ قَالَ فِي البَابِ الرَّابِعِ مِنَ الكِتَابِ[3] مَا نَصُّهُ: قَالَ القَاضِي عِيَاضٌ رَحِمَهُ الله تَعَالَى: وَزِيَارَةُ قَبرِهِ ﷺ سُنَّةٌ بَينَ المُسلِمِينَ مُجمَعٌ عَلَيهَا وَفَضِيلَةٌ مُرَغَّبٌ فِيهَا اهـ.

---

(١) الوافي بالوفيات، الصفدي، (٢١/ ١٦٧).

(٢) كتاب شفاء السقام، تقي الدين السبكي، (ص/ ٤٧).

(٣) كتاب شفاء السقام، تقي الدين السبكي، (ص/ ٥٥-٥٦).

ثُمَّ أَفَاضَ فِي نَقلِ استِحبَابِهَا عَن أعيَانٍ مِنَ العُلَمَاءِ مِنَ المَذَاهِبِ الأَربَعَةِ، فَنَقَلَ ذَلِكَ عَنِ الشَّافِعِيَّةِ عَنِ القَاضِي أَبِي الطَّيِّب الطَّبَرِيِّ، وَالمَحَامِلِيِّ، وَالحَلِيمِيِّ، وَالمَاوَردِيِّ، وَالرُّويَانِيِّ وَالقَاضِي حُسَين، وَالشَّيخِ أَبِي إِسحَاق الشِّيرَازِي وَعَنِ الحَنَفِيَّةِ عَن أَبِي مَنصُورٍ الكَرمَانِيِّ فِي مَنَاسِكِهِ، وَعَبدِ اللهِ بنِ مَحمُود فِي شَرحِ المُختَارِ، وَأَبِي اللَّيثِ السَّمَرقَندِيِّ فِي فَتَاوِيهِ، وَالسُّرُوجِيِّ فِي الغَايَةِ، وَعَنِ الحَنَابِلَةِ عَن أَبِي الخَطَّابِ الكُلُوذَانِيِّ فِي الهِدَايَةِ وَأَبِي عَبدِ اللهِ السَّامِرِيِّ فِي المُستَوعِب، وَنَجم الدِّينِ بنِ حَمدَانَ فِي الرِّعَايَةِ الكُبرَى، وَعَنِ المَالِكِيَّةِ عَن أَبِي عِمرَانَ الفَاسِيِّ، وَالشَّيخِ ابنِ أَبِي زَيدٍ.

ثُمَّ ذَكَرَ حَدِيثَ أَبِي دَاوُدَ[1] «**وَلَا تَجْعَلُوا قَبْرِي عِيدًا**» وَأَجَابَ عَنهُ بِثَلَاثَةِ أَجوِبَةٍ:

يَحتَمِلُ أَن يَكُونَ المُرَادُ بِهِ الحَثّ عَلَى كَثرَةِ زِيَارَةِ قَبرِهِ ﷺ وَأَن لَا يُهمَلَ حَتَّى لَا يُزَارَ إِلَّا فِي بَعضِ الأَوقَاتِ كَالعِيدِ الَّذِي لَا يَأتِي فِي العَامِ إِلَّا مَرَّتَينِ.

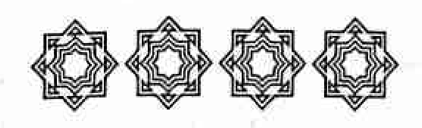
وَيَحتَمِلُ أَن يَكُونَ المُرَادُ لَا تَتَّخِذُوا لَهُ وَقتًا مَخصُوصًا لَا تَكُونُ الزِّيَارَةُ إِلَّا فِيهِ وَزِيَارَةُ قَبرِهِ ﷺ لَيسَ لَها يَومٌ بِعَينِهِ بَل أَيّ يَومٍ كَانَ.

وَيَحتَمِلُ أَن يُرَادَ أَن يُجعَلَ كَالعِيدِ فِي العُكُوفِ عَلَيهِ وَإِظهَارِ الزِّينَةِ وَالاجتِمَاعِ وَغَيرِ ذَلِكَ مِمَّا يُعمَلُ فِي الأَعيَادِ، بَل لَا يُؤتَى إِلَّا للزِّيَارَةِ وَالسَّلَامِ وَالدُّعَاءِ ثُمَّ يَنصَرِف عَنهُ وَاللهُ أَعلَمُ بِمُرَادِ نَبِيِّهِ ﷺ.

---

(١) سنن أبي داود، أبو داود، كتاب المناسك، باب زيارة القبور، (٢٠٤٢).

وَقَالَ الإِمَامُ الزَّرْكَشِيُّ فِي كِتَابِهِ «إِعلَامُ السَّاجِدِ بِأَحكَامِ المسَاجِدِ»[1]: يَنبَغِي للزَّائِرِ الغَرِيبِ أن يُسَلِّمَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ كُلَّمَا دَخَلَ المَسجِدَ أو خَرَجَ، ثُمَّ قَالَ فِي رَدِّهِ عَلَى الَّذِينَ كَرِهُوا ذَلِكَ لِمَن كَانَ فِي المَدِينَةِ: وَالصَّوَابُ استِحبَابُ دُخُولِ القَرِيبِ وَالغَرِيبِ فَإِنَّهُ ﷺ استَحَبَّ السَّلَامَ لِكُلِّ وَارِدٍ عَلَيهِ قَرِيبًا وَغَرِيبًا وَمِنَ الأَدَبِ مُعَامَلتُه بِذَلِكَ بَعدَ وَفَاتِهِ اهـ.



(١) إعلام الساجد بأحكام المساجد، الزركشي، (ص/ ٢٧١).

جَوَازُ السَّفَرِ وَشَدِّ الرِّحَالِ بِقَصدِ زِيَارَةِ قُبُورِ الأَنبِيَاءِ وَالأَولِيَاءِ

أَمَّا قَولُ ابنِ تَيمِيَةَ بِتَحرِيمِ السَّفَرِ لِزِيَارَةِ قَبرِ النَّبِيِّ ﷺ وَغيرِهِ فَقَد ذَكَرَهُ فِي أَكثَرَ مِن كِتَابٍ، فَقَالَ فِي فَتَاوِيهِ مَا نَصُّهُ[1]: بَل نَفسُ السَّفرِ لِزِيَارَةِ قَبْرٍ مِنَ القُبُورِ - قَبْرُ نَبِيٍّ أو غَيرِه - مَنهِيٌّ عَنهُ عِندَ جُمْهُورِ العُلَمَاءِ، بَل حَتَّى إِنَّهُم لا يُجَوِّزُونَ قَصْرَ الصَّلاةِ فِيهِ بِنَاءً عَلَى أَنَّهُ سَفرُ مَعصِيَةٍ لِقَولِهِ الثَّابِتِ فِي الصَّحِيحَيْنِ: «لا تُشَدُّ الرِّحَالُ إِلَّا إِلَى ثَلاثَةِ مسَاجِد: المَسجِدِ الحَرَام، والمَسجِدِ الأَقْصَى وَمَسجِدِي هَذَا» وَهُوَ أَعْلَمُ النَّاسِ بِمِثْلِ هَذِهِ المَسأَلة اهـ.

وَقَالَ أَيضًا مَا نَصُّهُ: قَالُوا: وَلأَنَّ السَّفَرَ إِلَى زِيَارَةِ قُبُورِ الأَنبِيَاءِ وَالصَّالِحِين بِدْعَةٌ لَمْ يَفْعَلهَا أَحَدٌ مِنَ الصَّحَابَةِ وَلا التَّابِعِينَ وَلا أَمَرَ بِهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ وَلا اسْتَحَبَّ ذَلِكَ أَحَدٌ مِن أَئِمَّةِ المُسلِمِينَ فَمَنِ اعْتَقَدَ ذَلِكَ عِبَادَةً وَفَعَلَهَا فَهُوَ مُخَالِفٌ للسُّنَّةِ وَلإِجْمَاعِ الأَئِمَّةِ[2] اهـ.

وَقَالَ تَقِيُّ الدِّينِ الحِصنِيُّ فِي كِتَابِ «دُفع شُبَهِ مَن شَبَّهَ وَتَمَرَّد» مَا نَصُّهُ[3]: وَمِنَ الأُمُورِ المُنتَقَدَة عَلَيهِ - أَي ابن تَيمِيَة - قوله: «زِيَارَةُ قَبْرِ النَّبِيِّ وَقُبُورِ الأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ الصَّلاةُ والسَّلامُ مَعصِيَة بِالإِجْمَاعِ مَقطُوعٌ بِهَا»، وَهذَا ثَابِتٌ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَهُ، وثَبَتَ ذلِكَ عَلَى يَدِ القَاضِي جَلالِ الدِّين

(١) المسمّى مجوع الفتاوى، ابن تيمية، (٤/ ٥٢٠)

(٢) المسمى الفتاوى الكبرى، ابن تيمية، (١/ ٢٤١).

(٣) دفع شبه من شبه وتمرد، الحصني، (ص/ ٤٥٦-٤٥٧).

القَزوِينِيّ فَانْظُر هَذِهِ العِبَارَةَ مَا أَعظَمَ الفُجُور فِيهَا مِن كَونِ ذلِكَ مَعصِيَة، وَمَنِ ادَّعَى الإجمَاع وَأَنَّ ذَلِكَ مَقطُوعٌ بِهِ؟! وَهُوَ الزَّائِغُ يُطالَبُ بِمَا ادَّعَاهُ مِن إِجْمَاعِ الصَّحابَةِ وَكَذَا التَّابِعُونَ وَمَن بَعدَهُم مِن أَئِمَّةِ المُسلِمِين إِلَى حِينِ ادِّعَائِهِ ذَلِكَ.

وَمَا أعتَقِدُ أَنَّ أَحدًا يَتَجاسَرُ عَلى مِثلِ ذَلِكَ مَعَ أَنَّ الكُتُب المَشهُورَة بَل والمَهجُورَة وَعَمَل النَّاسِ فِي سَائِرِ الأَعصَارِ عَلى الحَثِّ عَلَى زِيَارَتِهِ مِن جَمِيعِ الأَقْطَارِ، فَزِيَارَتُه مِن أَفْضَلِ المَسَاعِي وَأَنْجَحِ القُرَبِ إِلَى رَبِّ العَالَمِين، وَهِيَ سُنَّةٌ مِن سُنَنِ المُرسَلِينَ وَمُجْمَعٌ عَلَيْهَا عِندَ المُوَحِّدِين وَلا يَطعَنُ فِيهَا إِلَّا مَن فِي قَلبِه مَرَضُ المُنافِقِينَ وَمَن هُوَ مِن أَفْرَاخِ اليَهُودِ وَأَعدَاءِ الدِّينِ مِنَ المُشرِكِينَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا فِي ذَمّ سَيِّدِ الأَوَّلِينَ والآخِرِين وَلَمْ تَزَل هَذِهِ الأُمَّة المُحَمَّدِيَّة عَلَى شَدِّ الرِّحَالِ إِلَيهِ عَلَى مَمَرّ الأَزْمَانِ مِن جَمِيعِ الأَقْطَارِ والبُلدَانِ، سارَ فِي ذَلِكَ الزُّرافاتِ والوُحدَان والعُلمَاءِ والمَشايخ والكُهُولِ والشُّبَّانِ حَتَّى ظَهَر فِي ءاخِرِ الزَّمَانِ مُبتَدِعٌ مِن زَنَادِقَةِ حَرَّان لَبَّسَ عَلَى أَشْبَاهِ الرِّجَالِ اهـ.

نَقُولُ وَبِاللهِ التَّوفِيق، أَمَّا استِدلَالُهُ بِحَدِيثِ: **«لَا تُشَدُّ الرِّحَالُ إِلَّا إِلَى ثَلَاثَةِ مَسَاجِد مَسجِدِي هَذَا وَالمَسجِدِ الحَرَامِ وَالمَسجِدِ الأَقصَى»** لِتَحرِيم السَّفَرِ لِزِيَارَةِ قَبرِ النَّبِيّ ﷺ فَجَوَابُه أَنَّ أَحَدًا مِنَ السَّلَفِ لَم يَفهَم مَا فَهِمَهُ ابنُ تَيمِيَةَ، بَل زِيَارَةُ قَبرِ الرَّسُولِ ﷺ سُنَّةٌ سَوَاءٌ كَانَت بِسَفَرٍ أَم بِغَيرِ سَفَرٍ، كَسُكَّانِ المَدِينَةِ، وَالحَنَابِلَةُ قَد نَصُّوا كَغَيرِهِم عَلَى كَونِ زِيَارَةِ قَبرِ النَّبِيّ ﷺ سُنَّةً سَوَاءٌ قُصِدَت بِالسَّفَرِ لأَجلِهَا أَم لَم تُقصَد بِالسَّفَرِ لأَجلِهَا.

وَأَمَّا الحَدِيثُ فَمَعنَاهُ الَّذِي فَهِمَهُ السَّلَفُ وَالخَلَفُ أَنَّهُ لَا فَضِيلَةَ زَائِدَة فِي السَّفَرِ لأَجلِ الصَّلَاةِ فِي مَسجِدٍ إِلَّا السَّفَرَ إِلَى هَذِهِ المَسَاجِدِ الثَّلَاثَةِ،

لأَنَّ الصَّلَاةَ تُضَاعَفُ فِيهَا إِلَى مِائَةِ أَلفٍ وَذَلِكَ فِي المَسجِدِ الحَرَامِ وَإِلَى أَلفٍ وَذَلِكَ فِي مَسجِدِ الرَّسُولِ ﷺ وَإِلَى خَمسِمِائَةٍ وَذَلِكَ فِي المَسجِدِ الأَقصَى، فَالحَدِيثُ المُرَادُ بِهِ السَّفَرَ لأَجلِ الصَّلَاةِ، وَيُبَيِّنُ ذَلِكَ مَا رَوَاهُ الإِمَامُ أَحمَدُ بنُ حَنبَل فِي مُسنَدِهِ مِن طَرِيقِ شَهرِ بنِ حَوشَب مِن حَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ مَرفُوعًا: **«لَا يَنبَغِي لِلمَطِيِّ أَنْ تُشَدَّ رِحَالُهُ إِلَى مَسْجِدٍ يُبْتَغَى فِيهِ الصَّلَاةُ غَيْرَ المَسجِدِ الحَرَامِ وَالمَسجِدِ الأَقْصَى وَمَسجِدِي هَذَا»**[1] وَهَذَا الحَدِيثُ حَسَّنَهُ الحَافِظُ ابنُ حَجَرٍ[2]، وَهُوَ مُبَيِّنٌ لِمَعنَى الحَدِيثِ السَّابِقِ وَتَفسِيرُ الحَدِيثِ بِالحَدِيثِ خَيرٌ مِن تَحرِيفِ ابنِ تَيمِيَةَ، قَالَ الحَافِظُ العِرَاقِيُّ فِي أَلفِيَّتِهِ فِي مُصطَلَحِ الحَدِيثِ **«وَخَيرَ مَا فَسَّرتَهُ بِالوَارِدِ»**.

وَقَالَ الإِمَامُ مَجدُ الدِّينِ الفَيرُوزءَابَادِي صَاحِبُ القَامُوسِ فِي كِتَابِهِ «الصِّلَاتُ وَالبِشر فِي الصَّلَاة عَلَى خَيرِ البَشَر»[3]، وأما حديث: **«لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد»** فَلَا دلَالَةَ فِيهِ عَلَى النَّهيِ عَنِ الزِّيَارَةِ بَل هُو حُجَّةٌ فِي ذلِكَ، وَمَن جَعلَهُ دَليلًا عَلى حُرمَةِ الزِّيَارَةِ فَقَد أَعظَمَ الجَراءَةَ عَلى اللهِ وَرَسُولِه، وَفيهِ بُرهَانٌ قَاطِعٌ عَلَى غَبَاوَةِ قَائِلِهِ، وَقُصُورِهِ عَن نَيلِ دَرجَةِ كَيفِيَّةِ الاستِنبَاطِ وَالاستِدلَالِ وَالحَدِيثُ فيهِ دَلِيلٌ عَلى استِحبَابِ الزِّيَارَة. ثُمَّ قَالَ: وكذلِكَ لَو قَصَد زِيَارةَ قَبرِهِ لَم يَنفَكَّ قَصدُه عَنِ المَسجِدِ. وَمِنَ الدَّلِيلِ الأَحَادِيث الكَثِيرةِ الصَّحِيحَةِ فِي فَضلِ زِيَارَةِ الإِخوَانِ فِي اللهِ فَزِيَارَةُ النَّبِيِّ ﷺ أَوْلَى وَأَوْلَى.

---

(١) مسند الإمام أحمد بن حنبل، أحمد بن حنبل، (١١٦٠٩).

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني، (٣/ ٦٣ . ٦٥).

(٣) الصِّلات والبِشر في الصلاة على خير البشر، الإمام مجد الدين الفيروزءابادي، (ص١٤٥، ١٤٦).

ومِنهَا: أَنَّ حُرمَتهُ ﷺ وَاجِبَةٌ حَيًّا وَمِيّتًا، وَلَا شَكَّ أَنَّ الهِجرَةَ إِلَيهِ كَانَت فِي حَيَاتِهِ مِن أَهَمِّ الأَشيَاءِ، فَكَذَلِكَ بَعدَ مَوتِهِ. وَمِنهَا: الأَحَادِيثُ الدَّالَة عَلَى اسْتِحبَابِ زِيَارَةِ القُبورِ اهـ.

وَقَالَ الحَافِظُ أَحمَدُ الغُمَارِيّ فِي كِتَابِهِ «إِحيَاء المَقبُور»[1]: وَمِن أُولَئِكَ الأَولِيَاءِ نَفسُهُم مَن يَتَّخِذُهَا عَلَى مَن قَبلَهُ مِن شُيُوخِهِ وَيَزُورهُ فِي حَالِ بِنَاءِ المَسَاجِدِ وَالقِبَابِ عَلَيهِ بَل وَيُشَدُّ الرِّحَالُ مِنَ البِلَادِ البَعِيدَةِ إِلَى زِيَارَتِهِم، وَقَد شَدَّ الإِمَامُ النَّوَوِيُّ الرِّحلَةَ مِنَ الشَّامِ إِلَى مِصرَ لِزِيَارَةِ قَبرِ الإِمَامِ الشَّافِعِيّ الَّذِي عَلَيهِ مَسجِدٌ وَقُبَّةٌ وَكَم لَهُ مِن أَلفِ نَظِيرٍ فِي المَشرِقِ وَالمَغرِبِ اهـ.

قَالَ نُورُ الدِّينِ عَلِيٌّ القَارِي فِي شَرحِ المِشكَاةِ مَا نَصُّهُ[2]: قَالَ شَيخُ مَشايِخِنَا عَلَّامَةُ العُلَمَاءِ المُتَبَحّرِين شَمسُ الدِّين بنُ الجَزرِيّ فِي مُقَدِّمَةِ شَرحِهِ للمَصَابِيح: إِنِّي زُرتُ قَبْرَهُ بِنَيسَابُور (يَعْنِي مُسلِم بن الحَجَّاج القُشَيْرِيّ) وَقَرَأتُ بَعضَ صَحِيحِه عَلَى سَبِيل التَيَمُّنِ وَالتَبَرُّكِ عِندَ قَبْرِهِ وَرَأَيْتُ ءاثَارَ البَرَكَةِ وَرجَاءَ الإِجَابَةِ فِي تُربَتِهِ اهـ.

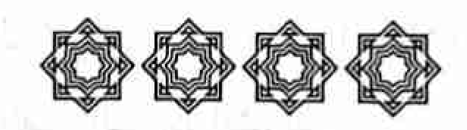
وَقَالَ عَلَّامَةُ العِرَاقِ الشَّيخُ جَمِيل أَفَندِي صِدقِي الزَّهَاوِيُّ فِي كِتَابِهِ الفَجرُ الصَّادِقُ فِي الرَّدِّ عَلَى مُنكِرِي التَّوَسُّلِ وَالكَرَامَاتِ وَالخَوَارِق»[3]: «أَمَّا شَدُّ الرِّحَالِ إِلَى زِيَارَةِ القُبُورِ فَمِمَّن جَوَّزَهُ إِمَامُ الحَرَمَينِ وَغَيرُهُ مِنَ

(١) إحياء المقبور، أحمد الغماري، (ص/٢٥).

(٢) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، القاري، (١/ ١٧).

(٣) **الفجر الصادق في الرد على منكري التوسل والكرامات والخوارق، جميل أفندي صدقي** الزهاوي، (ص٩٤- ٩٥).

المَشَايِخِ وَاستَدَلُّوا عَلَى الجَوَازِ بِقَولِهِ عَلَيهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**كُنتُ نَهَيتُكُم عَن زِيَارَةِ القُبُورِ أَلَا فَزُورُوهَا**»، فَقَالُوا قَد أَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ فِي هَذَا الحَدِيثِ بِزِيَارَةِ القُبُورِ وَلَم يُفَرِّق بَينَ زِيَارَةِ القَرِيبِ مِنهَا وَالبَعِيدِ الَّتِي تُشَدُّ إِلَيهِ الرِّحَالُ. وَأَمَا حَدِيثُ: «**لَا تُعمَلُ المَطِيُّ إِلَّا إِلَى ثَلَاثَةِ مَسَاجِدَ**» فَإِنَّمَا مَنَعَ فِيهِ شَدَّ الرِّحَالِ إِلَى المَسَاجِدِ لَا إِلَى المَشَاهِدِ كَمَا هُوَ صَرِيحٌ مِنهُ، وَإِنَّمَا مَنَعَ عَن شَدِّ الرِّحَالِ إِلَى المَسَاجِدِ غَيرَ المَسَاجِدِ الثَّلَاثَةِ لأَنَّهَا مُتَمَاثِلَة فَلَا يَخلُو بَلَدٌ مِن مَسجِدٍ فَلَا حَاجَةَ إِلَى الرِّحلَةِ، وَلَيسَت كَذَلِكَ المَشَاهِدُ فَإِنَّهَا غَيرُ مُتَسَاوِيَةٌ فِي البَرَكَةِ كَمَا أَنَّ دَرَجَاتَ أَصحَابِهَا مُتَفَاوِتَةٌ عِندَ اللهِ تَعَالَى. ثُمَّ قَالَ بَعدَ كَلَامٍ: وَمِنَ القَائِلِينَ بِالجَوَازِ الإِمَامُ النَّوَوِيُّ وَالقَسطَلَانِيُّ وَالإِمَامُ الغَزَالِيُّ فَقَد قَالَ فِي إِحيَائِهِ بَعدَ أَن ذَكَرَ حَدِيثَ «**لَا تُشَدُّ الرِّحَالُ**» مَا مُلَخَّصُهُ: استَدَلَّ بِهِ بَعضُهُم عَلَى المَنعِ مِنَ الرِّحلَةِ لِزِيَارَةِ المَشَاهِدِ وَيَتَبَيَّنُ لِي أَنَّ الأَمرَ لَيسَ كَذَلِكَ بَلِ الزِّيَارَةُ مَأمُورٌ بِهَا بِخَبَرِ: «**كُنتُ نَهَيتُكُم عَن زِيَارَةِ القُبُورِ أَلَا فَزُورُوهَا**» وَالحَدِيثُ إِنَّمَا وَرَدَ نَهيًا عَنِ الشَّدِّ لِغَيرِ الثَّلَاثَةِ مِنَ المَسَاجِدِ لِتَمَاثُلِهَا وَلَا بَلَدٌ إِلَّا فِيهَا مَسجِدٌ فَلَا حَاجَةَ للرِّحلَةِ إِلَى مَسجِدٍ ءَاخر، وَأَمَّا المَشَاهِدُ فَيَتَفَاوَتُ بَرَكَةُ زِيَارَتِهَا عَلَى قَدرِ دَرَجَاتِهِم عِندَ اللهِ اهـ.



المَسجِدُ النَّبوِيُّ الشَّرِيفُ

هُوَ أَحَدُ المَسَاجِدِ الثَّلَاثَةِ الَّتِي تُشَدُّ إِلَيهَا الرِّحَالُ. أَسَّسَ المَسجِدَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي المَكَانِ الَّذِي بَرَكَت فِيهِ نَاقَتُهُ المَأمُورَة بَعدَ مَا اشتَرَى أَرضَهُ المُبَارَكَة. وَالحُجرَةُ النَّبوِيَّةُ الشَّرِيفَةُ هِيَ المَكَانُ الَّذِي دُفِنَ فِيهِ سَيِّدُ الخَلَائِقِ ﷺ عِندَ انتِقَالِهِ وَوَفَاتِهِ.

أَمَّا القُبَّةُ الخَضرَاءُ[1] المَوجُودَةُ فَوقَ الحُجرَةِ النَّبوِيَّةِ الطَّاهِرَةِ فَقَد بَنَاهَا[2] المَلِكُ مَنصُور قَلَاوُون أَحَدُ المَمَالِيكِ الَّذِينَ حَكَمُوا مِصرَ وَذَلِكَ سَنَةَ ٦٧٨ للهِجرَةِ المُبَارَكَةِ. ثُمَّ جُدِّدَت القُبَّةُ فِي عَهدِ السُّلطَانِ حَسَن بنِ مُحَمَّدِ بنِ قَلَاوُون، ثُمَّ اختَلَّت أَلوَاحُ الرُّصَاصِ عَن مَوضِعِهَا فَجُدِّدَت هَذِهِ الأَلوَاحُ وَأُحكِمَت مَرَّةً أُخرَى عَامَ ٧٦٥ هـ عَلَى عَهدِ السُّلطَانِ شَعبَانَ بنِ حَسَن بنِ مُحَمَّد. ثُمَّ حَصَلَ بِهَا خَلَلٌ وَأُصلِحَت زَمَنَ السُّلطَان قَايتبَاي سَنَةَ ٨٨١ هـ.

المُوَاجَهَةُ النَّبوِيَّةُ الشَّرِيفَةُ

المُوَاجَهَةُ النَّبوِيَّةُ الشَّرِيفَةُ هِيَ المَوقِعُ الَّذِي يَمُرُّ عَلَيهِ الوُفُود المُصَلِّين الزَّائِرِينَ وَالزَّائِرَاتِ الدَّاخِلِينَ مِن بَابِ السَّلَامِ لِلوُقُوفِ أَمَامَ الشُّبَّاكِ العَازِلِ بَينَ المَسجِدِ وَالقَبرِ النَّبوِيِّ الشَّرِيفِ.

---

(١) أو القبة الفيحاء، وعُرِفت قديمًا بالزرقاء وبالبيضاء، كما ذكره صاحب كتاب فصول من تاريخ المدينة المنورة.

(٢) فصول من تاريخ المدينة المنورة، علي حافظ، (ص١٢٧ . ١٢٩).

هُنَا تَوَجَّهَ الوَفدُ نَحوَ القَبرِ الشَّرِيفِ مُستَدبِرًا القِبلَةَ لِيُسَلِّم عَلَى سَيِّدِ الرُّسُلِ رَسُولِ اللهِ عَلَيهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، ثُمَّ يَدعُو دُعَاءً خَفِيفًا لِيَترُكَ الفُرصَةَ لِإِخوَانِهِ المُسلِمِينَ بِالوُقُوفِ وَالمُرُورِ، وَقَد زُخرِفَت بِالقِبلَةِ المُوَاتِيَةِ لِلجِدَارِ أَسمَاءُ رَسُولِ اللهِ ﷺ.

الرَّوضَةُ الشَّرِيفَةُ

وَهُوَ المَكَانُ المَوجُودُ عَلَى يَمِينِ القَبرِ الشَّرِيفِ وَيَمتَدُّ إِلَى المِنبَرِ وَالَّذِي جَاءَ فِي الحَدِيثِ: «**مِنبَرِي عَلَى تُرْعَةٍ**[1] **مِنْ تُرَعِ الجَنَّةِ، وَمَا بَيْنَ المِنْبَرِ وَبَيْتِ عَائِشَةَ رَوْضَةٌ مِن رِيَاضِ الجَنَّةِ**»[2].

يَحرِصُ الزَّائِرُ أن يَأتِيَ بَاكِرًا للصَّلَاةِ لِكَي يَتَمَكَّنَ مِنَ الرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ فِي الرَّوضَةِ الشَّرِيفَةِ لأَنَّ فِيهَا ازدِحَامًا كَثِيرًا.

اعْلَمْ أَيُّهَا المُحِبُّ الكَرِيمُ أَنَّهُ يَنبَغِي التَّحَلِّي بِالآدَابِ وَالفَضَائِلِ وَعَدَمِ مُزَاحَمَةِ الخَلقِ بِإِيذَائِهِم وَتَخَطِّي الرِّقَابِ وَأَن لَا تُؤذِي أَحَدًا مِنَ المُسلِمِينَ.

---

(١) أي باب أو درجة.

(٢) مجمع الزوائد، الهيثمي، (٤/٩)، وقال: رواه الطبراني في الأوسط وهو حديث حسن إن شاء الله.

أُسطُوَانَةُ عَائِشَةَ

الأُسطُوَانَةُ هِيَ عَمُودٌ مِن أَعمِدَةِ المَسجِدِ بِالرَّوضَةِ النَّبَوِيَّةِ الشَّرِيفَةِ.

يُروَى عَنِ السَّيِّدَةِ عَائِشَةَ أُمِّ المُؤمِنِينَ رضي الله عنها أَنَّ رَسُولَ اللهِ عَلَيهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ كَانَ يُصَلِّي وَيَسجدُ فِي ذَلِكَ المَكَانِ، فَمَنِ استَطَاعَ السُّجُودَ عِندَ الأُسطُوَانَةِ فَإِنَّ ذَلِكَ فِيهِ فَضلٌ كَثِيرٌ، لَعَلَّهُ يُصَادِفُ المَكَانَ الَّذِي سَجَدَ فِيهِ المُصطَفَى سَيِّدُ الخَلقِ وَصَاحِبُ الحَوضِ المَوْرُودِ وَالمَقَامِ المَحمُودِ. عَلَى كُلِّ صَادِقٍ أَن يَقتَفِي الآثَارَ وَيَتَتَبَّعَ طَرِيقَ وَمَسَالِكَ سَيِّدِ الأَبرَارِ.

وَيُستَحَبُّ السُّجُود عِندَ الأُسطُوَانَةِ المَذكُورَةِ.

المِنْبَرُ النَّبَوِيُّ الشَّرِيفُ

هَذَا المِنبَرُ صُنِعَ عِدَّةَ مَرَّاتٍ عَبرَ التَّارِيخِ، وَالمَوجُودُ حَالِيًّا لَيسَ بِالمِنبَرِ الأَصلِيِّ.

يَدُلُّ عَلَى المَكَانِ الَّذِي كَانَ بِهِ المِنبَرِ النَّبَوِيِّ الشَّرِيفِ وَالمَقَامِ الفَاضِلِ الَّذِي كَانَ سَيِّدُنَا رَسُولُ اللهِ يَخطُبُ عَلَيهِ، وَإِنَّهُ يَحُدُّ الرَّوضَةَ النَّبَوِيَّةَ الشَّرِيفَةَ كَمَا أَسْلَفْنَا.

كُنتُ أَعتَادُ الصَّلَاةَ فِي المَسجِدِ الأَصلِيِّ المُحتَوِي عَلَى المُوَاجَهَةِ الشَّرِيفَةِ وَالمِنبَرِ وَبُيُوتِ أُمَّهَاتِ المُؤمِنِينَ رَضِيَ اللهُ عَنهُنَّ أَجمَعِين.

مَقَامُ أَهلِ الصُّفَّةِ

الصُّفَّةُ أو بِتَسمِيَةٍ ثَانِيَةٍ الأغوَات مَكَانٌ فِي مُؤَخَّرَةِ المَسجِدِ النَّبَوِيّ الشَّرِيفِ، فِي الرُّكنِ الشَّمَالِيِّ الشَّرقِيِّ مِنهُ، غَربِي مَا يُعرَفُ اليَومَ بِـ «دَكَّةِ الأغوَاتِ» أمَرَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ فَظُلِّلَ بِجَرِيدِ النَّخلِ، وَأُطلِقَ عَلَيهِ اسمُ «الصُّفَّة» أو «الظُّلَّة». وَقَد أُعِدَّت الصُّفَّة لِنُزُولِ الغُربَاءِ مِنَ المُهَاجِرِينَ وَالوَافِدِينَ الَّذِينَ لَا مَأوَى لَهُم وَلَا أهل، وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ كَثِيرًا مَا يُجَالِسُهُم وَيَأنَسُ بِهِم، وَيُنَادِيهِم إِلَى طَعَامِهِ وَيُشرِكُهُم فِي شَرَابِهِ.

فَعِندَ دُخُولِكَ المَسجِدَ وَقَبلَ الوُصُولِ إِلَى الرَّوضَةِ النَّبَوِيَّةِ الشَّرِيفَةِ يُوجَدُ مَكَانٌ مَبنِيٌّ كَعَتَبَةٍ عَالِيَةٍ وَمُرتَفِعَةٍ عَلَى مُستَوَى أرضِيَّةِ المَسجِدِ، إِنَّهُ مَقَامُ أهلِ الصُّفَّةِ الَّذِي يُمكِنُ الدُّخُولُ إِلَيهِ أيضًا مِن بَابِ جِبرِيلَ عليه السلام. كَانَ يُوجَدُ بِهِ فُقَرَاءُ الصَّحَابَةِ المُجَاوِرِينَ لِسَيِّدِنَا رَسُولِ اللهِ ﷺ وَالَّذِينَ نَزَلَت فِي حَقِّهِم الآيَةُ الكَرِيمَةُ: ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾[1][2].

وَيُستَحَبُّ الذِّكر وَتِلَاوَة القُرءَانِ فِي ذَلِكَ المَكَانِ كَمَا فِي غَيرِهِ مِنَ المَسجِدِ، وَأهلُ الصُّفَّةِ كَانُوا يُلَازِمُونَهُ مُشتَغِلِينَ بِالعِبَادَاتِ.

وَعَلَى العُمُوم فَاعلَم بِأَنَّ كُلَّ صَلَاةٍ فِي المَسجِدِ النَّبَوِيّ فِي أصلِهِ يَحصُلُ فِيهَا أجر ألفِ صَلَاةٍ إِن شَاءَ اللهُ تَعَالَى.

---

(١) سورة الأنعام، آية (٥٢).

(٢) اللباب في علوم الكتاب، ابن عادل الحنبلي، (١٢/٤٦٨).

أَيُّهَا الزَّائِرُ الكَرِيمُ إن كُنتَ مُعْتَمِرًا أو حَاجًا عَلَيكَ أن تَغتَنِمَ فُرصَةَ وُجُودِكَ بِمَهبِطِ الوَحيِ وَتَقرأَ مِنَ القُرءَانِ الكَرِيمِ مَا استَطَعتَ لأَنَّ ذَلِكَ فِيهِ فَضلٌ عَظِيمٌ وَأَجرٌ جَزِيلٌ.

فَضَائِلُ المَدِينَةِ المُنَوَّرَة

اعلَم أَيُّهَا المُحِبُّ الكَرِيمُ لِسَيِّدِ المُرسَلِينَ ﷺ أَنَّ مِنْ حُبِّهِ يَظْهَرُ حُبُّ المَدِينَةِ المُنَوَّرَةِ الَّتِي تَشَرَّفَت وَتَنَوَّرَت بِوُجُودِهِ.

فَأَوَّلُ زِيَارَةٍ لِسَيِّدِنَا رَسُولِ اللهِ ﷺ إِلَى المَدِينَةِ كَانَت فِي صِبَاهُ وَهُوَ ابنُ سِتِّ سِنِين. أَخَذَتهُ أُمُّهُ ءَامِنَةَ فِي زِيَارَةٍ.

ثُمَّ هَاجَرَ إِلَيهَا وَهُوَ صَاحِبُ ٥٣ سَنَةً فِي رَبِيعِ الأَوَّلِ المُوَافِق عَلَى الظَّنِّ لِشَهرِ سِبتَمبَر٦٢٢ر وَكَانَ أَعظَمَ يَومٍ بِالمَدِينَةِ مَرِضَ فيه أَبُو بَكرٍ وَبِلَالُ رضي الله عنهم بِالحُمَّى عِندَ الهِجرَةِ فَأَخبَرَت السَّيِّدَةُ عَائِشَةَ الرَّسُولَ ﷺ فَقَالَ: **«اللَّهُمَّ حَبِّبْ إِلَيْنَا المَدِينَةَ كَحُبِّنَا مَكَّةَ أَوْ أَشَدَّ حُبًّا، وَصَحِّحْهَا وَبَارِكْ فِي صَاعِهَا وَمُدِّهَا وَانْقُل حُمَاهَا فَاجعَلْهَا بِالجُحْفَةِ»**[1].

فَإِنَّ مَدِينَةَ الرَّسُولِ الكَرِيمِ ﷺ طَيبَةَ الطَّيِّبَةَ. مَهبِطُ الوَحْيِ وَمُتَنَزَّلُ جِبرِيلَ الأَمِين عَلَى الرَّسُولِ الكَرِيم ﷺ، وَهِيَ مَأرِزُ الإِيمَانِ، وَمُلتَقَى المُهَاجِرِينَ وَالأَنصَار، وَمَوطِنُ الَّذِينَ تَبَوَّؤُوا الدَّارَ وَالإِيمَان، وَهِيَ العَاصِمَةُ الأُولَى للمُسلِمِينَ، فِيهَا عُقِدَت أَلوِيَةُ الجِهَادِ فِي سَبِيلِ الله فَانطَلَقَت كَتَائِبُ الحَقِّ لِإِخرَاجِ النَّاسِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ، وَمِنهَا شَعَّ

(١) صحيح البخاري، البخاري، كتاب مناقب الأنصار، (٣٩٢٦). **صحيح مسلم، مسلم**، كتاب الجامع، ما جاء في وباء المدينة، (٢٦٠٣).

النُّورُ، فَأَشرَقَتِ الأَرضُ بِنُورِ الهِدَايَةِ، وَهِيَ دَارُ هِجرَةِ المُصطَفَى ﷺ، إِلَيهَا هَاجَرَ، وَعَاشَ فِيهَا ءَاخِرَ حَيَاتِهِ ﷺ، وَبِهَا مَاتَ، وَفِيهَا دُفِنَ، وَمِنهَا يُبعَثُ، وَقَبرُهُ أَوَّلُ القُبُورِ انشِقَاقًا عَن صَاحِبِهِ، وَلَا يُقطَعُ بِمَكَانِ قَبرِ أَحَدٍ مِنَ الأَنبِيَاءِ سِوَى مَكَان قَبرِهِ ﷺ.

وَهَذِهِ المَدِينَةُ المُبَارَكَةُ شَرَّفَهَا اللهُ وَفَضَّلَهَا، وَجَعَلَهَا خَيرَ البِقَاعِ بَعدَ مَكَّةَ[1]، وَيَدُلُّ لِتَفضِيلِ مَكَّةَ عَلَى المَدِينَةِ قَولُ الرَّسُولِ الكَرِيمِ ﷺ لَمَّا أَخرَجَهُ الكُفَّارُ مِنهَا وَاتَّجَهَ إِلَى المَدِينَةِ مُهَاجِرًا، قَالَ مُخَاطِبًا مَكَّةَ: «**وَاللهِ إِنَّكِ لَخَيْرُ أَرْضِ اللهِ، وَأَحَبُّ أَرْضِ اللهِ إِلَى اللهِ، وَلَوْلَا أَنِّي أُخْرِجْتُ مِنْكِ مَا خَرَجْتُ**»[2].

فَمِن فَضَائِلِ هَذِهِ المَدِينَةِ المُبَارَكَةِ: أَنَّ اللهَ تَعَالَى جَعَلَهَا حَرَمًا ءَامِنًا كَمَا جَعَلَ مَكَّةَ حَرَمًا ءَامِنًا، وَقَد جَاءَ عَنِ النَّبِيِّ الكَرِيمِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «**إِنَّ إِبْرَاهِيمَ حَرَّمَ مَكَّةَ، وَإِنِّي حَرَّمْتُ المَدِينَةَ**»[3]. وَالمَقصُودُ مِن هَذَا التَّحرِيمِ المُضَافِ إِلَى مُحَمَّدٍ ﷺ، وَإِلَى إِبرَاهِيمَ ﷺ هُوَ إِظهَارُ التَّحرِيمِ، وَإِلَّا فَإِنَّ التَّحرِيمَ مِنَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ هَذَا حَرَمًا، وَجَعَلَ هَذَا حَرَمًا. وَاختَصَّ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ هَاتَينِ البَلدَتَينِ بِهَذِهِ الصِّفَةِ الَّتِي هِيَ الحُرمَةُ دُونَ سَائِرِ البِلَادِ، وَلَم يَأْتِ دَلِيلٌ ثَابِتٌ يَدُلُّ عَلَى تَحرِيمِ شَىءٍ غَيرِ مَكَّةَ وَالمَدِينَةِ، وَمَا شَاعَ عَلَى أَلسِنَةِ كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ مِن أَنَّ المَسجِدَ الأَقصَى ثَالِثُ الحَرَمَينِ هُوَ مِنَ الخَطَأ الشَّائِعِ، لِأَنَّهُ لَيسَ هُنَاكَ لِلحَرَمَينِ ثَالِثٌ، وَلَكِنَّ التَّعبِيرَ الصَّحِيحَ أَن يُقَالَ ثَالِثَ المَسجِدَينِ، أَي المُشَرَّفَينِ

---

(١) على قول أكثر العلماء.

(٢) سنن الترمذي، الترمذي. سنن ابن ماجه، ابن ماجه. وقد سبق تخريجه.

(٣) صحيح مسلم، مسلم، كتاب الحج، باب فضل المدينة، (١٣٦٢).

المُعَظَّمِينِ، وَالنَّبِيُّ ﷺ جَاءَ عَنهُ مَا يَدُلُّ عَلَى فَضلِ هَذِهِ المَسَاجِدِ الثَّلَاثَةِ وَعَلَى قَصدِهَا للصَّلَاةِ فِيهَا، حَيثُ قَالَ عَلَيهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**لَا تُشَدُّ الرِّحَالُ إِلَّا إِلَى ثَلَاثَةِ مَسَاجِدَ: المَسجِد الحَرَام وَمَسجِدِي هَذَا، وَالمَسجِد الأَقصَى**»[1].

ثُمَّ إِنَّ المَقصُودَ بِالحَرَمِ فِي مَكَّةَ وَالمَدِينَة: مَا تُحِيطُ بِهِ الحُدُود لِكُلٍّ مِنهُمَا، هَذَا هُوَ الحَرَمُ، وَمَا شَاعَ مِن إِطلَاقِ الحَرَمِ عَلَى المَسجِدِ النَّبَوِيِّ فَقَط فَهُوَ مِنَ الخَطَأ الشَّائِع، لِأَنَّهُ لَيسَ هُوَ الحَرَمُ وَحدَهُ، بَلِ المَدِينَةُ كُلُّهَا حَرَمٌ مَا بينَ عَيرٍ إِلَى ثَوْرٍ، وَمَا بينَ لَابَتَيْهَا، وَقَد قَالَ عَلَيهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**المَدِينَةُ حَرَمٌ مَا بَيْنَ عَيرٍ وَثَوْرٍ**»[2].

وَقَالَ ﷺ: «**إِنِّي أُحَرِّمُ مَا بَيْنَ لَابَتَيِ المَدِينَةِ أَنْ يُقْطَعَ عِضَاهُهَا**[3] **أَوْ يُقْتَلَ صَيْدُهَا**»[4].

ثُمَّ إِنَّ الفَضَائِلَ الَّتِي جَاءَت فِي شَأنِ هَذِهِ المَدِينَةِ المُبَارَكَةِ كَثِيرَة؛ مِنهَا: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، سَمَّاهَا «طَيْبَة» وَ«طَابَة» بَل إِنَّهُ ثَبَتَ فِي صَحِيح مُسلِم أَنَّ اللهَ سَمَّاهَا «طَابَة»، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**إِنَّ اللهَ سَمَّى المَدِينَةَ طَابَةَ**»[5] وَهَذَانِ اللَّفظَانِ مُشتَقَّانِ مِن الطِّيبِ، وَيَدُلَّانِ عَلَى الطِّيبِ فَهُمَا لَفظَانِ طَيِّبَان، أُطْلِقَا عَلَى بُقعَةٍ طَيِّبَةٍ.

---

(١) صحيح البخاري، البخاري، وقد سبق تخريجه.

(٢) صحيح البخاري، البخاري، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، (٧٣٠٠).

(٣) العضاه كل شجرٍ فيه شوك. شرح النووي على مسلم، النووي، (١٣٦/٩).

(٤) صحيح مسلم، مسلم، كتاب الحج، باب فضل المدينة، (١٣٦٣).

(٥) صحيح مسلم، مسلم، كتاب الحج، باب المدينة تنفي شرارها، (١٣٨٥).

وَمِن فَضَائِلِهَا: أَنَّ الإِيمَانَ يَأْرِزُ إِلَيهَا، كَمَا قَالَ ﷺ: «**إِنَّ الإِيمَانَ لَيَأْرِزُ**[1] **إِلَى المَدِينَةِ كَمَا تَأْرِزُ الحَيَّةُ إِلَى جُحْرِهَا**»[2]. وَمَعنَى ذَلِكَ أَنَّ الإِيمَانَ يَتَّجِهُ إِلَيهَا وَيَكُونَ فِيهَا، وَالمُسلِمُونَ يَؤُمُّونَهَا أَي يَقصِدُونَهَا، وَيَدفَعُهُم إِلَى ذَلِكَ الإِيمَانُ وَمَحَبَّةُ هَذِهِ البُقعَةِ المُبَارَكَةِ الَّتِي حَرَّمَهَا اللهُ عَزَّ وَجَلَّ.

وَمِن فَضَائِلِهَا: مَا جَاءَ عَنِ النَّبِيِّ عَلَيهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أَنَّهُ وَصَفَهَا بِأَنَّهَا قَريَةٌ تَأكُلُ القُرَى، قَالَ ﷺ: «**أُمِرْتُ بِقَرْيَةٍ تَأْكُلُ القُرَى** يَعنِي: أُمِرَ بِالهِجرَةِ إِلَى هَذِهِ القَريَةِ الَّتِي تَأكُلُ القُرَى - «**يَقُولُونَ لَها: يَثْرِب، وَهِيَ المَدِينَة**»[3]. فَقَولُهُ عَلَيهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ «**تَأْكُلُ القُرَى**» فُسِّرَ بِأَنَّهَا تَنتَصِرُ عَلَيهَا، وَتَكُونُ الغَلَبَةُ لَها عَلَى غَيرِهَا مِنَ القُرَى، وَفُسِّرَ بِأَنَّهَا تُجلَبُ إِلَيهَا الغَنَائِمُ الَّتِي تَحصُلُ فِي الجِهَادِ فِي سَبِيلِ الله، وَتُنقَلُ إِلَيهَا، وَكُلٌّ مِن هَذَينِ الأَمرَينِ قَد وَقَعَ وَحَصَلَ، فَحَصَلَ تَغَلُّبُ هَذِهِ المَدِينَةِ عَلَى غَيرِهَا مِنَ المُدُنِ، بِأَن انطَلَقَ مِنهَا الهُدَاةُ المُصلِحُونَ وَالغُزَاةُ الفَاتِحُون، وَأَخرَجُوا النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذنِ رَبِّهِم، فَدَخَلَ النَّاسُ فِي دِينِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ وَكُلُّ خَيرٍ حَصَلَ لأَهلِ الأَرضِ فَإِنَّمَا خَرَجَ مِن هَذِهِ المَدِينَةِ المُبَارَكَةِ، مَدِينَةِ الرَّسُولِ ﷺ، فَكَونُهَا تَأكُلُ القُرَى يَصدُقُ عَلَى كَونِ الانتِصَارِ لَهَا عَلَى غَيرِهَا مِنَ المُدُنِ، كَمَا حَصَلَ ذَلِكَ فِي الصَّدرِ الأَوَّلِ، وَمَعَ الرَّعِيلِ الأَوَّلِ مِن أَصحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَالخُلَفَاءِ

---

(١) أي ينضم ويجتمع.

(٢) **صحيح البخاري**، البخاري، باب الإيمان يأرز إلى المدينة (١٨٧٦).

(٣) **صحيح البخاري**، البخاري، باب فضل المدينة وأنها تنفي الناس، (١٨٧١). **صحيح مسلم**، مسلم، كتاب الحج، باب المدينة تنفي شرارها، (١٣٨٢).

الرَّاشِدِين وَكَذَلِكَ أيضًا قَد حَصَلَ، فَإِنَّ النَّبِيَّ ﷺ أخبَرَ عَن إنفَاقِ كُنُوزِ كِسرَى وَقَيصَرَ فِي سَبِيلِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ وَقَد حَصَلَ ذَلِكَ، فَقَد أُتِيَ بِهَذِهِ الكُنُوزِ إِلَى هَذِهِ المَدِينَةِ المُبَارَكَةِ، وَقُسِّمَت عَلَى يَدِ الفَارُوقِ عُمَرَ رضي الله عنه وَأَرضَاهُ.

وَمِن فَضَائِلِهَا: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ حَثَّ عَلَى الصَّبرِ عَلَى لَأوَائِهَا وَجَهْدِهَا[1]، وَقَالَ: «**المَدِينَةُ خَيْرٌ لَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُون**»[2]. قَالَ ذَلِكَ فِي حَقِّ الَّذِينَ فَكَّرُوا فِي الانتِقَالِ مِنَ المَدِينَةِ إِلَى الأَمَاكِنِ الَّتِي فِيهَا الرَّخَاء، وَسَعَةِ الرِّزقِ، وَكَثرَةِ المَالِ، فَالنَّبِيُّ ﷺ قَالَ: «**المَدِينَةُ خَيْرٌ لَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ، لَا يَدَعُهَا أَحَدٌ رَغْبَةً عَنْهَا إِلَّا أَبْدَلَ اللهُ فِيهَا مَنْ هُوَ خَيْرٌ مِنْهُ، وَلَا يَثْبُتُ أَحَدٌ عَلَى لَأْوَائِهَا وَجَهْدِهَا إِلَّا كُنْتُ لَهُ شَفِيعًا أَوْ شَهِيدًا يَوْمَ القِيَامَةِ**»[3].

وَهَذَا يَدُلُّنَا عَلَى فَضلِ هَذِهِ المَدِينَةِ، وَفَضلِ الصَّبرِ عَلَى الشِّدَّةِ وَاللَّأوَاءِ وَالجهدِ وَالضَّنْكِ[4] إِذَا حَصَلَ لأَحَدٍ، فَلَا يَكُونُ ذَلِكَ دَافِعًا لَهُ إِلَى أَن يَنتَقِلَ مِنهَا إِلَى غَيرِهَا يَبحَثُ عَنِ الرَّخَاءِ وَعَن سَعَةِ الرِّزقِ، بَل يَصبِرُ عَلَى مَا يَحصُلُ لَهُ فِيهَا، وَقَد وُعِدَ بِهَذَا الأَجرِ العَظِيمِ وَالثَّوَابِ الجَزِيلِ مِنَ اللهِ سُبحَانَهُ وَتَعَالَى.

وَمِن فَضَائِلِهَا: أَنَّ النَّبِيَّ عَلَيهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بَيَّنَ عِظَمَ شَأنِهَا

---

(١) اللأواء الشدة والجوع، وأما الجَهد فهو المشقة. شرح النووي على مسلم، مسلم، (٩/ ١٣٦).

(٢) صحيح مسلم، مسلم، كتاب الحج، باب فضل المدينة، (١٣٦٣).

(٣) صحيح مسلم، مسلم، كتاب الحج، باب فضل المدينة، (١٣٦٣).

(٤) أي الضيق والشدة.

وَخُطُورَةَ الإِحدَاثِ فِيهَا عِندَمَا بَيَّنَ حُرمَتَهَا قَالَ: «**المَدِينَةُ حَرَمٌ مَا بَيْنَ عَيْرٍ إِلَى ثَوْرٍ، مَنْ أَحْدَثَ فِيهَا حَدَثًا أَوْ ءَاوَى مُحْدِثًا فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللهِ وَالمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ، لَا يَقْبَلُ اللهُ مِنْهُ صَرْفًا وَلَا عَدْلًا**»[1].

وَمِن فَضَائِلِهَا: مَا جَاءَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ مِنَ الدُّعَاءِ لَهَا بِالبَرَكَةِ، وَمِن ذَلِكَ قَولُهُ ﷺ: «**اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي ثَمَرِنَا، وَبَارِكْ لَنَا فِي مَدِينَتِنَا، وَبَارِكْ لَنَا فِي صَاعِنَا، وَبَارِكْ لَنَا فِي مُدِّنَا**»[2].

وَمِنْ فَضَائِلِهَا: أَنَّهَا لَا يَدخُلُهَا الطَّاعُونُ وَلَا الدَّجَّالُ، قَالَ ﷺ: «**عَلَى أَنْقَابِ المَدِينَةِ مَلَائِكَةٌ، لَا يَدْخُلُهَا الطَّاعُونُ وَلَا الدَّجَّالُ**»[3].

وَالأَحَادِيثُ فِي فَضلِ المَدِينَةِ كَثِيرَةٌ جِدًّا، وَهَذَا الَّذِي ذَكَرتُ إِنَّمَا هُوَ جُملَةٌ مِنهَا مِمَّا فِي الصَّحِيحَينِ أَو أَحَدِهِمَا.

وَنُحَاوِلُ فِي هَذَا البَابِ الكَلَامَ عَن بَعضِ فَضَائِلِ المَدِينَةِ المُنَوَّرَةِ لِتَشوِيقِ القَارِئِ وَالزَّائِرِ.

١- احتِوَاؤُهَا قَبْرَ الرَّسُولِ عَلَيهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ:

وَاعلَم أَنَّهُ عَلَيهِ الصَّلَاةُ وَأَحلَى التَّسلِيم أَفضَلُ الخَلَائِقِ وَهَكَذَا فَالمَكَانُ الَّذِي يَحتَوِي جَسَدَهُ الشَّرِيف هُوَ خَيرُ بُقعَةٍ عَلَى الإِطلَاقِ.

وَقَد حَرَّمَ اللهُ عَلَى الأَرضِ أَن تَأكُلَ شَيئًا مِن أَجسَادِ الأَنبِيَاءِ عَلَيهِمُ السَّلَام لِعَظَمَةِ قَدرِهِم فَمَا بَالُكَ بِإِمَامِهِم وَخَاتِمِهِم، وَقَد بَشَّرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَهلَ المَدِينَةِ عِندَ تَوزِيعِ الغَنَائِمِ فِي غَزوَةِ الطَّائِفِ قَائِلًا: «**أَفَلَا**

(١) صحيح البخاري، البخاري، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، (٧٣٠٠).

(٢) صحيح مسلم، مسلم، كتاب الحج، باب فضل المدينة، (١٣٧٣).

(٣) صحيح البخاري، البخاري، كتاب الفتن، باب لا يدخل الدجال المدينة، (٧١٣٣).

تَرْضَوْنَ يَا مَعْشَرَ الأَنْصَارِ أَنْ يَذْهَبَ النَّاسُ إِلَى رِحَالِهِمْ بِالشَّاةِ وَالبَعِيرِ وَتَذْهَبُونَ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ إِلَى رِحَالِكُم، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ النَّاسَ سَلَكُوا شِعْبًا وَسَلَكَتِ الأَنْصَارُ شِعْبًا لَسَلَكْتُ شِعْبَ الأَنْصَارِ، وَلَوْلَا الهِجْرَةُ لَكُنْتُ امْرَأً مِنَ الأَنْصَارِ، اللَّهُمَّ ارْحَمِ الأَنْصَارَ وَأَبْنَاءَ الأَنْصَارِ وَأَبْنَاءَ أَبْنَاءِ الأَنْصَارِ»[1]، فَبَكَى القَوْمُ حَتَّى أَخْضَلُوا لِحَاهُم، وَقَالُوا: رَضِينَا بِرَسُولِ اللهِ قِسْمًا وَحَظًّا. وَمَا أَعظَمَهَا مِن قِسْمَةٍ أَخَذَهَا أَهلُ المَدِينَةِ.

٢- حَرَمُ الرَّسُولِ:

مَعلُومٌ مِمَّا سَبَقَ أَنَّ النَّبِيَّ عَلَيهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ حَرَّمَ المَدِينَةَ حَيثُ قَالَ: «**إِنَّ إِبْرَاهِيمَ حَرَّمَ مَكَّةَ وَدَعَا لِأَهْلِهَا، وَإِنِّي حَرَّمْتُ المَدِينَةَ كَمَا حَرَّمَ إِبْرَاهِيمُ مَكَّةَ**»[2].

٣- دَارُ الإِيمَانِ:

إِلَيهَا جَاءَ الإِسلَامُ وَءَاوَت رَسُولَهُ وَنَصَرَتْهُ، وَفِي الحَدِيثِ كَمَا ذَكَرنَا قَبلُ: «**الإِيمَانُ يَأْرِزُ إِلَى المَدِينَةِ كَمَا تَأْرِزُ الحَيَّةُ إِلَى جُحْرِهَا**»[3].

وَهِيَ الطَّاهِرَةُ: قَالَ عَلَيهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فِي الحَدِيثِ: «**إِنَّمَا المَدِينَةُ كَالكِيْرِ تَنْفِي خَبَثَهَا وَتُنَصِّعُ طِيبَهَا**»[4]. فَالخَبِيثُ لَا يَبقَى فِيهَا لِطَهَارَتِهَا[5].

---

(١) صحيح البخاري، البخاري، المغازي، (٤٣١٩). مسند أحمد، الإمام أحمد، (١١٧٣٠).

(٢) صحيح مسلم، مسلم، كتاب الحج، باب فضل المدينة، (١٣٦٠).

(٣) صحيح البخاري، البخاري، باب الإيمان يأرز إلى المدينة (١٨٧٦).

(٤) سنن الترمذي، الترمذي، كتاب المناقب، باب ما جاء في فضل المدينة، (٣٩٢٠).

(٥) وإن دُفِنَ فيها كافرٌ، فإنه يُخرجُ منها، يحتمل أن تُخرجه الملائكة من المدينة.

وَهِيَ الحَصِينَةُ: وَذَلِكَ للحَدِيثِ الَّذِي رَوَاهُ الإِمَامُ أَحمَدُ: **«رَأَيْتُ كَأَنِّي فِي دِرْعٍ حَصِينَةٍ فَأَوَّلْتُ أَنَّ الدِّرْعَ الحَصِينَةَ المَدِينَةُ»**(١).

وَهِيَ الحَبِيبَةُ: للحَدِيثِ الَّذِي أَورَدنَاهُ: **«اللَّهُمَّ حَبِّبْ إِلَيْنَا المَدِينَةَ...»**(٢).

وَهِيَ الشَّافِيَةُ: لِقَولِ الرَّسُولِ الكَرِيمِ ﷺ: **«وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّ فِي غُبَارِهَا شِفَاءٌ مِنْ كُلِّ دَاءٍ»**(٣)، وَتَمرُهَا فِيهِ شِفَاءٌ مِنَ السَّقَمِ وَكَذَلِكَ مِنَ السِّحرِ.

تَضَاعُفُ البَرَكَة: دَعَا رَسُولُ اللهِ ﷺ بِتَضَاعُفِ البَرَكَةِ فِي المَدِينَةِ: **«اللَّهُمَّ اجْعَلْ بِالمَدِينَةِ ضِعْفَي مَا جَعَلْتَ بِمَكَّةَ مِنَ البَرَكَةِ»**(٤) طَلَبَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَن تُضَاعَفَ البَرَكَة مَرَّتَينِ عَلى مَا هِيَ عَلَيهِ فِي مَكَّة المُكَرَّمَة وَهُوَ لَا يَنطِقُ عَنِ الهَوَى.

النَّاصِعَةُ وَالطَّيِّبَةُ: فَالمَدِينَةُ تُبِينُ وَتُظهِرُ المَحَاسِنَ وَتَطْرُدُ المَسَاوِئَ، وَفِي الحَدِيثِ أَنَّهُ لَمَّا أَرَادَ أَعرَابِيٌّ رَدَّ حَلفِهِ وَالخُرُوجَ مِنَ المَدِينَةِ لِمَرَضٍ أَصَابَهُ قَالَ ﷺ: **«إِنَّمَا المَدِينَةُ كَالكِيْرِ تَنْفِي خَبَثَهَا وَتُنَصِّعُ طِيبَهَا»**(٥).

---

(١) مسند أحمد، أحمد، مسند جابر بن عبد الله، (١٤٧٨٧).

(٢) صحيح البخاري، البخاري، (١٨٨٩). صحيح مسلم، مسلم، (١٣٧٦).

(٣) جامع الأصول، ابن الأثير، (٩/ ٣٣٤)، (ح/ ٦٩٦٢).

(٤) صحيح البخاري، البخاري، فضائل المدينة، (١٨٨٥).

(٥) سنن الترمذي، الترمذي، كتاب المناقب، باب ما جاء في فضل المدينة، (٣٩٢٠).

مِنْ أَسْمَاءِ المَدِينَةِ المُنَوَّرَةِ

الطَّيِّبَةُ	طَابَة	المُشَرَّفَة	العَذْرَاءُ	دَارُ الهِجْرَةِ	العَاصِمَةُ
أَرْضُ اللهِ	البَارَّةُ	البَرَّةُ	البُحَيْرَةُ	البَحِيرَةُ	الجَابِرَةُ
الجَنَّةُ الحَصِينَةُ	حَسَنَة	الخَيِّرَة	دَارُ الأَبْرَارِ	دَارُ السُّنَّةِ	دَارُ السَّلَامِ
دَارُ الفَتْحِ	طَابِب	ظَبَابَا	الغَرَّاءُ	غَلَبَة	القَاصِحَةُ
القَاصِمَةُ	قُبَّةُ الإِسْلَامِ	قَرْيَةُ الأَنْصَارِ	قَلْبُ الإِيمَانِ	المُؤْمِنَةُ	المُبَارَكَةُ
المَجْبُورَةُ	المُحَبَّبَة	المُحِبَّة	المَحْبُوبَة	المَحبُورَة	المُحَرَّمَة
المَحْرُوسَة	المَحْفُوفَة	المُخْتَارَة	مُدْخَلُ صِدْقٍ	المَرْحُومَة	المَرْزُوقَة
المِسكِينَة	المُسلِمَة	المُطَيَّبَة	المُقَدَّسَة	المَقَرُّ	المَكِينَة
المُوَفِّيَة	النَّاجِيَة	نَبْلَاءُ	النَّحْرُ	يَنْدَد	

حُدُودُ حَرَمِ المَدِينَةِ المُنَوَّرَةِ

قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «المَدِينَةُ حَرَمٌ مَا بَيْنَ عَيْرٍ إِلَى ثَوْرٍ، مَنْ أَحْدَثَ فِيهَا حَدَثًا أَوْ ءَاوَى مُحْدِثًا فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللهِ وَالمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ»[1].

وَبينَ جبَلِ عَيرٍ وَثَورٍ مَسَافَةُ ١٥كم تَقرِيبًا وَهُمَا حَدُّ الحَرَمِ فِي الطُّولِ جَنُوبًا وَشَمَالًا، أَمَّا الجِهَةُ الشَّرقِيَّةِ وَالغَربِيَّةِ فَقَد قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«إِنِّي أُحَرِّمُ مَا بَيْنَ لَابَتَي المَدِينَةِ»[2]**، وَاللَّابَةُ: الأَرضُ الَّتِي أُلبِسَت الحِجَارَة السُّود، وَهُنَاكَ لَابَةٌ شَرقي المَدِينَة وَأُخرَى غَربَهَا، وَاللَّابَتَانِ: الحَرَّةُ الشَّرقِيَّة وَالحَرَّةُ الغَربِيَّة.

قَالَ ابنُ حَجَرٍ: وَالمُرَادُ بِلَعنَةِ المَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ: المُبَالَغَةُ فِي الابعَادِ عَن رَحمَةِ اللهِ، وَالمُرَادُ بِاللَّعنِ هُنَا: العَذَابُ الَّذِي يَستَحِقُّهُ عَلَى ذَنبِهِ فِي أَوَّلِ الأَمرِ وَلَيس هُوَ كَلَعنِ الكَافِرِ.

وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ عَنِ المَدِينَةِ: **«إِنَّهَا حَرَمٌ ءَامِنٌ، إِنَّهَا حَرَمٌ ءَامِنٌ»[3]**.

الحَرَّةُ الشَّرقِيَّة حَرَّةُ وَاقِم قَدِيمًا: الحَرَّةُ بِفَتحِ الحَاءِ وَتَشدِيدِ الرَّاءِ: أَرضٌ ذَات حِجَارَةٍ سُودٍ نَخِرَةٍ كَأَنَّهَا أُحرِقَت بِالنَّارِ. وَالجَمعُ حِرَار بِالكَسرِ. وَالحَرَّةُ الشَّرقِيَّة تَحُدُّ حَرَمَ المَدِينَةِ شَرقًا وَتَنقَسِمُ هَذِهِ الحَرَّةُ بِاعتِبَارِ المَنَازِلِ الوَاقِعَةِ فِيهَا قَدِيمًا إِلَى خَمسِ مَنَاطِق مُتَجَاوِرَة فَبِزَهرَة شَرقي قُبَاء مَنَازِلُ بَنِي نَضِير وَبِشَمَالِهَا مَنَازِلُ بَنِي قُرَيظَة وَبِشَمَالِهَا مَنَازِلُ

---

(١) صحيح البخاري، البخاري، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، (٧٣٠٠).

(٢) صحيح مسلم، مسلم، كتاب الحج، باب فضل المدينة، (١٣٦٣).

(٣) المعجم الكبير، الطبراني، باب السين، (٦/ ٩٢)، (ح/ ٥٦١٢).

بَنِي ظَفَر، وَبِشَمَالِهَا جَانِحًا إِلَى الشَّرقِ مَنَازِلُ بَنِي عَبدِ الأَشهَلِ، وَبِهَا كَانَ حِصنُ وَاقِم الَّذِي سُمِّيَت بِهِ الحَرَّة. وَبِشَمَالِهِم مَنَازِلُ بَنِي حَارِثَة إِلَى نِهَايَةِ الحَرَّة.

وَرَدَ فِي التَّورَاةِ أَنَّهَا مُهَاجَر نَبِيّ ءَاخِرِ الزَّمَانِ، وَلِذَلِكَ نَزَلَ بِهَا يَهُود قَينُقَاع، وَالنَّضِير، وَقُرَيظَةَ انتِظَارًا لَهُ[1].

تَمتَدُّ هَذِهِ الحَرَّةُ مِن شَرقَي البَقِيعِ بِمِائَتَي مِترٍ حَتَّى قُربَ مَهدِ الذَّهبِ بِمَسَافَةِ مِائَةٍ وَعِشرِينَ مِيلًا.

الحَرَّةُ الغَربِيَّة: حَرَّةُ الوَبرَة قَدِيمًا، تَحُدُّ حَرَمَ المَدِينَةِ غَربًا وَهِيَ احدَى اللَّابَتَينِ اللَّتَينِ وَرَدَ ذِكرُهُمَا فِي الحَدِيثِ. وَتَقَعُ مَنَازِلُ بَنِي سَلِمَةَ بِطَرَفِهَا الشَّمَالِيّ الشَّرقِيِّ وَبِهَا مَسجِدُ القِبلَتَينِ، وَبِطَرَفِهَا الغَربِيّ قَصرُ عُروَةَ بنِ الزُّبَيرِ وَبِئرُهُ وَمَزَارِعُهُ، وَبِطَرَفِهَا الجَنُوبِيّ الغَربِيّ البَسَاتِينُ وَقَلعَةُ قُبَاء الَّتِي لَا تَزَالُ شَامِخَة. وَكَانَت مَنَازِلُ بَنِي قَينُقَاع تَمتَدُّ مِن هَذَا الطَّرَفِ إِلَى قُربَان.

جَبَلُ عَير: بِفَتحِ العَينِ. حَدُّ المَدِينَةِ الجَنُوبِيّ، وَهُوَ أَكبَرُ جَبَلٍ بِالمَدِينَةِ بَعدَ جَبَلِ أُحُد، يَقَعُ جَنُوبَ المَدِينَةِ المُنَوَّرَةِ وَشَرقِيّ وَادِي العَقِيقِ قُربَ ذِي الحُلَيفَةِ آبَارِ عَلِيّ، وَيَبعُدُ عَنِ المَسجِدِ النَّبَوِيّ الشَّرِيفِ بِحُدُودِ ٨كم تَقرِيبًا، وَيَبدُو وَاضِحًا لِلنَّاظِرِ فِي هَذِهِ الجِهَةِ قُربَ مَنطَقَة عُروَة وَهُوَ صَخرَةٌ سَودَاء، وَسُمِّيَ بِجَبَلِ عَير تَشبِيهًا لَهُ بِظَهرِ الحِمَارِ المُمتَدِّ بِاستِوَاء.

---

(١) وفاء الوفا، السمهودي، (١/١٢٨-١٢٩).

جَبَلُ ثَورٍ: يُسَمِّيهِ النَّاسُ اليَومَ بِجَبَلِ الدَّقَّاقَات، وَهُوَ جَبَلٌ أَحمَرٌ صَغِيرٌ مُدَوَّرٌ خَلْفَ جَبَلِ أُحُدٍ مِن شَمَالِهِ[1]، وَهُوَ حَدُّ المَدِينَةِ المُنَوَّرَةِ مِنَ الشَّمَالِ وَيَبعُدُ عَنِ المَسجِدِ النَّبَوِيِّ الشَّرِيفِ ٨كم، وَيَبعُدُ عَن جَبَلِ عَيْرٍ ١٥كم، وَحَرَمُ المَدِينَةِ بَينَ هَذَينِ الجَبَلَينِ.

فَضلُ مِقْبَرَتِهَا

وَتُسَمَّى البَقِيع كَمَا أَسلَفْنَا وَكَذَلِكَ الغَرْقَد وَذَلِكَ لِمَا فِيهَا مِن أَهلِ الرَّسُولِ ﷺ وَالصَّحَابَةِ، وَتَرْوِي أُمُّ قَيس بِنت مِحصِنٍ أَنَّ النَّبِيَّ عَلَيهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قَالَ لَهَا: «**أَتَرَيْنَ هَذِهِ المَقْبَرَةَ - لِبَقِيعِ الغَرقَدِ؟ يُبْعَثُ مِنْهَا سَبْعُونَ أَلفًا، وُجُوهُهُمْ كَالقَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ، يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ بِغَيرِ حِسَابٍ**»[2].

وَالبَقِيعُ يُضِيءُ لأَهلِ السَّمَاءِ كَمَا تُضِيءُ الشَّمسُ لأَهلِ الدُّنيَا.

وَمِمَّن دُفِنَ فِيهَا مِنَ الصَّحَابَةِ سَادَاتُنَا: عُثمَانُ بنُ عَفَّان - عَبدُ اللهِ بنُ مَظْعُون - أَسعَدُ بنُ زُرَارَة - عَبدُ الرَّحمَنِ بنُ عَوفٍ - أَبُو سَعِيدٍ الخُدرِيُّ - سَعدُ بنُ مُعَاذ - العَبَّاسُ بنُ عَبدِ المُطَّلِب - عَبدُ اللهِ بنُ جَعْفَر - الحَسَنُ ابنُ عَلِيّ - سَعدُ بنُ أَبِي وَقَّاص.

وَمِن أُمَّهَاتِ المُؤمِنِين: عَائِشَة - سَوْدَة - حَفْصَة - زَينَبُ بِنتُ خُزَيمَة - أُمُّ سَلَمَة - زَينَبُ بِنتُ جَحْش - رَيْحَانَة - جُوَيْرِيَة - رَمْلَة - صَفِيَّةُ بِنتُ حُيَي.

---

(١) .4E.4N 3936'12. Location 2433'23

(٢) المسند، الطيالسي، ما روت أم قيس بنت محصن الانصارية عن النبي ﷺ، (ح/١٧٢٩).

وَمِن أولَادِ الرَّسُولِ الكَرِيم: إبرَاهِيم ـ فَاطِمَة ـ زَينَب ـ أُمُّ كُلثُوم ـ رُقَيَّة. رِضوَانُ اللهِ عَلَيهِم جَمِيعًا.

وَيُسَنُّ لِزَائِرِ البَقِيعِ أن يَدعُوَ بِالدُّعَاءِ المَأثُورِ: «السَّلَامُ عَلَيكُم أَهلَ الدِّيَارِ مِنَ المُؤمِنِينَ وَالمُسلِمِينَ، وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللهُ بِكُم لَاحِقُون، نَسأَلُ اللهَ لَنَا وَلَكُم العَافِيَة».

فَضْلُ المُجَاوَرَةِ فِيهَا

كَيفَ لَا تَحِنُّ الأَروَاحُ لِبَلَدٍ يَقصدُهُ الرَّاجِلُ وَالمَلَّاحُ، إِنَّهُ مَهبِطُ الوَحيِ، وَالأَفرَاحِ وَمَقَام سَيِّدِ العَالَمِين، وَكَيفَ لَا يَرِقُّ القَلبُ وَيَعتَرِفُ بِالذَّنبِ عِندَ ذِكرِ مَدِينَةِ الرَّسُولِ وَالصِّدِّيقِ وَالفَارُوقِ وَفَاطِمَة البَتُولِ زَوجِ أَسَدِ اللهِ الغَالِب، مَن طَلَبَ الجَارَ قَبلَ الدَّارِ وَمَا أَعَزَّهُ مِن جَار.

قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ كَانَ لَهُ بِالْمَدِينَةِ أَصْلٌ فَلْيَتَمَسَّكْ بِهِ، وَمَنْ لَمْ يَكُنْ فَلْيَجْعَلْ لَهُ بِهَا أَصْلًا وَلَوْ قَصَرَةً**»[1].

القَصَرَةُ[2] هُوَ مَا بَقِيَ مِنَ السُّنبُلَةِ مِن حَبٍّ بَعدَ أَن تُدَاس، وَهِيَ كِنَايَةٌ[3] عَنِ الشَّيءِ القَلِيلِ، فَإِن لَم تَكُن مُجَاوِرًا فَعَلَيكَ بِمَحَبَّةِ المَدِينَةِ وَمُجَاوَرَتِهَا.

---

(١) ذكره الهيثمي في مجمعه (٣/ ٣٠١) بدون لفظ: «ولو قصرة». وعزاه للطبراني في الكبير.

(٢) قال ابن الأثير: «القَصَرَة بالفتح والتحريك أصل الشجرة وجمعها قصر. أراد فليتخذ له بها ولو نخلة واحدة». النهاية، ابن الأثير، (٤/ ٦٨).

(٣) لها عدة معان، وهذا إحدى معانيها، والمراد بالحديث ما ذكره ابن الأثير.

فَضْلُ المَوتِ بِهَا

فِي سُنَنِ التِّرمِذِيِّ عَن ابنِ عُمَرَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ «مَنِ اسْتَطَاعَ أَنْ يَمُوتَ بِالمَدِينَةِ فَلْيَمُتْ بِهَا، فَإِنِّي أَشْفَعُ لِمَنْ يَمُوتُ بِهَا»[1].

وَهَذِهِ الشَّفَاعَةُ خَاصَّةٌ مِن سَيِّدِ الخَلقِ لأَهلِ المَدِينَةِ زَادَهَا اللهُ شَرَفًا.

وَاعْلَم كَذَلِكَ أَيُّهَا المُحِبُّ الكَرِيمُ بِأَنَّ يَومَ البَعثِ أَوَّلُ مَن تَنشَقُّ عَلَيهِ الأَرضُ لِلخُرُوجِ هُوَ سَيِّدُ الخَلَائِقِ عَلَيهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ثُمَّ أَهلُ المَدِينَةِ، وَهَذِهِ مِيزَةٌ أُخرَى أُعْطِيتَ لِأَهلِهَا.

المَدِينَةُ كُلُّهَا أَنْوَارٌ

نُورُ المُصطَفَى، نُورُ النُّبُوَّةِ، نُورُ الإِيمَانِ، نُورُ الهِجرَةِ، نُورُ الأَنصَارِ، نُورُ البَقِيعِ، نُورُ أُحُد.

نَزَلَ بِهَا القُرءَانُ العَظِيمُ وَالمَلَكُ جِبرِيل الأَمِين، وَهِيَ مَزَارُ الأَبرَارِ الصَّالِحِين.

وَاعْلَم كَذَلِكَ أَنَّ المَدِينَةَ هِيَ مَلْجَأُ الأَخيَارِ وَبِهَا يَستَمِدُّونَ مِنَ الأَنوَارِ وَيَرتَقُونَ لِمَقَامَاتِ الأَبرَارِ، لِذَا فَإِنَّهَا كَمَا جَاءَ فِي الحَدِيثِ تَنفِي خَبَثَهَا وَتَنْصَعُ طِيبُهَا، فَمَنْ دَخَلَهَا بِحُسنِ الآدَابِ وَالأَخذِ بِالأَسبَابِ مَعَ العَمَلِ وَالعِلمِ يَرتَقِي مِن حَالٍ إِلَى حَالٍ أَفضَلَ مِنهُ.

---

(١) سنن الترمذي، الترمذي، أبواب المناقب عن رسول الله ﷺ، (٣٩١٧).

دُعَاءُ النَّبِيِّ لِلْمَدِينَةِ

عَن عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَت: قَدِمْنَا المَدِينَةَ وَهِيَ أَوْبَأُ أرضِ اللهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «اللَّهُمَّ حَبِّبْ إِلَيْنَا المَدِينَةَ كَحُبِّنَا مَكَّةَ أَوْ أَشَدَّ، وَصَحِّحْهَا لَنَا، وَبَارِكْ لَنَا فِي صَاعِهَا، وَفِي مُدِّنَا، وَانْقُلْ حُمَّاهَا إِلَى[1] الجُحْفَةِ»[2].

وَعَن عُمَرَ رضي الله عنه قَالَ: «غَلَا السِّعرُ بِالمَدِينَةِ فَاشْتَدَّ الجَهدُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «اصْبِرُوا وَأَبْشِرُوا، فَإِنِّي قَدْ بَارَكْتُ عَلَى مُدِّكُمْ وَصَاعِكُم، فَكُلُوا وَلَا تَفَرَّقُوا، فَإِنَّ طَعَامَ الوَاحِدِ يَكْفِي الاثْنَيْنِ، وَطَعَامُ الاثْنَيْنِ يَكْفِي الأَرْبَعَةَ، وَطَعَامُ الأَرْبَعَةِ يَكْفِي الخَمْسَةَ وَالسِّتَّةَ، وَإِنَّ الْبَرَكَةَ فِي الجَمَاعَةِ، فَمَنْ صَبَرَ عَلَى لَأْوَائِهَا وَشِدَّتِهَا كُنْتُ لَهُ شَفِيعًا أَوْ شَهِيدًا يَوْمَ القِيَامَةِ، وَمَنْ خَرَجَ عَنْهَا رَغْبَةً عَمَّا فِيهَا أَبْدَلَ اللهُ بِهِ مَنْ هُوَ خَيْرٌ مِنْهُ فِيهَا، وَمَنْ أَرَادَهَا بِشَرٍّ أَذَابَهُ اللهُ كَمَا يَذُوبُ المِلْحُ فِي المَاءِ»[3].

---

(١) قال الخطابي وغيره: كان ساكنو الجُحْفة في ذلك الوقت يهودًا، ففيه دليلٌ للدعاء على الكفار بالأمراض والأسقام والهلاك. شرح النووي على مسلم، النووي، (٩/ ١٥٠).

(٢) صحيح البخاري، البخاري، (١٨٨٩).

(٣) قال الهيثمي: روى ابن ماجه طرفًا منه، ورواه البزار ورجاله رجال الصحيح. **مجمع الزوائد**، الهيثمي، (٣/ ٣٠٦).

التَّرْغِيبُ فِي سُكْنَى المَدِينَةِ

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَن أُنَاسٍ يَخرُجُونَ مِنَ المَدِينَةِ إِلَى اليَمَنِ وَغَيرِهَا بَعدَ فَتْحِهَا: «وَالمَدِينَةُ خَيرٌ لَـهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ، لَا يَدَعُهَا أَحَدٌ رَغْبَةً عَنْهَا إِلَّا أَبْدَلَ اللهُ فِيهَا مَنْ هُوَ خَيرٌ مِنْهُ، وَلَا يَثْبُتُ أَحَدٌ عَلَى لَأْوَائِهَا وَجَهْدِهَا[1] إِلَّا كُنْتُ لَهُ شَفِيعًا أَوْ شَهِيدًا يَوْمَ القِيَامَةِ»، وَفِي رِوَايَةٍ أُخرَى: «وَلَا يُرِيدُ أَحَدٌ أَهْلَ المَدِينَةِ بِسُوءٍ إِلَّا أَذَابَهُ اللهُ فِي النَّارِ ذَوْبَ الرَّصَاصِ، أَوْ ذَوْبَ المِلْحِ فِي المَاءِ»[2].

اللَّأْوَاءُ: الشِّدَّةُ وَالجُوع، الجَهدُ: المَشَقَّة.

فَضْلُ المَوْتِ فِي المَدِينَةِ

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ يَمُوتَ بِالمَدِينَةِ فَلْيَفْعَلْ فَإِنِّي أَشْهَدُ لِمَنْ مَاتَ فِيهَا»[3].

وَقَالَ أَمِيرُ المُؤْمِنِينَ عُمَرُ بنُ الخَطَّابِ رضي الله عنهم: «اللَّهُمَّ ارْزُقْنِي شَهَادَةً فِي سَبِيلِكَ وَاجْعَلْ مَوْتِي فِي بَلَدِ رَسُولِكَ ﷺ»[4].

---

(١) الشدة وضيق العيش.

(٢) صحيح مسلم، مسلم، كتاب الحج، فضل المدينة، (١٣٦٣).

(٣) سنن ابن ماجه، ابن ماجه، كتاب المناسك، باب فضل المدينة، (٣١١٢).

(٤) صحيح البخاري، البخاري، (١٨٩٠).

فَضْلُ تَمْرِ المَدِينَةِ المُنَوَّرَة

قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَنْ أَكَلَ سَبْعَ تَمَرَاتٍ مِمَّا بَيْنَ لَابَتَيْهَا حِينَ يُصْبِحُ لَمْ يَضُرَّهُ سُمٌّ حَتَّى يُمْسِي»(١).

قَولُهُ: مَا بَينَ لَابَتَيهَا أي حَرَّتَي المَدِينَةِ الشَّرقِيَّة وَالغَربِيَّة.

يُلَاحَظُ أَنَّ هَذَا الحَدِيثَ لَم يُحَدِّد نَوعًا مِنَ التَّمرِ بَينَمَا هُنَاكَ أَحَادِيث تُحَدِّدُ العَجْوَةَ كَمَا قَالَ ﷺ: «مَنْ تَصَبَّحَ بِسَبْعِ تَمَرَاتٍ عَجْوَةً لَمْ يَضُرَّهُ ذَلِكَ اليَوْمَ سَمٌّ وَلَا سِحْرٌ»(٢).

وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّ فِي عَجْوَةِ العَالِيَةِ شِفَاءً أَوْ إِنَّهَا تِرْيَاقٌ أَوَّلَ البُكْرَةِ»(٣) وَالمُرَادُ مِنَ العَالِيَةِ: عَوَالِي المَدِينَةِ، وَالمُرَادُ مِن أَوَّلِ البُكرَةِ: أَكلُهَا عَلَى الرِّيقِ.

عَجوَتُهَا أَمَانٌ مِنَ السِّحرِ وَقَضَاءٌ عَلَى السُّمِّ بِإِذنِ اللهِ تَعَالَى.

عَن سَعدِ بنِ أَبِي وَقَّاصٍ رضي الله عنهم قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ تَصَبَّحَ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعَ تَمَراتٍ عَجْوَةً لَمْ يَضُرَّهُ فِي ذَلِكَ اليَوْمِ سُمٌّ وَلَا سِحْرٌ»(٤).

وَفِي رِوَايَةِ مُسْلِم: «مَنْ تَصَبَّحَ بِسَبْعِ تَمَرَاتٍ عَجْوَةً لَمْ يَضُرَّهُ ذَلِكَ اليَوم سُمٌّ وَلَا سِحْرٌ»(٥).

---

(١) صحيح مسلم، مسلم، كتاب الأشربة، باب فضل تمر المدينة، (٢٠٤٧).

(٢) صحيح البخاري، البخاري، كتاب الطب، باب الدواء بالعجوة للسحر، (٥٧٦٩).

(٣) صحيح مسلم، مسلم، كتاب الأشربة، باب فضل تمر المدينة، (٢٠٤٨).

(٤) صحيح البخاري، البخاري، كتاب الأطعمة، باب العجوة، (٥٤٤٥).

(٥) صحيح مسلم، مسلم، كتاب الأشربة، باب فضل تمر المدينة، (٢٠٤٧).

فِي عَجْوَتِهَا العَالِيَة شِفَاءٌ مِنَ الأَمرَاضِ

عَن عَائِشَةَ رضي الله عنها أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ في عَجْوَةِ العَالِيَةِ شِفَاءً أَوْ إِنَّهَا تِرْيَاقٌ أَوَّلَ البُكْرَةِ»[1].

تُرَابُ المَدِينَةِ المُنَوَّرَةِ عِلَاجٌ لِلمَرِيضِ

إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ إِذَا اشْتَكَى الإِنسَانُ الشَّيءَ مِنهُ أَو كَانَت بِهِ قُرحَةٌ أَو جُرحٌ، قَالَ ﷺ: بِإِصْبَعِهِ هَكَذَا، وَوَضَعَ سُفْيَانُ سَبَّابَتَهُ بِالأَرْضِ ثُمَّ رَفَعَهَا: بِسْمِ اللهِ، تُرْبَةِ أَرْضِنَا، بِرِيقَةِ بَعْضِنَا لِيُشْفَى بِهِ سَقِيمُنَا بِإِذْنِ رَبِّنَا[2].

عَنْ ثَابِتِ بنِ قَيسِ بنِ شَمَّاسٍ عَن أَبِيهِ عَن جَدِّهِ عَن رَسُولِ اللهِ ﷺ: أَنَّهُ دَخَلَ عَلَى قَيْسٍ - قَالَ أَحْمَدُ وَهوَ مَرِيضٌ - فَقَالَ: «اكْشِفِ الْبَأْسَ رَبَّ النَّاسِ عَنْ ثَابِتِ بنِ قَيْسِ بنِ شَمَّاسٍ» ثُمَّ أَخذَ تُرَابًا مِنْ بُطْحَانَ، فَجَعَلَهُ في قَدَحٍ، ثُمَّ نَفَثَ عَلَيْهِ بِمَاءٍ، وصَبَّهُ عَلَيْهِ[3].

فَائِدَةٌ: فِي هَذَا الحَدِيثِ الشَّرِيفِ إِرشَادٌ نَبوِيٌّ للمَرِيضِ وَأَهلِهِ بِالتَّوَجُّهِ إِلَى اللهِ عَزَّ وَجلَّ، وَأَنَّ مَن قَامَ بِعِيَادَةِ المَرِيضِ أَو بِعِلَاجِهِ يَنبَغِي لَهُ أَنْ يَدعُوَ اللهَ تَعَالَى أَوَّلًا بِالشِّفَاءِ، ثُمَّ يَتَّخِذُ سَبَبًا فِي الشِّفَاءِ، أَلَا وَهُوَ

---

(١) صحيح مسلم، مسلم، كتاب الأشربة، باب فضل تمر المدينة، (٢٠٤٨).

(٢) صحيح مسلم، مسلم، كتاب السلام، باب استحباب الرقية، (٢١٩٤).

(٣) سنن أبي داود، أبو داود، كتاب الطب، (٣٨٨٥). صحيح ابن حبان، ابن حبان، (٦٢٠٣).

الدَّوَاءُ، أَلَا تَرَى كَيفَ فَعَلَ النَّبِيُّ ﷺ بِثَابِتِ بنِ قَيس؟ دَعَا لَهُ أَوَّلًا بِالشِّفَاءِ، ثُمَّ أَخَذَ تُرَابًا مِن بُطحَان، فَجَعَلَهُ فِي قَدَحٍ، ثُمَّ نَفَثَ فِيهِ بِمَاءٍ، وَصَبَّهُ عَلَيهِ.

وَعَن عَائِشَةَ رضي الله عنها: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ إِذَا اشْتَكَى الإِنسَانُ الشَّيءَ مِنهُ أَو كَانَت بِهِ قُرحَةٌ أَو جُرحٌ، قَالَ ﷺ: بِإِصْبَعِهِ هَكَذَا، وَوَضَعَ سُفْيَانُ سَبَّابَتَهُ بِالأَرْضِ ثُمَّ رَفَعَهَا: «**بِسْمِ اللهِ، تُرْبَةِ أَرْضِنَا، بِرِيقَةِ بَعْضِنَا لِيُشْفَى بِهِ سَقِيمُنَا بِإِذْنِ رَبِّنَا**»[1].

فَائِدَةٌ: قَالَ جُمهُورُ العُلَمَاءِ: المُرَادُ بِأَرضِنَا هُنَا جُملَةُ الأَرضِ، وَقِيلَ: أَرضُ المَدِينَةِ خَاصَّةً لِبَرَكَتِهَا، وَالرِّيقَةُ أَقَلُّ مِن الرِّيقِ، وَمَعنَى الحَدِيث أَنَّهُ يَأخُذُ مِن رِيقِ نَفسِهِ عَلَى إِصبَعِهِ السَّبَّابَة، ثُمَّ يَضَعُهَا عَلَى التُّرَابِ، فَيَعلَقُ بِهَا مِنهُ شَيء، فَيَمسَح بِهِ عَلَى المَوضِعِ الجَرِيحِ أَوِ العَلِيلِ، وَيَقُولُ هَذَا الكَلَامَ فِي حَالِ المَسحِ وَاللهُ أَعلَمُ[2].

لَا يَدخُلُ الدَّجَّالُ المَدِينَةَ

عَن أَنَسِ بنِ مَالِكٍ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**لَيْسَ مِنْ بَلَدٍ إِلَّا سَيَطَؤُهُ الدَّجَّالُ إِلَّا مَكَّةَ وَالمَدِينَةَ، لَيْسَ مِنْ نِقَابِهَا نَقْبٌ إِلَّا عَلَيْهِ المَلَائِكَةُ صَافِّينَ يَحْرِسُونَهَا، ثُمَّ تَرْجُفُ المَدِينَةُ بِأَهْلِهَا ثَلَاث رَجَفَاتٍ فَيُخْرِجُ اللهُ كُلَّ كَافِرٍ وَمُنَافِقٍ**»[3]. النَّقَبُ: الثُّقبُ وَالطَّرِيقُ فِي الجَبَلِ. تَرجُفُ:

(١) صحيح مسلم، مسلم، كتاب السلام، باب استحباب الرقية، (٢١٩٤).
(٢) شرح النووي على صحيح مسلم، النووي، (١٤/ ١٨٤).
(٣) صحيح البخاري، البخاري، (١٨٨١).

تتحرَّكُ وتتزلزلُ.

وَعَن أَبِي هُرَيرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «يَأْتِي المَسِيحُ مِنْ قِبَلِ المَشرِقِ هِمَّتُهُ المَدِينَةُ حَتَّى يَنْزِلَ دُبُرَ أُحُدٍ، ثُمَّ تَصْرِفُ المَلَائِكَةُ وَجْهَهُ قِبَلَ الشَّامِ وَهُنَاكَ يَهْلِكُ»(١) وَفِي رِوَايَةٍ: «فَيَأْتِي سَبَخَةَ الجُرُفِ فَيَضْرِبُ رِوَاقَهُ»(٢).

المَسجِدُ النَّبوِيُّ الشَّرِيفُ

المَسجِدُ النَّبَوِيُّ أَو مَسجِدُ النَّبِيِّ أَو الحَرَمُ النَّبَوِيّ، أَحَدُ أَكبَرِ المَسَاجِدِ فِي الدُّنيَا وَثَانِي أَقدَسِ مَسجِدٍ فِي الإِسلَامِ بَعدَ المَسجِدِ الحَرَامِ فِي مَكَّةَ المُكَرَّمَة، وَهُوَ المَسجِدُ الَّذِي بَنَاهُ النَّبِيُّ مُحَمَّد ﷺ فِي المَدِينَةِ المُنَوَّرَةِ بَعدَ هِجرَتِهِ سَنَةَ ١هـ المُوَافق ٦٦٢ر عَلَى الظَّنِّ بِجَانِبِ بَيتِهِ بَعدَ بِنَاءِ مَسجِدِ قُبَاء.

بَعدَ التَّوسِعَةِ الَّتِي قَامَ بِهَا الخَلِيفَةُ الرَّاشِدُ عُمَرُ بنُ عَبدِ العَزِيزِ عَامَ ٩١هـ أَدخَلَ فِيهِ حُجرَةَ عَائِشَة وَالمَعرُوفَة حَالِيًّا بِـ «الحُجرَةِ النَّبَوِيَّةِ الشَّرِيفَةِ» وَالمَدفُونِ فِيهَا النَّبِيُّ ﷺ وَأَبُو بَكرٍ وَعُمَرُ رضي الله عنهما، وَبُنِيَت عَلَيهَا القُبَّةُ الخَضرَاءُ الَّتِي تُعَدُّ مِن أَبرَزِ مَعَالِم المَسجِدِ النَّبَوِيِّ الشَّرِيف.

وَكَانَ المُسلِمُونَ الأَوَائِل مِنَ الأَنصَارِ قَبلَ الهِجرَةِ النَّبَوِيَّةِ يَجتَمِعُونَ

---

(١) صحيح مسلم، مسلم، كتاب الحج، باب صيانة المدينة من دخول الطاعون والدجال إليها، (١٣٨٠).

(٢) صحيح مسلم، مسلم، كتاب الفتن (٢٩٤٣).

وَيُصَلُّونَ فِي مَوضِعٍ فِي وَسَطِ المَدِينَةِ المُنَوَّرَةِ وَاسمُهَا يَومَئِذٍ «يَثرِب»، حَيثُ كَانَ مُصعَبُ بنُ عُمَير المَبعُوث مِنَ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ ﷺ فِي مَكَّةَ يُصَلِّي بِهِم وَيُعَلِّمُهم القُرءَان، وَمِن قَبلِهِ كَانَ أَسعَدُ بنُ زُرَارَةَ يُصَلِّي بِهِم[1]، وَكَانَتِ الأَرضُ الَّتِي يُصَلُّونَ عَلَيهَا عِبَارَةً عَن مِربَدٍ -مَوقِفُ الإِبِلِ وَمَحبَسِهَا- لِغُلَامَينِ يَتِيمَينِ هُمَا سَهل وَسُهَيل ابنَا عَمرٍو وَكَانَا فِي حِجرِ أَسعَدِ بنِ زُرَارَةَ[2].

وَفِي الهِجرَةِ النَّبَوِيَّةِ عِندَمَا قَدِمَ النَّبِيُّ ﷺ بَرَكَت نَاقَتُهُ فِي ذَلِكَ المَوضِعِ الَّذِي كَانَ الأَنصَارُ يُصَلُّونَ فِيهِ، وَقَالَ: «هَذَا المَنْزِلُ إِنْ شَاءَ اللهُ» فَدَعَا الغُلَامَين بِالمِربَدِ لِيَتَّخِذَهُ مَسجِدًا، فَقَالَا: بَل نَهَبُهُ لَكَ يَا رَسُولَ اللهِ، فَأَبَى أَن يَقبَلَهُ هِبَةً حَتَّى ابتَاعَهُ مِنهُمَا، وَدَفَعَ ثَمَنَهُ أَبُو بَكرٍ[3]، فَأَسَّسَ النَّبِيُّ ﷺ المَسجِدَ فِي شَهرِ رَبِيعِ الأَوَّلِ سَنَةَ ١هـ المُوَافق ٦٢٢ ر عَلَى الظَّنِّ. وَكَانَ طُولُهُ يومَئِذٍ مَا يُقَارِب ٣٥ مِترًا، وَعَرضُهُ ٣٠ مِتر، فَتَكُون مِسَاحَتُه ١٠٥٠ مِترًا مُرَبَّعًا، وَجَعَلَ للمَسجِدِ ثَلَاثَةَ أَبوَاب: بَابُ الرَّحمَةِ وَيُقَالُ لَهُ بَابُ عَاتِكَة فِي جِهَةِ الغَربِ، وَبَابُ عُثمَانَ وَيُسَمَّى الآنَ بَابُ جِبرِيلَ الَّذِي كَانَ يَدخُلُ مِنهُ النَّبِيُّ مُحَمَّد ﷺ فِي جِهَةِ الشَّرقِ، وَبَابٌ فِي المُؤَخَّرَةِ فِي جِهَةِ الجَنُوبِ وَجَعَلَ قِبلَةَ المَسجِدِ لِبَيتِ المَقدِسِ، وَلَمَّا تَحَوَّلَت القِبلَةُ للكَعبَةِ فِي السَّنَةِ ٢ هـ، سُدَّ البَابُ الَّذِي كَانَ فِي المُؤَخَّرَةِ وَفَتَح بَاب فِي مُوَاجَهَتِهِ فِي الجِهَةِ الشَّمَالِيَّةِ، وَكَذَلِكَ بَنَى بَيتَينِ لِزَوجَتَيهِ عَائِشَةَ بِنتِ أَبِي بَكر وَسَودَةَ بِنتِ زمعَة.

---

(١) الطبقات الكبرى، ابن سعد، (٣/ ٥٦٢).

(٢) وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى، السمهودي، (١/ ٣٢٢).

(٣) الطبقات الكبرى، ابن سعد، (١/ ٢٠٥).

وَبَعدَ غَزوَةِ خَيبَر فِي شَهرِ مُحَرَّم سَنَة ٧هـ المُوَافق ٦٢٨ر عَلَى الظَّنِّ، وَبِسَبَبِ ازدِيَادِ أَعدَادِ المُسلِمِينَ فِي المَدِينَةِ نَتِيجَةَ الهِجرَة إِلَيهَا حَتَّى ضَاقَ المَسجِدُ النَّبَوِيُّ بِالمُصَلِّين، عِندَهَا قَرَّرَ النَّبِيُّ ﷺ زِيَادَةَ مِسَاحَتِهِ، فَزَادَ ٢٠ مِترًا فِي العَرضِ وَ١٥ مِترًا فِي الطُّولِ، فَصَارَت مِسَاحَتُهُ ٢٥٠٠ مِترًا مُرَبَّعًا، وَكَانَ عُثمَانُ بنُ عَفَّان هُوَ مَنِ اشتَرَى هَذِهِ الأَرض[1]. وَبَقِيَ المَسجِدُ عَلَى حَدِّهِ مِنَ الجِهَةِ الجَنُوبِيَّةِ، وَمِنَ الجِهَةِ الشَّمَالِيَّةِ كَانَ حَدُّهُ إِلَى مَا يَنتَهِي إِلَيهِ البِنَاءِ المَجِيدِيّ المَسقُوف اليَوم، وَمِنَ الجِهَةِ الغَربِيَّةِ كَانَ حَدُّهُ الأُسطُوَانَة الخَامِسَة مِنَ المِنبَرِ مَكتُوبٌ عَلَيهَا «حَدُّ مَسجِدِ النَّبِيِّ ﷺ»، وَكَانَ ارتِفَاعُ سَقفِهِ تَقرِيبًا ٣,٥ مِترًا.

ثُمَّ تَوَالَت الزِّيَادَاتُ فِي عَهدِ عُمَرَ بنِ الخَطَّابِ عَامَ ١٧هـ، ثُمَّ فِي عَهدِ الأُمَوِيِّين عَامَ ٨٨ هـ - ٩١هـ، ثُمَّ فِي عَهدِ العَبَّاسِيِّينَ عَامَ ١٦١هـ - ١٦٥هـ، ثُمَّ فِي عَهدِ المَمَالِيكِ عَامَ ٦٥٧هـ وَفِي هَذَا العَهدِ زِيدَ عَلَى المَسجِدِ زِيَادَاتٍ مِنهَا عَامَ ٧٠٥هـ - ٧٠٦هـ، ثُمَّ فِي عَامِ ٨٣١ هـ، ثُمَّ عَامَ ٨٥٣ هـ، ثُمَّ فِي عَامِ ٨٨١هـ - ٨٨٨هـ.

ثُمَّ فِي عَهدِ العُثمَانِيِّين عَامَ ٩٢٣هـ، ثُمَّ فِي عَام ٩٤٦هـ، ثُمَّ فِي عَامِ ٩٧٤هـ، ثُمَّ فِي عَهدِ السُّلطَانِ عَبدِ المَجِيدِ الأَوَّل عَام ١٢٦٥هـ - ١٢٧٧هـ.

ثُمَّ فِي عَهدِ الدَّولَةِ السَّعُودِيَّةِ عَامَ ١٣٧٢هـ، ثُمَّ عَامَ ١٤٠٦هـ- ١٤١٤هـ.

---

(١) سنن الترمذي، الترمذي،أبواب المناقب عن رسول الله ﷺ ، باب في مناقب عثمان بن عفان، (٣٧٠٣).

فَضْلُ المَسجِدِ النَّبَوِيِّ وَآدَابُهُ

إنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَسَّسَ مَسجِدَهُ عَلَى التَّقْوَى وَقَالَ: «صَلَاةٌ فِي مَسجِدِي هَذَا أَفْضَلُ مِنْ أَلْفِ صَلَاةٍ فِيمَا سِوَاهُ إِلَّا المَسجِدَ الحَرَام»[1]. فَعَلَى زَائِرِ هَذَا المَسجِد أن يَتَأَدَّبَ بِآدَابِهِ وَيَدخُلَ بِالرِّجْلِ اليُمنَى وَيَقُولُ: بِسمِ اللهِ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، اللَّهُمَّ افْتَح لِي أَبوَابَ رَحمَتِكَ، أَعُوذُ بِاللهِ العَظِيمِ وَبِوَجهِهِ الكَرِيمِ وَسُلطَانِهِ القَدِيمِ مِنَ الشَّيطَانِ الرَّجِيم[2]، وَيَمشِي بِالسَّكِينَةِ وَالوَقَارِ، وَلَا يَجلِسُ فِي مَدَاخِلِ المَسجِدِ وَالمَمَرَّاتِ، وَيُصَلِّي تَحِيَّةَ المَسجِدِ فِي الرَّوضَةِ الشَّرِيفَةِ أو أَيِّ نَاحِيَةٍ مِن نَوَاحِي المَسجِدِ، وَلَا يَتَخَطَّى رِقَابَ النَّاسِ، ثُمَّ يُصَلِّي وَيُسَلِّمُ عَلَى الرَّسُولِ المُرسَلِ رَحمَةً للعَالَمِينَ، وَصَاحِبَيهِ أَبِي بَكرٍ وَعُمَرَ، وَلَا يُزَاحِمُ أَثنَاءَ الدُّخُولِ وَالخُرُوجِ وَالسَّيرِ لِلسَّلَام عَلَى سَيِّدِ الأَنَامِ، وَالأَنسَبُ أَن يَتَخَيَّرَ الوَقتَ المُنَاسِبَ فِي مَوسِمِ الذِّروَةِ، وَلَا يَرفَعُ صَوتَهُ بِالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ.

مَسجِدُ رَسُولِ اللهِ ﷺ

عِندَ الهِجرَةِ النَّبَوِيَّةِ المُبَارَكَةِ، حِينَ دَخَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ المَدِينَةَ المُنَوَّرَةَ مِن قُبَاء، نَزَلَ عِندَ بَنِي عَمرِو بنِ عَوفٍ، وَخَرَجَ مِن قُبَاءَ فَأَدرَكَتهُ

---

(١) صحيح مسلم، مسلم، كتاب الحج، باب فضل الصلاة بمسجدي مكة والمدينة، (١٣٩٤)، صحيح البخاري، البخاري، بلفظ "خَيْرٌ"، (١١٩٠).

(٢) سنن أبي داود، أبو داود، كتاب الصلاة، باب فيما يقوله الرجل عند دخوله المسجد، (٤٦٦).

الجُمُعَةَ فِي بَنِي سَالِمِ بنِ عَوْفٍ، فَصَلَّى الجُمُعَةَ فِي مَنَازِلِهِم، ثُمَّ سَارَتْ نَاقَتُهُ القَصْوَاءُ بَينَ مَنَازِلِ قَبَائِلِ الأَنصَارِ، وَهُم يَتَجَاذَبُونَ خِطَامَهَا لِيَنزِلَ النَّبِيُّ ﷺ عِندَهُم وَهُوَ يَقُولُ لَهُم: «دَعُوهَا فَإِنَّهَا مَأْمُورَةٌ» حَتَّى بَرَكَتِ النَّاقَةُ فِي مِربَدٍ لِتَجفِيفِ التَّمرِ لِيَتِيمَينِ مِن قَبِيلَةِ بَنِي النَّجَّارِ، سَهلٌ وَسُهَيلٌ ابنَي عَمرٍو، فَنَزَلَ النَّبِيُّ ﷺ وَاشتَرَى الأَرضَ، وَبَنَى عَلَيهَا مَعَ أَصحَابِهِ مَسْجِدَهُ الشَّرِيفَ.

فَعَن أَبِي هُرَيرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«صَلَاةٌ فِي مَسْجِدِي هَذَا خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ صَلَاةٍ فِيمَا سِوَاهُ إِلَّا المَسْجِدَ الحَرَامَ»**[1].

فَضْلُ الرَّوْضَةِ الشَّرِيفَةِ

فِي وَسَطِ المَسجِدِ النَّبَوِيِّ الشَّرِيفِ تَقَعُ إِحدَى رِيَاضِ الجَنَّةِ فِي الأَرضِ الَّتِي قَالَ عَنهَا النَّبِيُّ ﷺ: **«مَا بَيْنَ بَيْتِي وَمِنْبَرِي رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الجَنَّةِ»**[2] ذَلِكَ المَكَانُ الَّذِي شَهِدَ صَلَاةَ النَّبِيِّ الأَعْظَمِ ﷺ رُكُوعه وَسُجُوده وَخُطَبه فِي النَّاسِ وَمُقَابَلَته لِلوُفُودِ.

وَتَقَعُ الرَّوضَةُ الشَّرِيفَةُ غَربي الحُجرَةِ النَّبوِيَّةِ مُبَاشَرَةً وَتَمْتَدُّ إِلَى المِنبَرِ وَتَبلُغُ مِسَاحَةُ الرَّوضَةِ نَحوُ ٢٣٠ م٢ وَتَبلُغُ أَبعَادُهَا ٢٢م مِنَ الشَّرقِ إِلَى الغَربِ وَ ١٥م مِنَ الشَّمَالِ إِلَى الجَنُوبِ.

وَسُمِّيَت بِذَلِكَ لأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَخبَرَ أَنَّهَا مِن رِيَاضِ الجَنَّةِ وَذَلِكَ حِينَ قَالَ: **«مِنْبَرِي عَلَى تُرْعَةٍ**[3] **مِنْ تُرَعِ الجَنَّةِ، وَمَا بَيْنَ المِنْبَرِ وَبَيْتِ عَائِشَةَ**

(١) صحيح البخاري، البخاري، (١١٩٠). صحيح مسلم، مسلم، (١٣٩٤).
(٢) صحيح البخاري، البخاري، (١١٩٥). صحيح مسلم، مسلم، (١٣٩٠).
(٣) أي باب أو درجة.

رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الجَنَّةِ»[1].

وَالرَّوضَةُ تَشملُ المَنطقَةَ الَّتِي تَمتَدُّ غَربًا أي عَلَى يَسَارِ المُتَّجِهِ للقِبلَةِ مِن بِدَايَةِ المَقْصُورَةِ النَّبَوِيَّةِ إِلَى نِهَايَةِ بَيتِ السَّيِّدَةِ عَائِشَةَ، عِندَ أُسطُوَانَةِ الدُّخُولِ، وَتَمتَدُّ شَرقًا أي عَلَى يَمِينِ المُتَّجِهِ للقِبلَةِ إِلَى المِنبَرِ وَكُلُّ مَا حِذَاهُ شَمالًا، وَيُمَيِّزُ الرَّوضَةَ الآنَ وُجُود سجَّاد أخضَر فَاتِحِ اللَّونِ مُمَيَّز عَن بَاقِي سِجَّادِ الحَرَمِ الأحمَر اللَّون[2].

فِي المَسجِدِ بُقعَةٌ وَصَفَهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ بِأَنَّهَا رَوضَةٌ مِن رِيَاضِ الجَنَّةِ، وَذَلِكَ فِي قَولِهِ: «**مَا بَيْنَ بَيْتِي وَمِنْبَرِي رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الجَنَّةِ**»[3]. وَتَخصِيصُهَا بِهَذَا الوَصفِ دُونَ غَيرِهَا مِنَ المَسجِدِ يَدُلُّ عَلَى فَضلِهَا وَتَميُّزِهَا، وَذَلِكَ يَكُونُ بِأَدَاءِ النَّوَافِلِ، وَكَذَا ذِكرُ اللهِ وَقِرَاءَة القُرءَانِ فِيهَا إِذَا لَم يَحصُل إِضرَارٌ بِأَحَدٍ فِيهَا أَو فِي الوُصُولِ إِلَيهَا، أَمَّا صَلَاةُ الفَرِيضَةِ فَإِنَّ أَدَاءَهَا فِي الصُّفُوفِ الأَمَامِيَّةِ أَفضَلُ، لِقَولِهِ ﷺ: «**خَيْرُ صُفُوفِ الرِّجَالِ أَوَّلُهَا وَشَرُّهَا ءَاخِرُهَا**»[4]، وَقَولِهِ ﷺ: «**لَوْ يَعْلَمُ النَّاسُ مَا فِي النِّدَاءِ وَالصَّفِّ الأَوَّلِ، ثُمَّ لَمْ يَجِدُوا إِلَّا أَنْ يَسْتَهِمُوا عَلَيْهِ لَاسْتَهَمُوا**»[5].

---

(١) الأوسط، الطبراني. مجمع الزوائد، الهيثمي، (٤/٩)، وقال: وهو حديث حسن إن شاء الله.

(٢) والآن صار لون جميع سجادات الحرم النبوي أخضر، فلا تميّز بين الروضة وبين بقية المسجد.

(٣) صحيح البخاري، البخاري، (١١٩٥). صحيح مسلم، مسلم، (١٣٩٠).

(٤) صحيح مسلم، مسلم، كتاب الصلاة، باب تسوية الصفوف وإقامتها، (٤٤٠).

(٥) صحيح البخاري، البخاري، كتاب الأذان، باب الاستهام في الأذان، (٦١٥). صحيح مسلم، مسلم، كتاب الصلاة، باب تسوية الصفوف وإقامتها، (٤٣٧).

فَضْلُ المِنْبَرِ الشَّرِيف

وَهُوَ مَكَانُ المِنْبَرِ الَّذِي كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَرتَقِيهِ لإرشَادِ المُسلِمِينَ فِي خُطَبِ الجُمعَةِ وَغَيرِهَا، وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«مِنْبَرِي عَلَى تُرْعَةٍ مِنْ تُرَعِ الجَنَّةِ»**(١).

وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **«إِنَّ قَوَائِمَ مِنْبَرِي هَذَا رَوَاتِبُ فِي الجَنَّةِ»**(٢). رَوَاتِب: جَمعُ رَاتِب وَهُوَ الشَّيءُ الثَّابِتُ المُقِيم.

مِحْرَابُ رَسُولِ اللهِ ﷺ

لَم يَكُن هُنَاكَ مَحَارِيبُ عَلَى عَهدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَبُنِيَ هَذَا المِحرَابُ بَعدَ ذَلِكَ لِيُعْلَمَ المَكَان الَّذِي كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُصَلِّي فِيهِ الصَّلَوَات المَفرُوضَةِ إِمَامًا بِالمُسلِمِينَ بَعدَ تَحوِيلِ القِبلَةِ إِلَى بَيتِ اللهِ الحَرَامِ.

وَهُوَ أَصَحُّ مِحرَابٍ اتِّجَاهًا عَلَى ظَهرِ الأَرضِ لأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ هُوَ الَّذِي خَطَّهُ وَبَنَاهُ(٣).

وَعَن نَافِعِ بنِ جُبَيرٍ قَالَ: بَلَغَنِي أَنَّ ﷺ قَالَ: **«مَا وَضَعْتُ قِبْلَةَ مَسْجِدِي هَذَا حَتَّى رُفِعَتْ لِي الكَعْبَةُ فَوَضَعْتُهَا أَؤُمُّهَا»**(٤).

---

(١) الأوسط، الطبراني. مجمع الزوائد، الهيثمي، (٤/٩).

(٢) سنن النسائي، النسائي، كتاب المساجد، باب فضل مسجد النبي ﷺ، (٦٩٦).

(٣) أعلام الساجد، الزركشي، (ص/٢٥٨- ٢٥٩).

(٤) وفا الوفا، السمهودي، (١/٣٦٦).

وَصَارَت قِبلَتُهُ إِلَى المِيزَابِ مِنَ البَيتِ فَهِيَ المَقطُوعُ بِصِحَّتِهَا[1].

وَهَذِهِ المَحَارِيبُ مَوَاضِعِ الصَّلَاةِ الَّتِي كَانَ يُصَلِّي عِندَهَا النَّبِيُّ ﷺ وَالأَئِمَّةُ مِن بَعدِهِ، وَلَم تَكُن فِي عَهدِ النَّبِيِّ ﷺ وَلَا الخُلَفَاءِ الرَّاشِدِين، وَكَانَ أَوَّل مَن أَحدَثَهُ عُمَرُ بنُ عَبدِ العَزِيزِ أَثنَاءَ تَوسِعَتِهِ عَامَ ٩١هـ.

١- **المِحْرَابُ النَّبَوِيّ إِلَى بَيْتِ المَقْدِسِ:** فِي بِدَايَةِ إِنشَاءِ المَسجِدِ النَّبَوِيِّ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُصَلِّي بِالنَّاسِ مُتَّجِهًا إِلَى بَيتِ المَقدِسِ مُدَّةَ ١٦ شَهرًا[2] أَوْ سَبعَةَ عَشَر شَهرًا وَكَانَ مَوضِعَ صَلَاتِهِ فِي شَمَالِ المَسجِدِ بِحَيثُ تَكُونُ «أُسطُوَانَةُ عَائِشَة» فِي الخَلفِ عِندَ الأُسطُوَانَةِ الخَامِسَةِ حِذَاءَ «بَابِ جِبرِيلَ»[3].

٢- **المِحْرَابُ النَّبَوِيّ:** بَعدَ نُزُولِ الأَمرِ بِتَحوِيلِ القِبلَةِ مِن بَيتِ المَقدِسِ إِلَى الكَعبَةِ، صَلَّى النَّبِيُّ ﷺ بِضعَةَ عَشَرَ يَومًا إِلَى «أُسطُوَانَةِ عَائِشَةَ» ثُمَّ بَعدَ ذَلِكَ تَقَدَّمَ إِلَى مَوضِعِ «الأُسطُوَانَةِ المُخَلَّقَة» فِي الجِهَةِ الجَنُوبِيَّةِ للمَسجِدِ، وَالَّتِي أُقِيمَت فِي مَوضِعِ جِذعِ النَّخلَةِ الَّتِي كَانَ يُصَلِّي إِلَيهَا النَّبِيُّ ﷺ، وَفِي عَهدِ الخَلِيفَةِ عُمَرَ بنِ عَبدِ العَزِيزِ أَقَامَ مِحرَابًا مُجَوَّفًا عَن يَسَارِ الأُسطُوَانَةِ المُخَلَّقَةِ فِيمَا عُرِفَ بِـ«المِحرَابِ النَّبَوِيّ»، وَبِسَبَبِ وَضعِ المِحرَابِ صَارَ مَن يَسجُدُ فِيهِ يَكُونُ وَضعَ جَبهَتَهُ فِي مَحَلِّ قَدَمَي النَّبِيِّ ﷺ، فَمَن جَعَلَ هَذِهِ الأُسطُوَانَةَ عَن يَمِينِهِ وَتَجوِيفَ المِحرَابِ عَن يَسَارِهِ فَقَد أَصَابَ مَوضِعَ صَلَاةِ النَّبِيِّ ﷺ.

---

(١) الدرة الثمينة في تاريخ المدينة، ابن النجار، (ص/١٤٧).

(٢) فتح الباري، ابن حجر، (١/٩٦).

(٣) وموضعه عند الأسطوانة رقم ١١٤، في الجهة الشمالية من الروضة.

٣- المِحْرَابُ العُثْمَانِيّ: وَهُوَ مَوضِعُ مُصَلَّى عُثمَانَ بنِ عَفَّان رضي الله عنه بَعدَ التَّوسِعَةِ الَّتِي قَامَ بِهَا فِي عَهدِهِ، وَأَحدَثَ عُمَرُ بنُ عَبدِ العَزِيزِ المِحرَابَ المُجَوَّفَ فِي الجِدَارِ الجَنُوبِيّ أَثنَاء عِمَارَتِهِ سَنَةَ ٩١هـ وَيُسَمَّى المِحرَاب العُثمَانِيّ. وَقَد كُسِيَ فِي عَهدِ السُّلطَانِ قَايتبَاي بِالرُّخَامِ المُلَوَّنِ وَجُعِلَ لَهُ قُبَّةٌ، وَفِي سَنَةِ ١١٩٨هـ أُجرِيَت لَهُ بَعض التَّصلِيحَاتِ.

٤- مِحْرَابُ التَّهَجُّدِ: وَهُوَ مُصَلَّى النَّبِيّ ﷺ بِاللَّيلِ، حَيثُ كَانَ يَضَعُ حَصِيرًا كُلَّ لَيلَةٍ إِذَا ذَهَبَ النَّاسُ عَنهُ، ثُمَّ يُصَلِّي صَلَاةَ اللَّيلِ، وَيَقَعُ فِي شَمَالِ الحُجرَةِ النَّبَوِيَّةِ وَحولَهُ حَالِيًّا «دكَّةُ الأَغوَاتِ» خلفَ بَيتِ السَّيِّدَةِ فَاطِمَةَ الزَّهرَاء، وَبِجَانِبِهِ أُسطُوَانَةٌ عَن يَمِينِه. وَقَد جُدِّدَ هَذَا المِحرَابُ فِي عِمَارَةِ السُّلطَانِ عَبدِ الحَمِيدِ الأَوَّلِ، وَهُوَ مِنَ الحَجَرِ الأَحمَرِ وَكُتِبَ عَلَيهِ ءَايَةُ التَّهَجُّدِ: ﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةٗ لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ٧٩﴾[1].

٥- مِحْرَابُ فَاطِمَةَ: وَيُوجَدُ أَمَامَ مِحْرَابِ التَّهَجُّدِ دَاخِلَ المَقصُورَةِ، خَلفَ حُجرَةِ النَّبِيّ ﷺ، وَهُوَ مِحرَابٌ مُجَوَّفٌ مُرَخَّمٌ شَبِيهٌ بِمِحرَابِ النَّبِيّ مُحَمَّدٍ ﷺ.

٦- المِحْرَابُ السُّلَيْمَانِيّ: وَيُسَمَّى بِالمِحرَابِ الحَنَفِيّ، وَهُوَ عَلَى يَمِينِ الوَاقِفِ فِي المِحرَابِ النَّبَوِيّ عِندَ الأُسطُوَانَةِ الثَّالِثَةِ غَربِي المِنبَرِ، وَقَد أَحدَثَهُ طُوغَان شَيخ سَنَةَ ٨٦١ هـ تَقرِيبًا، وَفِي عَهدِ السُّلطَانِ سُلَيمَان القَانُونِيّ سَنَةَ ٩٣٨هـ تَمَّ تَرخِيمُهُ بِالرُّخَامِ الأَبيَضِ وَالأَسوَدِ وَلِذَلِكَ عُرِف

(١) الإسراء، آية (٧٩).

بِالمِحرَابِ السُّلَيمَانِيِّ.

فَضْلُ الأُسطُوَانَاتِ

١- الأُسطُوَانَةُ المُخَلَّقَة:[١]

وَهِيَ الَّتِي صَلَّى إِلَيهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ المَكتُوبَةَ بَعدَ تَحوِيلِ القِبلَةِ بِضعَةَ عَشَر يَومًا ثُمَّ تَقَدَّمَ إِلَى مُصَلَّاه، وَهِيَ المُلَاصِقَةَ للمِحْرَابِ النَّبوِيِّ الشَّرِيف، وَتُسَمَّى بِالأُسطُوانَةِ الحَنَّانَة؛ حَيثُ عِندَهَا مَوضِعُ الجذعِ الَّذِي حَنَّ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، والَّذِي كَانَ يَستَندُ إِلَيهِ فِي الخُطْبَةِ قَبلَ بِنَاءِ المِنبَرِ الشَّرِيفِ. وَتُسَمَّى أَيضًا بـ الأُسطُوانَةِ المُطَيَّبة أَو المُخَلَّقة لِكَثرَةِ وَضعِ الخَلُوقِ أَوِ الطِّيبِ عَلَيهَا؛ لِكَونِ مُصَلَّى وَمِحرَابِ النَّبِيِّ ﷺ عِندَهَا، أَو لأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ رَأَى عَلَيهَا نُخَامَةً فَغَضِبَ وَأَزَالَهَا، وَأَمَرَ بِطِيبٍ أَو خَلُوقٍ فَطُيِّبَ بِهِ مَكَانُهَا[٢]. وَتُسَمَّى أَيضًا بـ أُسطُوانَةِ المُصحَفِ وَذَلِكَ لِمَا رَوَاهُ ابنُ زَبَالَة عَن مَالِكِ بنِ أَنَسٍ قَالَ: أَرسَلَ الحَجَّاجُ بنُ يُوسُفَ إِلَى أُمَّهَاتِ القُرَى بِمَصَاحِف، فَأَرسَلَ إِلَى المَدِينَةِ بِمُصحَفٍ مِنهَا كَبِير، وَهُوَ أَوَّلُ مَن أَرسَلَ بِالمَصَاحِفِ إِلَى القُرَى، وَكَانَ هَذَا المُصحَفُ فِي صُندُوقٍ عَن يَمِينِ الأُسطُوَانَةِ الَّتِي عُمِلَت عَلَمًا لِمَقَامِ النَّبِيِّ ﷺ.

وَكَانَ الصَّحَابِيُّ سَلَمَةُ بنُ الأَكوَعِ رضي الله عنهم يَتَحَرَّى مَوضِعَ المُصحَفِ يُسَبِّحُ فِيه[٣]، وَذَكَرَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ يَتَحَرَّى ذَلِكَ

---

(١) وقيل المخلقة لان السيدة عائشة كانت تعلق بها طيب النبي ﷺ، وتُعرف بالمطيّبة والمعطّرة.

(٢) صحيح مسلم، مسلم، كتاب الزهد والرقائق، باب حديث جابر الطويل، (٣٠٠٨).

(٣) أي بصلي صلاة النافلة.

المَكَان، وَكَانَ بَينَ المِنبَرِ وَالقِبلَةِ قَدرُ مَمَرِّ الشَّاةِ. فَعَن يَزِيدَ بن أَبِي عُبَيدٍ، قَالَ :كُنتُ ءاتِي مَعَ سَلَمَةَ بنِ الأَكوَعِ فَيُصَلِّي عِندَ الأُسطُوَانَةِ الَّتِي عِندَ المُصحَفِ، فَقُلْتُ: يَا أَبَا مُسْلِمٍ، أَرَاكَ تَتَحَرَّى الصَّلاَةَ عِندَ هَذِهِ الأُسْطُوَانَةِ، قَالَ: فَإِنِّي رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَتَحَرَّى الصَّلاَةَ عِنْدَهَا.[1]

وَهَذِهِ الأُسطُوَانَة مُلَاصِقَة للمِحرَابِ النَّبَوِيِّ كَمَا أَسلَفنَا، وَقَد أُقِيمَت فِي مَوضِعِ الجِذعِ، وَرَدَ عَنهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ يُصَلِّي إِلَى جِذعٍ إِذ كَانَ المَسجِدُ عَرِيشًا وَكَانَ يَخطُبُ إِلَى ذَلِكَ الجِذعِ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الصَّحَابَةِ: هَل لَكَ أَن نَجعَلَ لَكَ شَيئًا تَقُومُ عَلَيهِ يَومَ الجُمُعَةِ حَتَّى يَرَاكَ النَّاسُ وَتُسمِعُهُم خُطَبَك؟ قَالَ: «نَعَم» فَصَنَعَ لَهُ ثَلَاثَ دَرَجَاتٍ فَهِيَ الَّتِي أَعلَى المِنبَر، فَلَمَّا وُضِعَ المِنبَر وَضَعُوهُ فِي مَوضِعِهِ الَّذِي هُوَ فِيهِ فَلَمَّا أَرَادَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَن يَقُومَ إِلَى المِنبَرِ مَرَّ إِلَى الجِذعِ الَّذِي كَانَ يَخطُبُ إِلَيهِ، فَلَمَّا جَاوَزَ الجِذعَ خَارَ[2] حَتَّى تَصَدَّعَ وَانشَقَّ، فَنَزَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لَمَّا سَمِعَ صَوتَ الجِذعِ فَمَسَحَهُ بِيَدِهِ حَتَّى سَكَنَ ثُمَّ رَجَعَ إِلَى المِنبَرِ، فَكَانَ إِذَا صَلَّى صَلَّى إِلَيهِ، وَفِي رِوَايَةِ البُخَارِيِّ: فَلَمَّا صُنِعَ لَهُ المِنْبَرُ وَكَانَ عَلَيْهِ فَسَمِعْنَا لِذَلِكَ الجِذْعِ صَوْتًا كَصَوْتِ العِشَارِ[3][4].

وَكَانَ الحَسَنُ البَصرِيُّ إِذَا حَدَّثَ بِهَذَا بَكَى، وَقَالَ: «يَا عِبَادَ اللهِ الخَشَبَةُ تَحِنُّ إِلَى رَسُولِ اللهِ شَوقًا إِلَيهِ لِمَكَانِهِ، فَأَنتُم أَحَقُّ أَن تَشتَاقُوا

---

(١) صحيح البخاري، البخاري، كتاب الصلاة، أبواب سترة المصلي، (٥٠٢).

(٢) أي صاح.

(٣) أي كصوت الناقة التي أتت عليها من يوم أرسِلَ عليها الفحل عشرة أشهر. عمدة القاري، العيني، (١٦/١٢٩).

(٤) صحيح البخاري، البخاري، (٣٥٨٥). سنن ابن ماجه، ابن ماجه، (١٤١٤).

إِلَى لِقَائِهِ»[1].

الأُسطُوَانَاتُ الحَالِيَّة وُضِعَت مَكَانَ جُذُوعِ النَّخِيلِ الَّتِي كَانَت دَعَائِمَ للسَّقفِ فِي المَسجِدِ عَلَى عَهدِ النَّبِيِّ ﷺ، وَالأُسطُوَانَةُ المُخَلَّقَةُ هِيَ الأُسطُوَانَةُ المُلتَصِقَةُ بِالمِحرَابِ النَّبوِيِّ، وَسُمِّيت بِذَلِكَ لأَنَّهُ كَانَ يُوضَعُ عَلَيهَا الخَلُوقُ[2] وَعُود العِطرِ، لأَنَّهَا كَانَت كَإِشَارَةٍ لِمَكَانِ صَلَاةِ النَّبِيِّ ﷺ وَمِحرَابِهِ، وَوَرَدَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ رَأَى عَلَيهَا نُخَامَةً فَسَاءَهُ ذَلِكَ فَقَامَ أَحَدُ الصَّحَابَةِ وَحَكَّ[3] النُّخَامَةَ وَطَيَّبَ مَكَانَهَا بِطِيبٍ هُوَ الخَلُوقُ، فَسُرَّ النَّبِيُّ ﷺ لِذَلِكَ.

٢- أُسْطُوَانَةُ التَّوْبَة:

وَهِيَ الَّتِي ارتبَطَ بِهَا أَبُو لُبَابَةَ بِشرُ بنُ عَبدِ المُنذِرِ الأَنصَارِيُّ الأَوْسِيُّ، وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُصَلِّي أَكثَرَ نَوَافِلَهُ إِلَيهَا، وَكَانَ إِذَا أَصبَحَ صَلَّى الصُّبحَ انْصَرَفَ إِلَيهَا وَقَدَ سَبَقَ إِلَيهَا الضُّعَفَاء وَالمَسَاكِين، وَأَهل الضُّرِّ، وَضِيفَانِ النَّبِيِّ ﷺ، وَالمُؤَلَّفَة قُلُوبُهُم، وَمَن لَا مَبِيتَ لَهُ إِلَّا المَسجِدَ، فَيَنصَرِفُ إِلَيهِم مِن مُصَلَّاهُ مِنَ الصُّبحِ، فَيَتلُو عَلَيهِم مَا أَنزَلَ اللهُ تَعَالَى عَلَيهِ مِن لَيلَتِهِ.

وَعَن ابنِ عُمَرَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ إِذَا اعْتَكَفَ طُرِحَ لَهُ فِرَاشُهُ أَوْ يُوضَعُ لَهُ سَرِيرُهُ وَرَاءَ أُسْطُوَانَةِ التَّوْبَةِ[4].. وَزَادَ الطَّبَرَانِيُّ: أَنَّ

---

(١) **صحيح ابن حبان**، ابن حبان، كتاب التاريخ، باب المعجزات، (٦٥٠٧).

(٢) ضرب: من الطيب ذو لون أصفر أو أحمر. **الشافي**، ابن الأثير، (٢/ ٧٢).

(٣) أي أزال.

(٤) سنن ابن ماجه، ابن ماجه، كتاب الصيام، باب في المعتكف يلزم مكانا في المسجد، (١٧٧٤).

ذَلِكَ مِمَّا يَلِي القِبلَةَ يَسْتَنِد إليها.

وَعَن عَبدِ اللهِ بنِ أَبِي بَكرٍ رضي الله عنه قَالَ: ارتبَطَ أَبُو لُبَابَةَ إِلَى هَذِهِ الأُسطُوَانَة بِضعَ عَشرَةَ لَيلَة، وَكَانَت ابنَتُهُ تَأتِيهِ عِندَ كُلِّ صَلَاةٍ فتحلُّه، فَيَتَوَضَّأ وَيُصَلِّي، حَتَّى إِذَا نَزَلَت ءَايَةُ تَوبَتِهِ بَينَهَا وَبينَ القَبرِ، فَجَاؤُه لِيَحُلُّوهُ، فَقَالَ: لَا، حَتَّى يَحُلَّنِي رَسُولُ اللهِ، فَجَاءَ رَسُولُ ﷺ اللهِ وَحَلَّهُ بِهَا.

وسُمِّيَت بِأُسطُوَانَةِ التَّوبَةِ لأَنَّ اللهَ أَنزَلَ تَوبَتَهُ عَلَى أَبِي لُبَابَةَ وَهُو مَربُوطٌ عَلَيهَا وَذَلِكَ فِي قَولِهِ تَعَالَى: ﴿وَءَاخَرُونَ ٱعۡتَرَفُواْ بِذُنُوبِهِمۡ خَلَطُواْ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيۡهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ۝١٠٢﴾[1].

وَتَمَامُ الرِّوَايَة كَمَا فِي أَسبَابِ النُّزُولِ لأَبِي الحَسَنِ النَّيسَابُورِيِّ قَالَ: نَزَلَت فِي أَبِي لُبَابَةَ بنِ عَبدِ المُنذِرِ الأَنصَارِيِّ، وَذَلِكَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ حَاصَرَ يَهُودَ قُرَيْظَةَ إِحْدَى وَعِشْرِينَ لَيْلَةً، فَسَأَلُوا رَسُولَ اللهِ ﷺ الصُّلْحَ عَلَى مَا صَالَحَ عَلَيْهِ إِخْوَانَهُمْ مِنْ بَنِي النَّضِيرِ، عَلَى أَنْ يَسِيرُوا إِلَى إِخْوَانِهِمْ بِأَذْرِعَاتٍ وَأَرِيحَا مِنْ أَرْضِ الشَّامِ، فَأَبَى أَنْ يعطيهم ذلك إلى أَنْ يَنْزِلُوا عَلَى حُكْم سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ، فَأَبَوْا وَقَالُوا: أَرْسِلْ إِلَيْنَا أَبَا لُبَابَةَ، وَكَانَ مُنَاصِحًا لَهُمْ، لأَنَّ عِيَالَهُ وَمَالَهُ وَوَلَدَهُ كَانَتْ عِنْدَهُمْ، فَبَعَثَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَأَتَاهُمْ فَقَالُوا: يَا أَبَا لُبَابَةَ، مَا تَرَى؟ أَنَنْزِلُ عَلَى حُكْمِ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ؟ فَأَشَارَ أَبُو لُبَابَةَ بِيَدِهِ إِلَى حَلْقِهِ: إِنَّهُ الذَّبْحُ فَلَا تَفْعَلُوا. قَالَ أَبُو لُبَابَةَ: وَاللهِ مَا زَالَتْ قَدَمَايَ حَتَّى عَلِمْتُ أَنِّي قَدْ خُنْتُ اللهَ وَرَسُولَهُ، فَنَزَلَتْ فِيهِ هَذِهِ الآيَةُ. فَلَمَّا نَزَلَتْ شَدَّ نَفْسَهُ عَلَى سَارِيَةٍ مِنْ

(١) سورة التوبة، آية (١٠٢).

سَوَارِي المَسْجِدِ وَقَالَ: وَاللهِ لَا أَذُوقُ طَعَامًا وَلَا شَرَابًا حَتَّى أَمُوتَ أَوْ يَتُوبَ اللهُ عَلَيَّ. فَمَكَثَ سَبْعَةَ أَيَّامٍ لَا يَذُوقُ فِيهَا طَعَامًا حَتَّى خَرَّ مَغْشِيًّا عَلَيْهِ، ثُمَّ تَابَ اللهُ عَلَيْهِ، فَقِيلَ لَهُ: يَا أَبَا لُبَابَةَ قَدْ تِيبَ عَلَيْكَ، فَقَالَ: لَا وَاللهِ لَا أَحُلُّ نَفْسِي حَتَّى يَكُونَ رَسُولُ اللهِ ﷺ هُوَ الَّذِي يَحُلُّنِي، فَجَاءَهُ فَحَلَّهُ بِيَدِهِ، ثُمَّ قَالَ أَبُو لُبَابَةَ: إِنَّ مِنْ تَمَامِ تَوْبَتِي أَنْ أَهْجُرَ دَارَ قَوْمِي الَّتِي أَصَبْتُ فِيهَا الذَّنْبَ، وَأَنْ أَنْخَلِعَ مِنْ مَالِي، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«يَجْزِيكَ الثُّلُثُ أَنْ تَتَصَدَّقَ بِهِ»**.

٣- أُسْطُوَانَةُ الوُفُودِ:

تَلِي أُسطُوَانَةَ الحَرَسِ مِنَ الأُسطُوَانَاتِ المُلَاصِقَةِ بِشُبَّاكِ المَقصُورَةِ النَّبَوِيَّة، وَكَانَ عِندَهَا بَابُ الحُجُرَاتِ الَّذِي كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَخرُجُ مِنهُ للمَسجِدِ وَيَجلِسُ عِندَهَا لِمُقَابَلَةِ زُوَّارِهِ مِن وُفُودِ العَرَبِ الَّذِينَ يَأْتُوهُ مُسلِمِين، وَحَدَثَ عِندَهَا نِدَاءُ بَنِي تَمِيمٍ حِينَ نَادُوا رَسُولَ اللهِ ﷺ مِن وَرَاءِ حُجُرَاتِهِ، فَقَالُوا: يَا مُحَمَّد اخرُجْ إِلَينَا، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، فَآذَى ذَلِكَ رَسُولَ اللهِ ﷺ وَنَزَلَ فِيهِم قَولُ اللهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا۟ حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾﴾[1] وَكَانَت تُعرَفُ كَذَلِكَ بِمَجلِسِ القِلَادَةِ لأَنَّهُ كَانَ يَجلِسُ عِندَهَا كِبَارُ الصَّحَابَةِ وَأَفَاضِلُهُم مِن بَنِي هَاشِمٍ وَغَيرُهُم.

٤- أُسْطُوَانَةُ عَائِشَةَ أَوِ القُرْعَةِ:

سُمِّيَت بِذَلِكَ لأَنَّ عَائِشَةَ أَخبَرَت بِتَعيِينِ مَوقِعِهَا. فَعَن عَائِشَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قال: **«إِنَّ فِي المَسْجِدِ لَبُقْعَةً قَبْلَ هَذِهِ الأُسْطُوَانَةِ، لَوْ يَعْلَمُ**

---

(١) سورة الحجرات، آية (٤، ٥).

النَّاسُ مَا صَلَّوْا فِيهَا إِلَّا أَنْ يُطَيِّرَ لَهُمْ فِيهَا قُرْعَةٌ»، وَعِنْدَهَا جَمَاعَةٌ مِنْ أَصْحَابِهِ، وَأَبْنَاءِ المُهَاجِرِينَ، فَقَالُوا :يَا أُمَّ المُؤْمِنِينَ، وَأَيْنَ هِيَ؟ فَاسْتَعْجَمَتْ عَلَيْهِمْ، فَمَكَثُوا عِنْدَهَا سَاعَةً، ثُمَّ خَرَجُوا، وَثَبَتَ عَبْدُ اللهِ بْنُ الزُّبَيْرِ. فَقَالُوا: إِنَّهَا سَتُخْبِرُهُ بِذَلِكَ المَكَانِ، فَأَرْمَقُوهُ فِي المَسْجِدِ حَتَّى يَنْظُرُوا حَيْثُ يُصَلِّي، فَخَرَجَ بَعْدَ سَاعَةٍ، فَصَلَّى عِنْدَ الأُسْطُوَانَةِ الَّتِي صَلَّى إِلَيْهَا ابْنُهُ عَامِرُ بنُ عَبْدِ اللهِ بنِ الزُّبَيْرِ، وَقِيلَ لَهَا: **أُسْطُوَانَةُ الْقُرْعَةِ**(١).

وَسُمِّيَت بِاسمِ السَّيِّدَةِ عَائِشَةَ لأَنَّها كَانَت تَروِي أَحَادِيثَ فَضل هَذِهِ السَّارِيَة وَقَد رَوَت: **«لَوْ عَلِمَ النَّاسُ مَا لِفَضلِ الصَّلَاةِ عِندَ هَذِهِ السَّارِيَةِ لَاسْتَهَمُوا**(٢) **عَلَيهَا»**.

وَكَذَلِكَ يُقَالُ لَهَا مَجلِسُ المُهَاجِرِين، لأَنَّ المُهَاجِرِينَ مِن قُرَيشٍ كَانُوا يَجتَمِعُونَ عِندَهَا، وَكَانَ أَبُو بَكرٍ وَعُمَرُ وَالزُّبَيرُ وَابنُهُ عَبدُ اللهِ، وَعَامِرُ بنُ عَبدِ اللهِ بنِ الزُّبَيرِ كَانُوا يُصَلُّونَ إِلَيهَا.

وَيَذكُرُ السَّمهُودِيُّ عَن زَيدِ بنِ أَسلَمَ أَنَّهُ قَالَ: رَأَيتُ عِندَ تِلكَ الأُسطُوَانَةِ مَوضِعَ جَبهَةِ النَّبِيِّ ، ثُمَّ رَأَيتُ دُونَهُ مَوضِعَ جَبهَةِ أَبِي بَكرٍ، ثُمَّ رَأَيتُ دُونَ مَوضِعِ جَبهَةِ أَبِي بَكرٍ مَوضِعَ جَبهَةِ عُمَرَ، وَيُقَالُ إِنَّ الدُّعَاءَ عِندَهَا مُستَجَاب(٣).

وَهَذَا يُؤَكِّدُ لَنَا أَنَّ أَبَا بَكرٍ وَعُمَرَ رضي الله عنهما كَانَا يَعرِفَانِ فَضلَ

---

(١) مجمع الزوائد، الهيثمي، (٤/ ١٠).

(٢) وهو طلب السّهم من القرعة.

(٣) وفا الوفا، السمهودي، (٢/ ٤٤١).

الصَّلَاةِ عِندَ هَذِهِ الأُسطُوَانَةِ، وَالصَّحَابِيُّ الجَلِيلُ رَاوِي الحَدِيثِ سَيِّدُنَا زَيدُ بنُ سَلَمَةَ رَأَى مَوضِعَ جَبهَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ عَلَى التُّرَابِ؛ أي: قَبلَ أَنْ يُفرَشَ المَسجِد.

٥- أُسْطُوَانَةُ الحَرَسِ:

تَلِي السَّرِيرَ مِنَ الأُسطُوَانَاتِ اللَّاصِقَةِ بِشُبَّاكِ المَقصُورَةِ النَّبَوِيَّةِ، كَانَ يَجلِسُ عِندَهَا الأَنصَارُ وَالمُهَاجِرُونَ لِحِرَاسَةِ النَّبِيِّ ﷺ قَبلَ أَنْ يَترُكَ النَّبِيّ ﷺ الحَرَس بِنُزُولِ قَولِهِ تَعَالَى: ﴿وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾[1] وَتُسَمَّى أُسطُوَانَة عَلِيِّ بنِ أَبِي طَالِب لأَنَّهَا مَكَان بَاب عَلِيّ الَّذِي كَانَ بَينَ بَيتِ عَائِشَة رضي الله عنها وَبَيتِ السَّيِّدَةِ فَاطِمَة رضي الله عنها، وَرَوَى أَبُو سَعِيدٍ الخُدرِيُّ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ جَاءَ إِلَى بَابِ عَلِيّ أَربَعِينَ صَبَاحًا بَعدَمَا دَخَلَ عَلَى فَاطِمَةَ رضي الله عنها فَقَالَ: «**السَّلَامُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ البَيتِ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ، إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ البَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا**»[2].

وَظَلَّ سَيِّدُنَا عَلِيٌّ رضي الله عنهم يُصَلِّي عِندَهَا وَيَجعَلُهَا خلفَ ظَهرِهِ، وَاعتَادَ الأُمَرَاءُ بَعدَهُ الجُلُوسَ وَالصَّلَاةَ عِندَهَا.

٦- أُسطُوَانَةُ السَّرِير:

هِيَ أَوَّلُ الأُسطُوَانَاتِ اللَّاصِقَةِ بِشُبَّاكِ المَقصُورَةِ النَّبَوِيَّةِ مِن جِهَةِ الجِدَارِ الأَمَامِيّ لِلرَّوضَةِ، وَتُعلِمُ مَكَانَ اعتِكَافِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَد كَانَ لِلنَّبِيِّ ﷺ سَرِيرٌ مِن جَرِيدٍ فِيهِ سَعْفَة يُوضَعُ بِجَانِبِ هَذِهِ الأُسطُوَانَةِ مَرَّةً

---

(١) سورة المائدة، آية (٦٧).

(٢) مجمع الزوائد، الهيثمي، (٩/١٦٩).

وَعِندَ أُسطُوَانَةِ التَّوبَةِ مَرَّةً أُخرَى.

وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ فِي أَثنَاءِ اعتِكَافِهِ يُعطِي رَأسَهُ للسَّيِّدَةِ عَائِشَةَ وَهِيَ دَاخِلَ حُجرَتِهَا لِتُسَرِّحهُ وَتُرَجِّلهُ[1].

وَوَرَدَ أَنَّهُ عِندَهَا كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُقْرِعُ بَينَ نِسَائِهِ.

وَلِشَرَفِ هَذَا المَكَانِ فَقَد كَانَ الإِمَامُ مَالِك رضي الله عنه يَجلِسُ فِيهِ.

٧- أُسْطُوَانَةُ مُرَبَّعَةِ القَبرِ: وَمَقَامُ أُسطُوَانَةِ جِبرِيلَ.

يُقَالُ لَهَا أُسطُوَانَةُ مُرَبَّعَةِ القَبرِ، وَتُعرَفُ بِأُسطُوَانَةِ مَقَام جِبْرِيل عليه السلام فَإِنَّهَا كَانَت عِنْدَ بَابِ السَّيِّدَةِ فَاطِمَةَ بِنتِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَدَ أَسنَدَ ابنُ زَبَالَةَ وَيَحيَى عَن سُلَيمَانَ بنِ سَالِمٍ، عَن مُسلِمِ بنِ أَبِي مَريَمَ وَغَيرِهِ: كَانَ بَابُ فَاطِمَةَ بِنتِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي المُرَبَّعَةِ الَّتِي فِي القَبرِ، قَالَ سَلمَانُ: قَالَ لِي مُسلِمٌ: لَا تَنسَ حَظَّكَ مِنَ الصَّلَاةِ إِلَيهَا، فَإِنَّهَا بَابُ فَاطِمَةَ رضي الله عنها الَّذِي كَانَ عَلِيٌّ يَدخُلُ عَلَيهَا مِنهُ.

وَتَقَعُ عِندَ مُنحَرفِ الجِدَارِ الغَربِيِّ مِنهُ إِلَى الشَّمَالِ فِي صَفِّ أُسطُوَانَةِ الوُفُودِ، وَمَعنَى هَذَا أَنَّهَا تَكُونُ دَاخِلَ الجِدَارِ المُحِيطِ بِالقَبرِ الشَّرِيفِ وَلَا يَستَطِيعُ الزَّائِرُ للمَسجِدِ النَّبَوِيِّ رُؤيَتَهَا.

٨- أُسْطُوَانَةُ التَّهَجُّدِ وَمِحْرَابُ التَّهَجُّدِ:

وَمَوقِعُهَا وَرَاءَ بَيتِ السَّيِّدَةِ فَاطِمَةَ رضي الله عنها مِن جِهَةِ الشَّمَالِ وَعِندَهَا مِحْرَابٌ صَغِيرٌ إِذَا تَوَجَّهَ المُصَلِّي إِلَيهِ تَكُونُ الأُسطُوَانَةُ عَلَى يَسَارِهِ بِاتِّجَاهِ بَابِ جِبرِيل، وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُخرِجُ حَصِيرًا كُلَّ لَيلَةٍ إِذَا

---

(١) أي تمشطه.

انكَفَأَت النَّاسُ فَيطرَحُهُ وَرَاءَ بَيتِ عَلِيّ ثُمَّ يُصَلِّي صَلَاةَ اللَّيلِ وَيَتَهَجَّدُ.

وَمَا زَالَ المِحْرَابُ مَوجُودٌ إِلَّا أَنَّهُ غُطِّيَ أخيرًا بِالدُّولَابِ الخَشَبِيّ أَوِ النُّحَاسِيّ، وَتُوضَعُ فِيهَا المَصَاحِفُ.

وَتُفِيدُ الرِّوَيَاتِ أَنَّ الصَّحَابَةَ كَانُوا يُبَادِرُونَ إِلَى أُسطُوَانَاتِ المَسجِدِ للصَّلَاةِ عِندَهَا، فَقَد رَوَى البُخَارِيُّ عَن أَنَسٍ قَالَ: لَقَد رَأَيتُ كِبَارَ أَصحَابِ النَّبِيّ ﷺ يَبْتَدِرُونَ السَّوَارِيَ عِندَ المَغْرِبِ.

الحُجْرَةُ النَّبوِيَّةُ الشَّرِيفَةُ وَقِصَّةُ التَّدْفِينِ

حُجرَةُ أُمّ المُؤمِنِينَ عَائِشَةَ بِنتِ أَبِي بَكرٍ الصِّدِّيق الَّتِي كَانَت تَسكُنُهَا مَعَ النَّبِيّ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَهِيَ الَّتِي دُفِنَ فِيهَا بَعدَ وَفَاتِهِ، ثُمَّ دُفِنَ بَعدَ ذَلِكَ أَبُو بَكرٍ الصِّدِّيقُ سَنَةَ ١٣هـ وَكَانَ قَد أَوصَى عَائِشَةَ أَن يُدفَنَ إِلَى جَانِبِ رَفِيقِهِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَلَمَّا تُوفِّي حُفِرَ لَهُ وَجُعِلَ رَأسُهُ عِندَ كَتِفَي الرَّسُولِ[1] وَدُفِنَ فِيهَا بَعدَهُمَا عُمَرُ بنُ الخَطَّابِ سَنَةَ ٢٤هـ إِلَى جَانِبِ الصِّدِّيقِ، وَكَانَ قَدِ استَأذَنَ عَائِشَةَ فِي ذَلِكَ فَأَذِنَت لَهُ[2]. وَهُنَاكَ مَوضِعُ قَبرٍ رَابعٍ يُدفَنُ فِيهِ عِيسَى عليه السلام، رَوَى التِّرمِذِيُّ عَن عَبدِ اللهِ بنِ سَلَام قَولَهُ: «مَكْتُوبٌ فِي التَّورَاةِ صِفَةُ مُحَمَّدٍ وَعِيسَى ابنِ مَرْيَمَ يُدْفَنُ مَعَهُ»[3].

قَالَت السَّيِّدَةُ الجَلِيلَةُ عَائِشَةُ زَوجِ النَّبِيّ ﷺ رَأَيتُ ثَلَاثَةَ أَقمَارٍ سَقَطْنَ فِي حِجرِي فَقَصَصتُ رُؤيَايَ عَلَى أَبِي بَكرٍ الصِّدِّيق.

---

(١) طبقات ابن سعد، ابن سعد، (٣/١٩٢).

(٢) فتح الباري، ابن حجر، (٣/٢٥٦).

(٣) سنن الترمذي، الترمذي، أبواب المناقب عن رسول الله ﷺ ، (٣٦١٧).

قَالَت: فَلَمَّا تُوفِّيَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَدُفِنَ فِي بَيتِهَا قَالَ لهَا أَبُو بَكرٍ: «هَذَا أَحَدُ أَقْمَارِكِ، وَهُوَ خَيرُهَا»[1].

وَعَن مَالِكٍ أَنَّهُ بَلَغَهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ تُوفِّيَ يَومَ الاثنَينِ وَدُفِنَ يَومَ الثُّلَاثَاءِ، وَصَلَّى النَّاسُ عَلَيهِ أَفذَاذًا، وَلَا يَؤُمُّهُم أَحَدٌ، فَقَالَ نَاسٌ: يُدفَنُ عِندَ المِنبَرِ، وَقَالَ ءَاخَرُونَ: يُدفَنُ فِي البَقِيعِ، فَجَاءَ أَبُو بَكرٍ الصِّدِّيقُ فَقَالَ: سَمِعتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**مَا دُفِنَ نَبِيٌّ قَطُّ إِلَّا فِي المَكَانِ الَّذِي تُوُفِّيَ فِيهِ**» فَحُفِرَ لَهُ فِيهِ. فَلَمَّا كَانَ عِندَ غُسلِهِ أَرَادُوا نَزعَ قَمِيصِهِ، فَسَمِعُوا صَوتًا يَقُولُ لَا تَنزِعُوا القَمِيصَ، فَلَم يُنزَعِ القَمِيصُ وَغُسِّلَ وَهُوَ عَلَيهِ[2].

ثُمَّ تُوُفِّيَ أَبُو بَكرٍ الصِّدِّيقُ وَدُفِنَ فِي حُجرَةِ عَائِشَةَ إِلَى جَنبِ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَكَانَ قَد أَوصَى بِذَلِكَ، وَهُوَ ثَانِي الأَقمَارِ الثَّلَاثَةِ.

ثُمَّ لَمَّا طُعِنَ عُمَرُ بنُ الخُطَّابِ قَالَ لابنِهِ عَبدِ اللهِ: اذهَب إِلَى أُمِّ المُؤمِنِينَ عَائِشَةَ فَقُل: يَقرَأُ عُمرُ بنُ الخَطَّابِ عَلَيكِ السَّلَام ثُمَّ سَلْهَا أَن أُدفَنَ مَعَ صَاحِبِي. قَالَت: كُنتُ أُرِيدُهُ لِنَفسِي فَلَأُوثِرَنَّهُ اليَومَ عَلَى نَفسِي، فَلَمَّا أَقبَلَ قَالَ: «أَذِنَتْ لَكَ يَا أَمِيرَ المُؤمِنِين. قَالَ: مَا كَانَ شَىءٌ أَهَمَّ إِلَيَّ مِن ذَلِكَ المَضجَعِ[3].

وَرَوَى أَبُو هُرَيرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «**إِذَا أَهبَطَ اللهُ تَعَالَى عِيسَى مِنَ السَّمَاءِ فَإِنَّهُ يَعِيشُ فِي هَذِهِ الأُمَّةِ مَا شَاءَ اللهُ تَعَالَى، ثُمَّ يَمُوتُ**

---

(١) موطأ مالك، مالك، كتاب الجنائز.

(٢) موطأ مالك، مالك، كتاب الجنائز، باب ما جاء في دفن الميت.

(٣) صحيح البخاري، البخاري، كتاب الجنائز، (١٣٩٢).

بِمَدِينَتِي هَذِهِ وَيُدفَنُ إِلَى جَنبِ قَبرِ عُمَرَ، فَطُوبَى لأَبِي بَكرٍ وَعُمَرَ فَإِنَّهُمَا يُحشَرَانِ بَينَ النَّبِيِّينَ»[1].

قَالَ بَعضُ العُلَمَاءِ: «إِنَّ التُّرَابَ الَّذِي ضَمَّ النَّبِيَّ ﷺ فِي قَبرِهِ أَفضَلُ عِندَ اللهِ تَعَالَى مِنَ العَرشِ الَّذِي هُوَ سَقفُ الجَنَّةِ».

رَوَى الدَّارِمِيُّ فِي سُنَنِهِ أَنَّ كَعبًا لَمَّا دَخَلَ عَلَى أُمِّ المُؤمِنِينَ عَائِشَةَ رضي الله عنها، أَتَى الحَاضِرُونَ عَلَى ذِكرِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ كَعبٌ: «مَا مِن يَوم يَطلُعُ إِلَّا نَزَلَ سَبعُونَ أَلفًا مِنَ المَلَائِكَةِ حَتَّى يَحُفُّوا بِقَبرِ النَّبِيِّ ﷺ وَيَضرِبُونَ بِأَجنِحَتِهِم وَيُصَلُّونَ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، حَتَّى إِذَا أَمسَوا عَرَجُوا وَهَبَطَ مِثلُهُم فَصَنَعُوا مِثلَ ذَلِكَ حَتَّى إِذَا انشَقَّت عَنهُ الأَرضُ يَومَ القِيَامَةِ خَرَجَ فِي سَبعِينَ أَلفًا مِنَ المَلَائِكَةِ يَزُفُّونَهُ»[2] وَرَوَى مِثلَهُ ابنُ النَّجَّارِ عَن كَعبِ الأَحبَارِ أَيضًا وَالبَيهَقِيُّ فِي شُعَبِ الإِيمَانِ.

هَؤُلَاءِ الأُلُوفُ مِنَ المَلَائِكَةِ يَنزِلُونَ كُلَّ يَوم إِلَى قَبرِ رَسُولِ اللهِ ﷺ لِيَحُفُّوا بِقَبرِهِ الشَّرِيف وَيَضرِبُوا بِأَجنِحَتِهِم أَي لِيَتَمَسَّحُوا بِهِ تَبَرُّكًا. فَمِن أَينَ لِهَؤُلَاءِ الجُهَّالِ أَن يُنكِرُوا التَّمَسُّحَ بِقَبرِ رَسُولِ اللهِ ﷺ تَبَرُّكًا. وَهَذَا الحَدِيثُ ثَابِتٌ صَحِيحٌ عِندَ أَهلِ السُّنَّةِ وَثَابِتٌ أَيضًا عِندَ ابنِ القَيِّمِ الجَوزِيَّةِ الَّذِي يَأتَم بِهِ نُفَاةُ التَّوَسُّلِ، فَقَد أَورَدَهُ ابنُ القَيِّمِ فِي كِتَابِهِ المُسَمَّى جَلَاء الأَفهَامِ[3] مُستَحسِنًا لَهُ مِن غَيرِ أَن يُنكِرَهُ.

وَرُوِيَ عَنِ القَاسِمِ بنِ مُحَمَّدِ بنِ أَبِي بَكرٍ أَنَّهُ قَالَ: «دَخَلتُ عَلَى عَائِشَةَ رضي الله عنها فَقُلتُ: يَا أُمَّاهُ اكشِفِي لِي عَن قَبرِ النَّبِيِّ ﷺ وَصَاحِبَيهِ،

---

(١) إثارة الترغيب والتشويق، الخوارزمي، (ص/٤٨٣).

(٢) سنن الدارمي، كتاب علامات النبوة، باب ما أكرم الله تعالى نبيه ﷺ بعد موته، (١٠٢).

(٣) جلاء الأفهام في الصلاة والسلام على خير الأنام، ابن القيم، (ص/٦٠-٦١)

فَكَشَفَتْ لِي عَن ثَلَاثَةِ قُبُورٍ لَا مُشْرِفَةٍ وَلَا لَاطِئَةٍ، مَبْطُوحَةٍ بِبَطْحَاءِ العَرْصَةِ الحَمْرَاءِ، فَرَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ مُقَدَّمًا، وَأَبَا بَكْر رضي الله عنهم رَأْسُهُ بَينَ كَتِفَي النَّبِيِّ ﷺ، وَعُمَرَ رضي الله عنه رَأْسُهُ عِندَ رِجْلَي النَّبِيِّ[١].

وَرَوَى السَّمهُودِيُّ قِصَّةَ دُخُولِهِ للحُجرَةِ النَّبَوِيَّةِ سَنَةَ ٨٧٨ هـ فَقَالَ: «دَخَلتُ الحُجرَةَ الشَّرِيفَةَ مِن مُؤَخَّرِهَا، فَشَمِمتُ رَائِحَةً مَا شَمِمتُ فِي عُمرِي أَطيَبَ مِنهَا، ثُمَّ سَلَّمتُ عَلَى أَشرَفِ الأَنبِيَاءِ ﷺ، ثُمَّ عَلَى ضَجِيعَيهِ خُلَاصَةِ الأَصفِيَاءِ، فَلَمَّا قَضَيتُ مِن ذَلِكَ الوَطَرِ[٢]، مَتَّعتُ عَينَيَّ مِن تِلكَ السَّاحَةِ بِالنَّظَرِ لأُتحِفَ بِوَصفِهَا المُشْتَاقِينَ، وَأَنشُرَ مِن طِيبِ أَخبَارِهَا للمُحِبِّين، فَتَأَمَّلتُ الحُجرَةَ الشَّرِيفَةَ، فَإِذَا هِيَ أَرضٌ مُستَوِيَة، وَتَنَاوَلتُ مِن تُرَابِهَا بِيَدِي فَإِذَا نَدَاوة وَحَصبَاء، وَلَم أَجِد للقُبُورِ الشَّرِيفَةِ أَثَرًا، غَيرَ أَنَّ بِأَوسَط الحُجرَةِ مَوضِعًا فِيهِ ارتِفَاعٌ يَسِيرٌ جِدًّا وَلَعَلَّهُ قَبرُ عُمَرَ»[٣].

وَصْفُ الحُجْرَةِ النَّبَوِيَّةِ الشَّرِيفَةِ

ذَكَرَ السَّمهُودِيُّ أَبعَادَ الحُجرَةِ فَقَالَ: بَلَغَت طُولًا مِنَ الشَّرقِ للغَربِ جِهَةَ القِبلَةِ عَشرَةَ أَذرُعٍ وَثُلثَي ذِرَاع ٤,٨م، وَجِهَةَ الشَّام عَشرَةَ أَذرُعٍ وَرُبعَ ذِرَاعٍ وَسُدسَ ذِرَاع ٤,٦٩م، وَعَرضًا مِنَ الشَّمَالِ للجَنُوبِ جِهَةَ الشَّرقِ وَالغَربِ سَبعَةَ أَذرُعٍ وَنِصفَ وَثُمنَ ذِرَاعٍ بِذِرَاعِ اليَدِ ٣,٤٣م وَعَرض مَنقبَةِ الجِدَارِ الدَّاخِلِ مِنَ الجَوَانِبِ كُلِّهَا ذِرَاع وَنِصف وَقِيرَاطَانِ ٠,٦٨م، إِلَّا الشَّرقَ المُجدَّد فَإِنَّهُ ذِرَاع وَرُبعَ وَثُمنَ ذِرَاعٍ ٠,٦٢م.

---

(١) السنن الكبرى، البيهقي، كتاب الجنائز، من قال بتسنيم القبور، (٦٧٥٨).

(٢) أي الحاجة.

(٣) وفاء الوفا بتاريخ دار المصطفى، السمهودي، (٢/ ٦٢٥، ٦٢٦).

وَصْفُ القُبُورِ فِيهَا

دُفِنَ النَّبِيُّ ﷺ بعدَ وَفَاتِهِ فِي حُجرَةِ بَيتِهِ وَقَد جُعِلَ رَأسُهُ الشَّرِيفُ إِلَى المَغرِبِ، وَرِجلَاهُ الشَّرِيفَتَانِ إِلَى المَشرِقِ، وَوَجهُهُ الشَّرِيف إِلَى القِبلَةِ، وَكَانَ بَينَهُ وَبَينَ جِدَارِ البَيتِ القِبَلِي قَدر شِبرٍ، وَقِيلَ مِقدَارَ سَوطٍ، وَبَينَهُ وَبَينَ الجِدَارِ الغَربِيّ قَدرَ ذِرَاعَينِ، وَيَلِيهِ خَلفَهُ قَبرَ أَبِي بَكرٍ الصِّدِّيق رضي الله عنه وَرَأسُهُ خَلفَ مَنكَبِ النَّبِيّ ﷺ، وَيَليهِ مِن خَلفِهِ قَبرَ عُمَرَ بنِ الخَطَّابِ رضي الله عنه وَرَأسُهُ خَلفَ مَنكَبِ أَبِي بَكرٍ الصِّدِّيق.

القُبَّةُ الخَضْرَاءُ

القُبَّةُ الخَضْرَاءُ أَو القُبَّةُ الفَيْحَاءُ، وَعُرِفَت قَدِيمًا بِالزَّرقَاءِ وَالبَيضَاءِ، وَهِيَ القُبَّةُ المَبنِيَّةُ عَلَى الحُجرَةِ النَّبوِيَّةِ المَوجُودَةِ دَاخِل المَسجِدِ النَّبَوِيّ الشَّرِيف.

بُنِيَت القُبَّةُ الخَضرَاءُ فِي أَيَّامِ المَلِكِ النَّاصِرِ مُحَمَّدِ بنِ قَلَاوُون الصَّالِحِيّ ٦٧٨هـ، عُمِلَت فوقَ الحُجرَةِ النَّبَوِيَّةِ قُبَّةً خَشَبِيَّةً بِلَونٍ أَزرَق، وَفِي عَامِ ٨٨٦ هـ احتَرَقَ المَسجِدُ النَّبوِيُّ الحَرِيق الثَّانِي فَقَامَ السُّلطَانُ قَايتبَاي بِعِمَارَةٍ شَامِلَةٍ لِلمَسجِدِ وَقَامَ بِبِنَاءِ القُبَّةِ الخَضرَاءِ بَدَلَ القُبَّةِ الزَّرقَاءِ عُرِفَت لَاحِقًا بِالقُبَّةِ الخَضرَاء.

وَأَمَّا الشُّبَّاكُ الَّذِي فِي القُبَّةِ فَهُوَ مُوَازٍ لِلشُّبَّاكِ الَّذِي فِي القُبَّةِ الدَّاخِلِيَّةِ وَيَقَعُ فَوقَ قَبرِ النَّبِيّ ﷺ، وَقَد كَانَ خَدَمُ الحَرَمِ يَفتَحُونَهُ يَومَ صَلَاةِ الاستِسقَاءِ، يَرْوِي الإِمَامُ الدَّارِمِيُّ عَن هَذَا الشُّبَّاكِ فَيَقُولُ: قَحِطَ أَهْلُ المَدِينَةِ قَحْطًا شَدِيدًا فَشَكَوْا إِلَى عَائِشَةَ فَقَالَت: انْظُرُوا قَبرَ النَّبِيّ ﷺ

فَاجْعَلُوا مِنْهُ كُوًى[1] إِلَى السَّمَاءِ حَتَّى لَا يَكُونَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ السَّمَاءِ سَقْفٌ[2] فَفَعَلُوا، فَمُطِرُوا مَطَرًا حَتَّى نَبَتَ العُشْبُ وَسَمِنَتِ الإِبِلُ حَتَّى تَفَتَّقَتْ مِنَ الشَّحْمِ، فَسُمِّيَ عَامَ الفَتْقِ[3].

مِنْ أَبوَابِ النَّاحِيَةِ الشَّرْقِيَّةِ للحَرَمِ النَّبوِيِّ

بَابُ جِبْرِيل رَقَم ٤٠

يَقَعُ هَذَا البَاب فِي الجِدَارِ الشَّرقِيِّ للمَسجِدِ، وَكَانَ يُسَمَّى بِـ «بَابِ النَّبِيِّ» لأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَدخُلُ مِنهُ للصَّلَاةِ، وَكَانَ مَدخَلُهُ وَمَخرَجُهُ فِي غَالِبِ الأَوقَاتِ مِنْ ذَلِكَ البَابِ، وَكَانَ يُسَمَّى بِـ «بَابِ عُثمَانَ» لِوُقُوعِهِ مُقَابِلَ دَارَ عُثمَانَ بنِ عَفَّانٍ، وَسُمِّيَ بِـ «بَابِ جِبرِيلَ» لأَنَّ سَيِّدَنَا جِبرِيلَ كَانَ يَنزِلُ بِالوَحيِ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ مِن جِهَتِهِ، كَمَا حَدَثَ بَعدَ رُجُوعِ النَّبِيِّ ﷺ مِن غَزوَةِ الخَنْدَقِ، وَكَانَ قَدِ اغتَسَلَ وَوَضَعَ سِلَاحَهُ، أَتَاهُ عِندَ هَذَا البَابِ جِبرِيل، مُعتَمِرًا عِمَامَةً سَوْدَاء، وَقَالَ: لَقَد وَضَعتَ سِلَاحَكَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «نَعَمْ» قَالَ جِبرِيلُ: مَا وَضَعَتِ المَلَائِكَةُ السِّلَاحَ، إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكَ يَا مُحَمَّدُ بِالسَّيْرِ إِلَى بَنِي قُرَيظَةَ، فَإِنِّي عَامِدٌ إِلَيْهِم بِمَن مَعِيَ مِنَ المَلَائِكَةِ، فَمُزَلزِلٌ بِهِم الحُصُون.

وَكَانَ هَذَا البَابُ يُسَمَّى بِبَابِ عُثمَانَ لأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَخرُجُ مِنهُ

(١) جمع كوة أي نقب.

(٢) أي اجعلوا من مقابلة قبره في سقف حجرته منافذ متعددة. **مرقاة المفاتيح**، القاري، (٩/ ٣٨٣٩).

(٣) سنن الدارمي، الدارمي، كتاب علامات النبوة، باب ما أكرم الله تعالى نبيه ﷺ بعد موته.

لِزِيَارَةِ دَارِ عُثمَانَ، وَبِهَا بَنَاتُهُ السَّيِّدَةُ رُقَيَّةَ، ثُمَّ أُمّ كُلثُوم، زَوجَتَا سَيِّدِنَا عُثمَانَ رضي الله عنه، وَكَانَتِ الدَّارُ فِي مُوَاجَهَةِ هَذَا البَابِ، الَّذِي كَانَ يُسَمَّى أيضًا بِبَابِ النَّبِيِّ ﷺ، لأَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ يَستَعمِلُهُ فِي الخُرُوجِ مِن بَيتِهِ إِلَى خَارِجِ المَسجِدِ.

بَابُ النِّسَاءِ رَقَم ٣٩

جَعَلَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِدُخُولِ النِّسَاءِ لِلمَسجِدِ، فَقَدَ رَوَى عَبدُ اللهِ بنُ عُمَرَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَوْ تَرَكْنَا هَذَا البَابَ لِلنِّسَاءِ؟**» قَالَ نَافِعٌ: فَلَم يَدخُل مِنهُ ابنُ عُمَرَ رضي الله عنه حَتَّى مَاتَ»[(١)].

مِنْ أَبْوَابِ النَّاحِيَةِ الغَرْبِيَّةِ لِلحَرَمِ النَّبَوِيِّ الشَّرِيفِ

بَابُ السَّلَامِ رَقَم ١

أَسَّسَهُ أَمِيرُ المُؤمِنِينَ عُمَرُ بنُ الخَطَّابِ رضي الله عنه حِينَما قَامَ بِتَوسِعَةِ المَسجِدِ النَّبَوِيِّ الشَّرِيف.

استَخدَمَهُ مَروَانُ بنُ الحَكَمِ بَعدَ عَهدِ الخُلَفَاءِ الرَّاشِدِين، وَكَانَ دَارُهُ إِزَاءَ بَابِ السَّلَامِ فَعُرِفَ بِبَابِ مَروَان، لأَنَّهُ كَانَ يُجَاوِرُ بَيتَهُ، وَيُسَمَّى بَاب الخَشيَةِ أَو بَاب الخُشُوعِ، وَيُعرَفُ الآنَ بِبَابِ السَّلَامِ.

---

(١) سنن أبي داود، أبو داود، كتاب الصلاة، باب في اعتزال النساء في المساجد عن الرجال (٤٦٢).

بَابُ الصِّدِّيقِ رَقَم ٢

سُمِّيَ بِذَلِكَ لأَنَّهُ كَانَ فِي مُوَاجَهَةِ مَكَانِ خَوْخَةِ[1] أَبِي بَكرٍ الصِّدِّيق، وَدَارِهِ الغَربِيَّة، وَقَد أَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ بِسَدِّ كُلِّ الأَبوَابِ إِلَّا بَابَ عَلِيِّ بنِ أَبِي طَالِب، لِعَدَمِ وُجُودِ بَابٌ لَهُ إِلَّا إِلَى المَسجِدِ، فَفَتَحَ بَعضُ الصَّحَابَةِ خَوخَاتٍ لِيَدخُلُوا مِنهَا إِلَى المَسجِدِ، فَأَمَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِغَلقِهَا إِلَّا خَوخَةَ أَبِي بَكرٍ وَذَلِكَ فِي خُطبَتِهِ قُبَيلَ وَفَاتِهِ سَنَةَ ١١ هـ، وَقَد رَوَى أَبُو سَعِيدٍ الخُدْرِيُّ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**إِنَّ مِنْ أَمَنِّ النَّاسِ عَلَيَّ فِي صُحْبَتِهِ وَمَالِهِ أَبَا بَكْرٍ، وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلًا مِنْ أُمَّتِي لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ، إِلَّا خُلَّةَ الإِسْلَامِ، لَا يَبْقَيَنَّ فِي المَسْجِدِ خَوْخَةٌ إِلَّا خَوْخَةُ أَبِي بَكْرٍ**»[2].

بَابُ الرَّحْمَةِ رَقَم ٣

أَو بَابُ عَاتِكَة وَهِيَ بِنتُ عَبْدِ اللهِ بنِ يَزِيد بنِ مُعَاوِيَة، لِكَوْنِ دَارِهَا صَارَت إِزَاءَ هَذَا البَاب، وَسُمِّيَ بِبَابِ الرَّحْمَةِ لِدُخُولِ الرَّجُلِ الطَّالِبِ لإِرسَالِ المَطَرِ مِنهُ، وَالمَطَرُ رَحمَة، فَعَن أَنَس بنِ مَالِكٍ رضي الله عنه أَنَّ رَجُلًا[3] دَخَلَ المَسجِدَ يَومَ جُمُعَةٍ مِن بَابٍ كَانَ نَحوَ دَارِ القَضَاءِ، وَرَسُولُ اللهِ ﷺ قَائِمٌ يَخطُبُ، فَاستَقبَلَ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَائِمًا، ثُمَّ قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ هَلَكَتِ الأَموَالُ وَانقَطَعَتِ السُّبُلُ فَادعُ اللَّه يُغِثْنَا. فَرَفَعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَدَيهِ ثُمَّ قَالَ: «**اللَّهُمَّ أَغِثْنَا، اللَّهُمَّ أَغِثْنَا، اللَّهُمَّ أَغِثْنَا**»

---

(١) هو الباب الصغير الذي يكون بين المسكنَين.

(٢) صحيح البخاري، البخاري، كتاب مناقب الأنصار، باب هجرة النبي ﷺ وأصحابه إلى المدينة (٣٩٠٤).

(٣) قيل هو كعب بن مالك، وقيل أبو سفيان بن حرب.

قَالَ أَنَسٌ: وَلَا وَاللهِ مَا نَرَى فِي السَّمَاءِ مِنْ سَحَابٍ وَلَا قَزَعَةٍ، وَمَا بَيْنَنَا وَبَينَ سَلْعٍ[1] مِن بَيتٍ وَلَا دَارٍ، فَطَلَعَت مِن وَرَائِهِ سَحَابَةٌ مِثْلُ التُّرسِ، فَلَمَّا تَوَسَّطَتِ السَّمَاءَ انتَشَرَت، ثُمَّ أَمطَرَت فَلَا وَاللهِ مَا رَأَينَا الشَّمسَ سِبْتًا»[2].

مِنْ أَبْوَابِ النَّاحِيَةِ الشَّمَالِيَّةِ لِلحَرَمِ النَّبَوِيِّ الشَّرِيفِ

بَابُ عُمَرَ بنِ الخَطَّابِ

كَانَ هَذَا البَابُ مُقَابِلَ دَارِ عُمَرَ بنِ الخَطَّابَ فَلَمَّا بَاعَ عُمَرُ الدَّارَ لِسَدَادِ دَينٍ لَهُ كَانَ عَلَيهِ، سُمِّيَ البَابُ بِبَابِ «دَارِ قَضَاءِ دَينِ عُمَر» ثُمَّ مَعَ مُرُورِ الزَّمَنِ سُمِّيَ بَابُ «دَارِ القَضَاءِ»، ثُمَّ أَخِيرًا بَابُ عُمَرَ بنِ الخَطَّابِ، وَهُوَ الآنَ دَاخِلَ تَوسِعَةِ الحَرَمِ النَّبَوِيِّ الأَخِيرَةِ.

بَقِيعُ الغَرْقَدِ

البَقِيعُ: هُوَ الأَرضُ الخَلَاءُ الَّتِي تَكثُرُ فِيهَا الأَشجَارُ البَرِّيَّةِ المُتَنَوِّعَة، وَكَانَ يَغلُبُ عَلَى أَرضِ البَقِيعِ شَجَرٌ ذُو شَوكٍ كَبِيرٍ يُسَمَّى الغَرقَد، لِذَلِكَ سُمِّيَ بِبَقِيعِ الغَرقَدِ[3].

---

(١) جبل بقرب المدينة.

(٢) **صحيح البخاري**، البخاري، كتاب الاستسقاء، باب الاستسقاء في خطبة الجمعة غير مستقبل القبلة (١٠١٤). **صحيح مسلم**، مسلم، كتاب صلاة الاستسقاء (**٨٩٧**).

(٣) يوجد في المدينة المنورة أكثر من مكان يسمى البقيع منها: بقيع الخبخبة نسبة إلى شجر يسمى بذلك، وبقيع بطحان نسبة إلى وادي بطحان، وبقيع الخيل وفيه سوق لأهل المدينة سابقا، وبقيع المصلى وبقيع الخضمات، فاذا أطلق البقيع فالمراد به بقيع الغرقد مقبرة أهل المدينة.

وَلَـمَّا هَاجَرَ النَّبِيُّ ﷺ وَالمُسلِمُونَ إِلَى المَدِينَةِ، وَانطَلَقَت حَرَكَةُ إِعمَارِهَا أَرَادَ النَّبِيُّ ﷺ أَن يُخَصِّصَ مَوضِعًا لِدَفنِ أَموَاتِ المُسلِمِينَ فِيهِ، فَأَتَى بَقِيعَ الغَرقَدِ وَقَالَ: **«أُمِرْتُ بِهَذَا المَوضِعِ»**[1] **فَكَانَ أَمرُ اللهِ لِرَسُولِهِ ﷺ بِاتِّخَاذِ البَقِيعِ مَقبَرَةً للمُسلِمِينَ بِدَايَةَ ظُهُورِ فَضلِ هَذَا المَكَانِ.**

رَوَى الحَاكِمُ وَابنُ حِبَّانَ وَغَيرُهُمَا مِن طَرِيقِ أُمِّ قَيْس بِنتِ مِحصَنٍ رضي الله عنها، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: **«أَتَرَيْنَ هَذِهِ المَقْبَرَةَ**[2] **يَبْعَثُ اللهُ مِنْهَا سَبْعِينَ أَلفًا يَوْمَ القِيَامَةِ عَلَى صُورَةِ القَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ»**[3].

وَلِهَذَا فَقَد جَمَعَ هَذَا البَقِيعُ وَتُربَتُهُ المُبَارَكَةُ مِنَ الفَضَائِلِ العَظِيمَةِ مَا يَجعَلُ وَخَاصَّةً مَن سَكَنَ المَدِينَةَ وَجَاوَرَ فِيهَا أَن يَحرِصَ عَلَى أَن يُدفَنَ فِيهِ لِمَا لَهُ مِنَ الفَضَائِلِ الَّتِي جَاءَت فِي حَقِّهِ وَحَقِّ مِن دُفِنَ فِيهِ مِن أَقوَالِهِ ﷺ وَأَفعَالِهِ لأَهلِ البَقِيعِ المُبَارَكِ، وَمِنهَا:

١- شَفَاعَةُ وَشَهَادَةُ الرَّسُولِ ﷺ لِمَن يَمُوتُ بِالمَدِينَةِ المُنَوَّرَةِ مِنَ المُسلِمِينَ، فَعَن عَبدِ اللهِ بنِ عُمَرَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«مَنِ اسْتَطَاعَ أَنْ يَمُوتَ بِالمَدِينَةِ فَلْيَمُتْ بِهَا فَإِنِّي أَشْفَعُ لِمَنْ يَمُوتُ بِهَا»**[4].

---

(١) المستدرك، الحاكم، كتاب معرفة الصحابة، ذكر مناقب عثمان بن مظعون، (٤٩١٩).

(٢) بقيع الغرقد.

(٣) المستدرك، الحاكم، كتاب معرفة الصحابة، ذكر أم قيس بنت محصن، (٧٠١٣). المعجم الكبير، الطبراني، (٢٠٩٩٢).

(٤) سنن الترمذي، الترمذي، أبواب المناقب عن رسول الله ﷺ ، باب فضل المدينة، (٣٩١٧).

٢- دُعَاءُ النَّبِيِّ ﷺ وَاستِغفَارُهُ وَصَلَاتُهُ عَلَى أَهلِ البَقِيعِ، فَقَد كَانَ يَخرُجُ إِلَى البَقِيعِ لَيلًا وَنَهارًا، وَيَحضُرُ مَشَاهِدَ مَن يَتَوَفَّى مِنَ الصَّحَابَةِ وَيَسأَلُ عِندَمَا يَرَى قَبرًا جَدِيدًا فَاتَهُ أَن يُصَلِّي عَلَيهِ فَيُصَلِّي عَلَيهِ بَعدَ أَن يُعَاتِبَ الصَّحَابَةَ عَن عَدَمِ إِخبَارِهِ عَن ذَلِكَ المَيِّتِ وَيَقُولُ: «**إِنَّ صَلَاتِي عَلَى المَيِّتِ رَحْمَةٌ لَهُ**»(١).

وَعَن أُمِّ المُؤمِنِينَ عَائِشَةَ أَنَّهَا قَالَت: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ كُلَّمَا كَانَ لَيلَتُهَا مِن رَسُولِ اللهِ ﷺ يَخرُجُ مِن آخِرِ اللَّيلِ إِلَى البَقِيعِ فَيَقُولُ: «**السَّلَامُ عَلَيْكُمْ دَارَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ وَأَتَاكُمْ مَا تُوْعَدُونَ، غَدًا مُؤَجَّلُونَ**(٢)، **وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللهُ بِكُمْ لَاحِقُونَ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِأَهْلِ بَقِيعِ الغَرْقَدِ**»(٣).

٣- أَنَّ أَهلَ هَذِهِ المَقبَرَةِ هُم أَوَّلُ مَن يُحشَرُ مِن مَقَابِرِ الأَرضِ بَعدَ النَّبِيِّ ﷺ وَصَاحِبَيهِ أَبِي بَكرٍ وَعُمَرَ أَي مِن هَذِهِ الأُمَّةِ لأَنَّ الأَنبِيَاءَ يُحشَرُونَ قَبلَ أَهلِ المَدِينَةِ وَأَبِي بَكرٍ وَعُمَرَ، فَقَد رَوَى التِّرمِذِيُّ مِن طَرِيقِ ابنِ عُمَرَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَنَا أَوَّلُ مَنْ تَنْشَقُّ عَنْهُ الأَرْضُ، ثُمَّ أَبُو بَكْرٍ ثُمَّ عُمَرُ، ثُمَّ آتِي أَهْلَ البَقِيعِ فَيُحْشَرُونَ مَعِي، ثُمَّ أَنْتَظِرُ أَهْلَ مَكَّةَ حَتَّى أُحْشَرَ بَيْنَ الحَرَمَيْنِ**»(٤)

٤- أَنَّ مَن مَاتَ بِأَحَدِ الحَرَمَينِ يُبعَثُ آمِنًا يَومَ القِيَامَةِ. فَقَد رَوَى

---

(١) سنن ابن ماجه، ابن ماجه، كتاب الجنائز، باب ما جاء في الصلاة على القبر، **(١٥٢٨)**.

(٢) أي مؤخرون إلى غدٍ باعتبار أجوركم استيفاءً واستقصاءً.

(٣) صحيح مسلم، مسلم، كتاب الجنائز، باب ما يقال عند دخول القبور، والدعاء **لأهلها (٩٧٤)**. صحيح ابن حبان، ابن حبان، كتاب السير، **(٤٥٢٣)**. **مسند أحمد، أحمد، (٢٥٤٧١)**.

(٤) سنن الترمذي، الترمذي، أبواب المناقب عن رسول الله ﷺ **(٣٦٩٢)**.

الطَّبَرَانِيُّ فِي المُعجَمِ الصَّغِيرِ مِن حَدِيثِ جَابِرٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ مَاتَ فِي أَحَدِ الحَرَمَيْنِ بُعِثَ آمِنًا يَوْمَ القِيَامَةِ»[١].

أَوَّلُ مَنْ دُفِنَ فِي البَقِيعِ مِنَ المُهَاجِرِينَ:

فِي السَّنَةِ الثَّانِيَةِ للهِجرَةِ وَبَعدَ غَزوَةِ بَدرٍ تُوفِّيَ عُثمَانُ بن مَظعُونٍ فَأَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ أن يُدفَنَ فِي البَقِيعِ، وَقَامَ عَلَى قَبرِهِ ثُمَّ طَلَبَ حَجَرًا وَوَضَعَهَا عَلَى القَبرِ فَسُئِلَ عَن ذَلِكَ فَقَالَ: «**أَتَعَلَّمُ بِهَا قَبْرَ أَخِي وَأَدْفِنُ إِلَيْهِ مَنْ مَاتَ مِنْ أَهْلِي**»[٢]، وَأَصبَحَ كُلَّمَا تُوُفِّيَ أَحَدٌ مِنَ المُسلِمِينَ يَقُولُونَ: «أَينَ نَدفِنُهُ يَا رَسُولَ اللهِ؟»، فَيَقُولُ: «**عِنْدَ فَرَطِنَا عُثْمَانَ بنِ مَظْعُونٍ**»[٣] وَهُوَ عُثمَانُ بنُ مَظعُون بنِ حَبِيبٍ القُرَشِيُّ الجُمَحِيُّ، أَبُو السَّائِبِ، صَحَابِيٌّ جَلِيلٌ مِن فُضَلَاءِ الصَّحَابَةِ وَعُبَّادِهِم، أَسلَمَ بَعدَ ثَلَاثَةَ عَشَرَ رَجُلًا، وَهَاجَرَ الهِجرَتَينِ وَشَهِدَ بَدرًا، وَتُوُفِّيَ بَعدَهَا بِسِتَّةِ أَشهُرٍ، فَبَكَى عَلَيهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَقَبَّلَ بَينَ عَينَيهِ وَدَفَنَهُ فِي البَقِيعِ وَقَالَ نِعمَ السَّلَفُ لَنَا عُثمَانُ بنُ مَظعُون، وَأَعلَمَ عَلَى قَبرِهِ بِحَجَرٍ لِيَزُورَهُ وَيَدفِنَ عِندَهُ مَن مَاتَ مِن أَهلِ النُّبُوَّةِ[٤].

وَهَكَذَا صَارَ البَقِيعُ المَقبَرَةَ العَامَّةُ للمُسلِمِينَ، وَمَعَ تَوَالِي الأَيَّامِ وَالسِّنِين ازدَادَ عَدَدُ مَن دُفِنَ فِيهِ مِنَ المُسلِمِين، وَتَذكُرُ كُتُبُ الأَحَادِيثِ وَالسِّيَرِ وَالتَّارِيخِ أَنَّ أَكثَرَ مِن عَشرَةِ الآفِ صَحَابِيٍّ دُفِنَ فِيهِ عَدَا مَن

---

(١) سنن البيهقي، البيهقي، كتاب الحج، جماع أبواب الهدي، باب زيارة قبر النبي ﷺ (١٠٢٧٣).

(٢) سنن أبي داود، أبو داود، كتاب الجنائز، باب في جمع الموتى في قبر، (٣٢٠٦).

(٣) المستدرك، الحاكم، كتاب معرفة الصحابة، ذكر مناقب عثمان بن مظعون (٤٩١٩).

(٤) الاستيعاب، ابن عبد البر، (٣/ ١٠٥٣).

بَعدَهُم مِنَ التَّابِعِينَ وَالأَكَابِر وَالأولِيَاء وَالصَّالِحين.

أَوَّلُ مَنْ دُفِنَ فِي البَقِيعِ مِنَ الأَنْصَارِ:

أَوَّلُ مَن دُفِنَ فِي البَقِيعِ مِنَ الأَنصَارِ أَسْعَدُ بنُ زُرَارَةَ بنِ عُدس بنِ عُبَيدٍ مِن بَنِي النَّجَّارِ وَكُنيَتُهُ أَبُو أُمَامَةَ وَيُقَالُ لَهُ أَسعَدُ الخَيرِ، أَحَدُ النُّقَبَاءِ، وَسَيِّدٌ مِن سَادَاتِ الأَنصَارِ وَهُوَ أَوَّلُ مَن بَايَعَ النَّبِيَّ ﷺ وَقَد شَهِدَ البَيعَاتِ الثَّلَاثَةِ، بَيعَةُ العَقَبَةِ الأُولَى، وَالثَّانِيَةِ، وَالثَّالِثَةِ[١].

لَمَّا تُوُفِّي أَسعَدُ بنُ زُرَارَةَ حَضَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ غَسلَهُ، وَكَفَّنَهُ فِي ثَلَاثَةِ أَثوَابٍ وَصَلَّى عَلَيهِ، وَرُؤِي رَسُولُ اللهِ ﷺ يَمشِي أَمَامَ الجِنَازَةِ وَدَفَنَهُ بِالبَقِيعِ[٢].

أَشْهَرُ مَعَالِمِ البَقِيعِ:

تَأتِي أَهَمِيَّةُ مَعرِفَةِ قُبُورِ الصَّحَابَةِ مِن فِعلِ رَسُولِ اللهِ ﷺ عِندَمَا دَفَنَ عُثمَانَ بنِ مَظعُون، وَأَعلَمَ عَلَى قَبرِهِ بِحَجَرٍ، وَكَانَ يَزُورُهُ، فَهَذَانِ القَبرَانِ مِنَ القُبُورِ المَعرُوفَةِ إِلَى يَومِنَا الحَاضِرِ فَقَد حَفِظَهُمَا اللهُ تَعَالَى بِبَرَكَةِ إِعلَامِهِ ﷺ وَوُقُوفِهِ عَلَيهِمَا، وَمُشَارَكَتُهُ فِي دَفنِهِمَا، كَمَا فَعَلَ مَعَ بَعضِ مَن تُوُفِّيَ مِن ءَالِ بَيتِهِ، كَزَينَبَ وَأُمّ كُلثُوم، وَفَاطِمَةَ بِنتِ أَسَدٍ، وَبَعضِ الصَّحَابَةِ الكِرَامِ كَسَعدِ بنِ مُعَاذٍ، وَأَسعَدَ بنِ زُرَارَةَ.

---

(١) الإكمال في ذكر من له رواية في مسند أحمد، أبو المحاسن الدمشقي، (ص/ ٢٥).

(٢) الإكمال في ذكر من له رواية في مسند الإمام أحمد، أبو المحاسن الدمشقي، (ص/ ٢٩).

القُبُورُ الَّتِي نَزَلَ بِهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ

وَلَم يَنْزِل النَّبِيُّ ﷺ إِلَّا فِي خَمسَةِ قُبُورٍ؛ وَهِيَ:

- قَبرُ السَّيِّدَةِ خَدِيجَةَ رضي الله عنها فِي مَكَّةَ المُكَرَّمَة.
- قَبرُ ابنِ السَّيِّدَةِ خَدِيجَةَ.
- قَبرُ عَبدِ اللهِ المُزَنِيِّ ذُو البِجَادَينِ[1].
- قَبرُ أُمِّ رُومَانَ أُمِّ السَّيِّدَةِ عَائِشَةَ.
- قَبرُ السَّيِّدَةِ فَاطِمَةَ بنتِ أَسَدٍ رضي الله عنها أُمِّ سَيِّدِنَا عَلِيّ.

فَمَن يَعلَم سِوَى اللهُ العَلِيمُ الخَبِيرُ كَم مِنَ النَّاسِ مِن أُمَّةِ مُحَمَّدٍ رِجَالًا وَنِسَاءً دُفِنُوا وَسَيُدفَنُونَ فِي القَبرِ الوَاحِدِ، فَقَد يُدفَنُ رَجُلٌ أَوِ امرَأَةٌ فِي قَبرِ صَحَابِيّ جَلِيلٍ أَو فِي قَبرِ تَابِعِيّ أَو رَجُلٍ صَالِحٍ، فَيَنَالُ بَرَكَتَهُ إِلَى يَومِ الحَشرِ، اللَّهُمَّ أَكرِمنَا بِذَلِكَ يَا كَرِيمُ يَا جَوَادُ يَا قَدِيرُ.

فَمِن هُنَا فَإِنَّ بَقَاءَ بَعضِ هَذِهِ القُبُورِ وَمَعرِفَتِهَا مِن قِبَلِ أَهلِ المَدِينَةِ بِالتَّوَاتُرِ، كَقُبُورِ ءَالِ البَيتِ وَبَنَاتِ النَّبِيِّ ﷺ وَزَوجَاتِهِ وَعَمَّاتِهِ وَبَعضِ مَشَاهِيرِ الصَّحَابَةِ أَمرٌ فِي غَايَةِ الأَهَمِيَّةِ لِتَعزِيزِ الشُّعُورِ وَتَقوِيَةِ اليَقِينِ بِمَا وَعَدَ اللهُ تَعَالَى عِبَادَهُ الصَّالِحِينَ مِمَّن شَهِدَ لَهُمُ الرَّسُولُ ﷺ بِالخَيرِ وَالدُّعَاءِ وَالاستِغفَارِ وَالصَّلَاةِ عَلَيهِم، وَتَعلِيم وَتَحدِيدِ قُبُورِهِم وَزِيَارَتِهِم، فَفِي حَدِيثِ السَّيِّدَةِ عَائِشَةَ قَولُهُ: «إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَدْعُوَ لَهُم»[2].

---

(١) وهو الذي قال فيه الرسول ﷺ: «إنه أوّاه» أي كثير الذكر لله.

(٢) مسند الإمام أحمد، أحمد بن حنبل، مسند السيدة عائشة، (٢٦١٤٨).

الدَّفْنُ فِي البَقِيعِ وَفَضْلُهُ:

وَرَدَت أَحَادِيثُ عِدَّة فِي فَضلِ المَوتِ فِي المَدِينَةِ، وَالدَّفنِ فِي البَقِيعِ، وَأبرَزُ الفَضَائِلِ الَّتِي يَتَمَتَّعُ بِهَا مَن دُفِنَ فِي البَقِيعِ:

١- الظَّفَرُ بِشَفَاعَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ لَهُ يَومَ القِيَامَةِ كَمَا رَوَى عَبدُ اللهِ بنُ عُمَرَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَنِ اسْتَطَاعَ أَنْ يَمُوتَ فِي المَدِينَةِ فَلْيَمُتْ فَإِنِّي أَشْفَعُ لِمَنْ يَمُوتَ بِهَا**»[١].

٢- الظَّفَرُ بِدُعَاءِ رَسُولِ اللهِ ﷺ واستِغفَارِهِ وَصَلَاتِهِ عَلَيهِ كَمَا رَوَتِ السَّيِّدَة عَائِشَة، قَالَت: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ كُلَّمَا كَانَ لَيلَتُهَا مِن رَسُولِ اللهِ ﷺ يَخرُجُ مِن آخِرِ اللَّيلِ إِلَى البَقِيعِ فَيَقُولُ: «**السَّلَامُ عَلَيْكُمْ دَارَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ وَأَتَاكُمْ مَا تُوْعَدُونَ غَدًا مُؤَجَّلُونَ وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللهُ بِكُمْ لَاحِقُونَ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِأَهْلِ بَقِيعِ الغَرْقَدِ**»[٢].

٣- يُبْعَثُ آمِنًا يَوْمَ القِيَامَةِ كَمَا قَالَ عَلَيهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**مَنْ مَاتَ بِأَحَدِ الحَرَمَيْنِ بُعِثَ ءَامِنًا يَوْمَ القِيَامَةِ**»[٣].

٤- يُحْشَرُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ وَأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ رضي الله عنه يَومَ القِيَامَةِ كَمَا رَوَى عَبدُ اللهِ بنُ عُمَرَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَنَا أَوَّلُ مَنْ تَنْشَقُّ**

---

(١) سنن الترمذي، الترمذي، أبواب المناقب عن رسول الله ﷺ، باب فضل المدينة، (٣٩١٧).

(٢) صحيح مسلم، مسلم، كتاب الجنائز، باب ما يقال عند دخول القبور، والدعاء لأهلها (٩٧٤). صحيح ابن حبان، ابن حبان، كتاب السير، (٤٥٢٣). مسند أحمد، أحمد، (٢٥٤٧١).

(٣) سنن البيهقي، البيهقي، كتاب الحج، جماع أبواب الهدي، باب زيارة قبر النبي ﷺ (١٠٢٧٣).

عَنْهُ الأَرْضُ، ثُمَّ أَبُو بَكْرٍ ثُمَّ عُمَرُ، ثُمَّ آتِي أَهْلَ البَقِيعِ فَيُحْشَرُونَ مَعِي، ثُمَّ أَنْتَظِرُ أَهْلَ مَكَّةَ حَتَّى أُحْشَرَ بَيْنَ الحَرَمَيْنِ»[1].

٥- يَكُونُ جِوَارَ عَشَرَةِ ءَالآفٍ مِنَ الصَّحَابَةِ الأَبْرَارِ وَسَادَةِ التَّابِعِينَ الأَخْيَارِ وَمَن بَعدَهُم مِنَ العُلَمَاءِ وَالأَولِيَاءِ وَالصَّالِحِينَ.

وَمِمَّا يَدُلُّ عَلَى فَضلِ البَقِيعِ أَيضًا قَولُهُ ﷺ لأُمِّ قَيس بِنتِ مِحصن: «أَتَرَيْنَ هَذِهِ المَقْبَرَةَ - لِبَقِيعِ الغَرقَدِ - يَبْعَثُ اللهُ مِنْهَا سَبْعِينَ أَلفًا يَوْمَ القِيَامَةِ عَلَى صُورَةِ القَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ»[2].

أَشْهَرُ مَنْ دُفِنَ فِي البَقِيعِ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِين:

دُفِنَ فِي البَقِيعِ عَدَدٌ كَبِيرٌ مِنَ الصَّحَابَةِ الكِرَامِ، وَنَقَلَ القَاضِي عِيَاضٌ فِي تَرتِيبِ المَدَارِكِ عَنِ الإِمَامِ مَالِك أَنَّهُ قَالَ: «انصَرَفَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِن غَزوَةِ كَذَا فِي نَحوِ كَذَا وَكَذَا أَلفًا مِنَ الصَّحَابَةِ، مَاتَ بِالمَدِينَةِ مِنهُم نَحوُ عَشَرَةِ ءَالآفٍ وَبَاقِيهِم تَفَرَّقَ بِالبُلْدَانِ»[3].

أَشْهَرُ القُبُورِ فِي بَقِيعِ الغَرْقَدِ:

القُبُورُ الَّتِي تَوَاتَرَ مَعرِفَتُهَا بِالبَقِيعِ نَذكُرُهَا عَلَى التَّرتِيبِ عَلَى أَسَاسِ الدُّخُولِ إِلَى البَقِيعِ مِنَ البَابِ الغَربِيِّ المُقَابِلِ لِلمَسجِدِ النَّبَوِيِّ الشَّرِيفِ فِي الوَقتِ الحَاضِرِ.

---

(١) سنن الترمذي، الترمذي، أبواب المناقب عن رسول الله ﷺ (٣٦٩٢).

(٢) المستدرك، الحاكم، كتاب معرفة الصحابة، ذكر أم قيس بنت محصن، (٧٠١٣). **المعجم الكبير**، الطبراني، (٢٠٩٩٢).

(٣) ترتيب المدارك وتقريب المسالك، القاضي عياض، (١/٤٦).

بَعْضُ أَسْمَاءِ مَنْ دُفِنَ فِي البَقِيعِ

١- قُبُورُ بَنَاتِ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَهُنَّ:

السَّيِّدَةُ زَيْنَب.

السَّيِّدَةُ أُمّ كُلْثُوم.

السَّيِّدَةُ رُقَيَّة.

وَتَقَعُ هَذِهِ القُبُورُ أَمَامَ المَدخَلِ الرَّئِيسِيِّ للبَقِيعِ عَلَى بُعدِ ٣٠ م تَقرِيبًا.

السَّيِّدَةُ زَيْنَبُ بِنْتُ رَسُولِ اللهِ ﷺ

أَكْبَرُ بَنَاتِهِ ﷺ، وُلِدَت سَنَةَ ثَلَاثِينَ مِن مَولِدِهِ ﷺ أي عَامَ ٢٣ قَبلَ الهِجرَةِ، زَوْج أَبِي العَاصِ بنِ الرَّبِيعِ، أُمُّهَا السَّيِّدَةُ خَدِيجَةُ بِنتُ خُوَيلِدٍ رضي الله عنها، وَكَانَ رَسُولُ ﷺ مُحِبًا لَها، أَسلَمَت وَهَاجَرَت، أَبَى زَوجُهَا أَبُو العَاصِ بنِ الرَّبِيع أَن يُسلِمَ، وَقَد أُسِرَ فِي بَعضِ الغَزَوَاتِ فَافتَدَتهُ زَينَب بِقِلَادَتِهَا الَّتِي أَهدَتها لَهَا أُمُّهَا السَّيِّدَة خَدِيجَة رضي الله عنها لَيْلَةَ زَفَافِهَا، وَهَدَاهُ اللهُ إِلَى الإِسلَامِ، فَأَنجَبَت مِنهُ غُلَامًا يُقَالُ لَهُ: عَلِيٌّ، وَبِنتًا يُقَالُ لهَا: أُمَامَة، الَّتِي كَانَ يَحمِلُهَا الرَّسُولُ ﷺ فِي صَلَاتِهِ فَإِذَا قَامَ حَمِلَهَا وَإِذَا سَجَدَ وَضَعَهَا عَلَى مَا أَخرَجَهُ مُسلِمٌ فِي بَابِ جَوَازِ حَملِ الأَطفَالِ فِي الصَّلَاةِ.

وَكَانَ زَوجُهَا أَبُو العَاصِ مُحِبًّا لَها وَقَد قَالَ فِي بَعضِ أَسفَارِهِ إِلَى الشَّامِ:

ذَكَرْتُ زَيْنَبَ لَمَّا وَرَّكَتْ إِرَمَا
فَقُلْتُ سَقْيًا لِشَخْصٍ يَسْكُنُ الحَرَمَا

بِـنْـتُ الأَمِـيـنِ جَـزَاهَـا اللهُ صَـالِـحَـةً
وَكُلُّ بَـعْـلٍ سَـيُـثْـنِـي بِـالَّـذِي عَـلِـمَـا

تُوُفِّيَت زَينَبُ رضي الله عنها فِي حَيَاةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ سَنَةَ ثَمَانٍ للهِجرَةِ وَدُفِنَت فِي البَقِيعِ، وَكَانَ سَبَبُ مَوتِهَا أَنَّهَا لمَّا خَرَجَت مِن مَكَّةَ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، عَمِدَ هَبَّارُ بنُ الأَسوَدِ وَرَجُلٌ ءاخَر، فَدَفَعَهَا أَحَدُهُمَا، فَسَقَطَت وَأَهرَقَت الدِّمَاء، فَلَم يَزَل بِهَا مَرَضُهَا ذَلِكَ حَتَّى مَاتَت.

رَوَى الإِمَامُ أَحْمَدُ بِسَنَدِهِ عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ قَالَ: «فَلَمَّا مَاتَت زَينَبُ ابنَةُ رَسُولِ اللهِ ﷺ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**الْـحَقِي بِسَلَفِنَا الصَّالِحِ الخَيْرِ، عُثْمَانَ بنِ مَظْعُونٍ**»[(١)].

مَاتَت رضي الله عنها سَنَةَ ثَمَانٍ مِنَ الهِجْرَةِ، وَعُمرُهَا يَومَئِذٍ احْدَى وَثَلَاثِينَ سَنَة.

أُمُّ كُلْثُوم بِنْتُ رَسُولِ اللهِ ﷺ

وُلِدَت رضي الله عنها سَنَةَ ١٩ قَبلَ الهِجرَةِ فِي مَكَّةَ المُكَرَّمَة، زَوجُ عُثمَانَ بَعدَ أُختِهَا رُقَيَّةَ، أُمُّهَا خَدِيجَة رضي الله عنها، تَزَوَّجَهَا عُثمَانُ سَنَةَ ثَلَاثٍ، وَلِذَلِكَ يُلَقَّبُ بِذِي النُّورَينِ، لِتَزَوُّجِهِ بِبِنْتَي رَسُولِ اللهِ ﷺ وَلَم يَتَّفِق لأَحَدٍ أَن تَزَوَّجَ بِبِنتَي نَبِيٍّ غَيرَهُ، وَلَم تَلِد مِن عُثمَانَ.

مَاتَت رضي الله عنها سَنَةَ تِسعٍ وَعُمرُهَا بِضعٌ وَعُشرُونَ سَنَة وَدُفِنَت فِي البَقِيعِ. قَالَ أُسَامَةُ بنُ زَيدٍ يَذْكُرُ حُبَّ أَبِيهَا لهَا وَكَذَلِكَ أَنَسُ بنُ مَالِكٍ قَالَا: رَأَيتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ جَالِسًا عَلَى قَبرِهَا وَعَينَاهُ تَدمَعَانِ[(٢)].

---

(١) مسند أحمد، أحمد، مسند بني هاشم، (٢١٢٧).

(٢) المستدرك، الحاكم، كتاب معرفة الصحابة، نكاح عثمان بأم كلثوم بنت النبي ﷺ، (٩٤٤،

رُقَيَّةُ بِنْتُ المُصْطَفَى

أُمُّهَا السَّيِّدَةُ خَدِيجَة رضي الله عنها، وُلِدَت رُقَيَّةُ بِنتُ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَرَسُولُ اللهِ ابنُ ثَلَاثِينَ سَنَة وَذَلِكَ سَنَةَ ٢٠ قَبلَ الهِجرَةِ، قَبلَ بِعثَةِ النَّبِيِّ ﷺ بِـ سَبعِ سِنِينَ، وَتَزَوَّجَهَا عُثمَانُ بِمَكَّةَ، وَوَلَدَت لَهُ ابنًا سَمَّاهُ عَبدُ اللهِ، لَكِنَّهُ مَاتَ وَهُوَ ابنُ سِتِّ سِنِينَ، وَصَلَّى عَلَيهِ رَسُولُ ﷺ، وَأَمَّا وَفَاةُ رُقَيَّةَ رضي الله عنها فَالصَّحِيحُ فِي ذَلِكَ أَنَّ عُثمَانَ تَخَلَّفَ عَلَيهَا بِأَمرِ رَسُولِ الله ﷺ وَهِيَ مَرِيضَةٌ حِينَ خُرُوجِهِ عليه السلام إِلَى بدر، وَتُوُفِّيَت يَومَ وَقعَةِ بَدرٍ، وَفَضَائِلُهَا رِضوَانُ اللهِ عَلَيهَا جَمَّةٌ لَا تُحصَى.

تُوُفِّيَت رضي الله عنها فِي المَدِينَةِ المُنَوَّرَةِ وَلَهَا مِنَ العُمرِ اثنَتَانِ وَعُشرُونَ سَنَة وَدُفِنَت فِي البَقِيعِ فِي السَّنَةِ الثَّانِيَةِ مِنَ الهِجْرَةِ.

٢- قُبُورُ أَهْلِ بَيْتِ رَسُولِ اللهِ ﷺ:

- **السَّيِّدَةُ فَاطِمَةُ الزَّهرَاءِ**[١] **بِنتِ رَسُولِ اللهِ ﷺ.**
- **العَبَّاسُ بنُ عَبدِ المُطَّلِبِ** عليه السلام عَمُّ رَسُولِ اللهِ ﷺ.
- **الحَسَنُ بنُ علي** عليه السلام: سِبطُ المُصطَفَى ﷺ.
- **زَيْنُ العَابِدِينَ** عليه السلام ابنُ الحُسَينِ بنِ عَلِيّ.
- **مُحَمَّدٌ البَاقِر** عليه السلام ابنُ زَينِ العَابِدِين.
- **جَعْفَرٌ الصَادِق** عليه السلام ابنُ مُحَمَّدِ البَاقِرِ.

---

(١) الزهراء معناه البيضاء المشرقة. قال بعض العلماء: الرسول ﷺ في حياته ما **سُمِّيَ أبا الزهراء،** إنما بعض المداحين اليوم صاروا يسمونه بذلك، إنما في حياته كان **يُسمَّى أبا القاسم.**

وَتَقَعُ هَذِهِ القُبُور فِي جِهَةِ الجَنُوبِ عَلَى يَمِينِ الوَاقِفِ أَمَامَ قُبُورِ بَنَاتِ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَعَلَى بُعدِ ٢٥ مِترًا مِنهَا تَقرِيبًا.

السَّيِّدَةُ فَاطِمَةُ الزَّهْرَاءُ بِنْتُ رَسُولِ اللهِ ﷺ

سَيِّدَةُ نِساءِ هذه الأمة: هِيَ فَاطِمَةُ الزَّهْرَاءُ بِنتُ إِمَامِ المُتَّقِينَ رَسُولِ اللهِ مُحَمَّدِ بنِ عَبدِ اللهِ الهَاشِمِيَّة صَلَّى اللهُ عَلَيهَا وَعَلَى أَبِيهَا وَءَالِهِ وَسَلَّم، وَتُلَقَّبُ بِالزَّهرَاءِ، رَوَت عَن أَبِيهَا وَرَوَى عَنهَا إِبنَاهَا وَأَبُوهُمَا الإِمَامُ عَلِيّ، وَعَائِشَة، وَأُمّ سَلَمَة، وَسَلمَى أُمّ رَافِع، وَأَنَس.

أُمُّهَا السَّيِّدَةُ خَدِيجَة رضي الله عنها، هِيَ أَصغَرُ بَنَاتِ النَّبِيّ ﷺ، وُلِدَت فِي السَّنَةِ الخَامِسَةِ قَبلَ البِعثَةِ فِي مَكَّةَ المُكَرَّمَة، وُلِدَت رِضوَانُ اللهِ عَلَيهَا سَنَةَ خَمسٍ وَثَلَاثِينَ مِن مَولِدِ أَبِيهَا المُصطَفَى ﷺ، وَأَنكَحَهَا عَلِيًّا[1] بَعدَ غَزوَةِ أُحُدٍ، وَكَانَ سِنُّهَا يَومَ تَزوِيجِهَا خَمسَ عَشرَةَ سَنَة وَخَمسَةَ أَشهُرٍ. وَكَانَ سِنُّ عَلِيّ بنِ أَبِي طَالِبٍ حِينَئِذٍ احْدَى وَعِشرِينَ سَنَةً وَخَمسَةَ أَشهُرٍ. وَقَد أَكرَمَهَا رِضوَانُ اللهِ عَلَيهِ حَتَّى أَنَّ أَبَا البُختُرِي يَقُولُ: قَالَ عَلِيُّ بنُ أَبِي طَالِب لأُمِّهِ فَاطِمَةَ بِنتِ أَسَدِ بنِ هَاشِمٍ: اكْفِي بِنتَ رَسُولِ اللهِ ﷺ الخِدمَةَ خَارِجًا وَتَكفِيكِ العَمَلَ فِي البَيتِ: العجنَ، وَالخُبزَ، وَالطَّحنَ، فَوَلَدَت الحَسَنَ وَالحُسَين، وَأُمَّ كُلثُوم، وَزَينَب، وَلَم يَتَزَوَّج عَلِيّ عَلَيهَا حَتَّى مَاتَت رضي الله عنها، وَقَد وَرَدَ فِي فَضلِهَا رِضوَانُ اللهِ عَلَيهَا عِدَّةَ أَحَادِيث مِنهَا: مَا أَخرَجَهُ عَنِ المِسْوَرِ بنِ مَخْرَمَةَ

---

(١) هي بنت ابن عم عليّ، فلا تدخل في القرابة القريبة التي لا يُسنّ الزواج منها في بعض الحالات.

قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّمَا فَاطِمَةُ بِضْعَةٌ مِنِّي، يُؤْذِينِي مَا آذَاهَا»[1].

وَعَن عَائِشَةَ قَالَت: اجتَمَعَ نِسَاءُ النَّبِيِّ ﷺ، فَلَم يُغَادِر مِنهُنَّ امرَأَةٌ، فَجَاءَت فَاطِمَةُ تَمشِي كَأَنَّ مِشْيَتَهَا مِشْيَةُ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: «مَرْحَبًا بِابْنَتِي»[2] فَأَجلَسَهَا عَن يَمِينِهِ أَو عَن شِمَالِهِ، ثُمَّ إِنَّهُ أَسَرَّ إِلَيهَا حَدِيثًا فَبَكَت فَاطِمَة، ثُمَّ إِنَّهُ سَارَّهَا فَضَحِكَت أَيضًا، فَقُلتُ لَها: مَا يُبْكِيكِ؟ فَقَالَت: مَا كُنتُ لأفشِي سِرَّ رَسُولِ اللهِ ﷺ. فَقُلتُ: مَا رَأَيتُ كَاليَوم فَرَحًا أَقرَبَ مِن حُزنٍ. فَقُلتُ لَهَا حِينَ بَكَت: أَخَصَّكِ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِحَدِيثِهِ دُونَنَا، ثُمَّ تَبكِينَ؟ وَسَأَلتُهَا عَمَّا قَالَ: فَقَالَت: مَا كُنتُ لأَفشِي سِرَّ رَسُولِ اللهِ ﷺ، حَتَّى إِذَا قُبِضَ سَأَلتُهَا. فَقَالَت: إِنَّهُ كَانَ حَدَّثَنِي «أَنَّ جِبْرِيلَ كَانَ يُعَارِضُهُ بِالقُرْءَانِ كُلَّ عَامٍ مَرَّةً، وَأَنَّهُ عَارَضَهُ بِهِ فِي العَامِ مَرَّتَيْنِ، وَلَا أُرَانِي إِلَّا قَدْ حَضَرَ أَجَلِي، وَإِنَّك أَوَّلُ أَهْلِي لُحُوقًا بِي، وَنِعْمَ السَّلَفُ أَنَا لَكِ» فَبَكَيتُ لِذَلِكَ، ثُمَّ إِنَّهُ سَارَّنِي فَقَالَ: «أَلَا تَرْضَيْنَ أَنْ تَكُونِي سَيِّدَةَ نِسَاءِ المُؤْمِنِينَ، أَوْ سَيِّدَةَ نِسَاءِ هَذِهِ الأُمَّةِ» فَضَحِكتُ لِذَلِكَ[3].

وَفَضَائِلُهَا لَا تُحصَى رضي الله عنها وَصَلَّى عَلَى أَبِيهَا خَاتِمِ الرُّسُلِ وَسَلَّمَ.

مَاتَت رضي الله عنها سَنَةَ أَحَد عَشرٍ بَعدَ المُصطفَى ﷺ بِسِتَّةِ أَشهُرٍ، وَعُمرُهَا تِسع وَعُشرُونَ سَنَة.

---

(١) صحيح مسلم، مسلم، كتب فضائل الصحابة، (٢٤٤٩).

(٢) صحيح البخاري، البخاري، كتاب الأدب، باب قول الرجل مرحبا.

(٣) صحيح مسلم، مسلم، فضائل الصحابة، باب فضائل فاطمة، (٢٤٥٠).

العَبَّاسُ بنُ عَبدِ المُطَّلِبِ عَمُّ رَسُولِ اللهِ ﷺ

هُوَ أَبُو الفَضْلِ العَبَّاسُ بنُ عَبدِ المُطَّلِبِ بنِ هَاشِم، أَحَدُ أَعمَامِ رَسُولِ اللهِ ﷺ الَّذِينَ أَسلَمُوا، وَكَانَ أَكثَرَ النَّاسِ نُصرَةً وَمُؤَازَرَةً لَهُ ﷺ.

وَالعَبَّاسُ رضي الله عنهم وُلِدَ قَبلَ عَامِ الفِيلِ بِثَلَاثِ سِنِينَ، وَهُوَ بِذَلِكَ يَكُونُ أَسَنَّ مِنَ الرَّسُولِ ﷺ.

وَأُمُّهُ هِيَ نُتَيْلَةُ[1] بِنتُ جَنَاب بنِ كُلَيْبِ بنِ مَالِك، ذَكَرَ الصَّفَدِيُّ فِي «الوَافِي بِالوَفَيَاتِ» أَنَّهَا كَانَت أَوَّل امرَأَةٍ عَرَبِيَّةٍ كَسَت البَيتَ الحَرَامَ الحَرِيرَ وَالدِّيبَاجَ وَأَصنَافِ الكِسْوَةِ، وَذَلِكَ أَنَّ العَبَّاسَ رضي الله عنه كَانَ قَد ضَاعَ وَهُوَ صَبِيٌّ، فَنَذَرَت أُمُّهُ أَن تَكسُوَ البَيتَ إِن وَجَدَتهُ، فَلَمَّا وَجَدَتهُ وَفَتْ بِنَذرِهَا.

وَكَانَ العَبَّاسُ رضي الله عنه رَئِيسًا فِي الجَاهِلِيَّةِ وَفِي قُرَيشٍ، وَأُسنِدَت إِلَيهِ عِمَارَةُ البَيتِ وَالسِّقَايَة فِي الجَاهِلِيَّة. فَقَدِ اجتَمَعَت قُرَيش وَتَعَاقَدَت عَلَى ذَلِكَ وَسلمَت لَهُ ذَلِكَ وَكَانَت لَهُ أَعوَانًا فِيهِ.

وَإِنَّ العَبَّاسَ رضي الله عنه وَاحِدًا مِنَ الَّذِينَ حَضَرُوا بَيعَةَ العَقَبَة الَّتِي حَضَرَهَا سَبعُونَ رَجُلًا مِنَ الأوسِ وَالخَزرَجِ، وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ قَد سَبَقَهُم إِلَى أَسفَلِ العَقَبَةِ تَحتَ الشَّجَرَةِ مَعَ عَمِّهِ العَبَّاس رضي الله عنه، فَبَايَعَهُم النَّبِيُّ ﷺ وَالعَبَّاسُ آخِذٌ بِيَدِهِ يُؤَكِّدُ لَهُ البَيعَةَ.

إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يُحِبُّ عَمَّهُ العَبَّاسَ رضي الله عنه حُبًّا شَدِيدًا وَيُجِلُّهُ

(١) تصغير نَثْلَةٍ واحدة النتل وهي بيض النعام. الروض الأنف، السهيلي، (١/ ٤٣٥).

وَيحترِمُهُ ويَبَرُّ قَسَمَهُ وَيسمَعُ رَأيَهُ وَيَفرحُ لِفَرحِهِ وَيحزَنُ لِضُرٍّ يُصِيبُهُ.

عَن سَعِيدِ بنِ المُسَيَّبِ عَن سَعدٍ قَالَ: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي نَقِيعِ الخَيلِ، فَأَقبَلَ العَبَّاسُ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **«هَذَا العَبَّاسُ عَمُّ نَبِيِّكُمْ، أَجْوَدُ قُرَيْشٍ كَفًّا، وَأَوْصَلُهَا»**[1].

رَوَى الذَّهَبِيُّ عَنِ الزُّبَيرِ بنِ بَكَّارٍ بِالإِسنَادِ عَن عَبدِ اللهِ بنِ عُمَرَ رضي الله عنه أَنَّهُ قَالَ: اسْتَسْقَى عُمَرُ عَامَ الرَّمَادَةِ[2] بِالعَبَّاسِ فَقَالَ: **«اللَّهُمَّ هذَا عَمُّ نَبِيِّكَ نَتَوَجَّهُ إِلَيكَ بِهِ فَاسْقِنَا فَمَا بَرِحُوا حَتَّى سقَاهُم الله»**، فَخَطَبَ عُمَر النَّاسَ فَقَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ يَرَى لِلعَبَاسِ مَا يَرَى الوَلَدُ لِوَالِدِه فَيُعَظِّمُهُ وَيُفَخِّمُه وَيَبَرُّ قَسَمَهُ فَاقْتَدُوا أَيُّهَا النَّاسُ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ فِي عَمِّهِ العَبَّاس، وَاتَّخِذُوهُ وَسِيلَةً إِلَى اللهِ فِيمَا نَزَلَ بِكُم[3][4].

كَانَت وَفَاتُهُ رضي الله عنه بِالمَدِينَةِ المُنَوَّرَةِ سَنَةَ اثنَتَينِ وَثَلَاثِينَ لِلهِجرَةِ، فَبَعَثَ بَنُو هَاشِمٍ مَن يُبَلِّغُ أَهلَ المَدِينَةِ خَبَرَ الوَفَاةِ، فَاحتَشَدَ النَّاسُ عِندَ بَيتِهِ وَلَم يَقدِر أَحَدٌ أَن يَدنُوَ مِن سَرِيرِهِ لِكَثرَةِ ازدِحَامِ النَّاسِ، ثُمَّ ازْدَحَمَ النَّاسُ عِندَ قَبرِهِ فَلَم يَستَطِع بَنُو هَاشِمٍ أَن يَدْنُوا مِن قَبرِهِ، فَبَعَثَ عُثمَانُ بنُ عَفَّانَ رضي الله عنه الشُّرْطَةَ[5] لِيَفسَحُوا الطَّرِيقَ لِبَنِي هَاشِمٍ حَتَّى وَصَلُوا إِلَى قَبرِهِ.

---

(١) المسند، الإمام أحمد، مسند سعد بن أبي وقاص، (١٦١٠).

(٢) عام القحط والمجاعة، من قولهم رَمَدتَ الغنم إذا هلكت. **مطالع الأنوار، (٣/ ١٥٢)**.

(٣) ومع ذلك فإن العباس ليس أفضل أهل زمانه، قال بعض العلماء: **عليٌّ أفضل من العباس** بمئات الألوف من الدرجات، هو بعيد عنه في الدرجة بُعد الأرض من العرش.

(٤) سير أعلام النبلاء، الذهبي، (٣/ ٤٠٠).

(٥) الشّرطة أول طائفة من الجيش يشهد الواقعة ويتقدّم. **إكمال المعلم، القاضي عياض، (٨/ ٤٣٧)**.

وَغَسَّلَهُ عَلِيٌّ رضي الله عنه وَأَولَادهُ: عَبدُ اللهِ وَقُثَم وَعُبَيدُ اللهِ، وَصَلَّى عَلَيهِ عُثمَانُ بنُ عَفَّانَ رضي الله عنهم وَدُفِن فِي البَقِيعِ.

الحَسَنُ بنُ عَلِيٍّ

هُوَ سِبطُ المُصطَفى ﷺ وَرَيحَانَتُهُ. وَلَدَتهُ أُمُّهُ فَاطِمَة الزَّهرَاءِ رضي الله عنها فِي نِصفِ رَمَضَانَ سَنَةَ ثَلَاثٍ، وَعَقَّ عَنهُ جَدُّهُ ﷺ بِكَبشٍ، وَحَلَقَ رَأسَهُ وَتَصَدَّقَ بِزِنَتِهِ فِضَّةً، كَانَ أَشبَهَ النَّاسِ بِجَدِّهِ ﷺ، وَقَد جَاءَ فِي الصَّحِيحِ أَنَّ أَبَا بَكرٍ الصِّدِّيقِ كَانَ يَحمِلُهُ عَلَى كَتِفِهِ وَهُوَ غُلَامٌ صَغِيرٌ وَيَمشِي وَهُوَ يَقُولُ:

بِأَبِي شَبِيهٌ بِالنَّبِيّ، لَيسَ شَبِيهٌ بِعَلِيّ، وَعَلِيٌّ يَضحَكُ[1][2].

تَرَكَ الخِلَافَةَ وَنَزَلَ عَنهَا لِمُعَاوِيَةَ صَونًا لِلدِّمَاءِ، مِن أَقوَالِهِ: العَارُ وَلَا النَّارُ، مَاتَ مَسمُومًا سَنَةَ تِسعٍ وَأَربَعِينَ، وَعُمرُهُ سِتَّة وَأَربَعُونَ سَنَةً.

زَيْنُ العَابِدِينَ بنُ الحُسَيْنِ بنِ عَلِيٍّ

وُلِدَ فِي المَدِينَةِ المُنَوَّرَةِ عَامَ ٣٨هـ، كَانَ عَالِمًا حَكِيمًا؛ يُروَى عَنهُ قَول: «عَجِبْتُ للمُتَكَبِّرِ الفَخُورِ الَّذِي كَانَ بِالأمسِ نُطفَةً ثُمَّ هُوَ غَدًا جِيفَةً، وَعَجِبتُ كُلَّ العَجَبِ لِمَن شَكَّ فِي اللهِ وَهُوَ يَرَى خَلْقَهُ، وَعَجِبتُ كُلَّ العَجَبِ لِمَن أَنكَرَ النَّشْأَةَ الأُخرَى وَهُوَ يَرَى النَّشأَةَ الأُولَى، وَعَجِبتُ

---

(١) هذا الكلام ليس شعرًا، إنما من جنس الرّجز التي كانت العرب تُرقص بها أولادها. كشف المشكل، ابن الجوزي، (١/ ٤٢).

(٢) صحيح البخاري، البخاري، كتاب فضائل أصحاب النبي، باب مناقب الحسن والحسين، (٣٧٥٠).

كُلَّ العَجَبِ لِمَن عَمِلَ لِدَارِ الفَنَاءِ وَهُوَ يَعلَمُ دَارَ البَقَاءِ»[1].

كَانَ إِذَا تَوَضَّأَ اصفَرَّ وَجهُهُ فَيَقُولُ لَهُ أَهلُه: مَا هَذَا الَّذِي يَعتَادُكَ عِندَ الوُضُوءِ؟ فَيَقُولُ: «مَا تَدرُونَ بَينَ يَدَي مَن أُرِيدُ أَن أَقُومَ!»[2].

وَوَرَدَ أَنَّهُ وَقَعَ حَرِيقٌ فِي بَيتٍ فِيهِ عَلِيُّ بنُ الحُسَينِ وَهُوَ سَاجِدٌ، فَجَعَلُوا يَقُولُونَ لَهُ: يَا ابنَ بِنتِ رَسُولِ اللهِ النَّار، يَا ابنَ بِنتِ رَسُولِ اللهِ النَّار، فَمَا رَفَعَ رَأسَهُ حَتَّى أُطفِئَت، فَقِيلَ لَهُ: مَا الَّذِي أَلهَاكَ عَنهَا؟ قَالَ: أَلْهَتنِي عَنهَا النَّارُ الأُخرَى[3].

قَالَ عَنهُ الإِمَامُ مَالِكٌ: «سُمِّيَ زَينُ العَابِدِين لِكَثرَةِ عِبَادَتِه»، وَقَالَ سُفيَانُ بنُ عُيَينَةَ: «مَا رَأَيتُ هَاشِمِيًّا أَفضَلَ مِن زَينِ العَابِدِينَ وَلَا أَفقَهَ مِنهُ».

كَانَ إِذَا أَتَاهُ السَّائِلُ رَحَّبَ بِهِ وَقَالَ: مَرحَبًا بِمَن يَحمِلُ زَادِي إِلَى الآخِرَةِ[4].

وَكَانَ زَينُ العَابِدِينَ كَثِيرَ البِرِّ بِأُمِّهِ، حَتَّى إِنَّهُ كَانَ لَا يَأكُلُ مَعَهَا فِي صَحْفَةٍ مَخَافَةَ أَن تَسبِقَ يَدهُ إِلَى مَا سَبَقَت إِلَيهَا عَينُهَا.

وَكَانَ عليه السلام يُصَلِّي فِي كُلِّ يَومٍ وَلَيلَةٍ أَلفَ رَكعَةٍ مِنَ النَّوَافِلِ حَتَّى سُمِّيَ الإِمَامُ السَّجَّادُ.

---

(١) صفوة الصفوة، ابن الجوزي، (١/ ٣٢٥).

(٢) الرقة والبكاء، ابن أبي الدنيا، (ص١٢٧). الزهد، أحمد بن حنبل، (ص٢٩٧) وغيرها.

(٣) صفوة الصفوة، ابن الجوزي، (١/ ٣٢٤).

(٤) صفوة الصفوة، ابن الجوزي، (١/ ٣٢٥).

كَلَامُهُ فِي تَنزِيهِ اللهِ عَن مُشَابَهَةِ المَخلُوقَاتِ:

وَكَانَ زَينُ العَابِدِينَ عَلَى عَقِيدَةِ النَّبِيِّ ﷺ وَأَصحَابِهِ مِن تَوحِيدِ اللهِ وَتَنزِيهِهِ عَنِ المَكَانِ وَالحَيِّزِ وَالحَدِّ وَاللَّونِ، فَقَدْ رَوَى السَّيِّدُ مُرتَضَى الزَّبِيدِيُّ شَارِحُ «القَامُوسِ» بِالإِسنَادِ المُتَّصِلِ لآلِ البَيتِ أَنَّ زَينَ العَابِدِينَ عَلِيَّ بنَ الحُسَينِ قَالَ فِي الرِّسَالَةِ الَّتِي سَمَّاهَا الصَّحِيفَة السَّجَّادِيَّة: «سُبحَانَكَ اللَّهُمَّ لَا يَحْوِيكَ مَكَانٌ»[1].

وَقَالَ أَيضًا: «أَنْتَ اللهُ الَّذِي لَا تُحَدُّ فَتَكُون مَحدُودًا»[2].

وَقَالَ أَيضًا: «سُبْحَانَكَ لَا تُحَسُّ وَلَا تُجَسُّ وَلَا تُمَسُّ»[3].

وَقَالَ أَيضًا: «يَا مَنْ لَا يَبلُغُ أَدْنَى مَا اسْتَأثَرتَ بِهِ مِنْ جَلَالِكَ وَعِزَّتِكَ أَقْصَى نَعتِ النَّاعِتِين، يَا مَنْ قَصُرَتْ عَن رُؤْيَتِهِ أَبْصَارُ النَّاظِرِين، وَعَجَزَتْ عَن نَعْتِهِ أَوْهَامُ الوَاصِفِين، يَا مَنْ لَا تَرَاهُ العُيُون، وَلَا تُخَالِطُهُ الظُّنُون، وَلَا يَصِفُهُ الوَاصِفُون، أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ وَوَصَفْتَ بِهِ نَفْسَك. . . . . أَنْتَ الأَوَّلُ فِي أَزَلِيَّتِكَ وَعَلَى ذَلِكَ أَنْتَ دَائِمٌ لَا تَزُولُ، وَأَنْتَ الآخِرُ فِي أَبَدِيَّتِكَ وَكَذَلِكَ أَنتَ قَائِمٌ لَا تَحُولُ، وَأَنْتَ الظَّاهِرُ فَمَا احْتَجَبْتَ عَنْ شَيءٍ، وَأَنْتَ البَاطِنُ فَمَا اخْتَفَيْتَ فِي شَيءٍ، وَلَا تُغَيِّرُكَ الدُّهُور، وَلَا تُبْلِيكَ الأُمُور، وَلَا يَعْتَوِرُكَ الزَّمَان، وَلَا يَحْوِيكَ المَكَان، وَلَا يَشْغَلُكَ شَأْنٌ عَن شَأْنٍ، كَذَلِكَ أَنْتَ اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، لَكَ الأَسْمَاءُ الحُسْنَى، وَالمَثَلُ الأَعْلَى، وَالكَلِمَةُ العُلْيَا»[4].

---

(١) إتحاف السادة المتقين، مرتضى الزبيدي، (٤/ ٣٨٠).

(٢) إتحاف السادة المتقين، مرتضى الزبيدي، (٤/ ٣٨٠).

(٣) إتحاف السادة المتقين، مرتضى الزبيدي، (٤/ ٣٨٠).

(٤) نجم المهتدي ورجم المعتدي، ابن المعلم القرشي، (١/ ٢٦١-٢٦٢). نهاية الاقدام، =

تُوُفِّيَ فِي ٢٥ مُحَرَّم سَنَةَ ٩٥ هـ وَلَهُ مِنَ العُمُرِ ٥٧ سَنَةً وَدُفِنَ فِي البَقِيعِ فِي قُبَّةِ عَمِّهِ الحَسَن بن عَلِيّ فِي القُبَّةِ الَّتِي فِيهَا قَبرُ العَبَّاسِ.

مُحَمَّدٌ البَاقِر بنُ زَيْنِ العَابِدِين

وُلِدَ بِالمَدِينَةِ المُنَوَّرَةِ فِي الأَوَّلِ مِن رَجَب عَامَ ٥٧ هـ، لُقِّبَ بِـ مُحَمَّدٍ البَاقِر وَتَعنِي «المُتَوَسِّع بِالعِلم»، كَانَ زَاهِدًا عَابِدًا وَقَد بَلَغَ مِنَ العِلمِ دَرَجَةً عَالِيَةً سَامِيَةً، حَتَّى إِنَّ كَثِيرًا مِنَ العُلَمَاءِ أَخَذُوا عَنهُ مِنهُم الإِمَامُ أَبُو حَنِيفَةَ وَابنُ جَرِيجٍ وَالإِمَامُ الأَوزَاعِيّ وَالزُّهرِيّ وَغَيرُهُم. تُوُفِّيَ سَنَةَ ١١٤هـ وَدُفِنَ فِي البَقِيعِ.

جَعْفَرٌ الصَّادِق بنُ مُحَمَّدٍ البَاقِرِ

وُلِدَ فِي ١٧ رَبِيع الأَوَّلِ عَامَ ٨٠هـ فِي المَدِينَةِ المُنَوَّرَةِ، إِمَامٌ مِن أَئِمَّةِ المُسلِمِينَ وَعَالِمٌ جَلِيلٌ وَعَابِدٌ فَاضِلٌ مِن ذُرِّيَّةِ الحُسَينِ بنِ عَلِيِّ بنِ أَبِي طَالِب، سُمِّيَ جَعفَرًا تَيَمُّنًا بِجَدِهِ جَعفَر الطَّيَّار الَّذِي كَانَ مِن أَوَائِلِ شُهَدَاءِ الإِسلَام. تُوُفِّي جَعفَرٌ الصَّادِق سَنَةَ ١٤٨هـ وَدُفِنَ فِي البَقِيعِ إِلَى جَانِبِ وَالِدِهِ وَأَجدَادِهِ وَبَاقِي الصَّحَابَةِ.

كَانَ مِن أَقوَالِهِ: لَا زَادَ أَفضَلُ مِنَ التَّقوى، وَلَا شَيءَ أَحسَنُ مِنَ الصَّمْتِ (المُرَادُ فِي بَعضِ المَوَاضِعِ لَا عَلَى الإِطْلَاقِ)(١)، وَلَا عَدُوَّ

= الشهرستاني، (ص/٥٠٤).

(١) طول الصّمت إلا من خير أفضل ويساعد على طرد الشيطان غير القرين لأن القرين يلازم الشخص إلى وفاته، فالذي يطيل الصمت إلا من خير يَكْسِب هيبةً ووقارًا.

أَضَرُّ مِنَ الجَهْلِ[1][2].

٣- قُبُورُ زَوجَاتِ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَهُنَّ:

- السَّيِّدَةُ عَائِشَةُ بِنتُ أَبِي بَكرٍ الصِّدِّيق.
- السَّيِّدَةُ سَوْدَةُ بِنتُ زُمْعَةَ العَامِرِيَّة.
- السَّيِّدَةُ حَفْصَةُ بِنتُ عُمَرَ بنِ الخَطَّابِ.
- السَّيِّدَةُ زَيْنَبُ بِنتُ خُزَيْمَةَ الهِلَالِيَّة.
- السَّيِّدَةُ أُمُّ سَلَمَةَ هِنْدُ بِنتُ أَبِي أُمَيَّةَ المَخْزُومِيَّة.
- السَّيِّدَةُ جُوَيْرِيَةَ بِنتِ الحَارِثِ المُصْطَلِقِيَّة.
- السَّيِّدَةُ أُمّ حَبِيبَةَ رَمْلَةُ بِنتُ أَبِي سُفْيَان.
- السَّيِّدَةُ صَفِيَّةُ بِنتُ حُيَيّ بنِ أَخْطَب.
- السَّيِّدَةُ زَيْنَبُ بِنتُ جَحْشٍ.

وَتَقَعُ هَذِهِ القُبُورُ عَلَى يَسَارِ الوَاقِفِ أَمَامَ قُبُورِ بَنَاتِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَعَلَى بُعدِ ثَمَانِيَةَ أَمتَارٍ مِنْهَا.

أَمَّا السَّيِّدَةُ خَدِيجَةَ فَقَد دُفِنَت فِي المَعْلَاةِ بِمَكَّةَ المُكَرَّمَة، وَدُفِنَت السَّيِّدَةُ مَيْمُونَةَ بِنتِ الحَارِثِ الهِلَالِيَّة فِي سَرْف بِالقُربِ مِن مَكَّةَ عَلَى بُعدِ اثْنَيْ عَشَر مِيلًا مِنهَا.

بَيتُ النُّبُوَّةِ بَيتُ العُظَمَاءِ، بَيتُ المُرَبِّين، بَيتُ القُدوَةِ، بَيتُ الخَيْرِيَّةِ،

---

(١) الحلية، أبو نعيم، (٣/١٩٦).

(٢) قال بعض العلماء: الجهل عدوّ صاحبه.

إِنَّهُ بَيتُ رَسُولِ اللهِ ﷺ، حظِيَ بِدُخُولِ نِسَاءِ فَاضِلَاتٍ مُعَلِّمَـاتٍ مُرَبِّيَاتٍ، خَيِّـرَاتٍ وَمُنْفِقَاتٍ فِي سَبيلِ اللهِ، نِلْنَ شَرَفَ الزَّوَاجِ مِن رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَحظَيْنَ بِلقَبِ أُمَّهَاتِ المُؤْمِنِين وَكُلُّهُنَّ كُنَّ بَاذِلَاتٍ لِلخَيرِ بِحُبٍّ وَيَقِينٍ بِأَنَّهُ عِبَادَةٌ تَقَرُّبِيَّة، فَقَد ضَرَبْنَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُنَّ أَروَعَ الأَمثِلَة فِي البَذلِ وَالعَطَاءِ تَعَبُّدًا وَتَقَرُّبًا إِلَى اللهِ.

وَمِنْ دَاخِلِ بَيْتِ النُّبُوَّةِ نَقِفُ مَعَ أُمَّهَاتِ المُؤْمِنِينَ.

السَّيِّدَةُ عَائِشَةَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيق

عَائِشَةُ بِنتُ الصِّدِّيقِ الحَبِيبَةُ بِنتُ أَبِي بَكرٍ الحَبِيب، أُمُّهَا أُمُّ رُومَان، كَانَت عَائِشَةُ رضي الله عنها مِن أَقرَبِ نِسَاءِ النَّبِيِّ ﷺ إِلَى قَلبِهِ، وَقَد جَاءَ فِي فَضلِهَا أَحَادِيثُ، وَدَافَعَ القُرءَانُ الكَرِيمُ عَنهَا وَأَثبَتَ بَرَاءَتَهَا مِن حَدِيثِ الإِفْكِ المَشهُورِ، وَمِنَ الأَحَادِيثِ الَّتِي أَثْبَتَت فَضلَهَا، قَولُهُ عَلَيهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**فَضلُ عَائِشَةَ عَلَى النِّسَاءِ كَفَضْلِ الثَّرِيدِ**[1] **عَلَى سَائِرِ الطَّعَامِ**»[2]. وَقَولُهُ صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيهِ لَهَا ذَاتَ يَوْم: «**يَا عَائِشَةُ، هَذَا جِبْرِيلُ يَقْرَأُ عَلَيْكِ السَّلَامَ**»[3]، قَالَت عَائِشَةُ: وَعَلَيهِ السَّلَامُ وَرَحْمَةُ اللهِ، تَرَى مَا لَا أَرَى. وَعَن عَائِشَةَ قَالَت: إِنْ كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ - فِي مَرَضِ وَفَاتِهِ - لَيَتَفَقَّدُ يَقُولُ: «**أَيْنَ أَنَا اليَوْمَ؟ أَيْنَ أَنَا غَدًا؟**» اسْتِبْطَاءً لِيَوْمِ

---

(١) قال بعض العلماء: الثريد أفضل الطعام، يُبَلُّ بالمرق لا يحتاج إلى كثرة علكٍ فلا يأخذ وقتًا طويلًا، ومضغه سهل.

(٢) صحيح البخاري، البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، (٣٤٣٣). **صحيح مسلم، مسلم،** (٣٤٤٦).

(٣) صحيح البخاري، البخاري، كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة، (٣٢١٧). **صحيح** مسلم، مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب فضل عائشة، (٢٤٤٧).

عَائِشَةَ، قَالَت: فَلَمَّا كَانَ يَوْمِي قَبَضَهُ اللهُ بَيْنَ سَحْرِي وَنَحْرِي[1].

وَهُنَاكَ أَحَادِيثُ أُخرَى تُثبِتُ فَضَائِلَ عَائِشَةَ أُمِّ المُؤمِنِين، وَكُلُّ مَا ذَكَرتُهُ لَكَ آنِفًا أَحَادِيث صِحَاحٌ أَخرَجَهَا مُسلِم[2].

تَزَوَّجَهَا النَّبِيُّ ﷺ بِمَكَّةَ سَنَةَ عَشرٍ مِنَ النُّبُوَّةِ قَبلَ الهِجْرَةِ بِثَلَاثِ سِنِينَ وَهِيَ بِنتُ ثَمَانِ سِنِين، وَتُوُفِّيَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَهِيَ بِنتُ ثَمَان عَشرَةَ سَنَة، وَعَاشَت بَعدَهُ أَربَعِينَ سَنَةً، لَم يَتَزَوَّج الرَّسُولُ ﷺ بِكرًا غَيرَهَا.

أَفْقَهُ النَّاسِ[3] وَأَعلَمُ النَّاسِ وَأَحْسَنُ النَّاسِ رَأْيًا.

تُوُفِّيَت لَيلَةَ الثُّلَاثَاءِ لِسَبع عَشرَةَ لَيلَةً خَلَت مِن رَمَضَانَ سَنَةَ سَبعٍ وَخَمسِينَ، وَأَمَرَت أَن تُدْفَنَ بِالبَقِيعِ، فَدُفِنَت بَعدَ الوِترِ. وَعُمرُهَا ثَمَانٍ وَخَمسِينَ سَنَةً.

السَّيِّدَةُ سَوْدَةُ بِنْتُ زَمْعَةَ العَامِرِيَّة

هِيَ أُمُّ المُؤْمِنِينَ سَوْدَةُ بِنتُ زَمْعَةَ، أَبُوهَا زَمْعَةُ بنُ قَيسِ بنِ عَبدِ وُدِّ بنِ نَصر، وَأُمُّهَا الشُّمُوسُ بِنتُ قَيسِ بنِ عَمرو بنِ زَيدِ بنِ لَبِيد، كَانَت سَيِّدَةً مُمَيَّزَةً فِي عَصرِهَا، تَزَوَّجَت قَبلَ النَّبِيِّ مُحَمَّد ﷺ ابنَ عَمٍّ لَهَا يُقَالُ لَهُ السَّكْرَانُ بنُ عَمْرٍو، أَخُو سُهَيلُ بنُ عَمرٍو العَامِرِيِّ، وَلَمَّا أَسلَمَت بَايَعَت

---

(١) صحيح مسلم، مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب في فضل عائشة، (٢٤٤٣). قال الطيبي: توفي وهو مستند لى صدرها وما يحاذي نحرها. شرح المشكاة، الطيبي، (١٢/ ٣٨١٥).

(٢) صحيح مسلم، مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب في فضل عائشة.

(٣) أي من النساء.

النَّبِيِّ ﷺ وَأَسلَمَ مَعَهَا زَوجُهَا السَّكْرَان وَهَاجَرَا جَمِيعًا إِلَى أَرضِ الحَبَشَةِ، وَذَاقَتِ المَصَاعِبَ فِي الذَّهَابِ وَالإِيَابِ حَتَّى مَاتَ عَنهَا زَوجُهَا وَتَرَكَهَا حَزِينَةً مَقْهُورَةً لَا عَونَ لَهَا وَلَا حِرفَةَ وَأَبُوهَا شَيخٌ كَبِيرٌ.

تَزَوَّجَهَا النَّبِيُّ ﷺ بَعدَ أَن عَرَضَتهَا عَلَيهِ خَوْلَةَ بنت حَكِيم زَوجَةُ عُثمَانَ بنِ مَظعُون وَقَد أَثنَى النَّبِيُّ ﷺ عَلَى سَودَةَ وَتَزَوَّجَهَا وَلَهَا مِنَ الوَلَدِ سِتَّةَ أَبنَاءٍ، وَكَانَ زَوَاجُهَا فِي رَمَضَانَ فِي السَّنَةِ العَاشِرَةِ مِنَ النُّبُوَّةِ بَعدَ وَفَاةِ السَّيِّدَةِ خَدِيجَةَ بِنتِ خُوَيْلِد، وَكَانَ صَدَاقُهَا أَربَعُمائَةِ دِرهَمٍ، وَهَاجَرَ بِهَا النَّبِيُّ ﷺ إِلَى المَدِينَةِ المُنَوَّرَةِ، رَوَت عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَحَادِيثَ كَثِيرَة، وَرَوَى عَنهَا العَدِيدُ مِنَ الرُّوَاةِ مِنهُم عَبدُ اللهِ بنُ عَبَّاسٍ وَيَحْيَى بنُ عَبدِ اللهِ ابنِ عَبدِ الرَّحمَنِ بنِ سَعدِ بنِ زُرَارَةَ الأَنصَارِيّ، وَرَوَى لَهَا أَبُو دَاوُد وَالنَّسَائِيُّ وَخَرَّجَ لَهَا البُخَارِيّ، وَنَزَلَت بِهَا ءَايَةُ الحِجَابِ وَكَانَت تَمتَازُ بِكَثرَةِ إِعطَاءِ الصَّدَقَاتِ، وَكَانَت تَتَنَازَلُ بِيَومِهَا لِصَالِحِ عَائِشَةَ رضي الله عنها.

تُوُفِّيَت سَودَةُ فِي ءَاخِرِ زَمَنِ عُمَرَ بنِ الخَطَّابِ سَنَةَ أَربَعَة وَخَمسِينَ وَدُفِنَت فِي البَقِيعِ.

السَّيِّدَةُ حَفْصَةُ بِنْتُ عُمَرَ بنِ الخَطَّابِ

هِيَ أُمُّ المُؤْمِنِينَ حَفصَةُ بِنتُ أَمِيرِ المُؤمِنِينَ عُمَرَ بنِ الخَطَّابِ رضي الله عنها وَعَن أَبِيهَا، تَزَوَّجَت قَبلَ رَسُولِ اللهِ ﷺ بِخُنَيسِ بنِ حُذَافَةَ بنِ قَيسٍ السَّهْمِيِّ، وَهُوَ مِنَ المُسلِمِينَ الأَوَائِل، وَمِنَ الَّذِينَ هَاجَرُوا إِلَى الحَبَشَةِ، ثُمَّ إِلَى المَدِينَةِ، شَهِدَ بَدرًا، وَأَبْلَى فِيهَا بَلَاءً حَسَنًا، وَقَاتَلَ فِيهَا قِتَالَ الأَبطَالِ، حَتَّى مَزَّقَتِ النِّبَالُ جَسَدَهُ فَخَارَت قُوَاهُ وَخَرَّ شَهِيدًا،

وَتَرَكَ خُنَيس حَفصَةَ شَابَّةً لَم تَتَجَاوَزِ العِشرِينَ، وَأَهَمَّ أَمرَهَا وَالِدَهَا عُمَرَ ابنِ الخَطَّابِ، وَأَرَادَ كَمَا هِيَ عَادَةُ العَرَبِ أن يَختَارَ لهَا زَوجًا، فَلَقى عُثمَانَ بنَ عَفَّانٍ فَقَالَ لَهُ: إن شِئتَ أنكحتُكَ حَفصَةَ. فَقَالَ لَهُ عُثمَان: سَأَنظُرُ فِي أمرِي، فَلَبِثَ لَيَال، ثُمَّ قَالَ: قَد بَدَا لِي ألاَّ أتزوَّج. فَقَالَ لأَبِي بِكرٍ مِثلَ قَولِهِ لِعُثمَانَ، فَسَكَتَ، لِعِلمِهِ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ ذَكَرَهَا. وَلَقَد تَزَوَّجَهَا المُصطَفَى صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيهِ وَسَلَامُهُ بَعدَ عَائِشَةَ بِثَلَاثِ سَنَوَاتٍ. وَكَانَ فِيهَا حِدَّةٌ وَسُرعَةُ غَضَبٍ، وَلَهَا فَضَائِلُ لَا تُحصَى، وَكَفَاهَا شَرَفًا وَفَضلًا أَنَّهَا أُمَّ المُؤمِنِين. تَزَوَّجَهَا النَّبِيُّ ﷺ سَنَةَ ثَلاث ثُمَّ طَلَّقَهَا طَلقَةً وَاحِدَةً فَجَاءَ جِبرِيلُ وَقَالَ لَهُ: «يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّ اللهَ يَأمُرُكَ أن تُرَاجِعَ حَفصَةَ، فَإِنَّهَا صَوَّامَة قَوَّامَة، وَهِيَ زَوجَتُكَ فِي الجَنَّة»، تُوُفِّيَت فِي شَعبَان سَنَةَ خَمسٍ وَأَربَعِينَ، وَعُمرُهَا ثَلَاث وَسِتُّونَ سَنَة، وَلَيسَ فِي الصَّحَابِيَّاتِ مَن اسمُهَا حَفصَةُ غَيرَهَا.

السَّيِّدَةُ زَينَبُ بِنتُ خُزَيمَةَ الهِلَالِيَّة

زَوجُ المُصطَفَى ﷺ المُكَنَّاة بِأُمِّ المَسَاكِين، لِحُبِّهَا لَهُم، وَلِتَصَدُّقِهَا عَلَيهِم، تَزَوَّجَهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ بَعدَ أن قُتِلَ عَنهَا زَوجُهَا عَبدُ اللهِ بنُ جَحشٍ فِي أُحُدٍ شَهِيدًا، فَلَبِثَت عِندَ رَسُولِ اللهِ ﷺ ثَلَاثَةَ أشهُرٍ وَمَاتَت وَعُمرُهَا ثَلَاثُونَ سَنَة.

السَّيِّدَةُ أُمّ سَلَمَةَ هِنْد بِنتُ أَبِي أُمَيَّةَ المَخْزُومِيَّة

زَوجُ النَّبِيِّ ﷺ تَزَوَّجَهَا سَنَةَ ثِنتَينِ مِنَ الهِجرَةِ بَعدَ غَزوَةِ بَدرٍ فِي شَوَّال بَعدَ مَوتِ زَوجِهَا أَبِي سَلَمَةَ. تُوُفِّيَت سَنَةَ سِتِّينَ وَهِيَ آخِرُ أُمَّهَاتِ المُؤمِنِينَ مَوتًا، وَعُمرُهَا تِسعُونَ سَنَةً.

السَّيِّدَةُ جُوَيْرِيَةُ بِنتُ الحَارِثِ المُصْطَلِقِيَّة

كَانَت تَحتَ مُسَافِع بنِ صَفوَان المُصطَلقيِّ، ثُمَّ كَانَت غَزوَةُ بَنِي المُصطَلِق، فَوَقَعَت فِي سَهم ثَابِتِ بنِ قَيسِ بن شَمَّاس، كَانَ اسمُهَا بَرَّة، فَتَزَوَّجَهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ، ثُمَّ غَيَّرَ اسمَهَا إِلى جُوَيْرِيَة، وَكَانَت امْرَأَةً مُلَاحَةً[1]، يَقُولُ ابنُ هِشَام: اشتَرَاهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ مِن ثَابِتِ بنِ قَيسٍ، وَأَعتَقَهَا، وَأَصدَقَهَا أَربَعمائَةِ دِرهَم، ثُمَّ تَزَوَّجَهَا وَتَسَامَعَ النَّاسُ بِذَلِكَ فَأَرسَلُوا مَا فِي أَيدِيهِم مِنَ السَّبْيِ فَأَعتَقُوهُم، وَقَالُوا: أَصهَارُ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَمَا رَأَينَا امْرَأَةً أَعظَمَ بَرَكَةً عَلَى قَومِهَا مِنهَا، أُعتِقَ بِسَبَبِهَا مِائَةُ أَهلِ بَيتٍ مِن بَنِي المُصطَلِق. تُوُفِّيَت جُوَيرِيَةُ فِي رَبِيع الأَوَّلِ سَنَةَ خَمسِينَ، وَقِيلَ خَمسٍ وَسِتِّينَ، كَذَا فِي الاستِيعَابِ، وَصَفوَةِ الصَّفوَةِ لابنِ الجَوزِيِّ. فَمَاتَت وَكَانَ عُمرُهَا سَبعِينَ سَنَة.

(١) أي مليحةً حلوةً.

السَّيِّدَةُ أُمّ حَبِيبَةَ رَمْلَةَ بِنتِ أَبِي سُفيَان

زَوْجُ النَّبِيِّ ﷺ هَاجَرَت إِلَى الحَبَشَةِ مَعَ زَوجِهَا عُبَيدِ اللهِ بنِ جَحشٍ، فَتَنَصَّرَ هُنَاكَ رَغبَةً فِي الدُّنيَا، وَهَلَكَ، وَثَبَتَت عَلَى الإِسلَامِ، فَزَوَّجَهَا النَّجَاشِيّ مَلِكُ الحَبَشَةِ للنَّبِيِّ ﷺ، وَبَعَثَهَا لَهُ سَنَةَ سِتٍّ مِنَ الهِجرَةِ بَعدَ أَن أَسلَمَ النَّجَاشِيّ.

وَتُوُفِّيَت سَنَةَ أَربَعٍ وَأَربَعِين، وَهِيَ أُختُ مُعَاوِيَة، وَعُمرُهَا بِضعٌ وَسَبعُونَ سَنَة.

السَّيِّدَةُ صَفِيَّةُ بِنتُ حُيَيّ بنِ أَخْطَب

كَانَت تَحتَ سَلَام بنِ مِشكم اليَهُودِيّ، وَكَانَ شَاعِرًا، ثُمَّ خَلَف عَلَيهَا كِنَانَة بن أَبِي الحَقِيقِ، فَقُتِلَ يومَ خيبَر، ثُمَّ تَزَوَّجَهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ بَعدَ أَن خَيَّرَهَا بَينَ أَن يُعْتِقَهَا فَتَرجِعُ إِلَى مَن بَقِيَ مِن أَهلِهَا أَو تُسلِم فَيَتَّخِذَهَا لِنَفسِهِ، فَقَالَت: بَل أَختَارُ اللهَ وَرَسُولَهُ. فَضَائِلُهَا غَفِيرَة. تَزَوَّجَهَا الرَّسُولُ ﷺ سَنَةَ سِتٍّ وَخَمسِينَ مِن عُمرِه، مَاتَت وَعُمرُهَا سَبعُونَ سَنَةً.

السَّيِّدَةُ زَيْنَبُ بِنتُ جَحْشٍ

أُمُّهَا أُمَيْمَةُ بنت عَبدِ المُطَّلِب. تَزَوَّجَهَا الرَّسُولُ ﷺ سَنَةَ خَمسٍ مِنَ الهِجرَةِ، وَقِيلَ سَنَةَ ثَلَاثٍ، وَلَا خِلَافَ فِي أَنَّهَا كَانت قَبلَهُ تَحتَ زَيدِ بنِ حَارِثَةَ رِضوَانُ اللهِ عَلَيهِ، صَاحِبَةُ مَنَاقِبَ وَفَضَائِلَ، قَالَت عَائِشَةُ رضي الله عنها: لَم يَكُن أَحَدًا يُسَامِينِي فِي حُسْنِ المَنْزِلَةِ مِن نِسَاءِ النَّبِيِّ ﷺ عِندَهُ

غَيرَ زَينَب بنت جَحش. وَقَد جَاءَ عَن عَائِشَةَ أُمِّ المُؤمِنِين أَنَّهَا قَالَت: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَسْرَعُكُنَّ لَحَاقًا بِي، أَطْوَلُكُنَّ يَدًا**» قَالَت: فَكُنَّ يَتَطَاوَلْنَ أَيَّتُهُنَّ أَطْوَلُ يَدًا. قَالَت: فَكَانَت أَطْوَلَنَا يَدًا زَينَبُ، لأَنَّهَا كَانَت تَعْمَلُ بِيَدِهَا وَتَتَصَدَّقُ[1].

قَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا﴾[2]. وَكَانَت تَفْتَخِرُ بِذَلِكَ وَتَقُولُ: «زَوَّجَكُنَّ أَهَالِيكُنَّ، وزَوَّجَنِي اللهُ تَعَالَى مِن فَوْقِ سَبْعِ سَمَوَاتٍ»[3].

مَاتَت سَنَةَ عِشرِينَ. قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي حَقِّهَا: «**إنها لأَوَّاهَة**»[4].

أَي كَانَت صَادِقَةَ الحَدِيثِ، وَاصِلَةَ الرَّحِمِ، كَثِيرَةَ التَّصَدُّقِ عَلَى الأَرحَامِ وَالمَسَاكِين.

٤- قَبرُ عَقِيلِ بنِ أَبِي طَالِبٍ وَمَن مَعَهُ مِن ءَالِ هَاشِمٍ:

- **قَبرُ عَبدِ اللهِ بنِ جَعفرٍ الطَّيَّار.**
- **قَبرُ أَبِي سُفْيَانَ بنِ الحَارِثِ بنِ عَبدِ المُطَّلِب.**

وَتَقَعُ هَذِهِ القُبُورُ شَمَال قُبورِ زَوجَاتِ النَّبِيِّ عَلَى بُعْدِ خَمسَةِ أَمتَارٍ مِنهَا.

---

(١) صحيح مسلم، مسلم، كتاب الفضائل، باب فضائل زينب أم المؤمنين ١، (٢٤٥٢).

(٢) سورة الأحزاب، آية (٣٧).

(٣) صحيح البخاري، البخاري، كتاب التوحيد، باب وكان عرشه على الماء، (٧٤٢٠). قال ابن حجر في الفتح الباري: قال الكرماني قوله «في السماء» ظاهره غير مراد، إذ الله منزه عن الحلول في المكان، لكن لما كانت جهة العلو أشرف من غيرها أضافها إليه إشارة إلى علو الذات والصفات، وبنحو هذا أجاب غيره عن الألفاظ الواردة من الفوقية ونحوها.

(٤) المعجم الكبير، مسند النساء، ذكر أزواج رسول الله ﷺ، (٣٩/٢٤).

- قَبرُ **عَقِيلِ بنِ أَبِي طَالِبٍ**: أَخُو عَلِيِّ بنِ أَبِي طَالِب وَجَعفَرِ بنِ أَبِي طَالِب وَهُوَ أَسَنُّ مِنهُمَا، أُمُّهُ فَاطِمَةَ بنتِ أَسَد، أَسلَمَ عَامَ الفَتحِ وَهَاجَرَ إِلَى المَدِينَةِ أَوَّل سَنَة ثَمَانٍ مِنَ الهِجرَةِ، شَارَكَ فِي مَعرَكَةِ مُؤْتَة وَكَانَ مِمَّن ثَبَتَ فِي مَعركَةِ حُنَيْنٍ مَعَ الرَّسُولِ ﷺ.

تُوُفِّيَ سَنَةَ ٦٠هـ قَبلَ وَقْعَةِ الحَرَّةِ وَدُفِنَ فِي البَقِيعِ.

- قَبرُ **عَبدِ اللهِ بنِ جَعفَرٍ الطَّيَّار**، وَالِدُهُ جَعفَرُ بنُ أَبِي طَالِب، وَأُمُّهُ أَسمَاء بِنت عُمَيْس، وَهُوَ أَوَّلُ مَولُودٍ فِي الإِسلَام بِأَرضِ الحَبَشَةِ وَكَانَت وِلَادَتُهُ سَنَةَ وَاحِدٍ لِلهِجرَةِ، ثُمَّ قَدِمَ مَعَ وَالِدَيه مُهَاجِرًا إِلَى المَدِينَةِ فِي السَّنَةِ السَّابِعَةِ لِلهِجرَةِ يَومَ فَتحِ خَيبَر، تُوُفِّيَ سَنَةَ ثَمَانِينَ وَعُمرُه ثَمَانُون، كَانَ كَرِيمًا، حَلِيمًا، جَوَادًا، ظَرِيفًا، عَفِيفًا، سَخِيًّا، يُسَمَّى «بَحرُ الجُودِ».

تُوُفِّيَ سَنَةَ ٨٠ لِلهِجرَةِ وَعُمرُهُ ثَمَانُونَ عَامًا وَدُفِنَ فِي البَقِيعِ.

- قَبرُ **أَبِي سُفْيَانَ بنِ الحَارِثِ** بنِ عَبدِ المُطَّلِب. كَانَ أَخَا رَسُولِ اللهِ ﷺ مِنَ الرَّضَاعَةِ، فَلَمَّا بُعِثَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَادَاهُ وَهَجَاهُ فَلَمَّا كَانَ عَام الفَتحِ أَلقَى اللهُ فِي قَلبِهِ الإِسلَامَ وَشَهِدَ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَتحَ مَكَّةَ وَحُنَين، وَفِي مَعرَكَةِ حُنَينٍ قَالَ: اقتَحَمتُ عَن فَرَسِي وَبِيَدِي السَّيف صَلْتًا وَاللهُ يَعلَمُ أَنِّي أُرِيدُ المَوتَ دُونَهُ وَهُوَ يَنظُرُ إِلَيَّ. فَقَالَ العَبَّاسُ: يَا رَسُولَ اللهِ هَذَا أَخُوكَ وَابنُ عَمِّكَ أَبُو سُفْيَانَ فَارْضَ عَنهُ. فَقَالَ: **«قَدْ فَعَلتُ، فَغَفَرَ اللهُ لَهُ كُلَّ عَدَاوَةٍ عَادَانِيهَا»**[1]. ثُمَّ التَفَتَ إِلَيَّ فَقَالَ: **«أَخِي لَعَمْرِي»** فَقَبَّلتُ رِجلَهُ فِي الرِّكَابِ.

---

(١) الطبقات الكبرى، ابن سعد، (٤/٣٧).

مَاتَ أَبُو سُفيَان بَعدَ أَن استُخلِفَ عُمَر بِسَنَةٍ وَسَبعَةِ أَشهُرٍ وَصَلَّى عَلَيهِ عُمَر رضي الله عنه.

٥- قَبرُ الإِمَامِ مَالِك بنِ أَنسٍ وَشَيخِهِ نَافِع المَدَنِيّ.

وَيَقَعُ هَذَانِ القَبرَانِ شَرق قَبرِ عَقِيلِ بنِ أَبِي طَالِب عَلَى بُعدِ عَشرَةِ أَمتَارٍ عِندَ التِقَاءِ المَمَرَّاتِ الإِسمِنتِيَّةِ الحَدِيثَة.

- الإِمَامُ نَافِع مَوْلَى ابنِ عُمَر أَبُو عَبْدِ اللهِ المَدَنِيّ: رَوَى عَن مَولَاه عَبدِ اللهِ بنِ عُمَرَ وَجَمَاعَةٍ مِنَ الصَّحَابَةِ، وَرَوَى عَنهُ خَلْقٌ مِنَ التَّابِعِين وَغَيرُهُم، وَكَانَ مِنَ الثِّقَاتِ النُّبَلَاءِ، وَالأَئِمَّةِ الأَجِلَّاءِ، قَالَ البُخَارِيُّ: «أَصَحُّ الأَسَانِيدِ مَالِكٌ عَن نَافِعٍ عَنِ ابنِ عُمَرَ» وَسَمَّى العُلَمَاءُ هَذِهِ السِّلسِلَةَ سِلسِلَةَ الذَّهَب، وَقَد أَثنَى عَلَيهِ غَير وَاحِدٍ مِنَ الأَئِمَّةِ وَوَثَّقُوهُ.

تُوُفِّيَ سَنَةَ ١١٧ لِلهِجرَةِ وَدُفِنَ فِي البَقِيعِ.

الإِمَامُ مَالِكُ بنُ أَنَسٍ: إِمَامُ دَارِ الهِجرَةِ، وَقَد قَالَ كَثِيرٌ مِن عُلَمَاءِ التَّابِعِينَ إِنَّ الإِمَامَ مَالِكًا هُوَ الَّذِي بَشَّرَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ بِقَولِهِ: «**يُوشِكُ أَنْ يَضْرِبَ النَّاسُ أَكْبَادَ الإِبِلِ فَلَا يَجِدُونَ أَحَدًا أَعْلَمَ مِنْ عَالِمِ المَدِينَةِ**»[١] وُلِدَ سَنَةَ ٩٣هـ ثَانِي الأَئِمَّةِ الأَربَعَةِ وَصَاحِب المَذهَبِ المَالِكِيّ، وَقَد كَانَ الإِمَامُ مَالِكُ بنُ أَنَسٍ مُعَظِّمًا للعِلم حَتَّى إِنَّهُ إِذَا أَرَادَ أَن يُحَدِّث تَوَضَّأَ وَصَلَّى رَكعَتَينِ وَجَلَس عَلَى صَدرِ فِرَاشِهِ وَسَرَّحَ لِحيَتَهُ وَاستَعمَلَ الطِّيبَ وَتَمَكَّنَ فِي الجُلُوسِ عَلَى وَقَارٍ وَهَيبَةٍ ثُمَّ حَدَّث، فَقِيلَ لَهُ فِي

(١) سنن البيهقي، البيهقي، كتاب الصلاة، جامع أبواب المواقيت، (١/ ٥٦٧). سنن الترمذي، الترمذي، أبواب العلم عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في عالم المدينة، (٢٦٨٠).

ذَلِكَ، فَقَالَ: أُحِبُّ أن أُعَظِّمَ حَدِيثَ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَلَا أُحَدِّث بِهِ إِلَّا مُتَمَكِّنًا عَلَى طَهَارَةٍ. وَلَقَد قَالَ الإِمَامُ الشَّافِعِيُّ عَنهُ: إِذَا ذُكِرَ العُلَمَاءُ فَمَالِكٌ النَّجمُ. تُوُفِّيَ سَنَة ١٧٩هـ وَدُفِنَ فِي البَقِيعِ.

٦- قَبرُ إِبرَاهِيمَ ابنِ النَّبِيِّ وَمَن مَعَهُ؛ وَهُم:

- قَبرُ عُثمَانَ بنِ مَظْعُون .
- قَبرُ عَبدِ الرَّحمَنِ بنِ عَوفٍ.
- قَبرُ سَعدِ بنِ أَبِي وَقَّاصٍ.
- قَبرُ أَسعَدَ بنِ زُرَارَةَ .
- قَبرُ خُنَيْس بنِ حُذَافَةَ السَّهْمِيّ .
- قَبرُ فَاطِمَةَ بِنتِ أَسَدٍ.

تَقَعُ هَذِهِ القُبُور عَلَى بُعدِ عَشرَةِ أَمتَارٍ بَعدَ قَبْرَي الإِمَامِ نَافِع وَالإِمَامِ مَالِك.

إِبْرَاهِيمُ ابنُ النَّبِيِّ ﷺ

أُمُّهُ «مَارِيَة القِبطِيَّة»، وُلِدَ سَنَةَ ٨ لِلهِجرَةِ وَعَاشَ ثَمَانِيَةَ عَشر شَهرًا، وَتُوُفِّيَ سَنَةَ عَشرٍ مِنَ الهِجرَةِ لِعَشرِ لَيَالٍ خَلَتْ مِن رَبِيعِ الأَوَّلِ، وَلَمَّا وُلِدَ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**وُلِدَ لِي اللَّيْلَةَ وَلَدٌ فَسَمَّيْتُهُ بِاسْمِ أَبِي إِبْرَاهِيمَ**»[1] وَلَمَّا

---

(١) صحيح مسلم، مسلم، كتاب الفضائل، باب رحمته ﷺ بالصبيان وتواضعه وفضل ذلك، (٢٣١٥). السنن الكبرى، البيهقي، كتاب الجنائز، جماع أبواب البكاء على الميت، (٤/ ١١٤).

مَاتَ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**إِنَّ إِبْرَاهِيمَ ابْنِي، وَإِنَّهُ مَاتَ فِي الثَّدْيِ**[1]، **وَإِنَّ لَهُ ظِئْرَانِ يُكْمِلَانِ**[2] **رِضَاعَهُ فِي الجَنَّةِ**»[3].

وَلَمَّا مَاتَ إِبرَاهِيمُ ابنُ رَسُولِ اللهِ ﷺ دُفِنَ أَيضًا فِي البَقِيعِ وَكَانَ لَهُ مِنَ السِّنِينِ حِينَذَاكَ سَنَة وَنِصْف، النَّبِيُّ ﷺ ذَرَفَ الدَّمعَ عَلَيهِ فَقَالَ لَهُ عَبدُ الرَّحمَنِ بنُ عَوفٍ: وَأَنتَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ فَقَالَ: «**نَعَمْ وَإِنَّهَا لَرَحْمَة، إِنَّ العَيْنَ لَتَدْمَعُ وَإِنَّ القَلْبَ لَيَحْزَنُ وَلَا نَقُولُ إِلَّا مَا يُرْضِي رَبَّنَا وَإِنَّا عَلَى فِرَاقِكَ يَا إِبْرَاهِيمُ لَمَحْزُونُونَ**»[4].

- **عُثْمَانُ بنُ مَظْعُونٍ**: مِنَ المُهَاجِرِينَ الأَوَّلِينَ، شَهِدَ بَدْرًا، أَوَّلُ رَجُلٍ مَاتَ مِنَ المُهَاجِرِينَ بِالمَدِينَةِ، وَأَوَّلُ مَن دُفِنَ بِالبَقِيعِ، حَرَّمَ الخَمرَ عَلَى نَفسِهِ فِي الجَاهِلِيَّةِ، أَخُو المُصطَفَى مِنَ الرَّضَاعَةِ. قَبَّلَهُ النَّبِيُّ ﷺ وَهُوَ مَيِّتٌ، وَدُمُوعُهُ تَسقُطُ عَلَى خَدِّ عُثمَانَ. مَاتَ بَعدَ رُجُوعِهِ مِن بَدرٍ فِي السَّنَةِ الثَّانِيَةِ مِنَ الهِجْرَةِ.

- **عَبْدُ الرَّحْمَنِ بنُ عَوْفٍ**: أَحَدُ العَشرَةِ المُبَشَّرِينَ بِالجَنَّةِ، مِنَ المُهَاجِرِينَ الأَوَّلِينَ، شَهِدَ بَدرًا، صَلَّى خَلفَهُ النَّبِيُّ ﷺ فِي سَفَرٍ كَانَ ذَلِكَ فِي غَزوَةِ تَبُوك، تُوُفِّي سَنَةَ إِحدَى وَثَلَاثِينَ، وَعُمرُهُ خَمسٌ وَسَبعُونَ.

- **سَعْدُ بنُ أَبِي وَقَّاصٍ**: أَحَدُ العَشرَةِ المُبَشَّرِينَ بِالجَنَّةِ، أَوَّلُ مَن رَمَى بِسَهمٍ فِي سَبِيلِ اللهِ، شَهِدَ بَدرًا، كَانَ مُجَابَ الدَّعوَةِ، دَعَا لَهُ الرَّسُولُ

(١) أي في سنِّ رضاع الثدي.

(٢) أي يُتمانه سنتين.

(٣) مسند أحمد، أحمد، مسند أنس بن مالك، (١٢١٠٢).

(٤) صحيح البخاري، البخاري، كتاب الجنائز، (١٣٠٣).

عَلَيهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَام: «اللَّهُمَّ اسْتَجِبْ لِسَعْدٍ إِذَا دَعَاكَ»[1]. رَوَى ابنُ سَعدٍ عَن جَابِرَ بنِ عَبدِ اللهِ قَالَ: أَقبَلَ سَعدٌ وَرَسُولُ اللهِ ﷺ جَالِسٌ فَقَالَ: «هَذَا خَالِي فَلْيَرْبَإِ امْرَأٌ خَالَهُ»[2] وَفِي رِوَايَةِ التِّرمِذِيِّ: «هَذَا خَالِي فَلْيُرِنِي امْرُؤٌ خَالَهُ»[3]. لمَّا حَضَرَتهُ الوَفَاةُ فَدَعَا بِخَلِقِ جُبَّةٍ لَهُ مِن صُوفٍ فَقَالَ: كَفِّنُونِي فِيهَا فَإِنِّي لَقِيتُ المُشرِكِينَ فِيهَا يومَ بَدرٍ وَهِيَ عَلَيَّ، وَكُنتُ أُخَبِّئُهَا لِهَذَا اليَومِ. تُوُفِّيَ سَنَةَ خَمسٍ وَخَمسِينَ، وَعُمرُهُ بِضعٌ وَسَبعُونَ.

- **أَسْعَدُ بنُ زُرَارَةَ**: أَسعَدُ بنُ زُرَارَةَ بنِ عُدسِ بنِ النَّجَّارِ الأَنصَارِيُّ الخَزرَجِيُّ، أَبُو أُمَامَةَ، صَحَابِيٌّ جَلِيلٌ مِن فُضَلَاءِ الصَّحَابَةِ، كَانَ أَوَّل مَن قَدِمَ بِالإِسلَامِ المَدِينَةَ هُوَ وَذَكوَانُ بنُ عَبدِ قَيسٍ، شَهِدَ بَيعَةَ العَقَبَةِ الأُولَى، وَكَانَت فِي سِتَّةَ نَفَرٍ، أَو سَبعَة، وَالعَقَبَة الثَّانِيَة، وَكَانت فِي اثنَي عَشَر، وَالعَقَبَةَ الثَّالِثَة، وَكَانَت فِي سَبعِينَ، وَكَانَ أَحَد النُّقَبَاءِ[4]. تُوُفِّي فِي شَوَّال عَلَى رَأسِ تِسعَةِ أَشهُرٍ مِنَ السَّنَةِ الثَّانِيَةِ لِلهِجرَةِ قَبلَ بَدرٍ فِي وَقتِ بُنيَانِ رَسُولِ اللهِ ﷺ مَسجِدَهُ، وَدُفِنَ بِالبَقِيعِ وَهُوَ أَوَّلُ مَن دُفِنَ بِالبَقِيعِ مِنَ الأَنصَارِ.

- **خُنَيْسُ بنُ حُذَافَةَ السَّهْمِيُّ**: كَانَ مِنَ السَّابِقِينَ إِلَى الإِسلَامِ، هَاجَرَ إِلَى أَرضِ الحَبَشَة ثُمَّ هَاجَرَ إِلَى المَدِينَةِ مَعَ عُمَرَ بنِ الخَطَّابِ، شَهِدَ بَدرًا وقُتِلَ فيها، وَكَانَ زَوجُ حَفصَةَ بِنتِ عُمَرَ بنِ الخَطَّابِ قَبلَ النَّبِيِّ ﷺ فَلَمَّا

---

(١) سنن الترمذي، الترمذي، كتاب أبواب المناقب عن رسول الله ﷺ، (٣٧٥١).

(٢) الطبقات الكبرى، ابن سعد، (٣/ ١٠٢).

(٣) سنن الترمذي، الترمذي، كتاب أبواب المناقب عن رسول الله ﷺ، (٣٧٥٢).

(٤) نقباء الأنصار هم الذين تقدّموا لأخذ البيعة لنصرة النبي ﷺ. التوضيح، ابن الملقن، (٢/ ٥٤٢).

تُوُفِّيَ تَزَوَّجَهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ.

- **فَاطِمَةُ بِنتُ أَسَدٍ**: وَالِدَةُ سَيِّدِنَا عَلِيّ[1]. أُمُّ عَلِيّ بنِ أَبِي طَالِب وَمُرَبِّيَة رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَلَمَّا تُوُفِّيَت أَلبَسَهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ قَمِيصَهُ، وَنَزَلَ فِي قَبرِهَا وَاضطَجَعَ فِيهِ.

رَوَى الطَّبَرَانِيُّ[2] عَن أَنَسِ بنِ مَالِكٍ قَالَ: لَمَّا مَاتَتْ فَاطِمَةُ بِنْتُ أَسَد ابنِ هَاشِم أُمُّ عَلِيّ بنِ أَبِي طَالِبٍ دَخَل عَلَيهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ فَجَلَسَ عِندَ رَأسِهَا فَقَالَ: «**رحمكِ اللهُ يا أُمِّي كُنتِ أُمِّي بَعْدَ أُمِّي، تَجُوعِينَ وتُشْبِعِينِي وَتَعْرِينَ وَتُكْسِينِي وَتَمْنَعِينَ نَفْسَكِ طَيِّبًا وَتُطْعِمِينِي، تُرِيدِينَ بِذَلِكَ وَجْهَ اللهِ والدَّارِ الآخرة**»، ثم أَمَرَ أَنْ تُغْسَلَ ثلاثًا، فَلَمَّا بَلَغَ الماءَ الَّذِي فيهِ الكَافُور سَكَبَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ بيَدِهِ، ثُمَّ خَلَعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ قَمِيصَهُ فَأَلْبَسَهَا إِيَّاه وَكَفنَهَا بِبُرد فَوْقَه، ثُمَّ دَعَا رَسُولُ اللهِ ﷺ أُسَامَةَ بْنَ زَيْد وَأَبَا أَيُّوب الأَنْصَارِيّ وَعُمَرَ بْنَ الخَطَّاب وَغُلامًا أَسْوَد يَحْفُرُون، فَحَفَرُوا قَبْرَهَا، فَلَمَّا بَلَغُوا اللَّحْدَ حَفَرَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِيَدِهِ وَأَخْرَجَ تُرَابَهُ بِيَدِهِ، فَلَمَّا فَرَغ دَخَل رَسُولُ اللهِ ﷺ فَاضطَجَعَ فِيهِ ثُمَّ قَالَ: «**اللهُ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيت وَهُوَ حَيٌّ لا يَمُوت اغْفِرْ لأُمِّي فَاطِمَةَ بِنْتَ أَسَدٍ وَلَقِّنْهَا حُجَّتَهَا، وَوَسِّعْ عَلَيْهَا مُدْخَلَهَا بِحَقِّ نَبِيِّكَ والأَنْبِيَاء الَّذِينَ مِنْ قَبْلِي فَإِنَّكَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِين**»، وَكَبَّرَ عَلَيْهَا أَرْبَعًا وَأَدْخَلُوهَا اللَّحْدَ هُوَ والعَبَّاس، وَأَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيق.

٧- **شُهَدَاءُ الحَرَّةِ القَلِيب**: مَدفَنُ شُهَدَاءِ الحَرَّةِ عَلَى بُعْدِ نَحوِ ٧٥ مِترًا

---

(١) وفاء الوفا، السمهودي، (٣/ ٢٧٥).

(٢) المعجم الكبير، الطبراني، (٢٤/ ٣٥٢) (ح/ ٨٧١)

مِن قَبرِ عُثمَانَ بنِ مَظْعُونٍ وَمَن مَعَهُ نَجِدُ المَكَانَ الَّذِي يُقَالُ لَهُ: مَدفَنُ شُهَدَاءِ الحَرَّةِ الشَّرقِيَّةِ القَلِيب، وَهُمُ الَّذِينَ استُشْهِدُوا فِي القِتَالِ أَيَّامَ يَزِيدَ ابنِ مُعَاوِيَةَ، وَهُم يُدَافِعُونَ عَنِ المَدِينَةِ وَعَن أَهلِهَا الأَخيَار، وَهُوَ حَالِيًّا عَلَى شَكلٍ مُستَطِيلٍ مِنَ الحَجَرِ، بِارتِفَاعٍ لَا يَتَجَاوَزُ المِترَ الوَاحِدَ عَن سَطحِ الأَرضِ.

جَاءَ فِي بَعضِ كُتُبِ التَّارِيخِ بِأَنَّهُ كَانَ مَسقُوفًا بِسَقفٍ لَا يَتَجَاوَزُ ارتِفَاعُهُ مَا حَولَهُ مِنَ الأَرضِ.

سَنَةَ **٦٣** هـ خَلَعَ أَهلُ المَدِينَةِ يَزِيدَ بنِ مُعَاوِيَةَ لِشُربِهِ الخَمرَ وَإِتيَانِهِ بَعضَ القَاذُورَاتِ وَوَلَّوا عَلَيهِم عَبد اللهِ بن مُطِيع القُرَشِيّ عَلَى المُهَاجِرِينَ وَعَبد اللهِ بن حَنظَلَةَ الأَنصَارِيّ عَلَى الأَنصَارِ وَعَلَى أَثَرِ ذَلِكَ كَانَت مَعرَكَةُ الحَرَّةِ، فَأَرسَلَ يَزِيدُ بنُ مُعَاوِيَة مُسلِمَ بنَ عُقبَةَ المُزَنِيّ الغَطَفَانِيّ فِي نَفسِ السَّنَةِ **٦٣** هـ بِجَيشٍ كَبِيرٍ وَهَاجَمَ المَدِينَةَ وَاستَبَاحَ المَدِينَةَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ارتَكَبَ فِيهَا كُلَّ كَبِيرَةٍ وَكُلَّ مُحَرَّمٍ عَلَنًا وَقَتَلَ مِنَ المُهَاجِرِينَ وَالأَنصَار وَخِيَارِ التَّابِعِينَ نَحوَ **٧٠٠** سَبعمائَةِ شَهِيدٍ، وَقَتَلَ مِن أَهلِ المَدِينَةِ أَيضًا نَحوَ **١٠٠٠** أَلفِ شَهِيدٍ.

بَعضُ أَسمَاءِ مَن عُرِفَ أَنَّهُ استُشهِدَ فِي هَذِهِ المَعرَكَةِ:

- **عَبْدُ اللهِ بنُ الغَسِيلِ أَبُو حَنظَلَة**: هُوَ عَبدُ اللهِ بنُ حَنظَلَةَ بنِ أَبِي عَامِرٍ الرَّاهِب، يُقَالُ لَهُ: ابنُ الغَسِيلِ، لأَنَّ أَبَاهُ حَنظَلَة غَسِيلُ المَلَائِكَةِ، وَيُقَالُ لَهُ: عَبدُ اللهِ بنُ الرَّاهِب، يَنتَسِبُ إِلَى جَدِّهِ، وُلِدَ عَلَى عَهدِ المُصطَفَى وَتُوُفِّيَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَكَانَ عُمرُهُ سَبعَ سِنِين، قُتِلَ يَومَ الحَرَّةِ فِي المَدِينَةِ، وَكَانَ أَمِيرَ الأَنصَارِ يَومَئِذٍ فِيهَا، سَنَةَ ثَلَاثٍ وَسِتِّينَ وَعُمرُهُ سِتَّة وَخَمسُون.

فَلَمَّا مَرَّ عَلَيهِ مَروَانُ بنُ الحَكَمِ الأَمَوِيّ الَّذِي كَانَ وَالِي المَدِينَةِ وَجَدَ أَبا حَنظَلَةَ سَاقِطًا عَلَى جَبهَتِهِ شَهِيدًا وَوَاضِعًا يَدَهُ عَلَى عَورَتِهِ فَلَم تَنكَشِف فَقَالَ: لَئِن سَقَطتَ عَلَى جَبهَتِكَ مَيتًا فَلَطَالَما سَقَطتَ عَلَيهَا سَاجِدًا للهِ فِي حَيَاتِكَ، وَلَئِن حَفِظتَ عَورَتَكَ مَيتًا فَلَطَالَما حَفِظتَهَا مِنَ الحَرَامِ وَأَنتَ حَيّ.

- **مُحَمَّدُ بنُ أَبِي جَهْمِ بنِ حُذَيفَةَ:** وُلِدَ عَلَى عَهدِ المُصطَفَى ﷺ، قُتِلَ يَومَ الحَرَّةِ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَسِتِّينَ وَعُمرُه نحو ذَلِكَ.

- **مُحَمَّدُ بنُ أُبَي بنِ كَعبٍ:** أَبُوهُ أَقرَأُ الصَّحَابَةِ لِكِتَابِ اللهِ، قُتِلَ يَومَ الحَرَّةِ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَسِتِّينَ وَعُمرُهُ كَذَلِك.

- **مُحَمَّدُ بنُ عَمرِو بنِ حَزمٍ الأَنصَارِيُّ:** قُتِلَ يَومَ الحَرَّةِ وَعُمرُهُ ثَلَاث وَخَمسُون.

- **مُعَاذُ بنُ الحَارِثِ الأَنصَارِيُّ:** أَخُو مُعَوِّذ بن الحَارِثِ يُقَالُ لَهُمَا: ابنَا عَفْرَاء، كَانَت عَفرَاءُ أُمَّهُمَا، مِن بَنِي النَّجَّارِ، وَيُعرَفُ بِالقَارِئِ وَهُوَ مَدَنِيٌّ، وَشَهِدَ يَومَ الجِسرِ، وَشَهِدَ غَزوَةَ الخَندَقِ، قُتِلَ يَومَ الحرَّةِ فِي المَدِينَةِ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَسِتِّينَ.

٨- **قَبْرُ عُثْمَانَ بنِ عَفَّان** رضي الله عنه: **شَهِيدِ الدَّارِ القُرَشِيّ الأَمَوِيّ،** ذِي النُّورَيْنِ عُثمَانَ بنِ عَفَّان، فِي وَسَطِ البَقِيعِ عَلَى نَحوِ بُعدِ **١٣٥ مِترًا** مِن قُبُورِ شُهَدَاءِ الحَرَّةِ نَجِدُ قَبرَ الصَّحَابِيِّ الجَلِيل عُثمَانَ بنِ عَفَّان فِي الجِهَةِ الشَّرقِيَّةِ الشَّمَالِيَّة، وَقَد كَانَ هَذَا القَبرُ خَارِجَ البَقِيعِ وَلَكِن بَعدَ التَّوسِعَةِ الأُمَوِيَّةِ دَخَلَ قَبرُ سَيِّدِنَا عُثمَانَ بنِ عَفَّان دَاخِلَ البَقِيعِ، وَهُوَ عُثمَانُ بنُ عَفَّان بنِ أَبِي العَاصِ بنِ أُمَيَّةَ بنِ عَبدِ شَمسٍ القُرَشِيّ، يَجتَمِعُ

هُوَ وَرَسُولُ اللهِ ﷺ فِي «عَبدِ مَنافٍ» وَيُكَنَّى بِأَبِي عَبدِ الله.

وَهُوَ ذُو النُّورَينِ الزَّكِيَّتَينِ «رُقَيَّةَ» وَ«أُمّ كُلثُوم» بِنتَي النَّبِيِّ ﷺ، وَأَمِيرُ المُؤمِنِينَ رَابعُ أَربَعةٍ فِي الإِسلَامِ.

زَوَّجَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِابنَتَيهِ رُقَيَّةَ وَبعدَ وَفَاتِهَا أُمَّ كُلثُوم وَتُوُفِّيَتَا عِندَهُ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَوْ أَنَّ لَنَا ثَالِثَةً لَزَوَّجْنَاكَ**»[1].

هُوَ أَحَدُ المُبَشَّرِينَ فِي الجَنَّةِ، دَعَا لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَقَالَ: «**غَفَرَ اللهُ لَكَ يَا عُثْمَان مَا قَدَّمْتَ وَمَا أَخَّرْتَ، مَا أَسْرَرْتَ وَمَا أَعْلَنْتَ، وَمَا أَخْفَيْتَ وَمَا أَبْدَيْتَ، وَمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ**»[2].

وَرَوَى التِّرمِذِيُّ مِن طَرِيقِ طَلحَة بنِ عُبَيدِ اللهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لِكُلِّ نَبِيٍّ رَفِيقٌ، وَرَفِيقِي** - يَعنِي فِي الجَنَّةِ - **عُثْمَانُ**»[3].

تَوَلَّى الخِلَافَةَ بَعدَ أَمِيرِ المُؤمِنِينَ عُمَرَ بنِ الخَطَّابِ رضي الله عنه بِثَلَاثَةِ أَيَّامٍ وَذَلِكَ يَومَ السَّبتِ غُرَّةَ المُحَرَّم سَنَةَ أَربعٍ وعشرين حَتَّى استُشهِدَ رضي الله عنه بِالمَدِينَةِ المُنَوَّرَةِ لِثَمَانٍ عِشرَةَ خَلَت مِن ذِي الحِجَّةِ سَنَةَ خمسٍ وَثَلَاثِينَ وَكَانَ عُمرُهُ اثْنَتَينِ وَثَمَانِينَ سَنَة.

وَقَد ذَكَرَ أَهلُ التَّرَاجِمِ أَنَّهُ لَمَّا قُتِلَ رضي الله عنه دُفِنَ لَيلًا[4]، وَصَلَّى

---

(١) تحفة الأحوذي، المباركفوري، (١٠/١٢٨). فضل الخلفاء الراشدين، أبو نعيم الأصبهاني، (ص/٨٤).

(٢) فضائل الصحابة، أحمد بن حنبل، (١/٤٥٦). فضل الخلفاء الراشدين، أبو نعيم الأصبهاني، (ص/٨٤).

(٣) سنن الترمذي، الترمذي، أبواب المناقب عن رسول الله ﷺ، (٣٦٩٨).

(٤) تاريخ المدينة المنورة، ابن شيبة، (١/١١٥).

عَلَيهِ جُبَيرُ بنُ مُطعِم، وَقِيلَ حَكِيمُ بنُ حِزَامٍ أَجْمَعِين وَدُفِنَ فِي حُشِّ كَوكَبٍ، خَارِجَ البَقِيعِ وَهِيَ مَزرَعَةٌ اشتَرَاهَا سَيِّدُنَا عُثمَانُ بنُ عَفَّان وَقَد أُدخِلَت إِلَى البَقِيعِ بَعدَ أن وَهَبَهَا بَنُو أُمَيَّةَ للبَقِيعِ.

وَحَالِيًّا يُعتَبَرُ قَبرُ عُثمَانَ رضي الله عنه فِي وَسَطِ الجُزءِ الشَّمَالِيِّ مِنَ البَقِيعِ عَلَى رَبْوَةٍ مُرتَفِعَةٍ عَلَى مَمَرَّاتٍ رَئِيسِيَّة لِمَن أَرَادَ المُرُورَ إِلَى شَرقِ وَشَمَالِ البَقِيعِ.

٩- قَبْرُ سَعْدِ بنِ مُعَاذٍ رضي الله عنه: أَسلَمَ سَعدُ بنُ مُعَاذٍ عَلَى يَدِ مُصعَب بنِ عُمَيرٍ رضي الله عنهم، وَهُوَ مِن أَفضَلِ قَبِيلَةِ بَنِي الأَشهَلِ وَبِإِسلَامِهِ دَخَلَ جَمِيعُ رِجَال وَنِسَاءِ قَبِيلَتِهِ فِي الإِسلَامِ، أُصِيبَ سَعدٌ يَومَ الخَندَقِ فَدَعَا، فَحَبَسَ اللهُ عَنهُ الدَّمَ حَتَّى حَكَمَ فِي بَنِي قُرَيظَةَ، شَهِدَ غَزوَةَ بَدرٍ وَأُحُدٍ وَالخَندَق، رَمَاهُ ابنُ العَرِقَةِ يَومَ غَزوَةِ الخَندَقِ بِسَهم قَالَ لَهُ: خُذْهَا وَأَنَا ابنُ العَرِقَة، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**عَرَّقَ اللهُ وَجْهَهُ فِي النَّارِ**»[1]. فَعَاشَ سَعدٌ شَهرًا، ثُمَّ انتَقَضَ جُرحُه، فَمَاتَ فِي المَسجِدِ النَّبَوِيِّ الشَّرِيف، وَحَضَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ سَعدًا وَهُوَ يُغَسَّل وَأُمُّهُ تَبْكِيهِ وَتَقُولُ:

حَـــــزَامَـــــةً وَجِـــــدًّا وَيْـــلَ أُمِّ سَـــعْـــدٍ سَـــعْـــدَا

فَقَالَ: «**كُلُّ بَاكِيَةٍ تَكْذِبُ إِلَّا أُم سَعْدٍ**»[2] فَصَلَّى عَلَيهِ النَّبِيُّ ﷺ، ثُمَّ خَرَجُوا بِهِ، فَقَالَ الصَّحَابَةُ: مَا حَملنَا يَا رَسُولَ اللهِ مَيِّتًا أَخَفَّ عَلَينَا مِنهُ. قَالَ: «**مَا يَمْنَعُهُ أَنْ يَخِفَّ وَقَدْ هَبَطَ مِنَ المَلَائِكَةِ كَذَا وَكَذَا لَمْ يَهْبِطُوا قَطُّ**

---

(١) طبقات ابن سعد، ابن سعد، (٢/٤٨). إمتاع الأسماع، المقريزي، (١/٢٣٦).

(٢) معرفة الصحابة، أبو نعيم الأصفهاني. ، (٥/٣٥٢). أسد الغابة، ابن الأثير، (ص/٤٧٨).

قَبْلَ يَوْمِهِم، قَدْ حَمَلُوهُ مَعَكُم»، وَقَدْ تَوَاتَرَ قَولُ النَّبِيِّ ﷺ: «إِنَّ العَرْشَ اهْتَزَّ لِمَوْتِ سَعْدٍ - فَرِحًا بِهِ -»[1]

وَثَبَتَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ فِي حُلَّةٍ تَعَجَّبُوا مِن حُسْنِهَا: «لَمَنَادِيلُ سَعْدِ ابنِ مُعَاذٍ فِي الجَنَّةِ خَيْرٌ مِنْهَا»، أَوْ: «أَلْيَنُ»[2].

وَخَرَّجَ النَّسَائِيُّ فِي مُسندِهِ إِلَى جَابر قَالَ: «جَاءَ جِبرِيلُ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: مَن هَذَا العَبدُ الصَّالِحُ الَّذِي مَاتَ؟ فُتِحَت لَهُ أَبوَابُ السَّمَاءِ، وَتَحَرَّكَ لَهُ العَرْشُ، فَخَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَإِذَا سَعْد. قَالَ فَجَلسَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَى قَبرِهِ وَهُوَ يُدفَنُ، فَبَينَما هُوَ جَالِس إِذْ قَالَ: «سُبْحَانَ اللهِ» مَرَّتَينِ، فَسَبَّحَ القَومُ، ثُمَّ قَالَ: «اللهُ أَكْبَرُ اللهُ أَكبَرُ» فَكَبَّرَ القَومُ، الحَدِيث»[3].

وَقَالَ رُبَيْحُ بنُ عَبدِ الرَّحمَنِ، أَخبَرَنِي مُحَمَّدُ بنُ المُنْكَدِرِ، عَن رَجُلٍ قَالَ: أَخَذَ إِنْسَانٌ قَبْضَةً مِنْ تُرَاب قَبرِ سَعْدٍ فَذَهَبَ بِهَا، ثُمَّ نَظَرَ إِلَيْهَا بَعْدُ فَإِذَا هِيَ مِسْكٌ»[4].

وَعَنْ عَائِشَةَ قَالَت: «مَا كَانَ أَحَدٌ أَشَدّ فَقْدًا عَلَى المُسلِمِينَ بَعدَ النَّبِيِّ ﷺ وَصَاحِبَيهِ أَو أَحَدِهِمَا مِن سَعْدِ بنِ مُعَاذٍ»[5].

مَاتَ سَعدُ بنُ مُعَاذٍ وَهُوَ ابنُ سَبعٍ وَثَلَاثِينَ سَنَة، وَصَلَّى عَلَيهِ

---

(١) صحيح البخاري، البخاري، مناقب الأنصار، (٣٨٠٣). صحيح مسلم، مسلم، فضائل الصحابة، (٢٤٦٦).

(٢) مسند أحمد، أحمد، أول مسند الكوفيين، (١٨٦٨٥).

(٣) مسند أحمد، أحمد، مسند جابر بن عبد الله، (١٤٥٠٥).

(٤) طبقات ابن سعد، ابن سعد، (٣/٣٢٩).

(٥) كنز العمال، علاء الدين الهندي، (١٣/٤١١).

رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَدُفِنَ بِالبَقِيعِ، فَهَنِيئًا لِسَعدِ بنِ مُعَاذٍ الأنصارِيّ وَهُوَ يَتَلَقَّى هَذِهِ الكَلِمَات مِن رَسُولِ اللهِ ﷺ: **«جَزَاكَ اللهُ خَيْرًا مِنْ سَيِّدِ قَوْمٍ، فَقَدْ أَنْجَزْتَ اللهَ مَا وَعَدْتَهُ، وَلَيُنْجِزَنَّكَ اللهُ مَا وَعَدَكَ»** رِجَالُهُ ثِقَات[1].

وَلَم يَصِحّ حَدِيثُ: لَو نَجَا أَحَدٌ مِن ضَمَّةِ القَبرِ، لَنَجَا مِنهَا سَعدٌ، فَإِذَا كَانَ مَنِ اهتَزَّ عَرشُ الرَّحمَنِ لِمَوتِهِ لَا يَنجُو مِن ضَغطَةِ القَبرِ فَمَن يَنجُو مِنهَا؟! وَإِن كَانَ صَحَّحَهُ بَعضُهُم، فَلَا عِبرَةَ إِلَّا بِالحَقِّ وَهُوَ أَحَقُّ أَن يُتَّبَع، فَالشَّرعُ أَولَى بِالاتِّبَاعِ، وَحَتَّى وَإِن قَالَ بَعضُ العُلَمَاءِ: إِنَّ الضَّغطَةَ تَحصُلُ لِلمُؤمِنِ ضَغطَةَ مَحَبَّةٍ، فَهَذَا لَا مَعنَى لَهُ. قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾﴾[2]. وَقَـــالَ ﷺ: **«الدُّنْيَا سِجْنُ المُؤْمِنِ وَسَنَتُهُ، فَإِذَا فَارَقَ الدُّنْيَا فَارَقَ السِّجْنَ وَالسَّنَةَ»**[3]، فَقَولُ مَن قَالَ بِحُصُولِ ضَغطَةِ القَبرِ لِلمُؤمِنِ التَّقِيّ يُنَافِي هَذِهِ الآيَةَ وَالحَدِيث السَّابِقَين، فَالقَائِلُونَ بِحُصُولِ الضَّغطَةِ إِن قَالُوا بِحُصُولِهَا لَكِن مَن سِوَى الأَنبِيَاءِ لَم يُكَفِّرهُم العُلَمَاء، لَكِن هَذَا لَيسَ صَحِيحًا، هُم مَا تَصَوَّرُوا أَنَّ هَذَا مُعَارِضٌ لِلآيَةِ: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾﴾، وَنَحنُ لَا نَعتَقِدُ أَنَّ الضَّغطَةَ حَصَلَت لِبِنتٍ مِن بَنَاتِ الرَّسُولِ ﷺ، قَولُهُم بِحُصُولِ الضَّغطَةِ لِسَعدٍ الَّذِي هُوَ مِن كِبَارِ الأَولِيَاءِ وَهُوَ شَهِيدٌ، فِيهِ مُسَاوَاةٌ لِلوَلِيّ مَعَ الفُسَّاقِ وَالعَامَّةِ، فَقَولُهُم حَدِيثُ «لَو نَجَا مِنهَا أَحَدٌ لَنَجَا سَعدٌ» مُخَالِفٌ لِلأُصُولِ، وَكُلُّ حَدِيثٍ يُروَى مُخَالِفًا لِلأُصُولِ فَهُوَ مَردُودٌ لَا يَصِحُّ. وَقَد وَرَدَ فِي صِفَةِ ضَغطَةِ

---

(١) الطبقات، ابن سعد، (٣/٣٢٨).

(٢) سورة يونس، ءاية (٦٢).

(٣) المسند، الإمام أحمد، مسند عبد الله بن عمرو، (٦٨٥٥).

القَبرِ أَنَّ الأَضلَاعَ تَختَلِفُ، فَكَيفَ تَكُونُ ضَغطَةَ حَنَانٍ أو كَضَمَّةِ الأُمِّ لِطِفلِهَا، وَضَمَّةُ الأُمِّ لِطِفْلِهَا لَيسَ فِيهَا إِيذَاءٌ[1] وَهُوَ ابنُ سِتٍّ وَثَلَاثِينَ سَنَة.

١٠- قَبْرُ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رضي الله عنه: مِن رُوَاةِ الحَدِيثِ الشَّرِيفِ، وَمِن فُقَهَاءِ المَدِينَةِ، مَشهُورٌ بِكُنيَتِهِ، واسمُهُ سَعْدُ بنُ مَالِكٍ الخَزْرَجِيُّ، وَكَانَ مِن نُجبَاءِ الأَنصَارِ وَعُلَمَائِهِم وَفُضَلَائِهِم. غَزَا مَعَ المُصطَفَى ﷺ اثنَتَي عَشرَةَ غَزوَةً، وَكَانَ مِمَّن حَفِظَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ سُنَنًا

(١) قال الحافظ المجتهد عبد الله الهرري رحمه الله ما نصه: «ما يتوهّمهُ بعضُ النّاس من أنّ القبرَ يضيّقُ على كلّ أحدٍ في البدايةِ ثمّ يوسَّعُ على المؤمنِ غيرُ صحيحٍ، وهو لا يليقُ بكرامةِ المؤمنِ عندَ الله أي المؤمن التّقي لأنّ بعض العصاةِ يحصلُ لهم ذلك برهةً من الزمنِ، وأمّا ما يرويهِ بعضُهم في حقّ سعدِ بن معاذٍ أنَّ النبي ﷺ قال: «لو نجا أحد من ضغطة القبر لنجا سعد» فغيرُ صحيحٍ وإن صحّحَهُ من صحّحَهُ، كيفَ وقد وردَ في فضلِ سعدٍ «اهتز العرش لموتِ سعد بن معاذ» رواه البخاري، فمن اهتزَّ العرش لموتِهِ كيف يليقُ بمقامِهِ أن يصيبَهُ ضغطةُ القبرِ. وما يُروى عنه من أنّه كان لا يحترز من البولِ فغيرُ صحيحٍ بدليلِ ما وَرَدَ عن رسولِ الله ﷺ من أنّه وَصَفَ سعدًا بأنه شديدٌ في أمرِ الله، ووردَ عن عائشةَ أنّها قالت في حقّ سعدٍ: لم يكن في عشيرةِ بني الأشهلِ أفضلَ من سعدِ بن معاذٍ وأسيدِ بن حُضيرٍ وعبّاد بن بشرٍ. وكان أسيدُ بن حضيرٍ عندما يقرأ القرءانَ أحيانًا تنزلُ الملائكةُ إليه من السّماءِ. وأما الأحاديثُ التي وردَت في حصولِ ضغطةِ القبرِ لصبي دُفِنَ في عصرِ الرسولِ وأن النبي قال: «لو كانَ يَسلَمُ منها أحدٌ لَسَلِمَ منها هذا الصبي»، وفي حق سعدِ ابن معاذ وفي حَقّ بنتِ النبي زينب، فهذه الأحاديثُ معارِضَةٌ لما هو أقوى منها وهي لم يخرجها الشيخان. والحديثُ الذي في الصحيح أن ضغطةَ القبرِ للكافرِ والمنافقِ فكيف يقال إنها تصيبُ كلَّ ميت إلا الأنبياء. ومما يمنعُ صحةَ ما وَرَدَ في حق سعدٍ من ضغطةِ القبرِ أنه كان شهيدًا لأنه ماتَ من جُرحٍ أصيبَ به في غزوةِ الخندقِ، والحديث الصحيح الوارد في حقهِ أنهُ اهتزَّ عرشُ الرحمنِ لموتِ سَعْدٍ فكيفَ يصحُّ في حقهِ مع هذينِ الأمرينِ أن يُعَذَّبَ بضغطةِ القبرِ، وتُدفَعُ تلكَ الأحاديثُ أيضًا بالآية ﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٦٢﴾ [سورة يونس] اهـ. الشرح القويم، الهرري، (ص/ ٤٨٠-٤٨١).

كَثِيرَة، استَصغَرَهُ النَّبيُّ ﷺ يومَ أُحُدٍ فَرُدَّ، فَخَرَجَ فِيمَن يَتَلَقَّى رَسُولَ اللهِ ﷺ حِينَ رَجعَ مِن أُحُدٍ، فَنَظَرَ إِلَيهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَقَالَ: «**سَعْدُ بنُ مَالِك؟**»، قَالَ: قُلْتُ: نَعم بِأَبِي وَأُمِّي أَنتَ. قَالَ: فَدَنَوتُ مِنهُ فَقَبَّلتُ رُكبَتَيهِ فَقَالَ: «**ءَاجَرَكَ اللهُ فِي أَبِيكَ**»، وَكَانَ قَد قُتِلَ يَومَئِذٍ شَهِيدًا يَومَ الجُمُعَةِ سَنَةَ أَربعٍ وَسِتِّينَ، وَعُمرُهُ أَربَع وَتِسعُونَ سَنَةً.

١١- **قَبرُ السَّيِّدَةِ حَلِيمَةَ السَّعْدِيَّة رضي الله عنها**: مُرْضِعَةُ رَسُولِ اللهِ عَلَيهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وَالِدَتُهُ بِالرَّضَاعَةِ وَهِيَ مِن قَبِيلَةِ سَعدِ بنِ بَكرٍ، تُوُفِّيَت بِالمَدِينَةِ المُنَوَّرَةِ فِي السَّنَةِ الثَّامِنَةِ مِنَ الهِجرَةِ وَدُفِنَت خَارِجَ البَقِيعِ الكَبِيرِ شَمَالَ شَرقِ حُشِّ كَوكَب وَالآنَ أَصبَحَ القَبرُ المَنسُوب لَهَا ضِمنَ البَقِيعِ بَعدَ التَّوسِعَةِ السَّعُودِيَّةِ، وَقَبرُهَا كَمَا هُوَ مُتَوَاتِرٌ عَن أَهلِ المَدِينَةِ شَمَال شَرقِ قَبرِ عُثمَانَ بنِ عَفَّان جِوَارَ قَبرِ أَبِي سَعِيدٍ الخُدرِيِّ.

١٢- **قَبرُ إسمَاعِيلَ بنِ جَعفَرٍ الصَّادِقِ**: وُلِدَ فِي المَدِينَةِ عَامَ ١١٠هـ، كَانَ هَذَا القَبرُ يَقَعُ خَارِجَ البَقِيعِ فِي الجِهَةِ الغَربِيَّةِ الجَنُوبِيَّةِ، وَيَفصُلُه عَنِ البَقِيعِ شَارِعٌ بِعَرضِ ١٥مِترًا وَكَانَ مُحَاطًا بِسُورٍ مُرتَفِعٍ بِنَحوِ **٣** أَمتَار، وَكَانَ مَبنَى الشَّرشُورَة وَهُو مَبنَى مَصلَحَةِ المَوتَى يَقَعُ شَرقِي هَذَا القَبر، وَقَد نُقِلَ الرُّفَاةُ فِي التَّوسِعَةِ الَّتِي تَمَّت قَبلَ التَّوسِعَةِ الأَخِيرَةِ، وَأُدخِلَ دَاخِلَ سُورِ البَقِيعِ الحَالِي. تُوُفِّيَ عَامَ ١٥٨هـ وَدُفِنَ فِي البَقِيعِ.

١٣- **قُبورُ عَمَّاتِ النَّبيِّ ﷺ**:

- **صَفِيَّةُ[1] بِنتُ عَبدِ المُطَّلِب**: لَم يَختَلِف أَحَدٌ فِي إِسلَام صَفِيَّةَ بِنتِ عَبدِ المُطَّلِب، عَمَّةُ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَوَالِدَةُ الزُّبَيْرِ بنِ العَوَّامِ أَحَد

(١) أسد الغابة، ابن الأثير، (٧/ ١٧٢، ١٧٣).

العَشَرَة، وَهِيَ شَقِيقَةُ حَمزَةَ بنِ عَبدِ المُطَّلِبِ، وَقِصَّتُهَا يَومَ أُحُدٍ مَشهُورَة عِندَمَا حَاوَلَ الزُّبَيرُ أَن يَحُولَ بَينَهَا وَبَينَ رُؤيَةِ أَخِيهَا بَعدَ أَن مَثَّلَ المُشرِكُونَ بِهِ، فَقَالَت: لَقَد عَلِمتُ أَنَّهُ مُثِّلَ بِهِ، فَوَاللهِ لأَصبِرَنَّ وَلَأَحتَسِبَنَّ إِن شَاءَ الله. هَاجَرَت مَعَ وَلَدِهَا الزُّبَيرِ، وَهِيَ أَوَّلُ امرَأَةٍ قَتَلَت رَجُلًا مُشرِكًا مِنَ اليَهُودِ، عِندَمَا حَاوَلَ أَن يَتَسَوَّر عَلَيهِم أُطُم يُقَالُ لَهُ فَارِع يَومَ الخَندَقِ، فَقَد احتَجَزَت وَأَخَذَت عَمُودًا، وَنَزَلَت مِنَ الحِصنِ إِلَيهِ فَضَرَبَتهُ بِالعَمُودِ حَتَّى قَتَلَتهُ. رَوَت صَفِيَّةُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، وَرَوَى عَنهَا ابنُ أَخِيهَا وَمَولَاهَا كِنَانَة وَمَولَاهَا الآخَرُ يَزِيدُ بنُ مُعتِب، وَزَينُ العَابِدِينَ عَلِيُّ بنُ الحُسَينِ، وَغَيرُهُم، وَلَهَا مَرْثِيَّةٌ مَشهُورَةٌ لمَّا قُبِضَ النَّبِيُّ ﷺ تَقُولُ فِيهَا:

بِـفَـقْـدِ رَسُـولِ اللهِ إِذْ حَـانَ يَـوْمُـهُ

فَيَا عَيْنُ جُودِي بِالدُّمُوعِ السَّوَاجِمِ.

تُوُفِّيَت رضي الله عنها سَنَةَ عِشرِينَ فِي خِلَافَةِ عُمَرَ بنِ الخَطَّابِ رضي الله عنه، وَلَهَا مِنَ العُمُرِ ثَلاثٌ وَسَبعُونَ سَنَة، دُفِنَت فِي البَقِيعِ بِفِنَاءِ دَارِ المُغِيرَةِ بنِ شُعبَةَ.

- **عَاتِكَةُ**[1] **بِنتُ عَبدِ المُطَّلِبِ**: فَالأَكثَرُ يَرَونَ إِسلَامَهَا، فَالعُقَيلِيّ ذَكَرَهَا وَأُختَهَا أَروَى فِي الصَّحَابَةِ، وَذَكَرَهَا ابنُ فَتْحُون فِي ذَيلِ الاستِيعَابِ، وَاستَدَلَّ عَلَى إِسلَامِهَا بِشِعرٍ لَهَا تَمدَحُ النَّبِيَّ ﷺ وَتَصِفهُ بِالنُّبُوَّةِ، وَأَمَّا الدَّارَقُطنِيُّ فَذَكَرَ لَهَا شِعرًا تَذكُرُ فِيهِ تَصدِيقَهَا، وَأَورَدَهَا ابنُ مَنْدَةَ فِي الصَّحَابَةِ، وَقَالَ ابنُ سَعدٍ: أَسلَمَت يَومَ بَدرٍ بِمَكَّةَ وَهَاجَرَت إِلَى المَدِينَةِ.

وَيَقَعُ هَذَانِ القَبرَانِ فِي الجِهَةِ الشَّمَالِيَّةِ عَلَى يَسَارِ الدَّاخِلِ إِلَى البَقِيعِ

---

(١) أسد الغابة، ابن الأثير، (٧/ ١٨٥، ١٨٦).

عَلَى بُعدِ ٤٠ مِترًا، وَهُمَا مُلَاصِقَانِ لِسُورِ البَقِيعِ الغَربِيِّ.

وَكَانَت هَذِهِ المَقبَرَةُ تُسَمَّى بِبَقِيعِ العَمَّاتِ وَهِيَ مُنفَصِلَةٌ عَنِ البَقِيعِ الكَبِيرِ بِمَمَرٍّ حَولَهُ أَسوَار البَقِيعَيْنِ يُسَمَّى طَرِيق العَمَّات، وَقَد ضمّ هَذَا البَقِيعُ إِلَى بَقِيعِ الغَرقَدِ فِي عَامِ ١٣٧٣هـ وَأُضِيفَت لَهُ مِسَاحَته الَّتِي تُقَدَّرُ بِحَوَالِي ٨٢٤ مِترَ مُرَبَّع.

مِنْ أَشْهَرِ مَنْ دُفِنَ فِي البَقِيعِ

- **سَعْدُ بنُ أَبِي وَقَّاصٍ**: وَقَد تَقَدَّمَ ذِكرُهُ.

- **سَعِيدُ بنُ زَيدِ بنِ نُفَيْل القُرَشِيُّ**: أَحَدُ العَشرَةِ المُبَشَّرِينَ بِالجَنَّةِ، كَانَ مُجَابَ الدَّعوَة، تُوُفِّي فِي أَرضِهِ فِي العَقِيقِ وَحُمِلَ عَلَى الأَعنَاقِ حَتَّى دُفِنَ بِالبَقِيعِ، وَذَلِكَ سَنَةَ خَمسِينَ هِجرِيَّة، وَعُمرُهُ بِضعٌ وَسَبعُونَ.

- **عَبدُ الرَّحْمَنِ بنُ عَوْفٍ القُرَشِيُّ**: أَحَدُ العَشرَةِ المُبَشَّرِينَ بِالجَنَّةِ، مِنَ المُهَاجِرِينَ الأَوَّلِينَ[1]، شَهِدَ بَدْرًا، تَأَخَّرَ الرَّسُولُ ﷺ مَرَّةً فَقَدَّمَ الصَّحَابَةُ عَبدَ الرَّحمَنِ بنِ عَوفٍ، فَصَلَّى خَلفَهُ النَّبِيُّ ﷺ فِي سَفَرٍ فَصَلَّى مَعَهُ رَكعَةً مَأْمُومًا ثُمَّ أَكمَلَ الرَّكعَةَ الثَّانِيَةَ إِمَامًا بِالنَّاسِ، كَانَ ذَلِكَ فِي غَزوَةِ تَبُوكٍ، تُوُفِّيَ سَنَةَ إِحدَى وَثَلَاثِينَ هِجرِيَّة، وَعُمرُهُ خَمسٌ وَسَبعُونَ.

- **عَبدُ اللهِ بنُ مَسعُودٍ الهُذَلِيُّ**: أَسلَمَ قَدِيمًا قَبلَ عُمَرَ بنِ الخَطَّابِ بِزَمَانٍ، وَهُوَ سَادِسُ سِتَّةٍ فِي الإِسلَامِ، شَهِدَ بَدْرًا وَالمَشَاهِدَ كُلَّهَا، هَاجَرَ إِلَى الحَبَشَةِ مَعَ مَن هَاجَرَ، وَهَاجَرَ إِلَى المَدِينَةِ، وَصَلَّى إِلَى القِبلَتَينِ، كَانَ

---

(١) ما يقال إنه يدخل الجنة زحفًا فهو كذب، هو درجته عالية جدا، مع غناه فهو من الذين يسبقون في دخول الجنة ليس من الذين يتأخرون. هو صادق.

مَشهُورًا أَنَّهُ صَاحِبُ رَسُولِ اللهِ ﷺ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**رَضِيتُ لِأُمَّتِي مَا رَضِيَ لَهَا ابْنُ أُمِّ عَبْدٍ، وَسَخِطْتُ لَهَا مَا سَخِطَ لَهَا ابْنُ أُمِّ عَبْدٍ**»[1].

عَن زِرِّ بنِ حُبَيشٍ، عَن عَبدِ اللهِ بنِ مَسعُودٍ، قَالَ: كُنتُ غُلَامًا يَافِعًا أَرعَى غَنَمًا لِعُقبَةِ بنِ أَبِي مُعَيطٍ، فَجَاءَ النَّبِيُّ ﷺ وَأَبُو بَكرٍ وَقَد فَرَّا مِنَ المُشرِكِينَ، فَقَالَا: يَا غُلَامُ هَلْ عِندَكَ مِن لَبَنٍ تسقِينَا؟ فَقُلتُ: إِنِّي مُؤتَمَنٌ وَلَستُ سَاقِيَكُمَا. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**هَلْ عِنْدَكَ مِنْ جَذَعَةٍ لَمْ يَنْزُ عَلَيْهَا الفَحلُ؟**»[2]، قُلتُ: نَعَم. فَأَتَيتُهُمَا بِهَا فَاعتَقَلَهَا النَّبِيُّ ﷺ وَمَسَحَ الضَّرعَ وَدَعَا فَحَفَلَ الضَّرعُ، ثُمَّ أَتَاهُ أَبُو بَكرٍ بِصَخرَةٍ مُنقَعِرَةٍ فَاحتَلَبَ فِيهَا فَشَرِبَ، وَشَرِبَ أَبُو بَكرٍ ثُمَّ شَرِبتُ، ثُمَّ قَالَ لِلضَّرعِ: اقْلِصْ، فَقَلَصَ. قَالَ: فَأَتَيتُهُ بَعدَ ذَلِكَ فَقُلتُ: عَلِّمنِي مِن هَذَا القَولِ: قَالَ: «**إِنَّكَ غُلَامٌ مُعَلَّمٌ**». فَأَخَذتُ مِن فِيهِ سَبعِينَ سُورَةً لَا يُنَازِعُنِي فِيهَا أَحَدٌ[3].

وَقَالَ فِيهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَقْرَأَ القُرْءَانَ رَطْبًا كَمَا أُنْزِلَ فَلْيَقْرَأْهُ عَلَى قِرَاءَةِ ابْنِ أُمِّ عَبْدٍ**»[4].

وَرَوَى أَحْمَدُ عَن زِرِّ بنِ حُبَيشٍ عَنِ ابنِ مَسْعُودٍ: أَنَّهُ كَانَ يَجْتَنِي سِوَاكًا مِنَ الأَرَاكِ، وَكَانَ دَقِيقَ السَّاقَينِ، فَجَعَلَتِ الرِّيحُ تَكْفَؤُهُ[5] فَضَحِكَ القَومُ مِنهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مِمَّ تَضْحَكُونَ؟**» قَالُوا: يَا نَبِيَ اللهِ مِن دِقَّةِ سَاقَيهِ. فَقَالَ: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَـهُمَا أَثْقَلُ فِي المِيزَانِ مِنْ**

(١) مرقاة المفاتيح، علي القاري، (١/ ١٢١).
(٢) مسند ابن أبي شيبة، ابن أبي شيبة، (١/ ٢٥٨). حلية الأولياء، أبو نعيم، (٣٧٢).
(٣) المسند، الإمام أحمد، مسند عبد الله بن مسعود، (٤٤١٢).
(٤) تاريخ دمشق، ابن عساكر، (٣٣/ ١٠٠).
(٥) أي تميله.

أُحُدٍ»[1]. وَلَم يَصِحّ أَنَّهُ كَانَ يُفطِرُ عَلَى الجِمَاعِ، وَهُوَ قَولُ بَعضِ النَّاسِ.

ولِيَ قَضَاءَ الكُوفَةِ وَبيتَ المَالِ لِعُمَرَ وَصَدرًا مِن خِلَافَةِ عُثمَانَ ثُمَّ صَارَ إِلَى المَدِينَةِ فَمَاتَ بِهَا سَنَةَ اثنَتَينِ وَثَلَاثِينَ هِجرِيَّة، وَدُفِنَ فِي البَقِيعِ وَهُوَ ابنُ بِضعٍ وَستِّين.

- **عَبْدُ اللهِ بنُ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيق**: شَهِدَ غَزوَةَ الطَّائِفِ فَرُمِيَ بِسَهمٍ، فَدَمِلَ جُرحُه، ثُمَّ انتَقَضَ[2] عَلَيهِ فَمَاتَ أَوَّلَ خِلَافَةِ أَبِيهِ فِي شَوَّالَ سَنَة أَحَد عَشَر، أَسلَمَ قَدِيمًا، وَصَلَّى عَلَيهِ أَبُوهُ، نَزَلَ فِي قَبرِهِ إِضَافَةً إِلَى طَلحَةَ وَعَبدَ الرَّحمَنِ أَخُوهُ - رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنهُم.

- **أُبَيُّ بنُ كَعبٍ الأَنصَارِيُّ**[3]: أَقرَأُ الصَّحَابَةِ لِكِتَابِ[4] اللهِ[5] بِشَهَادَةِ المُصطَفَى ﷺ، كَانَ يَكتُبُ الوَحيَ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ. رَوَى الإِمَامُ البُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ لَهُ: «**إِنَّ اللهَ أَمَرَنِي أَنْ أَقْرَأَ عَلَيْكَ القُرْءَانَ**»[6][7] وَفِي رِوَايَةٍ: ﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ

---

(1) **مسند أحمد**، أحمد، مسند عبد الله بن مسعود، (٣٩٩١).

(2) أي انفتح.

(3) أستاذ ابن عباس، وأبي هريرة، وعبد الله بن السائب، وغيرهم أخذوا عنه قراءة القرآن، فضائله لا تحصى، ومناقبه لا تعد. **أسد الغابة**، ابن الأثير، (١/٦١). **تذكرة الحفاظ**، الذهبي، (١/١٦). **سير أعلام النبلاء**، الذهبي، (١/٣٩٨).

(4) **سنن الترمذي**، الترمذي، أبواب المناقب عن رسول الله ﷺ، (٣٧٩١).

(5) أي أعلمهم بقراءة القرءان.

(6) **صحيح البخاري**، البخاري، مناقب الأنصار، مناقب أبي بن كعب، (٣٨٠٩).

(7) قال الحافظ ابن حجر: قال أبو عبيد: المراد بالعرض على أُبَيّ يتعلّم أُبَيّ منه القراءة، ويتثبت فيها، وليكون عرض القرءان سنةً وللتنبيه على فضيلة أُبَيّ بن كعب وتقدمهِ في حفظ القرءان، وليس المراد أن يستذكر منه النبيُّ ﷺ شيئًا بذلك العرض. **فتح الباري**، ابن=

كَفَرُوا﴾[1]. قَالَ وَسَمَّانِي؟ قَالَ: «نَعَم» فَبَكَى[2]. وَهَذِهِ مَنْقَبَةٌ عَظِيمَةٌ لَا تُعرَفُ لِغَيرِهِ مِنَ الصَّحَابَةِ. مَاتَ فِي خِلَافَةِ الفَارُوقِ عُمَرَ رضي الله عنه.

- **أُسَيْدُ بنُ حُضَيْرٍ الأَنْصَارِيُّ**: وَهُوَ أَحَدُ العُقَلَاءِ مِن أَهْلِ الرَّأْيِ، آخَى رَسُولُ اللهِ ﷺ بَينَهُ وَبَينَ زَيدِ بنِ حَارِثَةَ، كَمَا كَانَ شُجَاعًا لَهُ مَوَاقِفُهُ المُشَرَّفَة، شَهِدَ بَدْرًا، كَانَ مِنَ أَحسَنِ النَّاسِ صَوتًا بِالقُرءَانِ، كَانَ أَبُو بَكرٍ الصِّدِّيقُ يُكرِمُهُ، عَن أَنَسٍ قَالَ: كَانَ أُسَيدُ بنُ حَضَير وَعَبَّادُ بنُ بِشرٍ عِندَ النَّبِيِّ ﷺ فِي لَيلَةٍ ظَلمَاءِ وتَحَدَّثَا عِندَهُ حَتَّى إِذَا خَرَجَا أَضَاءَت لَهُمَا عَصَا أَحَدِهِمَا فَمَشِيَا عَلَى ضَوئِهَا فَلَمَّا تَفَرَّقَت بِهِمَا الطَّرِيقُ أَضَاءَت لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنهُمَا عَصَاهُ[3].

مَاتَ سَنَةَ عِشرِينَ، وَحَمَلَ سَرِيرَهُ عُمَرُ رضي الله عنه حَتَّى وَضَعَهُ فِي البَقِيعِ وَصَلَّى عَلَيهِ وَكَانَ أَوصَاهُ فِي دَينِهِ فَوَفَّى ذَلِكَ لَهُ مِن ثَمَنِ نَخْلِهِ.

- **أُسَامَةُ بنُ زَيْدِ بنِ حَارِثَةَ**: يُقَالُ لَهُ أُسَامَةُ الحِبُّ[4] وَهُو حِبُّ رَسُولِ اللهِ ﷺ. أُمُّه بَرَكَة، أُمُّ أَيمَنَ الحَبَشِيَّة، أَمَةُ المُصطَفَى ﷺ، كَانَ أَبُوهُ زَيدٌ مِن أَحَبِّ النَّاسِ إِلَى قَلبِ النَّبِيِّ ﷺ وَمَوَاقِفُهُ وَهُوَ حَدَثٌ تَدُلُّ عَلَى بُطُولَتِهِ الَّتِي دَفَعَت رَسُولَ اللهِ ﷺ أَن يَختَارَهُ لِيَكُونَ قَائِدًا لِجُيُوشِ المُسلِمِينَ وَهُوَ ابنُ ثَمَان عَشرَةَ سَنَةً، وَبَعدَ وَفَاةِ النَّبِيِّ ﷺ سَكَنَ وَادِي

= حجر، (٧/ ١٢٧).

(١) سورة البينة، آية (١).

(٢) صحيح البخاري، البخاري، المناقب، باب مناقب أبي، (٣٨٠٩، ٣٨١٠)..

(٣) صحيح البخاري، البخاري، باب مناقب أسيد بن خضير وعباد بن بشر، (٣٨٠٥).

(٤) أي الحبيب.

القُرَى[1]. مَاتَ سَنَةَ ثَمانٍ وَخمسِينَ بِالجُرْفِ[2] وَحُمِلَ إِلَى المَدِينَةِ وَدُفِنَ بِالبَقِيعِ. قَالَ عَلَيهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**إِنَّ أُسَامَةَ لَأَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ، وَإِنِّي لَأَرْجُو أَنْ يَكُونَ مِنْ صَالِحِيكُم، فَاسْتَوْصُوا بِهِ خَيْرًا**»[3]. مَاتَ أَثْنَاءَ حُكْمِ مُعَاوِيَةَ.

- **أَوْسُ بنُ ثَابِت بنِ المُنْذِرِ الأَنْصَارِيّ**: أَخُو حَسَّان شاعِرِ المُصطَفَى: شَهِدَ غَزْوَةَ بَدرٍ، قِيلَ: وَالمَشَاهِدَ كُلَّهَا، تُوُفِّي فِي خِلَافَةِ عُثْمَانَ بنِ عَفَّان رضي الله عنه.

- **أَوْسُ بنُ خَوْلِيِّ بنِ عَبدِ اللهِ الأَنصَارِيّ**: شَهِدَ غَزْوَةَ بَدرٍ، قِيلَ: وَالمَشَاهِدَ كُلَّهَا، يُقَالُ إِنَّهُ حَضَرَ غسلَ رَسُولِ اللهِ ﷺ. تُوُفِّيَ فِي زَمَنِ خِلَافَةِ عُثْمَانَ بنِ عَفَّان.

- **الأَرْقَمُ بنُ أَبِي الأَرْقَمِ عَبدِ مَنَافٍ القُرَشِيُّ**: كَانَ مِنَ المُهَاجِرِينَ الأَوَّلِينَ، قَدِيم الإِسلَامِ، سَابعُ سَبعَةٍ مِمَّن أَسلَمَ، كَانَ يُلَازِمُ المُصطَفَى ﷺ فِي دَارِهِ مِن قُرَيشٍ بِمَكَّةَ يَدعُو النَّاسَ فِيهَا إِلَى الإِسلَامِ، شَهِدَ غَزوَةَ بدرٍ، تُوُفِّيَ يَوْمَ تُوُفِّي أَبو بَكْرٍ[4].

- **جَابِرُ بنُ عَبدِ اللهِ، أَبُو عَبدِ الرَّحْمَنِ**: العَالِمُ الفَقِيهُ الحَافِظُ، مُفتِي المَدِينَةِ فِي زَمَانِهِ، حَمَلَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ عِلمًا كَثِيرًا، شَهِدَ بَيعَةَ العَقَبَةِ الثَّانِيَةِ مَعَ أَبِيهِ وَهُوَ صَغِيرٌ، وَشَهِدَ المَشَاهِدَ كُلَّهَا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ إِلَّا

---

(١) موضع بقرب المدينة. **شرح الزرقاني على الموطأ، الزرقاني، (٣/ ٤٨)**.

(٢) قريب من المدينة، على ثلاثة أميالٍ منها إلى جهة الشام. **مطالع الأنوار، (٢/ ١٩٤)**.

(٣) **صحيح مسلم**، مسلم، فضائل زيد وابنه أسامة.

(٤) **أعمار الأعيان**، ابن الجوزي، (٦٣).

غَزْوَةَ بَدرٍ، وَهُوَ مِنَ المُكثِرِينَ مِن رِوَايَةِ الحَدِيثِ، عَن جَابِرٍ قَالَ: أَقْبَلَتْ عِيرٌ يَومَ الجُمُعَةِ وَنَحنُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَانْفَتَلَ النَّاسُ[1] فَلَم يَبقَ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ إِلَّا اثْنَا عَشَرَ رَجُلًا أَنَا مِنهُم، فَأَنزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا﴾[2]، كفَّ بَصرُه فِي ءَاخِرِ عُمرِهِ، وَمَاتَ سَنَةَ أَربَعٍ وَسَبعِينَ وَعُمرُهُ بِضعٌ وَسَبعُونَ سَنَة.

- **جُبَيْرُ بنُ مُطْعِمٍ القُرَشِيُّ**: أَبُو مُحَمَّدٍ، صَحَابِيٌّ عَارِفٌ بِالأَنسَابِ وَيُكْنَى أَيضًا بِأَبِي نَافِعٍ، لَهُ سِتُّونَ حَدِيثًا فِي الكُتُبِ السِّتَّةِ اتَّفَقَ البُخَارِيُّ وَمُسلِمٌ عَلَى سِتَّةٍ وَانفَرَدَ كُلٌّ مِنهُمَا بِحَدِيثٍ. وَكَانَ مِن عُلَمَاءِ قُرَيشٍ، أَسلَمَ يَومَ فَتحِ مَكَّةَ، وَمَاتَ سَنَةَ سَبعٍ وَخَمسِينَ فِي زَمَنِ مُعَاوِيَةَ.

- **الحَارِثُ بنُ خُزَيْمَةَ**: أَبُو بِشْرٍ، شَهِدَ غَزوَةَ بَدرٍ وَمَا بَعدَهَا مِنَ الغَزَوَاتِ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ وَمَاتَ بِالمَدِينَةِ سَنَةَ أَربَعِينَ أَوَّلَ حُكمِ مُعَاوِيَةَ.

- **حَكِيمُ بنُ حِزَامِ بنِ خُوَيْلِد**: ابنُ أَخ السَّيِّدَةِ الجَلِيلَةِ خَدِيجَةَ زَوجِ المُصطَفَى ﷺ: دَخَلَتْ أُمُّهُ الكَعبَةَ وَهِيَ حَامِلٌ بِهِ، فَأَخَذَهَا الطَّلقُ، فَوَلَدَتهُ فِيهَا، أَسلَمَ يَومَ فَتحِ مَكَّةَ، عَاشَ فِي الجَاهِلِيَّةِ سِتِّينَ سَنَةً، وَفِي الإِسلَامِ سِتِّينَ سَنَةً. تُوُفِّيَ سَنَةَ أَربَعٍ وَخَمسِينَ، وَقَد كفَّ بَصرُهُ قَبلَ مَوتِهِ.

- **حَسَّانُ بنُ ثَابِتٍ الأَنصَارِيُّ**: أَبُو الوَلِيدِ، شَاعِرُ رَسُولِ اللهِ ﷺ، مَشهُورٌ بِدِفَاعِهِ عَن رَسُولِ اللهِ ﷺ مُؤَيَّدٌ[3] بِرُوحِ القُدُسِ أَي جِبرِيلَ، قَالَ

---

(١) أي انصرفوا.

(٢) سورة الجمعة، آية (١١).

(٣) أي يعطيه نفحة فيكسر الكفار بشعره.

رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**يَا حَسَّانُ، أَجِبْ عَنْ رَسُولِ اللهِ، اللَّهُمَّ أَيِّدْهُ بِرُوحِ القُدُسِ**»[1]، عَاشَ فِي الجَاهِلِيَّةِ سِتِّينَ سَنَةً وَفِي الإِسلَامِ سِتِّينَ سَنَةً، وَعُمرُهُ مِائَةٌ وَعِشرُونَ، وَكَذَا أَبُوهُ، وَجَدُّهُ، وَأَبُو جَدِّهِ، وَلَا يُعْرَفُ أَربَعَةٌ تَنَاسَلُوا وَتَسَاوَت أَعمَارُهُم هَذَا القَدرِ سِوَاهُم. مَاتَ سَنَةَ أَربَعٍ وَخَمسِينَ أَيَّامَ حُكمِ مُعَاوِيَةَ.

- **الحَجَّاجُ بنُ عِلَاطٍ السُّلَمِيُّ**: أَبُو مُحَمَّدٍ، هُوَ الَّذِي بَشَّرَ العَبَّاسَ بِفَتحِ خَيبَرَ، سَكَنَ المَدِينَةَ، وَبَنَى فِيهَا دَارًا وَمَسجِدًا، شَهِدَ غَزوَةَ خَيبَرَ.

- **حَاطِبُ بنُ أَبِي بَلْتَعَةَ اللَّخْمِيُّ**: أَبُو عَبدِ اللهِ[2]، هُوَ الصَّحَابِيُّ الجَلِيلُ الَّذِي شَهِدَ اللهُ لَهُ بِالإِيمَانِ فِي قَولِهِ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ﴾[3]، وَذَلِكَ أَنَّ حَاطِبًا كَتَبَ إِلَى أَهلِ مَكَّةَ قَبلَ حَرَكَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ إِلَيهَا عَامَ الفَتحِ يُخبِرُهُم بِبَعضِ مَا يُرِيدُ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِهِم مِنَ الغَزوِ إِلَيهِم، وَبَعَثَ امرَأَةً، فَنَزَلَ جِبرِيلُ عليه السلام بِذَلِكَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فَبَعَثَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي طَلَبِ المَرأَةِ عَلِيًّا وَمَعَهُ المِقدَادُ بنِ الأَسوَدِ، فَأَدرَكَاهَا وَأَخَذَا الكِتَابَ. وَوَافَقَ النَّبِيُّ ﷺ حَاطِبًا، فَاعتَذَرَ إِلَيهِ وَقَالَ: مَا فَعَلتُهُ رَغبَةً عَن دِينِي، فَنَزَلَتِ الآيَةُ السَّابِقَة، وَأَرَادَ عُمَرُ قَتلَهَ، قَالَ لَهُ الرَّسُولُ ﷺ: «**إِنَّهُ شَهِدَ بَدْرًا**»[4]، شَهِدَ غَزوَةَ بِدرٍ وَالحُدَيبِيَةَ، وَهِيَ بَيعَةُ الرِّضوَان، مَاتَ سَنَةَ ثَلاثِينَ، وَعُمرُهُ خَمسٌ وَسِتُّونَ سَنَةً، وَصَلَّى عَلَيهِ

---

(١) صحيح مسلم، مسلم، فضائل الصحابة، فضائل حسان بن ثابت، (٢٤٨٥).

(٢) سير أعلام النبلاء، الذهبي، (٢/ ٤٥).

(٣) سورة الممتحنة، آية (١).

(٤) صحيح البخاري، البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب الجاسوس، (٣٠٠٧). صحيح مسلم، مسلم، كتاب فضائل الصحابة، من فضائل أهل بدر، (٢٤٩٥).

عُثْمَانُ بنُ عَفَّان.

- **حُوَيْطِبُ بنُ عَبْدِ العُزَّى القُرَشِيُّ**: أَسلَمَ يَومَ فَتحِ مَكَّةَ، أدركَهُ الإِسلَامُ وَهُوَ ابنُ سِتِّينَ سَنَة، شَهِدَ غَزوَةَ حُنَينٍ وَالطَّائِف، وَأَعطَاهُ المُصطَفَى ﷺ مِن غَنَائِمِ حُنَينٍ مِائَةَ بَعِيرٍ، مَاتَ بِالمَدِينَةِ وَعُمرُهُ مَائِةٌ وَعشرُونَ.

- **خَبَّابُ مَوْلَى عُتْبَةَ**: مَوْلَى عُتبَةَ بنِ غَزوَان - أَبُو يَحيَى، شَهِدَ بَدرًا مَعَ مَولَاهُ عُتبَةَ بنِ غَزوَان، مَاتَ سَنَةَ تِسعَ عَشرَةَ فِي خِلَافَةِ عُثمَانَ بنِ عَفَّان.

- **خُفَافُ بنُ إِيمَاء الغِفَارِيُّ**: هُوَ وَأَبُوه وَجَدُّهُ صَحَابَة، شَهِدَ الحُدَيبِيَةَ، وَهِيَ بَيعَةُ الرِّضوَان. المُشَارُ إِلَيهِ بِقَولِهِ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾[1]. توفي في خلافة عمر.

- **خُوَيْلِدُ بنُ عَمْرٍو أَبُو شُرَيْحٍ الخُزَاعِيُّ**: أَسلَمَ قَبلَ الفَتحِ، تُوُفِّيَ سَنَةَ ثَمَانٍ وَسِتِّينَ.

- **خَوَّاتُ بنُ جُبَيْرٍ أَبُو عَبدِ اللهِ**: أَحَدُ فُرسَانِ النَّبِيِّ ﷺ، شَهِدَ غَزوَةَ بَدرٍ، كَانَ يَخضِبُ بِالحِنَّاء وَالكَتَمِ[2]، تُوُفِّيَ سَنَةَ أَربَعِينَ وَعُمرُهُ أَربَعَةٌ وَسِتُّونَ.

- **زَيْدُ بنُ خَالِدٍ الجُهَنِيُّ**: كَانَ صَاحِب لِوَاءِ جُهَينَةَ يَومَ فَتحِ مَكَّةَ، مَاتَ سَنَةَ ثَمَانٍ وَسِتِّينَ وَعُمرُهُ خَمسَةٌ وَثَمَانُونَ سَنَة.

- **سَلَمَةُ بنُ سَلَامَةَ بنِ وَقْشٍ الأَنصَارِيُّ**: مِن فُضَلَاءِ الصَّحَابَةِ، وَمِن أَصحَابِ البَاعِ الطَّوِيلِ فِي الجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللهِ، شَهِدَ كُلَّ الغَزَوَاتِ مَعَ

---

(١) سورة الفتح، آية (١٨).

(٢) هو نبت يخلط بالوسمة ويصبغ به الشعر أسود. شرح المشكاة، الطيبي، (٩/ ٢٩٣٢).

رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَالفُتُوحَاتِ مَعَ أَبِي بَكرٍ، أَحَدُ السَّبعِينَ فِي بَيعَةِ العَقَبَةِ الثَّالِثَةِ، شَهِدَ بَدرًا، وَالمَشَاهِدَ كُلَّهَا مَعَ المُصطَفَى ﷺ، استعمَلَهُ عُمَرُ عَلَى اليَمَامَةِ، تُوُفِّيَ وَعُمرُهُ سَبعُونَ سَنَة.

- **سَلَمَة بنُ يَزِيد الأَكْوَع**: مِمَّن بَايَعَ تَحتَ الشَّجَرَةِ بيعَةَ الرِّضوَانِ، غَزَا مَعَ المُصطَفَى ﷺ سَبعَ غَزَوَاتٍ وَكَانَ شُجَاعًا، خَيّرًا، رَامِيًا، فَاضِلًا، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَومًا: «**خَيْرُ فُرْسَانِنَا اليَوْمَ أَبُو قَتَادَةَ وَخَيْرُ رَجَّالَتِنَا سَلَمَةُ**»[1]. تُوُفِّيَ سَنَةَ أَربَعٍ وَسَبعِينَ وَعُمرُهُ ثَمَانُونَ سَنَةً.

- **سَهْلُ ابنُ بَيْضَاء**: أَخَوَاهُ سُهَيلٌ وَصَفوَان، نُسِبَ إِلَى أُمِّهِ البَيضَاء، وَاسمُهَا دَعْدُ بِنتُ الجَحْدَمِ الفِهْرِيَّة، وَأَمَّا أَبُوهُ فَهُوَ وَهْبُ بنُ رَبِيعَةَ بنِ هِلَال، أَسلَمَ سَهلُ ابنُ البَيضَاءِ بِمَكَّةَ وَأَخفَى إِسلَامَهُ، فَأَخرَجَتهُ قُرَيشٌ مَعَهَا إِلَى بَدرٍ فَأُسِرَ يَومَئِذٍ مَعَ المُشرِكِينَ، فَشَهِدَ لَهُ عَبدُ اللهِ بنُ مَسعُودٍ أَنَّهُ رَءَاهُ بِمَكَّةَ يُصَلِّي فَخُلِّيَ عَنهُ. مَاتَ فِي حَيَاةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ.

- **سَهْلُ بنُ سَعدٍ السَّاعِدِيُّ الأَنصَارِيُّ**: خَزرَجِيٌّ أَنصَارِيٌّ مِن أَهلِ الإِتقَانِ، تُوُفِّيَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَهُوَ ابنُ خَمسَةَ عَشرَ سَنَة، كَانَ اسمُهُ حَزَنًا، فَسَمَّاهُ المُصطَفَى ﷺ سَهلًا، تُوُفِّيَ سَنَةَ ثَمَانٍ وَثَمَانِينَ، وَعُمرُهُ إِحدَى وَثَمَانُونَ سَنَةً، يُقَالُ إِنَّهُ آخِرُ مَن بَقِيَ بِالمَدِينَةِ مِن أَصحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ.

- **سَهْلُ بنُ أَبِي حَثْمَةَ الأَنْصَارِيُّ**: وُلِدَ سَنَةَ ثَلَاثَة هِجرِيَّة، وَقَالَ ابنُ القَطَّانِ: اتَّفَقَ الأَئِمَّةُ عَلَى أَنَّهُ قُبِضَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَهُوَ ابنُ ثَمَان سِنِينَ، لَكِنَّهُ حَفِظَ عَنهُ وَأَتقَنَ وَرَوَى، وَمَاتَ فِي أَيَّامِ حُكمِ مُعَاوِيَةَ.

---

(١) صحيح مسلم، مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب غزوة ذي قرد وغيرها، (١٨٠٧).

- **السَّائِبُ بنُ يَزِيدَ الكِنَانِيُّ:** وُلِدَ فِي السَّنَةِ الثَّانِيَةِ مِنَ الهِجرَةِ، دَعَا لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَمَسَحَ رَأْسَهُ، ثُمَّ تَوَضَّأَ فَشرِبَ مِن مَاءِ وَضُوئِهِ، ثُمَّ قَامَ خَلفَ النَّبِيِّ ﷺ فَنظَرَ إِلَى خَاتَمِ النُّبُوَّةِ بينَ كَتِفَيهِ كَأَنَّهُ زِرُّ الحَجلَة، تُوُفِّي سَنَةَ ثَمَانِينَ، وَعُمرُهُ تِسعُونَ سَنَةً، وَأَبُوهُ يَزِيد صَحَابِيٌّ.

- **سُهَيْلُ بنُ بَيضَاءَ الفِهْرِيُّ:** هَاجَرَ إِلَى الحَبَشَةِ حَتَّى فَشَا الإِسلَامُ، ثُمَّ قَدِمَ مَكَّةَ، وَهَاجَرَ إِلَى المَدِينَةِ، فَجَمَعَ بَينَ فَضِيلَتَي الهِجرَتَينِ، وَصَلَّى إِلَى القِبلَتَينِ، وَشَهِدَ سُهَيلٌ بَدْرًا وَهُوَ ابنُ أَربَعٍ وَثَلَاثِينَ سَنَةً وَشَهِدَ أُحُدًا، وَمَاتَ بَعدَ رُجُوعِ رَسُولِ اللهِ ﷺ مِن تَبُوكٍ بِالمَدِينَةِ سَنَةَ تِسعٍ.

وَهُوَ الَّذِي صَلَّى عَلَيهِ النَّبِيُّ ﷺ فِي المَسجِدِ.

- **صُهَيْبُ بنُ سِنَانٍ الرُّومِيُّ:** كَانَ إِسلَامُهُ قَدِيمًا، شَهِدَ غَزوَةَ بَدرٍ، هَاجَرَ مَعَ عَلِيٍّ إِلَى المَدِينَةِ، وَشَهِدَ غَزَوَاتِ النَّبِيِّ ﷺ كُلَّهَا مَعَهُ، وَهُوَ مِنَ السَّابِقِينَ الأَوَّلِينَ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلْيُحِبَّ صُهَيْبًا حُبَّ الوَالِدَةِ لِوَلَدِهَا**»[1].

عَن سَعِيدِ بنِ المُسَيَّبِ قَالَ: لَمَّا أَقْبَلَ صُهَيْبٌ مُهَاجِرًا نَحْوَ النَّبِيِّ ﷺ، فَاتَّبَعَهُ نَفَرٌ مِنْ قُرَيشٍ نَزَلَ عَن رَاحِلَتِهِ وَانْتَشَلَ مَا فِي كِنَانَتِهِ، ثُمَّ قَالَ: يَا مَعشَرَ قُرَيشٍ لَقَد عَلِمتُم أَنِّي مِن أَرمَاكُم رَجُلًا، وَايمُ اللهِ لَا تَصِلُونَ إِلَيَّ حَتَّى أَرمِيَ بِكُلِّ سَهم مَعِي فِي كِنَانَتِي، ثُمَّ أَضرِبُ بِسَيفِي مَا بَقِيَ فِي يَدِي مِنهُ شَيءٌ، افعَلُوا مَا شِئتُم، دَلَلْتُكُمْ عَلَى مَالِي وَثِيَابِي بِمَكَّةَ وَخَلَّيتُم سَبِيلِي؟ قَالُوا: نَعَم. فَلَمَّا قَدِمَ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ المَدِينَةَ قَالَ: «رَبِحَ

---

(١) **الجامع الكبير**، السيوطي، حرف الميم، (٢٣٦٣٩). **صحيح مسلم**، مسلم، كتاب الفضائل باب فضل صهيب.

البَيْعُ أَبَا يَحْيَى، رَبِحَ البَيْعُ أَبَا يَحْيَى»[1]. قَالَ: وَنَزَلَتْ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ﴾[2].

مَاتَ سَنَةَ ثَمَانِيَة وَثَلَاثِينَ، وَعُمرُهُ ثَلاثٌ وَسَبعُونَ.

- **صَخْرُ بنُ حَرْبٍ أَبُو مُعَاوِيَةَ**: أَسلَمَ يَومَ الفَتحِ وَشَهِدَ غَزوَةَ حُنَينٍ مُسلِمًا، رُمِيَ بِسَهمٍ فِي غَزوَةِ الطَّائِفِ، فَفُقِئَت عَينُهُ، وَفُقِئَتِ الأُخرَى فِي غَزوَةِ اليَرمُوكِ أَيَّامَ خِلَافَةِ أَبِي بَكرٍ، كَانَ لَهُ عَبدٌ يَقُودُهُ لمَّا عَمِيَ، مَاتَ سَنَةَ ثَلَاثِينَ وَعُمرُهُ ثَمَانٍ وَثَمَانُونَ، وَقِيلَ ثَلاثُ وَتِسعُونَ.

- **عَبْدُ اللهِ ابنُ بُحَيْنَةَ**: مَنسُوبٌ إِلَى أُمِّهِ بُحَيْنَةَ وَهِيَ بِنتُ الحَارِثِ بنِ المُطَّلِبِ بنِ عَبدِ مَنَافٍ، كَانَ نَاسِكًا، فَاضِلًا، صَائِمَ الدَّهرِ، أَمَّا أَبُوهُ فَاسمُهُ مَالِكٌ مِنَ الأَزدِ. مَاتَ عَبدُ اللهِ سَنَةَ بِضعٍ وَخَمسِينَ.

- **عَبدُ اللهِ بنِ ثَابِتٍ الأَنصَارِيُّ**: تَجَهَّزَ لأَن يَغزُوَ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَمَاتَ قَبلَ خُرُوجِهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ اللهَ أَوْقَعَ أَجْرَهُ عَلَى قَدْرِ نِيَّتِهِ**»[3].

- **عَبْدُ اللهِ بنُ كَعْبٍ الأَنصَارِيُّ**: مِن قُرَّاءِ القُرءَانِ، كَانَ عَلَى غَنَائِمِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، شَهِدَ المَشَاهِدَ كُلَّهَا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَتُوُفِّيَ سَنَةَ ثَلَاثِينَ.

- **عَمْرُو بنُ أَبِي سَرْحٍ القُرَشِيُّ**: هَاجَرَ إِلَى المَدِينَةِ، قَدِيمَ الإِسلَامِ، شَهِدَ

---

(١) المستدرك، الحاكم، كتاب معرفة الصحابة، ذكر هجرة صهيب بن سنان.

(٢) سورة البقرة، آية (٢٠٧).

(٣) موطأ مالك، مالك كتاب الجنائز، باب النهي عن البكاء على الميت. **مسند أحمد**، أحمد، مسند الأنصار، حديث جابر بن عتيك.

غَزْوَةَ بَدرٍ، وَشَهِدَ المَشَاهِدَ كُلَّهَا، مَاتَ فِي خِلَافَةِ عُثمَانَ بنِ عَفَّان.

- **عَمْرُو بنُ أُمَيَّةَ الضَّمْرِيُّ**: أَسلَمَ عَامَ غَزوَةِ أُحُدٍ سَنَةَ ثَلَاثٍ، كُنيَتُهُ أَبُو أُمَيَّةَ، كَانَ يَبعَثُهُ المُصطَفَى ﷺ فِي أُمُورِهِ.

- **عَمْرُو بنُ حَزْم بنِ زَيدٍ الأَنْصَارِيُّ**: أَوَّلُ مَشَاهِدِهِ غَزوَةُ الخَندَقِ، استَعمَلَهُ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى نَجرَان وَهُوَ ابنُ سَبع عَشرَةَ سَنَة، تُوُفِّيَ سَنَةَ إِحدَى وَخَمسِينَ وَعُمرُهُ بِضعٌ وَسِتُّونَ سَنَةً.

- **عُقْبَةُ بنُ عَمْرٍو**: وَهُوَ أَنصَارِيٌّ، شَهِدَ العَقَبَةَ، وَشَهِدَ غَزوَةَ أُحُدٍ وَمَا بَعدَهَا مِنَ المَشَاهِدِ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، مَاتَ سَنَةَ إِحدَى أَوِ اثْنَتَينِ وَأَربَعِين.

- **عُقْبَةُ بنُ مَسعُودٍ الهُذَلِيُّ**: أَسلَمَ قَدِيمًا، وَهَاجَرَ إِلَى الحَبَشَةِ، ثُمَّ قَدِمَ فَشَهِدَ غَزوَةَ أُحُدٍ وَمَا بَعدَهَا مِنَ الغَزَوَاتِ مَعَ المُصطَفَى ﷺ، تُوُفِّيَ فِي خِلَافَةِ عُمَر.

- **عَلْقَمَةُ بنُ وَقَّاصٍ اللَّيثِيُّ**: وُلِدَ عَلَى عَهدِ المُصطَفَى ﷺ وَتُوُفِّيَ زَمَنَ عَبدِ المَلِكِ بنِ مَروَان.

- **قَيسُ بنُ سَعدِ بنِ عُبَادَةَ الأَنصَارِيُّ أَبُو الفَضْلِ**: صَحَابِيٌّ ابنُ صَحَابِيٍّ، مِن أَكرَم أَصحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَأَهلِ الرَّأيِ وَالمَكِيدَةِ فِي الحَربِ، شَرِيفُ قَومِهِ مِن غَيرِ مُدَافِعٍ، لَزِمَ المَدِينَةَ بَعدَ مَقتَلِ عَلِيٍّ، حَتَّى مَاتَ سَنَةَ سِتِّينَ ءَاخِرَ حُكمِ مُعَاوِيَةَ.

- **قَتَادَةُ بنُ النُّعْمَانِ الأَنصَارِيُّ**: أَبُو عَمرٍو، شَهِدَ العَقَبَةَ، وَشَهِدَ غَزوَةَ بَدرٍ وَسَائِرَ الغَزَوَاتِ بَعدَهَا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، أُصِيبَت عَينُهُ فِي غَزوَةِ أُحُدٍ فَرَدَّهَا المُصطَفَى ﷺ إِلَى مَكَانِهَا فَعَادَت أَحسَنَ مَا كَانَت، مَاتَ سَنَةَ

ثَلاثٍ وَعِشْرِينَ وَعُمرُهُ خَمسٌ وَسِتُّونَ.

سَأَل عُمَرُ بنُ عَبْدِ العَزِيزِ رَجُلًا مِن وَلَدِ قَتَادَةَ بنِ النُّعمَانِ لمَّا قَدِمَ عَلَيهِ قَالَ: مِمَّن الرُّجُل؟ فَقَالَ:

أَنَا ابْنُ الَّذِي سَالَتْ عَلَى الْخَدِّ عَيْنُهُ
فَرُدَّتْ بِكَفِّ المُصْطَفَى أَحْسَنَ الْرَّدِّ
فَعَادَتْ كَمَا كَانَتْ لِأَوَّل أَمْرِهَا
فَيَا حُسْنَ مَا عَيْنٍ وَيَا حُسْنَ مَا رَدِّ

- **كَعْبُ بنُ مَالِكٍ الأنصَارِيُّ**: أَبُو عَبدِ اللهِ، شَهِدَ العَقَبَةَ، أَحَدُ شُعَرَاءِ المُصطَفَى ﷺ الَّذِينَ كَانُوا يَرُدُّونَ أَذَى المُشرِكِينَ عَنهُ بِشِعرِهِم، وَهُوَ أَحَدُ الثَّلاثَةِ الأنصَارِ الَّذِينَ تَخَلَّفُوا عَن غَزوَةِ تَبُوكَ وَتَابَ اللهُ عَلَيهِم بِقَولِهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ﴾ الآية [1]، مَاتَ سَنَةَ خَمسِينَ.

- **كَعْبُ بنُ عُجْرَةَ بنِ أُمَيَّةَ الأنصَارِيُّ حِلْفًا**: تَأَخَّرَ إِسلَامُهُ، وَكَانَت أَوَّلَ مُشَاهَدَة لَهُ بَيعَة الرِّضوَانِ، وَهُوَ القَائِلُ: قَد عَلِمْنَا كَيفَ نُسَلِّمُ عَلَيْكَ فَكَيْفَ نُصَلِّي عَلَيْكَ؟، قَالَ ﷺ: **«قُولُوا: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى ءَالِ مُحَمَّدٍ كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى ءَال إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، اللَّهُمَّ بَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى ءَالِ مُحَمَّدٍ كَمَا بَارَكْتَ عَلَى ءَال إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ»**[2]. مَاتَ سَنَةَ ثَلاثٍ وَخَمسِينَ وَعُمرُهُ يَومَئِذٍ خَمسٌ وَسَبعُونَ سَنَة.

---

(١) سورة التوبة، آية (١١٨).

(٢) صحيح مسلم، مسلم، كتاب الصلاة، باب الصلاة على النبي ﷺ بعد التشهد، (٤٠٦). مسند أحمد، أحمد، أول مسند الكوفيين، حديث كعب بن عجرة، (١٨١٣٣).

- **مُحَمَّدُ بنُ مَسْلَمَةَ الأَنصَارِيُّ**: شَهِدَ غَزوَةَ بَدرٍ، وَسَائِرَ الغَزَوَاتِ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، قَتَلَ كَعْبَ بنَ الأَشرَفِ اليَهُودِيِّ الَّذِي كَانَ شَدِيدَ العَدَاوَةِ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ.

- **مُحَمَّدُ بنُ أَبِي جَهْمِ بنِ حُذَيفَةَ**: وُلِدَ عَلَى عَهدِ المُصطَفَى ﷺ، قُتِلَ يَومَ الحَرَّةِ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَسِتِّينَ وَعُمرُهُ نَحوُ ذَلِكَ.

- **مُحَمَّدُ بنُ أُبَيِّ بنِ كَعبٍ**: أَبُوهُ أَقرَأُ الصَّحَابَةِ لِكِتَابِ اللهِ، قُتِلَ يَومَ الحَرَّةِ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَسِتِّينَ وَعُمرُهُ كَذَلِكَ.

- **مُحَمَّدُ بنُ عَمْرِو بنِ حَزمٍ الأَنصَارِيُّ**: قُتِلَ يَومَ الحَرَّةِ وَعُمرُهُ ثَلَاثٌ وَخَمسُونَ.

- **مُعَاذُ بنُ الحَارِثِ الأَنصَارِيُّ**: أَخُو مُعَوَّذ بنِ الحَارِثِ، يُقَالُ لَهُمَا: ابنَا عَفرَاء، كَانَت عَفرَاءُ أُمَّهُمَا، مِن بَنِي النَّجَّارِ، وَيُعرفُ بِالقَارِئِ وَهُوَ مَدَنِيٌّ، وَشَهِدَ يَومَ الجِسرِ، وَشَهِدَ غَزوَةَ الخَندَقِ، قُتِلَ يَوْمَ الحَرَّةِ فِي المَدِينَةِ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَسِتِّينَ.

- **مَالِكُ بنُ عَمْرو بنِ عَتِيك**: مَاتَ يَومَ الجُمُعَةِ حِينَ خُرُوجِهِ ﷺ إِلَى غَزوَةِ أُحُدٍ وَذَلِكَ سَنَةَ ثَلَاثٍ.

- **مَالِكُ بنُ رَبِيعَةَ الأَنصَارِيُّ**: شَهِدَ غَزوَةَ بَدرٍ وَسَائِرَ الغَزَوَاتِ مَعَ المُصطَفَى ﷺ، مَاتَ سَنَةَ سِتِّينَ بَعدَ أَن كُفَّ بَصرُهُ، وَعُمرُهُ خَمسٌ وَسَبعُونَ.

- **مُغِيرَةُ بنُ الأَخنَسِ الثَّقَفِيُّ**: قُتِلَ مَعَ عُثمَانَ بنِ عَفَّان يَومَ الدَّار.

- **مَعْقِلُ بنُ سِنَان الأَشْجَعِيُّ**: كَانَ فَاضِلًا تَقِيًّا، قُتِلَ يَومَ الحَرَّةِ، شَهِدَ فَتحَ مَكَّةَ.

- **مَخْرَمَةُ بنُ نَوْفَلٍ القُرَشِيُّ**: أسلَمَ يَومَ فتحِ مَكَّةَ، كُنيَتُهُ أَبُو صَفْوَان، كَانَ عَالِمًا بِالأنسَابِ، شَهِدَ غَزوَةَ حُنَينٍ، مَاتَ سَنَةَ أربَعٍ وَخَمسِينَ بَعدَ أن كفَّ بَصرُهُ فِي وِلَايَةِ مُعَاوِيَةَ بنِ أَبِي سُفيَانَ وَعُمرُهُ مِائَةٌ وَأربَعَ عَشْرَةَ سَنَة.

- **المِقْدَادُ بنُ الأَسْوَدِ الحَضرَمِيُّ**: قَدِيمَ الإسلَامِ، شَهِدَ بَدرًا، أَوَّلُ مَن أَظهَرَ إِسلَامَهُ بِمَكَّةَ سَبعَة مِنهُمُ المِقدَاد، هَاجَرَ الهِجرَتَينِ، وَصَلَّى إِلَى القِبلَتَينِ، وَشَهِدَ مَعَ المُصطفَى ﷺ جَمِيعَ غَزَوَاتِهِ.

وَعَن طَارِقِ بنِ شِهَابٍ قَالَ: قَالَ عَبدُ اللهِ بنِ مَسْعُودٍ: «شَهِدْتُ مِنَ المِقْدَادِ بنِ الأَسْوَدِ مَشْهَدًا، لَأَنْ أَكُونَ صَاحِبَهُ أَحَبُّ إِلَيَّ ممَّا عُدِلَ بِهِ؛ أَتَى النَّبِيَّ ﷺ وهو يَدْعُو علَى المُشْرِكِينَ، فَقَالَ: لا نَقُولُ كما قَالَ بَنُو إِسرَائِيلَ لِمُوسَى: ﴿فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَآ إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾[1].

ولكننا نُقَاتِلُ عن يَمِينِكَ، وعَنْ شِمَالِكَ، وبيْنَ يَدَيْكَ وخَلْفَكَ. فَرَأَيْتُ النَّبيَّ ﷺ أَشْرَقَ وَجهُهُ وَسَرَّهُ ذَلِكَ»[2].

ثَبَتَ يَومَ بَدرٍ وَقَاتَلَ وَأَبْلَى فِي ذَلِكَ اليَومِ بَلَاءً حَسَنًا، مَاتَ بِأَرْضِهِ بِالجُرْفِ، وَحُمِلَ إِلَى المَدِينَةِ عَلَى أَعنَاقِ الرِّجَالِ وَذَلِكَ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَثَلَاثِينَ وَعُمرُهُ سَبعُونَ سَنَة.

- **نَوْفَلُ بنُ مُعَاوِيَةَ الدِّيلِيُّ**: مِن بَنِي الدِّيلِ بنِ بَكرِ بنِ عَبدِ مَنَاةِ بنِ كِنَانَةَ، عُمِّرَ فِي الإِسلَامِ سِتِّينَ سَنَةً وَفِي الجَاهِلِيَّةِ سِتِّينَ سَنَةً. أَوَّلُ مَشَاهِدِهِ فَتح

---

(١) سورة المائدة، آية (٢٤).

(٢) صحيح البخاري، البخاري، كتاب المغازي، (٣٩٥٢). مسند أحمد، أحمد، مسند عبد الله بن مسعود، (٣٦٩٨).

مَكَّةَ، حَجَّ مَعَ أَبِي بَكرٍ الصِّدِّيقِ سَنَةَ تِسعٍ، وَحَجَّ مَعَ المُصطَفَى ﷺ حَجَّةَ الوَدَاعِ سَنَةَ عَشرٍ، تُوُفِّيَ سَنَةَ إِحدَى وَسِتِّينَ أَو يَزِيد.

- **هِنْدُ بنُ حَارِثَةَ الأَسْلَمِيُّ**: حَجَازِيٌّ، شَهِدَ بَيعَةَ الرِّضوَانِ مَعَ إِخْوَةٍ لَهُ سَبعَة، وَلَم يَشهَدهَا إِخوَةٌ بِعَدَدِهِم غَيْرُهُم، سَكَنَ المدينة، وَمَاتَ فِي حُكمِ مُعَاوِيَةَ.

- **أَبُو شَرِيحٍ الكَعْبِيُّ الخُزَاعِيُّ**: اسمُهُ كَعْبُ بنُ عَمرٍو، حَمَلَ لِوَاءَ قَومِهِ يَومَ الفَتحِ، وَمَاتَ سَنَةَ ثَمَانٍ وَسِتِّينَ.

- **أَبُو هُرَيْرَةَ الدَّوْسِيُّ**: اسمُهُ عَبدُ الرَّحمَنِ بنُ صَخرٍ عَلَى الأَصَحِّ، وَهُوَ صَحَابِيٌّ جَلِيلٌ، ثَبتٌ، ثِقَةٌ، حَافِظٌ، كَانَ مِن أَوعِيَةِ العِلمِ، وَمِن كِبَارِ أَئِمَّةِ الفَتوَى مَعَ الجَلَالَةِ وَالعِبَادَةِ وَالتَّوَاضُعِ. أَكثَرُ الصَّحَابَةِ حَدِيثًا وَحِفظًا مَعَ تَأَخُّرِ إِسلَامِهِ. إِسلَامُهُ كَانَ سَنَةَ سَبعٍ عَامَ غَزوَةِ خَيبَر. رَوَى عَنهُ خَلْقٌ كَثِيرٌ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ، أَكثَر مِن ثَمَانِمائَةِ حَدِيثٍ، وَرَوَى عَنِ الرَّسُولِ ﷺ نَحو خَمسةَ آلاف حَدِيث. قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: قُلتُ يَا رَسُولَ اللهِ، ادْعُ اللهَ أَن يُحَبِّبَنِي وَأُمِّي إِلَى عِبَادِهِ المُؤْمِنِينَ وَيُحَبِّبَهُم إِلَينَا. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**اللَّهُمَّ حَبِّبْ عُبَيْدَكَ هَذَا وَأُمَّهُ إِلَى عِبَادِكَ المُؤْمِنِينَ، وَحَبِّبْ إِلَيْهِمُ المُؤْمِنِينَ**»[1]. فَمَا خُلِقَ مُؤْمِنٌ يَسْمَعُ بِي وَلَا يَرَانِي أَو يَرَى أُمِّي إِلَّا وَهُوَ يُحِبُّنِي[2].

قَالَ أَبُو هُرَيرَةَ: حَدَّثَنَا النَّبِيُّ ﷺ يومًا فَقَالَ: «**مَن يَبْسُطْ ثَوْبَهُ حَتَّى**

---

(١) صحيح مسلم، مسلم، كتاب فضائل الصحابة، من فضائل أبي هريرة الدوسي (٢٤٩١).
(٢) مسند أحمد، الإمام أحمد، مسند أبي هريرة، (٨٢٥٩).

أَفْرُغَ مِن حَدِيثِي ثُمَّ يَقْبِضُهُ إِلَيْهِ فَإِنَّهُ لَيْسَ يَنْسَى شَيْئًا سَمِعَهُ مِنِّي أَبَدًا»[1] فَبَسَطْتُ ثَوْبِي أَو قَالَ نَمِرَتِي. ثُمَّ حَدَّثَنَا فَقَبَضتُهُ إِلَيَّ، فَوَاللهِ مَا نَسِيتُ شَيئًا سَمِعتُهُ مِنهُ، وَايْمُ اللهِ لَوْلَا ءَايَةٌ مِن كِتَابِ اللهِ مَا حَدَّثْتُكُم بِشَيءٍ أَبَدًا: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ﴾[2].

مَاتَ بِالمَدِينَةِ سَنَةَ سَبعٍ وَخَمسِينَ وَدُفِنَ بِالبَقِيعِ، وَعُمرُهُ ثَمَانٍ وَسَبعُون.

- **عُمَيْرُ بنُ سَعْدِ بنِ عُبَيْدِ بنِ النُّعْمَانِ بنِ قَيسٍ**: صَحِبَ رَسُولَ اللهِ ﷺ، وَوَلَّاهُ عُمَرُ حِمْصَ، وَلَمَّا مَاتَ وَدُفِنَ فِي البَقِيعِ بَلَغَ ذَلِكَ سَيِّدَنَا عُمَر فَخَرَج يَمشِي إِلَى أَن وَصَلَ إِلَى قَبرِهِ، فَقَالَ لأَصحَابِهِ: لِيَتَمَنَّ كُل رَجُلٍ مِنكُم بِأُمْنِيَّةٍ. فَقَالَ رَجُلٌ: يَا أَمِيرَ المُؤمِنِينَ وَدِدْتُ أَنَّ عِندِي مَالًا فَأُعتِقَ لِوَجهِ اللهِ كَذَا وَكَذَا، وَقَالَ ءَاخَرٌ: وَدِدتُ أَنَّ عِندِي مَالًا فَأُنفِقَ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَقَالَ ءَاخَرٌ: وَدِدْتُ أَنَّ لِي قُوَّةً فأمتَح بِدَلوِ زَمزَم لِحُجَّاجِ بَيتِ اللهِ، فَقَالَ عُمَرُ بنُ الخَطَّابِ: وَدِدْتُ أَنَّ لِي رَجُلًا مِثلَ عُمَيرِ بنِ سَعدٍ أَستَعِينُ بِهِ فِي أَعمَالِ المُسلِمِين.

- **زَيْدُ بنُ ثَابِت بنِ الضَّحَّاكِ**: قَدِمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ المَدِينَةَ وَهُوَ ابنُ إِحدَى عَشرَةَ سَنَة وَأُجِيزَ فِي الخَندَقِ، وَكَانَ يَكتُبُ الوَحيَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ. وَأَمَرَهُ أَبُو بَكرٍ الصِّدِّيقُ أَن يَجمَعَ القُرءَانَ وَأَمَرَهُ عُثمَانُ فَكَتَبَ المُصحَفَ وَأُبيُّ بنُ كَعبٍ يُمْلِي عَلَيهِ. مَاتَ فِي المَدِينَةِ وَهُوَ ابنُ خَمسٍ وَأَربَعِينَ وَقِيلَ غَير هَذَا.

---

(١) صحيح البخاري، البخاري، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، (٧٣٥٤). صحيح مسلم، مسلم، كتاب فضائل الصحابة، من فضائل أبي هريرة الدوسي، (٢٤٩٢).

(٢) سورة البقرة، آية (١٥٩).

- **أَبُو اليُسْرِ الأَنصَارِيُّ**: اسمُهُ كَعبٌ، شَهِدَ العَقَبَةَ وَغَزوَةَ بَدرٍ، مَاتَ سَنَةَ خَمسٍ وَخَمسِينَ بِالمَدِينَةِ، وَدُفِنَ بِالبَقِيعِ.

- **أُمُّ رُومَان زَوجَةُ أَبِي بَكرٍ الصِّدِّيق**: أُمُّ عَائِشَةَ، وَعَبد الرَّحْمَنِ، تُوُفِّيَت عَلَى عَهدِ المُصطَفَى ﷺ، وَنَزَلَ قَبرَهَا، وَاستَغفَرَ لَهَا، وَقَالَ: **«مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى امْرَأَةٍ مِنَ الحُورِ العِينِ فَلْيَنْظُرْ إِلَى أُمِّ رُومَان»**[1].

- **أُمُّ سُلَيم بنتُ مِلْحَان**: اسْمُهَا سَهْلَةُ، وَيُقَالُ: الرُّمَيْصَاءُ، وَيُقَالُ: أُنَيفَة، وَيُقَالُ: رُمَيْثَة، أُمُّ أَنَسِ بنِ مَالِكٍ، كَانَ المُصطَفَى ﷺ كَثِيرًا مَا يَقِيلُ عِندَهَا. هِيَ الَّتِي سَأَلَت النَّبِيَّ ﷺ بِقَولِهَا: إِنَّ اللهَ لَا يَستَحْيِي مِنَ الحَقِّ، فَهَل عَلَى المَرأَةِ مِن غُسْلٍ إِذَا احْتَلَمَت؟ قَالَ: **«نَعَمْ إِذَا رَأَتِ المَاءَ»**[2].

- **سُبَيْعَةُ بِنتُ الحَارِثِ الأَسْلَمِيَّة**: امرَأَةُ سَعدِ بنِ خَولَة، رَوَى عَنهَا فُقَهَاءُ المَدِينَةِ وَالكُوفَةِ، وَهِيَ الَّتِي رَوَت عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: **«إِذَا وَضَعَتِ المَرأَةُ حَمْلَهَا فَقَد انْقَضَتْ عِدَّتُهَا»**[3] فِي المَرأَةِ الَّتِي مَاتَ زَوجُهَا عَنهَا وَهِيَ حَامِلٌ.

وَمَعَ مُرُورِ الزَّمَنِ وَتَقَادُمِ العَهدِ نُسِيَت أَمَاكِنُ قُبُورِهِم، وَلَم يَشتَهِرْ مِنهَا إِلَّا عَدَدٌ قَلِيلٌ تَنَاقَلَهُ أَهلُ المَدِينَةِ جِيلًا عَن جِيلٍ، وَنَصَّ عَلَيهَا بَعضُ المُؤَرِّخِينَ مِنهُم الفَيرُوزأَبَادِي فِي المَغَانِمِ المُطَابَة[4].

---

(١) الطبقات الكبرى، ابن سعد، (٨/ ٢٧٧).

(٢) صحيح مسلم، مسلم، كتاب الحيض، باب وجوب الغسل على المرأة بخروج المني منها، (٣١٣).

(٣) صحيح البخاري، البخاري، كتاب المغازي، (٣٩٩١).

(٤) المغانم المطابة، الفيروزآبادي، (١/ ٤٦٦).

مِن جِبَالِ المَدِينَةِ المُنَوَّرَةِ

جَبَلُ أُحُدٍ: هُوَ أَكبَرُ جِبَالِ المَدِينَةِ المُنَوَّرَةِ، وَيَحتَضِنُهَا مِنَ الشَّمَالِ، وَسُمِّيَ أُحُدًا لِتَفَرُّدِهِ وَتَوَحُّدِهِ وَانقِطَاعِهِ عَن بَقِيَّةِ الجِبَالِ مِن حَولِهِ، وَبِسَفحِهِ جَرَت مَعرَكَةُ أُحُد، وَعَن فَضلِهِ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أُحُدٌ رُكْنٌ مِنْ أَرْكَانِ الجَنَّةِ**»[1] وَوَرَدَ قَولُهُ ﷺ: «**أُحُدٌ عَلَى بَابٍ مِنْ أَبْوَابِ الجَنَّةِ، فَإِذَا مَرَرْتُمْ بِهِ فَكُلُوا مِنْ شَجَرِهِ، وَلَوْ مِنْ عُضَاهِهِ**»[2] العُضَاهُ: الشَّجَرُ الَّذِي لَهُ شَوكٌ، وَوَرَدَ أَنَّ هَذَا الجَبَلَ اهتَزَّ وَارتَجَفَ عِندَ صُعُودِ رَسُولِ اللهِ ﷺ عَلَيهِ، فَعَن أَنَسِ بنِ مَالِكٍ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ صَعِدَ أُحُدًا وَمَعَهُ أَبُو بَكرٍ وَعُمَرُ وَعُثمَانُ، فَرَجَفَ بِهِم، فَضَرَبَهُ بِرِجلِهِ وَقَالَ: «**اثْبُتْ أُحُدُ، فَإِنَّمَا عَلَيْكَ نَبِيٌّ وصِدِّيقٌ وشَهِيدَانِ**»[3].

أَفَادَ الحَدِيثُ أَنَّ جَبَلَ أُحد ارتَجَّ بِصُعُودِ النَّبِيِّ ﷺ إِلَيهِ، لِمَا لَهُ فِي ذَلِكَ مِنَ الشَّرَفِ العَظِيمِ، كَيفَ لَا، وَقَد صَعِدَ إِلَيهِ إِمَامُ الأَنبِيَاءِ وَالمُرسَلِين، ثُمَّ لَمَّا ضَرَبَهُ ﷺ بِرِجلِهِ الشَّرِيفَةِ، وَأَمَرَهُ بِأَن يَثبُتَ، فَكَانَ ارتِجَافُهُ أَوَّلًا إِظهَارًا لِمَحَبَّتِهِ لِلنَّبِيِّ الكَرِيمِ ﷺ وَشَوقًا إِلَيهِ، ثُمَّ ثَبَاتُهُ كَانَ فِي طَاعَتِهِ لَهُ ﷺ حِينَمَا أَمَرَهُ بِذَلِكَ، وَفِي هَذَا دَرسٌ عَظِيمٌ لِبَنِي ءَادَمَ كَمَا لَا يَخفَى، فَإِذَا كَانَ الجَمَادُ هُوَ الصَّلْدُ الأَصَمُّ غَيرَ العَاقِلِ وَغَيرَ المُكَلَّفِ قَد ظَهَرَت مِنهُ المَحَبَّةُ وَالطَّاعَةُ، فَالأَجدَرُ بِالعُقَلَاءِ المُكَلَّفِينَ أَن يَكُونُوا

---

(١) المعجم الكبير، الطبراني، (٦/١٥١). مجمع الزوائد، الهيثمي، (٤/١٣).

(٢) مجمع الزوائد، الهيثمي، (٤/١٣). تاريخ المدينة، ابن شبة، (١/٨٦).

(٣) صحيح البخاري، البخاري، كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، باب مناقب عمر بن الخطاب، (٣٦٨٦).

لَهُ مُحِبِّينَ طَائِعِينَ.

وَمِسَاحَةُ جَبَلِ أُحُدٍ مِنَ الشَّرقِ إِلَى نِهَايَتِهِ الغَربِيَّةِ يُقَارِبُ سِتَّةَ كِيلُو مِترَاتٍ، وَلَهُ هَضَبَاتٌ مُتَتَابِعَة، وَلِحُمْرَةِ لَونِهِ الجَمِيل يَشْعُرُ النَّاظِرُ إِلَيهِ بِالسُّرُورِ.

جَبَلُ ثَورٍ[1] هُوَ جَبَلٌ أَحمَرُ صَغِيرٌ قَائِمٌ كَالثَّورِ شَمَالَ جَبَلِ أُحُد، وَهُوَ أَحَدُ حُدُودِ المَدِينَةِ المُنَوَّرَةِ الشَّمَالِيَّةِ الَّتِي حَرَّمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أن يُقطَعَ عِضَاهُهَا أَي شَجَرُهَا وَيُقتَلَ صَيدُهَا، وَهُوَ المَقصُودُ مَعَ جَبَلِ عَيْرٍ فِي قَولِ النَّبِيِّ ﷺ: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أُحَرِّمُ مَا بَيْنَ جَبَلَيْهَا مِثْلَ مَا حَرَّمَ إِبْرَاهِيمُ مَكَّةَ**»[2]. وَرَوَى سَيِّدُنَا عَلِيُّ بنُ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**المَدِينَةُ حَرَمٌ مَا بَيْنَ عَيْرٍ إِلَى ثَوْرٍ، مَنْ أَحْدَثَ فِيهَا حَدَثًا أَوْ ءَاوَى مُحْدِثًا فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللهِ وَالمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِين، لَا يَقْبَلُ اللهُ مِنْهُ صَرْفًا وَلَا عَدْلًا**»[3].

جَبَلُ عَيْرٍ[4]: هَذَا الجَبَلُ مِنَ الحُدُودِ الجَنُوبِيَّةِ لِلمَدِينَةِ المُنَوَّرَةِ وَالَّتِي حَرَّمَهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ بَينَهُ وَبَينَ جَبَلِ ثَورٍ، رَوَى أَبُو عَبسِ بنِ جَبْرٍ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ لأُحُدٍ: «**هَذَا جَبَلٌ يُحِبُّنَا وَنُحِبُّهُ، عَلَى بَابٍ مِنْ أَبْوَابِ الجَنَّةِ، وَهَذَا عَيْرٌ جَبَلٌ يُبْغِضُنَا وَنُبْغِضُهُ، عَلَى بَابٍ مِنْ أَبْوَابِ النَّارِ**»[5]. وَرَوَى أَنَسُ بنُ مَالِكٍ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**إِنَّ أُحُدًا جَبَلٌ يُحِبُّنَا**

---

(١) Location 2433'21 N 3936'15E

(٢) **صحيح البخاري**، البخاري، كتاب المناقب، باب المناقب، عمر بن الخطاب، (٣٣٩٩).

(٣) **صحيح البخاري**، البخاري، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، (٧٣٠٠).

(٤) Location 2423'04 N 3934'41E

(٥) **المعجم الكبير**، الطبراني، (٦/ ١٥١). **مجمع الزوائد**، الهيثمي، (٤/ ١٣).

وَنُحِبُّهُ، وَهُوَ عَلَى تُرْعَةٍ مِنْ تُرَعِ الجَنَّةِ، وَعَيْرٌ عَلَى تُرْعَةٍ مِنْ تُرَعِ النَّارِ»(١).

جَبَلُ عِيْنِيْن(٢): جُبَيْلٌ أَحْمَرٌ يَقَعُ جَنُوبَ مَقبرَةِ الشُّهَدَاءِ بِجَانِبِ وَادِي قَنَاة وَسُمِّيَ بِجَبَلِ الرُّمَاةِ لأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ فِي مَعرَكَةِ أُحُدٍ صَفَّ عَلَيهِ الرُّمَاة، وَكَانَ عَدَدُهُم خَمسِينَ رَجُلًا، لِيَرمُوا الكُفَّار بِسِهَامِهِم إِذَا تَقَدَّمُوا، وَيَحْمُوا ظَهرَ جَيشِ المُسلِمِين، وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِقَائِدِهِم عَبدِ اللهِ ابنِ جُبَير: «**انْضَح**(٣) **الخَيْلَ عَنَّا بِالنَّبْلِ، لَا يَأْتُونَا مِنْ خَلْفِنَا، إِنْ كَانَتْ لَنَا أَوْ عَلَيْنَا، فَاثْبُتْ مَكَانَكَ لَا نُؤْتَيَنَّ مِنْ قِبَلِكَ**»(٤). وَبَعدَ هَزِيمَةِ المُشرِكِينَ قَالَ الرُّمَاةُ: الغَنِيمَة الغَنِيمَة وَلَم يَسمَعُوا كَلَامَ أَمِيرِهِم وَلَمَّا وَجَدَ المُشرِكُونَ الثَّغرَ خَالِيًا جَاؤُوا مِن وَرَاءِ هَذَا الجَبَلِ، وَأَحَاطُوا بِالمُسلِمِينَ فَاستُشْهِدَ عَدَدٌ مِنَ الصَّحَابَةِ وَجُرِحَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَكُسِرَت رَبَاعِيتُه. وَكَانَ الوَحشِيُّ مُتَخَفِّيًا وَرَاءَ صَخرَةٍ مِن جَبَلِ الرُّمَاةِ فَقَتَلَ حَمزَةَ فَلَقَّبَ النَّبِيُّ ﷺ حمزة رضي الله عنه بِسَيِّدِ الشُّهَدَاءِ.

وَكَانَ فِي الجَنُوبِ الشَّرقِيِّ مِن هَذَا الجَبَل مَسجِدٌ أَثرِيٌّ يُسَمَّى مَسجِدَ الصُّبحِ وَمَسجِدَ عَيْنَيْن بِجَبَلِ الرُّمَاةِ.

وَعَن جَابِرٍ قَالَ: إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ صَلَّى الظُّهرَ يَومَ أُحُدٍ عَلَى عِينِين الظَّرب الَّذِي بِأُحُدٍ عِندَ القَنطَرَةِ، وَأَسفَلُهُ طَعَنَ وَحْشِيٌّ سَيِّدَنَا حَمْزَةَ(٥).

---

(١) سنن ابن ماجه، ابن ماجه، كتاب المناسك، باب فضل المدينة، (٣١١٥).

(٢) Location 2430'06N 3936'45E

(٣) أي ادفع الخيل وامنع.

(٤) السيرة، ابن هشام، (٣/٦٥).

(٥) وفاء الوفا، السمهودي، (٣/٨٤٩).

يُوجَدُ خَلفَ الوَاقِفِ بِمُوَاجَهَةِ مَزَارِ شُهَدَاءِ أُحُد وَعَلَى أقصَى طَرفِه الأَيمَنِ مَسجِدُ عَينين وَأسفَل يَمِينِ المَسجِدِ مَكَانُ مَصرَعِ سَيِّدِنَا حَمزَة.

جَبَلُ حَمْرَاءِ الأَسَدِ[1]: خَرجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي اليَومِ التَّالِي مُبَاشَرَةً لِغَزوَةِ أُحُدٍ لِتَعَقُّبِ جَيشِ الكُفَّارِ، فَعَسْكَرَ ﷺ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ مَعَ جَيشِهِ فِي سَفحِ هَذَا الجَبَلِ فِي غَزوَةِ حَمرَاءِ الأَسَدِ.

جَبَلُ سَلْع[2]: هُوَ جَبَلٌ أَسوَدَ اللَّونِ عَلَى سَفحِهِ جَرَت مَعرَكَةُ الأَحزَابِ، حَيثُ جَعَلَ النَّبِيُّ ﷺ وَجَيشَهُ ظُهُورَهُم إِلَيهِ، وَتَمَّ حَفرُ الخَندَقِ الَّذِي كَانَ بَينَهُم وَبَينَ الكُفَّارِ، وَبِالجَبَلِ غَارُ السَّجدَةِ، وَكَهفُ بَنِي حَرَام الَّذِي كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَبِيتُ فِيهِ مَحرُوسًا فِي الأَيَّامِ الأُولَى لِحَفرِ الخَندَقِ، وَبِالجَبَلِ أَيضًا صَخرَةُ الفَتحِ الَّتِي وَقَفَ النَّبِيُّ ﷺ وَدَعَا عَلَى الأَحزَابِ، وَعَلَيهَا مَسجِدُ الفَتحِ وَحَولَهُ المَسَاجِدِ السَّبعَة الَّتِي جُرِّفَت وَلَم يَبقَ مِنهَا سِوَى مَسجِد سَلمَانَ الفَارِسِيّ وَمَسجِد عُمَر وَمَسْجِد عَلِيٍّ وَمَسْجِدَ فَاطِمَة.

جَبَلُ سُلَيْع[3]: جَنُوب جَبَل سَلْع وَأَصغَر مِنهُ، وَعَلَيهِ كَانَت مَنَازِلُ بَنِي أَسلَم مِنَ المُهَاجِرِين[4]، وَكَانَ يُسَمَّى جَبَل جُهَيْنَة حَيثُ كَانَت قَبِيلَةُ جُهَينَة إِلَى الجَنُوبِ وَالشَّرقِ مِنهُ، وَفِي الجِهَةِ الجَنُوبِيَّةِ مِنهُ كَانَ يُوجَدُ مَسجِدُ بَلِيّ وَجُهَينَة الَّذِي خَطَّهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَيُعْتَبرُ جَبَل سُلَيع ءَاخِرَ الحَدِّ الغَربِيّ لِسُوقِ المَدِينَةِ عَلَى عَهدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ.

---

(١) Location 2422'12N 3930'27E

(٢) Location 2428'24N 3935'56E

(٣) Location 2428'13N 3936'13E

(٤) أخبار المدينة النبوية، ابن شبة، (١/ ٢٥١).

جَبَلُ الرَّايَةِ[1]: كَانَت تُنْصَب عَلَيهِ رَايَةُ رَسُولِ اللهِ ﷺ إيذَانًا بِالجِهَادِ عِندَ الخُرُوجِ للغَزَوَاتِ، وَيُسَمَّى جَبَلُ ذُبَاب بِاسم رَجُلٍ مِن أَهلِ اليَمَنِ اسمُهُ ذُبَاب ثَمَّ صَلبُهُ عَلَيهِ، فَعَن أَبِي سَعِيدٍ الخُدرِيِّ رضي الله عنه، قَالَ: ضَرَبَ النَّبِيُّ ﷺ قُبَّتهُ يومَ الخَندَقِ عَلَى ذُبَاب[2]. وَذَلِكَ لِيُرَاعِي ﷺ أَعمَالَ حَفرِ الخَنْدَقِ بِنَفسِهِ، وَأَسفَلَ الجَبَلِ مِنَ الشَّمَالِ تَقَعُ صَخرَةُ سَلمَان الَّتِي استَعصَى عَلَى الصَّحَابَةِ إِزَالَتِهَا أَثنَاءَ حَفرِ الخَندَقِ، فَذَهَبَ سَلمَانُ الفَارِسِيّ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ الَّذِي أَخَذَ المِعوَلَ وَقَالَ: «**بِسْمِ اللهِ**» ثُمَّ ضَرَبَهَا فَنَثَرَ ثُلُثَهَا، وَخَرَجَ نُورٌ أَضَاءَ مَا بَينَ لَابَتَي المَدِينَةِ فَقَالَ ﷺ: «**اللهُ أَكْبَرُ أُعطِيتُ مَفَاتِيحَ الشَّامِ، وَاللهِ إِنِّي لَأُبْصِرُ قُصُورَهَا الحُمْرَ السَّاعَةَ مِنْ مَكَانِي**»[3]. ثُمَّ ضَرَبَ الثَّانِيَةَ فَقَطَعَ ثُلُثًا ءَاخَر، فَبَرِقَت بَرقَةٌ مِن جِهَةِ فَارِس، أَضَاءَت مَا بَينَ لَابَتَيهَا، فَقَالَ ﷺ: «**اللهُ أَكبَرُ أُعْطِيتُ مَفَاتِيحَ فَارِس، وَاللهِ إِنِّي لَأُبْصِرُ قَصرَ المَدَائِنِ الأَبْيَضَ الآنَ**» أَي مَدَائِنَ كِسرَى، ثُمَّ ضَرَبَ الثَّالِثَةَ وَقَالَ ﷺ: «**بِسْمِ اللهِ**» فَقَطَعَ بَقِيَّةَ الحَجَرِ، وَخَرَجَ نُورٌ مِن قِبَلِ اليَمَنِ، فَأَضَاءَ مَا بَينَ لَابَتَي المَدِينَةِ حَتَّى كَأَنَّهُ مِصبَاحٌ فِي جَوفِ لَيلٍ مُظلِم، فَقَالَ ﷺ: «**اللهُ أَكبَرُ أُعْطِيتُ مَفَاتِيحَ اليَمَنِ، وَاللهِ إِنِّي لَأُبْصِرُ أَبْوَابَ صَنْعَاءَ مِنْ مَكَانِي السَّاعَةَ**». فَقَالَ المُنَافِقُونَ: يَعِدُنَا كُنُوزَ كِسرَى وَقَيصَرَ حَتَّى مَا يَستَطِيعُ أَحدنَا أَنْ يَبْرُزَ لِحَاجَتِهِ، مَا وَعَدَنَا اللهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا؛ فَنَزَلَتِ الآيَةُ: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ

---

(١) Location 2428'49N 3936'12E

(٢) أخبار المدينة النبوية، ابن شبة، (١/ ٦٤).

(٣) دلائل النبوة، البيهقي، (٣/ ٤٢١).

﴿... كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ٢٦﴾[1].

جَبَلُ بَنِي عُبَيْدَ[2]: يَقَعُ فِي الشَّمَالِ الغَرْبِيِّ مِنَ المَدِينَة، وَبِالتَّحدِيدِ فِي الجِهَةِ الغَرْبِيَّةِ مِنَ المَسَاجِدِ السَّبع، وَشَمَالُهُ جَبَلٌ صَغِيرٌ أَسوَدَ اللَّونِ اسمُهُ جَبَلُ عِقَاب، وَبَينَهُمَا كَانَت مَنَازِلُ قَبِيلَةِ بَنِي عُبَيد مِن بَنِي سَلَمَةَ، وَوَرَدَ فِي غَزوَةِ الأَحزَابِ أَنَّ المُهَاجِرِينَ قَد حَفَرُوا الخَندَقَ مِن نَاحِيَةِ حِصنِ رَاتِج فِي الشَّرقِ إِلَى جَبَلِ ذُبَاب الرَّايَة، وَالأَنصَار مِن جَبَلِ ذُبَاب إِلَى جَبَلِ بَنِي عُبَيد فِي الغَربِ. وَوَرَدَ أَنَّ صَخرَةً عَلَى جَبَلِ بَنِي عُبَيد اعتَرَضَت لِعُمَرَ بنِ الخَطَّابِ رضي الله عنه أَثنَاءَ حَفرِ الخَندَقِ كَصَخرَةِ سَلمَانَ الفَارِسِيِّ فَذَهَبَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ وَأَزَالَهَا.

جَبَلُ تَيْأَب[3]: وَيَقَعُ إِلَى الشَّرقِ مِن جَبَلِ أُحُدٍ فِي وَادِي نُقْمِي، وَهُوَ الَّذِي نَزَلَت عِندَهُ فِي غَزوَةِ الأَحزَابِ قَبِيلَةُ غَطَفَان، وَمَن تَبِعَهُم مِن أَهلِ نَجدٍ وَبَنِي أَسَد، وَجَاءَت قُرَيش مِن نَاحِيَةِ مَكَّةَ، وَنَزَلَت بِمُجتَمَع الأَسيَالِ مِن رُومَة وَوَادِي العَقِيقِ، وَمَعَهَا أَحَابِيشهَا وَمَن تَبِعَهُم مِن بَنِي كِنَانَة وَأَهلِ تِهَامَةَ. وَهُوَ قَولُ اللهِ تَعَالَى: ﴿إِذْ جَاءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا ١٠﴾[4].

جَبَلُ جَمَّاءِ تُضَارُع[5]: وَهُوَ مِن جِبَالِ الجَمَّاواتِ الثَّلَاثَةِ، وَهِيَ ثَلَاثَةُ

---

(١) سورة آل عمران، آية (٢٦).

(٢) Location 2429’05N 3935’46E

(٣) Location 2430’18N 3939’24 0E.

(٤) سورة الأحزاب، آية (١٠).

(٥) Location 2426’33N 3933’42E

جِبَالٍ مُتَتَابِعَة بِوَادِي العَقِيق، وَسُمِّيَت جَمَّاوات لأَنَّهَا دُونَ الجِبَالِ لَا قُرُونَ لَهَا، رَوَى كَعبُ بنُ مَالِكٍ رضي الله عنهم أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «لَا تَسِيلُ تُضَارُع إِلَّا عَامَ رَبِيعٍ»[1].

جَبَلُ جَمَّاءِ أُمّ خَالِد[2]: الأَوسَطُ فِي جِبَالِ الجَمَّاواتِ الثَّلَاثَةِ وَأَعلَاهَا ارتِفَاعًا، وَقَد وُجِدَ عَلَى الجَبَلِ قَبرٌ وَعَلَيهِ حَجَرٌ مَكتُوبٌ فِيهِ: «أَنَا عَبدُ اللهِ مِن أَهلِ نِينَوَى، رَسُولُ رَسُولِ اللهِ عِيسَى ابنِ مَريَمَ إِلَى هَذِهِ القَريَةِ، فَأَدرَكَنِي المَوت، فَأَوصَيتُ أَنْ أُدْفَنَ فِي جَمَاءِ أُمِّ خَالِدٍ»[3].

جَبَلُ جَمَّاءِ العَاقِر[4]: وَهُوَ الثَّالِثُ مِن جِبَالِ جَمَّاواتِ الثَّلَاث، وَفِيهِ قَولُ النَّبِيِّ ﷺ: «**نِعْمَ الجَمَّاء المُنزِل لَولَا كَثرَةُ الأَسَاوِدِ**». وَقَولُهُ ﷺ: «**لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَقتُلَ رَجُلَانِ مَوضِعَ فسطَاطِهِمَا فِي قِبَلِ الجَمَّاء**»[5]. وَالطَّرِيقُ الَّذِي بَينَ جَبَلِ جَمَّاءِ العَاقِرِ وَجَمَّاءِ أُمّ خَالِد هُوَ الَّذِي سَلَكَهُ جَيشُ قُرَيشٍ لِلدُّخُولِ إِلَى المَدِينَةِ فِي غَزوَتَي أُحُدٍ وَالخَندَقِ[6].

الجَمَّاءُ الثَّلَاثَة: يَرَاهُمُ الذَّاهِبُ مِن المَسجِدِ النَّبَوِيِّ الشَّرِيفِ فِي شَارِعِ السَّلَام بَعدَ تَقَاطُعِهِ مَعَ الطَّرِيقِ الدَّائِرِيّ الثَّانِي عَلَى اليَسَارِ بِالتَّرتِيبِ جَمَّاء تُضَارُع ثُمَّ جَمَّاء أُمّ خَالِدٍ ثُمَّ عِندَ تَقَاطُعِهِ مَعَ طَرِيقِ الجَامِعَاتِ (طَرِيقِ

---

(١) المغانم المطابة، الفيروزآبادي، (ص/ ٧٥).

(٢) Location 2427'29N 3933'51E

(٣) تاريخ معالم المدينة المنورة، أحمد ياسين الخياري، (ص/ ٢٣١).

(٤) ?Location 2428'18N 3932'09E

(٥) وفاء الوفا، السمهودي، (٣/ ١٠٦٥).

(٦) تاريخ معالم المدينة المنورة، الخياري، (ص/ ٢٣٢).

الخَوَاجَاتِ) جَمَّاء العَاقِرِ أَمَامَ مُستَشفَى أُحُدٍ.

جَبَلُ أَنْعُم[1]: جَبَلٌ أَحمَرٌ صَغِيرٌ فِي بِدَايَةِ حَوضِ وَادِي العَقِيقِ، وَعِندَهُ حَدَثَ رَجمُ مَاعِزِ بنِ مَالِكٍ الأَسلَمِيِّ لمَّا جَاءَ تَائِبًا إِلَى النَّبِيِّ ﷺ وَاعتَرَفَ عَلَى نَفسِهِ بِالزِّنَا وَكَانَ مُحصنًا، فَرَدَّهُ النَّبِيُّ ﷺ أَربعَ مَرَّاتٍ، فَلَمَّا مَسَّتهُ الحِجَارَةُ فَرَّ يَعدُو قِبَلَ وَادِي العَقِيقِ، فَأُدرِكَ بِوَادِي المُكَيمِنِ، فَلَم يَزَل يُضرَب حَتَّى قُتِلَ، فَقَالَ رَسُولُ ﷺ: «**لَقَدْ تَابَ تَوْبَةً لَوْ قُسِمَتْ بَيْنَ أُمَّةٍ لَوَسِعَتْهُم**»[2].

جَبَلُ المُكَيمِن[3]: هُوَ جَبَلٌ أَحْمَرَ اللَّونِ بِالجَنُوبِ الغَربِيِّ مِن جَمَّاءِ تُضَارُع، وَفِي سَفحِهِ المُكَيمِن.

جَبَلُ قُرَيْظَة[4]: وَيُطِلُّ عَلَى حَرَّةٍ لِقَريَةٍ الَّتِي فِي الجَنُوبِ الشَّرقِيِّ مِنَ المَدِينَةِ، حَيثُ كَانَت مَنَازِلُ يَهُودِ بَنِي قُرَيظَةَ حَولَ وَادِي مَهْزُور.

جَبَلُ الحَرَم[5]: وَيُسَمَّى كَذَلِكَ بِالجَبَلِ الأَحْمَر، وَهُوَ الجَبَلُ الَّذِي أُخِذَت مِنهُ الحِجَارَةُ الحَمرَاءُ لِبِنَاءِ المَسجِدِ النَّبَوِيِّ الشَّرِيفِ الحَالِيِّ وَتَوسِعَتِهِ.

---

(١) Location 2427'03N 3935'24E

(٢) صحيح مسلم، مسلم، كتاب الحدود، باب من اعترف على نفسه بالزنى، (١٦٩٢، ١٦٩٥).

(٣) Location 2425'30N 3933'03E

(٤) Location 2425'54N 3939'33E

(٥) Location 2425'48N 3931'53E

ءَابَارُ المَدِينَةِ المُنَوَّرَةِ

قَالَ الحَافِظُ المَرَاغِيُّ[1]:

إِذَا رُمْتَ ءَابَارَ النَّبِيِّ بِطَيْبَةٍ
فَعِدَّتُهَا سَبْعٌ مَقَالًا بِلَا وَهْنِ
أَرِيسٌ وَغَرْسٌ رُومَةٌ وَبُضَاعَةٌ
كَذَا بُصَّةٌ وَبِيرُحَاءُ[3] مَعَ العِهْنِ

وَقِيلَ أَيضًا

ءَابَارُ طَهَ بِالمَدِينَةِ سَبْعَةٌ مَنْظُومَةٌ كَالدُّرِّ بَلْ هِيَ أَنْفَسُ
عِهْنٌ أَرِيسٌ بُصَّةٌ وَبُضَاعَةٌ غَرْسٌ وَرَوْمَه بيرُحَا هِيَ تُؤْثَرُ

بِئرُ أَرِيس[2] يُقَالُ لَهُ بِئرُ الخَاتَمِ أَو بِئرُ النَّبِيِّ، أَحَدُ ءَابَارِ المَدِينَةِ المُنَوَّرَةِ، وَقَعَ فِيهِ خَاتَمُ النَّبِيِّ ﷺ مِن يَدِ سَيِّدِنَا عُثمَانَ بنِ عَفَّان فِي السَّنَةِ السَّادِسَةِ مِن خِلَافَتِهِ[3]، وَهَذَا الخَاتَمُ كَانَ بِيَدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ ثُمَّ حَمَلَهُ أَبُو بَكرٍ رضي الله عنه مُدَّةَ خِلَافَتِهِ، وَكَذَلِكَ عُمَرُ بنُ الخَطَّابِ رضي الله عنه مُدَّةَ خِلَافَتِهِ، وَانتَقَلَ بِانتِقَالِ الخِلَافَةِ إِلَى عُثمَانَ بنِ عَفَّان رضي الله عنه، فَقَد وَرَدَ فِي صَحِيحِ البُخَارِيِّ عَن أَنَسٍ قَالَ: كَانَ خَاتَمُ النَّبِيِّ ﷺ فِي يَدِهِ، وَفِي يَدِ أَبِي بَكرٍ بَعدَهُ، وَفِي يَدِ عُمَرَ بَعدَ أَبِي بَكرٍ، فَلَمَّا كَانَ عُثمَانُ جَلَسَ عَلَى بِئرِ أَرِيسَ فَأَخرَجَ الخَاتَمَ فَجَعَل يَعبَثُ بِهِ

---

(١) وفاء الوفا، السمهودي، (٣/١٤٧).

(٢) Location 2426'20N 3936'59E

(٣) صحيح البخاري، البخاري، (٥٨٧٨). صحيح مسلم، مسلم، كتاب اللباس، (٢٠٩١).

فَسَقَطَ، قَالَ فَاختَلَفنَا ثَلاثَةَ أَيَّام مَعَ عُثمَانَ فَنَنْزَحَ البِئرَ فَلَم يَجِدهُ[1]. وَقَد عَدَّ بَعضُ المُؤَرِّخِينَ ضَيَاعَ الخَاتَمِ إرهَاصًا بِالفِتنَةِ وَالأَحدَاثِ الَّتِي وَقَعَت فِي السَّنَوَاتِ التَّالِيَةِ وَالَّتِي انتَهَت بِاستِشهَادِ عُثمَانَ. وَهَذَا البِئرُ شَرِبَ مِنهُ النَّبِيُّ ﷺ وَتَفَلَ فِيهِ عَلَى مَا قِيلَ[2]. وَمُلَخَّصُ مَا وَرَدَ فِيهِ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ جَلَسَ عَلَيهِ وَكَشَفَ عَن سَاقَيهِ وَدَلَّاهُمَا فِيهَا، وَوَقَفَ أَبُو مُوسَى الأَشعَرِيُّ بَوَّابًا لَهُ، فَجَاءَ أَبُو بَكرٍ رضي الله عنه وَاستَأْذَنَ، فَقَالَ النَّبِيُّ لأَبِي مُوسَى: «**ائْذَنْ لَهُ وَبَشِّرْهُ بِالجَنَّةِ**» فَجَلَسَ عَن يَمِينِهِ وَدَلَّى رِجلَيْهِ، ثُمَّ جَاءَ عُمَرُ رضي الله عنه، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**ائْذَنْ لَهُ وَبَشِّرْهُ بِالجَنَّةِ**» فَجَلَسَ عَن يَسَارِهِ وَدَلَّى رِجلَيهِ، ثُمَّ جَاءَ عُثمَانُ رضي الله عنه، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**ائْذَنْ لَهُ وَبَشِّرْهُ بِالجَنَّةِ مَعَ بَلْوَى تُصِيبُهُ**»[3] فَجَلَسَ وُجَاهَهُم.

يَقَعُ البِئرُ غَربِيَّ مَسجِدِ قُبَاء مُقَابِل لَهُ بِالقُربِ مِنَ الحَدِيقَةِ الصَّغِيرَةِ التَّابِعَةِ لِسُورِ المَسجِدِ. يَبعُدُ عَنِ المَسجِدِ قَرِيبَ ٣٨ مِتر، وَكَانَ عَلَيهِ سَابِقًا قُبَّة شَامِخَة فِي الهَوَاءِ، وَقَد أُزِيلَ البِئرُ بِمَا عَلَيهَا مِن قُبَّةٍ لِلتَّوسِعَةِ.

بِئْرُ غَرْس[4] وَهِيَ بِئرٌ بِقُبَاء عَلَى مَنَازِلِ بَنِي النَّضِيرِ، وَحَولَهَا مَقَابِرُ بَنِي حَنظَلَة، كَانَ يَشرَبُ مِنهَا النَّبِيُّ ﷺ، وَدَعَا بِدَلوِ مَاءٍ مِن مَائِهَا فَتَوَضَّأَ مِنهُ وَسَكَبَهُ فِيهَا وَبَصَقَ فِيهِ وَأُهدِيَ لَهُ عَسَل فَصَبَّهُ فِيهَا[5]. وَوَرَدَ فِيهَا قَولُ

---

(١) صحيح البخاري، البخاري، كتاب اللباس، باب هل يجعل نقش الخاتم ثلاثة أسطر، (٥٨٧٨).

(٢) الروض المعطار، الحميري، (ص/ ٢٢). خريدة العجائب، ابن الوردي، (١/ ٢٧٣).

(٣) صحيح البخاري، البخاري، فضائل أصحاب النبي، (٣٦٧٤).

(٤) Location 2426'42N 3937'37E

(٥) المتفق والمفترق، الخطيب البغدادي، حرم الميم، (٣/ ٩٠٠)، (١٥٠٥).

النَّبِيِّ ﷺ: «**نِعْمَ البِئْرُ بِئْرُ غَرْسٍ هِيَ مِنْ عُيُونِ الجَنَّةِ وَمَاؤُهَا أَطْيَبُ المِيَاهِ**»[(١)(٢)]، وَقَولُهُ: «**رَأَيْتُ اللَّيْلَةَ أَنِّي أَصْبَحْتُ عَلَى بِئْرٍ مِنَ الجَنَّةِ**»[(٣)] فَأَصبَحَ عَلَى بِئرِ غَرْسٍ، وَغُسِلَ مِنهَا بَعْدَ مَوتِهِ بِوَصِيَّتِهِ ﷺ كَمَا قَالَ سَيِّدُنَا عَلِيٌّ أَنَّ الرَّسُولَ ﷺ قَالَ: «**إِذَا أَنَا مُتُّ فَاغْسِلُونِي بِسَبْعِ قِرَبٍ مِنْ بِئْرِي بِئْرِ غَرْسٍ**»[(٤)]. مَوْقِعُهَا الآن فِي الجِهَةِ الشَّرقِيَّةِ الشَّمَالِيَّةِ مِن مَسجِدِ قُبَاء عَلَى بُعدِ نَحوِ كِيلُو مِتر، وَهِيَ تَحتَ بِنَاءٍ مُسَقَّفٍ بِجَانِبِ مَعهَدِ دَارِ الهِجْرَةِ، شَرقَيّ مَبنَى الشُّؤُونِ الصِّحِّية. يَقَعُ البِئرُ بَعدَ تَخطِي شَارِعِ العَوَالِي وَبَعدَ مُستَشفَى الزَّهرَاءِ الخَاصِّ يَسلُكُ الذَّاهِبُ يَمِينًا وَقبلَ بُلُوغِ مَدَارِسِ الشَّاوِي الخَاصَّة يَدخُلُ يَسَارًا فِي طَرِيقٍ تُرَابِيّ صَغِير مَسَافَةَ **٥٠٠** مِتر وَالبِئرُ عَلَى اليَمِينِ.

بِئرُ بُضَاعَةَ[(٥)] كَانَت لِبَنِي سَاعِدَةَ شَمَالَي سَقِيفَتِهِم، بَصَقَ فِيهَا عَلَيهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَشَرِبَ مِنهُ، وَالمَرِيضُ فِي زَمَنِهِ ﷺ يُغسَلُ مِنهُ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ فَيَشفَى.

عَن سَيِّدِنَا سَهلِ بنِ سَعدٍ رضي الله عنه قَالَ: سَقَيتُ النَّبِيَّ ﷺ بِيَدِي مِن بِئْرِ بُضَاعَةَ[(٦)]. وَرُوِيَ كَذَلِكَ عَن سَهْلِ بنِ سَعْدٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ بَرَّكَ فِي

---

(١) أي في المدينة. التنوير، الصنعاني، (١٠/٥٠٦). وقال المناوي: أي أعظمها بركةً بعد ماء زمزم. التيسير، المناوي، (٢/ ٤٦٠).

(٢) الطبقات الكبرى، ابن سعد، (١/ ٣٩١).

(٣) الطبقات الكبرى، ابن سعد، (١/ ٣٩١).

(٤) سنن ابن ماجه، ابن ماجه، كتاب الجنائز، باب ما جاء في غسل النبي?، (١٤٦٨).

(٥) Location 2428'19N 3936'29E

(٦) الطبقات الكبرى، ابن سعد، (١/ ٣٩٢).

بِئْرِ بُضَاعَةَ وبَصَقَ فِيهَا[1]. وَرُوِيَ فِيهَا قَولُ النَّبِيِّ ﷺ: **«إِنَّ المَاءَ طَهُورٌ لَا يُنَجِّسُهُ شَيءٌ»**[2].

يَقَعُ هَذَا البِئرُ فِي شَارِعِ السّحيمِيّ ثُمَّ التَّيَامُنُ مِن عِندِ حَدِيقَةِ سَقِيفَةِ بَنِي سَاعِدَةَ فَموقِف السَّيَّارَاتِ مُقَابِلَ فُندقِ الحَارِثيَّةِ الوَاقِعِ بَينَ السَّبِيلِ وَبِئرِ بُضَاعَةَ.

بِئْرُ البُصَّة أَو البُوصَة: كَانَت لِسَيِّدِنَا أَبِي سَعِيدٍ الخُدرِيِّ رضي الله عنه وَغَسَلَ النَّبِيُّ ﷺ رَأسَهُ مِنهَا بِمَاءٍ مَعَ سِدْرٍ ثُمَّ صَبَّ الغُسَالَةَ[3]، وَمَا بَقِيَ مِمَّا سَقَطَ مِن شَعَرِهِ الشَّرِيفِ فِيهَا.

تَقَعُ فِي الجِهَةِ الشَّرقِيَّةِ للمَسجِدِ النَّبَوِيِّ وَهِيَ قَرِيبَةٌ مِنَ البَقِيعِ عَلَى طَرِيقِ العَوَالِي بَينَ النَّخِيلِ قُربَ الخُطُوطِ الجَوِيَّةِ السُّعُودِيَّةِ شَارع المَلِكِ فَيصَل مُقَابِل مَدرَسَةٍ مُسَمَّاة مَدرَسَة العُلُومِ الشَّرعِيَّة[4].

بِئْرُ رُوْمَة[5]، **بِئْرُ عُثْمَان** رضي الله عنه، تَقَعُ فِي عَرصَةِ وَادِي العَقِيقِ بِحَيِّ الأَزهَرِيِّ عَلَى يَمِينِ ءاخِرِ شَارِعِ سُلطَانَة أَبِي بَكرٍ الصِّدِّيقِ عَلَى بُعدِ نَحوِ ٣,٥ كم مِنَ المَسجِدِ النَّبَوِيِّ الشَّرِيفِ وَنَحوِ ١كم مِن مَسجِدِ القِبلَتَينِ. الآن فِي حَدِيقَةٍ تَابِعَةٍ لِمَصلَحَةِ المِيَاهِ وَالزِّرَاعَةِ فِي حَيِّ الأَزهَرِي.

---

(١) المعجم الكبير، الطبراني، (٦/ ١٢٢)، (٥٧٠٤).

(٢) سنن أبي داود، أبو داود، كتاب الطهارة، باب ما جاء في بئر بضاعة، (٦٦).

(٣) حسن التوسل في آداب زيارة أفضل الرسل، (ص٨٤).

(٤) Location 2427'50N 3936'57E

(٥) Location 2428'19N 3936'29E

لمَّا قَدِمَ النَّبِيُّ ﷺ المَدِينَةَ لَم يَكُن بِهَا مَاءٌ يُسْتَعْذَب غيرَ بِئرِ رُومَة[1]، وَكَانَت لِيَهُودِيِّ وَلَم يَكُن يَشْرَبُ مِنهَا أَحَدٌ إِلَّا بِثَمَنٍ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **«مَنْ يَشْتَرِي بِئْرَ رُومَةَ فَيَجْعَلَ دِلَاءَهُ مَعَ دِلَاءِ المُسْلِمِينَ بِخَيْرٍ لَهُ مِنْهَا فِي الجَنَّةِ»**[2]، فَأَتَى عُثمَان رضي الله عنهم لِليَهُودِيِّ فَأَبَى أَن يَبِيعَهَا كُلَّهَا، فَاشتَرَى عُثمَانُ نِصفَهَا وَجَعَلَهَا للمُسلِمِين، فَقَالَ اليَهُودِيُّ: لَكَ يَومٌ وَلِي يَوم، فَإِذَا كَانَ يَومُ عُثمَانَ يَستَسقِي المُسلِمُونَ مَا يَكفِيهِم يَومَين، فَقَالَ اليَهُودِيُّ: أَفسَدْتَ عَلَيَّ رَكِيَّتِي (بِئرِي)، فَاشتَرَى عُثمَانُ النِّصفَ الآخَرَ وَجَعَلَهَا للغَنِيِّ والفَقِيرِ وَابنِ السَّبِيلِ[3].

جَاءَ سَيِّدُنَا عُثمَانُ إِلَى الرَّسُولِ ﷺ وَقَالَ لَهُ: يَا رَسُولَ اللهِ أَتَجعَل لِي مِثلَ مَا جَعَلت لِرُومَةَ عَينًا فِي الجَنَّةِ، فَقَالَ ﷺ: **«نَعَم»**[4].

بِئْرُ بَيْرُحَاء: كَانَت فِي الجِهَةِ الشَّمَالِيَّةِ مِنَ المَسجِدِ النَّبَوِيِّ الشَّرِيفِ ضِمنَ بُستَانِ أَبِي طَلحَةَ الأَنصَارِيِّ رضي الله عنه، وَبَقِيَت إِلَى عَهدٍ قَرِيبٍ وَقَد أُدخِلَ ضِمنَ التَّوسِعَةِ الجَدِيدَةِ، وَمَوقِعُهُ الآنَ عَلَى يَسَارِ الدَّاخِلِ مِن بَابِ المَلِكِ فَهَد رَقَم ٢١ عَلَى بُعدِ أَمتَارٍ مِنهُ دَاخِلَ المَسجِدِ.

فِي هَذَا المَوقِعِ كَانَ مَنزِلُ أُمِّ سُلَيم بنتِ مِلحَان وَزَوجُهَا أَبو طَلحَةَ الأَنصَارِيِّ، وَذَكَرَ السُّيُوطِيُّ فِي الخَصَائِصِ الكُبرَى أَنَّ أُمَّ سُلَيم كَانَت

---

(١) الوقف عند هذه الرواية لا بد منها؛ لأن المدينة المنورة كانت أرضًا خصبة زراعية، **تعرف** بوفرة مائها وكثرة ءابارها، وأهلها كانوا يشتغلون بالزراعة، وكان بها من الآبار يومئذ **ما** لا تحصر.

(٢) سنن الترمذي، الترمذي، أبواب المناقب عن رسول الله، (٣٧٠٣).

(٣) جامع الترمذي، الترمذي، أبواب المناقب عن رسول الله، (٣٧٠٣، ٣٦٩٩).

(٤) فتح الباري، العسقلاني، كتاب الوصايا، (٥/٤٠٨).

تَبْسُطُ لِلنَّبِيِّ ﷺ نِطَعًا فَيَقِيلُ عِندَهَا عَلَى ذَلِكَ النِّطَعِ، قَالَ: فَإِذَا نَامَ ﷺ أَخَذَت مِنْ عَرَقِهِ وَشَعَرِهِ فَجَعَلَتْهُ فِي قَارُورَةٍ ثُمَّ جَمَعَتْهُ فِي سُكٍّ، وَقَالَ: فَلَمَّا حَضَرَ أَنَسَ بنَ مَالِكٍ الوَفَاةُ أَوْصَى أَنْ يُجْعَلَ فِي حَنُوطِهِ مِنْ ذَلِكَ السُّكِّ[١][٢].

عَن أَنَسٍ قَالَ: كَانَ أَبُو طَلحَةَ أَكثَرَ أَنصارِيٍّ بِالمَدِينَةِ نَخلًا، وَكَانَ أَحَبَّ أَموَالِهِ إِلَيهِ بَيرُحَاءَ، وَكَانَت مُستَقبِلَةَ المَسجِدِ، وَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَدخُلُهَا وَيَشرَبُ مِن مَاءٍ فِيهَا طَيِّبٍ، فَلَمَّا أُنزِلَت: ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٩٢﴾﴾[٣]، قَامَ أَبُو طَلحَةَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ اللهَ يَقُولُ: ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٩٢﴾﴾ وَإِنَّ أَحَبَّ أَموَالِي إِلَيَّ بَيْرُحَاء، وَإِنَّهَا صَدَقَةٌ للهِ أَرجُو بِرَّهَا وَذُخرَهَا عِندَ اللهِ، فَضَعهَا يَا رَسُولَ اللهِ حَيثُ أَرَاكَ اللهُ. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**بَخْ ذَلِكَ مَالٌ رَابِحٌ، ذَلِكَ مَالٌ رَابِحٌ، وَقَدْ سَمِعْتُ مَا قُلْتَ، وَإِنِّي أَرَى أَنْ تَجْعَلَهَا فِي الأَقْرَبِينَ**»، قَالَ أَبُو طَلحَةَ: أَفعَلُ يَا رَسُولَ اللهِ[٤].

بِئْرُ عُرْوَةَ[٥] وَهِيَ فِي وَادِي العَقِيقِ بِجَانِبِ قَصرِهِ وَمَسجِدِهِ، وَكَانَت لِلتَّابِعِيِّ عُروَةَ بنِ الزُّبَيرِ، أُمُّهُ السَّيِّدَةُ أَسماءُ بِنتِ أَبِي بَكرٍ ذَاتِ النِّطَاقَينِ، وَأَبُوهُ الزُّبَيرُ بنُ العَوَّامِ رضي الله عنه حَوَارِيُّ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَجَدَّتُهُ

---

(١) نوعٌ من الطيب.

(٢) صحيح البخاري، البخاري، كتاب الاستئذان، باب من زار قوما فقال عندهم، (٦٢٨١).

(٣) سورة آل عمران، آية (٩٢).

(٤) صحيح البخاري، البخاري، كتاب التفسير، سورة ءال عمران، (٤٥٥٤).

(٥) Location 2426’59N 3934’47E

لأَبِيهِ السَّيِّدَةُ صَفِيَّةَ عَمَّةُ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَأَخُوهُ عَبدُ اللهِ بنُ الزُّبَيرِ أَوَّلُ مَولُودٍ وُلِدَ فِي الإِسلَامِ فِي المَدِينَةِ المُنَوَّرَة.

عَلَى يَسَارِ الذَّاهِبِ فِي طَرِيقِ مَكَّةَ القَدِيم (عُمَرَ بنِ الخَطَّابِ) بَعدَ تَقَاطُعِهِ مَعَ الطَّرِيقِ الدَّائِرِيِّ الثَّانِي مُبَاشَرَةً يُوجَدُ مَسجِدٌ يُسَمَّى مَسجِد عُروَة، خَلفَهُ بَقَايَا المَسجِدِ القَدِيمِ وَبِجَانِبِهِ القَصر وَأَمَامه البِئر.

ءابَارُ عَلِيٍّ[1]: بِجوَارِ مَسجِدِ المِيقَاتِ، قيل قَدْ حَفَرَهَا سَيِّدُنَا عَلِيّ رضي الله عنه أَثنَاءَ إِقَامَتِهِ فِي مَنطَقَةِ ذِي الحُلَيفَةِ فِي عَهدِ خِلَافَةِ سَيِّدِنَا عُثمَانَ بنِ عَفَّان، وَهِيَ تَقرِيبًا سَبعَةُ ءابَارٍ.

بِئْرُ الهَجِيم[2]: مَنْسُوبَة لأُطُم كَانَ لِبَنِي الجَحجَبَا الأَوسِيِّينَ مِنَ الأَنصَارِ بِالعُصبَةِ مِن قُبَاء. وَهِيَ بِئرُ بَنِي جَحجَبَا.

عَن سَيِّدِنَا أَفلَح بنِ سَعدٍ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ صَلَّى فِي مَسجِدِ التَّوبَةِ بِالعُصبَةِ بِبِئرِ هَجِيم[3]، وَالبِئرُ الآنَ بِجوَارِ المَسجِدِ بِمنطقَةِ قُبَاء.

يَقَعُ البِئرُ عَلَى الذَّاهِبِ فِي شَارع قُبَاء الطَّالِع إِلَى أَن يَتَخَطَّى مَسجِدَ قُبَاء وَإِلَى الأَمَامِ لِيَسِيرَ يَمِينًا فِي الطَّرِيقِ الدَّائِرِيِّ الثَّانِي مَسَافَة كِيلُومِترٍ وَاحِدٍ، يُوجَدُ مَسجِدٌ فِي بُستَانٍ يَملِكُهَا أَحَدُ سُكَّانِ المَدِينَةِ المُنَوَّرَةِ عَلَى النَّاحِيَةِ اليُمنَى، وَأَمَامهُ بِئرُ الهَجِيم.

---

(١) Location 2424'56N 3932'43E

(٢) Location 2425'50N 3936'20E

(٣) وفاء الوفا، السمهودي، (٣/ ٨٧٦).

بِئرُ العِهْنِ بِئرُ اليَسِيرَةِ[١] : كَانَ مِن أملَاكِ الأنصَارِ مِن بَنِي أُمَيَّةَ بن زَيدٍ الأوسِيِّين، وَأصبَحَت اليَومَ بِيَدِ السَّادَةِ الأشرَافِ مِن ءَالِ البَرزَنجِيّ، جَاءَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بَنِي أُمَيَّةَ بنِ زَيدٍ فَوَقَفَ عَلَى بِئرٍ لَهُم فَقَالَ: «مَا اسْمُهَا؟»، قَالُوا: عَسِيرَة، قَالَ: «لَا، وَلَكِن اسْمُهَا اليَسِيرَةُ»[٢]، وَشَرِبَ مِنهَا وَتَوَضَّأَ مِنهَا وَبَصَقَ فِيهَا وَدَعَا لَهَا بِالبَرَكَةِ.

بِئرُ العُهَيْنِ: بِجِوَارِ بِئرِ العِهنِ وَيَفصُلهُمَا شَجرَةُ سِدرٍ.

مَسْجِدُ الشَّمْسِ[٣] **وَبِئرُ العِهْنِ وَبِئرُ العُهَينِ وَبُستَانُ عَبدِ الرَّحْمَنِ بنِ عَوفٍ**[٤]: أَمَّا مَسجِدُ الشَّمسِ وَهُوَ مَسجِدُ الفَضِيح، وَقَد صَلَّى فِيهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَيَّامَ غَزوَةِ بَنِي النَّضِير. وَقِيلَ سُمِّيَ بِمَسجِدِ الشَّمسِ لِارتِفَاعِ مَوقِعِهِ وَظُهُورِ الشَّمسِ عَلَيهِ أَوَّلَ شُرُوقِهَا، أَمَّا بُستَانُ عَبدِ الرَّحْمَنِ بنِ عَوْفٍ وَالَّذِي يُعرَفُ بِبُستَانِ سَوَالَه، أعطَاهُ النَّبِيُّ ﷺ لَهُ مِن مَغَانِمِ بَنِي النَّضِير بَعدَ أَن شَاوَرَ الأنصَارَ فِي ذَلِكَ، وَمَواقِعُهم: عَلَى الذَّاهِبِ فِي نِهَايَةِ شَارِع قُربَان الأمِير عَبدِ المُحسِن أَن يَتَخَطَّى إِشَارَةَ المُرُورِ المُؤَدِّيَةِ إِلَى مَسجِدِ قُبَاء، ثُمَّ إِلَى الأمَامِ إِلَى شَارِعِ السَّدِّ، وَمَكَانُ مَسجِدِ الشَّمسِ عَلَى اليَمِينِ قَبلَ الجِسرِ مُبَاشَرَةً وَبَعدَ تَخَطِّي الجِسرِ بِـ ٨٠٠ مِتر وَإِلَى اليَمِينِ بُستَانُ عَبدِ الرَّحمَنِ بنِ عَوفٍ وَعَلَى اليَسَارِ وَإِلَى الدَّاخِلِ تُوجَدُ بِئر العِهنِ وَأَمَامَها بِـ ١٠٠ مِتر بِئر العُهَينِ.

---

(١) Location 2426'16N 3937'46E

(٢) طبقات ابن سعد، ابن سعد، (٣٨٨/١).

(٣) Location 2426'18N 3937'26E

(٤) Location 2426'07N 3937'45E

بِئرُ عَذْق[1] وَمَكَانُ التَّظْلِيلِ: كَانَت فِي دَارِ الكُلثُومِ بنِ الهِدمِ رضي الله عنه، وَعِندَ قُدُومِ النَّبِيِّ ﷺ مُهَاجِرًا مِن مَكَّةَ نَزَلَ فِي تِلكَ الدَّارِ بِقُبَاءٍ قَبلَ دُخُولِ المَدِينَةِ وَعِندَ البِئرِ أَنَاخَ النَّبِيُّ ﷺ وَرِفَاقُهُ[2].

مَكَانُ التَّظلِيلِ[3] عِندَ الهِجرَةِ قَدِمَ الأَنصَارُ فَتَلَقَّاهُم أَبُو بَكرٍ فَصَفَّقَ مَن لَم يَرَ النَّبِيَّ ﷺ يُحَيِّي أَبَا بَكرٍ حَتَّى أَصَابَتِ الشَّمس النَّبِيَّ ﷺ فَظَلَّلَهُ أَبُو بَكرٍ بِرِدَائِهِ فَعَرِفَهُ النَّاس.

تَقَعُ البِئرُ وَمَكَانُ التَّظلِيلِ أَمَامَ البَوَّابَةِ الرَّئِيسِيَّةِ لِمَسجِدِ قُبَاء فِي الجِهَةِ الغَربِيَّةِ، وَبَعدَ تَخَطِّي اتِّجَاهي شَارِعِ قُبَاء يُوجَدُ بُستَانٌ صَغِيرٌ بِهِ البِئرُ وَأَمَامُهَا مَكَانُ التَّظلِيلِ.

بِئْرُ السُّقْيَا[4]: أَحَدُ ءابَارِ المَدِينَةِ المُنَوَّرَةِ، وَرَدَ أَنَّهُ كَانَ يُستَعذَبُ لِلنَّبِيِّ ﷺ المَاءَ مِن بِئرِ السُّقيَا[5]، وَفِي مَنطَقَةِ السُّقيَا دَعَا الرَّسُولُ ﷺ لأَهلِ المَدِينَةِ بِالبَرَكَةِ[6]، وَعِندَهَا تَفَقَّدَ جَيشَ غَزوَةِ بَدرٍ، وَفِي خِلَافَةِ سَيِّدِنَا عُمَرَ بنِ الخَطَّابِ رضي الله عنه استَسقَى سَيِّدُنَا عُمَر رَبَّهُ لِلمُسلِمِينَ بِالعَبَّاسِ رضي الله عنه عَمِّ النَّبِيِّ ﷺ.

بِئْرُ إِهَاب أَو بِئرُ زَمْزَم: تُعْرَفُ بِبِئرِ زَمزَمَ تَبَرُّكًا وَتَيَمُّنًا بِاسمِ زَمزَم، وَهِيَ بِالحَرَّةِ الغَربِيَّةِ وَكَانَت لِسَعدِ بنِ عُثمَان، وَفِي حَدِيثِ أَحمَد: «خَرَجَ

---

(١) Location 2426'18N 3936'56E

(٢) أي أناخوا رواحلهم.

(٣) Location 2425'19N 3936'56E

(٤) Location 2427'38N 3936'00E

(٥) مسند أبو يعلى الموصلي، أبو يعلى الموصلي، (٨/ ٨٢)، (٤٦١٣).

(٦) سنن الترمذي، الترمذي، أبواب المناقب عن رسول الله ﷺ ، (٣٩١٤).

حَتَّى أَتَى بِئرَ إِهَاب فَقَالَ: يُوشَكُ أَن يَأتِيَ البُنيَانُ هَذَا المَكَانِ»[١].

عَن مُحَمَّدِ بنِ عَبدِ الرَّحمَنِ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَتَى بِئرَ إِهَاب بِالحَرَّةِ، وَهِيَ يَومَئِذٍ لِسَعدِ بنِ عُثمَانَ الزُّرَقِيِّ، فَوَجَدَ ابنَهُ عُبَادَةَ بنِ سَعدٍ مَربُوطًا بَينَ القَرْنَينِ يَفْتِلُ، فَانصَرَفَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَلَم يَلبَث أَن جَاءَ سَعدُ بنُ عُثمَان، فَقَالَ لابنِهِ: هَل جَاءَكَ أَحَدٌ؟ قَالَ: نَعَم، وَوَصَفَ لَهُ صِفَةَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: ذَاكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَحَلَّهُ وَقَالَ: الحَقهُ، فَخَرَجَ عُبَادَةُ حَتَّى لَحِقَ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ، فَمَسَحَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَى رَأسِ عُبَادَةَ وَبَرَّكَ فِيهِ، فَمَاتَ وَهُوَ ابنُ ثَمَانِينَ وَمَا شَابَ.

وَفِي هَذَا البِئرِ بَصَقَ رَسُولُ اللهِ ﷺ[٢].

بئر ذَرْوَان[٣]: وَعِندَ البُخَارِيِّ وَمُسلِم «بِئرُ ذِي أَرْوَان» وَكَانَت لِبَنِي زُرَيْق[٤]، وَهِيَ الَّتِي وَضَعَ لَبِيْدُ بنُ الأَعصَم وَكَانَ مُنَافِقًا حَلِيفًا لِبَنِي زُرَيق السِّحرَ لِلنَّبِيِّ تَحتَ رَاغُومَتِهَا وَكَأَنَّ مَاءَهَا كَنُقَاعَةِ الحِنَّاءِ وَنَخْلَهَا كَرُؤُوسِ الشَّيَاطِين، فَأَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ بِدَفنِ البِئرِ بَعدَ إِخرَاجِ السِّحرَ مِنهَا[٥].

بِئرُ أَنَسِ بنِ مَالِكٍ: كَانَت تُسَمَّى بِالجَاهِلِيَّةِ «البُرُود» وَتَقَعُ قُربَ المَسجِدِ النَّبَوِيِّ الشَّرِيفِ مِنَ النَّاحِيَةِ الشَّمَالِيَّةِ الشَّرقِيَّة، وَكَانَت لأَنَسِ بنِ مَالِكٍ خَادِمِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَعَنَ أَنَسِ بنِ مَالِكٍ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ

---

(١) مسند أحمد، الإمام أحمد، مسند الأنصار، (٢١٩١٤).

(٢) وفاء الوفا، السمهودي، (٣/ ٩٥٢).

(٣) Location 2427'59N 3936'47E

(٤) بطن من الخزرج.

(٥) صحيح البخاري، البخاري، كتاب الطب، باب السحر، (٥٧٦٦).

اسْتَسْقَى فَنَزَعَ لَهُ دَلوٌ مِن بِئرِ دَارِ أَنَسٍ فَسَكَبَ عَلَى اللَّبَنِ فَأَتَى بِهِ فَشَرِبَ وَأَعرَابِيٌّ عَن يَمِينِهِ.

وَعَنْ مَحْمُودِ بْنِ الرَّبِيعِ الأَنصَارِيِّ قَالَ: أَنَّهُ يَعْقِلُ مَجَّةً مَجَّهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي الدَّلْوِ فِي بِئْرِ أَنَسٍ.

وَقَالَ أَنَسُ بنُ مَالِكٍ: شَرِبَ رَسُولُ اللهِ مِنْ بِئْرِنَا هَذِهِ[1].

تَقَعُ البِئرُ فِي الجِهَةِ الشَّرقِيَّةِ، وَبِالتَّحْدِيدِ بَعْدَ دُخُولِكَ مِن بَابِ المَلِكِ عَبدِ العَزِيز (٣٤) ب، بَعدَ العَمُودِ الثَّامِنِ عَلَى اليَمِين.

بِئْرُ الرِّقَاعِ: وَهِيَ جَمعُ رُقْعَة[2]، يُقَالُ سُمِّيَت بِاسمِ الغَزوَةِ لأَنَّهُم رَقَّعُوا رَايَاتِهِم أَو لِصَلَاةِ الخَوفِ بِهَا، قَالَ أَبُو مُوسَى الأَشْعَرِيُّ رضي الله عنه: سُمِّيَت بِذَلِكَ لمَّا لَفُّوا عَلَى أَرجُلِهِم مِنَ الخِرَقِ[3].

أَوْدِيَةُ المَدِينَةِ المُنَوَّرَةِ

وَادِي العَقِيق[4]: هُوَ الوَادِي المُبَارَكِ، فَعن سَيِّدِنَا عُمَر بنِ الخَطَّابِ قَالَ: سَمِعتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «أَتَانِي ءَاتٍ مِنْ رَبِّيَ اللَّيْلَةَ[5] فَقَالَ: صَلِّ فِي هَذَا الوَادِي المُبَارَكِ»[6]. وَوَرَدَ قَولُهُ ﷺ: «العَقِيقُ وَادٍ

---

(١) الطبقات الكبرى، ابن سعد، (١/ ٣٩٢).

(٢) وقد تكون من جلد أو غيره كالكاغد.

(٣) صحيح البخاري، البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة ذات الرقاع، (٤١٢٨). صحيح مسلم، مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب غزوة ذات الرقاع، (١٨١٦).

(٤) Location 2422'09N 3933'07E Location 2428'20N 3934'26E.

(٥) وفي الجامع الكبير من رواية أبي طلحة تصريحٌ بأنه جبريل.

(٦) مسند البزار، البزار، (١/ ٣١٢)، (٢٠١).

مُبَارَك»[1].

وَرَوَى زَكَرِيَّا بنُ إبرَاهِيمَ قَالَ: بَاتَ رَجُلَانِ فِي العَقِيقِ ثُمَّ أَتَيَا رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**أَيْنَ بِتُّمَا؟**»، قَالَا: بِالعَقِيقِ. قَالَ: «**لَقَدْ بِتُّمَا بِوَادٍ مُبَارَكٍ**»[2].

وَعَن أَنَسِ بنِ مَالِكٍ قَالَ: خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ إِلَى وَادِي العَقِيقِ فَقَالَ: «**يَا أَنَسُ خُذْ هَذِهِ المِطْهَرَةَ**[3] **امْلَأْهَا مِنْ هَذَا الوَادِي فَإِنَّهُ يُحِبُّنَا وَنُحِبُّهُ**»[4].

وَرَوَى جَابِرُ بنُ عَبدِ اللهِ قَالَ: كَانَ سَلَمَةُ بنُ الأَكْوَعِ يَصِيدُ الظِّبَاءَ فَيهدِي لُحُومَهَا لِرَسُولِ اللهِ ﷺ جَفِيفًا وَطَرِيًّا، فَافتَقَدَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَقَالَ: «**يَا سَلَمَةُ، مَالَكَ لَا تَأْتِي بِمَا كُنْتَ تَأْتِي بِهِ**». فَقَالَ يَا رَسُولَ اللهِ تَبَاعَدَ عَلَينَا الصَّيدُ، فَإِنَّمَا نَصِيدُ بِثَيبِ وَصُدُورِ قَنَاةٍ (وَادِي قَنَاة). فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَمَا إِنَّكَ لَوْ كُنْتَ تَصِيدُ بِالعَقِيقِ لَشَيَّعْتُكَ إِذَا ذَهَبْتَ، وَتَلَقَّيْتُكَ إِذَا جِئْتَ، فَإِنِّي أُحِبُّ العَقِيقَ**»[5].

وَقَالَ ﷺ عَن عَرْصَة العَقِيقِ: «**نِعْمَ المَنْزِلُ العَرْصَة لَوْلَا كَثْرَةُ الهَوَامِ**»[6].

يُمكِنُ رُؤيَةُ جُزءٍ مِنهُ عَلَى جَانِبَي طَرِيق مَكَّةَ القَدِيم (عُمَرَ بنِ الخَطَّابِ)

---

(١) صحيح البخاري، البخاري، كتاب الحج، باب قول النبي?: «العقيق واد مبارك».

(٢) تاريخ معالم المدينة المنورة، أحمد ياسين الخياري، (ص/١٩٩).

(٣) إناءٌ صغير من جلدٍ يُتخذ للماء. لسان العرب، ابن منظور، مادة أ د ا.

(٤) معجم الشيوخ، ابن عساكر، (١/ ١٣٧).

(٥) وفاء الوفا، السمهودي، (٣/ ١٠٣٩).

(٦) وفاء الوفا، السمهودي، (٣/ ١٠٣٨).

بَعدَ تَقَاطُعِهِ مَعَ الطَّرِيقِ الدَّائِرِيِّ الثَّانِي بَعدَ مَسجِدِ عُروَةَ.

وَادِي المُكَيْمِن: وَرَدَ أَثرٌ نَبوِيٌّ شَرِيفٌ: «إِذَا سَالَ المُكَيمِنُ فَذَلِكُم الرَّبِيعُ فَذَلِكُم الرَّبِيع»[1].

وَبِهِ كَانَت حَادِثَةُ العُرَنِيِّينَ، حَيثُ جَاءَ رَسُولَ اللهِ ﷺ بَعضِ الأَعرَابِ يَشكُونَ المَرَضَ، فَأَرسَلَهُم إِلَى وَادِي المُكَيمِنِ حَيثُ إِبلُ الصَّدَقَةِ، لِيَشرَبُوا مِن أَلبَانِهَا، فَلَمَّا صَحُّوا مِن مَرَضِهِم غَدَرُوا وَهَجَمُوا عَلَى الإِبِلِ وَاستَاقُوهَا، فَأَدرَكَهُم رَاعِي الإِبِلِ، فَقَتَلُوهُ وَمَثَّلُوا بِهِ فَقَطَعُوا يَدَيهِ وَرِجلَيهِ، وَسَمَلوا عينه[2]، وَغَرَزُوا الشَّوكَ فِي لِسَانِهِ حَتَّى مَاتَ، ثُمَّ فَرُّوا هَارِبِينَ، فَبَعَثَ النَّبِيُّ ﷺ فِي ءَاثَارِهِم عِشرِينَ فَارِسًا عَلَيهِم كرزُ بنُ جَابِر فَجَاءَ بِهِم أَسرَى، وَأَنزَلَ اللهُ تَعَالَى فِيهِم: ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ أَوۡ تُقَطَّعَ أَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم مِّنۡ خِلَٰفٍ أَوۡ يُنفَوۡاْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِۚ ذَٰلِكَ لَهُمۡ خِزۡيٞ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ٣٣﴾[3]. فَقَتَلَهُم رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَصَلَبَهُم، وَقَطَّعَ أَيدِيَهُم وَأَرجُلَهُم مِن خِلَافٍ، وَسَمَّلَ أَعيُنَهُم، وَتَرَكَهُم يَستَسقُونَ فَلَا يُسقَونَ، كَمَا فَعَلُوا بِرَاعِي رَسُولِ اللهِ[4].

وَفِي هَذَا الوَادِي كَانَت تُرعَى فِيهِ إِبلُ النَّبِيِّ ﷺ، وَفِيهِ مَنَازِلُ سَيِّدِنَا أَبِي هُرَيرَةَ.

---

(١) الدر الثمين، الشنقيطي، (ص/٢٤٩).

(٢) قال ابن العربي المالكي: «السّمل هو إخراج العين من محلّها بالشوك».

(٣) سورة المائدة، آية ٣٣. الدر الثمين، الشنقيطي، (ص٢٤٩).

(٤) صحيح البخاري، البخاري، كتاب الزكاة، باب استعمال إبل الصدقة لأبناء السبيل، (١٥٠١).

يُمكِنُ رُؤيَةَ جُزءٍ مِنهُ عَلَى جَانِبَي الذَّاهِبِ فِي طَرِيقِ مَكَّةَ القَدِيمِ قَبلَ بُلُوغِ مَسجِدِ المِيقَاتِ.

وَادِي ذِي الحُلَيفَة: كَانَ طَرِيقُ النَّبِيِّ ﷺ فِي خُرُوجِهِ لأَسفَارِهِ وَغَزَوَاتِهِ وَحَجِّهِ وَعُمرَتِهِ، وَيُعرَفُ الآنَ بِـ: ءَابَارِ عَلِيّ، وَبِهِ مَسجِدُ المِيقَاتِ، وَفِي حَجَّةِ الوَدَاعِ رَوَى عَبدُ اللهِ بنُ عُمَرَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَنَاخَ(١) بِالبَطحَاءِ بِذِي الحُلَيفَةِ فَصَلَّى بِهَا، وَكَانَ عَبدُ اللهِ بنِ عُمَرَ رضي الله عنه يَفعَلُ ذَلِكَ(٢). وَعَنهُ قَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ إِذَا استَوَتْ بِهِ رَاحِلَتُهُ قَائِمَةً عِندَ مَسجِدِ ذِي الحُلَيفَةِ أَهَلَّ فَقَالَ: «**لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْك، لَبَّيْكَ لَا شَرِيكَ لَكَ لَبَّيْكَ، إِنَّ الحَمْدَ وَالنِّعْمَةَ لَكَ وَالمُلْكُ لَا شَرِيكَ لَكَ**»(٣).

وادي البَيْدَاء(٤): أَخبَرَ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّهُ فِي ءَاخِرِ الزَّمَانِ يَخرُجُ المَهدِيُّ المُنتَظَرُ مِنَ المَدِينَةِ المُنَوَّرَةِ إِلَى مَكَّةَ المُكَرَّمَة، فَيُطَارِدُهُ جَيشٌ مِنَ الشَّام، وَيَدخُلُ الجَيشُ المَدِينَةَ وَيَفعَلُ بِهَا مِنَ القَبَائِحِ وَالرَّذَائِلِ، ثُمَّ يَخرُجُ الجَيشُ إِلَى مَكَّةَ لِيَعبَثَ فِيهَا فَسَادًا كَمَا فَعَلَ بِالمَدِينَةِ، وَلِيَقتُلَ المَهدِيَّ، وَعِندَمَا يَتَجَاوَزُ هَذَا الجَيش المِيقَاتَ فِي ذِي الحُلَيفَةِ، يَخسِفُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ بِهِ الأَرضَ فِي وَادِي البَيدَاءِ انتِقَامًا مِنهُم لِمَا فَعَلُوهُ بِأَهلِ المَدِينَةِ، وَمُحَافَظَةً عَلَى بَيتِهِ العَتِيق، وَنُصرَةً لِعَبدِهِ المَهدِيِّ المُنتَظَر، وَرَوَت السَّيِّدَةُ

---

(١) أي راحلته.

(٢) صحيح البخاري، البخاري، كتاب الحج، (١٥٣٢).

(٣) **صحيح البخاري**، البخاري، كتاب الحج، باب قول الله تعالى: ﴿يَأْتُوكَ رِجَالًا﴾، (١٥١٤).

(٤) Location 2424’27N 3931’37E

أُمّ سَلَمَةَ رضي الله عنها، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**يَكُونُ اخْتِلَافٌ عِنْدَ مَوْتِ خَلِيفَةٍ، فَيَخْرُجُ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ المَدِينَةِ هَارِبًا إِلَى مَكَّةَ، فَيَأْتِيهِ نَاسٌ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ فَيُخْرِجُونَهُ وَهُوَ كَارِهٌ، فَيُبَايِعُونَهُ بَيْنَ الرُّكْنِ وَالمَقَامِ، وَيُبْعَثُ إِلَيْهِ بَعْثٌ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ، فَيُخْسَفُ بِهِمْ بِالبَيْدَاءِ بَيْنَ مَكَّةَ وَالمَدِينَةِ**»[1].

وَمَوْقِعُهَا الآنَ بَعدَ المِيقَاتِ عِندَ مَحطَّةِ تلفِزيُون المَدِينَةِ المُنَوَّرَة.

وَادِي ذَاتِ الجَيْش: وَسُمِّيَ بِذَلِكَ عِندَمَا تَوَقَّفَ فِيهِ جَيشُ رَسُولِ اللهِ ﷺ عِندَ العَودَةِ مِن غَزوَةِ بَنِي المُصطَلِقِ وَمَكَانِ نُزُولِ ءَايَةِ التَّيَمُّم، للبَحثِ عِن عِقْدِ السَّيِّدَةِ عَائِشَةَ رضي الله عنها الَّذِي فَقَدَتهُ عِندَ جَبَلٍ يَفصِلُ بَينَ وَادِي البَيدَاءِ وَوَادِي ذَاتِ الجَيشِ. رَوَتِ السَّيِّدَةُ عَائِشَة فَقَالَت: فأَقَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ على التِمَاسِهِ، وأَقَامَ النَّاسُ مَعَهُ، وَلَيْسُوا عَلَى مَاءٍ، وَلَيْسَ معهُمْ مَاءٌ، فأَتَى النَّاسُ إِلَى أَبِي بَكْرٍ فَقَالُوا: أَلَا تَرَى إِلَى مَا صَنَعَتْ عَائِشَةُ؟ أَقَامَتْ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ وَبِالنَّاسِ مَعَهُ، وَلَيْسُوا عَلَى مَاءٍ، وَلَيْسَ مَعَهُمْ مَاءٌ، فَجَاءَ أَبُو بَكْرٍ ورَسُولُ اللهِ ﷺ وَاضِعٌ رَأْسَهُ عَلَى فَخِذِي قَدْ نَامَ، فَقَالَ: حَبَسْتِ رَسُولَ اللهِ ﷺ وَالنَّاسَ وَلَيْسُوا عَلَى مَاءٍ، وَلَيْسَ مَعَهُمْ مَاءٌ، قَالَتْ فَعَاتَبَنِي أَبُو بَكْرٍ، وَقَالَ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَقُولَ، وجَعَلَ يَطْعُنُ بيَدِهِ في خَاصِرَتِي[2]، لا يَمْنَعُنِي مِنَ التَّحَرُّكِ إِلَّا مَكَانُ رَسولِ اللهِ ﷺ على فَخِذِي، فَنَامَ رَسولُ ﷺ حتَّى أَصْبَحَ على غيرِ مَاءٍ، فأَنْزَلَ اللهُ ءَايَةَ التَّيَمُّمِ: ﴿**وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُواْ مَآءً فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدًا طَيِّبًا فَٱمْسَحُواْ**

---

(١) سنن أبي داود، أبو داود، كتاب المهدي، (٤٢٨٦).

(٢) قال النووي: «وفيه تأديب الرجل ابنته وإن كانت كبيرةً متزوجة خارجة عن بيته». **المنهاج على صحيح مسلم**، النووي، (٤/ ٥٩).

بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا﴾[1]. فَقالَ أُسَيْدُ بنُ الحُضَيْرِ: وهو أحَدُ النُّقَبَاءِ، مَا هِيَ بأَوَّلِ بَرَكَتِكُمْ يا ءَالَ أبِي بَكْرٍ، فَقالَتْ عَائِشَةُ: فَبَعَثْنَا البَعِيرَ الذي كُنْتُ عليه فَوَجَدْنَا العِقْدَ تَحْتَهُ[2].

وَيُسَمَّى الآنَ المُفَرِّحَات، وَسُمِّيَت بِالمُفَرِّحَاتِ لأَنَّ القَادِمَ إِذَا وَصَلَهَا تَرَاءَت لَهُ طَيبَةَ الطَّيِّبَة فَيَفْرَحُ بِذَلِكَ، وَقَدِيمًا كَانَت تُسَمَّى ثَنِيَّةُ الحَفِيرَة. يَقَعُ عَلَى الذَّاهِبِ فِي طَرِيقِ مَكَّةَ القَدِيم (عُمرَ بنِ الخَطَّابِ) وَبَعدَ تَخَطِّي مَسجِدِ المِيقَاتِ فِي اتِّجَاهِ مَدِينَةِ بَدرٍ وَعِندَ مَحطَّةِ تِلفزيُونِ المَدِينَةِ المُنَوَّرَةِ يُشَاهِدُ وَادِي البَيدَاءِ عَلَى جَانِبِ الطَّرِيقِ، ثُمَّ بَعدَ تَخَطِّي تَقَاطُع الجَامِعَات (طَرِيقِ الخَوَاجَاتِ) بِكِيلُومِترٍ وَاحِدٍ يُوجَدُ عَلَى يَسَارِ الطَّرِيقِ جَبَلُ حَمرَاءِ الأَسَدِ، وَفِي سَفحِهِ مَنَازِلُ عُمَّالِ بِن لَادن، وَبِجَانِبِهِ جَبَلُ حَمرَاء النَّملَة، وَبِجَانِبِهِ جَبلُ عيرِ الصَّادِرِ، وَبِجَانِبِهِ جَبَلُ عيرِ الوَارِدِ الكَبِيرِ، وَعَلَى يَمِينِ الطَّرِيقِ وَخَلفَ مَحطَّةِ بِنزِينِ النَّسِيم جَبَلُ ضِلْعِ النَّومِ ثُمَّ وَعَلَى جَانِبَي الطَّرِيقِ وَإِلَى الأَمَامِ وَادِي ذَاتِ الجَيشِ.

وادي بُطْحَانُ[3]: وَيُسَمَّى بِالسَّيح أو بِوَادِي أَبِي جِيدَة، رَوَى عُروَةَ بنِ الزُّبَيرِ أَنَّ عَائِشَةَ رضي الله عنها أَخبَرَتهُ أَنَّهَا سَمِعَت النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «**بُطْحَانُ عَلَى بِرْكَةٍ مِنْ بِرَكِ الجَنَّةِ**»[4]. وَفِيهِ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**بُطْحَانُ عَلَى تُرْعَةٍ مِنْ تُرَعِ الجَنَّةِ**»[5].

---

(١) سورة النساء، آية (٤٣).

(٢) صحيح البخاري، البخاري، كتاب التيمم، (٣٣٤).

(٣) Location 2424'35N 3938'25E

(٤) مجمع الزوائد، الهيثمي، باب الحج، (٤/١٣)، (٥٩١٨).

(٥) مسند الفردوس، الديلمي، (٢/٢٧)، (٢١٧٤).

وَوَرَدَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ دَخَلَ عَلَى ثَابِتِ بنِ قَيسٍ وَهُوَ مَرِيضٌ فَقَالَ: «**اكْشِفِ البَأْسَ رَبَّ النَّاسِ عَن ثَابِتِ بنِ قَيسِ بنِ شَمَّاسٍ**». ثُمَّ أَخَذَ تُرَابًا مِن بُطْحَانَ فَجَعَلَهُ فِي قَدَحٍ، ثُمَّ نَفَثَ عَلَيْهِ بِمَاءٍ وَصَبَّهُ عَلَيْهِ[1]. وَرَوَى ابنُ الزُّبَيرِ عَن إِبرَاهِيمَ بنِ الجَهمِ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ زَارَ مَنَازِلَ بَلْحَارِث بنِ الخَزرَجِ وَبِهِم حُمَّى، فَقَالَ: «فَأَيْنَ أَنْتُمْ عَن صُعَيبٍ؟» **وَأَخَذَ مِنْهَا**، وَقَالَ: «**بِسْمِ اللهِ تُرَابِ أَرْضِنَا بِرِيقِ بَعْضِنَا شِفَاءٌ لِمَرِيضِنَا بِإِذْنِ رَبِّنَا**»[2]. وَتُربَةُ صُعَيْبٍ مِن وَادِي بُطحَان.

يَقَعُ الوَادِي بَعدَ تَخَطِّي نِهَايَةِ شَارِعِ العَوَالِي (عَلِيّ بنِ أَبِي طَالِب) وَبَعدَ مُستَشفَى الزَّهرَاء الخَاصّ، يَسْلُكُ الذَّاهِبُ يَمِينًا حَتَّى مَدَارِسِ الشَّاوِي الخَاصَّة ثُمَّ الدُّخُولُ يَمِينًا فِي شَارِعٍ تُرَابِي صَغِير هُوَ مِن وَادِي بُطحَان مَسَافَةَ ٥٠٠ مِتر، وَالتُّربَةُ عَلَى اليَسَارِ تَحتَ النَّخِيلِ[3].

وَادِي رَانُونَاء: فِي وَادِي ذِي صُلْب وَهُوَ جُزءٌ مِن وَادِي رَانُونَاء، سَارَ رَكبُ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي دُخُولِهِ مِن قُبَاء للمَدِينَةِ المُنَوَّرَةِ، وَسَارَعَت قَبَائِلُ الأَنصَارِ يَتَجَاذَبُونَ خِطَامَ نَاقَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ القَصوَاء للنُّزُولِ عِندَهُم، فَلَمَّا مَرَّت عَلَى دِيَارِ بَنِي سَالِمِ بنِ عَوفٍ، وَأَدرَكَتهُ صَلَاةُ الجُمُعَةِ فِي بَطنِ وَادِي الرَّانُونَاء فَصَلَّاهَا بِمَنْ مَعَهُ، وَأَتَاهُ عُتبَانُ بنُ مَالِك وَنَوفَلُ بنُ العَجلَانِ وَهُوَ ءَاخِذٌ بِزِمَامِ رَاحِلَتِهِ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ انزِل فِينَا فَإِنَّ فِينَا العَدَدَ وَالعَشِيرَةَ وَالحَلْقَةَ أَي السِّلَاح، وَنَحنُ أَصحَابُ الفَضَاءِ

---

(١) سنن أبي داود، أبو داود، كتاب الطب، باب في الرقى، (٣٨٨٥).

(٢) وفاء الوفا، السمهودي، (١/٦٨).

(٣) Location 2426'44N 3937'32E . Location 2426'53N 3937'25E

وَالحَدَائِقِ وَالدَّركِ. فَجَعَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**خَلُّوا سَبِيلَهَا فَإِنَّهَا مَأْمُورَةٌ**»، فَقَامَ إِلَيهِ عُبَادَةُ بنُ الصَّامِتِ وَالعَبَّاس بنُ عُبَادَةَ بنِ نَضلَة، فَجَعَلَا يَقُولَانِ لَهُ: يَا رَسُولَ اللهِ انْزِلْ فِينَا، فَيَقُولُ النَّبِيُّ ﷺ: «**بَارَكَ اللهُ عَلَيْكُم، إِنَّهَا مَأْمُورَة**»، حَتَّى إِذَا مَرَّتْ بِدَارِ بَنِي سَاعِدَةَ اعتَرَضَهُ سَعدُ بنُ عُبَادَةَ وَأَبُو دُجَانَةَ فِي قَومِهِم، فَقَالُوا يَا رَسُولَ اللهِ، انْزِلْ عِندَنَا، فَفِينَا العَدَدُ وَالثَّروَةُ وَالحَلْقَةُ، وَانطَلَقَتِ القَصوَاءُ[1]، حَتَّى إِذَا وَازَنَت دَارَ بَنِي الحَارِثِ بنِ الخَزرَجِ اعتَرَضَهُ سَعدُ بنُ الرَّبيعِ وَخَارِجَةُ بنُ زَيدٍ، وَعَبدُ اللهِ ابنِ رَوَاحَةَ فِي رِجَالٍ مِن قَومِهِم، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ هَلُمَّ إِلَى العِزِّ وَالثَّروَةِ وَالقُوَّةِ وَالجَلَدِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**يَا أَبَا ثَابِتٍ خَلِّ سَبِيلَهَا فَإِنَّهَا مَأْمُورَة**» ثُمَّ مَرَّت النَّاقَةُ بِبَنِي عَدِيِّ بنِ النَّجَّارِ وَهُمَ أَخوَاله، فَقَامَ أَبُو سَلِيطٍ وصِرْمَةُ بنُ أَبِي أَنَسٍ فِي قَومِهِمَا فَقَالَا: يَا رَسُولَ اللهِ، نَحنُ أَخوَالُكَ هَلُمَّ إِلَى العَدَدِ وَالمَنعَةِ وَالقُوَّةِ مَعَ القَرَابَةِ، لَا تُجَاوِزنَا إِلَى غَيرِنَا يَا رَسُولَ اللهِ، لَيسَ أَحَدٌ مِن قَومِنَا أَولَى بِكَ مِنَّا لِقَرَابَتِنَا بِكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**خَلُّوا سَبِيلَهَا فَإِنَّهَا مَأْمُورَة**». حَتَّى إِذَا أَتَت النَّاقَة دَارِ بَنِي غَنَم مِن بَنِي النَّجَّارِ فَبَرَكَت بَابَ مَسجِدِهِ ﷺ.

يَقَعُ الوَادِي عَلَى جَانبي بِدَايَةِ شَارِعِ قُبَاء للمُتَّجِهِ إِلَى الحَرَمِ النَّبَوِيِّ الشَّرِيف[2].

---

(١) ناقة.

(٢) Location 2425’13N 3935’42E .Location 2426’42N 3936’54E

مَسْجِدُ قُبَاء

لمَّا جَاءَ النَّبِيُّ ﷺ مُهَاجِرًا إِلَى المَدِينَةِ المُنَوَّرَةِ نَزَلَ فِي مَنزِلِ كُلثُومِ بنِ الهِدم مِن بَنِي عَمرِو بنِ عَوفٍ[1]، وَأَخَذَ جَرِيدَةً فَأَسَّسَ مَسجِدَ قُبَاء، وَهُوَ أَوَّلُ مَسجِدٍ بَنَاهُ النَّبِيُّ ﷺ وَأَصحَابُهُ بِالمَدِينَةِ المُنَوَّرَةِ، وَنَزَلَ فِي شَأنِهِ قَولِهِ تَعَالَى: ﴿لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِۚ﴾[2].

عَن أَبِي هُرَيرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ «نَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ فِي أَهْلِ قُبَاء: ﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ﴾[3][4].

وَيُستَحَبُّ استِحبَابًا مُؤَكَّدًا أَن يَأتِي مَسجِدَ قُبَاء يَومَ السَّبتِ، فَإِن تَعَذَّرَ يَومَ السَّبتِ فَفِي غَيرِهِ مِنَ الأَيَّامِ، وَفِي الصَّحِيحَينِ[5] «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَأْتِيهِ كُلَّ سَبْتٍ رَاكِبًا وَمَاشِيًا»، وَكَانَ ابنُ عُمَرَ رضي الله عنه يَفعَلُهُ.

وَقَالَ عَلَيهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «مَنْ صَلَّى فِيهِ كَانَ كَعَدْلِ عُمْرَةٍ»[6]،

---

(١) نزل في شأن بني عمرو بن عوف قوله تعالى: ﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ﴾ سورة التوبة، آية (١٠٨).

(٢) سورة التوبة، آية (١٠٨).

(٣) سورة التوبة، آية (١٠٨).

(٤) سنن أبي داود، أبو داود، كتاب الطهارة، باب في الاستنجاء بالماء، (٤٤).

(٥) صحيح البخاري، البخاري، باب من أتى مسجد قباء كل سبت، (١١٩٣). صحيح مسلم، مسلم، كتاب المناسك، باب في تحريم المدينة، (٢٠٤٠).

(٦) صحيح ابن حبان، ابن حبان، (٤/٥٠٧)، (١٦٢٧).

وَعَن سَهلِ بن حُنَيفٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«مَنْ تَطَهَّرَ فِي بَيْتِهِ، ثُمَّ أَتَى مَسْجِدَ قُبَاءَ فَصَلَّى فِيهِ صَلَاةً، كَانَ لَهُ كَأَجْرِ عُمْرَةٍ»**[1].

وَقَد اشتَرَكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مَعَ أَصحَابِهِ فِي بِنَائِهِ، فَعَنِ الشَّمُوسِ بِنْتِ النُّعْمَانِ، قَالَتْ: نَظَرْتُ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ حِينَ قَدِمَ، وَنَزَلَ وَأَسَّسَ هَذَا الْمَسْجِدَ، مَسْجِدَ قبَاءَ، فَرَأَيْتُهُ يَأْخُذُ الْحَجَرَ - أَوِ الصَّخْرَةَ - حَتَّى يَصْهَرَهُ[2] الْحَجَرُ، وَأَنْظُرُ إِلَى بَيَاضِ التُّرَابِ عَلَى بَطْنِهِ وَسُرَّتِهِ، فَيَأْتِي الرَّجُلُ مِنْ أَصْحَابِهِ وَيَقُولُ: بِأَبِي وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللهِ، أَعْطِنِي أَكْفِكَ، فَيَقُولُ: **«لَا خُذْ حَجَرًا مِثْلَهُ»**.

إِنَّ مَنطَقَةَ قُبَاء هِيَ أَوَّلُ مَنطَقَةٍ سَكَنَ فِيهَا المُهَاجِرُونَ بَعدَ قُدُومِهِم مِن مَكَّةَ المُكَرَّمَة وَذَلِكَ بَعدَ انتِشَارِ الإِسلَامِ فِي المَدِينَةِ بَعدَ بَيْعَتَي العَقَبَة وَدَعوَةِ الأَنصَارِ للنَّبِيِّ ﷺ للهِجرَةِ إِلَيهِم وَتَعَهُّدِهِم بِحِمَايَتِهِ بِمَا يَحْمُونَ بِهِ نِسَاءَهُم وَأَبنَاءَهُم.

فَكَانَ أَوَّلُ مَن هَاجَرَ عَبدُ اللهِ ابنُ أُمِّ مَكتُومٍ رضي الله عنه وَأَبُو سَلَمَةَ ابنُ عَبدِ الأَسَدِ المَخزُومِيُّ، وَقِيلَ إِنَّهُ أَوَّل مَن يَأْخُذُ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ[3].

وَكَانَ مَنْ هَاجَرَ مِنَ المُسلِمِينَ يَستَقِرُّ بِقُبَاءٍ عِندَ بَنِي عَمرِو بنِ عَوفٍ، وَاتَّخَذُوا مَكَانًا يُصَلُّونَ فِيهِ بِإِمَامَةِ مُصعَبِ بنِ عُمَيرٍ رضي الله عنه، فَكَانَ ذَلِكَ مَكَانَ مَسجِدَ قُبَاء فِيمَا بَعدُ حِينَ هَاجَرَ المُصطَفَى إِلَى المَدِينَةِ.

وَنَزَلَ النَّبِيُّ ﷺ حِينَ قَدِمَ تَحتَ ظِلِّ نَخلَةٍ غَربِيَّ مَكَانِ مَسجِدِ قُبَاء فَلَم

(١) سنن ابن ماجه، ابن ماجه، كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، (١٤١٢).

(٢) أي يُميله.

(٣) ضعفه البغدادي. الأوائل، ابن أبي عاصم، (ص/ ٨٢).

يُمَيِّزِ الأَنصَارُ رَسُولَ اللهِ ﷺ مِنَ الصِّدِّيقِ لأَنَّهُم لَم يَرَوهُ مِن قَبلُ حَتَّى لَحِقَتهُ الشَّمسُ، فَقَامَ الصِّدِّيقُ يُظَلِّلُهُ بِرِدَائِهِ فَعَرف الأَنصَارُ حِينَئِذٍ رَسُولَ اللهِ ﷺ مِنَ الصِّدِّيقِ.

ثُمَّ انتَقَلَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى بَيتِ كُلثُوم بن الهِدمِ وَإِلَى مَنزِلِ سَعدِ بنِ خَيثَمَةَ، وَكَانَ مَوقِعُ مَنزِلهِمَا جَنُوبي مَسجِدِ قُبَاء فِي مَكَانِ مَدرَسَةِ قُبَاء الابتِدَائِيَّة سَابِقًا.

يَقَعُ المَسجِدُ فِي نِهَايَةِ شَارِعِ قُبَاء الطَّالِعِ القَادِمِ مِنَ الحَرَمِ النَّبَوِيِّ الشَّرِيفِ إِلَى قُبَاء، وَبِئرُ الخَاتَمِ كَانَت أَمَامَ البَابِ الرَّئِيسِيِّ لِلمَسجِدِ القَدِيمِ بِـ ٤٢ مِترًا تَقرِيبًا.

مَسْجِدُ القِبْلَتَيْنِ أَوْ مَسْجِدُ بَنِي سَلمَةَ

هُوَ المَسجِدُ الَّذِي تَمَّ فِيهِ تَحوِيلُ القِبلَةِ مِن بَيتِ المَقدِسِ إِلَى بَيتِ اللهِ الحَرَامِ. سُمِّيَ بِذَلِكَ لأَنَّهُ صَلَّى فِيهِ بَعضُ صَحَابَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ صَلَاةً وَاحِدَةً نَصفهَا رَكعَتَينِ إِلَى بَيتِ المَقدِسِ وَالنِّصفَ الآخرَ رَكعَتَينِ إِلَى مَكَّةَ عِندَ سَمَاعِهِم وَهُم فِي الصَّلَاةِ بِنُزُولِ ءَايَةِ تَحوِيلِ اتِّجَاهِ القِبلَةِ مِنَ المَسجِدِ الأَقصَى إِلَى بَيتِ اللهِ الحَرَامِ[١].

فَعَنِ البَرَاءِ بنِ عَازِبٍ قَالَ: «كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ صَلَّى نَحوَ بَيتِ المَقدِسِ سِتَّةَ عَشَرَ أَو سَبعَةَ عَشَرَ شَهرًا، وَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُحِبُّ أَن يُوَجَّهَ إِلَى الكَعبَةِ، فَأَنزَلَ اللهُ: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِى ٱلسَّمَآءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ

(١) قال بعضهم: الحكمة من تحويل القبلة ابتلاء العباد.

قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾[1]، فَتَوَجَّهَ إِلَى الكَعبَةِ[2]».

يَقَعُ المَسجِدُ عَلَى الذَّاهِبِ فِي نِهَايَةِ شَارِعِ سُلطَانَة (أَبِي بَكرٍ الصِّدِّيق)، أَن يَدخُلَ يَسارًا بَعدَ التَّقَاطُعِ فِي شَارِعِ خَالِدِ بنِ الوَلِيدِ.

مَسَاجِد وَأَمَاكِن أَثَرِيَّةٌ فِي المَدِينَةِ المُنَوَّرَةِ

مَسجِدُ السُّقْيَا وَبِئْرُ السُّقْيَا وَحَرَّة الظَّاهِرِ:

حَرَّةُ السُّقيَا الَّتِي ضَرَبَ عِندَهَا النَّبِيُّ ﷺ قُبَّتَهُ عِندَ الذَّهَابِ بِغَزوَةِ بَدرٍ، وَاستَعْرَضَ جَيشَهُ وَرَدَّ مَنِ استَصغَرَ مِن أَبنَاءِ الصَّحَابَةِ، وَوَعَدَهُ اللهُ تَعالَى أَن تَكُونَ إِحدَى الطَّائِفَتَينِ لَهُ، إِمَّا العِيرُ أَوِ النَّفِيرُ، بِقَولِهِ سُبحَانَهُ: ﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَيَقْطَعَ دَابِرَ ٱلْكَٰفِرِينَ ۞﴾[3]، وَبِهَا دَعَا النَّبِيُّ ﷺ رَبَّهُ لأَهلِ المَدِينَةِ المُنَوَّرَةِ بِالبَرَكَةِ وَأَن يَجعَلَ حُبَّ المَدِينَةِ فِي قُلُوبِ المُسلِمِينَ كَحُبِّ مَكَّةَ أَو أَشَدَّ.

وَكَانَ بِتِلكَ الحَرَّةِ مَنَازِلُ بَنِي المُصطَلِقِ قَوم أُمِّ المُؤمِنِينَ السَّيِّدَة جُوَيرِيَةَ بِنتِ الحَارِثِ «أَبرَكُ عَرُوسٍ عَلَى قَومِهَا» إِذ أَطلَقَ المُسلِمُونَ سَبَايَا قَومِهَا بَعدَ أَسرِهِم فِي غَزوَةِ بَنِي المُصطَلِقِ عِندَمَا عَلِمُوا أَنَّ النَّبِيَّ

---

(١) سورة البقرة، آية (١٤٤).

(٢) سنن الترمذي، أبواب الصلاة عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في ابتداء القبلة، (٣٤٠).

(٣) سوة الأنفال، آية (٧).

ﷺ تَزَوَّجَهَا وَأَنَّ قَومَهَا صَارُوا أَصهَارًا لِرَسُولِ اللهِ ﷺ.

أُقِيمَ هَذَا المَسجِدُ حَيثُ صَلَّى رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي حَرَّةِ السُّقيَا الَّتِي كَانَت أَرضَ سَعدِ بنِ أَبِي وَقَّاصٍ وَالبِئر مِلك مَالِكِ بنِ النَّضرِ وَالِدُ أَنَسِ ابنِ مَالِكٍ، وَحَالِيًا السُّقيَا مَوضِعٌ بِالعَنبَرِيَّةِ دَاخِلَ مَحطَّةِ السِّكَّةِ الحَدِيدِيَّةِ وَخَارِجَهَا.

وَلَمَّا خَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى بَدرٍ عَرَضَ جَيشَهُ بِهِ، وَصَلَّى وَدَعَا لأَهلِ طَيبَةَ بِالبَرَكَةِ وَقَالَ: «**اللَّهُمَّ إِنَّ إِبْراهِيمَ خَلِيلك وعَبْدَكَ ونَبِيّكَ دَعاكَ لِأَهْلِ مَكَّةَ، وأنا مُحَمَّدٌ عَبْدُكَ وَنَبِيُّكَ ورَسُولُكَ أَدْعُوكَ لِأَهْلِ المَدِينَةِ مِثْلَ ما دَعاكَ بِهِ إِبْرَاهِيمُ لِمَكَّةَ، نَدْعُوكَ أَنْ تُبارِكَ لَهم فِي صَاعِهِمْ ومُدِّهِمْ وَثِمَارِهِمُ، اللَّهُمَّ حَبِّبْ إِلَيْنَا المَدِينَةَ كَمَا حَبَّبْتَ إِلَيْنا مَكَّةَ، وَاجْعَلْ مَا بِهَا مِنْ وَبَاءٍ بِخُمّ، اللَّهُمَّ إِنِّي حَرَّمْتُ مَا بَيْنَ لَابَتَيْها كَمَا حَرَّمْتَ عَلَى لِسَانِ إِبْرَاهِيمَ الحَرَمَ**»[1].

وَرَوَى البُخَارِيُّ عَن أَنَسٍ أَنَّ عُمَرَ بنَ الخَطَّابِ اسْتَسْقَى بِالعَبَّاسِ بنِ عَبدِ المُطَّلِبِ فِي هَذَا المَوضِعِ عَامَ الرَّمَادَةِ فَقَالَ: «اللَّهُمَّ إِنَّا كُنَّا نَتَوَسَّلُ إِلَيكَ بِنَبِيِّنَا فَتَسقِينَا، وَإِنَّا نَتَوَسَّلُ إِلَيكَ بِعَمِّ نَبِيِّنَا فَاسقِنَا. قَالَ: فَيُسقَوْنَ»[2].

وَهُنَاكَ بِئرُ السُّقيَا الَّذِي تَوَضَّأَ مِنهَا النَّبِيُّ ﷺ وَكَانَ يَشرَبُ مِنهَا وَيُسقَى لَهُ وَكَانَ يَسْتَعْذِبُ مَاءَهَا.

---

(١) مسند أحمد، أحمد، مسند الأنصار، حديث أبي قتادة الأنصاري، (٢٢٦٣٠).

(٢) صحيح البخاري، البخاري، كتاب الاستسقاء، باب سؤال الناس الإمام الاستسقاء إذا قحطوا، (١٠١٠).

يَقَعُ المَسجِدُ وَالبِئرُ فِي سَاحَةِ سِكَكِ حَدِيدِ الحِجَازِ الآن مَحطَّة العَنبَرِيَّةِ لأُتوبيسَات النَّقلِ عَلَى يَمِينِ أَوَّلِ شَارعِ العَنبَرِيَّةِ (عُمَرَ بنِ الخَطَّابِ) بَعدَ تَخطّي مَيدَان العَنبَرِيَّةِ فِي اتِّجَاهِ طَرِيقِ مَكَّةَ القَدِيم، وَالبِئرُ دَخلَت تَحتَ الشَّارعِ العَامّ، وَحَرَّةِ الظَّاهِرِ هِيَ المَنطَقَةُ الَّتِي أَمَامَ وَإِلَى اليَسَارِ مِنَ المَسجِدِ، بَعدَ السَّاحَةِ فِي اتِّجَاهِ طَرِيقِ مَكَّةَ القَدِيمِ[١].

مَسْجِدُ دَارِ سَعْدِ بنِ خَيْثَمَةَ:

لَقَد كَانَ الصَّحَابَةُ يُصَلُّونَ الجُمُعَةَ أَحيَانًا فِي دَارِ سَعدٍ، وَذَلِكَ قَبلَ قُدُومِ النَّبِيِّ ﷺ المَدِينَةَ. وَلَمَّا جَاءَ مُهَاجِرًا نَزَلَ فِي دَارِ كُلثُومِ بنِ الهِدمِ رضي الله عنه، وَكَانَ يَتَرَدَّدُ إِلَى دَارِ سَعدٍ رضي الله عنه، وَثَبَتَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ صَلَّى فِي المَسجِدِ الَّذِي فِي دَارِ سَعْدِ بنِ خَيثَمَةَ[٢]، وَمَوقِعُهَا فِي قِبلَةِ مَسجِدِ قُبَاء بِالرُّكنِ الجَنُوبِيِّ الغَربِيِّ، فَأُقِيمَ فِي مَوضِعِهَا مَسجِدٌ وَبَقِيَ إِلَى أَن دَخَلَ ضِمنَ تَوسِعَةِ مَسجِدِ قُبَاء[٣].

فَائِدَةٌ: لَمَّا كَانَت غَزوَةُ بَدرٍ استهمَ سَعدٌ مَعَ أَبِيهِ خَيثَمَةَ لِيَحضُرَ الغَزوَةَ وَاحِدٌ مِنهُمَا، فَخَرَجَ سَهمُ سَعْدٍ، فَقَالَ لَهُ أَبُوهُ خَيْثَمَة: يَا بُنَيَّ ءَاثِرْنِي اليَومَ عَلَى نَفْسِكَ. فَقَالَ سَعدٌ رضي الله عنه: يَا أَبَتِ! لَو كَانَ غَيرَ الجَنَّةِ فَعَلتُ، فَخَرَجَ سَعدٌ إِلَى بَدْرٍ وَقُتِلَ شَهِيدًا. أَمَّا أَبُوهُ خَيثَمَة رضي الله عنه فَبَقِيَ إِلَى أَن أَكرَمَهُ اللهُ بِالشَّهَادَةِ يَومَ أُحُدٍ[٤].

---

(١) Location 2427'39N 3936'00E

(٢) وفاء الوفا، السمهودي، (٣/ ٨٧٥).

(٣) Location 2426'18N 3937'01E

(٤) الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، (٣/٤٧).

مَسْجِدُ الجُمُعَةِ[1]:

يُسَمَّى مَسجِدُ عَاتِكَةَ أَو مَسجِدُ بَنِي سَالِمٍ لِوُقُوعِهِ فِي مَنَازِلِ قَبِيلَةِ بَنِي سَالِمِ بنِ عَوْفٍ أَو مَسجِدِ الوَادِي لِوُقُوعِهِ فِي بَطنِ وَادِي رَانُونَاء، وَإِنَّ مُصعَبَ بنِ عُمَيرٍ وَأَسعَدَ بنِ زُرَارَةَ كَانَا يُصَلِّيَانِ الجُمُعَةَ مَعَ المُسلِمِينَ فِي المَدِينَةِ المُنَوَّرَةِ قَبلَ مَقْدَم النَّبِيّ ﷺ، وَلمَّا جَاءَ النَّبِيُّ ﷺ المَدِينَةَ مُهَاجِرًا مَكَثَ أَيَّامًا فِي قُبَاء ثُمَّ اتَّجَهَ إِلَى المَدِينَةِ المُنَوَّرَةِ يَومَ الجُمُعَة، وَصَلَّى أَوَّلَ جُمعَةٍ فِي بَنِي سَالِم فَبَنَوا مَسْجِدًا فِي هَذَا المَوضِعِ وَهُوَ فِي الجِهَةِ الشَّمَالِيَّةِ مِن مَسجِدِ قُبَاء عَلَى بُعدِ نَحوِ كِيلُومتر[2].

وَبَنُو سَالِم بَطنٌ مِنَ الخَزْرَجِ وَهُمْ بَنُو سَالم بن عَوف بنِ عَمرِو بنِ عَوفٍ، وَكَانَت مَنَازِلُهُم شَمَالي مَسجِدِ قُبَاء عَلَى بُعدِ نَحوِ ثَمَانمائةِ مِترٍ بِجَانَبِ وَادِي رَانُونَاء.

مَسْجِدُ عِتْبَان بنِ مَالِك:

كَانَ مَالِكُ بنُ العَجْلَان مِن بَنِي سَالِم وَهُوَ سَيِّدُ الأَنصَار. وَابنُهُ عِتبَان رضي الله عنه طَلَبَ مِنَ النَّبِيّ ﷺ أَن يَأتِي فِي بَيتِهِ وَيُصَلِّي فِيهِ لِيَتَّخِذَهُ مُصَلَّى. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**سَأَفْعَلُ إِنْ شَاءَ الله**»، فَغَدَا رَسُولُ اللهِ ﷺ وَأَبُو بَكرٍ حِينَ ارتَفَعَ النَّهَار، ثُمَّ قَالَ: «**أَيْنَ تُحِبُّ أَنْ أُصَلِّيَ مِنْ بَيْتِكَ**»[3]. فَأَشَارَ عِتبَانُ إِلَى نَاحِيَةٍ مِنَ البَيتِ فَقَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَكَبَّرَ،

---

(١) قال بعض العلماء: مسجد الجمعة ليس ثابتًا بطريق الإسناد، إنما له شهرة بين الناس وفيه بركة.

(٢) Location 2426'43N 3936'54E

(٣) صحيح البخاري، البخاري، كتاب الصلاة، باب المساجد في البيوت، (٤٢٥).

فَقُمْنَا فَصَفَفْنَا فَصَلَّى رَكعَتَينِ ثُمَّ سَلَّمَ. وَالمَسجِدُ المُتَّخَذُ فِي ذَلِكَ المَوضِع عُرِفَ بِمَسجِدِ عِتبَانِ بنِ مَالِكٍ رضي الله عنه، أُزِيلَ هَذَا المَسجِد وَمَوقِعُهُ الآنَ فِي الجِهَةِ الشَّمَالِيَّةِ مِن مَسجِدِ الجُمُعَةِ ضِمنَ الحَوْشِ المُسَوَّر(١).

مَسْجِدُ بَنَاتِ بَنِي النَّجَّارِ:

هُنَّ بَنَاتُ أَخْوَالِ النَّبِيِّ ﷺ وَعِندَ هَذَا المَوضِعِ اسْتَقْبَلْنَهُ عِندَ قُدُومِهِ لِلمَدِينَةِ مُهَاجِرًا مِن مَكَّةَ مُنشِدَاتٍ: نَحنُ جَوارٍ مِن بَنِي النَّجَّارِ .... يَا حَبَّذَا مُحَمَّدٌ مِن جَارٍ. فَقَالَ لَهُنَّ: «**أَتُحْبِبْنَنِي**» قُلْنَ: نَعَم يَا رَسُولُ اللهِ، فَقَالَ: «**وَأَنَا وَاللهِ أُحِبُّكُنَّ**» ثَلَاثًا. وَالأَصَحُّ أَنَّهُ مَسجِد عِتبَانِ بنِ مَالِك الَّذِي كَانَ ضَرِيرًا. وَرُوِيَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَتَاهُ فِي مَنزِلِهِ فَلَم يَجلِس حَتَّى قَالَ لَهُ: أَينَ تُحِبُّ أَن أُصلِّيَ لَكَ فِي بَيتِكَ؟ قَالَ: فَأَشَرتُ إِلَى المَكَانِ، فَكَبَّرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَصَفَفْنَا خَلْفَهُ نُصَلِّي رَكعَتَين.

يَقَعُ مَوقع المَسجِد (مُتَهَدِّمٌ الآنَ) عَلَى يَمِينِ الآتِي مِن مَسجِدِ قُبَاء إِلَى الحَرَمِ النَّبوِيِّ الشَّرِيفِ فِي بِدَايَةِ شَارع قُبَاء النَّازِل وَمَسجِد الجُمُعَةَ فِي مُقَابِلِهِ.

مَسْجِدُ بَنِي أُنَيف وَمَسجِدُ مُصَبِّح:

سُمِّيَ بِذَلِكَ لاستِقبَالِ الأَنصَارِ رَسُولَ اللهِ ﷺ عِندَهُ صَبَاحًا حِينَ قُدُومِهِ المُبَارَك إِلَى المَدِينَةِ المُنَوَّرَةِ مُهَاجِرًا مِن مَكَّةَ المُكَرَّمَة. **يَقَعُ** فِي جَنُوبِ غَربِ مَسجِدِ قُبَاء، وَرَدَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يُصَلِّي فِي مَوضِعِ هَذَا المَسجِدِ

---

(١) Location 2426'46N 3936'55E

عِندَمَا كَانَ يَأتِي طَلحَةَ بنِ البَرَاءِ يَعُودُهُ، فَقَامَ بَنُو أُنَيف بِبِنَاءِ المَسجِدِ فِي هَذَا المَوضِعِ.

وَرَوَى ابنُ زبَالَة عَن عَاصِمِ بنِ سُوَيدٍ عَن أَبِيهِ قَالَ: سَمِعتُ مَشيَخَةَ بَنِي أُنَيفٍ يَقُولُونَ: صَلَّى رَسُولُ اللهِ ﷺ فِيمَا كَانَ يَعُودُ طَلحَةَ بنِ البَرَاءِ قَرِيبًا مِن أُطُمِهِم، قَالَ عَاصِمٌ: قَالَ أَبِي: فَأَدرَكتُهُم يَرُشُّونَ ذَلِكَ المَكَانَ وَيَتَعَاهَدُونَهُ ثُمَّ بَنَوهُ بَعدُ؛ فَهُوَ مَسجِدُ بَنِي أُنَيفٍ بِقُبَاء.

وَكَانَ سَيِّدُنَا طَلحَةُ بنُ البَرَاءِ مَعَ صِغَرِ سِنِّهِ وَحَدَاثَةِ عُمرِهِ مُتَفَانِيًا فِي حُبِّ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَمِن شِدَّةِ حُبِّهِ للنَّبِيِّ ﷺ كَانَ يُقَبِّلُ قَدَمَيهِ الشَّرِيفَتَينِ وَجَعَلَ يَلتَصِقُ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ خَشيَةَ فِرَاقِهِ، وَجَعَلَ يَقُولُ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ: يَا رَسُولَ اللهِ مُرنِي بِمَا تُحِبُّ فَإِنِّي لَا أَعصِي لَكَ أَمرًا، فَعَجِبَ النَّبِيُّ ﷺ مِن شِدَّةِ وَلَعِهِ وَهُيَامِهِ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ، وَمِن إِعلَانِ طَاعَتِهِ للنَّبِيِّ ﷺ فِي تَنفِيذِ كُلِّ مَا يُؤمَرُ بِهِ، فَضَحِكَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَقَالَ: «**اقْتُلْ أَبَاكَ**»، فَخَرَجَ مُسرِعًا لِتَنفِيذِ أَمرِ رَسُولِ اللهِ فِي أَبِيهِ، دُونَ أَن يُدرِكَه تَرَدُّد، وَلَم يُوَجِّه استِبيَانًا لِرَسُولِ اللهِ ﷺ عَن سَبَبِ ذَلِكَ، فَلَمَّا رَءَاهُ المُصطَفَى ﷺ أَنَّهُ جَادٌّ فِي طَاعَتِهِ، رَدَّهُ، وَقَالَ: «**إِنِّي لَم أُبعَثْ بِقَطِيعَةِ رَحِم**»[1]. وَيُستَفَادُ مِن هَذَا أَنَّ وَالِدَهُ البَرَاء كَانَ رَجُلًا مِن كِبَارِ المُنَافِقِين، وَإِلَّا لَم يَكُنِ الرَّسُولُ ﷺ لِيَطلُبَ مِنهُ مِثلَ هَذَا الطَّلَبِ.

وَلمَّا تُوُفِّيَ طَلحَة بن البَرَاءِ دَعَا لَهُ النَّبِيُّ ﷺ قَائِلًا: «**اللَّهُمَّ الْقَ طَلْحَة**

(١) المعجم الكبير، الطبراني، (٨/ ٣١١).

وَأَنْتَ تَضْحَكُ إِلَيْهِ وَهُوَ يَضْحَكُ إِلَيْكَ»[١][٢]. وَالضَّحِكُ هُنَا بِمَعنى الرِّضَى أَوِ الرَّحمَةَ وَلَا يَجُوزُ تَفسِيرُهُ فِي حَقِّ اللهِ تَعَالَى بِمَا هُوَ مِن مَعَانِي البَشَرِ فَكُن عَلَى ذِكرٍ.

وَيَقَعُ المَسجِدُ عَلَى طَرِيقِ الذَّاهِبِ فِي شَارِعِ قُبَاء الطَّالِع يَتَخَطَّى مَسجِد قُبَاء وَإِلَى الأَمَام عَلَى اليَمِينِ بِـ ٥٠٠ مِترٍ يُوجَدُ مَسجِد مُتَهَدِّم قُربَ مُستَودَعَات غَسَّان[٣].

مَسْجِدُ أَبِي ذَرٍّ الغِفَارِيّ:

يَقَعُ شَمَالِي المَسجِدِ النَّبَوِيِّ الشَّرِيفِ عَلَى بُعدِ نَحوِ ٩٠٠م، يُقَالُ لَهُ مَسجِدُ البُحَير وَمَسجِدُ الأَسوَافِ وَمَسجِدُ الشُّكرِ وَمَسجِدُ السَّجدَة لِمَا رُوِيَ عَن عَبدِ الرَّحمَنِ بنِ عَوفٍ قَالَ: خَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَتَوَجَّهَ نَحوَ صَدَقَتِهِ فَاستَقبَلَ القِبلَةَ فَخَرَّ سَاجِدًا، فَقُلتُ لَهُ: يَا رَسُولَ اللهِ سَجَدتَ سَجدَةً خَشِيتُ أَن يَكُونَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ قَد قَبَضَ نَفسَكَ فِيهَا. فَقَالَ ﷺ: «إِنَّ جِبْرِيلَ أَتَانِي فَبَشَّرَنِي، فَقَالَ: إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ: مَنْ صَلَّى عَلَيْكَ صَلَّيْتُ عَلَيْهِ، وَمَنْ سَلَّمَ عَلَيْكَ سَلَّمْتُ عَلَيْهِ. فَسَجَدْتُ للهِ عَزَّ وَجَلَّ شُكْرًا[٤].

وَيَقَعُ المَسجِدُ بِالقُربِ مِنَ الحَرَمِ النَّبَوِيِّ الشَّرِيفِ عَلَى امتِدَادِ شَارع

(١) قال ابن فورك: فضحك الله إليه إظهارًا لكرامته، وضَحِكه. أي طلحة. ظهور الفرح فيه بما يُظهر الله من النّعم عليه وفيه اهـ. مشكل الحديث وبيانه، ابن فورك، (ص/٤٧٧).

(٢) الإصابة، ابن حجر، (٢/٢٠١٨).

(٣) Location 2426’08N 3936’55E

(٤) المستدرك، الحاكم، كتاب الدعاء، (٣/١٠٦).

أَبِي ذَرٍّ وَعِندَ تَقَاطُعِهِ مَعَ شَارعِ المَطَار[١].

مَسْجِدُ المَغْسَلَة أَوِ المُغَيْسَلَة أَوِ الغَسَّالِين أَوْ بَنِي دِيْنَارٍ:

رُوِيَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ كَثِيرًا مَا يُصَلِّي فِي هَذَا المَسجِدِ[٢]، وَوَرَدَ أَنَّ سَيِّدَنَا أَبَا بَكرٍ الصِّدِّيقِ تَزَوَّجَ امرَأَةً مِن بَنِي دِينَارٍ فَمَرِضَ فَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَعُودُهُ عِندَهُم فَكَلَّمُوهُ أَن يُصَلِّيَ لَهُم فِي مَكَانٍ يُصَلُّونَ فِيهِ، فَصَلَّى فِي المَسجِدِ الَّذِي بِبَنِي دِينَارٍ عِندَ الغَسَّالِينَ[٣].

كَانَ مَبْنِيًّا فِي عَهدِ الصَّحَابَةِ وَسُمِّيَ بِذَلِكَ لِوُقُوعِهِ فِي مَنَازِلِ بَنِي دِينَارٍ، وَيُقَالُ لَهُ مَسجِدُ الغَسَّالِين، وَمَسجِدُ المَغسَلَةِ لِوُقُوعِهِ فِي حَرَّةِ المُغَيسَلَةِ خَلفَ مَبنَى الإِمَارَةِ بِالعَنبَرِيَّةِ، يَقَعُ فِي مَنطَقَةٍ يُقَالُ لَها المَالِحَة وَتَكتَنِفُهُ الدُّورُ مِن جَمِيعِ الجَوَانِبِ[٤].

حَالِيًّا أُطلِقَ عَلَيهِ مَسجِدُ المَالِحَةِ[٥].

مَسْجِدُ الإِجَابَةِ أَو مَسْجِدُ بَنِي مُعَاوِيَةَ أَو مَسْجِدُ المُبَاهَلَةِ:

سُمِّيَ بِذَلِكَ لِمَا رَوَى مُسلِمٌ عَن عَامِرِ بنِ سَعدٍ عَن أَبِيهِ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَقبَلَ ذَاتَ يَومٍ مِنَ العَالِيَةِ، حَتَّى إِذَا مَرَّ بِمَسجِدِ بَنِي مُعَاوِيَةَ، دَخَلَ فَرَكَعَ

---

(١) Location 2428'32N 3936'52E

(٢) وفاء الوفا، السمهودي، (٣/٨٦٦).

(٣) وفاء الوفا، السمهودي، (٣/٨٦٦).

(٤) Location 2427'32N 3936'16E

(٥) قال العياشي في كتابه (المدينة بين الماضي والحاضر): لقد أصبح في منطقة المغيسلة مسجد ءاخر في جنوب قطعة ءال الحلو، وهو مسجد حديث لا يظن بأنه من المساجد الأثرية. (ص/١٨٧).

فِيهِ رَكْعَتَينِ وَصَلَّينا مَعَهُ، وَدَعَا رَبَّهُ دُعَاءً طَوِيلًا، ثُمَّ انصَرَفَ إِلَينا فَقَالَ ﷺ: «**سَأَلْتُ رَبِّي ثَلاثًا، فَأَعْطانِي ثِنْتَيْنِ وَمَنَعَنِي وَاحِدَةً؛ سَأَلْتُ رَبِّي أَنْ لَا يُهْلِكَ أُمَّتِي بالسَّنَةِ فَأَعْطانِيهَا، وَسَأَلْتُهُ أَنْ لَا يُهْلِكَ أُمَّتِي بِالْغَرَقِ فَأَعْطانِيهَا، وَسَأَلْتُهُ أَنْ لَا يَجْعَلَ بَأْسَهُمْ بيْنَهُمْ فَمَنَعَنِيهَا**»[١].

وَقَد صَلَّى النَّبِيُّ فِيهِ عَن يَمِينِ المِحرَابِ قَدرَ ذِرَاعَينِ[٢].

يَقَعُ عَلَى بُعدِ نَحوِ ٥٨٣م شَمَالَي البَقِيعِ عَلَى شَارِعِ السِّتِّين أي شَارِعِ المَلِكِ فَيصَل[٣]، وَيَبعُدُ عَن فُندقِ الدَّخِيلِ حَوَالَي مِائَةَ مِترٍ تَقرِيبًا[٤].

مَسْجِدُ بَنِي ظَفَرٍ مِنَ الأَوْسِ ثُمَّ مِنَ الأَنصَارِ، المَعْرُوف بِمَسْجِدِ البَغْلَة:

سُمِّي بِذَلِكَ لِوُقُوعِهِ فِي قَريَةِ بَنِي ظَفَر، وَقَد وَرَدَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ جَاءَ إِلَيهِم وَمَعَهُ أُنَاسٌ مِن أَصحَابِهِ مِنهُم سَيِّدُنَا عَبدُ اللهِ بنُ مَسعُودٍ وَسَيِّدُنَا مُعَاذُ بنُ جَبَلٍ.

وَعَن عَبدِ اللهِ بنِ مَسعُودٍ قَالَ: قَالَ لِيَ النَّبِيُّ ﷺ: «**إِقْرَأْ عَلَيَّ**»، **قُلتُ**: أَقْرَأُ عَلَيْكَ وَعَلَيْكَ أُنْزِلَ؟ قَالَ: «**فَإِنِّي أُحِبُّ أَنْ أَسْمَعَهُ مِنْ غَيْرِي**»، فَقَرَأْتُ عَلَيْهِ سُورَةَ النِّسَاءِ حَتَّى بَلَغْتُ: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾﴾[٥]، **قَالَ**: «**أَمْسِكْ**»، **فَإِذَا عَيْنَاهُ**

---

(١) صحيح مسلم، مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، (٢٨٩٠).

(٢) وفاء الوفا، السمهودي، (٣/ ٨٢٩).

(٣) Location 2428’18N 3937’06E

(٤) أصبح المكان حول المسجد خاويا لا يوجد حوله بناء، ولا وجود للفندق حاليا.

(٥) سورة النساء، آية (٤١).

تَذْرِفَانِ[(١)].

فَبَكَى رَسُولُ اللهِ ﷺ حَتَّى اضْطَرَبَ لِحْيَاهُ وَقَالَ: **«أَيْ رَبِّ شَهِدْتُ عَلَى مَنْ أَنَا بَيْنَ ظَهْرَيْهِ فَكَيْفَ بِمَنْ لَمْ أَرَ؟»**[(٢)].

وَبَنُو ظَفَرَ مِنَ الأَوسِ وَهُم بَنُو ظَفَر بنِ الخَزرَجِ بنِ عَمرٍو. وَكَانَت مَنَازِلُهُم فِي الحَرَّةِ الشَّرقِيَّةِ شَرْقِيَّ البَقِيعِ.

يَقَعُ المَسجِدُ دَاخِلَ السُّورِ المُجَاوِرِ لِمَبنَى مَا يُسَمَّى هَيئَةِ الأَمرِ بِالمَعرُوفِ الحَالِي خَلفَ البَقِيعِ، وَهُوَ عَلَى يَمِينِ بِدَايَةِ شَارعِ المَلِكِ عَبدِ العَزِيزِ بِمَسَافَةِ ٥٠٠ مِترٍ[(٣)].

مَسْجِدُ الفَضِيخِ، مَسْجِدُ بَنِي النَّضِيرِ:

بُنِيَ هَذَا المَسجِدُ فِي المَوضِعِ الَّذِي كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُصَلِّي فِيهِ مَعَ المُسلِمِينَ أَثنَاءَ المُحَاصَرَةِ، عِندَهُ ضَرَبَ النَّبِيُّ ﷺ قُبَّتَهُ أَثنَاءَ حِصَارِهِ لِيَهُودِ بَنِي النَّضِيرِ الَّذِينَ زَارَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ فِي مَنَازِلِهِم فَصَعِدَ أَحَدُهُم عَلَى السَّطحِ لِيُلقِي حَجَرًا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فَأَخبَرَهُ جِبرِيلُ عليه السلام فَتَرَكَهُم وَعَادَ بِالمُسلِمِينَ لِحِصَارِهِم، فَعُرِفَ بِمَسجِدِ بَنِي النَّضِيرِ. وَفِي أَثنَاءِ هَذَا الحِصَار نَزَلَت المَرحَلَةُ الأَخِيرَةُ مِن تَحرِيمِ الخَمرِ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ۝٩٠﴾[(٤)]، وَلَمَّا نَادَى مُنَادِي المُصطَفَى ﷺ بِتَحرِيمِ

---

(١) صحيح البخاري، البخاري، (٤٥٨٢).

(٢) المعجم الكبير، الطبراني، (١٩/ ٢٤٣).

(٣) Location 2428’04N 3937’17E وقد هدم المبنى وأصبح المكان خاليا من البناء.

(٤) سورة المائدة، آية (٩٠).

الخَمرِ وَصَلَ الخَبَرُ إِلَى أَبِي أَيُّوبَ الأَنصَارِيِّ فِي نَفَرٍ مِنَ الأَنصَارِ وَهُم يَشرَبُونَ فِيهِ فَضِيخًا فَحَلّوا وِكَاءَ السِّقَاءِ فَأَهرَقُوهُ فِيهِ فَبِذَلِكَ سُمِّيَ مَسجِدَ الفَضِيخِ[1].

وَأَلقَى اللهُ الرُّعبَ فِي قُلُوبِ بَنِي النَّضِيرِ وَجَعَلُوا يُخَرِّبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيدِيهِم لِيَخرُجُوا مِنهَا هَارِبِين، وَنَزَلَ قَولَ اللهِ تَعَالَى: ﴿وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِى ٱلْمُؤْمِنِينَ فَٱعْتَبِرُوا۟ يَـٰٓأُو۟لِى ٱلْأَبْصَـٰرِ﴾[2].

يَقَعُ المَسجِدُ بَعدَ تَخَطّي شَارع العَوَالِي عَلِيّ بن أَبِي طَالِبٍ وَبَعدَ مُستَشفَى الزَّهرَاءِ الخَاصّ يَسْلُكُ الذَّاهِبُ يَسَارَ الطَّرِيقِ وَيَتَخَطّى مُستَشفَى العِنَايَةِ التَّأهِيلِيَّةِ بِمَسَافَةِ ٥٠٠ مِترٍ مُلَاصِقٍ لِسُورِ صَالَةِ مَرحَبا للأَفرَاحِ وَيَدخُلُ عَلَى اليَمِينِ فِي طَرِيقٍ تُرَابِيّ إِلَى ءَاخِرِهِ[3].

مَسْجِدُ الشَّيْخَيْنِ أَوِ البَدَائِعِ أَوِ الدِّرْعِ:

عِندَهُ بَاتَ النَّبِيُّ ﷺ وَصَلَّى الصُّبحَ ثُمَّ استَعرَضَ جَيشَهُ قَبلَ تَوَجُّهِهِ لِغَزوَةِ أُحُدٍ وَصَلَّى بِهِ العَصرَ وَالمَغرِبَ وَالعِشَاء، وَرَدَّ صِغَارَ الصَّحَابَةِ. وَرَدَّ كَتِيبَةَ اليَهُودِ الَّذِينَ جَاءُوا لِيُسَاعِدُوهُ وَقَالَ: «**لَا نَسْتَعِينُ بِالمُشْرِكِينَ عَلَى المُشْرِكِينَ**»[4]، وَعِندَهُ رَجَعَ كَبِيرُ المُنَافِقِينَ عَبد اللهِ بنِ أُبَيّ بنِ سَلُول وَمَعَهُ ثُلث الجَيشِ فَاختَلَفَتْ بَنُو حَارِثَةَ وَبَنُو سَلَمَةَ مِنَ الأَنصَارِ فِي

(١) قال أبو حنيفة عن الأعراب: هو ما اعتُصر من العنب اعتصارًا. **التوضيح لشرح الجامع الصحيح**، ابن الملقن، (١٥/ ٦٤١)، انظر: **أخبار المدينة المنورة**، ابن شبة، (١/ ٧١).

(٢) سورة الحشر، آية (٢).

(٣) Location 2426'18N 3937'26E

(٤) المستدرك، الحاكم، كتاب الجهاد، (٢/ ١٣٢)، (٢٥٦٣).

قِتَالِهِ فِي التَّوِّ أو بَعدَ المَعركَةِ فَأَنزَلَ اللهُ تَعَالَى فِيهِم قَولَهُ: ﴿۞ فَمَا لَكُمْ فِي ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِئَتَيْنِ وَٱللَّهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُوٓا۟ ۚ أَتُرِيدُونَ أَن تَهْدُوا۟ مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُ ۖ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا ﴿٨٨﴾﴾[١]، وَقَولَهُ تَعَالَى: ﴿إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَا ۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٢٢﴾﴾[٢]، فَفَرِحَتْ القَبِيلَتَانِ بِقَولِهِ تَعَالَى فِي الآيَةِ: ﴿وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَا﴾.

وَيُسَمَّى مَسجِدَ الدِّرعِ لأَنَّهُ فِي ذَلِكَ المَوضِعِ رَأَى الصَّحَابَةُ رِضْوَانُ اللهِ عَلَيهِم رَسُولَ اللهِ ﷺ يَنزِعُ دِرعَهُ ثُمَّ يَلبَسهُ استِعدَادًا للغَزوَةِ.

وَيَقَعُ المَسجِدُ فِي شَارعٍ يُسَمَّى مَالِك بنِ نُميلَة عَلَى يَمِينِ الآتِي مِن مَزَارِ شُهَدَاءِ أُحُدٍ فِي شَارعِ سَيِّدِ الشُّهَدَاءِ النَّازِلِ بَعدَ مَسجِدِ المُستَرَاحِ مُبَاشَرَةً عَلَى بُعدِ ثَلَاثمائَةِ مِترٍ[٣].

مَسْجِدُ بَنِي حَارِثَةَ المَعْرُوف بِمَسْجِدِ المُسْتَرَاحِ:

مَكَانُ مَسجِدِ بَنِي حَارِثَةَ مِنَ الأَوسِ، وَجَلَسَ فِيهِ النَّبِيُّ ﷺ فِي طَرِيقِ زِيَارَتِهِ لِشُهَدَاءِ أُحُد وَصَلَّى فِيهِ[٤]، وَالمَشهُورُ عِندَ العَامَّةِ وَاللهُ أَعلَمُ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ فِي طَرِيقِهِ لِمَعركَةِ أُحُد جَلَسَ عِندَهُ للاستِرَاحَةِ مِنَ التَّعَبِ الَّذِي نَشَأَ مَعَهُ مِن طُولِ الطَّرِيقِ وَحَملِهِ لامة الحَربِ[٥] وَهِيَ مِن لِبَاسِ الحَربِ، وَقَد قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**مَا يَنْبَغِي لِنَبِيٍّ إِذَا لَبِسَ لأُمَتَهُ أَنْ يَضَعَهَا**

---

(١) سورة النساء، آية (٨٨).

(٢) سورة آل عمران، آية (١٢٢).

(٣) Location 2429'21N 3936'31E

(٤) وفاء الوفا، السمهودي، (٣/ ٨٦٥).

(٥) أي أداةُ الحرب.

حَتَّى يُقَاتِلَ»[١]، وَذَلِكَ حِينَ وَصَلَ جَيش الكُفَّارِ إِلَى حُدُودِ المَدِينَةِ، وَرَأَى النَّبِيُّ ﷺ أَن يَبقَى جَيشَهُ دَاخِلَ المَدِينَةِ يُدَافِعُ عَنهَا وَأَشَارَ أُنَاسٌ مِمَّن فَاتَتْهُم غَزوَةُ بَدرٍ بِالخُرُوجِ لِلكُفَّارِ وَقَالَ شَبَابُ الأَنصَارِ: اخرُج بِنَا إِلَى أَعدَائِنَا، لَا يَرَوْنَ أَنَّا جَبُنَّا وَضَعُفْنَا، وَلَم يَزَلِ النَّاسُ بِالنَّبِيِّ ﷺ حَتَّى دَخَلَ بَيتَهُ وَلَبِسَ لَأْمَتَهُ للحَربِ وَخَرَجَ عَلَيهِم وَقَد نَدِمَ النَّاسُ فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ استَكْرَهنَاكَ وَلَم يَكُن لَنَا فَإِن شِئتَ فَاقعُد صَلَّى اللهُ عَلَيكَ، وَلَكِنَّهُ ﷺ عَزَمَ وَخَرَجَ فِي أَلفٍ مِنَ أَصحَابِهِ إِلَى أُحُد لِمُلَاقَاةِ الكُفَّارِ.

وَقَد كَانَ لِهَذَا المَوقِعِ أَهَمِّيَة استرَاتِيجِيَّة للدِّفَاعِ عَنِ المَدِينَةِ المُنَوَّرَةِ، إِذ هُوَ مَبدَءُ الخَندَقِ الَّذِي تَم حَفرُهُ استِعدَادًا لِغَزوَةِ الأَحزَابِ، وَمِنهُ دَخَلَ جَيشُ يَزِيدَ بنِ مُعَاوِيَةَ إِلَى المَدِينَةِ المُنَوَّرَةِ أَثنَاءَ مَعركَةِ الحَرَّةِ عَامَ **٦٣هـ**.

وَيَقَعُ المَسجِدُ عَلَى يَسَارِ الذَّاهِبِ إِلَى مَزَارِ شُهَدَاءِ أُحُد فِي شَارِعِ سَيِّدِ الشُّهَدَاءِ الطَّالِعِ بَعدَ أَوَّلِ إِشَارَةِ مُرُورٍ قُربَ مَدرَسَةِ عَمرِو بنِ الجَمُوحِ[٢].

مَسْجِدُ الفَسْحِ أَو مَسْجِدُ الفَسِيحِ أَوْ مَسجِدُ أُحُد:

مَكَانُ نُزُولِ الآيَةِ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُواْ فِى ٱلْمَجَٰلِسِ فَٱفْسَحُواْ يَفْسَحِ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾[٣]، وَقِيلَ الأَصَحُّ نُزُولهَا فِي المَسجِدِ النَّبَوِيِّ، وَالمَسجِدُ هُوَ شِعبُ أُحُد الَّذِي جُرِحَ فِيهِ النبي ﷺ لمَّا ضَرَبَهُ ابنُ قَمِئَةَ قَائِلًا: خُذهَا وَأَنَا ابنُ قَمِئَةَ، فَدَخَلَت حَلقَتَانِ مِن حِلَقِ المِغفَرِ فِي وَجنَةِ النَّبِيّ ﷺ فَقَالَ: **«أَقْمَاكَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ»**[٤]، فَصَعِدَ فِي نَفسِ العَامِ يَرعَى

---

(١) السنن الكبرى، البيهقي، (٧/ ٦٥).

(٢) Location 2429'30N 3936'35E

(٣) سورة المجادلة، آية (١١).

(٤) المعجم الكبير، الطبراني، (٨/ ١٣٠).

غَنَمًا لَهُ عَلَى جَبَلٍ فَظَلَّت تَنطَحُهُ بِقُرُونِهَا حَتَّى سَقَطَ مِن فَوقِ الجَبَلِ مَيِّتًا ذَلِيلًا، وَشَجَّ الكُفَّارُ وَجهَ النَّبِيِّ ﷺ فَنَزَفَ دَمُهُ دِفَاعًا عَنِ الإِسلَامِ وَهُوَ يَقُولُ: «**اشْتَدَّ غَضَبُ اللهِ عَلَى مَنْ دَمَى وَجْهَ نَبِيِّهِ**»[1]، فَاستَقبَلَهُ مَالِكُ بنُ سِنَان فَمَصَّ الدَّمَ عَن وَجهِ النَّبِيِّ ﷺ بِفَمِهِ وَازْدَرَدَهُ[2]، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى مَنْ خَالَطَ دَمِي دَمَهُ فَلْيَنْظُرْ إِلَى مَالِكِ بنِ سِنَان**»[3]، ثُمَّ صَلَّى النَّبِيُّ ﷺ الظُّهرَ وَالعَصرَ جَالِسًا وَصَلَّى النَّاسُ مَعَهُ جُلُوسًا لِمَا أَجهَدَهُم مِنَ الجِرَاحِ وَلِضِيقِ المَكَانِ ازدَحَمَ النَّاسُ حَولَهُ للصَّلَاةِ فَنَزَلَتِ الآيَة.

يَقَعُ المَسجِدُ المُتَهَدِّم الآنَ بَعدَ أَن يَتَخَطَّى الذَّاهِبُ السَّاحَةَ الفَسِيحَةَ خَلفَ مَزَارِ شُهَدَاءِ أُحُد إِلَى نِهَايَةِ الشَّارِعِ الَّذِي أَوَّلُهُ مَركز صِحِّيّ أُحُد وَيَتَّجِهُ يَمِينًا مُلَاصِقًا للجَبَلِ فِي شِعْبِ أُحُد أَو شِعْبِ الجَرَّار وَيَتَخَطَّى غَارَ الطَّاقِيَةِ فَيَجِدُ حِجَارَةً مُتَهَدِّمَةً حَولَهَا سُورٌ[4].

مَسْجِدُ سَيِّدِ الشُّهَدَاءِ:

أُقِيمَ فِي مَكَانِ مَعرَكَةِ أُحُد الَّتِي قُتِلَ فِيهَا سَيِّدُنا حَمزَة عَمّ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَمَا رُؤِيَ النَّبِيُّ ﷺ بَاكِيًا أَشَدَّ مِن بُكَائِهِ عَلَى حَمزَةَ، وَلَمَّا رَأَى ﷺ مَا بِجَسَدِهِ الشَّرِيفِ مِن تَمثِيلٍ[5] قَالَ: «**لَنْ أُصَابَ بِمِثْلِكَ أَبدًا، مَا وَقَفْتُ مَوْقِفًا أَغْيَظَ لِي مِنْ هَذَا**»[6] وَوَقَفَ عَلَى جِنَازَتِهِ وَبَكَى حَتَّى شَهِقَ وَهُوَ

---

(١) المعجم الكبير، الطبراني، (١٠/٣٠١).

(٢) أي مصّه ثم ابتلعه.

(٣) المعجم الكبير، الطبراني، (٦/ ٣٤).

(٤) Location 2430’35N 3936’46E

(٥) كان الكفار قد بقروا بطنه وأخرجوا كبده.

(٦) السيرة النبوية، ابن هشام.

يَقُولُ: «يَا عَمَّ رَسُولِ اللهِ، وَأَسَدَ اللهِ وَأَسَدَ رَسُولِهِ، يَا حَمْزَةُ يَا فَاعِلَ الخَيْرَاتِ، يَا حَمْزَةُ يَا كَاشِفَ الكُرُبَاتِ، يَا حَمْزَةُ يَا ذَابُّ يَا مَانِعُ عَنْ وَجْهِ رَسُولِ اللهِ». وَجَاءَتِ السَّيِّدَةُ صَفِيَّةُ أُخْتُهُ فَمَنَعَها سَيِّدُنَا عَلِيُّ بنُ أَبِي طَالِبٍ وَسَيِّدُنَا الزُّبَيرُ بنُ العَوَّامِ رَحمَةً بِهَا، فَقَالَت: يَا رَسُولَ اللهِ أَينَ ابنُ أُمِّي حَمزَةَ؟ فَقَالَ: «**هُوَ فِي النَّاسِ**» فَلَمَّا رَأَت سَيِّدَنَا حَمزَةَ بَكَت فَوَضَعَ النَّبِيُّ ﷺ يَدَهُ الشَّرِيفَةَ عَلَى صَدرِهَا فَاسترجَعَت، وَصَارَت كُلَّمَا بَكَت بَكَى رَسُولُ اللهِ ﷺ.

هُوَ ءَاخِر شَارِع سَيِّدِ الشُّهَدَاءِ، وَللوَاقِفِ بِمُوَاجَهَةِ مَزَارِ سَيِّدِنَا حَمزَةَ وَشُهَدَاءِ أُحُد يَكُونُ جَبَلُ أُحُد فِي الأَمَامِ وَمَسجِدُ سَيِّدِ الشُّهَدَاءِ عَلَى اليَمِينِ وَمَكَانُ المَعرَكَةِ عَلَى اليَسَارِ وَخَلفَ المَزَارِ كُلِّه وَإِلَى اليَسَارِ قَلِيلًا عَلَى الشَّارِعِ الإِسْفَلْتِي مَكَانُ قُبَّةِ الثَّنَايَا.

مَسْجِدُ الرَّايَةِ، مَسْجِدُ ذُبَاب:

ضُرِبَ للنَّبِيِّ ﷺ خَيمَة عَلَى جَبَلِ ذُبَاب لِيُشرِفَ عَلَى أَعمَالِ حَفرِ الخَندَقِ، فَكَانَ يُصَلِّي هُنَاكَ.

وَعَن سَهلِ بنِ سَعدٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ صَلَّى عَلَى ذُبَابٍ[1].

وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ نَصَبَ رَايَتَهُ المَنصُورَة عَلَى هَذَا الجَبَلِ فِي غَزوَةِ خَيبَرَ وَتَبُوكَ فَإِذَا رَءَاهَا المُسلِمُونَ خَرَجُوا للجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللهِ.

يَقَعُ المَسجِدُ وَالجَبَلُ شَارِع سُلطَانَة (أَبِي بَكرِ الصِّدِّيقِ) إِلَى اليَمِينِ مُبَاشَرَةً قَبلَ مَحطَّةِ بِنزِين الأَهلِيَّة الزّغيبِي إِلَى نِهَايَةِ الشَّارِعِ، وَقَبلَ طَرِيقِ

---

(١) المعجم الكبير، الطبراني، (٦/ ١٢٤).

العُيُونِ يَتَّجِه يَسَارًا وَيَصعَدُ دَرَجًا أعلَاهُ مَسجِد الرَّايَةِ عَلَى جَبَلِ الرَّايَةِ[1].

مَسْجِدُ بَنِي حَرَامٍ وَغَارُ السَّجْدَةِ:

كَانَ مَبنِيًّا فِي عَهدِ الصَّحَابَةِ، وَذَكَرَ السَّمهُودِيُّ أَنَّهُ كَانَ مِن بِنَاءِ سَيِّدِنَا عُمَرَ بنِ عَبدِ العَزِيزِ رضي الله عنه، وَسُمِّيَ بِذَلِكَ لِوُقُوعِهِ فِي مَنَازِلِ بَنِي حَرَام، يَقَعُ غَربَي جَبَل سَلْع وَجَنُوبِي مَسَاجِدِ الفَتحِ.

وَبَنُو حَرَام أَوْلَادُ رَجُلٍ مِن بَنِي سَلَمَةَ اسمُهُ حَرَام، وَرَجُلٌ حَرَامٌ أَي مُحَرَّمٌ عَلَى العَدُوِّ أَن يَنَالَ مِن مَالِهِ وَعِرضِهِ، وَفِي دَارِ سَيِّدِنَا جَابِر بنِ عَبدِ اللهِ بنِ حَرَامٍ الَّذِي وَقَعَت فِيهِ مُعجِزَةُ تكثِيرِ الطَّعَامِ، فَيَرْوِي جَابِرُ بنُ عَبدِ اللهِ رضي الله عنه: لمَّا رَأَيتُ رَسُولَ الله ﷺ أَثنَاءَ حَفرِ الخَندَقِ أَنَّ بَطنَهُ مَعْصُوبٌ بِحَجَرٍ، فَقُلتُ: يا رَسولَ اللهِ، ائْذَنْ لِي إِلَى البَيْتِ، فَقُلتُ لِامْرَأَتِي: رَأَيْتُ بِالنَّبيِّ شيئًا، مَا كَانَ في ذلكَ صَبْرٌ، فَعِندَكِ شَيءٌ؟ قَالَتْ: عِندِي شَعِيرٌ وعَنَاقٌ، فَذَبَحْتُ العَنَاقَ، وطَحَنَتِ الشَّعِيرَ حتَّى جَعَلْنَا اللَّحْمَ في البُرْمَةِ، ثُمَّ جِئْتُ النَّبيَّ والعَجِينُ قَدِ انْكَسَرَ، والبُرْمَةُ بيْنَ الأَثَافِيِّ قدْ كَادَتْ أنْ تَنْضَجَ، فَقُلتُ: طُعَيِّمٌ لِي، فَقُمْ أنْتَ يا رَسولَ اللهِ ورَجُلٌ أوْ رَجُلَانِ، قَالَ: كَمْ هو؟ فَذَكَرْتُ له، قَالَ: كَثِيرٌ طَيِّبٌ، قَالَ: قُلْ لَهَا: لا تَنْزِعِ البُرْمَةَ، ولَا الخُبْزَ مِنَ التَّنُّورِ حتَّى آتِيَ، فَقَالَ: قُومُوا. فَقَامَ المُهَاجِرُونَ والأنْصَارُ، فَلَمَّا دَخَلَ علَى امْرَأَتِهِ قَالَ: ويْحَكِ! جَاءَ النَّبيُّ ﷺ بالمُهَاجِرِينَ والأنْصَارِ ومَن معهُمْ، قَالَتْ: هلْ سَأَلَكَ؟ قُلتُ: نَعَمْ، فَقَالَ: ادْخُلُوا ولَا تَضَاغَطُوا. فَجَعَلَ يَكْسِرُ الخُبْزَ، ويَجْعَلُ عليه اللَّحْمَ، ويُخَمِّرُ البُرْمَةَ والتَّنُّورَ إذَا أخَذَ مِنهُ، ويُقَرِّبُ إلى

---

(١) Location 2428'49N 3936'12E

أَصْحَابِهِ ثُمَّ يَنْزِعُ، فَلَمْ يَزَلْ يَكْسِرُ الخُبْزَ، ويَغْرِفُ حتَّى شَبِعُوا وبَقِيَ بَقِيَّةٌ، قَالَ: كُلِي هَذَا وَأَهْدِي؛ فَإِنَّ النَّاسَ أَصَابَتْهُمْ مَجَاعَةٌ[(١)].

وَهُنَاكَ كَهفٌ[(٢)] فِي جَبَلِ سَلْع قَرِيبًا مِن مَنَازِلِهِم، يُقَالُ لَهُ كَهفُ بَنِي حَرَامٍ، وَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَبِيتُ فِيهِ أَثْنَاءَ لَيَالِي الخَندَقِ حَتَّى إِذَا أَصبَحَ هَبَطَ.

وَكَانَ مِنهُم عَبدُ اللهِ بنُ حَرَامٍ رضي الله عنه، أَوَّلُ مَنِ استُشْهِدَ يَومَ أُحُدٍ. وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ مُبَشِّرًا لابنِهِ جَابِرًا: «مَا كَلَّمَ اللهُ أَحَدًا إِلَّا مِنْ وَرَاءِ حِجَابِهِ، وَأَحْيَا أَبَاكَ فَكَلَّمَهُ كِفَاحًا[(٣)] فَقَالَ لَهُ: يَا عَبْدِي تَمَنَّ عَلَيَّ أُعْطِكَ. قَالَ: يَا رَبِّ تُحْيِينِي فَأُقْتَلَ فِيكَ ثَانِيَةً. فَقَالَ الرَّبُّ: إِنَّهُ قَدْ سَبَقَ مِنِّي أَنَّهُمْ إِلَيْهَا لَا يُرْجَعُونَ. قَالَ: يَا رَبِّ فَأَبْلِغْ مَنْ وَرَائِي، فَأَنزَلَ: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًاۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ١٦٩﴾»[(٤)][(٥)].

وَيَقَعُ المَسجِدُ بِسَفْحِ جَبَلِ سَلع عَلَى يَمِينِ المُتَّجِهِ مِنَ المَدِينَةِ إِلَى مَسَاجِدِ الفَتحِ، المَسَاجِدِ السَّبعِ مِن طَرِيقِ القِبلَتَينِ بِالقُربِ مِن شِعْبٍ فِي جَبَلِ سَلْع، خَلْفَ المَدرَسَةِ الثَّانَوِيَّةِ الثَّامِنَةِ لِلبَنَاتِ[(٦)].

---

(١) صحيح البخاري، البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة الخندق، (٤١٠١).

(٢) Location 2428'27N 3935'55E

(٣) أي بدون حجاب.

(٤) سورة آل عمران، آية (١٦٩).

(٥) صحيح الترمذي، الترمذي، أبواب تفسير القرءان عن رسول الله ﷺ، (٣٠١٠).

(٦) Location 2428'23N 3935'50E

مَسْجِدُ مَالِكُ بنُ سِنَانٍ[١]:

وَرَدَ أَنَّهُ رُؤِيَ النَّبِيُّ ﷺ يَسْتَسْقِي عِنْدَ أَحْجَارِ الزَّيْتِ قَرِيبًا مِنَ الزَّوْرَاءِ قائمًا يَدْعُو يَسْتَسْقِي رَافِعًا يَدَيْهِ قِبَلَ وَجْهِهِ، لَا يُجَاوِزُ بِهِمَا رَأْسَهُ[٢]. عِنْدَ مَسجِدِ مَالِكِ بنِ سِنَانٍ الَّذِي استُشْهِدَ وَدُفِنَ فِيهِ، وَمَالِكُ بنُ سِنَانٍ هُوَ وَالِدُ أَبِي سَعِيدٍ الخُدرِيِّ رضي الله عنه، فَعَن أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رضي الله عنه قَالَ: أَمَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مَن نَقَلَ مِن شُهَدَاءِ أُحُد إِلَى المَدِينَةِ أَن يُدْفَنُوا حَيثُ أُدرِكُوا، فَأَدرَكَ أَبِي مَالِك بنِ سِنَان عِندَ أَصحَابِ العَبَاءَةِ فَدُفِنَ.

يَقَعُ المَسجِدُ عَلَى أَطرَافِ المَسجِدِ النَّبَوِيِّ الشَّرِيفِ فِي الجِهَةِ الغَربِيَّةِ مِن نَاحِيَةِ مَسجِدِ عُثمَانَ بنِ عَفَّان فِي مَنطَقَةٍ يُقَالُ لهَا أَحجَار الزَّيت، وَقَد هُدِمَ المَسجِدُ وَلَم يَبْقَ لَهُ أَثَرٌ.

مَسْجِدُ المَنَارَتَيْنِ، وَبَيْتُ وَبِئْرُ السَّيِّدَةِ فَاطِمَةَ بِنتِ الحُسَيْنِ:

وسُمِّي بِذَلِكَ لِوُقُوعِهِ قُربَ الجَبَلَينِ المَعرُوفَينِ بِالمَنَارَتَينِ، عِندَهُ رَأَى النَّبِيُّ ﷺ شَاةً مَيِّتَة فَأَمسَكَ الصَّحَابَةُ أُنُوفَهُم مِن رَائِحَتِهَا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**فَوَاللهِ لَلدُّنْيَا أَهْوَنُ عَلَى اللهِ مِنْ هَذِهِ عَلَى صَاحِبِهَا**»[٣].

وَيَقَعُ عَلَى يَمِينِ طَرِيقِ مَكَّةَ القَدِيم بَينَ مَسجِدِ العَنبَرِيَّةِ (عُمَر بنِ الخَطَّابِ) وَالطَّرِيقِ الدَّائِرِيِّ الثَّانِي عِندَ مُستَوصفِ المَدِينَةِ الأَهلِي يَتَّجِهُ

---

(١) الموضع التقريبي Location 2428'04N 3936'25E

(٢) صحيح الترمذي، الترمذي، أبواب تفسير القرءان عن رسول الله، (٣٠١٠).

(٣) وفاء الوفا، السمهودي، (٣/ ٨٧٨-٨٧٩).

إِلَى اليَمِينِ[١]، وَالمَسجِدُ كَانَ حِجَارَةً مُتَهَدِّمَةً فِيمَا مَضَى، أَمَّا اليَوم فَإِنَّ المَسجِدَ قَد جَرَى تَعمِيرُهُ عِمَارَةً حَدِيثَةً، وَجُعِلَ لَهُ مِنَارَتَينِ فِي كُلِّ رُكنٍ مِن نَاحِيَتِهِ الشَّرقِيَّة، وَالبَيتُ وَالبِئرُ بَعدَهُ بِمَسَافَةِ ٥٠ مِترًا[٢]. وَتَلِي المَسجِدَ مَحَطَّةٌ للبَنزِينِ.

مَسْجِدُ مَشْرَبَة أُمِّ إِبْرَاهِيم:

هُوَ أَحَدُ مُصَلَّيَات رَسُولِ اللهِ ﷺ بِالمَدِينَةِ المُنَوَّرَةِ، فَقَد رَوَى الإِمَامُ السَّمهُودِيُّ فِي الوَفَا أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ صَلَّى فِي مَشربَةِ أُمِّ إِبْرَاهِيم[٣].

إِنَّ مَشْرَبَةَ أُمِّ إِبراهِيمَ بُستَانٌ كَانَت مَارِيَة القِبطِيَّةَ تَسكُنُهُ وَضَرَبَهَا المَخَاضُ فِيهِ بِسَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ ابنِ النَّبِيِّ ﷺ، وَتَعَلَّقَت حِينَ جَاءَهَا المَخَاضُ فِي خَشَبَةٍ بِالمَشربَةِ، وَيَتَشَابَهُ اسمُهَا مَعَ المَشربَةِ الَّتِي كَانَت عِندَ بُيُوتِ النَّبِيِّ ﷺ، وَالَّتِي نَامَ فِيهَا النَّبِيُّ ﷺ لمَّا سَقَطَ عَن فَرَسِهِ وَأُصِيبَت سَاقُهُ فَعَادَهُ أَصحَابُهُ فَصَلَّى بِهِم جَالِسًا، وَفِيهَا أَقَامَ النَّبِيُّ ﷺ حِينَ اعتَزَلَ نِسَاءَهُ وَقَالُوا طَلَّقَهُنَّ، فَجَاءَ عُمَرُ بنُ الخَطَّابِ رضي الله عنه وَأَخبَرَ رَبَاحًا غُلَامَ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَن يَستَأذِنَ لَهُ عِندَ رَسُولِ اللهِ ﷺ مَرَّتَينِ فَلَم يُؤذَن لَه فَرَفَع صَوتَهُ قَائِلًا: يَا رَبَاحُ استَأْذِن لِي عِندَكَ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَإِنِّي أَظُنُّ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ ظَنَّ أَنِّي أَتَيتُ مِن أَجلِ حَفْصَةَ، وَاللهِ لَو أَمَرَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ بِضَربِ عُنُقِهَا لَأَضْرِبَنَّ عُنُقَهَا، فَسمِحَ لَهُ فَدَخَلَ فَرَأَى النَّبِيَّ ﷺ وَعَلَيهِ إِزَارٌ لَيسَ عَلَيهِ غَيرُهُ مُضطَجِعٌ

---

(١) Location 2427'19N 3935'36E

(٢) Location 2427'19N 3935'32E

(٣) وفاء الوفا، السمهودي، (٣/ ٨٢٥).

عَلَى حَصِيرٍ وَقَد أَثَّرَ فِي جَنبِهِ وَخِزَانَتُهُ خَاوِيَةٌ فَبَكَى وَقَالَ: يَا نَبِيَّ اللهِ وَمَا لِي لَا أَبكِي وَهَذَا الحَصِيرُ قَد أَثَّرَ فِي جَنبِكَ وَهَذِهِ خِزَانَتُكَ لَا أَرَى فِيهَا إِلَّا مَا أَرَى، وَذَاكَ قَيْصَرُ وَكِسْرَى فِي الثِّمَارِ وَالأَنهَارِ، وَأَنْتَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَصَفْوَتُهُ، وَهَذِهِ خِزَانَتُكَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **«يَا ابْنَ الخَطَّابِ أَلَا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ لَنَا الآخِرَةَ وَلَهُمُ الدُّنْيَا»**[١].

يَقَعُ المَسجِدُ بَعدَ تَخَطِّي شَارِعِ العَوَالِي (عَلِيِّ بنِ أَبِي طَالِب) وَبَعدَ مُستَشفَى الزَّهرَاءِ الخَاصّ يَسلُكُ الذَّاهِبُ يَسَارَ الطَّرِيقِ بِاتِّجَاهِ مُستَشفَى المَدِينَةِ الوَطَنِيّ وَيَتَخَطَّى السُّوقَ التِّجَارِيّ البَسَاتِين إِلَى صَالَةِ مَرحَبا للأَفرَاحِ يُوجَدُ حَائِطٌ عَلَى اليَسَارِ مُغلَقًا بِدَاخِلِهِ مَبنَى المَسجِدِ وَمَكَان المَشرَبَةِ عَلَى اليَسَارِ، وَمَوقِعُهَا مُقَابِلَ بَاب سُورٍ ضَخمٍ مَبنِيّ بِالطُّوبِ الأَحمَرِ كُتِبَت عَلَيهِ عِبَارَةُ انتَاج المَيمَنِيّ للطُّوبِ الأَحمَرِ وَبَابُ المَشرَبَةِ أَخضَر اللَّونِ[٢].

مَسْجِدُ السَّبْقِ أَو مَسجِدُ بَنِي زُرَيْق:

عَن مُعَاذِ بنِ رِفَاعَةَ قَالَ: إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ دَخَلَ مَسجِدَ بَنِي زُرَيقٍ وَتَوَضَّأَ فِيهِ وَعَجِبَ مِن قِبلَتِهِ وَلَم يُصَلِّ فِيهِ وَكَانَ أَوَّلَ مَسجِدٍ قُرِأَ فِيهِ القُرءَان[٣]، وَعَن سَيِّدِنَا عَبدِ اللهِ بنِ عُمَرَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ سَابَقَ بَينَ الخَيلِ الَّتِي أُضْمِرَت[٤] مِنَ الحَفْيَاءِ[٥] وَكَانَ أَمَدُهَا ثَنِيَّةُ الوَدَاعِ، وَسَابَقَ

---

(١) صحيح مسلم، مسلم، كتاب الطلاق، باب في الإيلاء واعتزال النساء، (١٤٧٩).
(٢) Location 2427’06N 3937’58E
(٣) وفاء الوفا، السمهودي، (٣/ ٨٥٧).
(٤) أي عُلِفت وسُمِنت.
(٥) اسم ناحية خارج المدينة من جهة سافِلتها.

بَينَ الخَيلِ الَّتِي لَم تُضمَر مِنَ الثَّنِيَّةِ إِلَى مَسجِدِ بَنِي زُرَيْقٍ، وَأَنَّ عَبْدَ اللهِ ابنَ عُمَرَ مِمَّنْ سَابَقَ بِهَا[1]. وَالأَرجَحُ أَنَّ مَكَانَهُ هُوَ مَوضِعُ وُقُوفِ النَّبِيِّ ﷺ عِندَ الخُرُوجِ مِن صَلَاةِ العِيدِ.

يَقَعُ المَسجِدُ عَلَى أَوَّلِ نَفَقِ المَنَاخَةِ بِجِوَارِ مَوقِفِ النَّقلِ الجَمَاعِيِّ[2].

مَسْجِدُ النُّورِ أَو التَّوْبَة أَو العُصْبَة:

فِي مَنطَقَةِ العُصْبَةِ بِقُبَاء، وَقَدَ صَلَّى النَّبِيُّ ﷺ فِي مَوضِعِ مَسجِدِ النُّورِ كَمَا رَوَى السَّمهُودِيّ فِي الوَفَا[3].

وَلَعَلَّهُ المَوضِعُ الَّذِي انتَهَى إِلَيهِ سَيِّدُنَا أُسَيدُ بنُ حُضَيرٍ وَعَبَّادُ بنُ بِشرٍ رضي الله عنه وَهُمَا مِن بَنِي عَبْدِ الأَشهَلِ وَكَانَا عِندَ النَّبِيِّ ﷺ فِي لَيلَةٍ ظَلْمَاءَ وَتَحَدَّثَا عِندَهُ حَتَّى إِذَا خَرَجَا مِن عِندِهِ أَضَاءَت لَهُمَا عَصَا أَحَدِهِمَا فَمَشيَا عَلَى ضَوئِهَا، فَلَمَّا تَفَرَّقَت بِهِمَا الطَّرِيق أَضَاءَت لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا عَصَاهُ[4].

وَهَذَا المَسجِدُ لِبَنِي جَحْجَبَا مِنَ الأَوسِ عِندَ بِئْرِهِم المُسَمَّاة بِالهَجِيم، وَقِيلَ إِنَّ سَيِّدَنَا سَالِم مَولى لأَبِي حُذَيفَةَ كَانَ يَؤُمُّ المُهَاجِرِينَ الأَوَّلِينَ وَالصَّحَابَةَ فِيهِ، وَمِنهُم أَبُو بَكرٍ وَعُمَرُ وَغَيرُهُم.

---

(١) صحيح البخاري، البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب غاية السبق للخيل المضمرة، (٢٨٧٠). صحيح مسلم، مسلم، كتاب الإمارة، باب المسابقة بين الخيل وتضميرها، (١٨٧٠).

(٢) Location 2428'23N 3936'18E

(٣) وفاء الوفا، السمهودي، (٣/ ٨٢٥).

(٤) المسند، الإمام أحمد، مسند أنس بن مالك، (١٢٩٨٠).

وَيَقَعُ المَسجِدُ عَلَى الذَّاهِبِ فِي شَارِعِ قُبَاء الطَّالِع يَتَخَطَّى مَسجِدَ قُبَاء وَإِلَى الأَمَامِ وَيَسِير يَمِينًا فِي الطَّرِيقِ الدَّائِرِيّ الثَّانِي مَسَافَةَ كِيلُومِترٍ وَاحِدٍ يُوجَدُ مَسجِدٌ فِي بُستَانٍ عَلَى النَّاحِيَةِ اليُمنَى وَأَمَامَهُ بِئر الهَجِيم. وَمحلة العُصبَة غَربَ مَسجِدِ قُبَاء عَلَى يَمِينِ القَادِمِ مِن مَكَّةَ مِن طَرِيقِ الهِجرَةِ بِدَاخِلِ المَزرَعَةِ الَّتِي تَقَعُ قَبلَ مَزَارِعِ الشَّيخِ عَبدِ الحَمِيد عَبَّاس[1].

مَسْجِدُ الفُقَيْرِ: وَيُعرَفُ أَيضًا بِمَسجِدِ مِيْثَب، وَقَد صَلَّى فِيهِ النَّبِيُّ ﷺ. وَسَبَبُ تَسمِيَتِهِ بِالفُقَيرِ لأَنَّ الرَّسُولَ ﷺ قَالَ لِسَلمَانَ عِندَمَا جُمِعَت لَهُ فَسَائِلُ النَّخلِ: «**اذْهَبْ يَا سَلْمَانُ فَفَقِّرْ لَهَا، فَإِذَا فَرَغْتَ فَأْتِنِي أَكُونُ أَنَا أَضَعُهَا بِيَدَيَّ**»[2].

وَيَقَعُ هَذَا المَسجِدُ عَلَى يَمِينِ الطَّرِيقِ المُوصِل بَينَ قُربَانَ وَالعَوَالِي، وَيَبعُدُ عَن مَسجِدِ قُبَاء بِمَسَافَةٍ تُقَدَّر بِكِيلُومِترٍ وَاحِدٍ وَتِسعُمائَةِ مِترٍ، وَمَكَانُهُ عَلَى يَمِينِ مَحَطَّةِ نِفطٍ لِلبنزِينِ بِالنِّسبَةِ لِلقَادِمِ مِن قُبَاء أَو قُربَان، جَنبَ مَدرَسَةِ الأَمِيرِ مُحَمَّدِ بنِ عَبدِ العَزِيزِ الثَّانَوِيَّة، وَهُوَ عِبَارَةٌ عَن غُرفَةٍ مَبنِيَّةٍ مِن حَجَرٍ لَكِنَّهُ مُهْمَل[3].

مَسْجِدُ بَنِي خَطمَةَ[4] **أَو مَسْجِدُ العَجُوزِ**[5]: وَقَد صَلَّى فِيهِ النَّبِيُّ ﷺ وَتَوَضَّأَ مِن بِئرِهِم، وَهَذَا المَسجِدُ قُربُه قَبرُ البَرَاءِ بنِ مَعرُورٍ رضي الله عنه وَكَانَ مِمَّن شَهِدَ العَقَبَةَ، فَتُوُفِّيَ قَبلَ الهِجرَةِ، وَأَوصَى لِلنَّبِيِّ ﷺ بِثُلُثِ

---

(١) Location 2425'51N 3936'20E

(٢) المسند، الإمام أحمد، مسند الأنصار، حديث سلمان الفارسي، (٢٣٧٣٧).

(٣) Location 2426'40N 3937'57E

(٤) Location 2427'12N 3938'05E

(٥) امرأة من بني سليم، ثم من بني ظفر بن الحارث.

مَالِهِ لَكِنَّ النَّبِيَّ ﷺ رَدَّه، وَالبَرَاءُ رضي الله عنه أَمَرَ بِقَبرِهِ أن يُستَقبَلَ بِهِ الكَعبَة. وَيُروَى أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ بَعدَمَا صَلَّى فِي مَسجِدِ بَنِي خَطْمَة[1] شَرِبَ مِن بِئرٍ لَهُم يُقَالُ لَه ذَرع وَبَصَقَ فِيهِ[2].

سَقِيفَةُ بَنِي سَاعِدَةَ[3]:

تَقَعُ سَقِيفَةُ بَنِي سَاعِدَةَ عَلَى بُعدِ ٢٠٦م غَربَي المَسجِدِ النَّبوِيِّ الشَّرِيفِ بِجَانِبِ سَاحَتِهِ. صَلَّى فِيهَا النَّبِيُّ ﷺ وَجَلَسَ فِيهَا وَشَرِبَ مِن مَائِهِ، وَكَانَت بَنُو سَاعِدَةَ مِن أَصحَابِ النَّبِيِّ ﷺ يَجلِسُونَ فِيهَا. وَلَمَّا تُوُفِّيَ النَّبِيُّ ﷺ اجتَمَعَ المُهَاجِرُونَ وَالأَنصَارُ لاختِيَارِ الخَلِيفَةِ، فَقَالَ خَطِيبُ الأَنصَارِ: نَحنُ أَنصَارُ اللهِ وَكَتِيبَةُ الإِسلَام. فَقَالَ أَبُو بَكرٍ الصِّدِّيق رضي الله عنه: مَا ذَكَرْتُ فِيكُمْ مِن خَيرٍ فَأَنتُم لَهُ أَهْلٌ، وَلَنْ يُعْرَفَ هَذَا الأَمْرُ إِلَّا لِهَذَا الحَيِّ مِن قُرَيْشٍ؛ هُمْ أَوْسَطُ العَرَبِ نَسَبًا وَدَارًا، فَمِنَّا الأُمَرَاءُ وَمِنكُم الوُزَرَاء، وَقَد رَضِيتُ لَكُم أَحَدَ هَذَينِ الرَّجُلَينِ: عُمَرَ بنَ الخَطَّابِ وَأَبِي عُبَيدَةَ بنِ الجَرَّاحِ. فَقَالَ عُمَرُ: إِنَّ أَبَا بَكرٍ صَاحِبُ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَهُوَ السَّبَّاقُ المُسِنُّ، وَثَانِيَ اثنَينِ، وَأَولَى النَّاس بِأَمرِ نَبِيِّ اللهِ ﷺ، وَأَولَى النَّاس بِأَمرِكُم، فَقَالَ خَطِيبٌ مِنَ الأَنصَارِ: أَتَعْلَمُونَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ مِنَ المُهَاجِرِينَ وَخَلِيفَتُهُ مِنَ المُهَاجِرِين، وَنَحنُ كُنَّا أَنصَارَ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَنَحنُ أَنصَار خَلِيفَتِهِ كَمَا كُنَّا أَنصارهُ، فَقَالَ عُمَرُ: صَدَقَ قَائِلُكُم، وَأَخَذَ بِيَدِ أَبِي بَكرٍ، وَقَالَ: هَذَا صَاحِبُكُم فَبَايِعُوهُ، فَبَدَرَهُ

---

(١) وهم من الأوس، بطن من الأنصار.

(٢) وفاء الوفا، السمهودي، (٣/ ٨٧٢-٨٧٣).

(٣) Location 2428'12N 3936'24E

رَجُلٌ مِنَ الأَنصَارِ، ثُمَّ بَايَعَهُ عُمَر ثُمَّ بَايَعَهُ المُهَاجِرُونَ وَالأَنصَار، وَفِي اليَومِ الثَّانِي بَايَعَهُ بَقِيَّةُ الصَّحَابَةِ بَيعَةً عَامَّةً فِي المَسجِدِ النَّبَوِيِّ الشَّرِيفِ.

المُصَلَّى (المَنَاخَةُ)

المُرَادُ مِنَ المُصَلَّى هُوَ المَيْدَانُ الَّذِي يَقَعُ فِي الجِهَةِ الجَنُوبِيَّةِ الغَربِيَّةِ مِنَ المَسجِدِ النَّبَوِيِّ الشَّرِيفِ، وَكَانَ يُعرَفُ أَيضًا بِالمَنَاخَةِ[1] وَسُوقِ المَدِينَةِ المُنَوَّرَةِ، وَقَد كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُصَلِّي عِيدَ الفِطرِ وَالأَضحَى فِي عِدَّةِ مَوَاضِعَ مِن هَذَا المَيدَانِ، كَمَا وَرَدَ أَنَّهُ ﷺ صَلَّى فِيهِ الاستِسقَاءَ، وَكَانَت صَلَاتُهُ عَلَى النَّجَاشِي فِي هَذَا المَوضِعِ، فَعَن أَبِي هُرَيرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ نَعَى لِلنَّاسِ النَّجَاشِيَّ فِي اليَومِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ فَخَرَجَ بِهِم إِلَى المُصَلَّى وَكَبَّرَ أَربَعَ تَكبِيرَاتٍ[2].

تُفِيدُ الرِّوَايَات التَّارِيخِيَّةِ أَنَّ عُمَرَ بنَ عَبدِ العَزِيزِ بَنَى مَسَاجِدَ فِي المُصَلَّى فِي مَوَاضِعِ صَلَاتِهِ ﷺ وَخُلَفَائِهِ حِفَاظًا عَلَى الأَثَرِ وَذَلِكَ أَثنَاءَ إِمَارَتِهِ عَلَى المَدِينَةِ المُنَوَّرَةِ ٨٧- ٩٣ هـ.

مَسْجِدُ الغَمَامَةِ

أَو مَسجِد المُصَلَّى، وَكَانَ المُصَلَّى عَلَى عَهدِ النَّبِيِّ ﷺ مَكَانًا لِصَلَاةِ العِيدَينِ وَلِلاستِسقَاءِ، وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُصَلِّي الأَعيَادَ فِي مَوَاضِع مُختَلِفَة

---

(١) مأخوذ من أناخ الإبل، وشارع المناخة حلّ محله اليوم نفقٌ. **المعالم الأثيرة في السنة والسيرة**، محمد شراب، (ص/٢٧٩).

(٢) **صحيح البخاري**، كتاب الجنائز، باب التكبير على الجنازة أربعا، **(١٣٣٣)**، **صحيح مسلم**، مسلم، كتاب الجنائز، باب في التكبير على الجنازة، **(٩٥١)**.

فِي محلة المُصَلَّى حَيثُ كَانَت أَرضَ فَضَاءٍ بِلَا بِنَاء، ثُمَّ اتَّخَذَ النَّبِيُّ ﷺ مَوضِعَ مَسجِدِ الغَمَامَةِ مَكَانًا لِصَلَاةِ العِيدِ إِلَى أَن تُوُفِّيَ النَّبِيّ ﷺ، وَوَرَدَ أَنَّهُ ﷺ صَلَّى العِيدَينِ أَربَعَ سِنِينَ فِي مَكَانِهِ، وَسُمِّيَ بِمَسجِدِ الغَمَامَة لأَنَّ عِندَهُ استَسقَى النَّبِيُّ ﷺ وَبَعدَ دُعَاءِ الاستِسقَاءِ ظَلَّلَتْهُ الغَمَامَة وَنَزَلَ المَطَر.

وَكَانَ المُصَلَّى عَلَى عَهدِ النَّبِيِّ ﷺ مَكَانًا للاستِسقَاءِ وَلِلأَعيَادِ وَإِقَامَةِ الحُدُودِ وَأَحيَانًا الجَنَائِزِ، وَعِندَهُ استَسقَى النَّبِيُّ ﷺ رَبَّهُ وَبَعدَ دُعَاءِ الاستِسقَاءِ ظَلَّلَتهُ الغَمَامَة وَنَزَلَ المَطَرُ مِدرَارًا. وَفِي رِوَايَةٍ: فَالْتَفَتَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى أَبِي بَكرٍ الصِّدِّيقِ مُبتَسِمًا وَسَأَلَهُ مَاذَا قَالَ الشَّيخُ يُرِيدُ عَمَّهُ أَبَا طَالِبٍ؟ فَأَنشَدَ أَبُو بَكرٍ:

وَأَبْيَضَ يُسْتَسْقَى الغَمَامُ بِوَجْهِهِ ... ثِمَالَ اليَتَامَى عِصْمَةً لِلْأَرَامِلِ

يَطُوفُ بِهِ الـهُلَّاكُ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ ... فَهُمْ عِنْدَهُ فِي نِعْمَةٍ وَفَوَاضِلِ

وَقَد وَرَدَ أَنَّهُ قَحِطَ النَّاسُ فَاشتَكَوا لِلنَّبِيِّ ﷺ فَجَثَا عَلَى رُكبَتَيهِ فِي المُصَلَّى وَدَعَا رَبَّهُ فَأَمطَرَتِ السَّمَاءُ سَبعَةَ أَيَّام بِلَيَالِيهِنَّ، فَاشتَكَوا لَهُ، فَضَحِكَ وَرَفَعَ يَدَيهِ إِلَى السَّمَاءِ وَقَالَ: «**حَوَالَيْنَا وَلَا عَلَيْنا**»[1]، فَصَفَّت السَّمَاء.

يَقَعُ المَسجِدُ عَلَى يَسَارِ وَبِمُوَاجَهَةِ الخَارِجِ مِن بَابِ السَّلَامِ بِالحَرَمِ النَّبَوِيِّ الشَّرِيفِ[2].

---

(١) متفق عليه. صحيح البخاري، البخاري، كتاب الجمعة، باب الاستسقاء في الخطبة يوم الجمعة، (٩٣٣)، صحيح مسلم، مسلم، كتاب صلاة الاستسقاء، (٨٩٧). وورد أن هذا كان في المسجد النبوي الشريف.

(٢) Location 2427'56N 3936'24E

مَسْجِدُ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ

يَقَعُ عَلَى بُعدِ ٤٠ م مِن مَسجِدِ الغَمَامَةِ، وَهُوَ مِن أَمَاكِنِ مُصَلَّى الأَعيَادِ فِي عَهدِ النَّبِيِّ ﷺ، وَسُمِّيَ بِاسم أَبِي بَكرٍ الصِّدِّيقِ لأَنَّهُ عُرِفَ أَنَّهُ رضي الله عنه صَلَّى العِيدَ فِي مَكَانِهِ تَأَسِّيًا بِالنَّبِيِّ ﷺ، وَعِندَ مَكَانِ هَذَا المَسجِدِ صَفَّ النَّبِيُّ ﷺ أصحَابَهُ وَصَلَّى عَلَى النَّجَاشِيِّ حِينَ مَاتَ فِي أَرضِ الحَبَشَةِ، رَوَى أَبُو هُرَيرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ نَعَى لَنَا النَّجَاشِيَّ صَاحِبَ الحَبَشَةِ فِي اليَومِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ وَقَالَ: «**اسْتَغْفِرُوا لأَخِيكُم**» وَصَفَّ بِهِم بِالمُصَلَّى، فَكَبَّرَ أَربَعَ تكبِيرَاتٍ.

وَعَن جَابِرِ بنِ عَبدِ اللهِ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**مَاتَ الْيَوْمَ عَبْدٌ للهِ صَالِحٌ أَصْحَمَةُ**» فَقَامَ فَأَمَّنَا وَصَلَّى عَلَيهِ[١].

وَهُوَ عَلَى يَسَار وَبِمُوَاجَهَةِ الخَارِجِ مِن بَابِ السَّلَام بِالحَرَمِ النَّبَوِيِّ الشَّرِيفِ، فِي الجِهَةِ الشَّمَالِيَّةِ الغَربِيَّةِ مِنَ مَسجِدِ الغَمَامَة[٢].

مَسْجِدُ عُمَرَ بنِ الخَطَّابِ

كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُصَلِّي الأَعيَادَ فِي الهَوَاءِ الطَّلقِ فِي أَمَاكِنَ مُتَفَرِّقَة كُلَّ عَام، وَفِي هَذَا المَوضِعِ صَلَّى سَيِّدُنَا عُمَرُ بنُ الخَطَّابِ رضي الله عنه صَلَاةَ العِيدِ أَثنَاءَ خِلَافَتِهِ، وَلَا يَقْبَلُ أَن يُصَلِّ العِيدَ فِي مَكَانٍ لَم يُصَلِّ فِيهِ النَّبِيّ ﷺ هَذِهِ الصَّلَاةَ.

---

(١) صحيح مسلم، مسلم، كتاب الجنائز، باب التكبير على الجنازة، (٩٥٢).
(٢) Location 2427'58N 3936'22E

وَهُوَ عَلَى يَسَار وَبِمُوَاجَهَةِ الخَارِجِ مِن بَابِ السَّلَامِ بِالحَرَمِ النَّبَوِيِّ الشَّرِيفِ(١).

مَسْجِدُ عَلِيِّ بنِ أَبِي طَالِبٍ

صَلَّى رَسُولُ اللهِ ﷺ صَلَاةَ عِيدِ الفِطرِ فِي هَذَا المَكَانِ قَبلَ أَن يُصَلِّي الأَعيَادَ فِي مَكَانِ مَسجِدِ المُصَلَّى الغَمَامَة، ثُمَّ صَلَّى فِي مَوضِعِهِ سَيِّدنَا عَلِيّ اقتِدَاءً بِرَسُولِ اللهِ ﷺ وَهُوَ سَبَبُ نِسبَتِهِ إِلَيهِ.

وَهُوَ عَلَى يَسَار وَبِمُوَاجَهَةِ الخَارِجِ مِن بَابِ السَّلَامِ بِالحَرَمِ النَّبَوِيِّ الشَّرِيفِ(٢).

أَمَّا بَقِيَّةُ المَوَاضِعِ الَّتِي صَلَّى فِيهَا النَّبِيُّ ﷺ العِيدَين؛ فَهِيَ: مَسجِدُ سَيِّدِنَا عُثمَانَ بنِ عَفَّان رضي الله عنه، وَقَد صَلَّى النَّبِيُّ ﷺ فِي مَوضِعِهِ يَومَ أَضحَى، وَضَحَّى هُنَاكَ هُوَ وَأَصحَابُهُ. وَمَوضِعُهُ كَانَ أَمَامَ مَكتَبَةِ المَلِكِ عَبدِ العَزِيز. وَمَسجِدُ حَارَةِ الدَّوسِ المَعرُوف بِمَسجِدِ القِشلَةِ العَسكَرِيَّة، وَمَوضِعُهُ اليَوم هُوَ مَبنَى الإِمَارَةِ بِالعَنبَرِيَّة.

مَسَاجِدُ الفَتْحِ

المَسَاجِدُ السَبعِ مِن أَهَمِّ المَعَالِمِ الَّتِي يَزُورُهَا القَادِمُونَ إِلَى المَدِينَةِ المُنَوَّرَةِ، وَهِيَ مَجمُوعَة مَسَاجِدَ صَغِيرَة عَدَدُهَا الحَقِيقِيُّ سِتَّة وَلَيس سَبعَة وَلَكِنَّها اشتُهِرَت بِهَذَا الاسمِ نَظَرًا لإِضَافَةِ البَعضِ لِمَسجِدِ القِبلَتَينِ ضِمنَ هَذِهِ المَسَاجِدِ.

---

(١) Location 2427'51N 3936'23E

(٢) Location 2428'01N 3936'22E

تَقَعُ هَذِهِ المَسَاجِدُ الصَّغِيرَةُ فِي الجِهَةِ الغَرْبِيَّةِ مِن جَبَلِ سَلْع عِندَ جُزءٍ مِنَ الخَندَقِ الَّذِي حَفرَهُ المُسلِمُونَ فِي عَهدِ النُّبُوَّةِ للدِّفَاعِ عَنِ المَدِينَةِ المُنَوَّرَةِ عِندَمَا زَحفَت إِلَيهَا قُرَيش وَالقَبَائِل المُتَحَالِفَةِ مَعَهَا سَنَةَ خَمسٍ للهِجرَةِ، وَيُروَى أَنَّهَا كَانَت مَوَاقِعَ مُرَابَطَة وَمُرَاقَبَة فِي تِلكَ الغَزوَةِ وَقَد سُمِّيَ كُلّ مَسجِدٍ بِاسمِ مَن رَابَطَ فِيهِ، عَدَا مَسجِدَ الفَتحِ الَّذِي بُنِيَ فِي مَوقِعِ قُبَّةٍ ضُرِبَت لِرَسُولِ اللهِ ﷺ.

يُطلَقُ هَذَا الاسمُ عَلَى المَسَاجِدِ المَوجُودَةِ فِي بَطنِ جَبَلِ سلْع. وَهِيَ: مَسجِدُ الفَتحِ وَمَسجِدُ سَلمَانَ الفَارِسِيّ وَمَسجِدُ عَلِيّ وَمَسجِدُ عُمَرَ وَمَسجِدُ سَعدِ بنِ مُعَاذٍ أَو مَسجِدُ فَاطِمَةَ الزَّهرَاءِ وَمَسجِدُ أَبِي بَكرٍ. وَتُعرَفُ بِالمَسَاجِدِ السَّبعَة.

وَرَدَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَدعُو عَلَى الأَحزَابِ أَثنَاءَ غَزوَةِ الخَندَقِ فَاستَجَابَ اللهُ دُعَاءَهُ فَسُمِّيَ المَسجِدُ المَبنِيّ فِي هَذَا المَوضِعِ بِمَسجِدِ الفَتحِ.

وَأَمَّا غَزوَةُ الخَندَقِ فَسُمِّيَت بِذَلِكَ لِحَفرِ المُسلِمِينَ الخَنَادِقَ فِي هَذِهِ الغَزوَةِ، وَسُمِّيَت بِالأَحزَابِ لاجتِمَاعِ أَحزَابِ الكُفَّارِ لِقِتَالِ المُسلِمِينَ بِالمَدِينَةِ، فَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَدعُو عَلَيهِم فَاسْتُجِيبَ لَهُ فِي اليَومِ الثَّالِثِ، وَبَعَثَ اللهُ عَلَيهِمُ المَلَائِكَةَ فَقَطَعَت أَطنَابَ الفَسَاطِيطِ[١] وَأَطفَأَت النِّيرَان، وَجَالَتِ الخَيل بَعضهُما عَلَى بَعض، وَأَرسَلَ اللهُ عَلَيهِم الرُّعبَ، وَكَثُرَ تَكبِيرُ المَلَائِكَةِ فَوَلَّوا هَارِبِينَ.

وَكَانَ مِن دُعَاءِ النَّبِيِّ ﷺ: «**اللَّهُمَّ مُنْزِلَ الكِتَابِ سَرِيعَ الحِسَابِ،**

---

(١) هي الخيام الكبيرة.

اللَّهُمَّ اهزِمِ الأَحْزَابَ، اللَّهُمَّ اهْزِمْهُمْ وَزَلْزِلهم، لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ، أَعَزَّ جُنْدَهُ وَنَصرَ عَبْدَهُ وَغَلَبَ الأَحْزَابَ وَحْدَهُ فَلا شَيْءَ بَعْدَهُ».
فَاستَجَابَ اللهُ دُعَاءَهُ يَومَ الأربِعَاءِ، وَنَزَلَ جِبرِيلُ عليه السلام يُبَشِّرُهُ بِالفَتحِ. وَلَمَّا بُنِيَ هُنَاكَ المَسجِد عُرِفَ بِمَسجِدِ الفَتحِ، وَمَسجِدِ الأَحزَابِ وَالمَسجِدِ الأَعلَى.

مَسْجِدُ الفَتْحِ[1]: وَيُسَمَّى مَسجِدَ الأَحزَابِ أَو مَسجِدَ الأَعلَى، وَقَد أُقِيمَ عَلَى الصَّخرَةِ الَّتِي وَقَفَ عَلَيهَا النَّبِيُّ ﷺ وَرَفَعَ يَدَيهِ بِالدُّعَاءِ حَتَّى رُئِيَ بَيَاضُ إِبْطَيْهِ وَسَقَطَ رِدَاؤُهُ عَلَى ظَهرِهِ فَلَم يَرفَعهُ وَدَعَا طَوِيلًا عَلَى الكُفَّارِ فِي غَزوَةِ الخَندَقِ، وَكَانَ مِن دُعَائِهِ ﷺ: «اللَّهُمَّ مُنزِلَ الكِتَابِ سَرِيعَ الحِسَابِ، اهْزِمِ الأَحْزَابَ، اللَّهُمَّ اهْزِمْهُمْ وَزَلْزِلهم» فَاستَجَابَ اللهُ لَهُ وَبَشَّرَهُ بِالنَّصرِ فِي المَعركَةِ وَبِفَتحِ مَكَّةَ كَذَلِكَ، عَن سَيِّدِنَا جَابِرِ بنِ عَبدِ اللهِ قَالَ: إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ دَعَا فِي مَسجِدِ الفَتحِ عَلَى الأَحزَابِ ثَلَاثًا يَومَ الاثنَينِ وَيَومَ الثُّلَاثَاءِ وَيَومَ الأَربِعَاءِ فَاستُجِيبَ لَهُ يَومَ الأَربِعَاءِ بَينَ الصَّلَاتَينِ فَعُرِفَ البِشرُ فِي وَجْهِهِ وَهَزَمَ اللهُ الأَحزَابَ، ثُمَّ قَالَ سَيِّدُنَا جَابِرٌ: فَلَمْ يَنْزِلْ بِي أَمْرٌ مُهِمٌّ، غَلِيظٌ، إِلَّا تَوَخَّيْتُ تِلْكَ السَّاعَةَ، فَأَدْعُو فِيهَا، فَأَعْرِفُ الإِجَابَةَ[2].

مَسْجِدُ سَلْمَانَ الفَارِسِيِّ[3]: يَقَعُ جَنُوبِي مَسجِدِ الفَتحِ مُبَاشَرَةٍ وَعَلَى بُعدِ عِشرِينَ مِترًا مِنهُ فَقَط فِي قَاعِدَةِ جَبَلِ سَلْع، وَسُمِّيَ بِاسمِ الصَّحَابِيِّ سَلمَانَ الفَارِسِيِّ صَاحِب فِكرَةِ حَفرِ الخَندَقِ لِتَحصِينِ المَدِينَةِ مِن غَزوَةِ الأَحزَابِ.

---

(١) Location 2428'40N 3935'44E
(٢) المسند، الإمام أحمد، مسند جابر بن عبد الله، (١٤٥٦٣).
(٣) Location 2428'38N 3935'44E

مَسْجِدُ أَبِي بَكرٍ الصِّدِّيق[1]: يَقَعُ جَنُوبَي غَربيّ مَسجِدِ سَلمَانَ عَلَى بُعدِ خَمسَةَ عَشَرَ مِترًا مِنهُ، أُزِيلَ كُلِيًّا وَجُعِلَ مَوقِفًا للبَاصَاتِ مَكَانَهُ.

مَسْجِدُ عُمَرَ بنِ الخَطَّابِ[2]: يَلِي مَسجِدَ أَبِي بَكرٍ جَنُوبًا عَلَى بُعدِ عَشَرَةَ أمتَارٍ مِنهُ.

مَسجِدُ عَلِيٍّ بنِ أَبِي طَالِبٍ[3]: يَقَعُ شَرقَي مَسجِدِ فَاطِمَةَ أَو مَسجِدِ سَعدِ بنِ مُعَاذٍ.

مَسْجِدُ فَاطِمَةَ أَو مَسْجِدُ سَعْدِ بنِ مُعَاذٍ[4]: يَقَعُ فِي الجِهَةِ الغَربِيَّةِ مِن مَسجِدِ عَلِيّ بنِ أَبِي طَالِبٍ، عَلَى بُعدِ خَمسِينَ مِترًا مِنهُ..

مَكَانُ غَزوَةِ الخَندَقِ فِي مُنتَصَف شَارِعِ السَّبعِ مَسَاجِد (الأَمِير سُلطَان ابنِ عَبدِ العَزِيزِ) حَيثُ مَيدَانِ الفَتحِ أَوِ السَّبعِ مَسَاجِد، وَمَسجِدُ الفَتحِ أَعلَى المَسَاجِدِ وَعَلَى صَخرَةِ الفَتحِ، وَبَعْدَهُ مَسجِدُ سَلمَانَ الفَارِسِيّ، ثُمَّ مَسجِدُ أَبِي بَكرٍ الصِّدِّيق، ثُمَّ مَسجِدُ عُمَرَ بنِ الخَطَّابِ، ثُمَّ مَسجِدُ عَلِيّ ابنِ أَبِي طَالِبٍ، ثُمَّ مَسجِدُ فَاطِمَةَ الزَّهرَاءِ، وَجَبَلُ سَلْع بِمُوَاجَهَةِ المَسَاجِدِ.

بَيَانُ مَعْنَى العِبَادَةِ

بَيَانُ مَعنَى العِبَادَةِ وَأَنَّ مُجَرَّدَ التَّوَسُّلِ وَالاستِغَاثَةِ وَالنِّدَاءِ وَطَلَبِ مَا لَم

---

(١) Location 2428'38N 3935'42E

(٢) Location 2428'35N 3935'42E

(٣) Location 2428'32N 3935'43E

(٤) Location 2428'32N 3935'41E

تَجرِ بِهِ العَادَةُ لَيسَ شِركًا، وَكَذَلِكَ التَّبرُّك بِآثَارِ النَّبِيِّ ﷺ:

اعْلَمْ أَنَّهُ لَا دَلِيلَ حَقِيقِيٌّ يَدُلُّ عَلَى عَدَمِ جَوَازِ التَّوَسُّل بِالأَنْبِيَاءِ وَالأَوْلِيَاءِ فِي حَالِ حَيَاتِهِم أَوْ بَعْدَ وَفَاتِهِم بِدَعْوَى أَنَّ ذلِكَ عِبَادَةٌ لِغَيْرِ الله، لأَنَّهُ لَيْسَ عِبَادَة لِغَيْرِ اللهِ مُجَرَّد النِدَاء لِحَيّ أَوْ مَيِّتٍ، وَلا مُجَرَّد الاسْتِغَاثَة بِغَيْرِ الله، وَلا مُجَرّد قَصْدِ قَبْرِ وَلِيٍّ لِلتَّبرُّك، وَلَا مُجَرَّد طَلَب مَا لَم تَجْرِ بِهِ العَادَة بَيْنَ النَّاس، وَلا مُجَرَّد صِيغَة الاسْتِغَاثَة بِغَيْرِ الله تَعَالَى، أَيْ لَيْسَ ذَلِكَ شِرْكًا، لأَنَّهُ لَا يَنْطَبِقُ عَلَيْهِ تَعْرِيفُ العِبَادَةِ عِنْدَ اللُّغَوِيِّين، لأَنَّ العِبَادَة عِنْدَهُمْ الطَّاعَةَ مَعَ الخُضُوع، قَالَ اللُّغَوِيُّ الزَّجَّاجُ[1] وَهُوَ مِنْ أَشْهَرِهِم: «قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلّ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾[2] مَعْنَى العِبَادَة فِي اللُّغَة الطَّاعَةُ مَعَ الخُضُوع، يُقَالُ: هَذَا طَرِيقٌ مُعبَّدٌ إِذَا كَانَ مُذَلَّلًا بِكَثْرَةِ الوَطْءِ، وَبَعِيرٌ مُعَبَّد إِذَا كَانَ مَطْلِيًّا بالقَطِرَانِ، فَمَعْنَى ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾: إِيَّاكَ نُطِيعُ الطَّاعَةَ الَّتِي يُخْضَع مَعَهَا» اهـ. وَنَقلَ هذَا عَنهُ اللُّغَوِيّ الأَزْهَرِيّ[3] وَهُوَ مِنْ كِبَارِهِم، وَقَالَ مِثْلَهُمَا الفَرَّاء، وَقَالَ بَعْضُهم: «العِبَادَةُ أَقْصَى غَايَة الخُشُوعِ وَالخُضُوع»، وَقَالَ بَعْضٌ: «نِهَايَةُ التَّذَلُّل» كَمَا يُفْهَم ذلِكَ مِنْ كَلام شَارِحِ القَامُوسِ مُرْتَضَى الزَّبِيدِيّ خَاتِمَةِ اللُّغَوِيِّين[4]، وَهَذَا الَّذِي يَسْتَقِيمُ لُغَةً وَعُرْفًا.

ولَيْسَ مُجَرَّدَ التَّذَلُّلِ عِبادَةً لِغَيْرِ الله وَإِلَّا لَكَفَرَ كُلُّ مَنْ يَتَذَلَّلُ لِلمُلُوكِ وَالعُظَماء، وَقَدْ ثَبَتَ أَنَّ مُعَاذَ بنَ جَبَلٍ لَمَّا قَدِمَ مِنَ الشَّامِ سَجَدَ

---

(١) معاني القرءان وإعرابه، الزجاج، (١/ ٤٨).

(٢) سورة الفاتحة، آية (٥).

(٣) تهذيب اللغة، الأزهري، (٢/ ٢٣٤).

(٤) تاج العروس من جواهر القاموس، الزبيدي، (٨/ ٣٣٠-٣٣١).

لِرَسُولِ اللهِ، فَقَالَ الرَّسُول ﷺ : «**مَا هَذَا؟**» فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنِّي رَأَيْتُ أَهْلَ الشَّام يَسْجُدُونَ لِبَطَارِقَتِهِم وَأَسَاقِفَتِهِم، وَأَنْتَ أَوْلَى بِذلِكَ، فقال: «**لَوْ كُنْتُ ءَامِرًا أَحَدًا أَنْ يَسْجُدَ لأَحَدٍ لأَمَرْتُ المَرْأَةَ أَنْ تَسْجُدَ لِزَوْجِهَا**»[1]، وَلم يَقُل لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ كَفَرْتَ، وَلا قَالَ لَهُ أَشْرَكْتَ مَعَ أَنَّ سُجُودهُ لِلنَّبِيِّ مَظْهَرٌ كَبِيرٌ مِنْ مَظَاهِرِ التَّذَلُّل.

وَعَنْ عَائِشَة أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ فِي نَفَرٍ مِنَ المُهَاجِرِينَ والأَنْصَار فَجَاءَ بَعِيرٌ فَسَجَدَ لَهُ فَقَالَ أَصْحَابُهُ: يَا رَسُولَ اللهِ سَجَدَ لَكَ البَهَائِمُ وَالشَّجَرُ فَنَحْنُ أَحَقُّ أَنْ نَسْجُدَ لَكَ، فَقَالَ ﷺ: «**اعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَأَكْرِمُوا أَخَاكُم**»[2] وَإِسْنَادُهُ جَيِّدٌ.

فَهَؤُلاءِ الَّذِينَ يُكَفِّرُونَ الشَّخْصَ لأَنَّهُ قَصَدَ قَبْرَ الرَّسُول أَوْ غَيرهُ مِنَ الأَوْلِيَاءِ لِلتَبَرُّكِ فَهُم جَهِلُوا مَعْنَى العِبَادَة وَخَالَفُوا مَا عَلَيْهِ المُسْلِمُون، لأَنَّ المُسْلِمِينَ سَلَفًا وَخَلَفًا لَم يَزَالُوا يَزُورُونَ قَبْرَ النَّبِيِّ ﷺ، وَلَيْس مَعْنَى الزِيَارَة لِلتَّبَرُّك أَنَّ الرَّسُولَ ﷺ يَخْلُقُ لَهم البَرَكَة، بَلِ المَعْنَى أَنَّهُم يَرْجُون أَنْ يَخْلُق الله لَهم البَرَكَة بِزِيَارَتِهِم لِقَبْرِهِ. وَالدَّلِيلُ عَلَى جَوَازِ التَّوَسُّلِ بِالصَّالِحينَ مَا أَخرَجَهُ البَزَّارُ[3] مِن حَدِيثِ عَبدِ اللهِ بنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه عَن رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: «**إِنَّ للهِ مَلائِكَةً سَيَّاحِينَ فِي الأَرْضِ سِوَى**

---

(١) أخرجه البيهقي في سننه (٧/ ٢٩١-٢٩٢) وأخرجه ابن ماجه في سننه: كتاب النكاح: باب حق الزوج على المرأة، وقال الحافظ البوصيري في المصباح (١/ ٣٢٤): رواه ابن حبان في صحيحه. وقال السندي: كأنه يريد أنه صحيح الإسناد. وانظر الإحسان (٦/ ١٨٦-١٨٧).

(٢) المسند، الإمام أحمد، (٢٤٤٧١).

(٣) كشف الأستار، البزار، (٤/ ٣٤).

الحَفَظَة يَكْتُبُونَ مَا يَسْقُطُ مِنْ وَرَقِ الشَّجَرِ، فَإِذَا أَصَابَ أَحَدُكُم عَرجَةٌ بِأَرْضٍ فَلَاةٍ فَلْيُنَادِ: أَعِينُوا عِبَادَ الله»، قَالَ الحَافِظُ الهَيثَمِيُّ[1]: رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ وَرِجَالُهُ ثِقَاتٌ، وَحَسَّنَهُ الحَافِظُ ابنُ حَجَرٍ فِي أَمَالِيهِ مَرفُوعًا أي أَنَّهُ مِن قَولِ الرَّسُولِ ﷺ، وَأَخرَجَهُ الحَافِظُ البَيهَقِيُّ مَوقُوفًا[2] عَلَى ابنِ عَبَّاسٍ بِلَفظ: «**إِنَّ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مَلَائِكَةً سِوَى الحَفَظَةِ يَكْتُبُونَ مَا سَقَطَ مِنْ وَرَقِ الشَّجَرِ، فَإِذَا أَصَابَ أَحَدُكُمْ عَرجَةٌ بِأَرْضٍ فَلَاةٍ فَلْيُنَادِ أَعِينُوا عِبَادَ اللهِ يَرْحَمْكُمُ اللهُ تَعَالَى**». وَالرِّوَايَةُ الأُولَى تُقَوِّي مَا وَرَدَ بِمَعنَاهَا مِن بَعضِ الرِّوَايَاتِ الَّتِي فِي إِسنَادِهَا ضَعفٌ، وَقَد تَقَرَّرَ عِندَ عُلَمَاءِ الحَدِيثِ أَنَّ الضَّعِيفَ يُعْمَلُ بِهِ فِي فَضَائِلِ الأَعمَالِ وَالدَّعَوَاتِ وَالتَّفسِيرِ، كَمَا ذَكَرَ الحَافِظُ البَيهَقِيُّ فِي المَدخَلِ.

وَرَوَى البَيهَقِيُّ[3] أَيضًا بِإِسنَادٍ صَحِيحٍ عَن مَالِكِ الدَّار ـ وَكَانَ خَازِنَ عُمَر ـ قَالَ: «أَصَابَ النَّاسُ قَحْطٌ فِي زَمَانِ عُمَر، فَجَاءَ رَجُلٌ إِلَى قَبرِ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ اسْتَسْقِ لِأُمَّتِكَ فَإِنَّهُم قَد هَلَكُوا، فَأَتَاهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي المَنَام فَقَالَ: **ائْتِ عُمَرَ فَأَقْرِئْهُ مِنِّي السَّلَامَ وَأَخْبِرْهُ بِأَنَّهُمْ يُسْقَونَ وَقُلْ لَهُ عَلَيْكَ الكَيْسَ الكَيْسَ**»[4]، فَأَتَى الرَّجُلُ فَأَخبَرَ عُمَرَ فَقَالَ: «يَا رَبِّ مَا ءَالُوا إِلَّا مَا عَجَزْتُ»[5] اهـ.

وَهَذَا الرَّجُلُ هُوَ بِلَالُ بنُ الحَارِثِ المُزَنِيُّ الصَّحَابِيُّ، فَهَذَا الصَّحَابِيُّ

---

(١) مجمع الزوائد، الهيثمي، (١٠/ ١٣٢).

(٢) شعب الإيمان، البيهقي، (١/ ٣٢٥).

(٣) البداية والنهاية، ابن كثير، (٧/ ٩١، ٩٢).

(٤) البداية والنهاية، ابن كثير، (٧/ ٩٠).

(٥) أي لا أقصر مع الاستطاعة.

قَد قَصَدَ قَبرَ الرَّسُولِ ﷺ للتَّبَرُّكِ فَلَم يُنْكِر عَلَيهِ عُمَرُ وَلَا غَيرُهُ.

وَقَالَ الحَافِظُ ابنُ حَجَرٍ فِي فَتحِ البَارِي مَا نَصُّهُ[1]: «وَرَوَى ابْنُ أَبِي شَيبَةَ بِإِسنَادٍ صَحِيحٍ مِن رِوَايَةِ أَبِي صَالح السَّمّان عَن مَالِك الدَّار قَالَ: أَصَابَ النَّاسُ قَحطٌ فِي زَمَنِ عُمَر فَجَاءَ رَجُلٌ إِلَى قَبْرِ النَّبِيّ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ اسْتَسْقِ لأُمَّتِكَ فَإِنَّهُم قَدْ هَلَكُوا، فَأُتِي الرَّجُل فِي المَنَامِ فَقِيلَ لَهُ: ائتِ عُمَر... الحَدِيث. وَقَد رَوَى سَيْف فِي الفُتُوحِ أَنَّ الَّذِي رَأَى المَنَام المَذكُورَ هُوَ بِلالُ بنُ الحَارِث المُزَنِيُّ أَحَدُ الصَّحَابَة، وَظَهَر بِهذَا كُلِّه مُنَاسَبة التَّرجمَة لأَصلِ هذِهِ القِصَّة أيضًا وَاللهُ المُوَفِّق» اهـ.

وَقَالَ ابنُ كَثِيرٍ مَا نَصُّهُ: «قَد رَوِينَا أَنَّ عُمَرَ عَسَّ[2] المَدِينَة عَامَ الرَّمَادَة فَلَم يَجِد أَحَدًا يَضحَكُ وَلا يَتَحَدَّثُ النَّاسُ فِي مَنَازِلِهِم عَلَى العَادَةِ وَلَمْ يرَ سَائِلًا يَسأَلُ، فَسَأَلَ عَن سَبَبِ ذَلِكَ فَقِيلَ لَهُ يَا أَمِيرَ المُؤمِنِين إِنَّ السُّؤَالَ سَأَلُوا فَلَم يُعطُوا فَقَطَعُوا السُّؤَالَ وَالنَّاس فِي هَمّ وَضِيقٍ فَهُم لا يَتَحَدَّثُونَ وَلا يَضْحَكُونَ، فَكَتَبَ عُمَر إِلَى أَبِي مُوسَى بِالبَصرَةِ أَنْ يَا غَوثَاهُ لأُمَّةِ مُحَمَّدٍ وَكَتَب إِلَى عَمْرو بنِ العَاصِ بِمِصرَ أَنْ يَا غَوثَاهُ لأُمَّةِ مُحَمَّد، فَبعثَ إِلَيهِ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا بِقَافِلَةٍ عَظِيمَةٍ تَحمِلُ البُرَّ وَسَائِرَ الأَطعمَات وَوَصَلت مِيرَةُ عَمرُو فِي البَحرِ إِلَى جُدَّةَ وَمِن جُدَّةَ إِلَى مَكَّة. وَهَذَا الأَثرُ جَيِّدُ الإِسْنَادِ». وَهَذَا فِيهِ الرَّدّ عَلَى ابنِ تَيمِيَةَ لِقَولِهِ إِنَّهُ لَا يَجُوزُ التَّوَسُّل إِلَّا بِالحَيِّ الحَاضِرِ، فَهَذَا عُمَرُ بنُ الخَطَّابِ استَغَاثَ بِأَبِي مُوسَى وَعَمرِو بنِ العَاص وَهُمَا غَائِبَان. ثُمَّ يَقُولُ فِي الصَّحِيفَةِ الَّتِي

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني، (٢/ ٥٧٥-٥٧٦).

(٢) أي طاف بها بالليل.

تَلِيهَا: «وَقَالَ سَيْفُ بنُ عُمَرَ عَنْ سَهْلِ بنِ يُوسُفَ السُّلَمِيِّ؛ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بنِ كَعْبِ بنِ مَالِكٍ قَالَ: كَانَ عَامُ الرَّمَادَةِ فِي ءَاخِرِ سَنَةِ سَبعَ عَشرَةَ، وَأَوَّلِ سَنَةِ ثَمَانِيَ عَشرَةَ، أَصَابَ أَهْلَ المَدِينَةِ وَمَا حَوْلَهَا جُوعٌ فَهَلَكَ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، حَتَّى جَعَلَتِ الْوَحْشُ تَأوِى إِلَى الأَنس، فَكَانَ النَّاسُ بِذَلِكَ وَعُمَرُ كَالمَحْصُورِ عَنْ أَهْلِ الأَمْصَارِ حَتَّى أَقْبَلَ بِلَالُ ابْنُ الْحَارِثِ الْمُزَنِيُّ فَاسْتَأْذَنَ عَلَى عُمَرَ فَقَالَ: أَنَا رَسُولُ رَسُولِ اللهِ إِلَيْكَ، يَقُولُ لَكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**لَقَدْ عَهِدْتُكَ كَيِّسًا، وَمَا زِلْتَ عَلَى ذَلِكَ، فَمَا شَأْنُكَ؟**» قَالَ: مَتَى رَأَيْتَ هَذَا؟ قَالَ: البَارِحَةَ. فَخَرَجَ فَنَادَى فِي النَّاسِ الصَّلَاةَ جَامِعَة، فَصَلَّى بِهِمْ رَكْعَتَيْنِ ثُمَّ قَامَ فَقَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ أَنْشُدُكُمُ اللَّهَ هَلْ تَعْلَمُونَ مِنِّى أَمرًا غَيرَهُ خَيرٌ مِنهُ؟ فَقَالُوا: اللَّهُمَّ لَا، فَقَالَ: إِنَّ بِلَالَ بنَ الْحَارِثِ يَزعُم ذِيَّةَ وَذِيَّةَ[1]. قَالُوا: صَدَقَ بِلَالُ فَاسْتَغِثْ باللَّه ثُمَّ بِالمُسْلِمِينَ. فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ - وَكَانَ عُمَرُ عَنْ ذَلِكَ مَحْصُورًا - فَقَالَ عُمَرُ: اللهُ أَكْبَرُ، بَلَغَ البَلَاءُ مُدَّتَهُ فَانْكَشَفَ. مَا أُذِنَ لِقَوْمٍ فِي الطَّلَبِ إِلَّا وَقَدْ رُفِعَ عَنهُم الأَذَى وَالبَلَاء. وَكَتَبَ إِلَى أُمَرَاءِ الأَمصَارِ أَن أَغِيثُوا أَهلَ المَدِينَةِ وَمَن حَوْلَهَا، فَإِنَّهُ قَدْ بَلَغَ جَهدُهُم. وَأَخْرَجَ النَّاسَ إِلَى الِاسْتِسْقَاءِ فَخَرَجَ وَخَرَجَ مَعَهُ العَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ المُطَّلِبِ مَاشِيًا، فَخَطَبَ وَأَوْجَزَ وَصَلَّى ثُمَّ جَثَى لِرُكْبَتَيْهِ وَقَالَ: اللَّهُمَّ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَارْضَ عَنَّا. ثُمَّ انْصَرَفَ فَمَا بَلَغُوا المَنَازِلَ رَاجِعِينَ حَتَّى خَاضُوا الْغُدْرَانَ[2]. ثُمَّ رَوَى سَيْفٌ عَنْ

(١) معناه كيت وكيت.

(٢) الغدران التي تمسك ماء السماء.

مُبَشِّرِ بْنِ الْفُضَيْلِ عَنْ جُبَيْرِ بْنِ صَخْرٍ عَنْ عَاصِمِ بْنِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ أَنَّ رَجُلًا مِنْ مُزَيْنَةَ عَامَ الرَّمَادَةِ سَأَلَهُ أَهْلُهُ أَنْ يَذْبَحَ لَهُمْ شَاةً فَقَالَ: لَيْسَ فِيهِنَّ شَيْءٌ. فَأَلَحُّوا عَلَيْهِ فَذَبَحَ شَاةً فَإِذَا عِظَامُهَا حُمْرٌ فَقَالَ يَا مُحَمَّدَاهُ. فَلَمَّا أَمْسَى أُرِيَ فِي الْمَنَامِ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ لَهُ: «**أَبْشِرْ بِالحَيَاةِ، ايتِ عُمَرَ فَأَقرِئهُ مِنِّي السَّلَامَ وَقُلْ لَهُ إِنَّ عَهْدِي بِكَ وَفِيَّ الْعَهْدِ شَدِيدَ الْعَقْدِ، فَالْكَيْسَ الْكَيْسَ يَا عُمَر**»، فَجَاءَ حَتَّى أَتَى بَابَ عُمَرَ فَقَالَ لِغُلَامِهِ اسْتَأْذِنْ لِرَسُولِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. فَأَتَى عُمَرَ فَأَخْبَرَهُ فَفَزِعَ ثُمَّ صَعِدَ عُمَرُ المِنبَرَ فَقَالَ للنَّاسِ: أُنشِدُكُم اللهَ الَّذِي هَدَاكُمْ لِلإِسْلَامِ هَلْ رَأَيْتُمْ مِنِّي شَيْئًا تَكْرَهُونَهُ؟ فَقَالُوا: اللَّهُمَّ لَا، وَعَمَّ ذَاكَ؟ فَأَخْبَرَهُمْ بِقَوْلِ الْمُزَنِيِّ - وَهُوَ بِلَالُ بْنُ الْحَارِثِ - فَفَطِنُوا وَلَمْ يَفْطَنْ. فَقَالُوا: إِنَّمَا اسْتَبْطَأَكَ فِي الِاسْتِسْقَاءِ فَاسْتَسْقِ بِنَا. فَنَادَى فِي النَّاسِ فَخَطَبَ فَأَوْجَزَ ثُمَّ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ فَأَوْجَزَ ثُمَّ قَالَ: اللَّهُمَّ عَجَزَتْ عَنَّا أَنْصَارُنَا، وَعَجَزَ عَنَّا حَوْلُنَا وَقُوَّتُنَا، وَعَجَزَتْ عَنَّا أَنْفُسُنَا، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِكَ، اللَّهُمَّ اسقِنَا وَأَحْيِ العِبَادَ وَالبِلَادَ.

وَقَالَ الْحَافِظُ أَبُو بَكْرٍ البَيْهَقِيُّ: أَخْبَرَنَا أَبُو نَصْرِ بْنُ قَتَادَةَ وَأَبُو بَكْرٍ الفَارِسِيُّ قَالَا: حَدَّثَنَا أَبُو عُمَرَ بْنُ مَطَرٍ، حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ عَلِيٍّ الذُّهْلِيُّ، حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ يَحْيَى، حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ مَالِكٍ قَالَ: أَصَابَ النَّاسَ قَحطٌ فِي زَمَنِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، فَجَاءَ رَجُلٌ إِلَى قَبرِ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ اسْتَسْقِ اللهَ **لِأُمَّتِكَ فَإِنَّهُمْ** قَدْ هَلَكُوا، فَأَتَاهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي المَنَامِ فَقَالَ: ائتِ **عُمَرَ فَأَقرِئهُ** مِنِّي السَّلَامَ وَأَخبِرهُم أَنَّهُم مُسقَونَ، وَقُلْ لَهُ عَلَيْكَ بِالكَيسِ الكَيْسَ. **فَأَتَى** الرَّجُلُ فَأَخْبَرَ عُمَرَ فَقَالَ: يَا رَبِّ مَا ءَالُوا إِلَّا مَا عَجَزْتُ عَنْهُ. **وَهَذَا**

إِسْنَادٌ صَحِيحٌ. انتَهَى كَلَامُ ابنُ كَثِيرٍ. وَهَذَا إِقرَارٌ مِنهُ بِصِحَّةِ الحَدِيثِ.

قَالَ الحَافِظُ وَلِيُّ الدِّينِ العِرَاقِيُّ[1] فِي شَرحِ حَدِيثِ: أَنَّ مُوسَى قَالَ: رَبِّ ادْنِنِي مِنَ الأَرضِ المُقَدَّسَةِ رَمْيَةً بِحَجَر وَأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «وَاللهِ لَوْ أَنِّي عِنْدَهُ لَأَرَيْتُكُمْ قَبْرَهُ إِلَى جَنْبِ الطَّرِيقِ عِنْدَ الكَثِيبِ الأَحْمَرِ»[2] مَا نَصُّهُ: وَفِيهِ اسْتِحْبَابُ مَعْرِفَةِ قُبُورِ الصَّالِحِينَ لِزِيَارَتِهَا وَالْقِيَامِ بِحَقِّهَا، وَقَدْ ذَكَرَ النَّبِيُّ ﷺ لِقَبْرِ السَّيِّدِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَامَةً مَوْجُودَةً فِي قَبْرٍ مَشْهُورٍ عِنْدَ النَّاسِ الآنَ بِأَنَّه قَبْرُهُ وَالظَّاهِرُ أَنَّ المَوْضِعَ المَذْكُورَ هُوَ الَّذِي أَشَارَ إِلَيْهِ النَّبِيُّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وَقَدْ دَلَّ عَلَى ذَلِكَ حِكَايَاتٌ وَمَنَامَاتٌ، وَقَالَ الْحَافِظُ الضِّيَاءُ: حَدَّثَنِي الشَّيْخُ سَالِمٌ التَّلُّ قَالَ: مَا رَأَيْت اسْتِجَابَةَ الدُّعَاءَ أَسْرَعَ مِنْهَا عِنْدَ هَذَا الْقَبْرِ، وَحَدَّثَنِي الشَّيْخُ عَبْدُ اللهِ بْنُ يُونُس المَعْرُوفُ بِالأَرْمَنِيِّ أَنَّهُ زَارَ هَذَا الْقَبْرَ وَأَنَّهُ نَامَ فَرَأَى فِي مَنَامِهِ قُبَّةً عِنْدَهُ وَفِيهَا شَخْصٌ أَسْمَرُ[3] فَسَلَّمَ عَلَيْهِ وَقَالَ لَهُ: أَنْتَ مُوسَى كَلِيمُ اللهِ، أَوْ قَالَ: نَبِيُّ اللهِ، فَقَالَ: نَعَمْ، فَقُلْت: قُلْ لِي شَيْئًا، فَأَوْمَى إِلَيَّ بِأَرْبَعِ أَصَابِعَ وَوَصَفَ طُولَهُنَّ، فَانْتَبَهْت فَلَمْ أَدْرِ مَا قَالَ، فَأَخْبَرْت الشَّيْخَ ذَيَّالَ بِذَلِكَ فَقَالَ: يُولَدُ لَكَ أَرْبَعَةُ أَوْلَادٍ، فَقُلْت: أَنَا قَدْ تَزَوَّجْت امْرَأَةً فَلَمْ أَقْرَبهَا، فَقَالَ: تَكُونُ غَيْرَ هَذِهِ، فَتَزَوَّجْت أُخْرَى فَوَلَدَتْ لِي أَرْبَعَةَ أَوْلَادٍ» اهـ.

وَابنُ تَيمِيَةَ هُوَ أَوَّلُ مَن مَنَعَ التَّوَسُّلَ بِالنَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَمَا ذَكَرَ ذَلِكَ الفَقِيهُ

---

(١) طرح التثريب، العراقي، (٣/٢٩٨، ٣٠١، ٣٠٢، ٣٠).

(٢) قطعة من الرمل مستطيلة محدودبة وهي شبه الربوة. مطالع الأنوار، (٣/٣٣٩).

(٣) كما يقال في العامية حنطي اللون.

اللُّغَوِيُّ المُحَدِّثُ عَلِيُّ بنُ عَبدِ الكَافِي السُّبْكِيُّ فِي كِتَابِهِ شِفَاءُ السَّقَام[1] وَنَصُّ عِبَارَتِهِ: «اعْلَم أَنَّهُ يَجُوزُ وَيَحْسُنُ التَّوَسُّلُ وَالاستِعَانَةُ وَالتَّشَفُّعُ بِالنَّبِيِّ ﷺ إِلَى رَبِّهِ سُبحَانَهُ وَتَعَالَى، وَجَوَازُ ذَلِكَ وَحُسنُهُ مِنَ الأُمُورِ المَعلُومَةِ لِكُلِّ ذِي دِينٍ، المَعرُوفَةِ مِن فِعلِ الأَنبِيَاءِ وَالمُرسَلِينَ وَسِيَرِ السَّلَفِ الصَّالِحِينَ وَالعُلَمَاءِ وَالعَوَامِّ مِنَ المُسلِمِينَ، وَلَم يُنْكِر أَحَدٌ وَلَا مِن أَهلِ الأَديَانِ وَلَا سُمِعَ بِهِ فِي زَمَنٍ مِنَ الأَزمَانِ حَتَّى جَاءَ ابنُ تَيمِيَةَ فَتَكَلَّمَ فِي ذَلِكَ بِكَلَام يُلَبِّسْ فِيهِ عَلَى الضُّعَفَاءِ الأَغمَارِ، وَابتَدَع مَا لَم يُسْبَقَ إِلَيهِ فِي سَائِرِ الأَعصَارِ...» اهـ.

قَالَ بَعضُ أَهلِ العَصرِ فِي كَلَامٍ لَهُ فِي الرَّدِّ عَلَى ابنِ تَيمِيَةَ: «فَسَعْيُهُ يَعنِي ابنَ تَيمِيَةَ - فِي مَنعِ النَّاسِ مِن زِيَارَتِهِ ﷺ يَدُلُّ عَلَى ضَغِينَةٍ كَامِنَةٍ فِيهِ نَحوَ الرَّسُولِ ﷺ، وَكَيفَ يُتَصَوَّرُ الإِشرَاكُ بِسَبَبِ الزِّيَارَةِ وَالتَّوَسُّلِ فِي المُسلِمِينَ الَّذِينَ يَعتَقِدُونَ فِي حَقِّهِ أَنَّهُ عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ وَيَنطِقُونَ بِذَلِكَ فِي صَلَوَاتِهِم نَحو عِشرِينَ مَرَّةً فِي كُلِّ يَوم عَلَى أَقَلِّ تَقدِيرٍ إِدَامَةً لِذِكرَى ذَلِكَ، وَلَم يَزَل أَهلُ العِلمِ يَنهَونَ العَوَامَّ عَنِ البِدَعِ فِي كُلِّ شُؤُونِهِم وَيرشِدونَهُم إِلَى السُّنَّةِ فِي الزِّيَارَةِ وَغَيرِهَا إِذَا صَدَرَت مِنهُم بدعَة فِي شَيءٍ، وَلَم يَعُدُّوهُم فِي يَوم مِنَ الأَيَّام مِن المُشرِكِينَ بِسَبَبِ الزِّيَارَةِ أَوِ التَّوَسُّلِ، وَكَيفَ أَنقَذَهُم اللهُ مِنَ الشِّركِ وَأَدخَلَ فِي قُلُوبِهِم الإِيمَانَ، وأَوَّلَ مَن رَمَاهُم بِالإِشرَاكِ بِتِلكَ الوَسِيلَةِ هُوَ ابنُ تَيمِيَةَ وَجَرَى خَلفَهُ مَن أَرَادَ استِبَاحَةَ أَموَال المُسلِمِينَ وَدِمَائِهِم لِحَاجَةٍ فِي النَّفسِ، وَلَم يَخَف ابنُ تَيمِيَةَ مِنَ اللهِ فِي رِوَايَةِ عَدِّ السَّفَرِ لِزِيَارَةِ النَّبِيِّ ﷺ مَعصِيَةً لَا تُقصر

---

(١) شفاء السقام، السبكي، (ص/٣١٢).

فيها الصَّلاة عن الإمام أبي الوَفاءِ بن عقيلٍ الحنبليّ، وحاشاهُ عن ذلك راجع كتاب التَّذكِرة له تجدْ فيه مبلغ عنايته لزيارة المصطفى ﷺ والتَّوسُّل به كما هو مذهبُ الحنابلة وإنَّما قولُهُ بذلك في السَّفرِ إلى المَشاهِدِ المَعرُوفةِ بالعِراقِ لِمَا قارنَ ذلكَ مِنَ البِدعِ في عهدِهِ وفي نظرِهِ، وإليكُم نصَّ عِبارَتِهِ فِي التَّذكِرةِ المَحفُوظةِ بظاهِريَّة دِمَشق: «ويُستَحبُّ لهُ قُدومُ مَدينةِ الرَّسُولِ صلَواتُ اللهِ عليهِ فيأتي مَسجِدَهُ فيقولُ عِندَ دُخُولِهِ: بِسمِ اللهِ اللَّهُمَّ صلِّ على مُحمَّدٍ وعلى ءالِ مُحمَّدٍ، وافتح لي أبوابَ رَحمَتِكَ، وكُفَّ عنِّي أبوابَ عَذابِكَ، الحمدُ للهِ الَّذي بلَّغ بِنا هذا المَشهَدِ وجعلَنا لِذلكَ أهلًا، الحمدُ للهِ ربِّ العالَمِينَ، إلى أن قالَ: واجعَلِ القبرَ تِلقاءَ وَجهِكَ وقُمْ مِمَّا يَلِي المِنبَرَ وقُل: السَّلامُ عليكَ أيُّها النَّبيُّ ورحمةُ اللهِ وبركاتُهُ، اللَّهُمَّ صلِّ على مُحمَّدٍ وعلى ءالِ مُحمَّدٍ إلى ءاخرِ ما تقولهُ في التَّشهُّدِ الأخيرِ، ثُمَّ تقولُ: اللَّهُمَّ أعطِ مُحمَّدًا الوَسِيلَةَ والفَضِيلةَ والدَّرجةَ والمَقامَ المَحمُودَ الَّذي وَعدتَهُ، اللَّهُمَّ صلِّ على رُوحِهِ فِي الأرواحِ وجَسدِهِ في الأجسادِ كما بلَّغَ رِسالاتِكَ وتلا ءاياتِكَ وصدَعَ بأمرِكَ حتَّى أتاهُ اليقِينُ، اللَّهُمَّ إنَّكَ قُلتَ في كِتابِكَ لِنبيِّكَ: اعوذ بالله من الشيطن الرجيم: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾[1] وإنِّي أتيتُ نبيَّكَ ﷺ نبيَّ الرَّحمةِ، يا رسُولَ اللهِ إنِّي أتوجَّهُ بكَ إلى ربِّي ليغفِرَ لي ذُنوبي، اللَّهُمَّ إنِّي أسألُكَ بِحقِّهِ أن تغفرَ لي ذُنُوبي، اللَّهُمَّ اجعَل مُحمَّدًا أوَّلَ الشَّافِعِينَ، وأنجحَ السَّائِلِينَ وأكرمَ الأوَّلِينَ والآخِرِينَ، اللَّهُمَّ

---

(١) سورة النساء، آية (٦٤).

كَمَا ءَامَنَّا بِهِ وَلَمْ نَرَهُ وَصَدَّقْنَاهُ وَلَم نلقَهُ فَأَدخِلنَا مُدخَلَهُ وَاحشُرنَا فِي زُمرَتِهِ وَأَوْرِدنَا حَوضَهُ وَاسقِنَا بِكَأسِهِ مَشرَبًا صَافِيًا سَائِغًا هَنِيئًا لَا نَظمَأُ بَعدَهُ أَبَدًا، غَيرَ خَزَايَا وَلَا نَاكِثِينَ وَلَا مَارِقِينَ وَلَا مَغضُوبًا عَلَينَا وَلَا ضَالِّينَ، وَاجعَلنَا مِن أَهلِ شَفَاعَتِهِ. ثُمَّ تَقَدَّم عَن يَمِينِكَ فَقُل: السَّلَامُ عَلَيكُم يَا أَبَا بَكر الصِّدِّيق، السَّلَامُ عَلَيكُم يَا عُمَرَ الفَارُوق، اللَّهُمَّ اجزِهِمَا عَن نَبِيِّهِمَا وَعَنِ الإِسلَامِ خَيرًا، ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ﴾[1] الآية.

وَتُصَلِّي بَينَ القَبرِ وَالمِنبَرِ فِي الرَّوضَةِ، وَإِن أَحبَبتَ تَمَسَّح بِالمِنبَرِ وَبِالحَنَّانَةِ وَهُوَ الجِذعُ الَّذِي كَانَ يَخطُبُ عَلَيهِ ﷺ فَلَمَّا اعتَزَلَ عَنهُ حَنَّ إِلَيهِ كَحَنِينِ النَّاقَةِ. وَتَأتِي مَسجِدَ قُبَاء فَتُصَلِّي لأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَقصِدُهُ فَيُصَلِّي فِيهِ، وَإِن أَمكَنَكَ فَأْتِ قُبُورَ الشُّهَدَاءِ وَزُرهُم وَأَكثِر مِنَ الدُّعَاءِ فِي تِلكَ المَشَاهِدِ حَتَّى كَأَنَّكَ إِلَى مَوَاقِفِهِم، وَاصنَع عِندَ الخُرُوجِ مَا صَنَعتَ عِندَ الدُّخُولِ» اهـ.

وَابنُ عَقِيلٍ هَذَا مِن أَسَاطِينِ الحَنَابِلَةِ، قَالَ ابنُ تَيمِيَةَ عَن كِتَابِهِ عُمدَةِ الأَدِلَّةِ لَهُ أَنَّهُ مِنَ الكُتُبِ المُعتَمَدَةِ فِي المَذهَبِ، وَيُقَالُ عَن كِتَابِهِ المُسَمَّى بِالفُنُونِ إِنَّهُ فِي ثَمَانمائَةِ مُجَلَّد. وَمِنَ الدَّلِيلِ أَيضًا عَلَى جَوَازِ التَّوَسُّلِ بِالأَنبِيَاءِ وَالصَّالِحِينَ حَدِيثُ أَبِي سَعِيدٍ الخُدرِيِّ الَّذِي حَسَّنَهُ الحَافِظُ ابنُ حَجَرٍ فِي نَتَائِجِ الأَفكَارِ[2] وَغَيرُهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِذَا خَرَجَ الرَّجُلُ مِنْ بَيْتِهِ إِلَى الصَّلَاةِ فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِحَقِّ السَّائِلِينَ عَلَيْكَ**

---

(١) سورة الحشر، آية (١٠).

(٢) نتائج الأفكار في تخريج أحاديث الأذكار، ابن حجر العسقلاني، (١/ ٢٧٢).

وَبِحَقِّ مَمْشَايَ هَذَا، فَإِنِّي لَمْ أَخْرُجْ أَشَرًا وَلَا بَطَرًا وَلَا رِيَاءً وَلَا سُمْعَةً، خَرَجْتُ اتِّقَاءَ سَخَطِكَ وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِكَ، أَسْأَلُكَ أَنْ تُنْقِذَنِي مِنَ النَّارِ وَأَنْ تَغْفِرَ لِي ذُنُوبِي، إِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ، وَكَّلَ اللهُ بِهِ سَبْعِينَ أَلْفَ مَلَكٍ يَسْتَغْفِرُونَ لَهُ، وَأَقْبَلَ اللهُ عَلَيْهِ بِوَجْهِهِ[1] حَتَّى يَقْضِي صَلَاتَهُ».

قَالَ الحَافِظُ الخَطِيبُ البَغْدَادِيُّ[2] وَهُوَ الَّذِي قِيلَ فِيهِ: إِنَّ المُؤَلِّفِينَ فِي كُتُبِ الحَدِيثِ دِرَايَةً عِيَالٌ عَلَى كُتُبِهِ، مَا نَصَّهُ: «أَخبَرَنَا أَبُو مُحَمَّد الحَسَنُ بنُ الحُسَينِ بنِ مُحَمَّد بنِ رَامِين الأَستَرَبَاذِيّ، قَالَ: أَنبَأَنَا أَحمَدُ ابنُ جَعفَرَ بنِ حَمدَانَ القَطِيعِيُّ قَالَ: سَمِعتُ الحَسَنَ بنَ إِبراهِيمَ أَبَا عَلِيّ الخَلَّالَ يَقُولُ: مَا هَمَّنِي أَمرٌ فَقَصَدتُ قَبرَ مُوسَى بن جَعْفَر فَتَوَسَّلْتُ بِهِ إِلَّا سَهَّلَ اللهُ تَعَالَى لِي مَا أُحِبُّ.

أَخبَرَنَا إِسمَاعِيلُ بنُ أَحمَدَ الحِيرِيُّ قَالَ: أَنبَأَنَا مُحَمَّدُ بنُ الحُسَينِ السُّلَمِيُّ قَالَ: سَمِعتُ أَبَا الحَسَن بن مُقسِم يَقُولُ: سَمِعتُ أَبَا عَلِيّ الصَّفَّار يَقُولُ: سَمِعتُ إِبرَاهِيمَ الحَربِيَّ يَقُولُ: قَبْرُ مَعْرُوفٍ التِّريَاقُ المُجَرَّبُ.

أَخبَرَنِي أَبُو إِسحَاقَ إِبرَاهِيمُ بنُ عُمَرَ البرمَكِيُّ قَالَ: أَنبَأَنَا أَبُو الفَضلِ عُبَيدُ اللهِ بنُ عَبدِ الرَّحمَنِ بنِ مُحَمَّدَ الزُّهرِيُّ قَالَ: سَمِعتُ أَبِي يَقُول: قَبرُ مَعْرُوفٍ الكَرخِيّ مُجَرَّبٌ لِقَضَاءِ الحَوَائِجِ وَيُقَالُ: إِنَّهُ مَن قَرَأَ عِندَهُ مِائَةَ مَرَّةً: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾[3] وَسَأَلَ اللهَ تَعَالَى مَا يُرِيدُ قَضَى اللهُ لَهُ حَاجَتَهُ.

---

(١) الرضى وليس الجارحة فالله منزه عن كل الجوارح.

(٢) تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي، (١/١٢٢-١٢٥).

(٣) سورة الإخلاص، آية (١).

حَدَّثَنَا أَبُو مُحَمَّد بنُ عَلِيِّ بنِ عَبدِ اللهِ الصُّورِيُّ قَالَ: سَمِعتُ أَبَا الحُسَينِ مُحَمَّدَ بنَ أَحْمَدَ بنِ جُمَيع يَقُولُ: سَمِعتُ أَبَا عَبد اللهِ بنَ المُحَامِلِيِّ يَقُولُ: أَعرِفُ قَبرَ مَعرُوفٍ الكَرخِيِّ مُنذُ سَبعِينَ سَنَةً، مَا قَصَدَهُ مَهمُومٌ إِلَّا فَرَّجَ اللهُ هَمَّهُ.

أَخبَرَنَا القَاضِي أَبُو عَبدِ اللهِ بنُ الحُسَينِ بنِ عَلِيِّ بنِ مُحَمَّد الصَّيمَرِيّ قَالَ: أَنبَأَنَا عُمَرُ بنُ إِبرَاهِيمَ المقرِي قَالَ: نَبَّأَنَا مُكْرَمُ بنُ أحمَدَ قَالَ: نَبَّأَنَا عُمَرُ بنُ إِسحَاقَ بنِ إِبرَاهِيمَ قَالَ: أَنبَأَنَا عَلِيُّ بنُ مَيْمُون قَالَ: سَمِعتُ الشَّافِعِيَّ يَقُولُ: إِنِّي لأَتَبَرَّكُ بِأَبِي حَنِيفَةَ وَأَجِيءُ إِلَى قَبرِهِ كُلَّ يَوم - يَعنِي زَائِرًا - فَإِذَا عُرِضَت لِي حَاجَةٌ صَلَّيتُ رَكعَتَينِ وَجِئتُ إِلَى قَبرِهِ وَسَأَلتُ اللهَ تَعَالَى الحَاجَةَ عِندَهُ، فَمَا تَبْعُدُ عَنِّي حَتَّى تُقْضَى.

وَمَقبَرَةُ بَابِ البَرَدَانِ فِيهَا أَيضًا جَمَاعَةٌ مِن أَهلِ الفَضلِ وَعِندَ المُصَلَّى المَرسُومِ بِصَلَاةِ العِيدِ كَانَ قَبرٌ يُعرَفُ بِقَبرِ النُّذُورِ وَيُقَالُ: إِنَّ المَدفُونَ فِيهِ رَجُلٌ مِن وَلَدِ عَلِيِّ بنِ أَبِي طَالِبٍ يَتَبَرَّكُ النَّاسُ بِزِيَارَتِهِ، وَيَقصِدُهُ ذُو الحَاجَةِ مِنهُم لِقَضَاءِ حَاجَتِهِ.

حَدَّثَنِي القَاضِي أَبُو القَاسِمِ عَلِيُّ بنُ المُحسِنِ التَّنُوخِيُّ قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي قَالَ: كُنتُ جَالِسًا بِحَضرَةِ عَضد الدَّولَةِ وَنَحنُ مُخَيِّمُونَ بِالقُربِ مِن مُصَلَّى الأَعيَادِ فِي الجَانِبِ الشَّرقِيِّ مِن مَدِينَةِ السَّلَام نُرِيدُ الخُرُوجَ إِلَى هَمَذَانَ فِي أَوَّلِ يَوم نَزَلَ المُعسكر، فَوَقَعَ طَرْفُهُ عَلَى البِنَاءِ الَّذِي عَلَى قَبرِ النُّذُورِ فَقَالَ لِي: مَا هَذَا البِنَاء؟

فَقُلتُ: هَذَا مَشهَدُ النُّذُورِ، وَلَم أَقُل قَبر لِعِلمِي بِطِيرَته مِن دُونِ هَذَا، وَاستَحسَنَ اللَّفظَةَ وَقَالَ: قَد عَلِمتُ أَنَّهُ قَبر النُّذُورِ، وَإِنَّمَا أَرَدتُ شَرحَ أَمرِهِ، فَقُلتُ: هَذَا يُقَالُ إِنَّهُ قَبرُ عُبَيدُ اللهِ بنُ مُحَمَّدِ بنِ عُمَرَ بنِ عَلِيِّ بنِ

الحُسَينِ بنِ عَلِيِّ بنِ أَبِي طَالِب، وَيُقَالُ: إِنَّهُ قَبرُ عُبَيدُ اللهِ بنُ مُحَمَّدِ بنِ عُمَرَ بنِ عَلِيِّ بنِ أَبِي طَالِب، وَإِنَّ بَعضَ الخُلَفَاءِ أَرَادَ قَتلَهُ خَفِيًّا، فَجُعِلَت لَهُ هُنَاكَ زُبْيَةٌ[1] وَسَارَ عَلَيهَا وَهُوَ لَا يَعلَمُ، فَوَقَعَ فِيهَا وَأُهِيلَ عَلَيهِ التُّرَابُ حَيًّا، وَإِنَّمَا شُهِرَ بِقَبرِ النُّذُورِ لأَنَّهُ مَا يَكَادُ يُنْذَرُ لَهُ نَذْرٌ[2] إِلَّا صَحَ وَبَلَغَ النَّاذِرِ مَا يُرِيدُ وَلَزِمَهُ الوَفَاءُ بِالنَّذرِ، وَأَنَا أَحَدُ مَن نَذَرَ لَهُ مِرَارًا لَا أُحصِيهَا كَثرَةً، نُذُورًا عَلَى أُمُورٍ مُتَعَذِّرَة، فَبَلغتُهَا وَلَزِمَنِي النَّذرُ فَوَفَّيتُ بِهِ، فَلَم يَتَقَبَّل هَذَا القَولَ وَتَكَلَّمَ بِمَا دَلَّ أَنَّ هَذَا إِنَّمَا يَقَعُ مِنهُ اليَسِير اتِّفَاقًا، فَيَتَسَوَّق العَوَام بِأَضعَافِه، وَيُسَيِّرُونَ الأَحَادِيثَ البَاطِلَةَ فِيهِ، فَأَمسَكتُ، فَلَمَّا كَانَ بَعدَ أَيَّامٍ يَسِيرَةٍ وَنَحنُ مُعَسْكِرُونَ فِي مَوضِعِنَا استَدعَانِي فِي غَدوَةِ يَومٍ وَقَالَ: اركَب مَعِي إِلَى مَشهَدِ النُّذُورِ، فَرَكِبتُ وَرَكِبَ فِي نَفَرٍ مِن حَاشِيَتِهِ إِلَى أَن جِئتُ بِهِ إِلَى المَوضِعِ، فَدَخَلَهُ وَزَارَ القَبرَ وَصَلَّى عِندَهُ رَكعَتَينِ سَجَدَ بَعدَهُمَا سَجدَةً أَطَالَ فِيهَا المُنَاجَاةَ بِمَا لَم يَسمَعهُ أَحَد، ثُمَّ رَكِبنَا مَعَهُ إِلَى خَيمَتِهِ وَأَقَمنَا أَيَّامًا، ثُمَّ رَحَلَ وَرَحَلنَا مَعَهُ يُرِيدُ هَمَذَانَ، فَبَلَغنَاهَا وَأَقَمنَا فِيهَا مَعَهُ شُهُورًا، فَلَمَّا كَانَ بَعدَ ذَلِكَ استَدعَانِي وَقَالَ لِي: أَلَستَ تَذكُرُ مَا حَدَّثتَنِي بِهِ فِي أَمرِ مَشهَدِ النُّذُورِ بِبَغدَادَ، فَقُلتُ: بَلَى، فَقَالَ: إِنِّي خَاطَبتُكَ بِمَا مَعنَاهُ بِدُونِ مَا كَانَ فِي نَفسِي اعتِمَادًا لإِحسَانِ عِشرَتِكَ، وَالَّذِي كَانَ فِي نَفسِي الحَقِيقَة أَنَّ جَمِيعَ مَا يُقَالُ فِيهِ كَذِبٌ، فَلَمَّا كَانَ بَعدَ ذَلِكَ بِمَدِيدَةٍ طَرَقَنِي أَمرٌ خَشِيتُ أَن يَقَعَ وَيَتِمَّ، وَأَعمَلتُ فِكرِي فِي الاحتِيَالِ لِزَوَالِهِ وَلَو بِجَمِيعِ مَا فِي بُيُوتِ أَموَالِي وَسَائِرِ عَسَاكِرِي، فَلَم أَجِد لِذَلِكَ مَذهَبًا، فَذَكَرتُ مَا أَخبَرتَنِي بِهِ

(١) كل حفرة في ارتفاع تُسمّى زبية.

(٢) معنى النذر هنا التصدق لوجه الله عن صاحب القبر لا أنه ينذر للقبر أو لصاحبه.

فِي النَّذرِ لِقَبرِ النُّذُورِ، فَقُلتُ: لِمَ لَا أُجَرِّبُ ذَلِكَ، فَنَذَرتُ إِن كَفَانِي اللهُ تَعَالَى ذَلِكَ الأمرَ أَن أَحمِلَ إِلَى صُندُوقِ هَذَا المَشهَدِ عَشرَةَ ءَالافِ دِرهَم صِحَاحًا، فَلَمَّا كَانَ اليَوم جَاءَتنِي الأَخبَارُ بِكِفَايَتِي ذَلِكَ الأمر، فَتَقَدَّمتُ إِلَى أَبِي القَاسِمِ عَبدِ العَزِيزِ بنِ يُوسُفَ - يَعنِي كَاتِبَهُ - أَن يَكتُبَ إِلَى أَبِي الرَّيَّانِ وَكَانَ خَلِيفَتَهُ بِبغدَادَ يَحمِلُهَا إِلَى المَشهَدِ، ثُمَّ التَفَتُّ إِلَى عَبدِ العَزِيزِ وَكَان حَاضِرًا، فَقَالَ لَهُ عَبدُ العَزِيزِ: قَد كَتَبتُ بِذَلِكَ وَنَفَذَ الكِتَابُ» اهـ.

قَالَ الحَافِظُ أَبُو القَاسِمِ بنُ عَسَاكِرَ[1]: «حَدَّثَنِي الشَّيخُ الصَّالِحُ الأَصِيلُ أَبُو عَبدِ اللهِ مُحَمَّدُ بنُ مُحَمَّدِ بنِ عُمَرَ بنِ الصَّفَّار الأَسفَرَايِينِيُّ أَنَّ قَبرَ أَبِي عَوَانَةَ بِأَسْفَرَاين[2] مَزَارُ العَالمِ وَمُتَبَرَّكُ الخَلْقِ» اهـ.

وَفِي هَذَا مَعَ مَا حَصَلَ مِن بِلَالِ بنِ الحَارِثِ مِن قَصدِ قَبرِ الرَّسُولِ ﷺ لِلتَّبَرُّكِ وَالاستِعَانَةِ بِهِ بَيَانٌ لِمَا كَانَ عَلَيهِ السَّلَفُ وَالخَلَفُ مِن قَصدِ قُبُورِ الأَنبِيَاءِ وَالصَّالِحِينَ لِلتَّبَرُّكِ، وَأَنَّهُم كَانُوا يَرَونَ ذَلِكَ عَمَلًا حَسَنًا، وَفِي ذَلِكَ نَقضُ زَعم ابنِ تَيمِيَةَ وَابنِ قَيِّم الجوزِيَّةِ أَنَّ زِيَارَةَ القَبرِ لِلتَّبَرُّكِ شِركٌ، وَفِي ذَلِكَ أَيضًا بَيَانٌ وَاضِحٌ أَنَّ هَذَا كَانَ عَمَلُ المُسلِمِينَ بِلَا نَكِيرٍ، إِنَّمَا التَّشوِيشُ عَلَى المُتَبَرِّكِينَ جَاءَ مِن ابنِ تَيمِيَةَ وَأَتبَاعِهِ، وَلَو تَتَبَّعنَا شَوَاهِدَ ذَلِكَ مِن كُتُبِ المُحَدِّثِينَ وَغَيرِهِم لَطَالَ الكَلَامُ جِدًّا، وَهَذَا الحَافِظُ ابنُ عَسَاكِرَ كَانَ شَيخُ المُحَدِّثِينَ فِي عَصرِهِ فِي بَرِّ الشَّامِ كُلِّهِ.

وَقَد جَاءَ الإِمَامُ مَالِكٌ لِلخَلِيفَةِ المَنصُورِ لَمَّا حَجَّ وَزَارَ قَبرَ النَّبِيِّ ﷺ وَسَأَلَ أَبُو جَعفَرَ مَالِكًا قَائِلًا: يَا أَبَا عَبدِ اللهِ أَستَقبِلُ القِبلَةَ وَأَدعُو أَم

(١) وفيات الأعيان، ابن خلكان، (٦/ ٣٩٤).

(٢) بليدة حصينة من نواحي نيسابور. معجم البلدان، شهاب الدين الحموي، (١/ ١٧٧).

أَستَقبِلُ رَسُولَ اللهِ ﷺ؟ قَالَ: «وَلِمَ تَصرِفُ وَجهَكَ عَنهُ وَهُوَ وَسِيلَتُكَ وَوَسِيلَةُ أَبِيكَ ءَادَمَ عليه السلام إِلَى اللهِ تَعَالَى؟ بَلِ استَقبِلهُ وَاستَشفِع بِهِ فَيُشَفِّعُهُ اللهُ». ذَكَرَهُ القَاضِي عِيَاضٍ فِي الشِّفَا[1] وَسَاقَهُ بِإِسنَادٍ صَحِيحٍ، وَالسَّيِّدُ السَّمهُودِيُّ فِي خُلَاصَةِ الوَفَاءِ، وَالقَسطَلَانِيُّ فِي المَوَاهِبِ اللَّدُنِّيَّةِ، وَابنُ حَجَرٍ الهَيتَمِيُّ فِي الجَوهَرِ المُنَظَّمِ، وَغَيرُهُم.

وَقَد رَوَى البَيهَقِيُّ فِي دَلَائِلِ النُّبُوَّةِ[2]: عَن عُمَرَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَمَّا اقْتَرَفَ ءَادَمُ الخَطِيئَةَ قَالَ: يَا رَبِّ أَسْأَلُكَ بِحَقِّ مُحَمَّدٍ إِلَّا مَا غَفَرْتَ لِي، فَقَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: يَا ءَادَمُ كَيْفَ عَرَفْتَ مُحَمَّدًا وَلَمْ أَخْلُقْهُ، قَالَ: لِأَنَّكَ يَا رَبِّ لَمَّا خَلَقْتَنِي بِيَدِكَ[3] وَنَفَخْتَ فِيَّ مِنْ رُوحِكَ[4] رَفَعْتُ رَأْسِي فَرَأَيْتُ عَلَى قَوَائِمِ العَرْشِ مَكْتُوبًا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ، فَعَلِمْتُ أَنَّكَ لَمْ تُضِفْ إِلَى اسْمِكَ إِلَّا أَحَبَّ الخَلْقِ إِلَيْكَ**» الحَدِيثُ، رَوَاهُ الحَاكِمُ[5] وَصَحَّحَهُ، وَوَصَفَهُ السُّبكِيُّ بِأَنَّهُ جَيِّدٌ[6]، وَأَخرَجَهُ الطَّبَرَانِيُّ فِي الأَوسَطِ[7] وَالصَّغِيرِ[8].

وَرَوَى البُخَارِيُّ فِي كِتَابِ الأَدَبِ المُفرَدِ[9] عَن عَبدِ الرَّحمَنِ بنِ سَعدٍ

---

(١) **الشفا بتعريف حقوق المصطفى**، القاضي عياض، (٢/ ٩٢، ٩٣).

(٢) **دلائل النبوة**، البيهقي، (٥/ ٤٨٩).

(٣) أي بعنايتك.

(٤) أي الروح المشرفة عند الله والله منزه عن حقيقة النفخ.

(٥) **المستدرك**، الحاكم، كتاب التاريخ، (٢/ ٦١٥).

(٦) **شفاء السقام**، السبكي، (ص١٦٢، ١٦٣).

(٧) **مجمع الزوائد**، الهيثمي، (٨/ ٢٥٣).

(٨) **المعجم الصغير**، الطبراني، (ص٣٥٥).

(٩) **الأدب المفرد**، البخاري، (ص/ ٢٦١-٢٦٢).

قَالَ: «خَدِرَت رِجلُ ابنِ عُمَر فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: اذْكُر أَحَبَّ النَّاسِ إِلَيكَ فَقَالَ: يَا مُحَمَّد، فَذَهَبَ خدر رِجلِهِ» اهـ.

وَفِي كِتَابِ الحِكَايَاتِ المَنثُورَةِ للحَافِظِ الضِّيَاءِ المَقدِسِيِّ الحَنبَلِيِّ، أَنَّهُ سَمِعَ الحَافِظَ عَبدَ الغَنِيِّ المَقدِسِيَّ الحَنبَلِيَّ يَقُولُ: إِنَّهُ خَرَجَ فِي عَضُدِهِ شَيءٌ يُشبِهُ الدُّمَّلَ فَأَعيَتهُ مُدَاوَاتُهُ، ثُمَّ مَسَحَ بِهِ قَبرَ أَحمَدَ بنِ حَنبَل فَبَرِئَ وَلَم يَعُد إِلَيهِ. وَهَذَا الكِتَابُ بِخَطِّ الحَافِظِ المَذكُورِ مَحفُوظٌ بِظَاهِرِيَّةِ دِمَشق[1].

وَأَخرَجَ أَحمَدُ فِي المُسنَدِ[2] بِإِسنَادٍ حَسَنٍ كَمَا قَالَ الحَافِظُ ابنُ حَجَرٍ[3] أَنَّ الحَارِثَ بنَ حَسَّان البَكرِيّ قَالَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ: «أَعُوذُ بِاللهِ وَرَسُولِهِ أَن أَكُونَ كَوَافِدِ عَادٍ»[4].

وَلَفْظُ الحَدِيثِ كَمَا فِي مُسنَدِ أَحمَد: حَدَّثَنَا عَبدُ اللهِ، حَدَّثَنِي أَبِي، حَدَّثَنَا زَيْدُ بْنُ الْحُبَابِ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبُو الْمُنْذِرِ سَلَّامُ بْنُ سُلَيْمَانَ النَّحْوِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَاصِمُ ابْنُ أَبِي النَّجُودِ، عَنْ أَبِي وَائِلٍ، عَنِ الْحَارِثِ بْنِ يَزِيدَ الْبَكْرِيِّ، قَالَ: خَرَجْتُ أَشْكُو الْعَلَاءَ بْنَ الْحَضْرَمِيِّ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَمَرَرْتُ بِالرَّبذَةِ[5] فَإِذَا عَجُوزٌ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ مُنْقَطِعٌ بِهَا،

---

(١) الحكايات المنثورة، مخطوط في المكتبة الظاهرية، بخط الحافظ الضياء، برقم ٣٨٣٤ الورقة ١١٢ اللوحة اليمنى السطر (١٠) الجزء الخامس.

(٢) مسند أحمد، أحمد، مسند المكيين، (١٥٩٥٤).

(٣) فتح الباري، ابن حجر، (٨/ ٥٧٩).

(٤) قال بعض العلماء: لا يجوز قول «أعوذ برسول الله» ابتداءً، إنما يجوز قول «أعوذ بالله ورسوله» كما ورد في الحديث.

(٥) هي قرية كانت عامرة في صدر الاسلام وبها قبر أبي ذر الغفاري وجماعة من الصحابة. وهي عن المدينة في جهة الشرق. معجم البلدان، الحموي، (٣/ ٢٤).

فَقَالَتْ لِي: يَا عَبْدَ اللهِ، إِنَّ لِي إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ حَاجَةً، فَهَلْ أَنْتَ مُبَلِّغِي إِلَيْهِ؟ قَالَ: فَحَمَلْتُهَا، فَأَتَيْتُ المَدِينَةَ فَإِذَا المَسْجِدُ غَاصٌّ بِأَهْلِهِ، وَإِذَا رَايَةٌ سَوْدَاءُ تَخْفِقُ، وَبِلَالٌ مُتَقَلِّدٌ السَّيْفَ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقُلْتُ: مَا شَأْنُ النَّاسِ؟ قَالُوا: يُرِيدُ أَنْ يَبْعَثَ عَمْرَو بْنَ الْعَاصِ وَجْهًا، قَالَ: فَجَلَسْتُ، قَالَ: فَدَخَلَ مَنْزِلَهُ أَوْ قَالَ: رَحْلَهُ، فَاسْتَأْذَنْتُ عَلَيْهِ، فَأَذِنَ لِي، فَدَخَلْتُ، فَسَلَّمْتُ فَقَالَ: هَلْ كَانَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ بَنِي تَمِيمٍ شَيْءٌ؟ قَالَ: فَقُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: وَكَانَتْ لَنَا الدَّبْرَةُ[1] عَلَيْهِمْ، وَمَرَرْتُ بِعَجُوزٍ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ مُنْقَطِعٌ بِهَا، فَسَأَلَتْنِي أَنْ أَحْمِلَهَا إِلَيْكَ، وَهَا هِيَ بِالْبَابِ فَأَذِنَ لَهَا فَدَخَلَتْ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنْ رَأَيْتَ أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ بَنِي تَمِيمٍ حَاجِزًا، فَاجْعَلِ الدَّهْنَاءَ[2]، فَحَمِيَتِ الْعَجُوزُ وَاسْتَوْفَزَتْ[3] قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ، فَإِلَى أَيْنَ تَضْطَرُّ مُضَرَكَ[4]؟ قَالَ: قُلْتُ: إِنَّمَا مَثَلِي، مَا قَالَ الْأَوَّلُ: مِعْزَاة حَمَلَتْ حَتْفَهَا، حَمَلْتُ هَذِهِ، وَلَا أَشْعُرُ أَنَّهَا كَانَتْ لِي خَصْمًا، أَعُوذُ بِاللهِ وَرَسُولِهِ أَنْ أَكُونَ كَوَافِدِ عَادٍ قَالَ: «هِيهْ، وَمَا وَافِدُ عَادٍ؟» - وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْحَدِيثِ مِنْهُ، وَلَكِنْ يَسْتَطْعِمُهُ[5] - قُلْتُ: إِنَّ عَادًا قَحَطُوا[6] فَبَعَثُوا وَافِدًا لَهُمْ، يُقَالُ لَهُ: قَيْلٌ، فَمَرَّ بِمُعَاوِيَةَ ابْنِ بَكْرٍ، فَأَقَامَ عِنْدَهُ شَهْرًا يَسْقِيهِ الْخَمْرَ، وَتُغَنِّيهِ جَارِيَتَانِ يُقَالُ لَهُمَا:

---

(١) أي الغلبة.

(٢) أرض في الجزيرة العربية. معجم البلدان، الحموي، (٢/ ٤٩٣).

(٣) أي جلست جلوس المستوفز كالذي يجلس على أصابع قدميه وركبتيه بشكل يكون قريبا من القيام.

(٤) معناه من تلجأ مضرك أي أبناء قبيلتك التي أنت منها تستعطفه.

(٥) أي يريده أن يظهر معرفته.

(٦) أي انقطع عنهم المطر.

الْجَرَادَتَانِ، فَلَمَّا مَضَى الشَّهْرُ خَرَجَ جِبَالَ تِهَامَةَ، فَنَادَى: اللهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنِّي لَمْ أَجِىء إِلَى مَرِيضٍ فَأُدَاوِيَهُ، وَلَا إِلَى أَسِيرٍ فَأُفَادِيَهُ، اللهُمَّ اسْقِ عَادًا مَا كُنْتَ مُسْقِيَهُ، فَمَرَّتْ بِهِ سَحَابَاتٌ سُودٌ فَنُودِيَ مِنْهَا: اخْتَرْ، فَأَوْمَأَ إِلَى سَحَابَةٍ مِنْهَا سَوْدَاءَ، فَنُودِيَ مِنْهَا: خُذْهَا رَمَادًا رِمْدِدًا[1] وَلَا تُبْقِ مِنْ عَادٍ أَحَدًا، قَالَ: فَمَا بَلَغَنِي أَنَّهُ بُعِثَ عَلَيْهِمْ مِنَ الرِّيحِ، إِلَّا قَدْرَ مَا يَجْرِي فِي خَاتِمِي هَذَا حَتَّى هَلَكُوا، قَالَ أَبُو وَائِلٍ: وَصَدَقَ، قَالَ: فَكَانَتِ الْمَرْأَةُ وَالرَّجُلُ إِذَا بَعَثُوا وَافِدًا لَهُمْ، قَالُوا: لَا تَكُنْ كَوَافِدِ عَادٍ. اهـ.

فَمَاذَا يَقُولُ هَؤُلاءِ الجَاعِلُونَ التَّوَسُّلَ بِالنَّبِيِّ ﷺ شِركًا فِي إِيرَادِ أَحمَدَ ابنِ حَنبَل لِهَذَا الحَدِيثِ أَيَجعَلُونَهُ مُقَرِّرًا لِلشِّركِ أَم مَاذَا يَقُولُونَ؟

قَالَ ابنُ الحَاجّ المَالِكِيُّ المَعرُوف بِإِنكَارِهِ لِلبِدَعِ فِي كِتَابِهِ المَدخَل[2] مَا نَصُّهُ: فَالتَّوَسُّلُ بِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ هُوَ مَحَلُّ حَطِ أَحْمَالِ الْأَوْزَارِ وَأَثْقَالِ الذُّنُوبِ، وَالْخَطَايَا؛ لِأَنَّ بَرَكَةَ شَفَاعَتِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَعِظَمَهَا عِنْدَ رَبِّهِ لَا يَتَعَاظَمُهَا ذَنْبٌ، إِذْ أَنَّهَا أَعْظَمُ مِنَ الْجَمِيعِ فَلْيَسْتَبْشِرْ مَنْ زَارَهُ وَيَلْجَأُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى بِشَفَاعَةِ نَبِيِّهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ مَنْ لَمْ يَزُرْهُ، اللَّهُمَّ لَا تَحْرِمْنَا مِنْ شَفَاعَتِهِ بِحُرْمَتِهِ عِنْدَكَ. ءَامِينَ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ.

وَمَنْ اعْتَقَدَ خِلَافَ هَذَا فَهُوَ المَحْرُومُ أَلَمْ يَسْمَعْ قَوْلَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓا

(١) معناه هذه السحابة لا رحمة لكم فيها لا تحمل مطرا بل تحمل هلاككم.

(٢) المدخل، ابن الحاج، (١/٢٥٩، ٢٦٠).

أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُوا۟ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴿٦٤﴾﴾[1] فَمَنْ جَاءَهُ وَوَقَفَ بِبَابِهِ وَتَوَسَّلَ بِهِ وَجَدَ اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا؛ لِأَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ مُنَزَّهٌ عَنْ خُلْفِ الْمِيعَادِ، وَقَدْ وَعَدَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِالتَّوْبَةِ لِمَنْ جَاءَهُ وَوَقَفَ بِبَابِهِ وَسَأَلَهُ وَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ، فَهَذَا لَا يَشُكُّ فِيهِ وَلَا يَرْتَابُ إِلَّا جَاحِدٌ لِلدِّينِ مُعَانِدٌ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ ﷺ نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الْحِرْمَانِ.

انتهى كَلامُ ابنِ الحَاجِّ.

وَأَخرَجَ الطَّبَرَانِيُّ فِي مُعجَمَيْهِ الكَبِيرِ[2] وَالصَّغِيرِ[3] عَن عُثمَانَ بنِ حُنَيف أَنَّ رَجُلًا كَانَ يَخْتَلِفُ إِلَى عُثمَانَ بنِ عَفَّان فِي حَاجَةٍ لَهُ، فَكَانَ عُثمَانُ لَا يَلتَفِتُ إِلَيهِ وَلا يَنْظُرُ فِي حَاجَتِه، فَلَقِيَ عُثمَانَ بنِ حُنَيف فَشَكَى ذَلِكَ إِلَيهِ، فَقَالَ لَهُ عُثمَانُ بنُ حُنَيف: ائتِ المَيضَأَة فَتَوَضَّأ ثُمَّ ائْتِ المَسجِدَ فَصَلِّ رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ قُل: اللَّهُمَّ إِنِيّ أَسْأَلُكَ وَأَتَوَجَّهُ إِلَيْكَ بِنَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ نَبِيِّ الرَّحْمَةِ، يَا مُحَمَّدُ إِنِي أَتَوَجَّهُ بِكَ إِلَى رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ فِي حَاجَتِي لِتُقْضَى لِي حَاجَتِي، وَتَذكُرَ حَاجَتَكَ وَرُح إِلَيَّ حَتَّى أَرُوحَ مَعَك. فَانْطَلَقَ الرَّجُلُ فَصَنَعَ مَا قَالَ عُثمَانُ لَهُ، ثُمَّ أَتَى بَابَ عُثمَانَ بنِ عَفَّان، فَجَاءَ البَوَّابُ حَتَّى أَخذَ بِيَدِهِ فَأَدْخَلَهُ عَلَى عُثمَانَ بنِ عَفَّان فَأَجْلَسَهُ مَعَهُ عَلَى الطِّنْفِسَةِ[4] وقَالَ: مَا حَاجَتُكَ؟ فَذَكَر حَاجَتَهُ فَقَضَاهَا لَهُ، ثُمَّ قَالَ لَهُ: مَا ذَكَرتُ حَاجَتَك حَتَّى كَانَت هَذِهِ السَّاعَة، وَقَالَ لَهُ: مَا كَانَ لَكَ حَاجَة فَأْتِنا، ثُمَّ إِنَّ الرَّجُلَ خَرَجَ مِن عِندِهِ فَلَقِيَ عُثمَان بنِ حُنَيف فَقَالَ

---

(١) سورة النساء، آية (٦٤).

(٢) المعجم الكبير، الطبراني، (٩/ ٣١).

(٣) المعجم الصغير، الطبراني، (ص٢٠١ . ٢٠٢).

(٤) البساط الذي تحته خملٌ مُحدثة. تحفة الأحوذي، المباركفوري، (٢/ ٢٥١).

لَهُ: جَزَاكَ اللهُ خَيْرًا مَا كَانَ يَنْظُرُ فِي حَاجَتِي وَلا يَلْتَفِتُ إِلَيّ حَتَّى كَلَّمتَهُ فِيَّ، فَقَالَ عُثْمَانُ بْنُ حُنَيف: وَاللهِ مَا كَلَّمتُه، وَلَكِن شَهِدْتُ رَسُولَ اللهِ وَقَدْ أَتَاهُ ضَرِير فَشَكَا إِلَيهِ ذَهَابَ بَصَرِه، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «**ائْتِ المَيْضَأَةَ فَتَوَضَّأْ ثُمَّ صَلِّ رَكْعَتَيْنِ ثُمَّ ادْعُ بِهَذِهِ الدَّعَوَات**»، قَالَ: قَالَ عُثَمَانُ بنُ حُنَيف: فَوَاللهِ مَا تفرَّقْنَا وَلَا طَالَ بِنَا المَجْلِسُ حَتَّى دَخَلَ عَلَينَا الرَّجُلُ كَأَنَّهُ لَم يَكُن بِهِ ضرٌّ قط. قَالَ الطَّبَرَانِيُّ: «الحَدِيثُ صَحِيحٌ».

فَفِيهِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الأَعمَى تَوَسَّلَ بِالنَّبِيّ ﷺ فِي غَيرِ حَضْرَتِه، بَل ذَهَبَ إِلَى المَيضَأَةِ فَتَوَضَّأَ وَصَلَّى وَدَعَا بِاللَّفظِ الَّذِي عَلَّمَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ، ثُمَّ دَخَلَ عَلَى النَّبِيّ ﷺ وَالنَّبِيُّ ﷺ لَم يُفَارِق مَجلِسَهُ لِقَولِ رَاوِي الحَدِيثِ عُثمَان بن حُنَيف فَوَاللهِ مَا تَفَرَّقنَا وَلَا طَالَ بِنَا المَجلِسُ حَتَّى دَخَلَ عَلَينَا الرَّجُلُ كَأَنَّهُ لَم يَكُن بِهِ ضرٌّ قطُّ[1].

فَإِن قِيلَ: إِنَّ الطَّبَرَانِيَّ لَم يُصَحِّح بِقَولِهِ: «وَالحَدِيثُ صَحِيحٌ» إِلَّا الأَصلَ وَهُوَ مَا حَصَلَ بينَ النَّبِيّ ﷺ وَالأَعمَى وَيُسَمَّى مَرفُوعًا، وَأَمَّا مَا حَصَلَ بَينَ عُثمَان ابنِ حُنَيف وَذَلِكَ الرَّجُلِ فَلَا يُسَمَّى حَدِيثًا لأَنَّهُ حَصَلَ بَعدَ النَّبِيّ ﷺ وَإِنَّمَا يُسَمَّى مَوقُوفًا.

فَالجَوَابُ: أَنَّ عُلَمَاءَ الحَدِيثِ يُطلِقُونَ الحَدِيثَ عَلَى المَرفُوعِ وَالمَوقُوفِ، وَقَد نَصَّ عَلَى ذَلِكَ غَيرَ وَاحِدٍ مِنهُم كَابنِ حَجَرٍ العَسقَلَانِيّ[2] وَابنِ الصَّلَاحِ، فَفِي كِتَابِ فَتَاوَى الرَّملِيّ[3] مَا نَصُّهُ: «سُئِلَ

---

(١) المعجم الكبير، الطبراني، (٩/ ٣١). المعجم الصغير، الطبراني، (ص/ ٢٠١، ٢٠٢).

(٢) تدريب الراوي، السيوطي، (ص/ ٣٥).

(٣) فتاوى الرملي بهامش الفتاوى الفقهية الكبرى لابن حجر الهيتمي، الرملي، (٤/ ٣٧١).

عَن تَعرِيفِ الأَثَرِ فَأَجَابَ: إِنَّ تَعرِيفَ الأَثَرِ عِندَ المُحَدِّثِينَ هُوَ الحَدِيثُ سَوَاءٌ أَكَانَ مَرفُوعًا أَو مَوقُوفًا وَإِن قَصَرَهُ بَعض الفُقَهَاءِ عَلَى المَوقُوفِ» اهـ. فَدَعوَى الأَلبَانِيّ وَبَعض تَلَامِذَتِهِ وَحملِهِم قولَ الطَّبَرَانِيّ: «وَالحَدِيثُ صَحِيحٌ» عَلَى مَا حَصَلَ للأَعمَى مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ دُونَ مَا حَصَلَ للرَّجُلِ مَعَ عُثمَانَ بنِ حُنَيف دَعوَى بَاطِلَة مُخَالِفَة لِقَوَاعِدِ الاصطِلَاحِ.

قَالَ المُنَاوِيُّ فِي حَدِيثِ: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَسأَلُكَ وَأَتَوَجَّهُ إِلَيكِ بِنَبِيِّكَ مُحَمَّد نَبِيّ الرَّحمَةِ**» مَا نَصُّهُ: «قَالَ ابنُ عَبدِ السَّلَامِ: يَنبَغِي كَونهُ مَقصُورًا عَلَى النَّبِيّ ﷺ وَأَن لَا يُقسِمَ عَلَى اللهِ بِغَيرِهِ مِنَ الأَنبِيَاءِ وَالمَلَائِكَةِ وَالأَولِيَاءِ لأَنَّهُم لَيسُوا فِي دَرَجَتِهِ، وَأَن يَكُونَ مِمَّا خُصَّ بِهِ.

قَالَ السُّبكِيُّ: يَحْسُن التَّوَسُّلُ وَالاستِعَانَةُ وَالتَّشَفُّع بِالنَّبِيّ ﷺ إِلَى رَبِّهِ، وَلَم يُنكِر ذَلِكَ أَحَدٌ مِنَ السَّلَفِ وَلَا الخَلَفِ حَتَّى جَاءَ ابنُ تَيمِيَةَ فَأَنكَرَ ذَلِكَ وَعَدَلَ عَنِ الصِّرَاطِ المُستَقِيمِ وَابتَدَعَ مَا لَم يَقُلهُ عَالِمٌ قَبلَهُ وَصَارَ بَينَ أَهلِ الإِسلَامِ مُثلَة» اهـ.

قَالَ نُورُ الدِّينِ مُلَّا عَلِي القَارِي فِي شَرحِ المِشكَاةِ مَا نَصُّهُ[1]: «قَالَ شَيخُ مَشَايِخِنَا عَلَّامَةُ العُلَمَاء المُتَبَحِّرِينَ شَمسُ الدِّين بنُ الجَزرِيّ فِي مُقَدِّمَةِ شَرحِهِ للمَصَابِيحِ المُسَمَّى بِتَصحِيحِ المَصَابِيحِ: إِنِّي زُرتُ قَبْرَهُ بِنَيسَابُورَ - يَعْنِي مُسلِمَ بنِ الحَجَّاجِ القُشَيْرِيّ - وَقَرَأْتُ بَعضَ صَحِيحِه عَلَى سَبِيلِ التَّيَمُّنِ وَالتَّبَرُّكِ عِندَ قَبْرِهِ وَرَأَيْتُ ءاثَارَ البَرَكَةِ وَرجَاءَ الإِجَابَةِ فِي تُرْبَتِهِ» اهـ.

---

(١) **مرقاة المفاتيح، القاري، (١/١٩).**

وَقَالَ المُحَدِّثُ ابنُ الرَّشِيدِ الفِهْرِيّ فِي كِتَابِهِ إفَادَةُ النَّصِيح فِي تَرجَمَةِ المُحَدِّثِ أَبِي مُحَمَّد الحَجْرِيّ مَا نَصُّهُ[1]: «قَالَ الحَافِظُ أَبُو عَبدِ اللهِ القُضَاعِيّ فِي تكمِلَتِهِ: «قَالَ شَيخُنَا أَبُو الرَّبِيعِ بنُ سَالِم وَقَرأتُهُ عَلَيهِ: صَادَفَ وَقتَ وَفَاتِهِ - أَي الحَجْرِيّ - وَأَخبَرَنِي النَّاقِدُ أَبُو بَكر مُحَمَّدُ بنُ حَسَن اللَّخْمِيُّ الحَبِيشِيّ قَالَ: أَخبَرَنِي أَبُو بَكر بنُ مُحْرِز الزهرِيّ قَالَ: لمَّا جِيءَ بِابنِ عُبَيدِ اللهِ الحَجرِيّ لِيُدفَنَ استَسقَى النَّاسُ عَلَى قَبرِهِ وكَانُوا قَد قَحَطُوا قَالَ: فَمَا تَمَّ السَّابِعُ حَتَّى خُضنَا الوَحلَ الشَّدِيد[2]. قَالَ: أَخبَرَنِي أَبُو بَكْر قَالَ: شَاهَدتُ مِن كَرَامَاتِ شَيخِنَا أَبِي مُحَمَّدَ الحَجْرِيّ عِندَ دَفنِهِ امرَأَةً لَاذَت بِنَعشِهِ وَكَانَت تُستَحَاضُ فَقَالَت: أَسأَلُكَ اللَّهُمَّ بِحُرمَةِ هَذَا الرَّجُلِ أَن تَرفَعَ عَنّي هَذَا الأَمرَ حَتَّى أُصَلِّي فِي المَسجِدِ مَعَ النَّاسِ، قَالَ: فَحُكِيَ لِي بَعدَ ذَلِكَ أَنَّهَا شُفِيَت. قُلتُ: وَحِكَايَةُ المَرأَةِ المُستَحَاضَةِ مَشهُورَة نَقَلَها غَيرُ وَاحِدٍ مِنَ الثِّقَاتِ» اهـ.

فَإِنْ قِيلَ: أَلَيسَ فِي الحَدِيثِ: «**إِذَا مَاتَ الإنْسَانُ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاث**». دِلَالَةٌ عَلَى أَنَّ المَيِّتَ لَا يَنفَعُ غَيرَهُ.

فَالجَوَابُ: أَنَّهُ لَيسَ فِي الحَدِيثِ الَّذِي رَوَاه ابنُ حِبَّانَ[3]: «**إِذَا مَاتَ الإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثٍ: صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ**» دِلَالَةٌ عَلَى أَنَّ المَيِّتَ لَا يَنفَعُ غَيرَهُ، **إِذْ إِنَّ** فِي الحَدِيثِ نَفيُ استِمرَارِ العَمَلِ التَّكلِيفِيّ الَّذِي يَتَجَدَّدُ بِهِ للمَيِّتِ ثَوَابٌ، **أَمَّا**

---

(١) إفادة النصيح في التعريف بسند الجامع الصحيح، الفهري، (ص/٩٣).

(٢) أي من كثرة المياه التي نزلت من السماء وغمرت الأرض.

(٣) الإحسان بترتيب ابن حبان، ابن حبان، كتاب الجنائز، فصل في الموت وما يتعلق به من راحة المؤمن وبشراه وروحه وعمله والثناء عليه، (٧/ ٢٦٨).

أَن يَنفَعَ غيرَهُ فَغَيرُ مَمنُوعٍ بِدَلِيلِ أَنَّ سَيِّدَنا مُوسَى ﷺ قَالَ لِسَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ عَلَيهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فِي حَدِيثِ المِعرَاجِ: «**ارْجِعْ فَسَلْ رَبَّكَ التَّخفِيفَ**»[1]، وَهَذَا نَفعٌ كَبِيرٌ لِأُمَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ كَانَ بَعدَ مَوتِ مُوسَى بِسِنِينَ عَدِيدَة.

فَإِن قِيلَ: أَلَيسَ فِي تَوَسُّلِ عُمَرَ بِالعَبَّاسِ[2] بَعدَ مَوتِ النَّبِيِّ ﷺ مَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ لَا تَوَسُّلَ بِالنَّبِيِّ ﷺ بَعدَ مَوتِهِ.

فَالجَوَابُ: أَنَّ تَوَسُّلَ عُمَر بِالعَبَّاسِ بَعدَ مَوتِ النَّبِيِّ ﷺ لَيسَ لأَنَّ الرَّسُولَ ﷺ قَد مَاتَ بَل كَانَ لأَجلِ رِعَايَةِ حَقّ قَرَابَتِهِ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ، بِدَلِيلِ قَولِ العَبَّاسِ حِينَ قَدَّمَهُ عُمَر: «اللَّهُمَّ إِنَّ القَومَ تَوَجَّهُوا بِي إِلَيكَ لِمَكَانِي مِن نَبِيِّكَ»، وَرَوَى هَذَا الأَثَرَ الزُّبَيرُ بنُ بَكَّار.

وَرَوَى الحَاكِمُ[3] أَيضًا أَنَّ عُمَرَ رضي الله عنه خَطَبَ فِي النَّاسِ فَقَالَ: «**أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ يَرَى لِلْعَبَّاسِ مَا يَرَى الْوَلَدُ لِوَالِدِهِ، يُعَظِّمُهُ، وَيُفَخِّمُهُ، وَيَبَرُّ قَسَمَهُ، فَاقْتَدُوا أَيُّهَا النَّاسُ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ فِي عَمِّهِ الْعَبَّاسِ**، وَاتَّخِذُوهُ وَسِيلَةً إِلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ فِيمَا نَزَلَ بِكُمْ»، وَهَذَا يُوَضِّحُ سَبَبَ تَوَسُّلِ عُمَر بِالعَبَّاسِ.

وَأَيضًا فَإِن تَرْكَ الشَّيءِ لَا يَدُلُّ عَلَى مَنْعِهِ كَمَا هُوَ مُقَرَّرٌ فِي كُتُبِ

(١) صحيح مسلم، مسلم، كتاب الايمان، باب الإسراء برسول الله ﷺ إلى السماوات وفرض الصلوات، (٢٥٩).

(٢) صحيح البخاري، البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب ذكر العباس بن عبد المطلب، (٣٧١٠).

(٣) الحاكم، المستدرك، كتاب معرفة الصحابة، (٦/ ٩٢)، (٥٥٣٦).

الأُصُولِ، فَتَركُ عُمَر للتَّوَسُّلِ بِالنَّبِيِّ ﷺ لَا دِلَالَةَ فِيهِ أصلًا عَلَى مَنعِ التَّوَسُّلِ إِلَّا بِالحَيِّ الحَاضِرِ، وَقَد تَرَكَ النَّبِيُّ ﷺ كَثِيرًا مِنَ المُبَاحَاتِ فَهَل دَلَّ تَرْكُهُ لَهَا عَلَى حُرمَتِهَا؟ لَا.

وَقَد أَرَادَ سَيِّدُنَا عُمَر بِفِعلِهِ هَذَا أَن يُبَيِّنَ جَوَازَ التَّوَسُّلِ بِغَيرِ النَّبِيِّ ﷺ مِن أَهلِ الصَّلَاحِ مِمَّن تُرْجَى بَرَكَتُهُ، وَلِذَا قَالَ الحَافِظُ فِي الفَتحِ[1] عَقِبَ هَذِهِ القِصَّةِ مَا نَصُّهُ: «وَيُستَفَادُ مِن قِصَّةِ العَبَّاسِ استِحبَابُ الاستِشفَاعِ بِأَهلِ الخَيرِ وَالصَّلَاحِ وَأَهلِ بَيْتِ النُّبُوَّةِ» اهـ.

فَإِن قِيلَ: أَلَيسَ فِي حَدِيثِ ابنِ عَبَّاسٍ الَّذِي رَوَاهُ التِّرمِذِيُّ[2] «**إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللهَ وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللهِ**» مَا يَدُلُّ عَلَى عَدَمِ جَوَازِ التَّوَسُّلِ بِغَيرِ اللهِ؟

فَالجَوَابُ: أَنَّ هَذَا لَيسَ فِيهِ مُعَارَضَةٌ مَا ذَكَرنَاهُ إِذ إِنَّ المُتَوَسِّلَ يَسأَلُ اللهَ، وَالحَدِيثُ لَيسَ مَعنَاهُ لَا تَسأَل غَيرَ اللهِ وَلَا تَستَعِن بِغَيرِ اللهِ، إِنَّمَا مَعنَاهُ أَنَّ الأَولَى بِأَن يُسأَلَ وَيُستَعَانَ بِهِ هُوَ اللهُ تَعَالَى، وَنَظِيرُ ذَلِكَ قَولُهُ ﷺ: «**لَا تُصَاحِبْ إِلَّا مُؤْمِنًا، وَلَا يَأْكُل طَعَامَكَ إِلَّا تَقِيّ**»[3] فَكَمَا لَا يُفهَمُ مِن هَذَا الحَدِيثِ عَدَم جَوَازِ صُحبَةِ غَيرِ المُؤمِنِ وَعَدَم جَوَازِ إِطعَامِ غَيرِ التَّقِيّ وَإِنَّمَا يُفْهَمُ مِنهُ أَنَّ الأَولَى بِالصُّحبَةِ المُؤمِن وَبِالإِطعَام التَّقِيّ، كَذَلِكَ حَدِيثُ ابنِ عَبَّاس لَا يُفهَمُ مِنهُ إِلَّا الأَولَوِيَّة، كَمَا أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ لَم يَقُل لَا تَسأَل غَيرَ اللهِ وَلَا تَستَعِن بِغَيرِ اللهِ، أَلَيسَ

---

(١) فتح الباري، ابن حجر، (٢/٤٩٧).

(٢) جامع الترمذي، الترمذي، كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، (٢٥١٦).

(٣) صحيح ابن حبان، ابن حبان، كتاب البر والإحسان، باب الصحبة والمجالسة، (٥٥٤).

هُنَاكَ فَرقٌ بَينَ أن يُقَالُ: لَا تَسأَل غَيرَ اللهِ وَبَينَ أن يُقَالَ: إذَا سَأَلتَ فَاسأَلِ اللهَ؟

التَّوَسُّلُ وَالتَّبَرُّك

قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِي كِتَابِهِ العَزِيزِ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبْتَغُوٓاْ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ وَجَـٰهِدُواْ فِى سَبِيلِهِۦ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣٥﴾﴾[1].

لَقَد جَعَلَ اللهُ سُبحَانَهُ وَتَعَالَى مِنَ الأَسبَابِ المُعِينَةِ لَنَا لِتَحقِيقِ مَطَالِبِنَا التَّوَسُّل بِالأَنبِيَاءِ وَالأَولِيَاءِ فِي حَالِ حَيَاتِهِم وَبَعدَ مَمَاتِهِم.

تَعرِيفُ التَّوَسُّلِ: التَّوَسُّلُ هُوَ طَلَبُ حُصُولِ مَنفَعَةٍ أَوِ اندِفَاعِ مَضَرَّةٍ مِنَ اللهِ بِذِكرِ اسْمِ نَبِيّ أَو وَلِيّ إكرَامًا لِلمُتَوَسَّلِ بِهِ. فَالطَّلَبُ مِنَ اللهِ لأَنَّ الأَنبِيَاءَ وَالأَولِيَاءَ لَا يَخلُقُونَ مَضَرَّةً وَلَا مَنفَعَةً وَلَكِن نَحنُ نَسأَلُ اللهَ بِهِم رَجَاءَ تَحقِيقِ مَطَالِبِنَا فَنَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسأَلُكَ بِجَاهِ رَسُولِ اللهِ أَن تَقضِيَ حَاجَتِي وَتُفَرِّجَ كَربِي، فَالتَّوَسُّلُ بِالأَنبِيَاءِ وَالأَولِيَاءِ جَائِزٌ فِي حَالِ حَضرَتِهِم وَفِي حَالِ غَيبَتِهِم، وَمُنَادَاتُهم جَائِزَة فِي حَالِ غَيبَتِهِم وَفِي حَالِ حَضرَتِهِم كَمَا دَلَّت عَلَى ذَلِكَ الأَدِلَّةُ الشَّرعِيَّة.

الدَّلِيلُ عَلَى جَوَازِ التَّوَسُّلِ مِنَ الشَّرِيعَةِ:

اعْلَم أَنَّهُ لَا دَلِيلَ يَدُلُّ عَلَى عَدَمِ جَوَازِ التَّوَسُّلِ بِالأَنبِيَاءِ وَالأَولِيَاءِ فِي حَالِ حَيَاتِهِم أَو بَعدَ وَفَاتِهِم بِدَعوَى أَنَّ ذَلِكَ عِبَادَةٌ لِغَيرِ اللهِ، لأَنَّهُ لَيسَ عِبَادَةً لِغَيرِ اللهِ مُجَرَّدَ النِّدَاءِ لِحَيّ أَو مَيّتٍ. بِدَلِيلِ مَا رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**إِنَّ للهِ مَلَائِكَةً فِي الأَرضِ سِوَى الحَفَظَة يَكْتُبُونَ مَا**

(١) سورة المائدة، آية (٣٥).

يَسْقُطُ مِنْ وَرَقِ الشَّجَرِ فَإِذَا أَصَابَ أَحَدُكُمْ عَرْجَةٌ بِأَرْضٍ فَلَاةٍ فَلْيُنَادِ أَعِينُوا عِبَادَ اللهِ»[1]، وَلَا مُجَرَّدَ التَّعظِيم وَلَا مُجَرَّدَ الاستِغَاثَة وَلَا مُجَرَّدَ قَصد قَبرَ وَلِيّ للتَّبَرُّكِ، وَلَا مُجَرَّدَ صِيغَةِ الاستِعَانَةِ بِغَيرِ اللهِ تَعَالَى أي لَيسَ ذَلِكَ شِركًا لأَنَّهُ لَا يَنطَبِقُ عَلَيهِ تَعرِيفُ العِبَادَةِ عِندَ اللُّغَوِيِّينَ وَأَهل العِلمِ. لأَنَّ العِبَادَةَ عِندَهُم الطَّاعَةُ مَعَ الخُضُوعِ.

قَالَهُ الأَزهَرِيُّ وَهُوَ أَحَدُ كِبَارِ اللُّغَوِيِّين فِي كِتَابِ تَهذِيبِ اللُّغَةِ نَقلًا عَنِ الزَّجَّاجِ، وَقَالَ السُّبكِيُّ: هِيَ أَقصَى غَايَةِ الخُشُوعِ وَالخُضُوعِ.

تَعلِيمُ النَّبِيِّ الصَّحَابَةَ أَن يَتَوَسَّلُوا بِهِ:

رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَّمَ الصَّحَابِيَّ الأَعمَى الَّذِي أَتَاهُ يَطلُبُ مِنهُ الدُّعَاءَ أَن يَتَوَسَّلَ بِهِ، فَتَوَسَّلَ الأَعمَى الضَّرِير بِرَسُولِ اللهِ ﷺ، تَوَسَّلَ بِحَبِيبِ اللهِ، تَوَسَّلَ بِأَفضَلِ خَلقِ اللهِ، فَرَدَّ اللهُ تَعَالَى عَلَيهِ بَصَرَهُ، فَقَد عَلَّمَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَن يَقُولَ: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ وَأَتَوَجَّهُ إِلَيْكَ بِنَبِيِّكَ مُحَمَّد نَبِيِّ الرَّحمَةِ يَا مُحَمَّد إِنِّي أَتَوَجَّهُ بِكَ إِلَى رَبِّي فِي حَاجَتِي لِتُقضَى لِي**»[2].

وَهَذَا الأَعمَى لَم يَكُن حَاضِرًا فِي مَجلِسِ رَسُولِ اللهِ ﷺ حِينَ دَعَا بِهَذَا الدُّعَاءِ بِدَلِيلِ أَنَّ رَاوِيَ الحَدِيثِ عُثمَانَ بن حُنَيف قَالَ لَمَّا رَوَى حَدِيثَ الأَعمَى: «فَوَاللهِ مَا تَفَرَّقنَا وَلَا طَالَ بِنَا المَجلِس حَتَّى دَخَلَ عَلَينَا الرَّجُلُ وَقَد أَبصَر». فَمِن قَولِهِ «حَتَّى دَخَلَ عَلَينَا» عَلِمنَا أَنَّ هَذَا الرَّجُل لَم يَكُن حَاضِرًا فِي المَجلِسِ حِينَ تَوَسَّلَ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ.

فَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ يُكَفِّرُونَ النَّاسَ بغير حق وبغير وجه شرعي إِذَا تَبَرَّكُوا أَو

---

(١) كشف الأستار في زوائد البزار، الهيثمي، (٤/ ٣٤).

(٢) المعجم الكبير، الطبراني، (٩/ ٣٠).

تَوَسَّلُوا أو نَادَوا النَّبِيَّ ﷺ لأنَّ المُسلِمِينَ سَلَفًا وَخَلَفًا لَم يَزالُوا يَزُورُونَ قَبرَ النَّبِيِّ ﷺ وَيَتَوَسَّلُونَ بِالصَّالِحِينَ، قَالَ ﷺ: «**حَيَاتِي خَيْرٌ لَكُم، تُحَدِثُونَ وَيُحْدَثُ لَكُمْ، وَوَفَاتِي خَيْرٌ لَكُم تُعْرَضُ عَلَيَّ أَعْمَالُكُمْ، فَمَا رَأَيْتُ مِنْ خَيرٍ حَمِدْتُ اللهَ عَلَيْهِ، وَمَا رَأَيْتُ مِنْ شَرٍّ اسْتَغْفَرْتُ لَكُمْ**»[1].

جَوَازُ التَّوَسُّلِ بِالأَنبِيَاءِ وَالصَّالِحِين:

إِنَّ بَعضَ النَّاسِ يُحَاوِلُونَ التَّموِيهَ عَلَى الأُمَّةِ جَمعَاءَ بَينَ حِينٍ وَءَاخر بِسَبَبِ أَنَّهُم يَتَوَسَّلُونَ إِلَى اللهِ بِالأَخيَارِ. وَلَا دَلِيلَ لَهُم عَلَى مَنعِ التَّوَسُّلِ، بَل هُم فِي انكَارِهِم التَّوَسُّلَ مَحجُوجُونَ بِالكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَالعَمَلِ المُتَوَارثِ وَالمَعقُولِ.

أَمَّا الكِتَابُ فَمِنهُ قَولُهُ تَعَالَى: ﴿وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ﴾[2]. وَالوَسِيلَةُ بِعُمُومِهَا تَشمَلُ التَّوَسُّلَ بِالأَشخَاصِ الصَّالِحِينَ الأَخيَار.

وَقَد وَرَدَ فِي حَدِيثِ فَاطِمَةَ بِنتِ أَسَد: «**بِحَقِّ نَبِيِّكَ وَالأَنْبِيَاءِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِي**»[3] وَرِجَالُ هَذَا الحَدِيثِ ثِقَاتٌ سِوَى رَوْحُ بنُ صَلَاحٍ وَعَنهُ يَقُولُ الحَاكِمُ ثِقَةٌ مَأمُونٌ، وَذَكَرَهُ ابنُ حِبَّانَ فِي الثِّقَاتِ، وَهُوَ نَصٌّ عَلَى أَنَّهُ لَا فَرقَ بَينَ الأَحيَاءِ وَالأَموَاتِ فِي بَابِ التَّوَسُّلِ وَهَذَا تَوَسُّلٌ بِجَاهِ الأَنبِيَاءِ صَرِيحٌ.

حُكْمُ التَّبَرُّكِ بِالنَّبِيِّ مُحَمَّدٍ وَءَاثَارِهِ:

رَوَى مُسلِمٌ فِي صَحِيحِه عَن أَنَسٍ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لمَّا رَمَى الجَمرَةَ

---

(١) كشف الأستار عن زوائد البزار، الهيثمي، (١/ ٣٩٧).

(٢) سورة المائدة، آية (٣٥).

(٣) المعجم الكبير، الطبراني، (٢٤/ ٣٥١).

وَنَحَرَ نُسُكَهُ حَلَقَ شَعرَهُ وَنَادَى أَبَا طَلحَةَ الأَنصَارِيّ وَأَعطَاهُ شَعرَهُ المَحلُوق وَقَالَ لَهُ: «اقْسِمْهُ بَينَ النَّاسِ»[1]، وَكَفَى بِذَلِكَ دَلِيلًا عَلَى أَنَّ الرَّسُولَ ﷺ أَرشَدَ أُمَّتَهُ إِلَى التَّبَرُّكِ بِآثَارِهِ، فَتَقسِيمُ النَّبِيِّ ﷺ لِشَعرِهِ بَينَ أَصحَابِهِ كَانَ لِحَضِّهِم عَلَى أَن يَتَبَرَّكُوا بِهِ، وَكَانَ أَحَدُهُم أَخَذَ شَعرَةً وَالآخَرُ أَخَذَ شَعرَتَينِ، وَمَا قَسَمَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَّا لِيَتَبَرَّكُوا بِهِ.

وَجَاءَ فِي صَحِيحِ البُخَارِيِّ[2] أَنَّ أُمَّ سَلَمَة زَوْجِ النَّبِيِّ عليه السلام كانت تَضَعُ شَعَرَاتِ النَّبِيِّ ﷺ فِي المَاءِ وَتَسْقِي بِهِ المَرضَى فَيَتَعَافَونَ بإذن الله. قَالَ ابنُ حَجَرٍ فِي الفَتحِ[3]: «وَالْمُرَادُ أَنَّهُ كَانَ مَنِ اشْتَكَى أَرْسَلَ إِنَاءً إِلَى أُمِّ سَلَمَةَ فَتَجْعَلُ فِيهِ تِلْكَ الشَّعَرَاتِ وَتَغْسِلُهَا فِيهِ وَتُعِيدُهُ فَيَشْرَبُهُ صَاحِبُ الْإِنَاءِ أَوْ يَغْتَسِلُ بِهِ اسْتِشْفَاءً بِهَا فَتَحْصُلُ لَهُ بَرَكَتُهَا».

وَفِي صَحِيحِ البُخَارِيِّ مَا نَصُّهُ: «بَابُ مَا ذُكِرَ مِن دِرْعِ النَّبِيِّ ﷺ وَعَصَاهُ وَسَيفِهِ وَقَدَحِهِ وَخَاتَمِهِ وَمَا اسْتَعمَلَ الخُلَفَاءُ بَعْدَهُ مِن ذَلِكَ مِمَّا لَم يُذْكَر قِسْمَتُهُ وَمِن شَعرِهِ وَنَعلِهِ وَءَانِيَتِهِ مِمَّا يَتَبَرَّكُ أَصْحَابُهُ وَغَيْرُهُم بَعْدَ وَفَاتِهِ»[4] اهـ.

وَرَوَى الحَافِظُ البَيْهَقِيُّ في دَلائِلِ النُّبُوَّةِ[5] والحَاكِمُ في مُسْتَدْرَكِهِ[6]

---

(١) صحيح مسلم، مسلم، كتاب الحج، باب بيان أن السنة يوم النحر أن يرمي ثم ينحر ثم يحلق، (١٣٠٥).

(٢) صحيح البخاري، البخاري، كتاب اللباس، باب ما يذكر في الشيب، (٥٨٩٦).

(٣) فتح الباري، العسقلاني، (١٠/ ٣٥٣).

(٤) صحيح البخاري، البخاري، كتاب فرض الخمس.

(٥) دلائل النبوة، البيهقي، (٦/ ٢٤٩).

(٦) المستدرك، الحاكم، كتاب معرفة الصحابة: خالد بن الوليد سيف من سيوف الله.

وَغَيْرُهُمَا أَنَّ خالِدَ بنَ الوَلِيدِ رضي الله عنه فَقَدَ قَلَنْسُوَة لهُ يَوْمَ اليَرْمُوكِ، فَأَمَرَ بِطَلَبِهَا فَلَمْ يَجِدُوهَا، ثُمَّ أَمَرَ بِطَلَبِهَا مَرَّةً أُخرى فَوَجَدُوهَا، فَسُئِلَ عَن سِرِّ إلحَاحِهِ فِي طَلَبِهَا، فقَالَ: «اعْتَمَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَحلَقَ رَأْسَهُ، وَابْتَدَرَ النَّاسُ جوَانِبَ شَعَرِهِ، فَسَبَقْتُهُم إلى نَاصِيَتِهِ، فَجَعَلْتُهَا فِي هَذِهِ القُلَنْسُوَةِ، فَلَمْ أَشْهَدْ قِتَالًا وَهِيَ مَعِي، إلَّا رُزِقْتُ النَّصْرَ».

وَفِي صَحِيحِ مُسلِم أَنَّ أَسمَاءَ بِنتِ أَبِي بَكرٍ أَخْرَجَت جُبَّةً وَقَالَتْ: «هَذِهِ جُبَّةُ رَسُولِ اللهِ ﷺ، جُبَّةَ طَيَالِسَةٍ كِسْرَوَانِيَّةٍ لَهَا لِبْنَةُ دِيبَاجٍ، وَفَرْجَيْهَا مَكْفُوفَيْنِ بِالدِّيبَاجِ، فَقَالَتْ: هَذِهِ كَانَتْ عِنْدَ عَائِشَةَ حَتَّى قُبِضَتْ، فَلَمَّا قُبِضَت قَبَضْتُهَا، وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَلْبَسُهَا، فَنَحْنُ نَغْسِلُهَا لِلْمَرْضَى يُسْتَشْفَى بِهَا»[1].

وَثَبَتَ عَن عَبدِ اللهِ بن أَحمَدَ بنِ حَنبَل أَنَّ الإمَامَ أَحمَدَ قَالَ: «لَا بَأسَ بِأَن يَمَسَّ الرَّجُلُ رُمَّانَةَ مِنبَرِ رَسُولِ اللهِ ﷺ تبرُّكًا وَلَا بَأس بِأَن يَمَسَّ قَبرَهُ ﷺ تبرُّكًا»[2].

وَرَوَى ابنُ حِبَّانَ فِي صَحِيحِهِ عَن جَابِرِ بن عَبدِ اللهِ أَنَّهُ قَالَ: «جَاءَنِي النَّبِيُّ ﷺ يَعُودُنِي وَأَنَا مَرِيضٌ لَا أَعقِلُ فَتَوَضَّأَ وَصَبَّ مِن وَضُوئِهِ[3] عَلَيَّ فَعَقَلْتُ»[4].

وَرَوَى ابنُ حِبَّانَ فِي صَحِيحِهِ تَحتَ بَاب: ذِكْرُ إِبَاحَةِ التَّبَرُّكِ بِوَضُوءِ

---

(١) صحيح مسلم، مسلم، كتاب اللباس والزينة، باب تحريم استعمال إناء الذهب والفضة، (٢٠٦٩).

(٢) كشاف القناع، البهوتي، (٢/ ١٥٠).

(٣) الماء الذي يُتوضَّأ به.

(٤) صحيح ابن حبان، ابن حبان، كتاب الطهارة، الماء المستعمل، (٤/ ٧٧).

الصَّالِحِينَ مِنْ أَهْلِ العِلْمِ: عَنْ ابنِ جُحَيْفَةَ عَنْ أَبِيهِ أَنَّهُ قَالَ: «رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ فِي قُبَّةٍ حَمْرَاءَ وَرَأَيْتُ بِلَالًا أَخرَجَ وَضُوءَهُ[1] فَرَأَيْتُ النَّاسَ يَبْتَدِرُونَ[2] وَضُوءَهُ يَتَمَسَّحُونَ»[3].

وَمِنَ الأَدِلَّةِ عَلَى جَوَازِ التَّبَرُّكِ بِآثَارِ الأَنبِيَاءِ أَنَّ يُوسُفَ عليه السلام لمَّا أَلقَاهُ إِخوَتُهُ فِي البِئرِ فَغَابَ عَن أَبِيهِ أَربَعِينَ سَنَةً قَبلَ أَن يَلقَاهُ فِي مِصرَ، وَمِن شِدَّةِ حُزنِ يَعقُوبَ عَلَى ابنِهِ ذَهَبَ بَصَرُهُ[4]، فَلَمَّا عَلِمَ يُوسُف بِذَلِكَ أَرسَلَ قَمِيصَهُ إِلَى أَبِيهِ، قَالَ تَعَالَى إِخبَارًا عَن يُوسُفَ: ﴿ٱذْهَبُوا۟ بِقَمِيصِى هَـٰذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِى يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِى بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٣﴾﴾[5]، وَنَحنُ نَعلَمُ أَنَّ القَمِيصَ لَا يَنفَعُ وَلَا يَضُرُّ إِلَّا بِمَشِيئَةِ اللهِ.

وَرَوَى الإِمَامُ النَّوَوِيُّ فِي رِيَاضِ الصَّالِحِينَ[6]: عَن أُمِّ ثَابِتٍ كَبْشَةَ بِنتِ ثَابِتٍ أُختِ حَسَّانَ بنِ ثَابِتٍ رضي الله عنه وَعَنْهَا قَالَت: «دَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَشَرِبَ مِنْ فِي قِربَةٍ مُعَلَّقَةٍ قَائِمًا، فَقُمْتُ إِلَى فِيهَا فَقَطَعْتُهُ[7]». وَإِنَّمَا قَطَعَتْهَا لِتَحْفَظَ مَوضِعَ فَمِ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَتَتَبَرَّكَ بِهِ وَتَصُونَهُ عَنِ الابْتِذَالِ اهـ.

---

(١) أي الماء الذي توضأ به رسول الله ﷺ.

(٢) أي يستبقون إليه تبركًا بآثاره الشريفة. التوضيح، ابن الملقن، (٥/ ٣٥٧).

(٣) صحيح ابن حبان، ابن حبان، (٤/ ٨٢).

(٤) العمى الطارئ الذي لا يكون في ابتداء البعثة هذا الطارئ بعد النبوة لا يمتنع على الأنبياء.

(٥) سورة يوسف، آية (٩٣).

(٦) رياض الصالحين، النووي، كتاب أدب الطعام (ص/ ٢٩٦).

(٧) سنن الترمذي، الترمذي، أبواب الأشربة عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في الرخصة في ذلك، (١٨٩٢).

مَشْرُوعِيَّةُ التَّوَسُّلِ بِالأَنْبِيَاءِ وَالأَوْلِيَاءِ وَأَنَّهُ لَيْسَ شِرْكًا:

اعْلَم أَنَّهُ لَا دَلِيلَ حَقِيقِيّ عَلَى عَدَمِ جَوَازِ التَّوَسُّلِ بِالأَنبِيَاءِ وَالأَولِيَاءِ فِي حَالِ الغَيبَةِ، أَو بَعدَ وَفَاتِهِم بِدَعوَى عِبَادَةٍ لِغَيرِ اللهِ.

لأَنَّهُ لَيسَ عِبَادَةً لِغَيرِ اللهِ:

أ- مُجَرَّد النِّدَاءِ لِحَيٍّ أَو مَيِّتٍ.

ب- وَلَا مُجَرَّد الاستِعَانَةِ بِغَيرِ اللهِ.

د- وَلَا مُجَرَّد قَصدِ قَبرِ وَلِيٍّ لِلتَّبَرُّكِ.

هـ وَلَا مُجَرَّد طَلَبِ مَا لَم تَجرِ بِهِ العَادَةَ بَينَ النَّاسِ.

و- وَلَا مُجَرَّد صِيغَةِ الاستِعَانَةِ بِغَيرِ اللهِ تَعَالَى.

أَي لَيسَ ذَلِكَ شِركًا، لأَنَّهُ لَا يَنطَبِقُ عَلَيهِ تَعرِيفُ العِبَادَةِ فِي اللُّغَةِ العَرَبِيَّةِ، لأَنَّ العِبَادَةَ لُغَةً الطَّاعَة مَعَ الخُضُوعِ وَهَذِهِ أَقوَالُ كِبَارِ اللُّغَوِيِّينَ مُستَفِيضَة بَيَانَ ذَلِكَ:

١- فَقَد قَالَ الأَزهَرِيُّ الَّذِي هُوَ أَحَدُ كِبَارِ اللُّغَوِيِّينَ فِي كِتَابِ تَهذِيبِ اللُّغَةِ[١] نَقلًا عَنِ الزَّجَّاجِ[٢] الَّذِي هُوَ مِن أَشهَرِهِم: «العِبَادَةُ فِي لُغَةِ العَرَبِ الطَّاعَةُ مَعَ الخُضُوعِ».

٢- وَقَالَ مِثلهُ الفَرَّاءُ، كَمَا فِي لِسَانِ العَرَبِ لابنِ مَنظُورٍ[٣].

---

(١) تهذيب اللغة، الأزهري، (٢/ ٢٣٤).

(٢) معاني القرءان وإعرابه، الزجاج، (١/ ٤٨).

(٣) لسان العرب، ابن منظور، (٣/ ٢٧١).

٣- وَقَالَ بَعضُهُم: «أَقصَى غَايَةُ الخُشُوعِ وَالخُضُوعِ»[١].

٤- وَقَالَ بَعضٌ: «نِهَايَةُ التَّذَلُّلِ»، كَمَا بَيَّنَ شَارِحُ القَامُوسِ مُرتَضَى الزَّبِيدِيّ خَاتِمَة اللُّغَوِيِّينَ[٢]، وَهَذَا الَّذِي يَستَقِيمُ لُغَةً وَعُرفًا، وَلَيسَ مُجَرَّدَ التَّذَلُّلِ عِبَادَةً لِغَيرِ اللهِ، وَإِلَّا لَكَفَرَ كُلّ مَن يَتَذَلَّلُ لِلمُلُوكِ وَالعُظَمَاءِ، وَإِلَيكَ الدَّلِيلَ السَّاطِعَ كَشَمسِ رَابعَةِ النَّهَارِ:

ثَبَتَ أَنَّ مُعَاذَ بن جَبَلٍ رضي الله عنه لَمَّا قَدِمَ مِنَ الشَّامِ سَجَدَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ الرَّسُولُ ﷺ: «**مَا هَذَا؟**» فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنِّي رَأَيتُ أَهلَ الشَّامِ يَسجُدُونَ لِبَطَارِقَتِهِم وَأَسَاقِفَتِهِم، وَأَنتَ أَولَى بِذَلِكَ، فَقَالَ: «**لَا تَفْعَل، لَوْ كُنْتُ ءَامِرًا أَحَدًا أَنْ يَسْجُدَ لِأَحَدٍ لَأَمَرْتُ المَرْأَةَ أَنْ تَسْجُدَ لِزَوْجِهَا**»[٣]، وَلَم يَقُل لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ كَفَرتَ، وَلَا قَالَ لَهُ أَشرَكتَ، مَعَ أَنَّ سُجُودَهُ لِلنَّبِيِّ ﷺ مَظهَرٌ كَبِيرٌ مِن مَظَاهِرِ التَّذَلُّلِ.

إِزَالَةُ عِدَّةِ شُبُهَاتٍ لِمَانِعِي التَّوَسُّلِ بِالأَنبِيَاءِ وَالأَولِيَاءِ

مِنَ الأَدِلَّةِ عَلَى جَوَازِ الاستِعَانَةِ بِغَيرِ اللهِ:

أَخرَجَ الحَافِظُ ابنُ حَجَرٍ فِي الأَمَالِي عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**إِنَّ للهِ مَلَائِكَةً سِوَى الحَفَظَة يَكْتُبُونَ مَا يَسْقُطُ مِنْ وَرَقِ الشَّجَرِ فَإِذَا أَصَابَ أَحَدُكُمْ عَرْجَةٌ فِي فَلَاةٍ فَلْيُنَادِ يَا عِبَادَ اللهِ أَعِينُوا**»[٤].

---

(١) تفسير النسفي المسمى بمدارك التنزيل وحقائق التأويل، النسفي، (١/٧).
(٢) تاج العروس من جواهر القاموس، الزبيدي، (٨/ ٣٣٠-٣٣١).
(٣) صحيح ابن حبان، ابن حبان، كتاب النكاح، باب معاشرة الزوجين، (٩/ ٤٩٧).
(٤) كشف الأستار في زوائد البزار، الهيثمي، (٤/ ٣٤).

اللهُ تَعَالَى يُسْمِعُ هَؤُلَاءِ المَلَائِكَة الَّذِينَ وُكِّلُوا بِأَن يَكتُبُوا مَا يَسقُطُ مِن وَرَقِ الشَّجَرِ فِي البَرِّيَّةِ نِدَاءَ هَذَا الشَّخص وَلَو كَانَ عَلَى مَسَافَةٍ بَعِيدَةٍ مِنهُم.

فَالمَلِكُ الحَيّ الحَاضِر إذَا استُغِيثَ بِهِ: يَا مَلِكَنا ظَلَمَنِي فُلَان، أَنقِذنِي، يَا مَلِكَنَا: أَصَابَنِي مَجَاعَة، فَأَنقِذنِي، هَذَا المَلِكُ لَا يُغِيثُ إِلَّا بِإِذنِ اللهِ. كَذَلِكَ هَؤُلَاءِ المَلَائِكَة لَا يُغِيثُونَ إِلَّا بِإِذنِ اللهِ. فَإِذًا هَؤُلَاءِ سَبَب، وَكِلَا الأَمرَينِ جَائِزٌ. وَقِصَّةُ وَا مُعْتَصِمَاه مَشهُورَةٌ مَعرُوفَة.

وَهَذَا الحَدِيثُ فِيهِ دِلَالَةٌ وَاضِحَةٌ عَلَى جَوَازِ الاستِغَاثَةِ بِغَيرِ اللهِ، لأَنَّ فِيهِ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ عَلَّمَنَا أن نَقُولَ إِذَا أَصَابَ أَحَدُنا مُشكِلَةً فِي فَلَاةٍ مِنَ الأَرضِ أي بَرِّيَّة: «يَا عِبَادَ اللهِ أَعِينُوا»، فَإِنَّ هَذَا يَنفَعُهُ. وَهَذَا الحَدِيثُ حَسَّنَهُ الحَافِظُ ابنُ حَجَرٍ.

أَمَّا المُعَانِدُ فَيَقُولُ: قَولُ أَغِثْنِي يَا رَسُولَ اللهِ شِركٌ إِن كَانَ فِي غِيَابِهِ أَو بَعدَ وَفَاتِهِ، فَعِندَهُ لَا يَجُوزُ التَّوَسُّل إِلَّا بِالحَيِّ الحَاضِر. يَقُولُ إِمَامُ التَّكفِيرِيِّن وَأَتبَاعِهِ: تَستَغِيثُ بِغَيرِ اللهِ تَعَالَى؟ اللهُ تَعَالَى لَا يَحتَاجُ إِلَى وَاسِطَة.

كَذَلِكَ المَلِكُ، اللهُ تَعَالَى لَا يَحتَاجُ إِلَيهِ لِيُغِيثَكَ، وَكَذَلِكَ المَلَائِكَةُ، اللهُ لَا يَحتَاجُ إِلَيهِم لِيُغِيثُوكَ. فَمَا أَبعَدَ نُفَاةَ التَّوَسُّلِ عَنِ الحَقِّ، حَيثُ إِنَّهُم وَضَعُوا شُرُوطًا لِصِحَّةِ الاستِغَاثَةِ وَالاستِعَانَةِ بِغَيرِ اللهِ لَيسَت فِي كِتَابِ اللهِ وَلَا فِي سُنَّةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَكُلُّ شَرطٍ لَيسَ فِي كِتَابِ اللهِ فَهُوَ بَاطِلٌ وَإِن كَانَ مِائَةَ شَرطٍ. هَذَا وَالعَجَبُ مِن ابنِ تَيمِيَةَ، إِذ ثَبَتَ عَنهُ أَمرَانِ مُتَنَاقِضَانِ:

قَولُهُ المَشهُور عَنهُ المَذكُور فِي أَكثَرِ كُتُبِهِ تَحرِيمُ الاستِعَانَةِ بِغَيرِ الحَيِّ الحَاضِرِ.

لَكِنَّهُ صَرَّحَ فِي كِتَابِهِ الكَلِمُ الطَّيِّب بِاستِحسَانِ أن يَقُولَ مَن أَصَابَهُ خَدَرٌ فِي رِجلِهِ «يَا مُحَمَّد»[1]. وَهَذَا الكِتَابُ - الكَلِمُ الطَّيِّب - ثَابِتٌ أَنَّهُ مِن تَأَلِيفِهِ، فَمَا أَثبَتَهُ فِي هَذَا الكِتَابِ هُوَ مُوَافِقٌ لِعَمَلِ المُسلِمِينَ السَّلَف وَالخَلَف. وَأَمَّا مُشَبِّهَةُ العَصرِ - الَّذِينَ هُم أَتبَاعُ إِمَامِ الفِرقَةِ الضَّالَّةِ - مُجمِعُونَ عَلَى أَنَّ قَولَ يَا مُحَمَّد شِركٌ وَكُفْرٌ.

وَهَذَا الكِتَابُ الَّذِي عَقَدَ فِيهِ الحَرَّانِيُّ فَصلًا لاستِحبَابِ أَن يَقُولَ مَن

(١) وقد ثبت أن أصحاب رسول الله ﷺ الذين قاتلوا مسيلمة الكذّاب. كان شعارهم في الحرب: «يا محمداه». **تاريخ الطبري**، الطبري، (٢/ ٢٨١). **الكامل في التاريخ**، ابن الأثير، (٢/ ٣٦٤). **البداية والنهاية**، ابن كثير، (٦/ ٢٤٣) بل قال ابن كثير بعد أن أورده: «وهذا باسناد جيد»، أي صحيح وذكر ذلك غيره، وفي تاريخ الطبري (٣/ ٣٣٦) ما نصه: «قال أبو محمد محنف حدثني أبو زهير العبسي عن مرة بن قيس التميمي قال: نظرت إلى تلك النسوة، ولما مرت بحسين وأهله وولده صحن ولطمن وجوههن، إلى أن قال: فما نسيت من الأشياء لا أنسى قول زينب ابنة فاطمة حين مرت بأخيها الحسين صريعا وهي تقول: يا محمداه يا محمداه صلى عليك ملائكة السماء، هذا الحسين بالعراء مرمّل بالدماء مقطع الأعضاء، يا محمداه وبناتك سبايا وذريتك مقتّلة، تسفي عليها الصّبا، قال: فأبكت والله كل عدو وصديق».

وفي (ص٦٨٤) منه ما نصه: «وذكر ضمرة بن ربيعة عن أبي شوذب أن عمال الحجاج كتبوا اليه: ان الخراج قد انكسر وان أهل الذمة قد أسلموا ولحقوا بالأمصار فكتب إلى البصرة وغيرها أن من كان له أصل في قرية فليخرج، فخرج الناس فعسروا فجعلوا يبكون وينادون: «يا محمداه يا محمداه» وجعلوا لا يدرون أين يذهبون، فجعل قراء أهل البصرة يخرجون اليهم متقنعين، فيبكون لما يسمعون منهم ويرون».

أَصَابَهُ الخَدرُ يَا مُحَمَّد ثَابِتٌ عَنهُ، وَتُوجَدُ مِنهُ نُسَخٌ خَطِيَّة وَنُسَخٌ مَطبُوعَة. وَقَدِ اعتَرَفَ بِصِحَّةِ نِسبَةِ هَذَا الكِتَاب لابنِ تَيمِيَةَ نَاصِرُ الدِّينِ الأَلبَانِيّ، وهَذَا مَذكُورٌ فِي مُقَدِّمَةِ النُّسخَةِ الَّتِي طَبَعَهَا اللّبنَانِيّ تِلمِيذ الأَلبَانِي زُهَير الشَّاوِيش[1].

فَوَقَعُوا فِي حَيْرَةٍ لمَّا أوردَ عَلَيهِم هَذَا السُّؤَال: «هَذَا ابنُ تَيمِيَةَ قَالَ فِي كِتَابِهِ هَذَا فَصلٌ فِي الرَّجلِ إِذَا خَدِرَت، وَأَورَدَ أَنَّ عَبدَ اللهِ بن عُمَرَ خَدِرَت رِجلُهُ، فَقِيلَ لَهُ أُذكُر أَحبَّ النَّاسِ إِلَيكَ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّد، فَاستَقَامَت رِجلُهُ كَأَنَّهُ نَشِطَ مِن عِقَال».

قِيلَ لَهُم: هَذَا استِحبَابُ الكُفرِ وَالشِّركِ عِندَكُم، وَقَائِلُ هَذَا زَعِيمُكُم الَّذِي أَخَذتُم عَنهُ أَكثَرَ عَقَائِدكُم، فَمَاذَا تَقُولُونَ: كَفرَ لِهَذَا أَم لَم يَكفُر؟

فَإِن قُلتُم: كُفرٌ هَذَا، وَأَنتُم تُسَمُّونَهُ شَيخَ الإِسلَامِ، فَهَذَا تَنَاقُضٌ، تُكَفِّرُونَهُ وَتُسَمُّونَهُ شَيخَ الإِسلَام؟.

وَإِن قُلتُم: لَم يَكفُر، فَقَد نَقَضتُم عَقِيدَتَكُم، وَتَكُونُونَ قَد قُلتُم: قَولُ يَا رَسُولَ اللهِ استِغَاثَة جَائِزَة بِهِ بَعدَ وَفَاتِهِ. وَيَكُونُ مُؤَدَّى ذَلِكَ رُجُوعَكُم عَن قَولِكُم بِتَكفِيرِ المُسلِمِ المُتَوَسِّلِ بِنَبِيِّهِ وَالصَّالِحِين وَاعتِرَافَكُم بِأَنَّ تَكفِيرَكُم لَهُ كَانَ بِلَا مسوغ، فَعَلى مُقتَضَى حُكمِ الشَّرعِ المَأخُوذِ مِنَ الحَدِيثِ يَكُونُ قَولُكُم عَنِ المُسلِمِ يَا كَافِر قَد رَجَعَ عَلَيكُم.

وَإِن لَم تُكَفِّرُوا التَّيمِيّ جِهَارًا، فَإِنَّكُم مُعتَقِدُونَ أَن قَولَهُ هَذَا شِرك،

(١) قال الألباني في تحقيقه على الكلم الطيب: «وقد ءاثرنا إثباته لموافقته لبعض الأصول المخطوطة التي وقفنا عليها»، الكلم الطيب (ص/ ١٢٠) المسمى بالمكتبة الإسلامية/ بيروت. تحقيق محمد ناصر الألباني. (ح ٢٣٥-٢٣٦).

فَلِمَاذَا لَا تَتَبَرَّؤُونَ مِنهُ إن كُنتُم عَلَى مَا كُنتُم عَلَيهِ؟

وَالآن قَد وَضُح لَكُم الأمر، لَكِنَّكُم لَا تَزَالُونَ تُخَالِفُونَهُ فِيمَا وَافَقَ فِيهِ الحَقّ، وَتَتَّبِعُونَهُ فِيمَا ضَلَّ وَزَاغَ فِيهِ.

وَهَل لَكُم مُستَنَد لِتَحرِيمِ التَّوَسُّلِ بِغَيرِ الحَيِّ الحَاضِرِ سِوَى مَا أَخَذتُم مِن كُتُبِهِ، وَزَعَمتُم أَنَّ ذَلِكَ حُجَّة؟ وَهُوَ أَمرٌ انفَرَدَ بِهِ إِمَامُ الفِرقَةِ الضَّالَّةِ الحَرَّانِي مِن بَينِ النَّاسِ، وَلَم يَسبِقهُ أَحَدٌ فِي تَحرِيمِ التَّوَسُّلِ بِالنَّبِيِّ ﷺ وَالوَلِيِّ بَعدَ الوَفَاةِ أَو فِي غَيرِ حَضرَتِهِ فِي الحَيَاةِ، وَظَهَرَ وَثَبَتَ أَنَّكُم لَسْتُم مَعَ السَّلَفِ وَلَا مَعَ الخَلَفِ.

إِنَّ السَّلَفَ تَشْهَدُ كُتُبُهُم بِأَنَّهُم كَانُوا يَتَبَرَّكُونَ بِالأَنبِيَاءِ وَالأَولِيَاءِ، وَبِالتَّوَسُّلِ بِهِم، وَبِزِيَارَةِ قُبُورِهِم، فَهُم الَّذِينَ ذَكَرُوا فِي مُؤَلَّفَاتِهِم هَذَا الأَثَرَ مِن قَولِ عَبدِ اللهِ بنِ عُمَرَ لَمَّا خَدِرَت رِجلُهُ: يَا مُحَمَّد. فَقَد كَانَ مُقَرَّرًا عِندَ أَكَابِرِهم كَإِبرَاهِيمَ الحَربِيِّ صَاحِب أَحمَدَ بنِ حَنبَل، إذ ذَكَرَهُ فِي كِتَابِهِ غَرِيبِ الحَدِيثِ[1]. وَالبُخَارِيّ كَذَلِكَ فِي كِتَابِهِ الأَدَب المُفرَد، وَهَذَا الأَثَرُ لَهُ أَكثَر مِن إِسنَادَينِ أَحَدُهُمَا فِيهِ رَاوٍ ضَعِيف. وَلَو فُرِضَ أَنَّهُ لَيسَ لَهُ إِسنَادٌ صَحِيحٌ، لَكِن هَؤُلَاءِ أَورَدُوهُ فِي كُتُبِهِم مُستَحسِنِينَ لِيَعمَلَ النَّاسُ بِهِ، فَمَاذا تَحكُمُونَ عَلَيهِم؟ هَل تَحكُمُونَ عَلَيهِم بِالشِّركِ وَالكُفرِ لأَنَّهُم تَرَكُوا لِلنَّاسِ مَا فِيهِ شِركٌ فِي تَآلِيفِهِم؟ وَكَذَلِكَ عُلَمَاءُ الخَلَفِ مِن حُفَّاظِ الحَدِيثِ[2] رَوَوا هَذَا فِي مُؤَلَّفَاتِهِم، فَأَنتُم تَكُونُونَ قَد كَفَّرْتُم

---

(١) غريب الحديث، الحربي، (٢/ ٦٧٤).

(٢) وممن روى هذا الحديث: الحافظ النووي في الأذكار (ص/ ٢٧١)، وابن الجزري في الحصن الحصين وفي عدة الحصن الحصين، وابن السني في عمل اليوم والليلة (ص/ ٦٤-٦٥)، والمنذري في الترغيب والترهيب، والمزي في تهذيب الكمال (١٧/ ١٤٣)،=

السَّلَفَ وَالخَلَفَ، فَمَن المُسلِم عَلَى زَعمِكُم إن كَانَ السَّلَفُ وَالخَلَفُ كُفَّارًا عَلَى مُوجِب كَلَامِكُم؟ بَلْ نَقُولُ لَكُم السَّلَفُ وَالخَلَفُ أَصحَابِ العَقِيدَةِ الحَقَّةِ هُمُ المُسلِمُونَ وَأَنتُم المُبتَدِعَة الضُّلَّال وَهَذَا وَاضِحٌ وُضُوحَ الشَّمسِ فِي رَابِعَةِ النَّهَارِ.

وَهَذَا الإِمَامُ أَحمَدُ بنُ حَنبَل الَّذِي تَعْتَزُّونَ بِهِ أَجَازَ تَقبِيلَ قَبرِ النَّبِيِّ ﷺ وَمَسِّهِ للتَّبَرُّكِ[1]. نَعَم: من الوافر.

وَمَن يَكُ ذَا فَمٍ مُرٍّ مَرِيضٍ يَجِدْ مُرًّا بِهِ المَاءَ الزُّلَالَا

التَّوَسُّلُ نَوْعٌ مِنْ أَنْوَاعِ التَّبَرُّكِ

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**حَيَاتِي خَيرٌ لَكُمْ وَمَمَاتِي خَيْرٌ لَكُمْ تُحْدِثُونَ وَيُحْدَثُ لَكُمْ، وَوَفَاتِي خَيرٌ لَكُمْ تُعْرَضُ عَلَيَّ أَعْمَالُكُمْ فَمَا رَأَيْتُ مِنْ خَيْرٍ حَمِدْتُ اللهَ عَلَيْهِ، وَمَا رَأَيْتُ مِنْ شَرٍّ اسْتَغْفَرْتُ لَكُم**»[2] رَوَاهُ البَزَّارُ، وَرِجالُهُ رِجَال الصَّحِيحِ. وَإِنَّنَا نَقُولُ الآتِي:

أ- هَذَا الحَدِيثُ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ يَنفَعُ بَعدَ مَوتِهِ خِلَافًا لِنُفَاةِ التَّوَسُّلِ القَائِلِينَ إِنَّهُ لَا أَحَدَ يَنفَعُ بَعدَ مَوتِهِ، فَإِنَّهُ عَلَيهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لَمَّا قَالَ: «**وَمَمَاتِي خَيْرٌ لَكُم**» مَرَّتَينِ أَفهَمَنَا أَنَّهُ يَنفَعُنَا بَعدَ مَوتِهِ أَيضًا بِإِذنِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ.

وَأَمَّا قَولُهُ عَلَيهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**تُحْدِثُونَ وَيُحْدَثُ لَكُم**» فَمَعنَاهُ،

= بل تمدح بروايته عاليا، وابن الجعد في مسنده (ص/٣٦٩)، والشوكاني في تحفة الذاكرين (ص/٣١٢)، وغيرهم كثير.

(١) **العلل ومعرفة الرجال، أحمد بن حنبل، (٢/ ٤٩٢).**

(٢) **كشف الأستار، الهيثمي، (١/ ٣٩٧). الخصائص الكبرى، السيوطي، (٢/ ٢٨١).**

يَحصُلُ مِنكُم أُمُورٌ، ثُمَّ يَأتِي الحُكمُ بِطَرِيقِ الوَحيِ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ.

ثُمَّ يُؤَكِّدُ النَّبِيُّ ﷺ نَفعَهُ لِأُمَّتِهِ بَعدَ وَفَاتِهِ بِقَولِهِ: «**وَوَفَاتِي خَيْرٌ لَكُمْ تُعْرَضُ عَلَيَّ أَعْمَالُكُمْ فَمَا رَأَيْتُ مِنْ خَيْرٍ حَمِدْتُ اللهَ عَلَيْهِ، وَمَا رَأَيْتُ مِنْ شَرٍّ اسْتَغْفَرْتُ لَكُم**».

ب- **وَيُؤَيِّدُ** ذَلِكَ نَفعُ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ لِأُمَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ لَيلَةَ المِعرَاجِ، لمَّا سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ: «مَاذَا فَرَضَ اللهُ عَلَى أُمَّتِكَ؟»، فَقَالَ لَهُ: «**خَمْسِينَ صَلَاةً**»، قَالَ: «ارْجِع وَسَل التَّخفِيفَ، فَإِنِّي جَرَّبتُ بَنِي إِسرَائِيلَ، فُرِضَ عَلَيهِم صَلَاتَانِ فَلَم يَقُومُوا بِهِمَا»، فَرَجَعَ فَطَلَبَ التَّخفِيفَ مَرَّةً بَعدَ مرَّةٍ، وَفِي كُلِّ مَرَّةٍ كَانَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ يَقُولُ لَهُ: «ارْجِع فَسَل التَّخفِيفَ»، إِلَى أَن صَارَت خَمسَ صَلَوَاتٍ بِأَجرِ خَمسِينَ.

فَهَل يَشُكُّ عَاقِلٌ بِنَفعِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ لِهَذِهِ الأُمَّةِ هَذَا النَّفعَ العَظِيم، وَهُوَ الَّذِي قَد تُوفِّيَ قَبلَ لَيلَةِ المِعرَاجِ بِأَكثَرَ مِن أَلفِ سَنَةٍ؟! فَهَذَا عَمَلٌ بَعدَ المَوتِ انتَفَعَت بِهِ الأُمَّة المُحَمَّدِيَّة كُلّهَا بِلَا شَكٍّ وَلَا مُوَارَبَةٍ.

ج- وَيَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ أَيضًا مَا رَوَاهُ مُسلِمٌ فِي حَدِيثِ المِعرَاجِ، أَنَّ كُلًّا مِنَ الأَنبِيَاءِ الَّذِينَ لَقِيَهُم فِي السَّمَاءِ دَعَا للرَّسُولِ ﷺ بِخَيرٍ وَهُم ثَمَانِيَة: ءَادَم فِي الأُولَى، وَعِيسَى وَيَحيَى فِي الثَّانِيَةِ، وَيُوسُفَ فِي الثَّالِثَةِ، وَإِدرِيسَ فِي الرَّابِعَةِ، وَهَارُونَ فِي الخَامِسَةِ، وَمُوسَى فِي السَّادِسَةِ، وَإِبرَاهِيمَ فِي السَّابِعَةِ، وَكُلّ ذَلِكَ نَفعٌ بَعدَ المَوتِ.

فَبَطَلَ تَعَلُّق نُفَاةِ التَّوَسُّلِ بِالاستِدلَالِ بِحَدِيثِ البُخَارِيِّ: «**إِذَا مَاتَ ابْنُ ءَادَمَ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلَّا مِن ثَلَاث**»[١] فَإِنَّهُ بِزَعمِهِم يُمْنَعُ الانتِفَاعُ بِزِيَارَةِ قُبُورِ

---

(١) الأدب المفرد، البخاري، باب بر الوالدين بعد وفاتهما، (ص/٣٣). **صحيح مسلم**،=

الأَنبِيَاءِ وَالأَولِيَاءِ وَالتَّوَسُّل بِهِم.

يُقَالُ لَهُم: المُرَادُ بِقَولِهِ عليه السلام: «**انْقَطَعَ عَمَلُهُ**» أي العَمَل التَّكلِيفِيّ، وَلَيسَ فِيهِ تَعَرُّضٌ لِمَا سِوَى ذَلِكَ مِن نَحوِ نَفع التَّوَسُّلِ بِهِم، بَل فِيهِ مَا يَدُلُّ عَلَى خِلَافِ دَعوَاهُم، حَيثُ إنَّ فِيهِ أَنَّ دَعوَةَ الوَلَدِ الصَّالِحِ تَنفَعُ أَبَاهُ، وَلَيسَ مُرَادُ الرَّسُولِ ﷺ بِذَلِكَ أَنَّهُ لَا يَنفَعُ المَيِّتَ دُعَاءُ غَيرَ وَلَدِهِ الصَّالِح، وَإِلَّا فَمَا مَعنَى صَلَاةِ الجِنَازَةِ؟؟ وَمَا مَعنَى الدَّفنِ بِالبَقِيعِ؟؟

*** فَلَا التِفَاتَ بَعدَ هَذَا إِلَى:**

أ- **دَعوَى** بَعضِ هَؤُلَاءِ المُشوِّشِينَ أَنَّ الحَدِيثَ المَذكُورَ - أَي حَدِيثَ الأَعمَى - فِي إِسنَادِهِ أَبُو جَعفَرٍ وَهُوَ رَجُلٌ مَجهُولٌ وَلَيس كَمَا زَعَمُوا، بَل أَبُو جَعفَرٍ هَذَا هُوَ أَبُو جَعفَرٍ الخَطْمِيُّ، وَهُوَ ثِقَةٌ. نَعَم، فَهُوَ مَجهُولٌ لِجَاهِلٍ بِعِلمِ الرِّجَالِ لَا لِحَافِظٍ ثَبتٍ.

ب- **وَدَعوَى** بَعضِهِم أَنَّ مُرادَ الطَّبَرَانِيّ فِي حَدِيثِ الأَعمَى المَعرُوفِ بِقَولِهِ: «وَالحَدِيثُ صَحِيحٌ» القَدرُ الأَصلِيُّ، وَهُوَ مَا فَعَلَهُ الرَّجُلُ الأَعمَى فِي حَيَاةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَط، وَلَيس مُرَادُهُ مَا فَعَلَهُ الرَّجُلُ أَيَّامَ عُثمَانَ بنِ عَفَّان بَعدَ وَفَاةِ النَّبِيِّ ﷺ.

وَهَذَا مَردُودٌ، لأَنَّ عُلَمَاءَ المُصطَلَحِ قَالُوا: الحَدِيثُ يُطلَقُ عَلَى المَرفُوعِ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ وَالمَوقُوفِ عَلَى الصَّحَابَةِ، أَي أَنَّ كَلَامَ الرَّسُولِ ﷺ يُسَمَّى حَدِيثًا وَقَولَ الصَّحَابِيِّ يُسَمَّى حَدِيثًا، وَلَيس لَفظُ الحَدِيثِ مَقصُورًا عَلَى كَلَام النَّبِيِّ ﷺ فَقَط فِي اصطِلَاحِهِم.

= مسلم، كتاب الوصية، باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته، (١٦٣١).

وَقَد نَصَّ عَلَى ذَلِكَ غَير وَاحِدٍ مِن عُلَمَاءِ الحَدِيثِ، مِنهُمُ الحَافِظ ابنُ حَجَرٍ العَسقَلَانِيُّ، كَمَا نَقَلَ عَنهُ السُّيُوطِيّ فِي تَدرِيبِ الرَّاوِي، وَابنُ الصَّلَاحِ فِي مُقَدّمَتِهِ فِي عُلُومِ الحَدِيثِ. وَاعلَم أَنَّ كَلَامَ نُفَاةِ التَّوَسُّلِ لَا يُوَافِقُ المُقَرَّرَ فِي عِلمِ المُصطَلَحِ، فَليَنظُر مَن شَاءَ فِي كِتَابِ تَدرِيبِ الرَّاوِي، وَالإِفصَاحِ، وَغَيرِهِمَا مِن كُتُبِ المُصطَلَحِ.

ج- **استِدلَالُهم** بِمَا وَرَدَ فِي حَدِيثِ ابنِ عَبَّاسٍ - الَّذِي رَوَاهُ التِّرمِذِيُّ - أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لَهُ: «**إِذَا سَأَلتَ فَاسْأَلِ اللهَ وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللهِ**»[1] عَلَى مَنعِ التَّوَسُّلِ بِالأَنبِيَاءِ وَالأَولِيَاءِ. وَتِلكَ شُبْهَةٌ بَاطِلَةٌ.

لأَنَّ الحَدِيثَ مَعنَاهُ: أَنَّ الأَولَى بِأَن يُسأَلَ وَيُستَعَانَ بِهِ اللهُ تَعَالَى، وَلَيسَ مَعنَاهُ لَا تَسْأَلْ غَيرَ اللهِ وَلَا تَستَعِنْ بِغَيرِ اللهِ. نَظِيرُ ذَلِكَ قَولُهُ ﷺ: «**لَا تُصَاحِب إِلَّا مُؤْمِنًا وَلَا يَأْكُلْ طَعَامَكَ إِلَّا تَقِيٌّ**» فَكَمَا لَا يُفهَمُ مِنْ هَذَا الحَدِيثِ عَدَمُ جَوَازِ صُحبَةِ غَيرِ المُؤمِنِ وَإِطعَامِ غَيرِ التَّقِيّ، وَإِنَّمَا يُفهَمُ مِنهُ أَنَّ الأَولَى فِي الصُّحبَةِ المُؤمِنُ وَأَنَّ الأَولَى بِالإِطعَامِ هُوَ التَّقِيُّ، كَذَلِكَ حَدِيثُ ابنِ عَبَّاسٍ لَا يُفهَمُ مِنهُ إِلَّا الأَولَوِيَّة، وَأَمَّا التَّحرِيمُ الَّذِي يَدَّعُونَهُ فَلَيسَ فِي الحَدِيثِ، وَلَا فِي غَيرِهِ.

وَلأَنَّ المُتَوَسِّلَ القَائِلَ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسأَلُكَ بِنَبِيِّكَ، أَو بِأَبِي بَكرٍ، أَو بِأُوَيْس القَرَنِي»، أَو نَحوِ ذَلِكَ فَقَد سَأَلَ اللهَ، وَلَم يَسأَل غَيرَهُ، فَأَينَ الحَدِيث وَأَينَ دَعْوَاهُم.

ثُمَّ إِنَّ الحَدِيثَ لَيسَ فِيهِ أَدَاةُ نَهي، لَم يَقُلِ الرَّسُولُ ﷺ لابنِ عَبَّاس:

---

(١) جامع الترمذي، الترمذي، كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، (٢٥١٦).

لَا تَسأَل غَيرَ اللهِ، وَلَا تَستَعِن بِغَيرِ اللهِ، وَلَو وَرَدَ بِلَفظِ النَّهيِ فَلَيسَ كُلُّ أَدَاةِ نَهيٍ لِلتَّحرِيمِ، كَحَدِيثِ التِّرمِذِيِّ وَابنِ حِبَّانَ: **«لَا تُصَاحِبْ إِلَّا مُؤْمِنًا وَلَا يَأْكُلْ طَعَامَكَ إِلَّا تَقِيٌّ»**[1]، فَهَذَا الحَدِيثُ - مَعَ وُجُودِ أَدَاةِ النَّهيِ فِيهِ - لَيسَ دَلِيلًا عَلَى تَحرِيمِ أَن يُطعِمَ الرَّجُلُ غَيرَ التَّقِيِّ، وَإِنَّمَا المَعنَى أَنَّ الأَولَى أَن تُطعِمَ طَعَامَكَ التَّقِيَّ. فَكَيفَ تَجَرَّأَ نُفَاةُ التَّوَسُّلِ عَلَى الاستِدلَالِ بِهَذَا الحَدِيثِ لِمَنعِ التَّوَسُّلِ بِالأَنبِيَاءِ وَالأَولِيَاءِ؟! مَا أَجرَأَهُم عَلَى التَّحرِيمِ وَالتَّكفِيرِ بِغَيرِ سَبَبٍ!!

وَمَن عَرَفَ حَقِيقَتَهُم فَإِنَّهُ لَا يَجعَلُ لِكَلَامِهِم وَزنًا. وَكَيفَ يُجعَلُ لِهَذِهِ الفِرقَةِ وَزنٌ وَهُم يُكَفِّرُونَ المُؤمِنَ الَّذِي يَأتِي لِيُسَلِّمَ عَلَى الرَّسُولِ ﷺ، ثُمَّ يَدعُو اللهَ مُتَوَجِّهًا إِلَى القَبرِ الشَّرِيفِ، فَإِنَّهُم يَرَونَ هَذَا شِركًا وَلَا سِيَّما إِذَا وَضَعَ يَدَهُ عَلَى شُبَّاكِ الحُجرَةِ المُبَارَكِ، فَإِنَّهُم يَجعَلُونَ هَذَا الشِّركَ الأَكبَرَ الَّذِي يَستَوجِبُ فَاعِلُهُ الخُلُودَ فِي النَّارِ، كَمَا هُوَ مَعرُوفٌ مِن تَصَرُّفِهِم مَعَ الزَّائِرِينَ.

وَلَعَمرِي، فَمَاذا يَقُولُونَ فِيمَا ثَبَتَ عَن أَبِي أَيُّوبَ الأَنصَارِيِّ مِن أَنَّهُ جَاءَ إِلَى قَبرِ الرَّسُولِ فَوَضَعَ وَجهَهُ عَلَيهِ لِلتَّبَرُّكِ؟! وَهَذَا لَا شَكَّ عِندَهُم مِن أَكبَرِ الكُفرِ وَالشِّركِ، وَحَاشَا للهِ أَن يَكُونَ أَبُو أَيُّوب أَشرَكَ بِاللهِ لِذَلِكَ، وَلَا يَخطُرُ هَذَا بِبَالِ مُسلِمٍ، فَلَم يُنكِر عَلَيهِ أَحَدٌ مِنَ الصَّحَابَةِ وَلَا أَحَدٌ مِن أَهلِ العِلمِ مِنَ السَّلَفِ بَل وَلَا الخَلَفِ.

فَإِذَا كَانَ وَضعُ الوَجهِ عَلَى قَبرِ الرَّسُولِ ﷺ لِلتَّبَرُّكِ لَا يُعَدُّ شِركًا، فَكَيفَ وَضعُ الكَفِّ عَلَى الشَّبِيكَةِ الَّتِي هِيَ بَينَ القَبرِ وَبَينَ الزَّائِرِ؟! فَإِنَّا

(١) صحيح ابن حبان، ابن حبان، كتاب البر والإحسان، باب الصحبة والمجالسة، (٥٥٤).

للهِ وَإِنَّا إِلَيهِ رَاجِعُون.

الدَّلِيلُ عَلَى جَوَازِ التَّوَسُّلِ بِغَيْرِ الحَيِّ الحَاضِرِ

مَعنَى التَّوَسُّلِ اصطِلَاحًا: هُوَ طَلَبُ حُصُولِ مَنفَعَةٍ، أَوِ اندِفَاعِ مَضَرَّةٍ مِنَ اللهِ بِذِكرِ اسمِ نَبِيٍّ أَو وَلِيٍّ إِكرَامًا للمُتَوَسَّلِ بِهِ. وَيُستَفَادُ مِن ذَلِكَ بَيَان مَا يَأتِي:

أَنَّ اللهَ تَعَالَى جَعَلَ أُمُورَ الدُّنيَا عَلَى الأَسبَابِ وَالمُسَبَّباتِ، مَعَ أَنَّهُ قَادِرٌ عَلَى أَن يُعطِينَا الثَّوَابَ مِن غَيرِ أَن نَقُومَ بِالأَعمَالِ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ﴿٤٥﴾﴾[1]، وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱبْتَغُوٓا۟ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ وَجَٰهِدُوا۟ فِى سَبِيلِهِۦ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣٥﴾﴾[2][3]، أَي كُلّ شَيءٍ يُقَرِّبُكُم إِلَيهِ اطلُبُوه، يَعنِي هَذِهِ الأَسبَاب، أَي: اعمَلُوا الأَسبَابَ فَنُحَقِّقُ لَكُم المُسَبَّبات، نُحَقِّقُ لَكُم مَطَالِبَكُم بِهَذِهِ الأَسبَاب. وَهُوَ - سُبحَانَهُ - قَادِرٌ عَلَى تَحقِيقِهَا بِدُونِ هَذِهِ الأَسبَاب.

وَقَد جَعَلَ اللهُ سُبحَانَهُ وَتَعَالَى مِنَ الأَسبَابِ المُعِينَةِ لَنَا لِتَحقِيقِ مَطَالِبَ لَنَا، التَّوَسُّل بِالأَنبِيَاءِ وَالأَولِيَاءِ فِي حَالِ حَيَاتِهِم وَبَعدَ مَمَاتِهِم، فَنَحنُ نَسأَلُ اللهَ بِهِم رَجَاءَ تَحقِيقِ مَطَالِبِنَا، فَيَقُولُ المُسلِمُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسأَلُكَ بِجَاهِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، أَو بِحُرمَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَن تَقضِي حَاجَتِي وَتُفَرِّجَ كَربِي، أَو يَقُولَ: اللَّهُمَّ بِجَاهِ عَبدِ القَادِرِ الجِيلَانِيّ وَنَحوِ ذَلِكَ، فَإِنَّ ذَلِكَ

---

(١) سورة البقرة، آية (٤٥).

(٢) قال ابن علان: أصلها ما يتوسل به ويتقرب. دليل الفالحين، ابن علان، (٦/٥٢٨).

(٣) سورة المائدة، آية (٣٥).

جَائِزٌ، وَإِنَّمَا ابتَدَعَ تَحرِيمَهُ تِلكَ الفِرقَة الضَّالَّة، فَشَذُّوا بِذَلِكَ عَن أَهلِ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ.

فَإِذَن لَيسَ مَعنَى العِبَادَةِ مُجَرَّد نِدَاءِ حَيٍّ أَو مَيِّتٍ فِي حَالِ غَيبَتِهِ، بَل لَم يَنقُل ذَلِكَ عَن أَحَدٍ مِن عُلَمَاءِ اللُّغَةِ فِي تَفسِيرِهِم لِمَعنَى العِبَادَةِ. بَل قَالَ الإِمَامُ الفَرَّاء: «العِبَادَةُ الطَّاعَةُ مَعَ الخُضُوعِ». وَبِهَذَا فَسَّرُوا قَولَهُ تَعَالَى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾[1].

أَي نُطِيعُكَ الطَّاعَةَ الَّتِي مَعَهَا الخُضُوع، وَالخُضُوعُ مَعنَاهُ التَّذَلُّل.

الغَزَوَاتُ

غَزْوَةُ أُحُدٍ فِي سَبتِ السَّابعِ مِن شَوَّالَ سَنَةَ ثَلَاثٍ لِلهِجْرَةِ

بِسمِ اللهِ الرَّحمَنِ الرَّحِيمِ، الحَمدُ للهِ رَبِّ العَالَمِين، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى سَيِّدِ المُرسَلِين مُحَمَّدٍ ﷺ.

لَمَّا أُصِيبَت قُرَيش يَومَ بَدرٍ وَرَجعُوا مُنكَسِرِينَ إِلَى مَكَّةَ ورَجَعَ أَبُو سُفيَانَ بِعِيرِهِ، مَشَى عَبدُ اللهِ بنُ أَبِي رَبِيعَةَ، وَعِكرِمَةُ بنُ أَبِي جَهلٍ، وَصَفوَانُ بنُ أُمَيَّةَ، فِي رِجَالٍ مِن قُرَيشٍ مِمَّن أُصِيبَ ءَابَاؤُهُم وَإِخوَانُهُم يَومَ بَدرٍ، فَكَلَّمُوا أَبَا سُفيَانَ ابنِ حَربٍ وَمَن كَانَت لَهُ فِي تِلكَ العِيرِ مِن قُرَيشٍ تِجَارَة، فَقَالُوا: إِنَّ مُحَمَّدَ قَد وَتَرَكُم أي قَتَلَكُم وَقَتَلَ خِيَارَكُم فَأَعِينُونَا بِهَذَا المَالِ عَلَى حَربِهِ لَعَلَّنَا أَن نُدرِكَ مِنهُ ثَأرًا مِمَّا أَصَابَ مِنَّا، فَفَعَلُوا، فَاجتَمَعَت قُرَيش لِحَربِ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَخَرَجَت مَعَهُم بَعض

---

(١) سورة الفاتحة، آية (٥).

النِّسَاءِ فِي الهَوَادِجِ لِتَشجِيعِهِم وَنَزَلُوا بِبَطنِ الوَادِي الَّذِي قَبلَ أُحُد، وَكَانَ رِجَالٌ مِنَ المُسلِمِينَ لَم يَشهَدُوا بَدرًا نَدِمُوا عَلَى مَا فَاتَهُم مِن سَابِقَةِ بَدرٍ وَتَمَنَّوا لِقَاءَ العَدُوِّ، فَلَمَّا نَزَلَ أَبُو سُفيَانَ وَالمُشرِكُونَ بِأَصلِ أُحُدٍ فَرِحُوا بِقُدُوم العَدُوِّ عَلَيهِم وَقَالُوا: قَد سَاقَ اللهُ إِلَينَا بِأُمنِيَتِنَا، ثُمَّ إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ رَأَى لَيلَةَ الجُمُعَةِ رُؤيَا فَأَصبَحَ فَجَاءَهُ نَفَرٌ مِن أَصحَابِهِ فَأَخبَرَهُم الرُّؤيَا وَأَوَّلَها بِقَتلِ بَعضِ الصَّحَابَةِ وَرَجُلٍ مِن أَهلِ بَيتِهِ، ثُمَّ قَالَ لَهُم رَسُولُ اللهِ ﷺ: فَإِن رَأَيتُم أَن تُقِيمُوا بِالمَدِينَةِ وَتَدعُوهُم حَيثُ نَزَلُوا فَإِن أَقَامُوا بِشَرِّ مُقَام، وَإِن هُم دَخَلُوا عَلَينَا قَاتَلتُمُوهُم فِيهَا، فَقَالَ رِجَالٌ مِنَ المُسلِمِينَ: يَا رَسُولَ اللهِ اخرج بِنَا إِلَى أَعدَائِنَا، فَقَالَ عَبدُ اللهِ بنُ أُبَيّ بنِ سَلُول: أَقِم بِالمَدِينَةِ وَلَا تَخرُج إِلَيهِم، فَلَم يَزَل النَّاسُ الَّذِينَ كَانَ أَمرُهُم حُبَّ لِقَاءِ القَومِ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ حَتَّى دَخَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَلَبِسَ دِرعَهُ وَذَلِكَ يَومَ الجُمُعَةِ حِينَ فَرغَ مِنَ الصَّلَاةِ ثُمَّ خَرَجَ عَلَيهِم وَقَد نَدِمَ النَّاسُ فَقَالُوا: استَكرهنَاكَ يَا رَسُولَ اللهِ وَلَم يَكُن ذَلِكَ لَنَا فَإِن شِئتَ فَاقعُد، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«مَا يَنْبَغِي لِلنَّبِيِّ إِذَا لَبِسَ لَأْمَتَهُ أَنْ يَضَعَهَا حَتَّى يُقَاتِلَ»**[1]، فَخَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي أَلفِ رَجُلٍ مِن أَصحَابِهِ حَتَّى إِذَا كَانَ بِالشَّوطِ بَينَ المَدِينَةِ وَأُحُدٍ انخَزَلَ[2] عَنهُ عَبدُ اللهِ بنُ أُبِيّ المُنَافِق بِثُلثِ النَّاسِ وَكَانَ لِوَاءُ المُسلِمِينَ مَعَ عَلِيِّ بنِ أَبِي طَالِب، فَلَمَّا سَأَلَ الرَّسُولُ ﷺ عَن لِوَاءِ المُشرِكِين وَعَلِمَ أَنَّهُ مَعَ طَلحَةَ بنِ أَبِي طَلحَةَ أَخِي بَنِي عَبدِ الدَّارِ أَعطَى اللِّوَاءَ لِمُصعَبِ بنِ عُمَيْر أَخِي بَنِي عَبدِ الدَّارِ.

(١) السنن الكبرى، البيهقي، (٧/ ٦٥).

(٢) ضَعُفَ.

ثُمَّ خَرَجَ رَجُلٌ مِنَ المُشرِكِينَ فَدَعا إِلَى المُبارَزَةِ فَأَحجَمَ النَّاسُ حَتَّى خَرَجَ لَهُ الزُّبَير بنُ العَوَّام فقتَلَهُ ثُمَّ دَعاهُ الرَّسُول ﷺ وَقَالَ: «**إِنَّ لِكُلِّ نَبِيٍّ حَوَارِيًّا وَإِنْ حَوَارِيَّ الزُّبَيْرُ بْنُ العَوَّامِ**»[1]. وَأَمَّرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَى الرُّمَاةِ عَبدَ اللهِ بنَ جُبَير أَخَا بَنِي عَمرِو بن عَوفٍ، وَالرُّمَاةُ خَمسُونَ رَجُلًا وَجَعَلَهُم نَحوَ خَيلِ العَدُوِّ وَقَالَ لَهُم: «**أيها الرماة، احْمُوا ظُهُورَنَا فَإِنْ رَأَيْتُمُونَا نُقْتَلُ، فَلَا تَنْصُرُونَا، وَإِنْ رَأَيْتُمُونَا قَدْ غَنِمْنَا، فَلَا تَشْرَكُونَا**»[2] ثُمَّ التَقَى الجَيشَانِ جَيشَ المُسلِمِين وَجَيشَ المُشرِكِين، وَحَمَلَت خَيل المُشرِكِينَ عَلَى المُسلِمِين ثَلَاثَ مَرَّاتٍ كُلّ ذَلِكَ تُنضح بِالنّبلِ فَتَرجِع مَغلُولَة فَنَهَكُوهُم قَتلًا، فَلَمَّا أَبصَرَ الرُّمَاة الخَمسُونَ أَنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ قَد فَتحَ لِإِخوَانِهِم قَالُوا: وَاللهِ مَا نَجلِسُ هَهُنَا لِشَيءٍ قَد أَهلَكَ اللهُ العَدُوّ، وَإِخوَانُنَا فِي مُعَسكَرِ المُشرِكِين فَتَرَكُوا مَنَازِلَهُم الَّتِي عَهِدَ إِلَيهِم النَّبِيّ ﷺ أَن لَا يَترُكُوهَا إِلَّا قَلِيلٌ مِنهُم وَتَنَازَعُوا وَفَشِلُوا وَعَصَوا الرَّسُولَ، وَنَادَ مُنَادٍ أَن قُتِلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَسَقَطَ فِي أَيدِي المُسلِمِين فَقُتِلَ مِنهُم مَن قُتِلَ، وَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ قَد وَقَعَ فِي حُفرَةٍ حَفَرَهَا بَعضُ المُشرِكِينَ لِيَقَعَ فِيهَا المُسلِمُون وَكَانَ أَوَّلُ مَن عَرَفَ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَعبُ بنُ مَالِكٍ فَصَاحَ: يَا مَعشَرَ المُسلِمِين هَذَا رَسُولُ اللهِ ﷺ فَنَهَضُوا.

وَبَعدَ ذَهَابِ العَدُوّ انتَشَرَ المُسلِمُونَ يَتَّبِعُونَ قَتلَاهُم فَلَم يَجِدُوا قَتِيلًا إِلَّا قَد مَثَّلُوا بِهِ إِلَّا حَنظَلَةَ بن أَبِي عَامِرٍ كَانَ أَبُوهُ مِنَ المُشرِكِين،

---

(١) صحيح البخاري، البخاري، كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، باب مناقب الزبير بن العوام، (٣٧١٩).

(٢) مسند أحمد، أحمد، ومن مسند بني هاشم، مسند عبد الله بن عباس، (٢٦٠٩). المستدرك، الحاكم، كتاب التفسير، ومن أول سورة ءال عمران، (٤/ ١٣٤).

وَوَجَدُوا عَمَّ الرَّسُولِ ﷺ حَمزَةَ رضي الله عنه قَد قَتَلَهُ وَحشِيّ وَحَملَ كَبِدَهُ إِلَى هِند بنتِ عُتبَةَ.

وَدَفَنَ الرَّسُولُ ﷺ الشُّهَدَاء فِي أُحُدٍ ثُمَّ عَادُوا إِلَى المَدِينَةِ، وَجَمِيعُ مَنِ استُشهِدَ مِنَ المُسلِمِينَ مِن قُرَيشٍ وَالأَنصَارِ تِسعَةٌ وَأَربَعُونَ رَجُلًا، وَقِيلَ سَبْعُونَ رَجُلًا، وَقُتِلَ مِنَ المُشرِكِين يَومَ أُحُدٍ سِتَّةَ عَشَرَ رَجُلًا.

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِ فَبِإِذۡنِ ٱللَّهِ وَلِيَعۡلَمَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١٦٦﴾﴾[1] هَذِهِ الآيَةُ وَرَدَت فِيمَا أَصَابَ المُسلِمِين يَومَ أُحُدٍ مِن قِبَلِ الكُفَّارِ مِنَ الضَّرَرِ حَيثُ انهَزَمَ الَّذِينَ خَالَفُوا أَمرَ الرَّسُولِ ﷺ بِتَركِهِم لِلمَوضِعِ الَّذِي أَمَرَهُم أَن لَا يَترُكُوهُ فَإِنَّ الكُفَّارَ كَرُّوا عَلَيهِم فَحَصَلَ فِي المُسلِمِينَ قَتلٌ كَثِيرٌ وَجِرَاحَات.

قَولُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِ فَبِإِذۡنِ ٱللَّهِ وَلِيَعۡلَمَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١٦٦﴾﴾ أَي بِإِرَادَتِهِ وَمَشِيئَتِهِ فَلَا يُمكِنُ لِلمُعتَزِلَةِ الَّذِينَ خَالَفُوا أَهلَ الحَقِّ فِي هَذِهِ المَسأَلَةِ أَن يَقُولُوا: إِنَّ الإِذنَ هُنَا بِمَعنَى الأَمرِ فَلَا يَتَجَرَّؤُونَ عَلَى القَولِ بِأَنَّ مَعنَى الآيَةِ أَنَّ أَذَى المُشرِكِين لِلمُسلِمِينَ فِي تِلكَ المَعرَكَةِ بِأَمرِ اللهِ.

وَنَعُودُ إِلَى غَزوَةِ أُحُدٍ فَنَقُولُ: فِي هَذَا الأَمرِ وَهُوَ مُصَابُ بَعضِ المُسلِمِينَ فِي مَعرَكَةِ أُحُدٍ عِبرَة، فَإِنَّ بَعضَ المُسلِمِينَ بِمُخَالَفَتِهِم لأَمرِ الرَّسُولِ ﷺ ابتَلوا بِالهَزِيمَةِ عَلَى أَيدِي الكُفَّارِ فَحَصَلَ فِيهِم قَتلٌ كَثِيرٌ وَجِرَاحَات.

---

(١) سورة ءال عمران، آية (١٦٦).

فَمُخَالَفَةُ أمرِ الرَّسُولِ ﷺ يُوقِع البَلَاء، فَلْيكُن هَمّنا إرضَاء الله تَبارَك وَتَعَالَى بِالعَمَلِ بِأوَامِرِ النَّبِيّ ﷺ فَإنَّ الله تَبارَكَ وَتَعَالَى يَقُولُ: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾[1].

وَءَاخِرُ دَعوَانَا أَنَّ الحَمدَ للهِ رَبِّ العَالَمِين.

شُهَدَاءُ مَعركَةِ أُحُدٍ:

١- حَمزَةُ بنُ عَبدِ المُطَّلِبِ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَتَانِي جِبْرِيلُ عليه السلام فَأَخْبَرَنِي أَنَّ حَمْزَةَ مَكْتُوبٌ فِي أَهْلِ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ، حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ المُطَّلِبِ أَسَدُ اللهِ وَأَسَدُ رَسُولِهِ**»[2] دُفِنَ هُوَ وَابنُ أُختِهِ عَبد اللهِ بنِ جَحشٍ فِي قَبرٍ وَاحِدٍ.

٢- عَبدُ اللهِ بنُ جَحش الأَسَدِيُّ: مِنَ المُهَاجِرِينَ الأَوَّلِين، أُختُهُ زَينَبُ بِنتُ جَحش أَحَدُ أَزوَاجِ النَّبِيّ ﷺ، وَهُوَ الَّذِي انقَطَعَ سَيفُهُ يَومَ أُحُدٍ فَأَعطَاهُ النَّبِيُّ ﷺ عُرْجُونَ[3] نَخْلَةٍ فَصَارَ فِي يَدِهِ سَيفًا.

لمَّا خَرَجَ إِلَى أُحُدٍ تَمَنَّى أن يُقتَلَ فِي سَبِيلِ اللهِ وَيُجدَع أَنفُهُ وَتُقطَع أُذُنَاهُ فَيسأَلُهُ اللهُ لِمَ فُعِلَ بِكَ هَذَا؟ فَيَقُولُ فِي سَبِيلِكَ يَا رَبِّ، وَقَد حَقَّقَ اللهُ لَهُ أُمنِيَتَهُ فَاستُشهِدَ وَمُثِّلَ بِهِ فِي سَبِيلِ اللهِ.

٣- مُصْعَبُ بنُ عُمَير العَبدَرِيُّ: مُصعَبُ بنُ عُمَير بنِ هَاشِم بنِ عَبدِ مَنَاف بنِ عَبدِ الدَّارِ بنِ قُصَي بنِ كِلَابِ بنِ مُرَّةَ القُرَشِيُّ العَبدَرِيُّ.

---

(١) سورة النساء، آية (٨٠).

(٢) المستدرك، الحاكم، كتاب معرفة الصحابة، ذكر إسلام حمزة بن عبد المطلب، (٥/ ٤٤٥).

(٣) جمعه عرجون وهو العود الأصفر الذي فيه شماريخ العِذق.

كَانَ مِن فُضَلَاءِ الصَّحَابَةِ وَخِيَارِهِم وَمِنَ السَّابِقِينَ فِي الإِسلَامِ، أعلَنَ إِسلَامَهُ وَسَيِّدُنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي دَارِ الأَرقَمِ.

وَعَن عُروَةَ بنِ الزُّبَيرِ قَالَ: بَينَا أَنَا جَالِسٌ يَومًا مَعَ عُمَرَ بنِ عَبدِ العَزِيزِ وَهُوَ يَبنِي المَسجِدَ إِذ قَالَ: أَقبَلَ مُصعَبُ بنُ عُمَيرٍ ذَاتَ يَومٍ وَالنَّبِيُّ ﷺ جَالِسٌ فِي أَصحَابِهِ عَلَيهِ قِطعَةُ نَمِرَةٍ[1] قَد وَصَلَهَا بِقِطعَةِ جِلدٍ، فَلَمَّا رَءَاهُ أَصحَاب النَّبِيِّ ﷺ انكَسُوا رُؤُوسَهم رَحمَةً لَهُ لِمَا رَأَوهُ مِن حَالِهِ بَعدَ أَن كَانَ يَلبَسُ فَاخِرَ الثِّيَابِ فَسَلَّمَ فَرَدَّ عَلَيهِ النَّبِيُّ ﷺ وَأَحسَنَ عَلَيهِ الثَّنَاءَ وَقَالَ: «**لَقَدْ رَأَيْتُ هَذَا ـ يَعنِي مُصعَبًا ـ وَمَا بِمَكَّةَ فَتًى مِن قُرَيشٍ أَنْعَمَ عِنْدَ أَبَوَيْهِ نَعِيمًا مِنْهُ، ثُمَّ أَخرَجَهُ مِنْ ذَلِكَ الرَّغْبَةُ فِي الخَيْرِ فِي حُبِّ اللهِ وَرَسُولِهِ**»[2].

لَمَّا بَايَعَ أَهلُ العَقَبَةِ رَسُولَ اللهِ ﷺ رَجَعُوا إِلَى قَومِهِم فَدَعَوهُم إِلَى الإِسلَامِ سِرًّا وَتَلَوا عَلَيهِم القُرءَان، وَكَانُوا اثنَي عَشَرَ شَخصًا، وَبَعَثُوا إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ مُعَاذ بن عَفرَاء وَرَافِع بنِ مَالِك أَنِ ابْعَث إِلَينَا رَجُلًا مِن قِبَلِكَ يُفَقِّهنَا فِي الدِّينِ وَيُقرِئنَا القُرءَانَ، فَبَعَثَ إِلَيهِم مُصعَبَ بنِ عُمَير.

حَمَلَ مُصعَبُ اللِّوَاءَ يَومَ أُحُدٍ، فَلَمَّا جَالَ المُسلِمُونَ ثَبَتَ بِهِ مُصعَب، فَأَقبَلَ ابنُ قَمِيئَةَ فَضَرَبَ يَدَهُ اليُمنَى فَقَطَعَهَا وَمُصعَبُ يَقُولُ: ﴿**وَمَا مُحَمَّدٌ** إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾[3]، وَأَخَذَ اللِّوَاءَ بِيَدِهِ اليُسرَى وَحَنَا

---

(١) كساء من شعر له هدب.

(٢) **الطبقات الكبرى، ابن سعد، (٣/٨٦).**

(٣) **سورة آل عمران، آية (١٤٤).**

عَلَيهَا فَضَرَبَهَا فَقَطَعَهَا، فَحَنَا عَلَى اللِّوَاءِ وَضَمَّهُ بِعَضُدَيهِ إِلَى صَدرِهِ وَهُوَ يَقُولُ: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾ ثُمَّ حَمَلَ عَلَيهِ الثَّالِثَةَ بِالرُّمحِ فَأَنفَذَهُ.

قَالَ عَبدُ اللهِ بنُ الفَضلِ: قُتِلَ مُصعَبُ وَأَخَذَ اللِّوَاءَ مَلَكٌ فِي صُورَتِهِ، فَجَعَلَ النَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ لَهُ فِي ءَاخِرِ النَّهَارِ: «تَقَدَّمْ يَا مُصعَب»، فَالتَفَتَ إِلَيهِ المَلَكُ وَقَالَ: لَستُ بِمُصعَبٍ، فَعَرَفَ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّهُ مَلَكٌ أُيِّدَ بِهِ[1].

وَفَاتُهُ: عَن عُبَيدِ بنِ عُمَير أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، وَقَفَ عَلَى مُصعَبِ بنِ عُمَيرٍ وَهُوَ مُتَجَعِّف عَلَى وَجهِهِ[2] يَومَ أُحُدٍ شَهِيدًا، وَكَانَ صَاحِبَ لِوَاءِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَرَأَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾﴾[3].

٤- شَمَّاسُ بنُ عُثمَانَ القُرَشِيُّ.

٥- عُمَارَةُ بنُ زِيَادِ بنِ السَّكَن.

٦- عَمرُو بنُ ثَابِتِ بنِ وَقْشٍ، قَالَ عَنهُ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّهُ لَمِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ»[4] أَسلَمَ يَومَ مَعرَكَةِ أُحُد وَاستُشهِدَ عِندَ الظُّهرِ.

٧ و ٨- ثَابِتُ بنُ وَقْشٍ أَبُو عَمْرو، وَاليَمَانُ أَبُو حُذَيْفَةَ.

٩- حَنظَلَةُ بنُ أَبِي عَامِرٍ الأَوْسِيُّ: قَالَ فِيهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ «إِنَّ

---

(١) الطبقات الكبرى، ابن سعد، (٣/ ٨٩).

(٢) أي مصروع.

(٣) سورة الأحزاب، آية (٢٣).

(٤) مسند الإمام أحمد، أحمد، مسند الأنصار، حديث محمود بن لبيد، (٢٣٦٣٤).

صَاحِبَكُم لَتُغَسِّلُهُ المَلَائِكَةُ»[1].

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«مَا بَالُ حَنْظَلَةَ تُغَسِّلُهُ المَلَائِكَةُ»** فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ مَا عَلِمنَا عَلَيهِ سُوءًا فَلَمَّا سَأَلُوا عَنهُ وَجَدُوا أَنَّهُ استَخَفَّهُ[2] مُنَادِي الجِهَادِ عَنِ الغُسلِ مِنَ الجَنَابَةِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«هُوَ ذَاكَ إِنَّ الجَنَّةَ لَا يَدْخُلُهَا جُنُبٌ»** وَقَد حَمَلَت زَوجَتُه جَمِيلَةَ مِنهُ بِعَبدِ اللهِ بنِ حَنظَلَةَ الصَّحَابِيِّ الجَلِيلِ التَّقِيِّ الَّذِي قُتِلَ يَومَ الحَرَّةِ.

فَلَمَّا ذَهَبَ الأَنصَارُ يَبحَثُونَ عَن حَنظَلَةَ بَعدَ مَا قَالَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَجَدُوهُ شَهِيدًا وَرَأسُهُ يَتَقَاطَرُ مِنَ المَاءِ مِن أَثَرِ غَسلِ المَلَائِكَةِ لَهُ.

١٠- أَنَسُ بنُ النَّضْرِ بنِ ضَمْضَم وَهُوَ عَمُّ أَنَسِ بنِ مَالِك، وُجِدَ فِيهِ بِضعَةٌ وَثَمَانُونَ طَعنَةً، وَهُوَ الَّذِي قَالَ فِيهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«إِنَّ مِنْ عِبَادِ اللهِ مَنْ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللهِ لَأَبَرَّهُ»**[3].

لَمَّا قِيلَ لأَنَسِ بنِ النَّضرِ إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَد قُتِلَ، قَالَ فَمَا تَصنَعُونَ بِالحَيَاةِ بَعدَهُ، قَاتِلُوا حَتَّى تَمُوتُوا فَلَا خَيرَ فِي الحَيَاةِ.

١١- سَعْدُ بنُ الرَّبِيعِ بن عَمْرو بنِ أَبِي زُهَير، دُفِنَ هُوَ وَخَارِجَةُ بنُ زَيدٍ فِي قَبرٍ وَاحِدٍ، شَهِدَ العَقَبَةَ وَبَدرًا وَأُحُد وَاستُشهِدَ يَومَئِذٍ.

١٢- عَبْدُ اللهِ بنُ عَمْرِو بنِ حَرَام، وَهُوَ أَوَّلُ مَن قُتِلَ يَومَ أُحُدٍ وَهُوَ وَالِدُ جَابِر بنِ عَبدِ اللهِ رضي الله عنه، قَالَ لِوَلَدِهِ وَاللهِ لَا أُوثِرُكَ بِالجِهَادِ

---

(١) المستدرك، الحاكم، (٥/ ٤٦١).

(٢) تحرّك للجهاد وخفّ له.

(٣) صحيح البخاري، البخاري، كتاب الصلح، (٢٧٠٣)، صحيح مسلم، مسلم، كتاب القسامة والمحاربون والقصاص والديات، (١٦٧٥).

فِي سَبِيلِ اللهِ عَلَى نَفسِي فَخَرَجَ وَاستُشهِدَ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَلمَّا بَكت عَلَيهِ فَاطِمَةُ بِنتُ عَمْرٍو قَالَ لَهَا الرَّسُولُ ﷺ: «**لَا تَبْكِي، مَا زَالَتِ المَلَائِكَةُ تُظِلُّهُ بِأَجْنِحَتِهَا حَتَّى رَفَعتُمُوهُ**»(١).

١٣- **عَمْرُو بنُ الجَمُوحِ** أَحَدُ نُقَبَاءِ الصَّحَابَةِ وَكَانَ أَعرَج وَكَانَ أَولَادُهُ يُرِيدُونَ مَنعَهُ مِنَ الذَّهَابِ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَمَّا أَنْتَ فَقَدْ عَذَرَكَ اللهُ** ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ﴾(٢)»، فَقَالَ يَا رَسُولَ اللهِ: أُرِيدُ أَن أَطَأَ الجَنَّةَ بِعَرْجَتِي هَٰذِهِ وَضَرَبَ عَلَيهَا بِيَدِهِ، فَحَقَّقَ اللهُ لَهُ أُمنِيَتَهُ وَاستُشهِدَ، فَقَالَ لَهُم رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَا عَلَيْكُم أَنْ لَا تَمْنَعُوهُ لَعَلَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يَرْزُقُهُ الشَّهَادَةَ، فَخَرجَ مَعَهُ فَقُتِلَ يَوْمَ أُحُد**»(٣).

وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَدْ رَأَيْتُهُ يَطَأُ الجَنَّةَ بِعَرْجَتِهِ**»(٤).

١٤- **الحَارِثُ بنُ أَوس** بنِ مُعَاذ بنِ النُّعمَانِ الأَنصَارِيُّ.

١٥- **سَعْدُ بنُ سُوَيْد** بنِ قَيس، مِن بَنِي خدْرَة مِنَ الأَنصَارِ.

١٦- **الحَارِثُ بنُ أَنَس** بنِ رَافِعِ الأَنصَارِيُّ الأَوسِيُّ.

١٧- **عُمَرُ بنُ مُعَاذ** بنِ النُّعمَانِ.

---

(١) **صحيح البخاري**، البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب ظل الملائكة على الشهيد، (٢٨١٦). **صحيح مسلم**، مسلم، كتاب فضائل الصحابة، (٢٤٧١). **سنن النسائي**، النسائي، كتاب الجنائز، (١٨٤٥).

(٢) **سورة النور**،آية (٦١).

(٣) **السيرة النبوية**، ابن هشام، (٣/ ٩٠-٩١).

(٤) **أسد الغابة**، ابن الأثير، (ص/ ٩٢٦).

١٨- صَيْفِيُّ بنُ قَيْظِي، أَخُو الحُبَاب.

١٩- الحُبَابُ بنُ قَيْظِي.

٢٠- عَبَّادُ بنُ سَهْلٍ.

٢١- إِيَاسُ بنُ أوس بنِ عَتِيك.

٢٢- عُبَيْدُ بنُ التَّيِّهَان وَيُقَالُ عَتِيك.

٢٣- حَبِيبُ بنُ زَيد بنِ تَمِيم البَيَاضِي.

٢٤- يَزِيدُ بنُ حَاطِب بنِ عَمرٍو الأَشهَلِيّ.

٢٥- أَبُو سُفيَان بنُ الحَارِثِ بنِ قَيسٍ البَيَاضِي الأَنصَارِيّ.

٢٦- أَنَسُ بنُ قَتَادَةَ.

٢٧- أَبُو حَبَّةَ الأَنصَارِيُّ البَدرِيُّ.

٢٨- عَبدُ اللهِ بنُ حُسَين بنِ النُّعمَان.

٢٩- خَيثَمَةُ بنُ الحَارِثِ بنِ مَالِك الأَنصَارِيّ، أَبُو سَعد بنِ خيثَمَة.

٣٠- عَبدُ اللهِ بنُ سَلَمَةَ.

٣١- سُبَيع بنُ حَاطِب بنِ قَيس الأَنصَارِيُّ.

٣٢- عُمَرُ بنُ قَيس بنِ زَيد بنِ قَيس.

٣٣- ثَابِت بنُ عَمرو بنِ زَيد.

٣٤- عَامِرُ بنُ مُخَلَّد.

٣٥- أَبُو هُبَيْرَةَ بنُ الحَارِثِ.

٣٦- عَمرُو بنُ مُطَرِّف بنِ عَلقَمَة.

٣٧- أَوسُ بنُ ثَابِت بنِ المُنذِرِ.

٣٨- قَيسُ بنُ مُخَلَّد.

٣٩- كِيسَان مَولَى بَنِي النَّجَّار.

٤٠- سُلَيمُ بنُ الحَارِثِ الأنصَارِيّ.

٤١- نُعْمَانُ بنُ عَمْرٍو.

٤٢- خَارِجَةُ بنُ زَيدٍ.

٤٣- أَوسُ بنُ الأَرْقَمِ بنِ زَيد.

٤٤- مَالِكُ بنُ سِنَان أَبُو أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيّ.

٤٥- عُتْبَةُ بنُ رَبِيع بنِ رَافِع.

٤٦- ثَعْلَبَةُ بنُ سَعدِ بنِ مَالِك.

٤٧- ثُقْبُ بنُ فَروَةَ بنِ البَدَني عَبدِ اللهِ بنِ عَمرِو بنِ وَهْب.

٤٨- ضُمْرَةُ بنُ عَمْرو حَلِيف لِبَنِي طَرِيف مِن جُهَينَة.

٤٩- عَبَّاسُ بنُ عُبَادَةَ.

٥٠- نَوفَلُ بنُ عَبدِ اللهِ.

٥١- نُعْمَانُ بنُ مَالِكِ بنِ ثَعْلَبَةَ.

٥٢- المُجَذَّرُ بنُ زِيَاد.

٥٣- عَبْدَةُ بنُ الحَسْحَاسِ.

٥٤- رِفَاعَةُ بنُ عَمرٍو.

٥٥- خَلَّادُ بنُ عَمرو بنِ الجَمُوحِ.

٥٦- أَبُو أَيْمَن مَولَى خَلَّاد بنِ عَمْرو.

٥٧- سُلَيْمُ بنُ عَمْرو.

٥٨- سَهْلُ بنُ قَيسِ بنِ أُبَيّ بنِ كَعب.

٥٩- ذَكْوَانُ بنُ عَبدِ قَيس بنِ مُخَلَّد الزُّرَقِيُّ.

٦٠- عُبَيْدُ بنُ المُعَلَّى بنِ لَوْذَان الأَنصَارِيّ.

٦١- مَالِكُ بنُ نُمَيْلَة.

٦٢- الحَارِثُ بنُ عَدِيّ بنِ خَرشَة.

٦٣- مَالِكُ بنُ إِيَاس.

٦٤- إِيَاسُ بنُ عَدِيّ.

٦٥- عَمْرُو بنُ إِيَاس.

قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «اللَّهُمَّ إِنَّ عَبْدَكَ وَنَبِيَّكَ يَشْهَدُ أَنَّ هَؤُلَاءِ شُهَدَاء، فَأْتُوهُم وَسَلِّمُوا عَلَيْهِم فَلَن يُسَلِّمَ عَلَيْهِم أَحَدٌ مَا قَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْض إِلَّا رَدُّوا عَلَيْهِ»(١).

غَزْوَةُ الخَنْدَقِ الأَحْزَاب(٢)

اتَّحَدَت قُوَى الشَّرِّ الثَّلَاثَة: قُرَيش، وَاليَهُود، وَبَعضُ قَبَائِلِ الجَزِيرَةِ العَرَبِيَّةِ المُنَاوِئَةِ للإِسلَامِ وَالرَّسُولِ ﷺ، فِي تَجَمُّعٍ قَوِيّ مِن أَجلِ القَضَاءِ

(١) الوفاء، السمهودي، (٣/ ٩٣١).

(٢) كانت غزوة الخندق في السنة الخامسة من الهجرة في شهر شوال. السيرة النبوية، ابن هشام، (٣/ ٢١٤).

عَلَى دَولَةِ الإِسلَام النَّاشِئَةِ فِي المَدِينَةِ المُنَوَّرَةِ، وَلَقَد لَعِبَ اليَهُودُ مِن بَنِي النَّضِيرِ، وَبَنِي قَينُقَاع دَورًا كَبِيرًا فِي تَألِيبِ وَتَجمِيعِ الأَحزَابِ لِحصَارِ المَدِينَةِ[1]، وَالقَضَاءِ عَلَى مَن فِيهَا مِنَ المُسلِمِين، وَذَلِكَ لمَّا أَصَابَ كُلّ فَرِيقٍ مِنهُم مِن هَزِيمَةٍ أَو تَحَدٍّ قَبلَ تَارِيخ هَذِهِ الغَزوَةِ العَظِيمَةِ فِي تَارِيخ الإِسلَام، مُنذُ أَن وَصَلَ الرَّسُولُ ﷺ إِلَى المَدِينَةِ، وَتَأسِيسِهِ للدَّولَةِ الإِسلَامِيَّةِ الَّتِي وَاجَهَت عُدوَانَهُم مُنذُ البِدَايَةِ.

- استِعدَادَاتُ المُشرِكِينَ جَيش الأَحزَاب:

تَجَمَّعَت الأَحزَابُ لِحَربِ الرَّسُولِ ﷺ فَخَرَجَت قُرَيش فِي ٤٠٠٠ أَربَعَة الآفِ رَجُلٍ يَقُودُهُم أَبُو سُفيَان، وَمَعَهُم ٣٠٠ ثَلَاثُمِائَةِ فَارِسٍ وَمَعَهُم ١٥٠٠ ألف وَخَمسُمِائَةِ بَعِيرٍ.

وَخَرَجَتَ غَطفَانُ فِي ١٠٠٠ أَلفِ فَارِسٍ يَقُودُهُم عُيَينَةُ بنُ حُصَينٍ الفَزَارِيّ، وَخَرَجَت بَنُو مُرَّةَ فِي ٤٠٠ أَربَعمِائَةِ رَجُلٍ يَقُودُهُم الحَارِثُ بنُ عَوفٍ المُرّي، وَتَجَهَّزَت بَنُو سُلَيم فِي ٧٠٠ سَبعُمِائَةِ مُقَاتِل، وَخَرَج مَعَهُم بَنُو أَسَد وَبَنُو أَشْجَع يَقُودُهُم مِسعَرُ بنُ رَخِيلَةَ الأَشجَعِيّ، وَبَلَغ عَدَدَ هَذَا الجَيش ١٠٠٠٠ عَشرَةُ الآفِ مُقَاتِل تَحتَ قِيَادَةٍ عَامَّةٍ بِزعَامَةِ أَبِي سُفيَانَ بنِ حَربٍ وَسَارُوا قَاصِدِينَ المَدِينَةَ المُنَوَّرَة.

- استِعدَادُ المُسلِمِينَ التَّشَاوُر حَولَ مَكَانِ المَعرَكَةِ:

وَصَلَ الخَبَرُ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ فَاستَشَارَ أَصحَابَهُ عَلَى عَادَتِهِ فِي الأُمُورِ الهَامَّةِ، هَل يَتَحَصَّنُونَ بِالمَدِينَةِ أَم يَخرُجُونَ خَارِجَهَا كَمَا فَعَلَ فِي أُحُد؟.

(١) السيرة النبوية، محمد أبو شهبة، (٢/ ٢٧٧).

وَهُنَا أَشَارَ سَلمَانُ الفَارِسِيّ رضي الله عنه عَلى الرّسُولِ ﷺ بِفِكرَةِ حَفرِ الخَندَقِ لِحِمَايَةِ المَدِينَةِ[1] مِن ٣ جِهَاتٍ: الجِهَةِ الشّمَالِيَّةِ وَالجَنُوبِيَّةِ وَالجِهَةِ الغَربِيَّةِ لِلمَدِينَةِ، وَتَركَ الجِهَةَ الشَّرقِيَّةَ لِوُجُودِ المَزَارِعِ وَالحُصُونِ وَوُجُودِ الحِرَارِ فِيهَا، كَمَا أَنَّهُم فِي البِدَايَةِ اعتَمَدُوا عَلَى حُلَفَائِهِم مِن يَهُودِ بَنِي قُرَيظَةَ لِحِمَايَةِ هَذِهِ الجِهَةِ، لَكِنَّ اليَهُودَ نَقَضُوا العَهدَ فِيمَا بَعدُ أَثنَاءَ الحِصَارِ.

- حَفرُ الخَندَقِ:

أَخَذَ الرَّسُولُ ﷺ بِمَشُورَةِ سَلمَانَ الفَارِسِيّ لِحَفرِ الخَندَقِ حَولَ المَدِينَةِ مِن جِهَاتِهَا الثَّلَاث، وَشَرَعَ المُسلِمُونَ فِي حَفرِ الخَندَقِ فِي جَوٍّ بَارِدٍ يَتَقَدَّمهُم رَسُولُ اللهِ ﷺ حَيثُ شَارَكَ مَعَهُم فِي الحَفرِ بَعدَ أَن خَصَّصَ لِكُلِّ عَشرَةٍ مِنَ الصَّحَابَةِ حَفرَ ٤٠ أَربَعِينَ ذِرَاعًا، وَقَد اعتَرَضَتهُم أَثنَاءَ الحَفرِ صَخرَةٌ فِيمَا رَوَى جَابِرُ ﷺ «أَنَّ المُسلِمِينَ عَرَض لَهُم فِي بَعضِ الخَندَقِ صَخرَةٌ لَا تَأخُذُ فِيهَا المِعوَل، فَكَسَرَت حَدِيدَهُم، فَشَقَّت عَلَيهِم، فَشَكَوا ذَلِكَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ وَهُوَ فِي قُبَّةٍ تُركِيَّةٍ، فَقَالَ أَنَا نَازِلٌ وَبَطنُهُ مَعصُوبٌ بِحَجَرٍ مِنَ الجُوعِ، فَدَعَا بِإِنَاءٍ مِن مَاءٍ فَتَفَلَ فِيهِ، ثُمّ دَعَا بِمَا شَاءَ اللهُ أَن يَدعُو بِهِ، ثُمّ نَضَحَ مِن ذَلِكَ المَاءِ عَلَيهَا فَعَادَت كَالكَثِيبِ المَهِيلِ مَا تَرُدُّ فَأسًا وَلا مِسحَاتًا، فَأَخَذَ المِعوَلَ وَقَالَ بِسمِ اللهِ وَضَرَبَهَا بِالمِعوَلِ ثَلَاثَ ضَربَاتٍ مُتَتَالِيَةٍ فَانهَارَت كَأَنَّهَا كَثِيبٌ مِنَ الرَّملِ، وَقَد بَرَقَت عِندَ كُلِّ ضَربَةٍ بَارِقَة مِن نُورٍ: بَرقَةٌ مِن قِبَلِ اليَمَنِ، وَبَرقَةٌ مِن قِبَلِ

(١) حفر الخندق لم يكن من عادة العرب، لكنه من مكايد الفرس وحروبها، وكان الذي أشار به على الرسول ﷺ هو سلمان الفارسي. الطبقات، ابن سعد، (٢/٦٦).

الشَّام، وَبَرقَةٌ أُخرَى مِن جِهَةِ فَارِس، وَفِي كُلِّ مَرَّةٍ كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُكَبِّرُ وَيُبَشِّرُ أصحَابَهُ بِنَصرٍ وَفَتحٍ مِن هَذِهِ الجِهَاتِ الثَّلَاثَة... الحديث»[١].

وَكَانَ أَيضًا يَحمِلُ التُّرَابَ مَعَهُم وَمَعَهُ كِبَارُ الصَّحَابَةِ، فَقَد رَوَى البُخَارِيُّ مِن طَرِيقِ البَرَاءِ بن عَازِبٍ رضي الله عنه قَالَ: «لَمَّا كَانَ يَوْمُ الأَحزَابِ وَخَنْدَقَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، رَأَيْتُهُ يَحْمِلُ مِن تُرَابِ الخَنْدَقِ، وَكَانَ يَرتَجِزُ[٢] بِكَلِمَاتِ عَبدِ اللهِ بنِ رَوَاحَةَ وَهُوَ يَنقُلُ التُّرَابَ وَيَقُولُ[٣]:

اللَّـهُمَّ لَـوْلَا أَنْـتَ مَـا اهـتَـدَيْنَـا ... وَلَا تَـصَـدَّقْـنَـا وَلَا صَـلَّـيْـنَـا

فَـأَنْـزِلَـنْ سَـكِـيـنَـةً عَـلَـيْـنَـا ... وَثَـبِّـتِ الْأَقْـدَامَ إِنْ لَاقَـيْـنَـا

إِنَّ الْأُلَـى قَـدْ بَـغَـوْا عَـلَـيْـنَـا ... فَـإِنْ أَرَادُوا فِـتْـنَـةً أَبَـيْـنَـا

وَقَد أَتَمَّ المُسلِمُونَ عَمَلِيَّاتِ الحَفرِ فِي مُدَّةٍ قِيَاسِيَّةٍ هِيَ سِتَّةُ أَيَّامٍ، كَمَا رَوَى ابنُ سَعدٍ فِي طَبَقَاتِهِ.

- جَيْشُ المُسلِمِين:

بَعدَ أَن أَتَمَّ الرَّسُولُ ﷺ حفرَ الخندَقِ خَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ فِي جَيشٍ قِوامُه ٣٠٠٠ ثَلَاثَةَ الآفِ مُقَاتِلٍ مِنَ المُسلِمِين، وَكَانَ صَاحِبُ لِوَاءِ المُهَاجِرِينَ زَيدُ بنُ حَارِثَةَ، وَحَامِلُ لِوَاءِ الأَنصَارِ سَعدُ بنُ عُبَادَةَ، وَاستَخلَفَ عَلَى المَدِينَةِ عَبدَ اللهِ بنَ أُمِّ مَكْتُوم، وَجَعَلَ الرَّسُولُ ﷺ الذَّرَارِي وَالنِّسَاء فِي

(١) سنن النسائي، النسائي، كتاب الجهاد، (٣١٧٦).

(٢) ليس معناه أنه نظم الشعر من عند نفسه أي قصد تأليفه.

(٣) صحيح البخاري، البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة الخندق، (٤١٠٦). صحيح مسلم، مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب غزوة الأحزاب، (١٨٠٣).

الحُصُونِ، وَعَسكَر فِي سَطحِ سلع، وَجَعَلَ الخَندَقَ بَينَهُ وَبَينَ المُشرِكِينَ[1].

- جَيْشُ المُشْرِكِينَ:

وَصَلَ جَيشُ المُشرِكِينَ إِلَى المَدِينَةِ وَكَانُوا يَظُنُّونَ أَنَّ جَيشَ المُسلِمِينَ قَد عسَر فِي أُحُدٍ كَمَا حَصَلَ فِي الغَزوَةِ المَشهُورَةِ بِهَذَا الاسمِ، وَالَّتِي وَقَعَت فِي السَّنَةِ الثَّالِثَةِ مِنَ الهِجرَةِ[2].

لَكِنَّهُم لَم يَجِدُوا المُسلِمِينَ هُنَاكَ، فَتَوَجَّهُوا نَحوَ المَدِينَةِ، وَفُوجِئُوا بِالخَندَقِ يُحِيطُ بِهَا مِن جِهَاتِهَا الثَّلَاث، فَدُهِشُوا لأَنَّهُ لَم يَكُن لَهُم عَهدٌ بِهَذَا النَّوعِ مِنَ الدِّفَاعِ، فَاضطَّرُوا أَن يُعَسْكِرُوا حَولَ الخَندَقِ، فَأَخَذَت كُلّ قَبِيلَةٍ مِنهُم نَاحِيَةً مِن نَوَاحِي المَدِينَةِ.

- حِصَارُ المُشرِكِينَ وَمُحَاوَلَاتِهِم اقتِحَامَ الخَندَقِ:

حَاصَرَ المُشرِكُونَ المُسلِمِينَ قُرَابَةَ ٢٤ أَربَعَة وَعِشرِينَ يَومًا، حَاوَلُوا خِلَالَ هَذِهِ المُدَّةَ أَن يَقتَحِمُوا الخَندَقَ مِن عِدَّةِ جِهَاتٍ، لَكِنَّ يَقظَةَ جَيشِ المُسلِمِينَ حَالَت دُونَ ذَلِكَ.

وَفِي إِحدَى هَذِهِ المُحَاوَلَاتِ نَظَرُوا إِلَى أَضيَقِ مَكَانٍ فِي الخَندَقِ فَحَاوَلُوا الاقتِحَامَ وَأَكرَهُوا خَيلَهُم، فَاقَتَحَمَت مِنهُ، وَكَانَ فِي مُقَدِّمَةِ هَؤُلَاءِ عَمرُو بنُ عَبدِ وُد، وَعِكرِمَةُ بنُ أَبِي جَهل، وَضِرَارُ بنُ الخَطَّابِ الفِهرِيّ، فَتَصَدَّت لَهُم مَجمُوعَةٌ مِن أَبطَالِ المُسلِمِينَ بِقِيَادَةِ عَلِيِّ بنِ أَبِي

---

(١) السيرة النبوية، أبو شهبة، (٢/ ٢٨٠).

(٢) السيرة النبوية، أبو شهبة، (٢/ ٢٨٠).

طَالِبٍ، وَكَانَ عَمرُو بنُ عَبْدِ وُدٍّ مِن أشهَرِ فُرسَانِ العَرَبِ، فَبرَزَ لَهُ عَلِيّ ابنُ أَبِي طَالِبٍ، وَعَقَرَ عَمرُو بنُ عَبدِ وُدٍّ فَرَسَهُ وَصَالَا وَجَالَا، وَلَم يُمهِلهُ عَلِيٌّ حَتَّى قَتَلَهُ، فَوَلَّت خَيلُ البَاقِينَ مُنهَزِمَةً حَتَّى اقتَحَمَت الخَندَقَ هَارِبَةً[1].

وَحَاوَلَت مَجمُوعَةٌ أُخرَى بِقِيَادَةِ نَوفَلِ بنِ عَبدِ اللهِ أَن يَجتَازُوا الخَندَقَ فَهَوَى هُوَ وَفَرَسُهُ فُصرِعَا، وَقِيلَ نَزَلَ إِلَيهِ عَلِيُّ بنُ أَبِي طَالِبٍ فَقَتَلَهُ، وَقِيلَ: قَتَلَهُ الزُّبَيرُ بنُ العَوَّامِ.

وَهَكَذَا استَمَرَّت المُنَاوَشَاتُ وَالمُرَامَاةُ بِالنِّبَالِ أَيَّامًا، وَقَد شَدَّدَ المُسلِمُونَ الحِرَاسَةَ عَلَى الخَندَقِ حَتَّى لَا يَقتَحِمهُ المُشرِكُون، وَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُشَارِكُهُم فِي حِمَايَةِ الخَندَقِ، عِندَ ثُلمَةٍ فِي جِهَةِ الشَّمَالِ مِنَ الخَندَقِ، وَهِيَ الثُّلمَةُ الَّتِي اعتَرَضَ عِندَهَا المُسلِمُونَ الصَّخرَةَ الَّتِي وَرَدَت قِصَّتهَا فِي الحَدِيثِ الَّذِي سَبَقَت الإِشَارَةُ إِلَيهِ أَثنَاءَ الحَدِيثِ عَن حَفرِ الخَندَقِ.

- **مُحَاوَلَةُ الرَّسُولِ ﷺ تَفرِيقَ الأَحْزَابِ:**

رَأَى رَسُولُ اللهِ ﷺ أَن يُفَرِّقَ جَمعَهُم، فَبَعَثَ إِلَى قَائِدَي غَطَفَان عُيَينَة ابنِ حُصَين، وَالحَارِثِ بنِ عَوفٍ لِيَتَفَاوَضَ مَعَهُمَا عَلَى أَن يَأخُذَا ثُلُثَ ثِمَارِ المَدِينَةِ، وَيَرجِعَا بِمَن مَعَهُمَا، وَيَترُكَا جَيشَ قُرَيشٍ، فَقَبِلَا، لَكِنَّ الرَّسُولَ ﷺ استَشَارَ الأَنصَارَ فِي هَذَا الأَمرِ، فَقَالُوا يَا رَسُولَ اللهِ، إِن لَم يَكُنِ الأَمرُ مِنَ اللهِ، فَلَا حَاجَةَ لَنَا بِهِ، وَقَالُوا قَولَتَهُم المَشهُورَةَ:

---

(١) الطبقات، ابن سعد، (٢/٥٢).

«وَاللهِ لَا نُعطِيهِم إِلَّا السَّيفَ حَتَّى يَحكُمَ اللهُ بَينَنَا وَبَينَهُم»، وَقَالَ الرَّسُولُ ﷺ «فَأَنْتُمْ وَذَاكَ»[1].

- **خِدْعَةُ نُعَيْمِ بنِ مَسْعُودٍ:**

جَاءَ نُعَيْمُ بنُ مَسعُودٍ الأَشجَعِيّ أَحَدُ رِجَالِ غَطَفَانَ المَشهُورِينَ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ مُعلِنًا إِسلَامَهُ عَلَى يَدَي رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَنُعَيمُ هَذَا كَانَ صَدِيقًا لِقُرَيشٍ وَلِليَهُودِ، وَبِاعتِبَارِ أَنَّ الحَربَ خُدعَةٌ فَقَد وَجَّهَ الرَّسُولُ ﷺ هَذَا الرَّجُلَ الدَّاهِيَةَ بِاتِّجَاهِ العَمَلِ السِّيَاسِيّ وَخُدعَةِ الحَربِ، فَقَالَ لَهُ: **«وَمَاذَا عَسَاكَ أَنْ تَفْعَلَ يَا ابنَ مَسعُودٍ؟ وَلَكِن خَذِّل عَنَّا مَا اسْتَطَعْتَ فَإِنَّ الحَرْبَ خُدْعَة»**[2]، وَأَمَرَهُ أَن يُخفِي إِسلَامَهُ.

فَانقَدَحَت فِي رَأسِ نُعَيم فِكرَةَ التَّخذِيلِ[3] بَينَ الأَحزَابِ قُرَيش، غَطَفَان، وَبَنُو قُرَيظَة أَطرَافِ مُعسكَرِ المُشرِكِين، وَقَرَّرَ أَن يَذهَبَ إِلَى كُلِّ مُعسكَرٍ مِن هَذِهِ المُعسكَرَاتِ الثَّلَاثَةِ بِخِدعَةٍ لِيُفَكِّكَ عُرَى التَّلَاحُمِ بَينَهُم.

فَذَهَب إِلَى بَنِي قُرَيظَةَ وَحَذَّرَهُم مِن قُرَيشٍ وَمِمَّن مَعَهُم مِنَ الأَحزَابِ، وَأَنَّهُم فِي حَالِ الهَزِيمَةِ سَيَترُكُونَهُم وَحدَهُم يُوَاجِهُونَ مَصِيرَهُم مَعَ الرَّسُولِ ﷺ وَالمُسلِمِينَ وَأَوعَزَ عَلَيهِم ضَمَانًا لَهُم أَن يَطلُبُوا مِن قُرَيشٍ وَمِمَّن مَعَهُم مِنَ الأَحزَابِ ٧٠ شَرِيفًا كَرَهَائِنَ فِي أَيدِيهِم حَتَّى يُقَاتِلُوا مَعَ الأَحزَابِ؟ فَاستَحسَنُوا رَأيَهُ وَأَشَادُوا بِهِ.

ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى قُرَيشٍ وَأَخبَرَهُم بِأَنَّ بَنِي قُرَيظَةَ نَدِمُوا مَا صَنَعُوا مِن

---

(١) الطبقات،ابن سعد، (٥٦/٢). السيرة النبوية، ابن هشام، (٢٢٣/٣).

(٢) السيرة النبوية، ابن هشام، (٢٢٩/٣). الطبقات، ابن سعد، (٦٩/٢).

(٣) التخذيل هو حمل الأعداء على الفشل وترك القتال. التيسير، المناوي، (٥١٢/١).

نَقضِهِم العَهدَ الَّذِي بَينَهُم وَبَينَ الرَّسُولِ ﷺ يُخبِرُونَهُ بِندَمِهِم، وَأَنَّهُم يُدَبِّرُونَ خِدعَةً يَطلُبُونَ رَهَائِنَ مِن أَشرَافِكُم لِيُعطُوهُم للرَّسُولِ ﷺ وَالمُسلِمِينَ لِيَضرِبُوا أعناقَهُم تَكفِيرًا لِمَا فَعَلُوا مَعَ الرَّسُولِ ﷺ حَيثُ نَقَضُوا العَهدَ الَّذِي بَينَهُم وَبَينَهُ.

ثُمَّ أَتَى قَومَهُ غَطَفَانَ وَهُوَ عِندَهُم مُستَأمَنٌ وَغير مُتَّهَم، فَأَخبَرَهُم بِمَا أَخبَرَ بِهِ قُرَيش مِن خِدعَةِ اليَهُودِ لَهُم وَحَذَّرَهُم مِنهُم[1]، فَأَرَادَ أَبُو سُفيَان أن يَستَطلِعَ الأمرَ. فَأَرسَلَ وَفدًا بِرِئَاسَةِ عِكرِمَةَ بنِ أَبِي جَهلٍ إِلَى بَنِي قُرَيظَةَ يَطلُبُ مِنهُم المُشَارَكَةَ فِي الحَربِ يَومَ السَّبتِ، فَاعتَذَرُوا عَنِ القِتَالِ يَومَ السَّبتِ، وَطَلَبُوا رَهَائِنَ مِن أَشرَافِ قُرَيشٍ وَغَطَفَانَ ضَمَانًا لِمُشَارَكَتِهِم فِي هَذَا الحَربِ، فَبِهَذَا تَأَكَّدَ مَا قَالَهُ لَهُم نُعَيم.

وَبِتَوفِيقٍ مِنَ اللهِ تَعَالَى نَجَحَت هَذِهِ الخِدعَةُ فِي التَّخذِيلِ بَينَ الفُرَقَاءِ فِي مُعَسكَرِ المُشرِكِين، وَرَفَضَت كُلٌّ مِن قُرَيشٍ وَغَطَفَانَ طَلَبَ اليَهُودِ، وَاعتَبَرُوا أَنَّ اليَهُودَ خَدَعُوهُم، وَوَقَعَتِ الفِرقَةُ بَينَهُم، وَكَانَت بِدَايَةَ النَّصرِ مِنَ اللهِ تَعَالَى.

وَجَاءَ النَّصرُ مِنَ السَّمَاءِ:

فِي غَمْرَةِ الشَّدَائِدِ وَالمَخَاوُفِ الَّتِي عَاشَهَا المُسلِمُونَ طُوَالَ فَترَةِ الغَزوَةِ، كَانَ النَّبِيُّ ﷺ وَأَصحَابُهُ لَا يَنفَكُّونَ عَنِ الدُّعَاءِ وَالتَّوَجُّهِ إِلَى اللهِ بِالتَّضَرُّعِ وَالتَّوَسُّلِ، فَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ كَثِيرًا مَا يَدعُو: «**اللَّهُمَّ مُنْزِلَ الكِتَابِ، سَرِيعَ الحِسَابِ، اهْزِمِ الأَحْزَابِ، اللَّهُمَّ اهْزِمهُم، وَزَلْزِلهُم،**

(١) السيرة النبوية، ابن هشام، (٣/ ٢٣٠).

اهْزِمْهُم وَانْصُرنَا عَلَيْهِم».

وَكَانَ يَأمُرُ الصَّحَابَةَ أن يَقُولُوا: «اللَّهُمَّ اسْتُرْ عَوْرَاتِنَا، وَءَامِنْ رَوْعَاتِنَا، وَفُكَّ أَسْرَنَا...»، وَهَكَذَا ظَلَّ الرَّسُولُ ﷺ يَجمَعُ بَينَ الاستِعدَادَاتِ العَسكَرِيَّةِ، وَالدُّعَاءِ وَطَلَبِ النَّصرِ مِنَ المَولَى الكَرِيم، فَقَد رَوَى الإِمَامُ أَحمَدُ مِن طَرِيقِ جَابِرِ بنِ عَبدِ اللهِ رضي الله عنه، قَالَ: «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ دَعَا فِي مَسجِدِ الفَتْحِ ثَلَاثًا يَوْمَ الاثْنَيْنِ وَيَوْمَ الثُّلَاثَاءِ، وَيَوْمَ الأَرْبِعَاءِ، فَاسْتُجِيبَ لَهُ يَوْمَ الأَرْبِعَاءِ بَيْنَ الصَّلَاتَيْنِ (الظُّهر وَالعَصر)، فَعُرِفَ البِشْرُ فِي وَجْهِهِ. قَالَ جَابِرٌ: فَلَمْ يَنْزِلْ بِي أَمْرٌ مُهِمٌّ غَلِيظٌ إِلَّا تَوَخَّيْتُ تِلْكَ السَّاعَةَ، فَأَدْعُو فِيهَا فَأَعْرِفُ الإِجَابَةَ»، رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالبَزَّارُ وَرِجَالُ أَحْمَدَ ثِقَاتٌ.

- هَزِيمَةُ الأَحْزَابِ:

اسْتَجَابَ اللهُ تَعَالَى لِرَسُولِهِ ﷺ وَنَزَلَ المَدَدُ مِنَ السَّمَاءِ، وَأَرسَلَ اللهُ عَلَى المُشرِكِينَ رِيحًا شَدِيدَةً، فِي لَيلَةٍ بَارِدَةٍ، فَهَدَمَت خِيَامَهُم، وَكَفَأَت قُدُورَهُم، وَأَطْفَأَت نِيرَانَهُم، وَفَعَلَت جُنُودُ اللهِ غير المَرئِيَّةِ بِهِم الأَفَاعِيلَ رُعبًا وَخَوفًا، وَسَادَ الهَرْجُ وَالمَرجُ وَالجَلَبَةُ وَالصِّيَاح. فَحِينَهَا نَادَى أَبُو سُفيَان وَهُوَ قَائِدُ الجَيشِ بِالرَّحِيلِ، قَائِلًا: يَا مَعشَرَ قُرَيشٍ إِنَّكُم وَاللهِ مَا أَصبَحتُم بِدَارِ مُقَام، لَقَد هَلَكَ الكُرَاعُ وَالخُفُّ، وَغَدَرَت بِنَا بَنو قُرَيظَة، وَلَقِينَا مِن شِدَّةِ الرِّيحِ مَا لَقِينَا، فَارتَحِلُوا فَإِنِّي مُرتَحِلٌ، ثُمَّ قَامَ إِلَى بَعِيرِهِ وَرَكِبَهُ، فَسَمِعَت بِذَلِكَ بَقِيَّةُ الأَحزَابِ فَفَعَلُوا مِثلَ مَا فَعَلَت قُرَيش، وَأَسرَعُوا إِلَى رَكَائِبِهِم وَغَادَرُوا إِلَى دِيَارِهِم.

- العَوْدَةُ إِلَى المَدِينَةِ:

رَجَعَ النَّبِيُّ ﷺ وَأَصحَابُهُ إِلَى المَدِينَةِ، وَقَد أَزَالَ اللهُ تَعَالَى الكَربَ

وَكَشَفَ الغُمَّةَ، وَوَعَدَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أصحابَهُ أن لَا يَغزُوهُم المُشرِكُون بَعدَ هَذَا اليَوم، بَل هُمُ الَّذِينَ سَيَغزُونَهُم، فَمَا قَامَت للمُشرِكِينَ قَائِمَة، وَمَا زَالَ المُسلِمُونَ فِي ازدِيَادٍ، حَتَّى تَوّجَ ذَلِكَ بِفَتحِ مَكَّةَ وَدَخَلَ النَّاسُ فِي دِينِ اللهِ أفواجًا[1].

وَهَكَذَا عَادَ الرَّسُولُ ﷺ وَمَعَهُ أصحَابُهُ وَهُم يُرَدِّدُون «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ، صَدَقَ وَعْدَهُ وَنَصَرَ عَبْدَهُ، وَهَزَمَ الأَحْزَابَ وَحْدَهُ، فَلَا شَيْءَ بَعْدَهُ»، وَكَانَ كَثِيرًا مَا يُرَدِّدُ: «اللَّهُمَّ مُنْزِلَ الكِتَابِ، سَرِيعَ الحِسَابِ، اهْزِمِ الأَحْزَابَ، اللَّهُمَّ اهْزِمْهُمْ وَزَلْزِلهُم، ءَايِبُونَ، تَائِبُونَ، عَابِدُونَ، سَاجِدُونَ لِرَبِّنَا حَامِدُونَ»[2].



(١) السيرة النبوية، محمد أبو شهبة، (٢/ ٢٨٨).

(٢) الطبقات، ابن سعد، (٢/ ٥٧).

الخَاتِمَةُ

إِنَّهَا لَرِحلَةٌ مُبارَكَةٌ لِتِلْكَ الدِّيَارِ المُقَدَّسَةِ، وَمَا فِيهَا مِنَ ءاثَارٍ عَظِيمَة وَمَعَالِم جَمِيلَة، يَستَشعرُ الزَّائِرُ الأحدَاثَ وَالأُمُور الَّتِي وَقَعت فِي تِلكَ الأَمَاكِنِ المُبارَكَة، تَجوَّلنا فِي مَكَّةَ المُكرَّمَة زَادهَا شَرَفًا وَتعظِيمًا، وَمَا أَدرَاكَ مَا مَكَّةَ المُكرَّمَة، تِلْكَ البُقعَةِ الَّتِي شَرَّفَهَا الله وَفَضَّلَهَا بِالبَيتِ العَتِيقِ.

إِنَّهَا مَكَّةُ المُكَرَّمَة الَّتِي لَا تُوجَدُ عَلَى الأَرضِ بَلدَةٌ تُدَانِيهَا، وَكَفَى أَنَّهَا بَلَدُ الله تَعَالَى وَبَلَدُ رَسُولِهِ وَمَولِدِهِ ﷺ، وَبَلَدُ أصحَابِهِ المُهَاجِرِينَ الكِرَام.

إِنَّهَا مَكَّةُ المُكَرَّمَة، مَأْوَى الأَنبِيَاءِ وَالمُرسَلِين وَالأَتقِيَاءِ وَالصَّالِحِين، وَقِبلَةُ جَمِيعُ المُؤمِنِينَ فِي مَشَارِقِ الأَرضِ وَمَغَارِبِهَا، وَفِيهَا المَوسِمُ السَّنَوِيّ للحجِّ حَيثُ يَفِدُ إِلَيهَا المُسلِمُونَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ لِيُقِيمُوا أمرًا مِن أَهَمِّ أُمُورِ الإِسلَامِ الحَجَّ، وَالَّذِي لَا يُمكِنُ أَدَاؤُهُ إِلَّا فِيهَا لاحتِوَائِهَا عَلَى جَمِيعِ المَشَاعِرِ العِظَام.

إِنَّهَا مَكَّةُ المُكَرَّمَة، حَيثُ مَهبِطُ الوَحيِّ، وَنُزُول القُرءَان، وَفِيهَا خَرَجَ النُّورُ المُبِين لِهِدَايَةِ النَّاسِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ، مِنَ الشِّركِ إِلَى التَّوحِيد، مِنَ عِبَادَةِ الأَصنَامِ إِلَى عِبَادَةِ المَلِكِ السَّلام.

تَجَوَّلنَا بَينَ أَودِيَتِهَا وَجِبَالِهَا وَالمَشَاعِرِ فِيهَا، وَعِشنَا فِي لَحَظَاتٍ جَمِيلَةٍ وَالشَّوقُ يَغلِبُنَا لِزِيَارَةِ تِلكَ الأَمَاكِنِ المُبارَكَة، تِلكَ الأَمَاكِنُ الَّتِي زَارَهَا الأَنبِيَاءُ وَالمُرسَلِين، وَنَزَلُوا فِيهَا.

تِلكَ الأَمَاكِنُ الَّتِي زَارَهَا الحَبِيبُ المُصطَفَى ﷺ وَجَلَسَ فِيهَا، فَكَيفَ لَا تَكُونُ رِحلَةً مُبَارَكَةً وَفِيهَا السُّرُورُ وَالابتِهَاج.

ثُمَّ زُرنَا وَتَجوَّلنَا فِي بَلَدِ الحَبِيبِ المَحبُوبِ ﷺ، فِي البَلَدِ الَّتِي فِيهَا قِبْلَةُ القُلُوبِ وَالأَروَاحِ.

إِنَّهَا المَدِينَةُ المُنَوَّرَة، وَمَا أَدرَاكَ مَا المَدِينَةُ، يَكفِيهَا شَرفًا وَفَخرًا أَنَّ فِيهَا الحَبِيبَ المَحبُوبَ ﷺ.

إِنَّهَا المَدِينَةُ المُنَوَّرَة، وَالَّتِي لِسَان حَالِهَا يَقُولُ:

أَنَا المَدِينَةُ مَن فِي الكَوْنِ يَجْهَلُنِي
وَمَن تُرَاهُ دَرَى عَنِّي وَمَا شُغِلا

أَنَا المَدِينَةُ مَن فِي الكَوْنِ يَجْهَلُنِي
أَيُجْهَلُ النَّجْمُ فِي اللَّيْلِ إِذَا اشْتَعَلا

أَنَا المُنَوَّرَةُ الفَيْحَاءُ ذَا نَسَبِي
إِذَا البُدُورُ رَأَتْنِي أَطْرَقَتْ خَجَلا

إِنَّهَا بَلدَةُ الحَبِيبِ طَهَ ﷺ، إِنَّهَا بَلدَةُ الأَنصَارِ مِنَ الأَوسِ وَالخَزرَج، الَّذِينَ حُبُّهُم مِنَ الإِيمَانِ وَبُغْضُهُم مِنَ النِّفَاقِ.

تَجَوَّلنَا فِيهَا وفِي مَسَاجِدِهَا الَّتِي صَلى فِيهَا سَيِّدُنَا مُحمَّد ﷺ، تَجوَّلنَا فِيهَا وَفِي أَمَاكِنَ جلسَ وَاضطَجعَ وَنَامَ فِيهَا المُصطَفَى ﷺ.

تَجَوَّلنَا فِيهَا وَفِي أَودِيَتِهَا وَجِبَالِهَا وَءَابَارِهَا وَبَسَاتِينِهَا وَمَقْبَرَتِهَا وَمَا فِيهَا مِنَ الآثَارِ الشَّرِيفَةِ الَّتِي لَهَا تَعَلُّقٌ بِالحَبِيبِ المُصطَفَى ﷺ.

وَفِي النِّهَايَةِ سُرِرنَا وَابتَهَجنَا بِهَذِهِ الزِّيَارَاتِ الطَّيِّبَةِ، وَعِشْنَا فِي لَحظَاتِ أُنسٍ وَبَهْجَةٍ وَسُرُورٍ، لِنُكَحِّلَ أَعيُنَنَا بِرُؤْيَتِهَا، وَنَشتَاقَ أَكثَرَ وَأَكثَرَ لِزِيَارَتِهَا مَرَّاتٍ وَمَرَّات.

وَالحَمدُ للهِ رَبِّ العَالَمِين.

فيض السُيول في زيارة الأماكن التي كان فيها الرسول ﷺ - رمضان ٢٠٢٣ - ١٤٤٤هـ
مع فضيلة الشيخ الدكتور جميل حليم الحسيني

	إسم الموقع Name	الموقع الجغرافي Google Maps	رابط الفيديو YouTube
١	مكتبة مكّة المكرمة	https://goo.gl/maps/jEmhE-zqZ4CsURUhYA	https://youtu.be/xM-JEe8_OS1w
٢	قبر أم المؤمنين ميمونة رضي الله عنها	https://goo.gl/maps/5wnk3g5SEp6ayXJF9	https://youtu.be/QSZB-K6aayAI
٣	مقبرة شهداء بدر رضي الله عنهم	https://goo.gl/maps/o5sVk-KqwCra9CUnG6	https://youtu.be/ySH-3ni2njzw
٤	القُبّة الخضراء	https://goo.gl/maps/w86LR-3JRT2CEU8kr6	https://youtu.be/0BXBCogkzAA
٥	ثنيّاتُ الوداع	https://goo.gl/maps/KbPdCf-gVxLGsXRoD7	https://youtu.be/qu5HJ-PCIkI
٦	بِئرُ الشفاء أو (بئر العليا بالأثود)	https://goo.gl/maps/naQJP8k-9wpqvMZyz9	https://youtu.be/JgHD0c-SZxIo
٧	بئر الروحاء - طريق بدر	https://goo.gl/maps/8ahSVVC5vQQDAYqS7	https://youtu.be/ofZx-ivzC_zM
٨	موضع كُبِرَت فيه رُباعيَة النبي ﷺ	https://goo.gl/maps/BtKyB5FXS-vRE4WhS8	https://youtu.be/qIiBhxB-HEUk
٩	بئر عِذق في بستان المستظل قرب مسجد قباء	https://goo.gl/maps/AmXoazb-2CzmXKuDx6	https://youtu.be/8sqjA0iGjSo
١٠	مسجد العُصبة بئر الهجيم	https://goo.gl/maps/GkAp-W1kJs1qMAGD78 https://goo.gl/maps/3iPNxpidzEhBbTnS9	https://youtu.be/mr4aBiT4UWA

١١	بئر تربة الشفاء (تربة صعيب بستان الشفاء)	https: / /goo.gl /maps / GWqY2J9wVWKy6VRF6	https: / /youtu.be /UK_ z0BdljZ0
١٢	مسجد المُصبَّح - قرب مسجد قباء	https: / /goo.gl /maps /R8R474uA- JgQQuS1E7	https: / /youtu. be /2ItnLRqO1IE
١٣	بئر بيرحاء	https: / /goo.gl /maps /ssGH- WHEBNpqVXdzWA	https: / /youtu. be /1jhc0SakjNc
١٤	مسجد الجُمُعة	https: / /goo.gl /maps /LQgvgMD- PExoqX69y6	https: / /youtu.be / zG5v9ZnXPnw
١٥	الروضة الشريفة	https: / /goo.gl /maps /DYm- cugDNY83rA9p37	https: / /youtu.be /IFU- cR9qlG8k
١٦	بيت أبي أيوب الأنصاري	https: / /goo.gl /maps /aD4Nn9W- 59FCUZqEXA	https: / /youtu.be /pt- BQLQenyxs
١٧	بئر الفقير	https: / /goo.gl /maps /zkd9Pox- DdsvwAwci9	https: / /youtu.be / A6QeeCquEE8
١٨	بئر ومزرعة سلمان	https: / /goo.gl /maps /Qb8HEzG- swV5zzKyR9	https: / /youtu.be /fH_ dhJ9SG2A
١٩	بئر العهن	https: / /goo.gl / maps /1icLrVBY2bDtVvJ98	https: / /youtu.be /dmZ- vwSiHHHk
٢٠	سقيفة بني ساعدة	https: / /goo.gl /maps /sbkRZ2t6n- sHnknkk6	https: / /youtu.be / maZ00sEpbHo
٢١	مسجد قباء	https://goo.gl/maps/mQNJCvWE- Jk6fCGjJ9	https://youtu.be/S6TJVw- fXkQU
٢٢	مسجد الغمامة	https://goo.gl/maps/Heu- 9fqS7q1f9tVb18	https://youtu. be/7NeALA3Vro0
٢٣	مسجد الإجابة	https://goo.gl/maps/mcxMVGda- QnEErKLZA	https://youtu.be/NoCd- POCMwoQ

٢٤	مسجد أبي بكر الصديق	https://goo.gl/maps/bj2Td6oJHu-VqVec48	https://youtu.be/5f867SKajCI
٢٥	جبل أحد	https://goo.gl/maps/SJ3Hro-MUAfBpC5nN6	https://youtu.be/iSlrWw-ZzN6A
٢٦	مسجد الفتح	https://goo.gl/maps/SZjksmG-D5YSDPmHy8	https://youtu.be/JDlj-mEX8a88
٢٧	بئر غرس	https://goo.gl/maps/mgZAiPS8R-wEQbD5B6	https://youtu.be/3IQya_0tarw
٢٨	مكان صلّى فيه النّبي صلى الله عليه وسلم على ابنه ابراهيم	https://goo.gl/maps/3VYTXfA48Kc17cCWA	https://youtu.be/ZIx17kfC-g8
٢٩	قبر أسد الله حمزة	https://goo.gl/maps/LJgXodFsWn-Lt3Hb47	https://youtu.be/KANumqWCYn8
٣٠	البقيع	https://goo.gl/maps/scsi3oxtX-ABYXbNY6	https://youtu.be/fAfBhqr-jxxk
٣١	مَسجدُ التّنعِيم، المُسمّى بِمسجِد أمّ المُؤمنين السيّدة عائشةُ رَضي الله عنها - مكة المكرمة	https://goo.gl/maps/3kTFQk5jZS4e7ARQ6	https://youtu.be/8kiltEFZafk
٣٢	حليب الإبل في المدينة المنورة	https://goo.gl/maps/BExhxF-39Spy4F6XF6	https://youtu.be/0JNvBK_v8l4
٣٣	ماءُ زمزم	https://goo.gl/maps/3JeyHwUw4foqXTaBA	https://youtu.be/VnMlL-gqhM3Y
٣٤	السّعي في المسعى الجديد لا يصح	https://goo.gl/maps/gqG1QavM-Wnot97cQ6	https://youtu.be/sryf-9cpoE84

٣٥	هُنا سعى الرّسول ﷺ سعيًا شديدًا بين الميلين الأخضرين	https://goo.gl/maps/gqG1QavM-Wnot97cQ6	https://youtu.be/_4MqlDsE5js
٣٦	مسجد القبلتين	https://goo.gl/maps/PgZvstkTZC-MWkWuK6	https://youtu.be/nbHblqr-7Wvs
٣٧	الدعاء عند صياد الأسود أسد رسول الله ﷺ وعمه وأخوه من الرضاعة، حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه وأرضاه	https://goo.gl/maps/LJgXodFsWn-Lt3Hb47	https://youtu.be/U9u7vz_9rmg
٣٨	قبر سيدنا الجليل عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما الذي وصفه الرسول ﷺ بأنه صالح	https://goo.gl/maps/s2ZT7UFWUt-vBHb868	https://youtu.be/puQxinx_0Qw
٣٩	القبر المنسوب لنبي الله هارون عليه السلام في أعلى قمة جبل أحد - المدينة المنورة	https://goo.gl/maps/zddV9mk4d-dxP9a7Q9	https://youtu.be/Y1y2p-CRhPb4
٤٠	الدعاء عند القبر المنسوب لنبي الله هارون عليه السلام في أعلى قمة جبل أحد - المدينة المنورة	https://goo.gl/maps/zddV9mk4d-dxP9a7Q9	https://youtu.be/O4w-pRpvrmSA
٤١	العودة والنزول من الجبل بعد زيارة القبر المنسوب لنبي الله هارون عليه السلام	https://goo.gl/maps/zddV9mk4ddx-P9a7Q9	https://youtu.be/uGr5l-CvX3c8
٤٢	حَمامُ المَدينةِ المُنَوَّرَةِ ويُسَمَّى حمام الحِمَى عِنْدَ سَيِّدِ الشُّهداءِ حَمزَةَ رَضِيَ الله عنه	https://goo.gl/maps/Dn9GviMEH2si-u4bp9	https://youtu.be/0GTbVAVkDyk

٤٣	من الأراضي المقدسة، من أمام الكعبة المشرفة دعاء للمسلمين وبلاد المسلمين	https://goo.gl/maps/XxndRqELX-mGRrQnu6	https://youtu.be/9lhOyMpa2Ew
٤٤	دعاء من الروضة الشريفة المباركة	https://goo.gl/maps/s9KPaCp-peeygMCy38	https://youtu.be/mIi6T9m-2n1Y
٤٥	رسول الله ﷺ زار قبر أمه وأطال عندها	https://goo.gl/maps/AyzmvxBMPVS-BYys17	https://youtu.be/iRLxugUG-GCw
٤٦	هنا قبر أم المؤمنين السيدة الجليلة الفاضلة العظيمة خديجة بنت خويلد حبيبة رسول الله ﷺ ورضي الله عنها	https://goo.gl/maps/mmCaQA-NMC7t328SA	https://youtu.be/wI4JlrdIjP0
٤٧	هنا قبر الصحابية الصابرة البطلة أسماء ذات النطاقين بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما	https://goo.gl/maps/3omrfXnY7jxg5C996	https://youtu.be/fRUGYh-7h3Dc
٤٨	قبر الصحابي الجليل الذي جمع بين الكثير من خصال الخير والبطولة والتقوى والجرأة عبد الله ابن الزبير	https://goo.gl/maps/3omrfXnY7jxg5C996	https://youtu.be/xHExViPk-koo
٤٩	جبل الرماة في أحد - المدينة المنورة	https://goo.gl/maps/yXht8p2KADaS-C7Jw9	https://youtu.be/i8wZY-wTHzSM

القَلائِد

فِيمَا أُجمِعَ علَيهِ مِن العَقائِد

للشيخ جميل حليم الأشعري الشافعي
دكتور محاضِر في العقائد والفِرَق
غفر الله له ولوالديه ولمشايخه

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمدُ للهِ الَّذي بَعَثَ سَيِّدَنا مُحمّدًا بالمَحَجّةِ البَيضاءِ، وَجَعَلَ سَبِيلَ أُمَّتِه السَّبِيلَ السَّواءَ، وأَشهَدُ أن لا إله إلّا اللهُ شَهادةً أنجُو بِها يَومَ القِيامةِ مِن الرَّمْضاء، وأَشهَدُ أنّ سيّدَنا مُحمَّدًا سيِّدُ الرُّسل والأنبياءِ، اللَّهُمَّ صَلِّ وسَلِّم وزِدْ وبارِك وأَنعِمْ وأَكرِمْ علَيه وعلَى ءالِه وأَصحابِه ما عادَتِ الشَّمسُ علَى الدُّنيا بالنُّور والضِّياءِ.

أمّا بَعدُ، فإنَّ أقوامًا مِن المَخذُولِينَ قد تَنطَّعُوا في أيّامِنا بِدَعوَى تَعمِيم الاجتِهادِ وأنّهُم قد استَوَوا معَ الأئِمّة الفُحولِ الأعلام بِدَعوَى أنهّم رِجالٌ وأولئكَ رِجالٌ، وهَيهاتَ هَيهاتَ ﴿قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَۗ﴾، ثُمّ زادُوا في غَيِّهِم يَعمَهُون حتَّى أنكَرُوا حُجّيةَ الإجماعِ؛ فأَرَدتُ أنْ أجمَعَ أصُولًا أُجمِعَ علَيها عُلَماءُ المُسلِمِينَ فِي العَقِيدة، وقدَّمتُ لذَلِكَ مُقدِّمةً فِي مَعنَى الإجماعِ وانعِقادِه، راجِيًا مِن اللهِ تَعالَى أنْ يَنفَع بِها طالِبِي الحَقِّ، وَهو حَسْبِي ونِعمَ الوَكِيلُ.

معنَى الإجماعِ وحُجّيَّته وبَيانُ كَيفِيَّةِ انعِقادِه

اعلم أنّ الإجماع لغةً يطلق بمعنيين: أحدُهما العَزمُ علَى الشّيء، والثّاني الاتّفاقُ، وأمّا اصطِلاحًا فاتّفاق أهلِ الحَلّ والعَقدِ - وهم مُجتَهِدُو أمّةِ محمّدٍ ﷺ - في عَصرٍ مِن العُصورِ على أمرٍ دِينِيّ.

ودليلُ حُجِّيَةِ الإجماعِ قولُ اللهِ تعالَى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ۝١١٥﴾[1]؛ ووَجهُ الحُجّة أنّه تَعالَى جَمَعَ بَينَ مُشاقّةِ الرّسولِ ﷺ واتِّباعِ غَيرِ سَبِيلِ المُؤمِنين في الوَعِيد في قَولِه ﴿نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ﴾ فيلزَم تَحرِيمُ اتِّباعِ غَيرِ سَبِيل المؤمِنِين لأنّه لَو لَم يَكُن حَرامًا لَما جَمَعَ بَينَه وبينَ المُحرَّم الّذي هو مُشاقّةُ الرّسولِ ﷺ، لأنّ الجَمعَ بَينَ حَرامٍ ونَقِيضِه لا يَحسُن في وَعِيدٍ، فدَلّ ذلكَ علَى أنّ اتّباعَ غَيرِ سَبِيلِهم حَرامٌ، وإذا حَرُم اتِّباعُ غَيرِ سَبِيلِهم كان اتّباعُ سَبِيلِهم واجِبًا، إذْ لا واسِطةَ بَين السَّبِيلَين، وإنْ ثَبَتَ وُجوبُ اتِّباعِ سَبِيلِهم ثَبَتَتْ حُجِّيّةُ الإجماعِ.

فإذا اتَّفَق المُجتهِدُون في عَصرٍ على شيءٍ فهو إجماعٌ وحُجّةٌ، فلا يَصِحُّ أنْ يأتِيَ بَعدَهم مَن يَنقُض ما اتَّفَق عليه السّابِقُون.

وقد ادَّعَى بعضُ المَلاحِدة أنّ هذا الدِّين كَثِيرُ الاختِلاف لا يَصلُح اتِّباعُه ولا يُعرَف الصّوابُ مِنه، فرَدَّ علَيهِم الفُحول مِن العُلماءِ كأبي إسحاق الإسفراييني فقال: «نحنُ نَعلَم أنّ مسائِلَ الإجماعِ أكثَرُ مِن

---

(١) سورة النِّساء، (١١٥).

عِشرِينَ ألفَ مَسألةٍ، وبهذا يُرَدّ قولُ المُلحِدة: إنّ هذا الدِّينَ كَثِيرُ الاختِلافِ إذْ لَو كان حقًّا لما اختَلَفُوا فيه. فنَقُول: أخطَأتَ، بل مَسائِلُ الإجماعِ أكثَرُ مِن عِشرِينَ ألفَ مَسألةٍ، ثُمّ لَها مِن الفُروعِ الّتي يَقَعُ الاتِّفاقُ مِنها وعلَيها وهي صادِرةٌ عن مَسائِل الإجماعِ الّتي هي أُصُولُ أكثَر مِن مائةِ ألفِ مَسألةٍ»، ذكَره في «شَرح التّرتيب» نقلَه عنه الزّركَشيُّ[1].

الإجماعُ فِي العَقائِد

اعلَم أنّ أهلَ السّنّةِ والجماعة قد أجمعُوا على أنّ الحقائِقَ ثابِتةٌ والعِلمُ بِها مُتحقِّق[2].

وأنَّ أسبابَ العِلم هِي الحواسّ الظّاهِرة السّلِيمةُ والخَبرُ الصّادِقُ والعَقلُ[3].

وأنّ العالَمَ عُلوِيَّه وسُفلِيَّه مُحْدَث بِجنسِه وأفرادِه وجواهِرِه وأعراضِه[4].

وأنّ اللهَ خالقُ العالَم لا يُماثِله ولا يُشابِهه شَيء في ذاتِهِ ولا في صِفاتِه ولا أفعالِه[5]، فليسَ سُبحانَه وتعالَى بِجسمٍ ولا عَرَضٍ[6]، بل

---

(١) البحر المُحِيط في أصول الفقه، بدر الدّين الزّركَشِيّ، (٦/ ٣٨٤).

(٢) المِنَن الكبرى (لَطائف المِنَن والأخلاق)، عبد الوهّاب الشّعرانيّ، (ص/ ٦٥٢).

(٣) حاشية على شرح العقائد النسَفيّة، عصام الإسفراييني، (ص/٤٦).

(٤) الفَرق بين الفِرَق، أبو منصور البغدادي، (ص/ ٣١٥).

(٥) إتحاف السّادة المتّقين، محمد مرتضى الزَّبِيديّ، (٢/ ٣٥).

(٦) التعرُّف لمذهب أهل التصوُّف، أبو بكر الكلاباذي، (ص/ ٤١).

هو واحدٌ لا شريك له[١]، قَديمٌ لا بِدايَة له، باقٍ لا نِهايَةَ له[٢]، مُرِيدٌ لا ءامِر له، شاءٍ لا يَكون إلَّا ما يُرِيد[٣]، قادِرٌ لا شَىءَ يُعجِزهُ[٤]، عالمُ الغَيبِ والشَّهادَةَ[٥]، سَميعٌ بَسمعٍ من غَير أُذُن[٦]، بَصِيرٌ بِبصَرٍ من غيرِ حَدَقَة[٧]، مُتكلِّمٌ بِكلامٍ واحدٍ ليس بِحرفٍ ولا صَوتٍ ولا لُغَةٍ[٨]، حَيٌّ قيُّومٌ أَحدٌ صَمدٌ، لَمْ يَلِدْ ولم يُولَدْ، لا تُدرِكُهُ الأوهامُ والأفهامُ[٩]، مَهْما تَصوَّرْتَ بِبالِكَ فاللهُ لا يُشبِهُ ذلِكَ، وأنّ صفاتِه الذّاتِيّةَ أَزليّة أَبَدِيّة وليسَتْ عَين الذّاتِ ولا غيرَه[١٠].

وأَنَّ اللهَ تعالَى كانَ قبلَ كُلِّ شيءٍ[١١]، وهو مُستَغنٍ عمّا سِواهُ، فلا تَحوِيهِ الجِهاتُ ولا تَكتَنفُه الأرضُونَ والسَّماواتُ[١٢]، وأنَّه استَوَى كما أَخبَرَ لا كما يَخطُرُ للبَشَر.

وأَنَّ اللهَ خالِقُ الجَواهِر والأَجسامِ والأَعمالِ والحرَكاتِ والسَّكَناتِ

---

(١) الأنوار القُدسيّة، عبد الوهّاب الشّعرانيّ، (ص/١٣).
(٢) أصول الدِّين، أبو منصور البغدادي، (ص/٩١).
(٣) الإنصاف فيما يجب اعتِقادُه ولا يجوز الجَهلُ به، أبو بكر الباقلّاني، (ص/١٣).
(٤) التعرُّف لمذهب أهل التصوُّف، أبو بكر الكلاباذي، (ص/ ٣٥).
(٥) التعرُّف لمذهب أهل التصوُّف، أبو بكر الكلاباذي، (ص/ ٣٥). الإقناع في مسائل الإجماع، أبو الحسَن القَطّان، (١/ ٣٥).
(٦) الإقناع في مسائل الإجماع، أبو الحسَن القَطّان، (١/ ٣٥).
(٧) المصدر السابق.
(٨) التعرُّف لمذهب أهل التصوُّف، أبو بكر الكلاباذي، (ص/ ٤٠).
(٩) التعرُّف لمذهب أهل التصوُّف، أبو بكر الكلاباذي، (ص/ ٣٥).
(١٠) التعرُّف لمذهب أهل التصوُّف، أبو بكر الكلاباذي، (ص/ ٣٧).
(١١) الإقناع في مسائل الإجماع، أبو الحسَن القَطّان، (١/ ٥٦).
(١٢) الفَرق بينَ الفِرَق، أبو منصور البغدادي، (ص/ ٣٢١). الإرشاد إلى قواطِع الأدِلّة، أبو المَعالي الجُوَينيّ، (ص/ ٢١). التفسير الكبير، فخر الدّين الرازيّ، (٢٩/ ٤٤٩).

والخَواطِرِ والنِّيَّاتِ والخيرِ والشَّرِّ والقَبيحِ والحسَنِ[1].

وأنَّ للعبدِ مَشِيئةً هي تابِعةٌ لمشِيئةِ اللهِ، فمَن أنكَرَها أو جعلَها بِخَلقِ العَبدِ فقد كفَرَ[2].

والاستِطاعةُ نَوعان:

استِطاعَةٌ سابِقَةٌ على الفِعل وهِي سَلامةُ الأسبابِ والآلاتِ وبِها يكُونُ صِحَّة التَّكلِيف.

واستِطاعةٌ تُقارِنهُ وهي حقيقةُ القُدرةِ الَّتِي يَكونُ بِها الفِعلُ.

وَأجمَعُوا أَنَّ اللهَ تعالى يُثِيبُ فَضلًا وَيُعاقِبُ عدلًا وَيرزُقُ كرَمًا[3]، ويُضِلُّ مَن يَشاء وَيهدِي مَن يَشاء.

وأنَّ تَعذِيبَهُ المُطِيعَ وإِيلامَه الدَّواب وَتَوجِيعَهُ الأَطفال ليسَ مِنه بِظلم[4] بلِ اتِّصافُهُ بالظُّلم مُحالٌ[5].

وَأَنَّ القُرءانَ كلامُ اللهِ عزّ وجلّ لا يُشبِهُ كلامَ المَخلُوقِينَ، وأَنَّ اللَّفظَ المُنَزَّل الَّذِي نَزَلَ بِه جِبريلُ علَى سيِّدِ الأَنبياءِ والمُرسَلِين لَيسَ عَينَ الكَلام الذّاتِيّ بل هو عِبارةٌ عنهُ[6]، وَكُلٌّ يُسمَّى قُرءانًا.

---

(١) إتحاف السّادة المتّقين، محمد مرتضى الزَّبِيديّ، (٢/ ٤٤٨).

(٢) التعرُّف لمذهب أهل التصوُّف، أبو بكر الكلاباذي، (ص/ ٤٤).

(٣) التعرُّف لمذهب أهل التصوُّف، أبو بكر الكلاباذي، (ص/ ٦٢). أبكار الأفكار في أصول الدّين، سيف الدّين الآمديّ، (٢/ ٢٢٤).

(٤) الإقناع في مسائل الإجماع، أبو الحسَن القَطّان، (١/ ٥٧).

(٥) التعرُّف لمذهب أهل التصوُّف، أبو بكر الكلاباذي، (ص/ ٥١).

(٦) التعرُّف لمذهب أهل التصوُّف، أبو بكر الكلاباذي، (ص/ ٣٩). المِلَل والنِّحَل، أبو الفتح الشّهرستانيّ، (١/ ٨٩). نهاية العُقول في دراية الأصول، فخر الدّين الرازيّ، (٢/ ٣١٥).

وَنُؤمِنُ بِمُحكَم الكِتابِ وَمُتَشابِهِه وَنَقُول كُلٌّ مِن عِندِ اللهِ - والمُحْكَماتُ هُنَّ أُمُّ الكِتابِ - وَنُنَزِّهُهُ عزّ وجلّ عَمّا تَقتَضِيهِ ظَواهِر المُتشابِهات مِن كُلّ وَصفٍ لا يَلِيقُ بِجَلالِه.

وَأَنَّ الرِّزقَ ما يَنفعُ وَلَو مُحَرَّمًا، والشَّيءُ هُو المَوجُودُ وَلَو قَدِيمًا.

وَأَنَّ الأَجلَ واحِدٌ والمَيِّتُ مَقتُولٌ بِأَجَلِهِ[(١)].

وَأَنَّ الرُّوحَ مَخلُوقَةٌ حادِثَةٌ[(٢)].

وَأَنَّ اللهَ بَعَثَ الأَنبِياء مُبَشِّرِينَ وَمنذِرِينَ، فَضَّلَهم على سائِرِ العالَمِينَ، أَوَّلُهُم ءادَم، وءاخِرُهم وأَفضَلُهُم مُحمَّد صلوات رَبّي وسلامه عليهم أجمَعين[(٣)]، أَيَّدَهُم بالمُعجِزاتِ الدّالَّةِ على صِدقِهِم، وَأَنزَلَ على بَعضِهم كُتُبًا.

وَأَنَّهُ يجِبُ لِكُلٍّ مِنهُم الصِّدق والأَمانَة والفَطانَة والعِفَّة والتَّبلِيغ[(٤)]، وَيستَحِيلُ عليهم كُلُّ ما يُنَفِّرُ عن قَبولِ دَعوَتِهم، وَيَجُوزُ فِي حَقِّهم الأَعراضَ الَّتي لا تَقدَحُ في مَراتِبِهم[(٥)].

وَأَنَّ عذابَ القَبرِ ونعِيمَه وسُؤالَ المَلَكَينِ والقِيامَةَ والبَعثَ والحَشرَ والحِسابَ والمِيزانَ والصِّراطَ والحَوضَ والشَّفاعَة حَقٌّ[(٦)].

وَأَنَّ الجَنَّةَ والنّارَ مَخلُوقتانِ لا تَفنَيانِ ولا تَبِيدانِ، وأَنَّ العَذابَ

---

(١) التعرُّف لمذهب أهل التصوُّف، أبو بكر الكلاباذي، (ص/٥٧).
(٢) البحر المحيط في التفسير، أبو حيّان الأندلسيّ، (٧/١٠٦).
(٣) أصول الدِّين، أبو منصور البغدادي، (ص/١٧٧).
(٤) المُحرَّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عَطِيّة الأندلسيّ، (١/٢١١).
(٥) التعرُّف لمذهب أهل التصوُّف، أبو بكر الكلاباذي، (ص/٦٩-٧٠).
(٦) الإقناع في مسائل الإجماع، أبو الحسَن القَطّان، (١/٥٠-٥٣).

والنَّعِيمَ في القَبرِ وَيوم القِيامَة وفِي الجَنَّة والنّارِ بالرُّوحِ والجَسَدِ[1].

وَأَنَّ المُؤمِنِينَ يَرَونَ اللهَ يَومَ القِيامَةِ بلا كَيفٍ ولا مَكانٍ ولا جِهةٍ لا كَما يُرَى المَخلُوق[2].

وأنَّ المَلائِكَةَ عبادٌ للهِ مُكرَمُونَ، ليسُوا ذُكُورًا ولا إناثًا[3]، لا يأكُلون ولا يَشرَبونَ ولا يَنامُونَ ولا يَتناكحُونَ ولا يَتعبُونَ[4]، لا يَعصُون اللهَ ما أمَرَهُم ويَفعلونَ ما يُؤمَرُون[5].

وأنّ الجِنَّ موجُودُونَ[6]، أَبُوهُم الأوّل إبلِيسُ، وهم مُكلَّفُونَ مُتَعَبَّدُون فمِنهُم الصّالِحُ ومِنهُم الطّالِحُ.

وأنَّ شَرِيعَة سَيّدنا محمّدٍ قد نَسَخَتْ ما خالَفها مِن الشَّرائِعِ أجمَعِين[7].

وأنَّ كَراماتِ الأولياءِ حَقٌّ[8].

---

(١) الإقناع في مسائل الإجماع، أبو الحسَن القَطّان، (١/ ٥٢). أصول الدِّين، أبو منصور البغدادي، (ص/ ٢٦٣).

(٢) المنهاج في شرح صحيح مُسلِم بن الحَجّاج، محيي الدِّين النوويّ، (٣/ ١٥). التعرُّف لمذهب أهل التصوُّف، أبو بكر الكلاباذي، (ص/ ٤٢).

(٣) قال الله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا۟ ٱلۡمَلَـٰۤىِٕكَةَ ٱلَّذِینَ هُمۡ عِبَـٰدُ ٱلرَّحۡمَـٰنِ إِنَـٰثًاۚ أَشَهِدُوا۟ خَلۡقَهُمۡۚ﴾ [سُورة الزُّخرُف: ١٩].

(٤) قال تعالى: ﴿یُسَبِّحُونَ ٱلَّیۡلَ وَٱلنَّهَارَ لَا یَفۡتُرُونَ ۝٢٠﴾ [سُورة الأنبياء: ٢٠].

(٥) قال تعالى: ﴿یَـٰۤأَیُّهَا ٱلَّذِینَ ءَامَنُوا۟ قُوۤا۟ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِیكُمۡ نَارࣰا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَیۡهَا مَلَـٰۤىِٕكَةٌ غِلَاظࣱ شِدَادࣱ لَّا یَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَاۤ أَمَرَهُمۡ وَیَفۡعَلُونَ مَا یُؤۡمَرُونَ ۝٦﴾ [سُورة التَّحريم: ٦].

(٦) أبكار الأفكار في أصول الدِّين، سيف الدِّين الآمديّ، (٤/ ٣١).

(٧) رَوضة النّاظِر، ابن قُدامة المقدِسيّ، (١/ ٢٢٩).

(٨) التعرُّف لمذهب أهل التصوُّف، أبو بكر الكلاباذي، (ص/ ٧١). الفَرق بينَ الفِرَق، أبو منصور البغدادي، (ص/ ٣١٠).

وأنَّ التَّوسُّلَ إلى اللهِ بالذَّواتِ الفاضِلَةِ والأعمالِ الصَّالِحَةِ والتَّبرُّكَ بآثارِ الأنبياءِ والصَّالِحِينَ حَسَنٌ(1).

وأنَّ شَدَّ الرِّحالِ بِقصدِ زيارةِ قَبرِ النَّبِيِّ ﷺ وغيرِه مِن الأولياءِ والصَّالِحِينَ قُربَةٌ إلى اللهِ(2).

وأنَّ الأمواتَ يَنتَفِعُونَ بِدُعاءِ الأحياءِ لهُم وتَصدُّقِهم عنهم وقراءتِهم القُرءان عندَهم(3).

وأنَّ التَّحذِيرَ مِن أهلِ البِدَعِ واجِب(4).

وَأنّا لا نُكَفِّرُ أحدًا مِن أهلِ القِبلةِ بِذَنبٍ ما لَم يَستَحِلَّه.

وأنَّ المَعصِيَةَ وَلَو كَبِيرةً لا تُخرِج مُرتكِبَها مِن الإيمان(5).

وَأنَّ اللهَ لا يَغفِرُ الكُفرَ لِمَن ماتَ عَلَيهِ وَيغفِرُ ما دُونَ ذَلكَ لِمَن يَشاء(6).

وَأنَّه قَد أُسرِي بِالنَّبِي وعُرِجَ بِشَخصِهِ فِي اليَقَظَةِ إلَى حيثُ شاءَ اللهُ مِن العُلَى(7).

---

(1) شِفا السَّقام في زيارة خير الأنام ﷺ، تقيّ الدّين السُّبكيّ، (ص/121).

(2) المصدر السّابق.

(3) الإمتاع بالأربعين المُتباينة السَّماع، ابن حجَر العسقلانيّ، (ص/79).

(4) قال الله تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾ [سُورة ءال عِمران: 104].

(5) شرح رسالة القَيروانيّ، ابن ناجِي التَّنُوخيّ، (ص/56).

(6) قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾ [سُورة النِّساء: 48].

(7) التبصير في الدّين، أبو المظفّر الإسفراييني، (ص/177).

وأنَّ المِيثاقَ الّذِي أَخذه اللهُ تعالى مِن ءادَم وَذُرِّيَّته حَقٌّ[1].

وأنَّ ظُهورَ المَهدِيِّ وَخُرُوجَ المَسِيحِ وَيأجُوجَ وَمَأجُوجَ وَنُزُولَ عِيسَى ابن مَريمَ عليه السلام وطلوعَ الشَّمسِ مِن مغربِها وسائرَ ما أخبَر بِه النَّبِيّ عليه الصلاة والسلام مِن الغَيبِيّات كُلّ ذلك حقٌّ.

وأنَّ خَيرَ القُرُونِ قَرْن رَسولِ الله ﷺ وأصحابِه ثمّ الّذين يلُونَهم ثمّ الّذين يلُونَهم[2]، وأنَّ أَفضلَ الصَّحابَةِ والخُلَفاء الرّاشِدُونَ المَهدِيُّونَ[3]، وأنّا نَعتَرفُ بِفضلِ أَهلِ بَيتِ رَسولِ اللهِ ﷺ وأزواجِه أُمَّهات المؤمِنِينَ.

وأنَّه يَجبُ علَى النّاسِ نَصبُ إمامٍ[4] وَلَو مَفضُولًا، وأنّ طاعَةَ الإمامِ العادِلِ واجِبةٌ[5].

وأنَّ إمامَةَ أَبِي بَكرٍ وَعُمَرَ وَعُثمانَ وَعَلِيّ كانَت حَقَّة[6] وأنّ عليًّا أَصابَ في قِتالِ أَصحابِ الجَمَلِ وأَهل صِفِّين وأَهل النَّهرَوان[7]، وأَنّ عائِشَةَ مُبَرَّأَةٌ مِنَ الزِّنا.

وأنَّ أَبا الحَسَنِ الأَشعَرِيَّ وأَبا مَنصُورِ الماتُرِيدِيَّ كُلّ مِنهُما إمام لأَهلِ السّنّةِ مُقدَّم.

---

(١) قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ﴾ [سُورة الأعراف: ١٧٢].

(٢) الإقناع في مسائل الإجماع، أبو الحسَن القَطّان، (١/ ٥٨).

(٣) المصدر السابق، (١/ ٥٩).

(٤) المنهاج في شرح صحيح مُسلِم بن الحَجّاج، محيي الدّين النوويّ، (١٢/ ٢٠٥).

(٥) الإقناع في مسائل الإجماع، أبو الحسَن القَطّان، (١/ ٦٠).

(٦) التبصير في الدّين، أبو المظفَّر الإسفرايِيني، (ص/ ١٧٨).

(٧) نقلَه عبد القاهِر الجُرجانيّ في كتابِه «الإمامة» وعنه القُرطبي. التّذكِرة بأحوال الموتَى وأمور الآخرة، شمس الدّين القُرطبيّ، (ص/ ١٠٨٩).

وأَنَّ طَريقَ الإِمامِ الجُنَيدِ البَغْدادِيِّ طَريق قَويمٌ، وَأَنَّ الشَّافِعِيَّ وَأَبا حَنِيفَةَ وَصاحِبَيهِ وَمالِكًا وأَحمدَ وَسُفيانَ وَسائِرَ أَئِمَّةِ الإِسلامِ أَئِمَّة هُدَى واختِلافهم رَحمَة بالأَنامِ.

وأَنَّ الصَّلاةَ تَجوزُ خَلفَ علَى كلِّ بَرٍّ وفاجِرٍ مِن المُسلِمِينَ.

وَأَنَّ المَسحَ عَلَى الخُفَّينِ جائِزٌ فِي الحَضَرِ والسَّفَرِ.

وأَنَّ الحَجَّ والجِهادَ فَرْضانِ ماضِيانِ مَع أُولِي الأَمرِ مِن أَئِمَّةِ المُسلِمِينَ إِلى قِيامِ السَّاعَةِ.

والحمدُ للهِ رَبِّ العالَمِين، وصلَّى اللهُ علَى سيِّدِنا محمَّدٍ وعلَى ءالِه الطَّاهِرِين وصَحابَتِه الطَّيِّبِين، وسَلامُ اللهِ علَيهِم أجمَعِين.

فهرست المصادر والمراجع

- أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه، محمد بن إسحاق بن العباس الفاكهي، دار خضر، بيروت.

- أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، أبو الوليد محمد بن عبد الله الغساني المكي المعروف بالأزرقي، مكتبة الأسدي، مكة المكرمة. مكتبة الثقافة الدينية، بيروت.

- أخبار المدينة، محمد بن الحسن بن زبالة، مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة.

- أخبار المدينة المنورة، أبو زيد عمر بن شبة النمري، دار العليان.

- أسد الغابة، عز الدين أبو الحسن علي المشهور بابن الأثير، دار ابن حزم، بيروت.

- الأدب المفرد، محمد بن إسماعيل البخاري، دار المعرفة، بيروت.

- الأذكار، يحي بن شرف النووي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

- الأرج المسكي في التاريخ المكي، علي بن عبد القادر الطبري، المكتبة التجارية، مكة المكرمة.

- الأسماء والصفات، أبو بكر البيهقي، مكتبة السوادي، جدة، (ط١).

- الإستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبد البر، دار الجيل، بيروت.

- الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، دار الكتب العلمية، بيروت.

- الإعلام بأعلام بيت الله الحرام، محمد بن أحمد النهرواني، المكتبة التجارية، مكة المكرمة.
- إعلام الساجد بأحكام المساجد، بدر الدين الزركشي، وزارة الأوقاف، دبي.
- أعمار الأعيان، عبد الرحمن بن الجوزي، مكتبة الخانجي، القاهرة.
- إفادة الأنام بذكر أخبار بلد الله الحرام، عبد الله الغازي المكي، مكتبة الأسدي، مكة المكرمة.
- إفادة النصيح في التعريف بسند الجامع الصحيح، محمد بن عمر بن محمد بن رشيد الفهري الأندلسي، الدار التونسية للنشر، تونس.
- الإكمال في ذكر من له رواية في مسند الإمام أحمد من الرجال، أبو المحاسن الدمشقي، منشورات جامعة الدراسات الإسلامية، كراتشي.
- الأوائل، ابن أبي عاصم، دار الخلفاء للكتاب الإسلامي، الكويت.
- البحر الزخار، أبو بكر أحمد بن عمرو المعروف بالبزار، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة.
- البداية والنهاية، ابن كثير، مكتبة المعارف، بيروت.
- تاج العروس من جواهر القاموس، محمد بن محمد مرتضى الزبيدي، مطبعة حكومة الكويت.

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، محمد طاهر الكردي، دار خضر، بيروت.

- تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي، دار الفكر، بيروت.

- تاريخ دمشق، أبو القاسم علي بن الحسن المعروف بابن عساكر الدمشقي، دار الفكر، بيروت.

- تاريخ معالم المدينة المنورة قديما وحديثا، أحمد ياسين الخياري، نادي المدينة المنورة الأدبي.

- تاريخ الكعبة المعظمة، حسين عبد الله باسلامه.

- تاريخ مكة المكرمة والمسجد الحرام، أبو البقاء ابن الضياء، دار الكتب العلمية، بيروت.

- تحصيل المرام في أخبار البيت الحرام والمشاعر العظام، محمد بن أحمد المكي المعروف بالصباغ، مكتبة الأسدي، مكة المكرمة.

- تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، عبد الرحمن المباركفوري، دار الكتب العلمية، بيروت.

- تحفة الذاكرين، محمد بن علي الشوكاني اليمني، دار القلم، بيروت.

- ترتيب المدارك وتقريب المسالك، القاضي عياض المالكي، مطبعة فضالة المحمدية، المغرب.

- تحقيق النصرة بتلخيص معالم دار الهجرة، أبو بكر بن الحسين المراغي، المكتبة العلمية، المدينة المنورة.

- التنوير شرح الجامع الصغير، محمد بن إسماعيل الصنعاني، مكتبة دار السلام، الرياض.

- تهذيب الكمال في أسماء الرجال، جمال الدين أبو الحجاج يوسف

المزي، مؤسسة الرسالة، بيروت.

- تهذيب اللغة، محمد بن أحمد بن الأزهري، الدار المصرية للتأليف والترجمة.

- التوضيح لشرح الجامع الصحيح، ابن الملقن سراج الدين أبو حفص، دار النوادر، دمشق.

- التيسير بشرح الجامع الصغير، عبد الرؤوف المناوي، مكتبة الإمام الشافعي، الرياض.

- جامع الأحاديث، جلال الدين السيوطي، جامع الأزهر الشريف، (ط٢).

- الجامع الصحيح سنن الترمذي، محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

- جامع الكبير، جلال الدين السيوطي، الأزهر الشريف، (ط٢).

- الجامع اللطيف في فضل مكة وأهلها وبناء البيت الشريف، ابن ظهيرة القرشي المخزومي، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة.

- خريدة العجائب وفريدة الغرائب، أبو حفص عمر بن الوردي، مكتبة الثقافة الإسلامية.

- الخصائص الكبرى، جلال الدين السيوطي، دار الكتب العلمية، بيروت.

- الدر المنثور، جلال الدين السيوطي، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٣هـ.

- الدرة الثمينة في تاريخ المدينة، محمد بن محمود بن الحسن

المعروف بابن النجار، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة.

- دلائل النبوة، أبو بكر البيهقي، دار الكتب العلمية، بيروت.

- دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، محمد بن علي بن علان الصديقي البكري، دار المعرفة - دار الكتاب العربي، بيروت.

- رحلة ابن جبير، محمد بن أحمد الأندلسي الكناني، دار صادر، بيروت.

- الروض الأنف في شرح السيرة النبوية، عبد الرحمن السهيلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

- الروض المعطار في خير الأقطار، محمد بن عبد المنعم الحميري، مكتبة لبنان.

- رياض الصالحين، شرف الدين النووي، دار المنهاج، جدة.

- زاد المسير في علم التفسر، ابن الجوزي، دار الكتاب العربي، بيروت.

- الزهد، هناد السري، دار الخلفاء للكتاب الإسلامي، الكويت.

- السيرة النبوية، ابن هشام، المكتبة العلمية، بيروت.

- السيرة النبوية، محمد أبو شهبة، دار القلم، دمشق.

- سنن ابن ماجه، ابن ماجه القزويني، دار الفكر، بيروت.

- السنن الكبرى، أبو بكر البيهقي، مجلس دائرة المعارف النظامية، الهند، حيدر آباد، ط١، ١٣٤٤هـ. دار الكتب العلمية، بيروت.

- شعب الإيمان، أبو بكر البيهقي، مكتبة الرشد، الرياض.

- شفاء السقام في زيارة خير الأنام، تقي الدين علي بن عبد الكافي السبكي، دار المشاريع، بيروت.

- شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، محمد بن أحمد بن علي، تقي الدين، أبو الطيب المكي الحسني الفاسي، مكتبة النهضة الحديثة، مكة المكرمة.

- صحيح ابن حبّان، ابن حبّان، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٤هـ.

- صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، دار ابن كثير، بيروت، ط٣، ١٤٠٧هـ.

- صحيح ابن خزيمه، محمد بن إسحاق بن خزيمه، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٣٩٠هـ.

- صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج النيسابوري، دار حياء التراث العربي، بيروت.

- الطبقات الكبرى، محمد بن سعد البصري المشهور بابن سعد، دار الكتب العلمية، بيروت. دار صادر، بيروت.

- طرح التثريب في شرح التقريب، زين الدين عبد الرحيم العراقي، دار الفكر، بيروت.

- عدة الإنابة في أماكن الإجابة، ميرغني الحنفي، المكتبة المكية.

- العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، محمد بن أحمد الفاسي، مؤسسة الرسالة، بيروت.

- العلل ومعرفة الرجال، الإمام أحمد بن حنبل، دار الخاني، الرياض.

- عمدة الأخبار في مدينه المختار، أحمد بن عبد الحميد العباسي، المكتبة العلمية، المدينة المنورة.

- عمدة القاري شرح صحيح البخاري، بدر الدين العيني الحنفي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

- عمل اليوم والليلة، أحمد بن محمد بن السني، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت.

- غريب الحديث، إبراهيم بن إسحاق الحربي، جامعة أم القرى، مكة المكرمة.

- فتاوى الرملي، أحمد بن حمزة الأنصاري الرملي، المكتبة الإسلامية.

- الفتاوى الفقهية الكبرى، ابن حجر الهيتمي، وبهامشه فتاوى الرملي، شهاب الدين الرملي، مطبعة حنفي، القاهرة.

- فتح الباري شرح صحيح البخاري، شهاب الدين ابن حجر العسقلاني، دار المعرفة، بيروت، ط. ٢ دار الريان للتراث، القاهرة.

- فتح القدير، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني، دار ابن كثير- دار الكلم الطيب، دمشق، بيروت.

- الفردوس بمأثور الخطاب، أبو شجاع شيرويه بن شهردار الديلمي، دار الكتب العلمية، بيروت.

- فضائل الخلفاء الراشدين، أبو نعيم، دار البخاري، المدينة المنورة.

- فضائل الصحابة، الإمام أحمد بن حنبل، مؤسسة الرسالة، بيروت.

- فضائل مكة والسكن فيها، الحسن البصري، مكتبة الفلاح، الكويت.
- كشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، مكتبة النصر الحديثة، الرياض.
- كشف الأستار عن زوائد البزار، نور الدين الهيثمي، مؤسسة الرسالة، بيروت.
- كنز العمال، التقي الهندي، مؤسسة الرسالة، بيروت.
- لسان العرب، محمد بن مكرم المعروف بابن منظور، دار صادر، بيروت.
- اللباب في علوم الكتاب، ابن عادل الحنبلي، دار الكتب العلمية، بيروت.
- المتفق والمفترق، أبو بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي، دار القادري، دمشق.
- مثير الغرام الساكن إلى أشرف الأماكن، ابن الجوزي، دار الراية، الرياض.
- مجمع الزوائد، ابن حجر الهيثمي، مكتبة القدسي، القاهرة.
- مدارك التنزيل وحقائق التأويل، عبد الله بن أحمد النسفي، دار الفكر، بيروت.
- المدخل، أبو عبد الله محمد بن محمد العبدري الفاسي المالكي الشهير بابن الحاج، دار التراث.
- المدينة بين الماضي والحاضر، إبراهيم بن علي العياشي، المكتبة العلمية، المدينة المنورة.

- مرقاة المفاتيح، الملا علي القاري، دار الفكر، بيروت.
- المستدرك على الصحيحين، الحاكم النيسابوري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١١هـ. دار التأصيل، القاهرة.
- مسند ابن أبي شيبة، أبو بكر بن أبي شيبة، دار الوطن، الرياض.
- مسند ابن الجعد، علي بن الجعد الجوهري، مؤسسة نادر، بيروت.
- مسند أبي يعلى الموصلي، أحمد بن علي بن المثنى الموصلي، دار المأكون للتراث، دمشق.
- معاني القرءان وإعرابه، أبو إسحاق إبراهيم الزجاج، المكتبة العصرية، عالم الكتب، بيروت.
- المعالم الأثيرة في السنة والسيرة، محمد شراب، دار القلم، دمشق.
- المعجم الصغير، سليمان بن أحمد الطبراني، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت.
- المعجم الكبير، سليمان بن أحمد الطبراني، دار الصيمعي، الرياض.
- معجم البلدان، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت الحموي الرومي، دار صادر، بيروت.
- معجم الشيوخ، أبو القاسم علي بن الحسن المعروف بابن عساكر الدمشقي، دار البشائر الإسلامية، بيروت.
- المعيار المعرب، أبو عيسى الوزاني، مطبة فضالة المحمدية، المغرب.

- المغانم المطابة في معالم طابة، محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، دار اليمامة، الرياض.

- المناهل الصافية في بيان ما خفي من مساجد طيبة، إبراهيم عباس المدني الصديقي، مطابع الرشيد، المدينة المنورة.

- نتائج الأفكار في تخريج أحاديث الأذكار، ابن حجر العسقلاني، مكتبة المثنى، بغداد.

- نجم المهتدي ورجم المعتدي، فخر الدين محمد ابن المعلم القرشي، دار التقوى، دمشق.

- النكت والعيون، علي بن محمد الماوردي، دار الكتب العلمية، بيروت.

- النهاية في غريب الحديث والأثر، أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري المعروف بابن الأثير، المكتبة العلمية، بيروت.

- هداية السالك، ابن جماعة، دار ابن الجوزي.

- وفاء الوفا، نور الدين علي بن أحمد السمهودي، دار الكتب العلمية، بيروت.

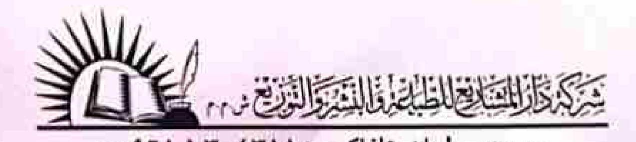
- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، أحمد بن محمد بن خلكان البرمكي، دار صادر، بيروت.

فهرست المواضيع





info@sheikhjameel.com
sheikhjameelhalim@gmail.com
+961 3 006 078 +961 3 673 946



بيروت ـ لبنان تلفاكس: ٠٠٩٦١١٣٠٤٣١١
www.dmcpublisher.com

ISBN 978-9953-20-822-0

9 789953 208220